

تأليف

الإمام الشيخ إسماعيل حقي بن مصطفى
الحنفي الخلوتي البروسوي
المتوفى ١١٢٧ هـ

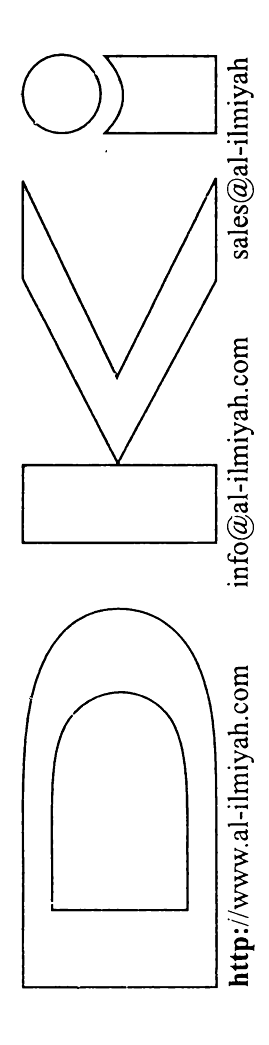
ضبطه وصححه وخرج آياته
عبد اللطيف حسن عبد الرحمن

الجزء الثامن

المحتوى:
من أول سورة ص - إلى آخر سورة محمد



أسسها محمد علي بيضون سنة 1971 بيروت - لبنان
Est. by Mohammad Ali Baydoun 1971 Beirut - Lebanon
Établie par Mohamad Ali Baydoun 1971 Beyrouth - Liban



الكتاب : روح البيان في تفسير القرآن

Title : RŪḤ AL-BAYĀN FĪ TAFSĪR AL-QUR'ĀN

التصنيف : تفسير قرآن

Classification: Exegesis of the Qur'an

المؤلف : الشيخ إسماعيل البروسوي (ت ١١٢٧ هـ)

Author : Al-Shaykh ISmail Al-Burusawi (D. 1127 H.)

المحقق : عبداللطيف حسن عبدالرحمن

Editor : Abdullatif Hassan Abdulrahman

الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت

Publisher: Dar Al-Kotob Al-Ilmiyah - Beirut

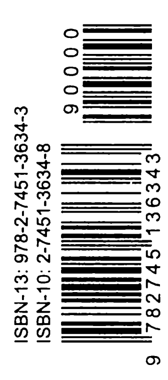
Pages	(10Vols./10Parts) 5344 (١٠أجزاء/١٠ مجلدات)	**عدد الصفحات**
Size	17×24 cm	**قياس الصفحات**
Year	2018 A.D. - 1439 H.	**سنة الطباعة**
Printed in	Lebanon لبنان	**بلد الطباعة**
Edition	4th (2 Colors) الرابعة (لونان)	**الطبعة**

Dar Al-Kotob Al-ilmiyah

Est. by Mohamad Ali Baydoun
1971 Beirut - Lebanon

Aramoun, al-Quebbah,
Dar Al-Kotob Al-ilmiyah Bldg.
Tel : +961 5 804 810/11/12
Fax: +961 5 804813
P.o.Box: 11-9424 Beirut-Lebanon,
Riyad al-Soloh Beirut 1107 2290

عرمون، القبة، مبنى دار الكتب العلمية
هاتف: ١٢/١١/٨٠٤٨١٠ ٥ ٩٦١+
فاكس: ٨٠٤٨١٣ ٥ ٩٦١+
ص.ب: ١١-٩٤٢٤ بيروت-لبنان
رياض الصلح-بيروت ١١٠٧٢٢٩٠



٣٨ ـ سورة ص

مكية آيها ست أو ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿صٓ وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ ﴿١﴾ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ ﴿٢﴾﴾.

﴿ص﴾: خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذه سورة ص كما مرّ في أخواته: [بعضى برآنندكه حروف مقطعة براى اسكات كفارست كه هروقت كه حضرت محمد عليه السلام در نماز وغير آن قرآن بجهر تلاوت فرمودى إيشان أزروى عناد صفير زدندى ودست وبردست كوفتندى تا آن حضرت درغلط افتد حق سبحانه وتعالى اين حروف فرستاد تا ايشان بعد آز استماع آن متأمل ومتفكر شده از تغليظ باز مى ماندند].

وقال الشعبي: إن لله تعالى في كل كتاب سراً وسره في القرآن فواتح السور.

وقال بعضهم: ﴿ص﴾: مفتاح اسمه الصادق والصبور والصمد والصانع.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى القسم بصاد صمديته في الأزل وبصاد صانعيته في الوسط وبصاد صبوريته إلى الأبد وبصاد صدق الذي جاء بالصدق وصاد صديقية الذي صدق به وبصاد صفوته في مودته ومحبته. هـ.

وقال ابن جبير رضي الله عنه: ﴿ص﴾ يحيي الله به الموتى بين النفختين.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿ص﴾ كان بحراً بمكة وكان عليه عرش الرحمٰن إذ لا ليل ولا نهار.

وفي بعض المعتبرات: كان جبلاً بمكة ومضى شرح هذا الكلام في أول ﴿المص﴾.
وقيل في ﴿ص﴾: معناه أن محمداً عليه السلام صاد قلوب الخلائق، واستمالها حتى آمنوا به كما قال في إنسان العيون، ومما لا يكاد يقضى منه العجب حسن تدبيره عليه السلام للعرب الذين هم كالوحوش الشاردة كيف ساسهم واحتمل جفاءهم وصبر على أذاهم إلى أن انقادوا إليه واجتمعوا عليه ﷺ، واختاروه على أنفسهم، وقاتلوا دونه أهلهم وآباءهم وأبناءهم وهجروا في رضاه أوطانهم. انتهى.

يقول الفقير أغناه الله القدير: سمعت شيخي وسندي قدس سره، وهو يقول: إن قوله تعالى ﴿ق﴾ إشارة إلى مرتبة الأحدية التي هي التعيين الأول كما في سورة الإخلاص المصدرة بكلمة: قل المبتدأة بحرف ق. وقوله ص: إشارة إلى مرتبة الصمدية التي هي التعيين الثاني المندرجة تحته مرتبة بعد مرتبة وطوراً بعد طور إلى آخر المراتب والأطوار.

﴿والقرآن ذي الذكر﴾: (الواو): للقسم، والذكر: الشرف والنباهة، أو الذكرى والموعظة

أو ذكر ما يحتاج إليه في أمر الدين من الشرائع والأحكام، وغيرها من أقاصيص الأنبياء وأخبار الأمم الماضية والوعد والوعيد، وحذف جواب القسم في مثل ذلك غير عزيز والتقدير: على ما هو الموافق لما في أول يس ولسياق الآية أيضاً، وهو عجبوا الخ. إن محمداً الصادق في رسالته وحق نبوته ليس في حقيته شك، ولا فيما أنزل عليه من القرآن ريب.

﴿**بل الذين كفروا**﴾: من رؤساء أهل مكة فهو إضراب عن المفهوم من الجواب ﴿**في عزة**﴾.

قال الراغب: العزة حالة مانعة للإنسان من أن يغلب ويمدح بالعزة تارة كما في قوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [المنافقون: ٨]؛ لأنها الدائمة الباقية، وهي العزة الحقيقية ويذم بها أخرى، كما في قوله تعالى: ﴿**بل الذين كفروا في عزة**﴾: لأن العزة التي هي التعزز وهي في الحقيقة ذل، وقد تستعار للحمية والأنفة المذمومة، وذلك في قوله تعالى: ﴿أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ﴾ [البقرة: ٢٠٦]. انتهى.

وقد حمل أكثر أهل التفسير العزة في هذا المقام على الثاني لما قالوا، بل هم في استكبار عن الاعتراف بالحق والإيمان وحمية شديدة: وبالفارسية [در سركشي اند ازقبول حق].

﴿**وشقاق**﴾؛ أي: مخالفة لله وعداوة عظيمة لرسول الله ﷺ، فلذا لا ينقادون.

وفي «التأويلات النجمية» وبقوله: ﴿**والقرآن ذي الذكر**﴾ يشير إلى القسم بالقرآن الذي هو مخصوص بالذكر، وذلك لأن القرآن قانون معالجات القلوب المريضة وأعظم مرض القلب نسيان الله تعالى كما قال: ﴿نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]، وأعظم علاج مرض النسيان بالذكر كما قال: ﴿فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]، ولأن العلاج بالضد وبقوله: ﴿**بل الذين**﴾ إلخ. يشير إلى انحراف مزاج قلوب الكفار بمرض نسيان الله من اللين والسلامة إلى الغلظة والقساوة ومن التواضع إلى التكبر ومن الوفاق إلى الخلاف ومن الوصلة إلى الفرقة ومن المحبة إلى العداوة، ومن مطالعة الآيات إلى الإعراض عن البحث في الأدلة والسير للشواهد.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا۟ وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ ۝٣﴾

﴿**كم**﴾: مفعول قوله: ﴿**أهلكنا**﴾. ومن في قوله: ﴿**من قبلهم**﴾: لابتداء الغاية. وقوله: ﴿**من قرن**﴾: تمييز.

والقرن: القوم المقترنون في زمن واحد. والمعنى: قرناً كثيراً أهلكنا من القرون المتقدمة؛ أي: أمة من الأمم الماضية بسبب الاستكبار والخلاف. ﴿**فنادوا**﴾ عند نزول بأسنا وحلول نقمتنا استغاثة أو توبة واستغفاراً لينجوا في ذلك، وبالفارسية: [بس ندا كردند وآواز بلند برداشتندتا كسى ايشانرا بفريادرسد].

﴿**ولات حين مناص**﴾: حال من ضمير نادوا؛ أي: نادوا، واستغاثوا طلباً للنجاة، والحال أن ليس الحين حين مناص؛ أي: فوت وفرار ونجاة لكونه حالة اليأس: وبالفارسية: [ونيست آن هنكام وقت رجوع بكريزكاه].

فقوله: لا هي المشبهة بليس زيدت عليها تاء التأنيث للتأكيد كما زيدت على رب وثم وخصت بنفي الأحيان، ولم يبرز إلا أحد معموليها اسمها أو خبرها، والأكثر حذف اسمها.

وفي بعض التفاسير لات بمعنى ليس بلغة أهل اليمن. انتهى.

والوقف عليها بالتاء عند الزجاج وأبي علي وعند الكسائي نحو قاعدة وضاربة وعند أبي عبيد على لا. ثم يبتدىء تحين مناص، لأنه عنده أن هذه التاء تزاد مع حين، فيقال: كان هذا تحين كان ذاك كذا في «الوسيط».

والمناص: المنجأ؛ أي: النجاة والفوت عن الخصم على أنه مفعل من ناصه ينوصه إذا فاته أريد به المصدر. ويقال: ناص ينوص؛ أي: هرب. ويقال: أي: تأخر، ومنه: ناص قرنه؛ أي: تأخر عنه حيناً. وفي «المفردات»: ناص إلى كذا، التجأ إليه، وناص عنه تنحى ينوص نوصاً. والمناص: الملجأ. انتهى.

[در معالم فرموده كه عادت كفار مكي آن بودكه جون دركارزاركار برايشان زار شدى كفتندى مناص مناص يعني بكر زيد حق سبحانه وتعالى خبر ميدهدكه بهنكام حلول عذاب دربدر خلاص مناص خواهند كفت وآنجا جاي كريز نخوا هدبود].

﴿وَعَجِبُوٓا۟ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ ۖ وَقَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٤﴾ أَجَعَلَ ٱلْءَالِهَةَ إِلَٰهًا وَٰحِدًا ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ عُجَابٌ ﴿٥﴾﴾.

﴿وعجبوا أن جاءهم منذر منهم﴾ ؛ أي: عجب كفار أهل مكة من أن جاءهم منذر ينذرهم النار؛ أي: رسول من جنسهم بل أدون منهم في الرياسة الدنيوية والمال على معنى أنهم عدوا ذلك خارجاً عن احتمال الوقوع وأنكروه أشد الإنكار لا أنهم اعتقدوا وقوعه، وتعجبوا منه، قالوا: إن محمداً مساوٍ لنا في الخلقة الظاهرة والأخلاق الباطنة والنسب والشكل والصورة، فكيف يعقل أن يختص من بيننا بهذا المنصب العالي ولم يتعجبوا من أن تكون المنحوتات آلهة، وهذه مناقضة ظاهرة، فلما تحيروا في شأن النبي عليه السلام نسبوه إلى السحر والكذب كما قال حكاية.

﴿وقال الكافرون﴾ : وضع فيه الظاهر موضع المضمر غضباً عليهم وإيذاناً بأنه لا يتجاسر على مثل ما يقولونه إلا المتوغلون في الكفر والفسوق **﴿هذا﴾** [اين منذر] **﴿ساحر﴾** فيما يظهره من الخوارق **﴿كذَّاب﴾** فيما يسنده إلى الله من الإرسال والإنزال لم يقل كاذب لرعاية الفواصل، ولأن الكذب على الله ليس كالكذب على غيره ولكثرة الكذب في زعمهم، فإنه يتعلق بكل آية من الآيات القرآنية بخلاف إظهار الخوارق فإنه قليل بالنسبة إليه. هكذا لاح لي هذا المقام.

وفي «التأويلات النجمية»: لما كانوا منحرفي مزاج القلوب لمرض نسيان الحق جاءت النبوة على مذاق عقولهم المتغيرة سحراً والصدّيق كذاباً.

قال الكاشفي [جه تيره رايى كه أنوار لمعات وحى را أزتاريكىء سحر امتياز نكند وجه بي بصيرتي كه آثار شعاع صدق را از ظلمات كذب بازنشناسند].

كشته طالع آفتابي أنيچينين عالم فروز — ديده خفاش را يكذره ازوى نورته

از شعاع روز روشن روى كيتى مستنير — تيركى شب هنوز از ديده وى دورنه

واعلم: أن إثبات النبوة والولاية سهل بالنسبة إلى أهل العناية والتوفيق فإن قلوبهم ألفت الإعراض عما سوى الله بخلاف أهل الإنكار والخذلان، فإن قلوبهم ألفت الإعراض عن الله، فلذا صحبتهم الوقيعة في أنبياء الله وأوليائه.

قال الأستاذ أبو القاسم الجنيد رضي الله عنه التصديق بعلمنا هذا ولاية يعني: الولاية الصغرى دون الكبرى.

قال اليافعي: والناس على أربعة أقسام:

القسم الأول: حصل لهم التصديق بعلمهم، والعلم بطريقتهم والذوق لمشربهم وأحوالهم.

والقسم الثاني: حصل لهم التصديق، والعلم المذكور دون الذوق.

والقسم الثالث: حصل لهم التصديق دونهما.

والقسم الرابع: لم يحصل لهم من الثلاثة شيء، نعوذ بالله من الحرمان ونسأله التوفيق والغفران، فهم الذين أطالوا ألسنتهم في حق الخواص ورموهم بالسحر والكذب والجنون لكونهم ليسوا من المحارم في شأن من الشؤون: وفي «المثنوي»:

جون خدا خواهد كه برده كس درد ميلش اندر طعنه باكان برد

﴿**أجعل الآلهة إلهاً واحداً**﴾: (الهمزة): للإنكار والاستبعاد. والآلهة: جمع إله وحقه أن لا يجمع إذ لا معبود في الحقيقة سواه تعالى لكن العرب لاعتقادهم أن ههنا معبودات جمعوه. فقالوا: آلهة. وإلهاً واحداً: مفعول ثان لجعل؛ لأنه بمعنى صير؛ أي: صيرهم إلهاً واحداً في زعمه وقوله لا في فعله؛ لأن جعل الأمور المتعددة شيئاً واحداً بحسب الفعل محال [آورده اندكه بعد ازاسلام حمزة وعمر رضي الله عنهما أشراف قريش جون وليد وأبو سفيان وأبو جهل وعتبة وشيبة وأمية ازروى اضطراب نزد أبو طالب آمده در مرض موت أو كفتند اي عبد مناف تو بزر كتر ومهتر مايى آمده ايم تاميان ما وبرادر زاده خود حكم فرمايي كه يك يك ازسفهاي قوم را مي فريبد ودين محدث وآيين مجدد خودرا بديشان جلوه ميدهد سنك تفرقه در مجمع ما افكنده است ونزديك بآن رسيده كه دست تدارك از اطفاي اين نائره عاجز آيد أبو طالب آن حضرت را صلى الله تعالى عليه وسلم طلبيد وكفت اي محمد قوم تو آمده اند وايشانرا أزتو مدعاييست يكباركي طرف انحراف مورد متمناي ايشان تأمل نماي حضرت عليه السلام فرمود اي معشر قريش مطلوب شما ازمن جه جيزست كفتند آنكه دست ازنقض دين ما بداري وسب آلهة ما فرو كذاري تاما نيز متعرض تو ومتابعان تونشويم حضرت عليه السلام فرمودكه من هم ازشما مي طلبم كه بيك كلمه بامن متفق شويد تامما لك غرب شمارا مسخر شود واكابر عجم كمر فرمان برداری شما بربندند كفتند آن كلمه كدامست سيد عالم عليه السلام فرمودكه: «لا إله إلا الله محمد رسول الله» بيكبار أشراف قريش ازان حضرت اعراض نموده كفتند].

أجعل الخ؛ أي: أصير محمد بزعمه الآلهة إلهاً واحداً بأن نفى الألوهية عنهم وقصرها على واحد ولم يعلموا أنهم جعلوا الإله الواحد آلهة ﴿**إن هذا**﴾: [بدرستى كه يكانكى خداى تعالى].

﴿**لشيء عجاب**﴾: العجاب: بمعنى العجيب، وهو الأمر الذي يتعجب منه كالعجب إلا أن العجيب أبلغ منه، والعجاب بالتشديد أبلغ من العجاب بالتخفيف مثل كبار في قوله: ﴿وَمَكَرُوا مَكْرًا كُبَّارًا ﴿٢٢﴾﴾ [نوح: ٢٢]، فإنه أبلغ من الكبار بالتخفيف ونحوه طويل وطوال. والمعنى: بليغ في العجب، لأنه خلاف ما اتفق عليه آباؤنا إلى هذا الآن.

وقال بعضهم: [نيك شكفت جه سيصد وشصت بت كه مداريم كاريك شهر مكه راست

نمى توانندكرد يك خداي كه محمد ميكويد كار تمام عالم جون سازد]. يعني: أنهم ما كانوا أهل النظر والبصيرة، بل أوهامهم كانت تابعة للمحسوسات، فقاسوا الغائب على الشاهد، وقالوا: لا بدّ لحفظ هذا العالم الكبير من آلهة كثيرة يحفظونه بأمره وقضائه تعالى ولم يعرفوا الإله، ولا معنى الإلهية، فإن الإلهية هي القدرة على الاختراع وتقدير قادرين على الاختراع غير صحيح لما يجب من وجوده التمانع بينهما وجوازه، وذلك يمنع من كمالها، ولو لم يكونا كاملي الوصف لم يكونا إلٰهين وكل أمر جرّ ثبوته سقوطه فهو مطروح. باطل.

﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾﴾

﴿وانطلق الملأ منهم﴾ : الانطلاق الذهاب والملأ الأشراف لا مطلق الجماعة، ويقال لهم: ملأ لأنهم إذا حضروا مجلساً ملأت العيون وجاهتهم والقلوب مهابتهم؛ أي: وذهب الأشراف من قريش وهم خمسة وعشرون عن مجلس أبي طالب بعد ما أسكتهم رسول الله عليه السلام بالجواب الحاضر، وشاهدوا تصلبه عليه السلام في الدين وعزيمته على أن يظهره على الدين كله ويئسوا مما كانوا يرجونه بتوسط أبي طالب من المصالحة على الوجه المذكور.

﴿أن﴾ : مفسرة للمقول المدلول عليه بالانطلاق لأن الانطلاق عن مجلس التقاول لا يخلو عن القول؛ أي: وانطلق الملأ منهم بقول هو قول بعضهم لبعض على وجه النصيحة.

﴿امشوا﴾ : سيروا على طريقتكم وامضوا فلا فائدة في مكالمة هذا الرجل. وحكى المهدوي أن قائلها عقبة بن أبي معيط.

﴿واصبروا على آلهتكم﴾ ؛ أي: واثبتوا على عبادتها متحملين لما تسمعونه في حقها من القدح.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الكفار إذا تراضوا فيما بينهم بالصبر على آلهتهم فالمؤمنون أولى بالصبر على عبادة معبودهم والاستقامة في دينهم بل الطالب الصادق والعاشق الوامق أولى بالصبر والثبات على قدم الصدق في طلب المحبوب المعشوق.

﴿إن هذا﴾ : تعليل للأمر بالصبر أو لوجوب الامتثال به؛ أي: هذا الذي شاهدناه من محمد من أمر التوحيد ونفي آلهتنا وإبطال أمرنا.

﴿لشيء يراد﴾ : من جهته عليه السلام إمضاؤه وتنفيذه لا محالة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه لا قول يقال من طرف اللسان، أو أمر يرجى فيه المسامحة بشفاعة أو امتناع، فاقطعوا أطماعكم عن استنزاله عن رأيه بواسطة أبي طالب وشفاعته وحسبكم أن لا تمنعوا من عبادة آلهتكم بالكلية فاصبروا عليها وتحملوا ما تسمعونه في حقها من القدح وسوء المقالة هذا ما ذهب إليه المولى أبو السعود في «الإرشاد».

وقال في «تفسير الجلالين»: لأمر يراد بنا ومكر يمكر علينا.

وقال سعدي المفتي: وسنح بالبال أنه يجوز أن يكون المراد أن دينكم لشيء يستحق أن يطلب ويعض عليه بالنواجذ، فيكون ترغيباً وتعليلاً للأمر السابق.

وقال بعضهم: [بدرستى كه مخالفت محمد باما جيز نيست كه خواسته اند بما از حوادث زمان واز وقوع آن جاره نيست].

يقول الفقير أمده الله القدير بالفيض الكثير ويجوز أن يكون المعنى: أن الصبر والثبات

على عبادة الآلهة التي هي الدين القديم يراد منكم فإنه أقوى ما يدفع به أمر محمد كما قالوا نتربص به ريب المنون، فيكون موافقاً لقرينه في الإشارة إلى المذكور فيما قبله أو أن شأن محمد لشيء يراد دفعه وإطفاء نائرته بأي وجه كان قبل أن يعلو ويشيع، كما قيل:

علاج واقعه بيش از وقوع بايد كرد

ودل عليه اجتماعهم على مكره عليه السلام مراراً فأبى الله إلا أن يتم نوره.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ ۝٧ أَؤُنزِلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ مِن بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِّن ذِكْرِي ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا عَذَابِ ۝٨ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ الْوَهَّابِ ۝٩﴾.

﴿ما سمعنا بهذا﴾: الذي يقوله من التوحيد.

﴿في الملة الآخرة﴾: ظرف لغو سمعنا؛ أي: في الملة التي أدركنا عليها آباءنا، وهي ملة قريش ودينهم الذي هم عليه، فإنها متأخرة عما تقدم عليها من الأديان والملل.

وفيه إشارة إلى ركون الجهال إلى التقليد والعادة وما وجدوا عليه أسلافهم من الضلال وإخطاء طريق العبادة:

ترسم نرسى بكعبه اي اعرابى كين ره كه توميروى بتركستانست

والملة كالدين اسم لما شرع الله لعباده على يد الأنبياء ليتوصلوا به إلى ثواب الله وجواره فإطلاق كل منهما على طريقة المشركين مجاز مبني على التشبيه.

﴿إن هذا﴾: نافية بمعنى ما **﴿إلا اختلاق﴾**.

[الاختلاق دروغ كفتن ازنزد خود]؛ أي: كذب اختلقه من عند نفسه.

قال في «المفردات»: وكل موضع استعمل فيه الخلق في وصف الكلام، فالمراد به الكذب ومن هذا امتنع كثير من الناس من إطلاق لفظ الخلق على القرآن، وعلى هذا قوله: **﴿إن هذا إلا اختلاق﴾**.

﴿أأنزل عليه الذكر من بيننا﴾: ونحن رؤساء الناس وأشرافهم وأكبرهم سناً وأكثرهم أموالاً وأعواناً وأحقاء بكل منصب شريف ومرادهم إنكار كون القرآن ذكراً منزلاً من الله تعالى. وأمثال هذه المقالات الباطلة دليل على أن مناط تكذيبهم ليس إلا الحسد على اختصاصه عليه السلام بشرف النبوة من بينهم وحرمانهم منه وقصر النظر على متاع الدنيا وغلطوا في القصر والقياس. أما الأول فلأن الشرف الحقيقي إنما هو بالفضائل النفسانية دون الخارجية.

وأما الثاني فلأن قياس نفسه عليه السلام بأنفسهم فاسد إذ هو روح الأرواح وأصل الخليقة، فأنى يكون هو مثلهم وأما الصورة الإنسانية فميراث عام من آدم عليه السلام لا تفاوت فيها بين شخص وشخص نعم وجهه عليه السلام كان يلوح منه أنوار الجمال بحيث لم يوجد مثله فيما بين الرجال:

اى حسن سعادت زجبين تو هويدا اين حسن جه حسنست تقدس وتعالى

وفيه إشارة إلى حال أكثر علماء زماننا وعبادهم أنهم إذا رأوا عالماً ربانياً من أرباب الحقائق يخبر عن حقائق لم يفهموها ويشير إلى دقائق لم يذوقوها دعتهم النفوس المتمردة إلى تكذيبه، فيجحدونه بدل الاغتنام بأنفاسه والاقتباس من أنواره ويقولون أكوشف هو بهذه الحقائق من بيننا ويقعون في الشك من أمرهم كما قال تعالى: **﴿بل هم في شك من ذكري﴾**؛

أي: القرآن أو الوحي بميلهم إلى التقليد وإعراضهم عن النظر في الأدلة المؤدية إلى العلم بحقيته وليس في عقيدتهم ما يجزمونه فهم مذبذبون بين الأوهام ينسبونه تارة إلى السحر وأخرى إلى الاختلاق.

وفيه إشارة إلى أن القرآن قديم لأنه سماه الذكر ثم أضافه إلى نفسه، ولا خفاء بأن ذكره قديم، لأن الذكر المحدث يكون مسبوقاً بالنسيان، وهو منزه عنه.

﴿**بل لما يذوقوا عذاب**﴾ في لما دلالة على أن ذوقهم العذاب على شرف الوقوع، لأنها للتوقع؛ أي: بل لم يذوقوا بعد عذابي، فإذا ذاقوه تبين لهم حقيقة الحال.

وفيه تهديد لهم؛ أي: سيذوقون عذابي فيلجئهم إلى تصديق الذكر حين لا ينفع التصديق.

وفيه إشارة إلى أنهم مستغرقون في بحر عذاب الطرد والبعد ونار القطيعة لكنهم عن ذوق العذاب بمعزل لغلبة الحواس إلى أن يكون يوم تبلى السرائر فتغلب السرائر على الصور والبصائر على البصر، فيقال لهم: ذوقوا العذاب، يعني: كنتم معذبين وما كنتم ذائقي العذاب، فالمعنى: لو ذاقوا عذابي ووجدوا ألمه لما قدموا على الجحود دل على هذا قوله عليه السلام: «الناس نيام فإذا ماتوا انتبهوا».

شو زخواب كران جان بيدار تا جمالش عيان ببين اي يار

﴿**أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهاب**﴾: أم منقطعة بمعنى: بل، والهمزة وهي للإنكار. والخزائن جمع خزانة بالكسر بمعنى المخزن؛ أي: بل أعندهم خزائن رحمته تعالى يتصرفون فيها حسبما يشاؤون حتى يصيبوا بها من شاؤوا ويصرفوها عمن شاؤوا ويتحكموا فيها بمقتضى آرائهم، فيتخيروا للنبوة بعض صناديدهم. والمعنى: أن النبوة عطية من الله تعالى يتفضل بها على من يشاء من عباده، لا مانع له فإنه العزيز؛ أي: الغالب الذي لا يغالب الوهاب الذي له أن يهب كل ما يشاء.

جون زحال مستحقان آكهي هرجه خواهي هركرا خواهي دهي
ديكرا نرا اين تصرف كي رواست اختيار اين تصرفها تراست

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ ﴿١٠﴾﴾

﴿**أم لهم ملك السماوات والأرض وما بينهما**﴾: ترشيح؛ أي: تربية لما سبق؛ أي: بل ألهم ملك هذه العوالم العلوية والسفلية حتى يتكلموا في الأمور الربانية ويتحكموا في التدابير الإلهية التي يستأثر بها رب العزة والكبرياء.

﴿**فليرتقوا في الأسباب**﴾: جواب شرط محذوف، والارتقاء: الصعود.

قال الراغب: السبب الحبل الذي يصعد به النخل، وقوله تعالى: ﴿**فليرتقوا في الأسباب**﴾: إشارة إلى قوله: ﴿أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ﴾ [الطور: ٣٨] فيه وسمي كل ما يتوصل به إلى شيء سبباً. انتهى.

والمعنى: إن كان لهم ما ذكر من الملك فليصعدوا في المعارج والمناهج التي يتوصل بها إلى العرش حتى يستووا عليه ويدبروا أمر العالم وينزلوا الوحي إلى ما يختارون ويستصوبون. وفيه من التهكم بهم ما لا غاية وراءه.

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ ﴿١١﴾ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو ٱلْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ ﴿١٤﴾﴾.

﴿**جند ما هنالك مهزوم من الأحزاب**﴾: الجند جمع معد للحرب وما مزيدة للتقليل والتحقير نحو أكلت شيئاً ما وهنالك مركب من ثلاث كلمات إحداها هنا وهو إشارة إلى مكان قريب. والثانية: اللام وهي للتأكيد، والثالثة: الكاف وهي للخطاب. قالوا: واللام فيها كاللام في ذلك في الدلالة على بعد المشار إليه، والهزم: الكسر. يقال: هزم العدو كسرهم وغلبهم والاسم: الهزيمة. وهزمه يهزمه، فانهزم غمزه بيده فصارت فيه حفرة كما في «القاموس». والحزب جماعة فيها غلظ كما في «المفردات» قال ابن الشيخ: جند خبر مبتدأ محذوف ومن الأحزاب صفته؛ أي: جملة الأحزاب وهم القرون الماضية الذين تحزبوا وتجمعوا على الأنبياء بالتكذيب، فقهروا وهلكوا ومهزوم خبر ثانٍ للمبتدأ المقدر أو صفة لجند، وهنالك ظرف لمهزوم أو صفة أخرى لجند، وهو إشارة إلى الموضع الذي تقاولوا وتحاوروا فيه بالكلمات السابقة، وهو مكة؛ أي: سيهزمون بمكة، وهو إخبار بالغيب لأنهم انهزموا في موضع تكلموا فيه بهذه الكلمات.

وقال بعضهم: هنالك إشارة إلى حيث وضعوا فيه أنفسهم من الانتداب؛ أي: الإجابة والمطاوعة لمثل ذلك القول العظيم من قولهم لمن ينتدب لأمر ليس من أهله لست هنالك فإن هواهم الزائغ وحسدهم البالغ حملهم على أن يقولوا: أأنزل عليه الذكر من بيننا فانتدبوا له ووضعوا أنفسهم في مرتبة أن يقولوا ذلك العظيم، فإنه لاستلزامه الاعتراض على مالك الملك والملكوت لا ينبغي لأحد أن يجترىء عليه ويضع نفسه في تلك المرتبة.

والمعنى: هم كجند ما من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عما قريب فلا تبال بما يقولون، ولا تكترث بما يهذون.

ففي إشارة إلى عجزهم وعجز آلهتهم، يعني: أن هؤلاء الكفار ليس معهم حجة ولا لأصنامهم من النفع والضر مكنة ولا في الدفع والردّ عن أنفسهم قوة.

وسمعت من فم حضرة شيخي وسندي قدس سره يقول استناد الكفار إلى الأحجار ألا ترى إلى القلاع والحصون واستناد المؤمنين إلى «لا إلٰه إلا الله محمد رسول الله». ألا ترى أنهم لا يتحصنون بحصن سوى التوكل على الله تعالى، وهو يكفيهم كما قال تعالى: «لا إلٰه إلا الله حصني فمن دخل حصني أمن من عذابي». انتهى.

﴿**كذبت قبلهم**﴾؛ أي: قبل قومك يا محمد، وهم: قريش.

﴿**قوم نوح**﴾؛ أي: كذبوا نوحاً، وقد دعاهم إلى الله وتوحيده ألف سنة إلا خمسين عاماً.

﴿**وعاد**﴾: قوم هود. ﴿**وفرعون**﴾: موسى عليه السلام. ﴿**ذو الأوتاد**﴾: جمع وتد محركة وبكسر التاء، وهو ما غرز في الأرض أو الحائط من خشب: وبالفارسية: [ميخ]؛ أي: ذو الملك الثابت، لأنه استقام له الأمر أربعمائة سنة من غير منازع وأصله أن يستعمل في ثبات الخيمة بأن يشد أطنابها على أوتاد مركوزة في الأرض، فإن أطنابها إذا اشتدت عليها كانت ثابتة فلا تلقيها الريح على الأرض ولا تؤثر فيها ثم استعير لثبات الملك ورسوخ السلطنة واستقامة

الأمر، بأن شبه ملك فرعون بالبيت المطنب استعارة بالكناية، وأثبت له لوازم المشبه به. وهو الثبات بالأوتاد تخييلاً. وجه تخصيص هذه الاستعارة أن أكثر بيوت العرب كانت خياماً، وثباتها بالأوتاد ويجوز أن يكون المعنى ذو الجموع الكثيرة سموا بذلك لأنهم يشدون البلاد، والملك ويشد بعضهم بعضاً كالوتد يشد البناء والخباء، فتكون الأوتاد استعارة تصريحية.

وفي الحديث: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضاً»؛ أي: لا يتقوى في أمر دينه ودنياه إلا بمعونة أخيه كما أن بعض البناء يتقوى ببعضه ويكفي دليلاً على كثرة جموع فرعون أنه قال في حق بني إسرائيل إن هؤلاء لشرذمة قليلون مع أنهم كانوا ينيفون على ستمائة ألف مقاتل سوى الصغير والشيخ. ويجوز أن يكون الأوتاد حقيقة لا استعارة فإنه على ما روي كانت له أوتاد من حديد يعذب الناس عليها فكان إذا غضب على أحد مده مستلقياً بين أربعة أوتاد، وشد كل يد وكل رجل منه إلى سارية وكان كذلك في الهواء بين السماء والأرض حتى يموت، أو كان يمد الرجل مستلقياً على الأرض ثم يشد يديه ورجليه ورأسه على الأرض بالأوتاد.

يقول الفقير: هذه الرواية هي الأنسب لما ذكروه في قصة آسية امرأة فرعون في سورة التحريم من أنها لما آمنت بموسى أوتد لها فرعون بأوتاد في يديها ورجليها كما سيجيء.

﴿وثمود﴾: قوم صالح.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن قوم صالح آمنوا به، فلما مات صالح رجعوا بعده عن الإيمان فأحيى الله صالحاً وبعثه إليهم ثانياً فأعلمهم أنه صالح، فكذبوه فأتاهم بالناقة فكذبوه فعقروها فأهلكهم الله.

قال الكاشفي: [بعضى إيمان آوردند وجمعى تكذيب نمودند وبسبب عقر ناقه هلاك شدند].

﴿وقوم لوط﴾: قال مجاهد: كانوا أربعمائة ألف بيت، في كل بيت عشرة.

وقال عطاء: ما من أحد من الأنبياء إلا ويقوم معه يوم القيامة قوم من أمته، إلا لوط فإنه يقوم وحده كما في «كشف الأسرار».

﴿وأصحاب الأيكة﴾: أصحاب الغيضة من قوم شعيب بالفارسية [أهل بيشه].

قال الراغب: الأيك شجر ملتف. وأصحاب الأيكة: قيل: نسبوا إلى غيضة كانوا يسكنونها. وقيل: هي اسم بلد كما في «المفردات».

﴿أولئك الأحزاب﴾: بدل من الطوائف المذكورة، يعني المتحزبين؛ أي: المجتمعين على أنبيائهم الذين جعل الجند المهزوم، يعني: قريشاً منهم.

﴿إن كل إلا كذب الرسل﴾: استئناف جيء به تهديداً لما يعقبه؛ أي: ما كل حزب وجماعة من أولئك الأحزاب إلا كذب رسوله على نهج مقابلة الجمع بالجمع لتدل على انقسام الآحاد بالآحاد، كما في قولك: ركب القوم دوابهم. والاستثناء: مفرغ من أعم الأحكام في حيز المبتدأ؛ أي: ما كل واحد منهم محكوماً عليه بحكم إلا محكوم عليه، بأنه كذب الرسل، ويجوز أن يكون قوله: ﴿أولئك الأحزاب﴾: مبتدأ. وقوله: ﴿إن كل إلا كذب الرسل﴾: خبره محذوف العائد؛ أي: إن كل منهم. ﴿فحق عقاب﴾؛ أي: ثبت ووقع على كل منهم عقابي الذي كانت توجبه جناياتهم من أصناف العقوبات المفصلة في مواقعها.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ﴿١٥﴾ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿١٦﴾ ٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾﴾.

﴿وما ينظر هؤلاء﴾: الإشارة إلى كفار مكة بهؤلاء تحقير لشأنهم وتهوين لأمرهم وما ينتظر هؤلاء الكفرة الذين هم أمثال أولئك الطوائف المذكورة المهلكة في الكفر والتكذيب.

﴿إلا صيحة واحدة﴾: هي النفخة الثانية؛ أي: ليس بينهم وبين حلول ما أعد لهم من العقاب الفظيع إلا هي حيث أخرت عقوبتهم إلى الآخرة لما أن تعذيبهم بالاستئصال حسبما يستحقونه. والنبي عليه السلام بين أظهرهم خارج عن السنة الإلهية المبنية على الحكم الباهرة كما نطق به قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾ [الأنفال: ٣٣]. ثم إن الانتظار يحتمل أن يكون حقيقة أو استهزاء فهم، وإن كانوا ليسوا بمنتظرين لأن تأتيهم الصيحة إلا أنهم جعلوا منتظرين لها تنبيهاً على قربها منهم، فإن الرجل إنما ينتظر الشيء، ويمدّ طرفه إليه مترقباً في كل آن حضوره إذا كان الشيء في غاية القرب منه.

﴿ما لها من فواق﴾؛ أي: ما للصيحة من توقف مقدار فواق، ففيه تقدير مضاف هو صفة لموصوف مقدر. والفواق: بالضم كغراب ويفتح كما في «القاموس» ما بين حلبتي الحالب من الوقت؛ لأن الناقة تحلب ثم تترك سويعة يرضعها الفصيل لإدرار اللبن ثم تحلب ثانية، يعني: إذا جاء وقت الصيحة لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً﴾ [الأعراف: ٣٤]: وهو عبارة عن الزمان اليسير.

وفي الحديث: «من اعتكف قدر فواق فكأنما أعتق رقبة من ولد إسماعيل». وفي الحديث: «من قاتل في سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة».

وفي الآيتين إشارة إلى تسلية قلب النبي عليه السلام وتصفيته عن الاهتمام بكفار مكة لئلا يضيق قلبه من تكذيبهم ولا يحزن عليهم لكفرهم فإن هؤلاء الأحزاب كذبوا الرسل كما كذبه قومه وكانوا أقوياء متكثرين عدداً وقومه جنداً قليلاً من تلك المتحزبين ثم إنهم كانوا مظهر القهر وحطب نار الغضب ما أغنى عنهم جمعهم وقوتهم أبداناً وكثرتهم أسباباً، فكذا حال قريش فانتظارهم أيضاً أثر من آثار القهر الإلهي، ونار من نيران الغضب القهاري.

﴿وقالوا﴾: بطريق الاستهزاء والسخرية عند سماعهم بتأخير عقابهم إلى الآخرة، والقائل النضر بن الحرث بن علقمة بن كندة الخزاعي وأضرابه، وكان النضر من شياطينهم ونزل في شأنه في القرآن بضع عشرة آية وهو الذي قال: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢].

﴿ربنا﴾: وتصدير دعائهم بالنداء للإمعان في الاستهزاء كأنهم يدعون ذلك بكمال الرغبة والابتهال.

﴿عجل لنا قطنا قبل يوم الحساب﴾: القط: القطعة من الشيء من قطه إذا قطعه. والمراد هنا: القسط والنصيب؛ لأنه قطعة من الشيء مفرزة.

قال الراغب: أصل القط: الشيء المقطوع عرضاً كما أن القدّ هو المقطوع طولاً. والقط: النصيب المفروض كأنه قط، وأفرز. وقد فسر ابن عباس رضي الله عنهما الآية به. انتهى.

فالمعنى: عجل لنا قسطنا وحظنا من العذاب الذي توعدنا به محمد ولا تؤخره إلى يوم الحساب الذي مبدأه الصيحة المذكورة. ويقال لصحيفة الجائزة أيضاً قط؛ لأنها قطعة من القرطاس. فالمعنى: عجل لنا صحيفة أعمالنا لننظر فيها.

قال سهل بن عبد الله التستري ـ رحمه الله ـ: لا يتمنى الموت إلا ثلاثة: رجل جاهل بما بعد الموت، أو رجل يفر من أقدار الله عليه، أو مشتاق محب لقاء الله.

وفيه إشارة إلى أن النفوس الخبيثة السفلية يميل طبعها إلى السفليات، وهي في الدنيا لذائد الشهوات الحيوانية. وفي الآخرة دركات أسفل سافلين جهنم كما أن القلوب العلوية اللطيفة يميل طبعها إلى العلويات، وهي في الدنيا حلاوة الطاعة ولذاذة القربات. وفي الآخرة درجات أعلى عليين الجنات، وكما أن الأرواح القدسية تشتاق بخصوصيتها إلى شواهد الحق ومشاهدات أنوار الجمال والجلال ولكل من هؤلاء الأصناف جذبة بالخاصية جاذبة بلا اختيار كجذبة المغناطيس للحديد وميلان طبع الحديد إلى المغناطيس من غير اختيار بل باضطرار كذا في «التأويلات النجمية»: وفي «المثنوي».

ذره ذره كاندرين ارض وسماست جنس خودرا همجوكاه وكهرباست

﴿اصبر﴾: يا محمد. ﴿على ما يقولون﴾؛ أي: ما يقوله كفار قريش من المقالات الباطلة التي من جملتها قولهم في تعجيل العذاب ربنا عجل لنا إلخ. فعن قريب سينزل الله نصرك ويعطيهم سؤلهم.

قال شاه الكرماني: الصبر ثلاثة أشياء ترك الشكوى وصدق الرضا وقبول القضاء بحلاوة القلب.

قال البقلي: كان خاطر النبي عليه السلام أرق من ماء السماء بل ألطف من نور العرش والكرسي من كثرة ما ورد عليه من نور الحق فلكمال جلاله في المعرفة كان لا يحتمل مقالة المنكرين وسخرية المستهزئين، لا أنه لم يكن صابراً في مقام العبودية.

﴿واذكر﴾: من الذكر القلبي؛ أي: وتذكر.

﴿عبدنا﴾: المخصوص بعنايتنا القديمة. ﴿داود﴾: ابن إيشا من سبط يهودا بن يعقوب عليه السلام بينه وبين موسى عليه السلام خمسمائة وتسع وستون سنة. وقام بشريعة موسى وعاش مائة سنة.

﴿ذا الأيد﴾: يقال: آد يئيد أيداً مثل باع يبيع بيعاً اشتد وقوي. والأيد: القوة كما في «القاموس» والقوة الشديدة كما في «المفردات»؛ أي: ذا القوة في الدين القائم بمشاقه وتكاليفه.

وفي «الكواشي»: ويجوز أن يراد القوة في الجسد والدين. انتهى.

واعلم أنه تعالى ذكر أولاً قوة داود في أمر الدين ثم زلته بحسب القضاء الأزلي، ثم توبته بحسب العناية السابقة وأمره عليه السلام بذكر حاله وقوته في باب الطاعة ليتقوى على الصبر ولا يزل عن مقام استقامته وتمكينه كما زل قدم داود فظهرت المناسبة بين المسندين واتضح وجه عطف واذكر على اصبر.

﴿إنه أواب﴾: من الأوب، وهو الرجوع؛ أي: رجاع إلى الله ومرضاته؛ أي: عن كل ما يكره الله إلى ما يحب الله، وهو تعليل لكونه ذا الأيد. ودليل على أن المراد به القوة في أمر

الدين وما يتعلق بالعبادة لا قوة البدن؛ لأن كونه راجعاً إلى مرضاة الله لا يستلزم كونه قوي البدن. وقد روي أنه لم يكن جسيماً كسائر الأنبياء بل قصير القامة، وأكثر القوى البدنية كان فيمن زاده الله بسطة في جسمه.

«وفي التأويلات النجمية»: تشير الآية إلى كماليته في العبودية بأنه لم يكن عبد الدنيا ولا عبد الآخرة، وإنما كان عبدنا خالصاً مخلصاً وله قوة في العبودية ظاهراً وباطناً.

فأما قوته ظاهراً فبأنه قتل جالوت، وكثيراً من جنوده بثلاثة أحجار رماها عليهم وأما قوته في الباطن فلأنه كان أواباً وقد سرت أوابيته في الجبال والطير، فكانت تؤوب معه انتهى.

ومن قوة عبادة داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً، وذلك أشد الصوم، وكان ينام النصف الأول من الليل ويقوم النصف الأخير منه مع سياسة الملك.

وفي بعض التفاسير كان ينام النصف الأول من الليل ويقوم ثلثه، وينام سدسه، وهو الموافق لما في المشارق من قوله عليه السلام: «أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوماً ويفطر يوماً وأحب الصلاة إلى الله»؛ أي: في النوافل: «صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه»، وإنما صار هذا النوع أحب؛ لأن النفس إذا نامت الثلثين من الليل تكون أخف وأنشط في العبادة.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾﴾

﴿إنا سخرنا الجبال معه﴾: بيان لفضله مع داود؛ أي: ذللناها ومع متعلق بالتسخير وإيثارها على اللام لكون تسخير الجبال له عليه السلام لم يكن بطريق تفويض التصرف فيها إليه كتسخير الريح وغيرها لسليمان عليه السلام لكون سيرها معه بطريق التبعية له، فتكون مع على حالها، ويجوز أن تكون مع متعلقة بما بعدها. وهو قوله: **﴿يسبحن﴾**؛ أي: حال كونها تقدس الله تعالى مع داود لم يقل مسبحات للدلالة على تجدد التسبيح حالاً بعد حال.

قال في «كشف الأسرار»: كان داود يسمع ويفهم تسبيح الجبال على وجه تخصيصه به كرامة له ومعجزة. انتهى.

واختلفوا في كيفية التسبيح، فقيل: بصوت يتمثل له وهو بعيد. وقيل: بلسان الحال، وهو أبعد. وقيل: بخلق الله في جسم الجبل حياة وعقلاً وقدرة ونطقاً فحينئذٍ يسبح الله كما يسبح الأحياء العقلاء. وهذا لسان أهل الظاهر، وأما عند أهل الحقيقة فسر الحياة سار في جميع الموجودات حيواناً أو نباتاً أو جماداً، فالحياة في الكل حقيقة لا عارضية أو حالية أو تمثيلية لكن إنما يدركها كُمَّل المكاشفين فتسبيح الجبال مع داود على حقيقته لكن لما كان على كيفية مخصوصة وسماعه على وجه غريب خارج عن العقول كان من معجزات داود عليه السلام وكراماته. وقد سبق مراراً تحقيق هذا المقام بما لا مزيد عليه من الكلام.

﴿بالعشي﴾: في آخر النهار. **﴿والإشراق﴾**: في أول النهار ووقت الإشراق هو حين تشرق الشمس؛ أي: تضيء. ويصفو شعاعها وهو وقت الضحى. وأما شروقها فطلوعها. يقال: شرقت الشمس ولما تشرق.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: كنت أمر بهذه الآية ولا أدري ما هي حتى حدثتني أم

هانىء بنت أبي طالب أن رسول الله ﷺ دخل عليها يوم فتح مكة فدعا بوضوء فتوضأ. وفي «البخاري»: واغتسل في بيتها ثم صلى الضحى ثماني ركعات. وقال: «يا أم هانىء هذه صلاة الإشراق». ومن هنا قال بعضهم: من دخل مكة وأراد أن يصلي الضحى أول يوم اغتسل وصلاها كما فعله عليه السلام يوم فتح مكة.

وقال بعضهم: صلاة الضحى غير صلاة الإشراق كما دل عليه قوله عليه السلام: «من صلى الفجر بجماعة ثم قعد يذكر الله تعالى حتى تطلع الشمس ثم صلى ركعتين كان له كأجر حجة وعمرة تامة تامة». وهي صلاة الإشراق كما في «شرح المصابيح» وقوله عليه السلام: «صلاة الأوابين حين ترمض الفصال من الضحى».

والمعنى: أن صلاة الضحى تصلى إذا وجد الفصيل حرّ الشمس من الرمضاء؛ أي: من الأرض التي اشتد حرها من شدة وقع الشمس عليها، فإن الرمض: شدة وقع الشمس على الرمل وغيره والفصيل الذي يفصل ويفطم عن الرضاع من الإبل وخص الفصال هنا بالذكر؛ لأنها التي ترمض لرقة جلد رجلها.

وفيه إشارة إلى مدحهم بصلاة الضحى في الوقت الموصوف؛ لأن الحر إذا اشتد عند ارتفاع الشمس تميل النفوس إلى الاستراحة، فيرد على قلوب الأوابين المستأنسين بذكر الله تعالى أن ينقطعوا عن كل مطلوب سواه. يقول الفقير: يمكن التوفيق بين الروايتين بوجهين:

الأول: يحتمل أن يكون الإشراق من أشرق القول إذا دخلوا في الشروق؛ أي: الطلوع، فلا يدل على الضحى الذي هو الوقت المتوسط بين طلوع الشمس وزوالها.

والثاني: أن أول وقت صلاة الإشراق هو أن ترتفع الشمس قدر رمح وآخر وقتها هو أول وقت صلاة الضحى فصلاة الضحى في الغداة بإزاء صلاة العصر في العشي، فلا ينبغي أن تصلى حتى تبيض الشمس طالعة ويرتفع كدرها بالكلية وتشرق بنورها كما يصلى العصر إذا اصفرت الشمس. فقوله عليه السلام: «هذه صلاة الإشراق»، إما بمعنى: أنها إشراق بالنسبة إلى آخر وقتها، وإما بمعنى: أنها ضحى باعتبار أول وقتها.

قال الشيخ عبد الرحمٰن البسطامي ـ قدس سره ـ في «ترويح القلوب» يصلي أربع ركعات بنية صلاة الإشراق فقد وردت السنة يقرأ في الركعة الأولى بعد الفاتحة سورة والشمس وضحاها. وفي الثانية: والليل إذا يغشى، وفي الثالثة: والضحى. وفي الرابعة: ألم نشرح لك. ثم إذا حان وقت صلاة الضحى، وهو إذا انتصف الوقت من صلاة الصبح إلى الظهر يصلي صلاة الضحى.

وأقلّ صلاة الضحى: ركعتان أو أربع ركعات أو أكثر إلى ثنتي عشرة ركعة ولم ينقل أزيد منها بثلاث تسليمات وإن شئت بست تسليمات ورد في فضلها أخبار كثيرة من صلاها ركعتين، فقد أدى ما عليه من شكر الأعضاء لأن الصلاة عمل بجميع الأعضاء التي في البدن، ومن صلاها ثنتي عشرة ركعة بني له قصر من ذهب في الجنة وللجنة باب يقال له: الضحى. فإذا كان يوم القيامة نادى منادٍ: أين الذين كانوا يدومون على صلاة الضحى هذا بابكم، فادخلوه برحمة الله عزّ وجلّ.

﴿والطير﴾: عطف على الجبال. جمع طائر كركب وراكب، وهو كل ذي جناح يسبح في الهواء.

﴿محشورة﴾ : حال من الطير، والعامل سخرنا؛ أي: وسخرنا الطير حال كونها محشورة مجموعة إليه من كل جانب وناحية: وبالفارسية: [جمع كرده شد نزد وى وصف زده بالاى سروى]. وكانت الملائكة تحشر إليه ما امتنع عليه منها كما في «كشف الأسرار» عن ابن عباس رضي الله عنهما: كان إذا سبح جاوبته الجبال بالتسبيح واجتمعت إليه الطير فسبحت. وذلك حشرها وإنما لم يراع المطابقة بين الحالين، بأن يقال: يحشرن؛ لأن الحشر جملة أدل على القدرة منه متدرجاً كما يفهم من لفظ المضارع.

﴿كل﴾ ؛ أي: كل واحد من الجبال والطير ﴿له﴾ ؛ أي: لأجل داود لأجل تسبيحه، فهو على حذف المضاف.

﴿أواب﴾ : رجاع إلى التسبيح إذا سبح سبحت الجبال والطير معه: وبالفارسية: [بازكردانده أواز خود باوى بتسبيح]. ووضع الأواب موضع المسبح؛ لأنها كانت ترجع التسبيح والمرجع رجاع؛ لأنه يرجع إلى فعله رجوعاً بعد رجوع. والفرق بينه وبين ما قبله وهو يسبحن. أن يسبحن يدل على الموافقة في التسبيح. وهذا يدل على المداومة عليها.

وقيل: الضمير لله؛ أي: كل من داود والجبال والطير لله أواب؛ أي: مسبح مرجع لله. التسبيح والترجيع بالفارسية [نغمت كردانيدن] ـ روي ـ أن الله تعالى لم يعط أحداً من خلقه ما أعطي داود من حسن الصوت، فلما وصل إلى الجبال ألحان داود تحركت من لذة السماع فوافقته في الذكر والتسبيح ولما سمعت الطيور نغماته صفرت بصفير التنزيه والتقديس ولما أصغت الوحوش إلى صوته ودنت منه حتى كانت تؤخذ بأعناقها فقبل الكل فيض المعرفة والحالة بحسب الاستعداد ألا ترى إلى الهدهد والبلبل والقمرى والحمامة ونحوها.

دانى جه كفت مرا آن بلبل سحرى ... توخو دجه آدمى كزعشق بيخبرى
اشتر بشعر عرب در حالتست وطرب ... كر ذوق نيست تراكز طبع جانورى

فالتأثر والحركة والبكاء ونحوها ليست من خواص الإنسان فقط بل إذا نظرت بنظر الحقيقة وجدتها في الحيوانات بل في الجمادات أيضاً لكونها أحياء بالحياة الحقيقية كما أشير إليه فيما سبق.

قال الكاشفي: [يكى أزاوليا سنكى راديدكه جون قطرات باران آب ازوميجكد ساعتى توقف كرد بتأمل دران نكريست سنك باوى بسخن در آمدكه اي ولى خدا جندين سالست كه خداى تعالى مرا آفريده وازبيم سياست اواشك حسرت ميريزم آن ولى مناجات كردكه خدايا اين سنك را ايمن كردان دعاى اوباجابت بيوسته مزده امان بدان سنك رسيد آن ولى بعذار مدتى ديكر باره هما نجا رسيد وآن سنك راديدكه ازنوبت أول بيشتر قطرها ميريخت فرمودكه اى سنك جون ايمن شدى اين كريه ازجيست جواب دادكه اول مى كريستم از خوف عقوبت وحالا ميكريم ازشادى امن وسلامت].

ازسنك كريه بين ومكو آن ترشحست ... دركوه ناله بين ومبندار كان صداست

قال بعض كبار المكاشفين: سبحت الجبال وكذا الطير لتسبيح داود ليكون له عملها، لأن تسبيحها لما كان لتسبيحه منتشأ منه لا جرم يكون ثوابه عائداً إليه لا إليها لعدم استحقاقها لذلك بخلاف الإنسان فإنه إذا وافقه إنسان آخر في ذكره وتسبيحه، أو عمل بقوله يكون له مثل ثواب ذكره وتسبيحه لإحيائه وإيقاظه فهو صيده، وأحق به، وإنما كان يسبح الجبال والطير

لتسبيحه، لأنه لما قوي توجهه عليه السلام بروحه إلى معنى التسبيح والتحميد سرى ذلك إلى أعضائه وقواه؛ فإنها مظاهر روحه ومنها إلى الجبال والطير فإنها صور أعضائه وقواه في الخارج، فلا جرم يسبحن لتسبيحه وتعود فائدة تسبيحها إليه وخاصية العشي والإشراق أن فيهما زيادة ظهور أنوار قدرته وآثار بركة عظمته، وأن وقت الضحى وقت صحو أهل السكر من خمار شهود المقامات المحمودة، وأن العشي وقت إقبال المصلين إلى المناجاة وعرض الحاجات.

﴿**وشددنا ملكه**﴾ : قوينا ملكه بالهيبة والنصرة ونحوهما.

قال الكاشفي: [ومحكم كرديم بادشاهى ويرا بدعاى مظلومان. يابو زراى نصيحت كنندكان. يابكوتاه كردن ظلم ازرعيت. يابا لقاى رعب وى دردل اعادى. يابيافتن زره وساختن آلات حرب، يابه بسيارى لشكر. يابكثرت باسبانان جه هرشب سى وشش هزار مردباس خانه وى ميداشتند].

وقيل: كان أربعون ألف لابسي درع يحرسونه، فإذا أصبح قيل: ارجعوا فقد رضي عنكم نبي الله وكان نبينا عليه السلام يحرس أيضاً إلى نزول قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَعۡصِمُكَ مِنَ ٱلنَّاسِۗ﴾ [المائدة: ٦٧]. ومن ذلك أخذ السلاطين الحرس في السفر والحضر فلا يزالون يحرسونهم في الليالي ولهم أجر في ذلك.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه ادعى رجل على آخر بقرة وعجز عن إقامة البينة فأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: أن اقتل المدعى عليه فأعلم الرجل فقال: صدقت يا نبي الله، إن الله لم يأخذني بهذا الذنب. ولكن بأني قتلت أبا هذا غيلة، فقتله فقال الناس: إن أذنب أحد ذنباً أظهره الله عليه فقتله فهابوه، وعظمت هيبته في القلوب.

والغيلة: بالكسر هو أن يخدع شخصاً فيذهب به إلى موضع فإذا صار إليه قتله.

﴿**وآتيناه الحكمة**﴾ ؛ أي: العلم بالأشياء على ما هي عليه والعمل بمقتضاه إن كان متعلقاً بكيفية العمل.

واعلم أن الحكمة نوعان:

أحدهما : الحكمة المنطوق بها وهي علم الشريعة والطريقة.

والثاني : الحكمة المسكوت عنها وهي أسرار الحقيقة التي لا يطلع عليها عوام العلماء على ما ينبغي فيضرهم أو يهلكهم. كما روي أن رسول الله ﷺ كان يجتاز في بعض سكك المدينة مع أصحابه فأقسمت عليه امرأة أن يدخلوا منزلها، فدخلوا فرأوا ناراً موقدة وأولاد المرأة يلعبون حولها، فقالت: يا نبي الله أرحم بعباده أم أنا بأولادي، فقال عليه السلام: «بل الله أرحم فإنه أرحم الراحمين». فقالت: يا رسول الله أتراني أحب أن ألقي ولدي في النار فقال: «لا». فقالت: فكيف يلقي الله عبيده فيها، وهو أرحم بهم.

قال الراوي: فبكى رسول الله ﷺ، فقال: «هكذا أوحي إلي».

﴿**وفصل الخطاب**﴾ : لبيان تلك الحكمة على الوجه المفهم كما في «شرح الفصوص» للمولى الجامي رحمه الله، فيكون بمعنى الخطاب الفاصل؛ أي: المميز والمبين، أو الخطاب المفصول؛ أي: الكلام الملخص الذي ينبه المخاطب على المرام من غير التباس.

وفي «شرح الجندي»: يعني الإفصاح بحقيقة الأمر وقطع القضايا والأحكام باليقين من غير ارتياب، ولا شك ولا توقف، فيكون بمعنى فصل الخصام بتمييز الحق من الباطل،

فالفصل على حقيقته، وأريد بالخطاب المخاصمة لاشتمالها عليه.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿وشددنا ملكه﴾: في الظاهر بأن جعلناه أشد ملوك الأرض ﴿و﴾ في الباطن بأن ﴿آتيناه الحكمة وفصل الخطاب﴾. والحكمة: هي أنواع المعارف من المواهب وفصل الخطاب بيان تلك المعارف بأدل دليل وأقل قليل. انتهى. وإنما سمي به. أما بعد، لأنه يفصل المقصود عما سبق تمهيداً له من الحمد والصلاة.

وقال زياد: أول من قال في كلامه أما بعد داود عليه السلام، فهو فصل الخطاب ورد بأنه لم يثبت عنه أنه تكلم بغير لغته. وأما بعد لفظة عربية وفصل الخطاب الذي أوتيه داود هو فصل الخصومة كما في «إنسان العيون».

اللهم إلا أن يقال إن صح هذا القول لم يكن ذلك بالعربية على هذا النظم وإنما كان بلسانه عليه السلام.

وقال عليّ ـ رضي الله عنه ـ: فصل الخطاب أن يطلب البينة من المدعي ويكلف اليمين من أنكر، لأن كلام الخصوم لا ينقطع ولا ينفصل إلا بهذا الحكم.

قالوا: كان قبل ذلك قد علق الله سلسلة من السماء وأمره بأن يقضي بها بين الناس، فمن كان على الحق يأخذ السلسلة وتصل يده إليها. ومن كان ظالماً لا يقدر على أخذ السلسلة فاتفق أن رجلاً غصب من رجل آخر لؤلؤاً فجعل اللؤلؤ في جوف عصاه ثم خاصم المدعي إلى داود عليه السلام فقال: إن هذا قد أخذ لؤلؤاً وإني صادق في مقالتي، فجاء وأخذ السلسلة ثم قال المدعى عليه: خذ مني العصا، فأخذ عصاه فقال: إني دفعت اللؤلؤ إليه وإني صادق في مقالتي فجاء وأخذ السلسلة، فتحير داود في ذلك ورفعت السلسلة وأمر عليه السلام بأن يقضي بالبينات والإيمان فذلك قوله: ﴿وآتيناه الحكمة﴾، يعني: العلم والفهم وفصل الخطاب يعني القضاء بالبينات والإيمان على الطالبين والمدعى عليهم كذا في «تفسير الإمام أبي الليث» رحمه الله. وكان الحكم في شرعنا أيضاً بذلك؛ لأنه أسدّ الطرق وأحسن الوسائل في كل مسألة من المسائل لكل سائل.

﴿۞ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وهل أتاك نبأ الخصم﴾: استفهام معناه التعجب والتشويق إلى استماع ما في حيزه للإيذان بأنه من الأخبار البديعة التي حقها أن لا تخفى على أحد. والنبأ: الخبر العظيم والخصم بمعنى المخاصم وأصل المخاصمة أن يتعلق كل واحد بخصم الآخر بالضم؛ أي: جانبه ولما كان الخصم في الأصل مصدراً متساوياً أفراده وجمعه، أطلق على الجمع في قوله تعالى: ﴿إذ تسوروا المحراب﴾. يقال: تسور المكان إذا علا سوره وسور المدينة حائطها المشتمل عليها. وقد يطلق على حائط مرتفع وهو المراد هنا.

والمراد من المحراب البيت الذي كان داود عليه السلام يدخل فيه ويشتغل بطاعة ربه.

قيل: كان ذلك البيت غرفة وسمي ذلك البيت محراباً لاشتماله على المحراب على طريقة تسمية الشيء بأشرف أجزائه وإذ متعلقة بمحذوف، وهو التحاكم؛ أي: نبأ تحاكم الخصم إذ

تسوروا المحراب؛ أي: تصعدوا سور الغرفة ونزلوا إليه. والمراد بالخصم المتسورين: جبرائيل وميكائيل بمن معهما من الملائكة على صورة المدعي والمدعى عليه، والشهود والمزكين من بني آدم.

﴿**إذ دخلوا على داود**﴾: بدل مما قبله. ﴿**ففزع منهم**﴾: الفزع انقباض ونفار يعتري الإنسان من الشيء المخيف وهو من جنس الجزع، ولا يقال: فزعت من الله كما يقال خفت منه وإنما فزع منهم، لأنه كان الباب مغلقاً وهو يتعبد في البيت فنزلوا عليه بغتة من فوق؛ أي: من غير الباب على خلاف العادة.

وفيه إشارة إلى كمال ضعف البشرية مع أنه كان أقوى الأقوياء إذ فزع منهم، ولعل فزع داود كان لاطلاع روحه على أنه تنبيه له وعتاب فيما سلف منه كما سيأتي فلما رأوه فزعاً ﴿**قالوا**﴾: إزالة لفزعه ﴿**لا تخف**﴾ منا.

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه لا تخف من صورة أحوالنا، فإنا جئنا لتحكم بيننا بالحق ولكن خف من حقيقة أحوالنا، فإنها كشف أحوالك التي جرت بينك وبين خصمك أوريا ﴿**خصمان**﴾؛ أي: نحن فريقان متخاصمان على تسمية مصاحب الخصم خصماً تجوزاً.

والحاصل أنه أطلق لفظ الخصم فيما سبق على الجمع بدليل تسوروا ثم ثنى بتأويل الفريق، وهم وإن لم يكونوا فريقين بل شخصين اثنين بدليل ﴿**إن هذا أخي**﴾ الآية لكن جعل مصاحب الخصم خصماً فكانا بمن معهما فريقين من الخصوم، فحصل الانطباق بين صيغة التثنية في قوله خصمان وبين ما مر من إرادة الجمع.

﴿**بغى**﴾: [ستم وجور كرد]. ﴿**بعضنا على بعض**﴾: هو على الفرض وقصد التعريض بداود لا على تحقيق البغي من أحدهما، فلا يلزم الكذب إذ الملائكة منزهون عنه، فلا يحتاج إلى ما قيل إن المتخاصمين كانا لصين دخلا عليه للسرقة، فلما رآهما اخترعا الدعوى كما في «شرح المقاصد».

﴿**فاحكم بيننا بالحق**﴾: بالعدل: وبالفارسية: [بس حكم كن درميان ما براستى]. ﴿**ولا تشطط**﴾: [الإشطاط: بيدا كردن واز حد در كذشتن] من الشطط وهو مجاوزة الحد وتخطي الحق.

والمعنى: لا تجر في الحكومة وهو تأكيد للأمر بالحكم بالحق والمقصود من الأمر والنهي الاستعطاف. ﴿**واهدنا إلى سواء الصراط**﴾ إلى وسط طريق الحق بزجر الباغي عما سلكه من طريق الجور وإرشاده إلى منهاج العدل.

﴿**إن هذا**﴾: استئناف لبيان ما فيه الخصومة ﴿**أخي**﴾ في الدين أو في الصحبة والتعرض لذلك تمهيد لبيان كمال قبح ما فعل به صاحبه.

﴿**له تسع وتسعون نعجة ولي**﴾: قرأ حفص عن عاصم ولي بفتح الياء والباقون بإسكانها على الأصل. ﴿**نعجة واحدة**﴾: النعجة هي الأنثى من الضأن وقد يكنى بها عن المرأة والكناية والتعريض أبلغ في المقصود وهو: التوبيخ فإن حصول العلم بالمعرض به يحتاج إلى تأمل فإذا تأمله واتضح قبحه كان ذلك أوقع في نفسه وأجلب لخجالته وحيائه. ﴿**فقال أكفلنيها**﴾: أي ملكنيها وحقيقته: اجعلني أكفلها كما أكفل ما تحت يدي. والكافل: هو الذي يعولها وينفق عليها.

﴿وعزني في الخطاب﴾؛ أي: غلبني في مخاطبته إياي محاجة بأن جاء بحجاج لم أقدر على رده.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما كان أعز مني وأقوى على مخاطبتي؛ لأنه كان الملك، فالمعنى: كان أقدر على الخطاب لعزة ملكه كما في «الوسيط».

﴿قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾﴾

﴿قال﴾: داود بعد اعتراف المدعى عليه أو على تقدير صدق المدعي وإلا فالمسارعة إلى تصديق أحد الخصمين قبل سماع كلام الآخر لا وجه له في الحديث: «إذا جلس إليك الخصمان فلا تقض لأحدهما حتى تسمع من الآخر».

﴿لقد ظلمك﴾: جواب قسم محذوف قصد به عليه السلام المبالغة في إنكار فعل صاحبه وتهجن طعمه في نعجة من ليس له غيرها مع أن له قطيعاً منها. ﴿بسؤال نعجتك إلى نعاجه﴾: السؤال مصدر مضاف إلى مفعوله وتعديته إلى مفعول آخر بإلى لتضمنه معنى الإضافة والضم كأنه قيل بضم نعجتك إلى نعاجه على وجه السؤال والطلب.

وفي هذا إشارة إلى أن الظلم في الحقيقة من شيم النفوس، فإن وجدت ذا عفة، فالعلة كما قال يوسف: ﴿وَمَآ أُبَرِّئُ نَفْسِىٓ﴾ [يوسف: ٥٣] الآية. فالنفوس جبلت على الظلم والبغي وسائر الصفات الذميمة ولو كانت نفوس الأنبياء عليهم السلام كذا، في «التأويلات النجمية».

يقول الفقير: هذا بالنسبة إلى أصل النفوس وحقيقتها وإلا فنفوس الأنبياء مطمئنة لا أمارة إذ لم يظهر فيهم إلا آثار المطمئنة وهي أول مراتب سلوكهم. وقد إشار الشيخ إلى الجواب بقوله، فإن وجدت الخ. فاعرف ذلك، فإنه من مزالق الأقدام وقد سبق التحقيق فيه في سورة «يوسف».

ثم قال داود عليه السلام حملاً للنعجة على حقيقتها لا على كونها مستعارة للمرأة.

﴿وإن كثيراً من الخلطاء﴾؛ أي: الشركاء الذين خلطوا أموالهم. جمع: خليط، كظريف. والخلطة: الشركة، وقد غلبت في الماشية.

﴿ليبغي بعضهم على بعض﴾؛ أي: ليتعدى غير مراعي لحق الصحبة والشركة: يعني: [ازحق خودزياده مى طلبند].

﴿إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾: منهم فإنهم يجتنبون عن البغي والعدوان.

﴿وقليل ما هم﴾: وهم قليل فهم: مبتدأ وقليل خبره. قدم عليه للاهتمام به وإنما أفرد تشبيهاً بفعيل بمعنى مفعول وما مزيدة لتأكيد القلة أو للإبهام، أو التعجب من قلة الموصوفين بالإيمان وصالح العمل.

﴿وظن داود أنما فتناه﴾: الظن مستعار للعلم الاستدلالي لما بينهما من المشابهة. يعني: أن الظن الغالب لما كان يقارب العلم استعير له فالظن يقين لكنه ليس بيقين عيان، فلا يقال فيه إلا العلم. وما في إنما كافة. **والمعنى**: وعلم داود بما جرى في مجلس الحكومة أنما فعلنا به الفتنة والامتحان لا غير، بتوجيه الحصر إلى نفس الفعل بالقياس إلى ما يغايره من الأفعال.

﴿فاستغفر ربه﴾: إثر ما علم أن ما صدر عنه ذنب كما استغفر آدم عليه السلام بقوله ربنا

ظلمنا أنفسنا إلخ وموسى عليه السلام بقوله: تبت إليك وغيرهما من الأنبياء الكرام على ما بين في موضعه.

﴿وخر﴾: سقط حال كونه ﴿راكعاً﴾؛ أي: ساجداً على تسمية السجود ركوعاً لأنه مبدأه؛ لأنه لا يكون ساجداً حتى يركع وفي كل من الركوع والسجود التحني والخضوع. وبه استشهد أبو حنيفة وأصحابه في سجدة التلاوة على أن الركوع يقوم مقام السجود أو خرّ للسجود راكعاً؛ أي: مصلياً إطلاقاً للجزء، وإرادة الكل كأنه أحرم بركعتي الاستغفار والدليل على الأول؛ أي: على أن الركوع هاهنا بمعنى السجود ما رواه ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه السلام كان يقول في سجدة ﴿ص﴾ وسجدة الشكر: «اللهم اكتب لي عندك بها أجراً، واجعلها لي عندك ذخراً وضع عني بها وزراً، واقبلها مني كما قبلت من عبدك داود سجدته».

﴿وأناب﴾؛ أي: رجوع إلى الله بالتوبة من جميع المخالفات التي هي الزلات وما كان من قبيل ترك الأولى والأفضل لأن حسنات الأبرار سيئات المقربين.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه السلام سجد في ﴿ص﴾ وقال: «سجدها داود توبة ونسجدها شكراً». وهذه السجدة من عزائم السجود عند أبي حنيفة ومالك رحمهما الله وكل منهما على أصله، فأبو حنيفة يقول: هي واجبة. ومالك: هي فضيلة عند الشافعي وأحمد سجدة شكر تستحب في غير الصلاة فلو سجد بها في الصلاة بطلت عندهما كما في فتح الرحمٰن. وقال الكاشفي: [اين سجده نزد امام اعظم سجدة عزيمت است وميكويد بتلاوت وى سجده بايد كرد در نماز وغير نماز ونزد امام شافعي از عزائم نيست واز امام احمد درين سجده دو روايتست واين سجده دهم است بقول امام اعظم. ودر فتوحات مكيه اين را سجده انابت كفته وفر موده كه].

يقال لها: سجدة الشكر في حضرة الأنوار؛ لأن داود سجدها شكراً.

﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾ يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿فغفرنا له ذلك﴾؛ أي: ما استغفر منه، وكان ذلك في شهر ذي الحجة كما في «بحر العلوم»، وروي، أنه عليه السلام بقي في سجوده أربعين يوماً وليلة لا يرفع رأسه لصلاة مكتوبة أو لما لا بدّ منه، ولا يرقأ دمعه حتى نبت منه العشب حول رأسه ولم يشرب ماء إلا ثلثاه دمع وجهد نفسه راغباً إلى الله في العفو عنه حتى كاد يهلك واشتغل بذلك عن الملك حتى وثب ابن له يقال له: إيشا على ملكه فاجتمع إليه أهل الزيغ من بني إسرائيل، فلما نزلت توبته بعد الأربعين وغفر له حاربه فهزمه. وقد قال نبينا عليه السلام: «إذا بويع لخليفتين»؛ أي: لأحدهما أولاً وللآخر بعده: «فاقتلوا الآخر منهما»، لأنه كالباغي هذا إذا لم يندفع إلا بقتله.

﴿وإن له﴾؛ أي: داود ﴿عندنا لزلفى﴾: لقربة وكرامة بعد المنفرة كما وقع لآدم عليه السلام. والزلفى: القربة والإزلاف: التقريب. والازدلاف: الاقتراب ومنه سميت المزدلفة لقربها من الموقف.

وعن مالك بن دينار في قوله: ﴿وإن له﴾ الخ. يقول الله تعالى لداود عليه السلام وهو قائم بساق العرش يا داود مجدني بذلك الصوت الرخيم اللين، فيقول: كيف وقد سلبتنيه في الدنيا فيقول: إني أرده عليك فيرفع داود صوته بالزبور، فيستفرغ نعيم أهل الجنة كما في «الوسيط».

﴿وحسن مآب﴾ : حسن مرجع في الجنة.

وفي «كشف الأسرار»: هو الجنة يعني الجنة هي مآب الأنبياء والأولياء.

وأصل هذه القصة

أن داود عليه السلام رأى امرأة رجل يقال له: أوريا بن حنانا، ويقال لها: بنشاوع أو بنشاويع بنت شايع، فمال قلبه إليها وابتلي بعشقها وحبها من غير اختيار منه كما ابتلي نبينا عليه السلام بزينب رضي الله عنها لما رآها يوماً حتى قال: يا مقلب القلوب فسأله داود أن يطلقها فاستحى أن يرده ففعل فتزوجها وهي أم سليمان عليه السلام، وكان ذلك جائزاً في شريعته معتاداً فيما بين أمته غير مخل بالمروءة حيث كان يسأل بعضهم بعضاً أن ينزل عن امرأته، فيتزوجها إذا أعجبته خلا أنه عليه السلام لعظم منزلته وارتفاع مرتبته، وعلو شأنه نبه بالتمثيل على أنه لم يكن ينبغي له أن يتعاطى ما يتعاطاه آحاد أمته، ويسأل رجلاً ليس له إلا امرأة واحدة أن ينزل عنها، فيتزوجها مع كثرة نسائه، بل كان يجب عليه أن يصبر على ما امتحن به، كما صبر نبينا عليه السلام حتى كان طالب الطلاق هو زوج زينب، وهو زيد المذكور في سورة الأحزاب لا هو عليه السلام؛ أي: لم يكن هو عليه السلام طالب الطلاق.

قال البقلي: عشق داود عليه السلام لعروس من عرائس الحق حين تجلى الحق منها له؛ فإنه كان عاشق الحق فسلاه بواسطة من وسائطه. وهذه القصة تسلية لقلب نبينا عليه الصلاة السلام، حيث أوقع الله في قلبه محبة زينب، فضاق صدره، فقال سبحانه: ﴿سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا﴾ [الإسراء: ٧٧]، وفرح بذلك وزاد له محبة الله والشوق إلى لقائه.

قال أبو سعيد الخراز ـ قدس سره ـ زلات الأنبياء في الظاهر زلات وفي الحقيقة كرامات وزلفى ألا تَرى إلى قصة داود حين أحس بأوائل أمره كيف استغفر وتضرع ورجع، فكان له بذلك عنده زلفى وحسن مآب صدق أبو سعيد فيما قال؛ لأن بلاء الأنبياء والأولياء لا ينقص اصطفائيتهم بل يزيدهم شرفاً على شرفهم، وذلك لأن مقام الخلافة مظهر الجمال والجلال، فيتحقق بتجليات الجلال بالافتتان والابتلاء. وفي ذلك ترق له كما قال في «التأويلات النجمية»: إن من شأن النبي والولي أن يحكم كل واحد منهم بين الخصوم بالحق كما ورد الشرع به بتوفيق الله وأن الواجب عليهم أن يحكموا على أنفسهم بالحق كما يحكمون على غيرهم كما قال تعالى: ﴿كُونُوا قَوَّامِينَ بِالْقِسْطِ شُهَدَاءَ لِلَّهِ وَلَوْ عَلَىٰ أَنفُسِكُمْ﴾ [النساء: ١٣٥]. فلما تنبه داود أنه ما حكم على نفسه بالحق كما حكم على غيره استغفر ورجع إلى ربه متضرعاً خاشعاً باكياً بقية العمر معتذراً عما جرى عليه، فتقبل الله منه ورحم عليه وعفا عنه كما قال: ﴿فغفرنا له ذلك وإن له عندنا لزلفى﴾؛ أي: لقربة بكل تضرع وخضوع وخشوع وبكاء وأنين وحنين وتأوه صدر منه ﴿و﴾ له بهذه المراجعات ﴿حسن مآب﴾ عندنا. انتهى.

وفي الحديث: «أوحى الله تعالى إلى داود يا داود قل للعاصين أن يسمعوني ضجيج

أصواتهم، فإني أحب أن أسمع ضجيج العاصين إذا تابوا إليّ يا داود، لن يتضرع المتضرعون إلى من هو أكرم مني ولا يسأل السائلون أعظم مني جوداً، وما من عبد يطيعني إلا وأنا معطيه قبل أن يسألني ومستجيب له، قبل أن يدعوني وغافر له قبل أن يستغفرني».

وقد أنكر القاضي عياض ما نقله المؤرخون والمفسرون في هذه القصة، وهي قولهم فيها. ونقل عن ابن عباس وابن مسعود رضي الله عنهم: أنهما قالا ما زاد داود على أن قال للرجل: انزل لي عن امرأتك وأكفلنيها، فعاتبه الله على ذلك ونبه عليه وأنكر عليه شغله بالدنيا. قال: وهذا هو الذي ينبغي أن يعول عليه من أمره ـ وحكى ـ بعضهم أن أوريا كان خطب تلك المرأة: يعني [أوريا آن زن را خطبه كره بود أورا بخواسته واز قوم وي أجابت يافته ودل بروى نهاده «فأما عقد نكاح» هنوز نرفته بود «فلما غاب أوريا» يعني بغزا رفت].

وكان من غزاة البلقاء ثم خطبها داود فزوجت منه لجلال قدره، فاغتم لذلك أوريا، فعاتبه الله على ذلك، فكان ذنبه أن خطب على خطبة أخيه المسلم مع عدم احتياجه؛ لأنه كانت تحت نكاحه وقتئذٍ تسع وتسعون امرأة، ولم يكن لأوريا غير من خطبها.

يقول الفقير: دلّ نظم القرآن على الرواية فقوله: ﴿**أكفلنيها**﴾ دلّ على أنها كانت تحت نكاح أوريا. وأيضاً دل لفظ: ﴿**الخصم**﴾ على أن أوريا بصدد الخصام، ولا يكون بهذا الصدد إلا بكونها تحت نكاحه مطلوبة منه بغير حسن رضاه وصفاء قلبه ومجرد جواز استنزال الرجل عن امرأته في شريعتهم لا يستلزم جواز الجبر، فلما طلقها أوريا استحياء من داود بقيت الخصومة بينه وبين داود إذ كان كالجبر كما دلّ: ﴿**وعزني في الخطاب**﴾، فكان السائل العزيز الغالب فهاتان الروايتان أصح ما ينقل في هذه القصة، فإنهم وإن أكثروا القول فيها لكن الأنبياء منزهون عما يشين بكمالهم أو لا يزين بجمالهم خصوصاً عما يقوله القصاص من حديث قتل أوريا وسببية داود في ذلك بتزوج امرأته. ولذلك قال علي ـ رضي الله عنه ـ: من حدّث بحديث داود عليه السلام على ما يرويه القصاص جلدته مائة وستين، وذلك حدّ الفرية على الأنبياء صلوات الله عليهم أجمعين.

وفي «الفتوحات المكية» في الباب السابع والخمسين بعد المائة: ينبغي للواعظ أن يراغب الله في وعظه ويجتنب عن كل ما فيه تجر على انتهاك الحرمات مما ذكره المؤرخون عن اليهود من ذكر زلات الأنبياء كداود ويوسف عليهما السلام مع كون الحق أثنى عليهم واصطفاهم، ثم الداهية العظمى أن يجعل ذلك في تفسير القرآن. ويقول: قال المفسرون: كذا وكذا مع كون ذلك كله تأويلات فاسدة بأسانيد واهية عن قوم غضب الله عليهم، وقالوا في الله ما قصه الله علينا في كتابه، وكل واعظ ذكر ذلك في مجلسه مقته الله وملائكته لكونه ذكر لمن في قلبه مرض من العصاة حجة يحتجّ بها. ويقول: إذا كان مثل الأنبياء وقع في مثل ذلك، فأي شيء أنا فعلم أن الواجب على الواعظ ذكر الله وما فيه تعظيمه وتعظيم رسله وعلماء أمته وترغيب الناس في الجنة وتحذيرهم من النار وأهوال الموقف بين يدي الله تعالى، فيكون مجلسه كله رحمة. انتهى كلام «الفتوحات» على صاحبه أعلى التجليات.

قال الشيخ الشعراني قدس سره في «الكبريت الأحمر»: وكذلك لا ينبغي له أن يحقق المناط في نحو قوله تعالى: ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّوا۟ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]. ولا نحو قوله: ﴿مِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلدُّنْيَا وَمِنكُم مَّن يُرِيدُ ٱلْآخِرَةَ﴾ [آل عمران: ١٥٢]. وقوله:

﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ إِلَّا قَلِيلًا مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]. فإن العامة إذا سمعوا مثل ذلك استهانوا بالصحابة ثم احتجوا بأفعالهم. انتهى كلامه.

قال حجة الإسلام الغزالي رحمه الله: يحرم على الواعظ وغيره رواية مقتل الحسين رضي الله عنه وحكاية ما جرى بين الصحابة من التشاجر والتخاصم، فإنه يهيج بغض الصحابة والطعن فيهم وهم أعلام الدين، وما وقع بينهم من المنازعات، فيحمل على محامل صحيحة، فلعل ذلك الخطأ في الاجتهاد لا لطلب الرياسة أو الدنيا، كما لا يخفى. انتهى.

والحاصل: أن معاصي الخواص ليست كمعاصي غيرهم بأن يقعوا فيها بحكم الشهوة الطبيعية، وإنما تكون معاصيهم بالخطأ في التأويل، فإذا أظهر الله لهم فساد ذلك التأويل الذي أداهم إلى ذلك الفعل حكموا على أنفسهم بالعصيان، وتابوا ورجعوا إلى حكم العزيز المنان.

﴿**يا داود**﴾؛ أي: فغفرنا له ذلك وقلنا له: يا داود ﴿**إنا جعلناك خليفة في الأرض**﴾.

الخلافة: النيابة عن الغير إما لغيبة المنوب عنه وإما لموته، وإما لعجزه، وإما لتشريف المستخلف وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض إذ الوجوه الأول محال في حق الله تعالى فالخليفة عبارة عن الملك النافذ الحكم، وهو من كان طريقته وحكومته على طريقة النبي وحكومته والسلطان أعم، والخلافة في خصوص مرتبة الإمامة أيضاً أعمّ.

والمعنى: استخلفناك على الملك في الأرض والحكم فيما بين أهلها؛ أي: جعلناك أهل تصرف نافذ الحكم في الأرض كمن يستخلفه بعض السلاطين على بعض البلاد ويملكه عليها. وكان النبوة قبل داود في سبطه والملك في سبط آخر فأعطاهما تعالى داود عليه السلام، فكان يدبر أمر العباد بأمره تعالى.

وفيه دليل بيّن على أن حاله عليه السلام بعد التوبة كما كان قبلها لم يتغير قط، بل زادت اصطفائيته كما قال في حق آدم عليه السلام: ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ [طه: ١٢٢].

قال بعض كبراء المكاشفين: ثم المكانة الكبرى والمكانة الزلفى التي خصه الله بها التنصيص على خلافته، ولم يفعل ذلك مع أحد من أبناء جنسه وهم الأنبياء وإن كان فيهم خلفاء.

فإن قلت: آدم عليه السلام قد نص الله على خلافته، فليس داود مخصوصاً بالتنصيص على خلافته.

قلنا: ما نص على خلافة آدم مثل التنصيص على خلافة داود وإنما قال للملائكة: إني جاعل في الأرض خليفة فيحتمل أن يكون الخليفة الذي أراده الله غير آدم بأن يكون بعض أولاده، ولو قال أيضاً: إني جاعل آدم لم يكن مثل قوله: إنا جعلناك خليفة بضمير الخطاب في حق داود، فإن هذا محقق ليس فيه احتمال غير المقصود.

قال بعضهم: تجبرت الملائكة على آدم، فجعله الله خليفة وتجبر طالوت على داود فجعله خليفة وتجبرت الأنصار على أبي بكر رضي الله عنه، فجعله خليفة، فلذا جعل الله الخلفاء ثلاثة: آدم وداود وأبا بكر.

وكان مدة ملك داود أربعين سنة مما وهبه الخليفة الأول من عمره، فإن آدم وهب لداود من عمره ستين سنة، فلذا كان خليفة في الأرض كما كان آدم خليفة فيها.

وفي الآية إشارة إلى معان مختلفة:

ومنها: أن الخلافة الحقيقية ليست بمكتسبة للإنسان وإنما هي عطاء وفضل من الله يؤتيه من يشاء كما قال تعالى: ﴿**إنا جعلناك خليفة**﴾؛ أي: أعطيناك الخلافة.

ومنها: أن استعداد الخلافة مخصوص بالإنسان كما قال تعالى: ﴿**وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ ٱلْأَرْضِ**﴾ [الأنعام: ١٦٥].

ومنها: أن الإنسان وإن خلق مستعداً للخلافة، ولكن بالقوة فلا يبلغ درجاتها بالفعل إلا الشواذ منهم.

ومنها: أن الجعلية تتعلق بعالم المعنى، كما أن الخلقية تتعلق بعالم الصورة ولهذا لما أخبر الله تعالى عن صورة آدم عليه السلام قال: ﴿إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾﴾ [ص: ٧١]. ولما أخبر عن معناه قال: ﴿إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠].

ومنها: أن الروح الإنساني هو الفيض الأول، وهو أول شيء تعلق به أمركن ولهذا نسبه إلى أمره، فقال تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]، فلما كان الروح هو الفيض الأول كان خليفة الله.

ومنها: أن الروح الإنساني خليفة الله بذاته وصفاته أما بذاته، فلأنه كان له وجود من جود وجوده بلا واسطة، فوجوده كان خليفة وجود الله. وأما بصفاته، فلأنه كان له صفات من جود صفات الله بلا واسطة، فكل وجود وصفات تكون بعد وجود الخليفة يكون خليفة، خليفة الله بالذات والصفات وهلم جراً إلى أن يكون القالب الإنساني هو أسفل سافلين الموجودات وآخر شيء لقبول الفيض الإلٰهي، وأقل حظ من الخلافة، فلما أراد الله أن يجعل الإنسان خليفة خليفته في الأرض خلق لخليفة روحه منزلاً صالحاً لنزول الخليفة فيه، وهو قالبه وأعدّ له عرشاً فيه ليكون محل استوائه عليه، وهو القلب ونصب له خادماً وهو النفس، فلو بقي الإنسان على فطرة الله التي فطر الناس عليها يكون روحه مستفيضاً من الحق تعالى فائضاً بخلافة الحق تعالى على عرش القلب والقلب فائض بخلافة الروح على خادم النفس والنفس فائضة بخلافة القلب على القالب والقالب فائض بخلافة النفس على الدنيا، وهي أرض الله فيكون الروح بهذه الأسباب والآلات خليفة الله في أرضه بحكمه وأمره بتواقيع الشرائع.

ومنها: أن من خصوصية الخلافة الحكم بين الناس بالحق والإعراض عن الهوى بترك متابعته كما أن من خصوصية أكل الحلال العمل الصالح قال تعالى: ﴿كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

ومنها: أن الله تعالى جعل داود الروح خليفة في أرض الإنسانية وجعل القلب والسر والنفس والقالب والحواس والقوى والأخلاق والجوارح والأعضاء كلها رعية له ثم على قضية كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته أمر بأن يحكم بين رعيته بالحق؛ أي: بأمر الحق لا بأمر الهوى، كما قال تعالى: ﴿**فاحكم بين الناس بالحق**﴾؛ أي: بحكم الله تعالى، فإن الخلافة مقتضية له حتماً وحكم الله بين خلقه هو العدل المحض وبه يكون الحاكم عادلاً لا جائراً. والحكم لغة: الفصل وشرعاً: أمر ونهي يتضمنه إلزاماً.

﴿**ولا تتبع الهوى**﴾؛ أي: ما تهواه النفس وتشتهيه في الحكومات وغيرها من أمور الدين والدنيا: وبالفارسية: [وبيروى مكن هواى نفس را وآرزوهاي أورا].

قال بعضهم: وهو يؤيد ما قيل إن ذنب داود الهم الذي هم به حين نظر إلى امرأة أوريا،

وهو أن يجعلها تحت نكاحه أو ما قيل: إن ذنبه المبادرة إلى تصديق المدعي وتظليم الآخر قبل مسألته: ﴿فيضلك عن سبيل الله﴾ بالنصب على أنه جواب النهي؛ أي: فيكون الهوى أو اتباعه سبباً لضلالك عن دلائله التي نصبها على الحق تكويناً وتشريعاً.

قال بعض الكبار: ﴿ولا تتبع الهوى﴾؛ أي: ما يخطر لك في حكمك من غير وحي مني، ﴿فيضلك عن سبيل الله﴾؛ أي: عن الطريق الذي أوحى بها إلى رسلي. انتهى.

فإن قلت: كيف يكون متابعة الهوى سبباً للضلال.

قلت: لأن الهوى يدعو إلى الاستغراق في اللذات الجسمانية فيشغل عن طلب السعادات الروحانية التي هي الباقيات الصالحات فمن ضل عن سبيل الله الذي هو اتباع الدلائل المنصوبة على الحق أو اتباع الحق في الأمور وقع في سبيل الشيطان، بل في حفرة النيران والحرمات.

﴿إن الذين يضلون عن سبيل الله﴾: تعليل لما قبله ببيان غائلته وإظهار في سبيل الله في موضع الإضمار للإيذان بكمال شناعة الضلال عنه.

﴿لهم عذاب شديد بما نسوا﴾؛ أي: بسبب نسيانهم.

﴿يوم الحساب﴾: مفعول لنسوا. ولما كان الضلال عن سبيل الله مستلزماً لنسيان يوم الحساب كان كل منهما سبباً وعلة لثبوت العذاب الشديد تأدب سبحانه وتعالى مع داود، حيث لم يسند الضلال إليه؛ بأن يقول: فلئن ضللت عن سبيلي فلك عذاب شديد لما هو مقتضى الظاهر بل أسنده إلى الجماعة الغائبين الذين داود عليه السلام واحد منهم.

واعلم أن الله تعالى خلق الهوى الباطل على صفة الضلالة مخالفاً للحق تعالى؛ فإن من صفته الهداية والحكمة في خليفته يكون هادياً إلى الحضرة بضدية طبعه ومخالفة أمره كما أن الحق تعالى كان هادياً إلى حضرته بنور ذاته وموافقة أمره ليسير السائر إلى الله على قدمي موافقته أمر الله ومخالفته هواه. ولهذا قال المشايخ: لولا الهوى ما سلك أحد طريقاً إلى الله تعالى، وأعظم جنايات العبد وأقبح خطاياه متابعة الهوى كما قال عليه السلام: «ما عبد إله في الأرض أبغض على الله من الهوى».

وفي الحديث: «ثلاث مهلكات: شحّ مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه». وللهوى كمالية في الإضلال لا توجد في غيره وذلك لأنه يحتمل أن يتصرف في الأنبياء عليهم السلام بإضلالهم عن سبيل الله كما قال لداود عليه السلام: ﴿ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله﴾. وبقوله: ﴿إن الذين﴾ الخ: يشير إلى أن الضلال الكبير هو: الانقطاع عن طلب الحق ومن ضل عن طريق الحق أخذ بعذاب شديد القطيعة والحرمان من القرب وجوار الحق وذلك بما نسوا يوم الحساب، وهو يوم يجازى فيه كل محق بقدر هدايته وكل مبطل بحسب ضلالته كما في «التأويلات النجمية».

وفي الآية دليل على وجوب الحكم بالحق وأن لا يميل الحاكم إلى أحد الخصمين بشيء من الأشياء.

وفي الحديث، أنه عليه السلام قال لعلي: «يا علي احكم بالحق فإن لكل حكم جائر سبعين درعاً من النار لو أن درعاً واحداً وضع على رأس جبل شاهق لأصبح الجبل رماداً».

[درفوائد السلوك آورده كه بنكركه بادشاهى جه صعب كاريست كه حضرت داود عليه السلام با كمال درجه نبوت وجلال مرتبه رسالت بحمل اعباى جنين أمري مأمور وبخطب اثقال جنين

خطابي مخاطب مي شودكه ﴿فاحكم بين الناس بالحق﴾ ميان مردمان حكم بطريق معدلت ونصفت كن وداورى برمنهج عدل وإنصاف نماي وباي برجاي حق نه بر طريق باطل ومتابعت هواي نفس برمتابعت مراد حق اختيار مكن كه ترا از مسالك مراضى ما كمراه كردند: ودر سلسلة الذهب ميفرمايد].

نص قرآن شنوكه حق فرمود | در مقام خطاب يا داود
كه ترازان خليفكى داديم | سوى خلقان ازان فرستاديم
تادهى ملك را زعدل اساس | حكم راني بعدل بين الناس
هركرا نه زعدل دستورست | از مقام خليفكى دورست
آنكه كيرد ستم زديو سبق | عدل جون خواندش خليفة حق
بيشه كرده خلاف فرمان را | كشته نائب مناب شيطان را
حق زشاهان بغير عدل نخواست | آسمان وزمين بعدل بباست
شاه باشد شبان خلق همه | رمه وكرك آن رمه ظلمه
بهر آنست هاي هوى شبان | تابيابد رمه زكرك امان
جون شبان سازكار كرك بود | رمه را آفت بزرك بود
هركرا دل بعدل شد مائل | طمع از مال خلق كوبكسل
طمع وعدل آتش وآبند | هردو يكجا قرار كي يابند
هركرا از خليفكى خداي | نشود سير نفس بد فرماي
سيرمشكل شود ازان زروسيم | كه كشدكه زبيوه كه زيتيم

ومن الله التوفيق للعدل في الأنفس والآفاق وإجراء أحكام الشريعة وآداب الطريقة على الإطلاق إنه المحسن الخلاق.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًاۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنَ ٱلنَّارِ ﴿٢٧﴾ أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ ﴿٢٨﴾ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿وما خلقنا السماء والأرض وما بينهما﴾: من المخلوقات **﴿باطلاً﴾**؛ أي: خلقاً باطلاً لا حكمة فيه، بل ليكون مدار للعلم والعمل ومذكراً للآخرة وما فيها من الحساب والجزاء؛ فإن الدنيا لا تخلو عن الصفو والكدر وكل منهما يفصح عما في الآخرة من الراحة والخطر. وأيضاً ليكون مرآة يشاهد فيها المؤمنون الذين ينظرون بنور الله شواهد صفات الجمال والجلال.

جهان مرآت حسن شاهدماست | فشاهد وجهه في كل ذرات

﴿ذلك﴾؛ أي: كونه خلقاً باطلاً خالياً عن الغاية الجليلة والحكمة الباهرة.

﴿ظن الذين كفروا﴾؛ أي: مظنون كفار مكة فإنهم وإن كانوا مقرين بأن الله هو الخالق لكن لما اعتقدوا بأن الجزاء الذي هو علة خلق العالم باطل لزمهم أن يظنوا أن المعلول باطل ويعتقدوا ذلك.

﴿فويل﴾؛ أي: فإذا كان مظنونهم هذا فالهلاك كل الهلاك؛ أي: فشدة هلاك حاصل: وبالفارسية: [بس واي].

﴿للذين كفروا﴾ : خبر لويل.

﴿من النار﴾ : من تعليلية مفيدة لعلية النار لثبوت الويل لهم صريحاً بعد الإشعار بعلية ما يؤدي إليها من ظنهم وكفرهم؛ أي: فويل لهم بسبب النار المرتبة على ظنهم وكفرهم فلابدّ من رؤية الحق حقاً والباطل باطلاً وتدارك زاد اليوم؛ أي: يوم الجزاء ظاهراً وباطناً ليحصل الخلاص والنجاة والنعيم واللذات في أعلى الدرجات.

﴿أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ : أم منقطعة بمعنى بل. و(الهمزة) الإنكارية؛ أي: بل أنجعل المؤمنين المصلحين في الأرض﴿كالمفسدين في الأرض﴾ بالكفر والمعاصي؛ أي: لا نجعلهم سواء، فلو بطل البعث والجزاء كما يظن الكفار لاستوت عند الله حال من أصلح ومن أفسد ومن سوى بينهما، كان سفيهاً والله تعالى منزه عن السفه، فإنما بالإيمان والعمل الصالح يرفع المؤمنين إلى أعلى عليين ويرد الكافرين إلى أسفل سافلين.

﴿أم نجعل المتقين كالفجار﴾ ؛ أي: كما لا نجعل أهل الإيمان والعمل الصالح الذين هم مظاهر صفات لطفنا وجمالنا كالمفسدين الذين هم مظاهر صفات قهرنا وجلالنا كذلك لا نجعل أهل التقوى، كالفجار. والفجر: شق الشيء شقاً واسعاً. والفجور: شق سر الديانة.

أنكر التسوية أولاً بين أهل الإيمان والشرك، ثم بين أهل التقوى والهوى يعني من المؤمنين، وهو المناسب لمقام التهديد والوعيد كي يخاف من الله تعالى كل صنف بحسب مرتبته. ويجوز أن يكون تكرير الإنكار الأول باعتبار وصفين آخرين يمنعان التسوية من الحكيم الرحيم. وروي: أن كفار قريش قالوا للمؤمنين: إنا نعطى في الآخرة من الخير ما تعطون بل أكثر فقال تعالى: ﴿أم نجعل﴾ إلخ. وإنما قالوا ذلك على تقدير وقوع الآخرة كما سبق من قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [سبأ: ٣٥]. وسيجيء في قوله تعالى: ﴿أَفَنَجْعَلُ ٱلْمُسْلِمِينَ كَٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ [القلم: ٣٥]؛ أي: في ثواب الآخرة.

واعلم أن الله تعالى سوى بين الفريقين في التمتع بالحياة الدنيا بل الكفار أوفر حظاً من المؤمنين؛ لأن الدنيا لا تعدل عند الله جناح بعوضة، لكن الله جعل الدار الآخرة للذين لا يريدون علواً في الأرض ولا فساداً، وهم المؤمنون المخلصون المنقادون لله ولأمره، وإنما لم يجازهم في هذه الدار لسعة رحمته وضيق هذه الدار، فلذا أخر الجزاء إلى الدار الآخرة، فإذا ترقى الإنسان من الهوى إلى الهدى ومن الفجور إلى التقوى أخذ الأجر بالكيل الأوفى.

ثم لما كان القرآن منبع جميع السعادات والخيرات وصفه أولاً ثم بين المصلحة فيه فقال: ﴿كتاب﴾ : خبر مبتدأ محذوف وهو عبارة عن القرآن؛ أي: هذا كتاب﴿أنزلناه إليك﴾ : صفته﴿مبارك﴾ : خبر ثان للمبتدأ؛ أي: كثير المنفعة دنيا وديناً لمن آمن به وعمل بأحكامه وحقائقه وإشاراته، فإن البركة ثبوت الخير الإلهي في الشيء والمبارك ما فيه ذلك الخير ﴿ليدبروا آياته﴾ : متعلق بأنزلنا وأصله: يتدبروا فأدغمت التاء في الدال؛ أي: أنزلناه ليتفكروا في آياته بالفكر السليم فيعرفوا ما يتبع ظاهرها من المعاني الفائقة والتأويلات اللائقة؛ أي: ليتفكروا في معانيها فإن التدبر عبارة عن النظر في عواقب الأمور والتفكر: تصرف القلب في معاني الأشياء لدرك المطلوب.

﴿وليتذكر أولو الألباب﴾ ؛ أي: وليتعظ به أصحاب العقول الخالصة عن شوب الوهم، عمم التدبر لعموم العلماء وخص التذكر بخصوص العقلاء؛ لأن التدبر للفهم والتذكر لوقوع

الإجلال والخشية الخاص بأكابر أهل العلم.

قال بعضهم: التفكر عند فقدان المطلوب لاحتجاب القلب بالصفات النفسانية. وأما التذكر فهو عند رفع الحجاب والرجوع إلى الفطرة الأولى، فيتذكر ما انطبع في النفس في الأزل من التوحيد والمعارف انتهى. فعلم أن المقصود من كلام الحق التفكر والتذكر والاتعاظ به لا حفظ الألفاظ فقط.

قال الشبلي قدس سره: قرأت أربعة آلاف حديث ثم اخترت منها حديثاً واحداً، وكان علم الأولين والآخرين مندرجاً فيه وذلك أن رسول الله ﷺ قال لبعض أصحابه: «اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها واعمل لله بقدر حاجتك إليه واعمل للنار بقدر صبرك عليها».

وكان الصحابة يكتفون ببعض السور القرآنية ويشتغلون بالعمل بها؛ فإن المقصود من القرآن العمل به.

روي أن رجلاً جاء إلى النبي عليه السلام وقال: علمني مما علمك الله، فدفعه إلى رجل يعلمه القرآن، فعلمه: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الزلزلة: ١]حتى إذا بلغ ﴿فَمَن يَعْمَلْ﴾ [الزلزلة: ٧] إلخ. قال: حسبي، فأخبر النبي عليه السلام بذلك فقال: «دعوه فقد فقه الرجل».

وقال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: مررت بحجر مكتوب عليه: قلبني ينفعك، فقلبته، فإذا مكتوب عليه: أنت بما تعلم لا تعمل فكيف تطلب ما لم تعلم.

وعن البصري رحمه الله: قد قرأ هذا القرآن عبيد وصبيان لا علم لهم بتأويله وحفظوا حروفه وضيعوا حدوده حتى أن أحدهم ليقول: والله، لقد قرأت القرآن، فما أسقطت منه حرفاً، والله وقد أسقط كله ما يرى عليه للقرآن أثر في خلق ولا عمل والله ما هو بحفظ حروفه وإضاعة حدوده، والله ما هؤلاء بالحكماء ولا الوزعة لا أكثر الله في الناس مثل هؤلاء، فمن اقتفى بظاهر المتلوّ كان مثله كمثل من له لقحة درور لا يحلبها ومهرة نتوج لا يستولدها.

قال أنس رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «تعوذوا بالله من فخر القراء، فإنهم أشد فخراً من الجبابرة. ولا أحد أبغض إلى رسول الله من قارىء متكبر». وعن علي رضي الله عنه: قال رسول الله ﷺ: «تعوذوا بالله من دار الحزن فإنها إذا فتحت استجارت منها جهنم سبعين مرة، أعدها الله للقراء المرائين بأعمالهم وإن شر القراء لمن يزور الأمراء»: وفي سلسلة الذهب للمولى الجامي قدس سره.

رُب تالٍ يفوه بالقرآن وهو يفضي به إلى الخذلان.

خواجه را نيست جزتلاوت كار ... ليكن آن طرد ولعنت آرد بار
لعنتست اين كه بهر لهجه وصوت ... شود از تو حضور خاطر فوت
نشود بر دل تو تا بنده ... كين كلام خداست يابنده
لعنتست اين كه سازدت بي سيم ... روز شب باامير وخواجه نديم
خانه شان مزبله است وقرآن نور ... دار اين نور را زمز بله دور
معنى لعن جيست مردودى ... بمقامات بعد خشنودى
هركه ماند از خدا بيك سرمو ... آمد اندر مقام بعد فرو
كرجه ملعون نشد زحق مطلق ... هست ملعون بقدر بعد ازحق

﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَٰنَ ۚ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿ووهبنا لداود سليمان﴾: [وبخشيديم داودرا فرزندى كه آن سليمانست] عليهما السلام. والهبة: عطاء الواهب بطريق الإنعام لا بطريق العوض، والجزاء الموافق لأعمال الموهوب له. فسليمان: النعمة التامة على داود؛ لأن الخلافة الظاهرة الإلٰهية قد كملت لداود وظهرت أكمليتها في سليمان، وكذا على العالمين لما وصل منه إليهم من آثار اللطف والرحمة.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: أولادنا من مواهب الله، ثم قرأ: ﴿يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾﴾ [الشورى: ٤٩].

روي: أن داود عليه السلام عاش مائة سنة ومات يوم السبت فجأة. ويوم السبت لهم كيوم الجمعة لنا أتاه ملك الموت وهو يصعد في محرابه؛ أي: الغرفة وينزل. وقال: جئت لأقبض روحك، فقال: دعني حتى أنزل وأرتقي، فقال: ما لي إلى ذلك سبيل، نفدت الأيام والشهور والسنون والآثار والأرزاق، فما أنت بمؤثر بعدها، فسجد داود على مرقاة من الدرج فقبض نفسه على تلك الحال. وموت الفجأة رحمة للصالحين وتخفيف ورفق بهم إذ هم المنقطعون المستعدون، فلا يحتاجون إلى الإيصاء وتجديد التوبة ورد المظالم بخلاف غيرهم ولذا كان من آثار غضب الله على الفاسقين، وأوصى داود لابنه سليمان بالخلافة.

﴿نعم العبد﴾ سليمان لصلاحية استعداده للكمال النوعي الإنساني وهو مقام النبوة والخلافة.

قال بعضهم: العبودية هي الذبول عن موارد الربوبية والخمول تحت صفات الألوهية.

﴿إنه أواب﴾: رجاع إلى الحضرة بإخلاص العبودية بلا علة دنيوية ولا أخروية أو رجاع إلى الله في جميع الأحوال في النعمة بالشكر وفي المحنة بالصبر. [بظاهر ملك ومملكت ميراند وبباطن فقر وفاقت همى برورد سليمان روزى تمنى كرد كفت بار خدايا جن وانس وطيور ووحوش بفرمان من كردى جه بود كه ابليس رانيز بفرمان من كنى تا أورا بند كنم كفت اي سليمان اين تمنى مكن كه دران مصلحت نيست كفت بار خدايا كر هم دو روز باشد اين مراد من بده كفت دادم سليمان ابليس را در بند كرد ومعاش سليمان با آن همه ملك ومملكت از دست رنج خويش بود هر روز زنبيلى ببافتى وبدو قرص بدادى ودر مسجد با درويشى بهم بخوردى وكفتى]. مسكين وجالس مسكيناً.

يك كدا بود سليمان بعصا وزنبيل   يافت از لطف توآن حشمت وملك آرايى

[آن روز كه ابليس رادر بند كرد زنبيل ببازار فرستاد وكس نخريد كه در بازار آن روز هيج معاملت وتجارت نبود ومردم همه بعبادت مشغول بودند آن روز سليمان هيج طعام نخورد ديكر روز همجنان بر عادت زنبيل بافت وكس نخريد سليمان كرسنه شد بالله ناليد كفت بار خدايا كرسنه ام وكس زنبيلى نمى خرد فرمان آمد كه اي سليمان نمى دانى كه جون تو مهتر بازاريان در بند كنى در معاملات بر خلق فروبسته شود ومصلحت خلق نباشد أو معمار دنياست ومشارك خلق در أموال واولاد].

يقول الله تعالى: ﴿وَشَارِكْهُمْ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ﴾ [الإسراء: ٦٤] فظهر من هذه الحكاية حال

سليمان مع الله تعالى وكونه متخلياً عن المال فارغاً عن الملك في الحقيقة.

جوهر ساعت از تو بجايى رود دل بتنهايى اندر صفايى نبينى
ورت مال وجاهست وزرع وتجارت جو دل باخدايست خلوت نشينى

﴿إذ عرض عليه﴾؛ أي: اذكر ما صدر عنه إذ عرض عليه يقال: عرض له أمر كذا؛ أي: ظهر وعرضته له؛ أي: أظهرته وعرض الجند إذا أمرهم عليه ونظر ما حالهم.

﴿بالعشي﴾: هو من الظهر إلى آخر النهار.

﴿الصافنات﴾: مرفوع بعرض جمع صافن لا صافنة، لأنه لذكور الخيل وصفة المذكر الذي لا يعقل يجمع هذا الجمع مطرداً كما عرف في النحو.

والصفن: الجمع بين الشيئين ضاماً بعضهما إلى بعض يقال: صفن الفرس قوائمه إذا قام على ثلاث وثنى الرابعة؛ أي: قلب أحد حوافره وقام على طرف سنبك يد أو رجل. والسنبك: طرف مقدم الحافر. وهو من الصفات المحمودة في الخيل لا يكاد يتفق إلا في العربي الخالص.

والمعنى بالفارسية: [اسبان ايستاده به سه باى وبركناره سم از قائم جهارم].

﴿الجياد﴾: جمع جواد وجود وهو الذي يسرع في جريه تشبيهاً له بالمطر الجود. والمعنى بالفارسية: [اسبهاى تازى نيورنك نيكوقد تيزرو]. كذا قاله صاحب «كشف الأسرار»، وكأنه جمع بين معنى الجيد والجواد.

قال في «القاموس»: الجواد السخي والسخية. والجمع: الأجواد. والجيد ضد الرديء والجمع: الجياد. وقيل: الجواد هو: الفرس الذي يجود عند الركض؛ أي: العدو.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الجياد: الخيل السوابق، وإذا جرت كانت سراعاً خفافاً في جريها.

روي أن سليمان عليه السلام غزا أهل دمشق ونصيبين، وهي قاعدة ديار ربيعة، فأصاب ألف فرس عربي، أو أصابها أبوه من العمالقة فورثها منه، وهذا على تقدير عدم بقاء قوله عليه السلام: «نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه فهو صدقة» على عمومه أو يحمل على الاستعارة بعلاقة المشابهة في ثبوت ولاية التصرف، فإن لسليمان حق التصرف فيما تركه أبوه في بيت المال، كالدروع ونحوها كما كان للخلفاء حق التصرف فيما تركه نبينا عليه السلام، ولذا منع أبو بكر رضي الله عنه فاطمة رضي الله عنها عن الميراث حيث طلبته وذلك أن ما تركه عليه السلام من صفايا أموال النفير وفدك كان مصروفاً إلى نفقة نسائه كما في حياته لكَونهن محبوسات عليه إلى وفاتهن. وأيضاً إلى نفقة خليفته لكونه خادماً له قائماً مقامه وما فضل من ذلك كان يصرف إلى مصالح المسلمين، فلم يبق له بعد وفاته ما يكون ميراثاً لأهل بيته. [وكفته اند اسبان دريايى بودند وبر داشتند وديوان. براى سليمان از بحر بر آوردند].

وسيجيء ما يؤيده وعلى كل تقدير قعد سليمان يوماً بعد ما صلى الظهر على كرسيه وكان يريد جهاداً، فاستعرض تلك الأفراس؛ أي: طلب عرضها عليه، فلم تزل تعرض عليه وهو ينظر إليها ويتعجب من حسنها حتى غربت الشمس وغفل عن العصر، وكانت فرضاً عليه كما في «كشف الأسرار»، وعن ورد: كان له من الذكر وقتئذٍ وتهيبه قومه فلم يعلموه فاغتم لما فاته بسبب السهو والنسيان فاستردها فعقرها تقرباً إلى الله وطلباً لمرضاته على أن يكون العقر

قربة في تلك الشريعة، ولذا لم ينكر عليه فعله أو مباحاً في ذلك اليوم، وإنما أراد بذلك الاستهانة بمال الدنيا لمكان فريضة الله كما قال أبو الليث فلم يكن من قبيل تعذيب الحيوان.

يقول الفقير: سر العقر هاهنا هو أن تلك الخيل لما شغلته عن القيام إلى الصلاة كان العقد كفارة موافقة له.

وقال بعضهم: المراد من العقر: الذبح فيكون تقديم السوق كما يأتي لرعاية الفاصلة، فذبحها وتصدق بلحومها. وكان لحم الخيل حلالاً في ذلك الوقت وإنما لم يتصدق بها، لأنه يحتاج إلى زمان ووجدان محل صالح له.

والحاصل: أنه ذبح تسعمائة وبقي مائة وهو ما لم يعرض عليه بعد فما في أيدي الناس من الجياد، فمن نسل تلك المائة الباقية كذا.

قالوا: وفيه أن هذا يؤيد كون تلك الخيل قد أخرجت من البحر إذ لو كانت من غنائم الغزو لم يلزم أن يكون نسل الجياد من تلك المائة لوجود غيرها في الدنيا، وأيضاً على تقدير كونها ميراثاً من أبيه بالمعنى الثاني كما سبق تكون أمانة في يده. والأمانة لا تعقر ولا تذبح كما لا يخفى.

﴿فقال إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي﴾، قاله عليه السلام عند غروب الشمس اعترافاً بما صدر عنه من الاشتغال بها عن الصلاة وندماً عليه وتمهيداً لما يعقبه من الأمر بردها وعقرها، والتعقيب بالفاء باعتبار أواخر العرض المستمر دون ابتدائه والتأكيد للدلالة على أن اعترافه وندمه عن صميم القلب لا لتحقيق مضمون الخبر وأصل أحببت: أن يعدى بعلى لأنه بمعنى آثرت كما في قوله تعالى: ﴿فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت: ١٧]. وكل من أحب شيئاً فقد آثره، لكن لما أنيب مناب أنبت وضمن معناه عدي تعديته بعن وحب الخير مفعوله؛ أي: مفعول به لأنبت المضمن، والذي أنيب مناب الذكر هو الاطلاع على أحوال الخيل لا حب الخيل إلا أنه عدى الفعل إلى حب الخيل للدلالة على غاية محبته لها فإن الإنسان قد يحب شيئاً، ولكنه يحب أن لا يحبه كالمريض الذي يشتهي ما يضره، ولذا لما قيل لمريض: ما تشتهي. قال: أشتهي أن لا أشتهي، وأما من أحب شيئاً وأحب أن يحبه فذلك غاية المحبة. والخير: المال الكثير والمراد به: الخيل التي شغلته عليه السلام؛ لأنها مال ويحتمل أنه سماها خيراً كأنها نفس الخير لتعلق الخير بها.

قال عليه السلام: «الخير»؛ أي: الأجر والمغنم (معقود بنواصي الخيل إلى يوم القيامة). والمراد بالذكر: صلاة العصر بدليل قوله: بالعشي، وسميت الصلاة ذكراً؛ لأنها مشحونة بالذكر كما في «كشف الأسرار» أو الورد المعين وقتئذٍ.

ومعنى الآية: أنبت حب الخيل؛ أي: جعلته نائباً عن ذكر ربي ووضعته موضعه، وكان يحب لمثلي أن يشتغل بذكر ربه وطاعته.

﴿حتى توارت بالحجاب﴾: التواري: الاستتار. والضمير للشمس، وإضمارها من غير ذكر لدلالة العشي عليها إذ لا شيء يتوارى حينئذٍ غيرها، فالحجاب: مغيب الشمس ومغربها، كما في «المفردات». وحتى متعلق بقوله: أحببت. وغاية له باعتبار استمرار المحبة ودوامها حسب استمرار العرض.

والمعنى: أنبت حب الخير عن ذكر ربي واستمر ذلك حتى توارت؛ أي: غربت الشمس

تشبيهاً لغروبها في مغربها بتواري الجارية المخبأة بحجابها؛ أي: المستترة بخبائها وخدرها.

وقيل: الضمير في توارت للصافنات؛ أي: حتى توارت بحجاب الليل؛ أي: بظلامه؛ لأن ظلام الليل يستر كل شيء.

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ (٣٣)﴾

﴿ردوها عليّ﴾: من تمام مقالة سليمان ومرمى غرضه من تقديم ما قدمه، والخطاب لأهل العرض من قومه؛ أي: أعيدوا تلك الخيل عليّ.

﴿فطفق مسحاً بالسوق والأعناق﴾: الفاء: فصيحة مفصحة عن جملة قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وإيذاناً بغاية سرعة الامتثال بالأمر وطفق من أفعال المقاربة الدالة على شروع فاعلها في مضمون الخبر، فهو بمعنى أخذ وشرع وخبر هذه الأفعال يكون فعلاً مضارعاً في الأغلب ومسحاً نصب على المصدرية بفعل مقدر، هو خبر طفق. والمسح: إمرار اليد على الشيء. والجمهور على أن المراد به هنا القطع من قولهم: مسح علاوته؛ أي: ضرب عنقه وقطع رأسه. والعلاوة: بالكسر أعلى الرأس أو العنق.

قال في «المفردات»: مسحته بالسيف كناية عن الضرب. والسوق: جمع ساق كدور ودار. والساق: ما بين الكعبين كعب الركبة وكعب الرجل. والأعناق: جمع عنق، بالفارسية: [كردن]. والباء: مزيدة كما في قوله تعالى: ﴿وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ﴾ [المائدة: ٦]: فإن مسحت رأسه ومسحت برأسه بمعنى واحد.

والمعنى: فردوها عليه فأخذ يمسح بالسيف مسحاً سوقها وأعناقها؛ أي: يقطع أعناقها ويعرقب أرجلها؛ أي: هو وأصحابه، أو يذبح بعضها ويعرقب بعضها إزالة للعلاقات ورفعاً للحجاب الحائل بينه وبين الحق واستغفاراً وإنابه إليه بالترك والتجريد.

وفي الآية إشارة إلى أن حب غير الله شاغل عن الله وموجب للحجاب، وأن كل محبوب سوى الله إذا حجبك عن الله لحظة يلزمك أن تعالجه بسيف نفي لا إله إلا الله.

«لا» نهنكيست كائنات آشام عرش تا فرش در كشيده بكام

هر كجا كرده آن نهنك آهنك ازمن وما نه بوى ماندونه رنك

وقال الإمام في «تفسيره»: الصواب أن يقال: إن رباط الخيل كان مندوباً إليه في دينهم كما هو مندوب إليه في شرعنا. ثم إن سليمان عليه السلام احتاج إلى الغزو فجلس على كرسيه وأمر بإحضار الخيل وأمر بإجرائها. وذكر أني لا أجريها لأجل الدنيا وحظ النفس وإنما أجريها وأحبها لأمر الله تعالى وتقوية دينه، وهو المراد من قوله: **﴿عن ذكر ربي﴾** ثم إنه أمر بإجرائها وتسييرها حتى توارت بالحجاب؛ أي: غابت عن بصره، فإنه كان له ميدان واسع مستدير يسابق فيه بين الخيل حتى تتوارى عنه وتغيب عن عينه، ثم إنه أمر الرائضين بأن يردوها فردوا تلك الخيل إليه فلما عادت إليه طفق يمسح سوقها وأعناقها؛ أي: بيده حبالها وتشريفاً وإبانة لعزتها لكونها من أعظم الأعوان في قهر الأعداء وإعلاء الدين، وهو قول الزهري وابن كيسان، وليس فيه نسبة شيء من المنكرات إلى سليمان عليه السلام، فهو أحق بالقبول عند أولي الأفهام.

وفي «الفتوحات المكية»: معنى الآية: أحببت الخير عن ذكر ربي الخير بالخيرية فأحببته

لذلك. والخير: هي الصافنات: الجياد من الخيل. وأما قوله: فطفق مسحاً؛ أي: يمسح بيده على أعناقها وسوقها فرحاً وإعجاباً بخير ربه لا فرحاً بالدنيا؛ لأن الأنبياء منزهون عن ذلك وهذه تشبه ما وقع لأيوب عليه السلام حين أرسل الله له جراداً من ذهب، فصار يحثو في ثوبه منه ويقول: لا غنى لي عن بركتك يا رب، فما أحب سليمان الخير إلا لكونه تعالى أحب حب الخير ولذلك اشتاق إليها لما توارت بالحجاب، يعني: الصافنات الجياد لكونه فقد المحل الذي أوجب له حب الخير عن ذكر ربه، فقال: ردوها عليّ. وليس للمفسرين الذين جعلوا التواري للشمس دليل، فإن الشمس ليس لها هنا ذكر ولا الصلاة التي يزعمون ومساق الآية لا يدل على ما قالوه بوجه ظاهر البتة. انتهى كلام «الفتوحات».

وعن علي رضي الله عنه: اشتغل سليمان عليه السلام بعرض الأفراس للجهاد حتى توارت بالحجاب؛ أي: غربت الشمس، فقال بأمر الله للملائكة الموكلين بالشمس: ردوها، يعني: الشمس فردوها إلى موضع وقت العصر حتى صلى العصر في وقتها فذلك من معجزات سليمان عليه السلام.

قال في «كشف الأسرار»: [سليمان عليه السلام درراه خدا آن همه اسبان فدا كرد ودل ازان زينب وآرايش دنيا بر داشت وباعبادت الله برداخت لا جرم رب العزة أورا به ازان عوض داد بجاي اسبان بادرا مركب أوساخت وبسبب آن اندوه كه بوى رسيد برفوت عبادت فرشته قرص آفتاب ازمغرب باز كردانيد از بهروى تانماز ديكر بوقت خويش بكزارد وآن ويرا معجزة كشت وجنانكه اين معجزة ازبهر سليمان بيغمبر بيدا كشت درين امت ازبهر أمير المؤمنين علي رضي الله عنه زروى كرامت بيدا كشت درخبر ست مصطفى عليه السلام سربر كنار على نهاد وبخفت على نماز ديكر نكرده بود نخواست كه خواب بررسول قطع كند مرد عالم بود كفت نماز طاعت حق وخدمت راست رسول طاعت حق همجنان مى بود تاقرص آفتاب بمغرب فروشد مصطفى عليه السلام از خواب در آمد على كفت يا رسول الله وقت نماز ديكر فوت شد ومن نماز نكردم رسول كفت اي علي جرا نماز نكردى كفت نخواستم كه لذت خواب برتو قطع كنم جبريل آمد كه يا محمد حق تعالى مرا فرمود تاقرص آفتاب را از مغرب باز آرم تا على نماز ديكر بوقت بكزارد بعض ياران كفتند قرص آفتاب را جندان باز آوردكه شعاع آفتاب ديديم كه بر ديوار هاي مدينة مى تافت].

قال الكاشفي: [وانكه آفتاب بدعاى حضرت بيغمبر عليه السلام در صهباى خيبر بعد از غروب بازكشت وبجاي عصر آمد تا حضرت علي رضي الله عنه نماز كزارد ونزد محدثان مشهورست وإمام طحاوي در شرح آثار خويش فرمود كه روات اين ثقات اند واز أحمد بن صالح رحمه الله نقل كرده كه أهل علم را سزاوار نيست كه تغافل كنند از حفظ اين حديث كه از علامات نبوتست]. ولا عبرة بقول بعضهم بوضعه:

كه دعوتش كرفته كريبان آفتاب | بالا كشيده ازجه مغرب برآسمان
كه قرص بدررا بسر كردخوان جرخ | دستش دونيم كرده بيك ضربت بنان

واعلم أن حبس الشمس وردها وقع مراراً. ومعنى حبسها: وقوفها عن السير والحركة بالكلية أو بطء حركتها أو ردها إلى ورائها. ومعنى ردها: إعادتها بعد غروبها ومغيبها فقد حبست لداود عليه السلام. وذلك في رواية ضعيفة وردت لسليمان على ما قرر.

وحبست أيضاً لخليفة موسى عليه السلام، وهو: يوشع بن نون، فإنه سار مع بني إسرائيل لقتال الجبارين، وكان يوم الجمعة ولما كاد يفتحها كادت الشمس تغرب، فقال للشمس: أيتها الشمس إنك مأمورة وأنا مأمور بحرمتي عليك، إلا ركدت؛ أي: مكثت ساعة من النهار. وفي رواية: اللهم احبسها عليّ فحبسها الله حتى افتتح المدينة، وإنما دعا بحبسها خوفاً من دخول البيت المحرم عليهم فيه المقاتلة.

وردت أيضاً لعلي رضي الله عنه بدعاء نبينا عليه السلام على ما سبق. وحبست أيضاً عن الغروب لنبينا عليه السلام، وذلك أنه أخبر في قصة المعراج أن عير قريش تقدم يوم كذا، فلما كان ذلك اليوم أشرفت قريش ينتظرون ذلك، وقد ولى النهار حتى كادت الشمس تغرب، فدعا الله تعالى فحبس الشمس عن الغروب حتى قدمت العير، وفي بعض الروايات حبست له عن الطلوع؛ لأنه عليه السلام قال: «وتطلع العير عليكم من الثنية عند طلوع الشمس»، فحبس الله الشمس عن الطلوع حتى قدمت العير. وحبست أيضاً له عليه السلام في بعض أيام الخندق إلى الاحمرار والاصفرار وصلى حينئذٍ. وفي بعضها لم تحبس بل صلى بعد الغروب. وإليه الإشارة بقوله عليه السلام: «شغلونا عن الصلاة الوسطى»؛ أي: عن صلاة العصر.

وفي كلام سبط ابن الجوزي إن قيل: حبسها ورجوعها مشكل؛ لأنها لو تخلفت أو ردّت لاختلت الأفلاك وفسد النظام، قلنا: حبسها وردها من باب المعجزات ولا مجال للقياس في خرق العادات. وذكر أنه وقع لبعض الوعاظ ببغداد أنه قعد يعظ بعد العصر ثم أخذ في ذكر فضائل آل البيت، فجاءت سحابة غطت الشمس وظن الناس الحاضرون عنده أن الشمس غابت فأرادوا الانصراف فأشار إليهم ألا يتحركوا، ثم أدار وجهه إلى ناحية المغرب، وقال:

لا تغربي يا شمس حتى ينتهي مدحي لآل المصطفى ولنجله
إن كان للمولى وقوفك فليكن هذا الوقوف لولده ولنسله

فطلعت الشمس فلا يحصى ما رمي عليه من الحليّ والثياب. هذا كلامه رحمه الله سبحانه وتعالى:

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿ولقد فتنا سليمان﴾: الفتنة: الاختبار والابتلاء.

﴿وألقينا﴾: الإلقاء: الطرح. ﴿على كرسيه﴾: الكرسي: اسم لما يقعد عليه والمراد: سريره المشهور، وقد سبق في سورة سبأ. ﴿جسداً﴾:

قال في «المفردات»: الجسد: الجسم لكنه أخص. قال الخليل: لا يقال: الجسد لغير الإنسان من خلق الأرض ونحوه. وأيضاً فإن الجسد يقال: لما له لون. والجسم يقال: لما لا يبين له لون كالماء والهواء.

وقال في «أنوار المشارق»: الفرق بين الجسد والبدن، أن الأول يعمّ لذي الروح وغيره. ويتناول الرأس والشوى. والثاني: مخصوص بذي الروح ولا يتناولهما. ومن هذا قد اشتهر فيما بينهم حشر الأجساد بإضافة الحشر الخاص بذي الروح إلى الأجساد العامة له، ولغيره دون الأبدان المخصوصة وذلك لأن في إضافته إلى البدن باعتبار أنه لا يتناول الرأس والشوى على ما نص عليه الزمخشري في «الفائق» والخليل في كتاب «العين» قصوراً مخلاً بحكم الإعادة

بعينه. وأما ما في الجسد من العموم الزائد على قدر الحاجة، فمندفع بقرينة إضافة الحشر. انتهى كلام «الأنوار». والمراد به في الآية: القالب بلا روح كما سيأتي.

﴿**ثم أناب**﴾؛ أي: سليمان عليه السلام. والإنابة: الرجوع إلى الله تعالى.

روي أن سليمان كان له ثلاثمائة امرأة وسبعمائة سرية، وكان في ظهره ماء مائة رجل؛ أي: قوتهم. وهكذا أنبياء الله أعطي كل منهم من القوة الجماعية ما لم يعط أحد من أفراد أمته، وكذا الولي الأكمل؛ فإن له قوة زائدة على سائر الآحاد، وإن لم تبلغ مرتبة قوة النبي، فقال سليمان عليه السلام يوماً: لأطوفن الليلة على سبعين امرأة؛ أي: أجامعهن أو تسعين أو تسع وتسعين أو مائة، تأتي كل واحدة بفارس يجاهد في سبيل الله، ولم يقل إن شاء الله، فقال له صاحبه؛ أي: وزيره آصف، قل: إن شاء الله فلم يقل فطاف عليهن تلك الليلة، فلم تحمل إلا امرأة واحدة جاءت بشق ولد له عين واحدة ويد واحدة ورجل واحدة فألقته القابلة على كرسيه وهو الجسد المذكور. قال نبينا عليه السلام: «لو قال: إن شاء الله لجاهدوا في سبيل الله فرساناً أجمعون».

قال القاضي عياض رحمه الله: وإن سئل: لم لم يقل سليمان في تلك القصة المذكورة: إن شاء الله فعنه أجوبة:

أحدها ما روي في الحديث الصحيح أنه نسي أن يقولها؛ أي: كلمة إن شاء الله. وذلك لينفذ مراد الله.

والثاني: أنه لم يسمع صاحبه وشغل عنه. انتهى. فمعنى ابتلائه قوله: لأطوفن إلخ، وتركه الاستثناء ومعنى إلقاء الجسد على كرسيه، إلقاء الشق المذكور عليه. ومعنى إنابته: رجوعه إلى الله تعالى عن زلته، وهو تركه الاستثناء في مثل ذلك الأمر الخطير، لأن ترك الأولى زلة للأنبياء إذ حسنات الأبرار سيئات المقربين، ألا ترى أن نبينا عليه السلام لما سئل عن الروح وعن أصحاب الكهف وذي القرنين قال: «ائتوني غداً أخبركم» ولم يستثن فحبس عنه الوحي أياماً، ثم نزل قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْيْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الكهف: ٢٣، ٢٤].

روي أن سليمان عليه السلام ولد له ابن فاجتمعت الشياطين على قتله وذلك أنهم كانوا يقدرون في أنفسهم أنهم سيستريحون مما هم فيه من تسخير سليمان إياهم على التكاليف الشاقة والأعمال المستمرة الدائمة بموته، فلما ولد له ابن قال بعضهم لبعض: إن عاش له ولده لم ننفك عما نحن فيه من البلاء، فسبيلنا أن نقتل ولده أو نخبله. والتخبيل: إفساد العقل والعضو فعلم سليمان بذلك فأمر السحاب، فحمله وكانت الريح تعطيه غذاءه وربى فيه خوفاً من مضرة الشياطين فابتلاه الله لأجل خوفه هذا وعدم توكله في أمر ابنه على ربه العزيز بموت ابنه حيث مات في السحاب وألقي ميتاً على كرسيه، فهو المراد من الجسد الملقى على كرسيه.

قال في «شرح المقاصد»: فتنبه لخطئه في ترك التوكل فاستغفر وتاب، فهذا مما لا بأس به وغايته ترك الأولى إذ ليس في التحفظ ومباشرة الأسباب ترك الامتثال لأمر التوكل على ما قال عليه السلام: «اعقلها وتوكل». انتهى.

فإن قلت: كان الشياطين يصعدون إلى السماء وقتئذٍ فما فائدة رفعه في السحاب في المنع عنهم.

قلت: فائدته أن الشياطين التي خاف سليمان على ابنه منهم كانوا في خدمته الدائمة في الأرض فكان في الرفع إلى السحاب رفعه عن أبصارهم وتغييبه عن عملهم وتسليمه إلى محافظة الملائكة، ولما ألقي ابنه الميت على كرسيه جزع سليمان عليه إذ لم يكن له إلا ابن واحد، فدخل عليه ملكان، فقال أحدهما: إن هذا مشى في زرعي، فأفسده، فقال له سليمان: لم مشيت في زرعه؟ قال: لأن هذا الرجل زرع في طريق الناس، فلم أجد مسلكاً غير ذلك. فقال سليمان للآخر: لم زرعت على طريق الناس، أما علمت أن الناس لا بد لهم من طريق يمشون فيه، فقال لسليمان: صدقت لم ولدت على طريق الموت، أما علمت أن ممر الخلق على الموت، ثم غابا عنه، فاستغفر سليمان وأناب إلى الله تعالى: قال الشيخ سعدي قدس سره:

مكن خانه در راه سيل اي غلام　　　كه كس را نكشت اين عمارت تمام
نه از معرفت باشد وعقل ورأى　　　كه در ره كنند كارواني سراي
ز هجران طفلي كه در خاك رفت　　　جه نالي كه باك آمد وباك رفت
توباك آمدي بر حذر باش وباك　　　كه ننكست ناباك رفتن بخاك
مكن عمر ضايع بافسوس وحيف　　　كه فرصت عزيز ست والوقت سيف

قال الكاشفي: [ومشهور آنست كه بواسطه ترك ازلي انكشتر مملكت سليمان بدست صخر جن افتاد وجهل روز برتخت سليمان نشست وباز آن خاتم بدست سليمان آمد بمملكت بازكشت]. فيكون المعنى: ولقد ابتليناه بسبب ملكه وألقينا على كرسيه جسداً، يعني: العفريت الذي أخذ خاتمه وجلس على كرسيه وهو صخر صاحب البحر على أشهر الأقاويل وسمي جسداً؛ لأنه تمثل بصورة سليمان، ولم يكن هو فكان جسداً محضاً وصورة بلا معنى، ثم أناب؛ أي: رجع إلى ملكه بعد أربعين يوماً.

يقول الفقير: أرشده الله القدير هذا وإن كان مشهوراً محرراً خصوصاً في نظم بعض العرب والعجم، لكنه مما ينكر جداً ولا يكاد يصح قطعاً، وذلك لوجوه:

أحدها: أنه ليس في جلوس الجن على الكرسي معنى الإلقاء إلا أن يتكلف.

والثاني: أن جميع الأنبياء معصومون من أن يظهر شيطان بصورهم في النوم واليقظة لئلا يشتبه الحق بالباطل؛ ولأن الأنبياء عليهم السلام صور الاسم الهادي ومظاهر صفة الهداية والشيطان مظهر الاسم المضل والظاهر بصفة الضلالة فهما ضدان، فلا يجتمعان، ولا يظهر أحدهما بصورة الآخر. وقس على الأنبياء أحوال الكمل من الأولياء، فإنهم ورثتهم ومتحققون بمعارفهم وحقائقهم.

فإن قيل: عظمة الحق سبحانه أتم من عظمة كل عظيم، فكيف امتنع على إبليس أن يظهر بصورة الأنبياء مع أن اللعين قد تراءى لكثيرين وخاطبهم بأنه الحق طلباً لإضلالهم. وقد أضل جماعة بمثل هذا حتى ظنوا أنهم رأوا الحق وسمعوا خطابه.

قلنا: إن كل عاقل يعلم أن الحق ليست له صورة معينة معلومة توجب الاشتباه، ولذا جوز بعض العلماء رؤية الله في المنام في أي صورة كانت، لأن ذلك المرئي غير ذات الله إذ ليس لها صورة. وأما الأنبياء فإنهم ذوو صور معينة معلومة مشهودة توجب الاشتباه.

والثالث: أنه كيف يصح من الحكيم أن يجلس شيطاناً من الشياطين على كرسي نبي من

الأنبياء ويسلطه على المسلمين ويحكمه عليهم مع أنه لم يجعل للكافرين على المؤمنين سبيلاً أبداً.

كس نيايد بزير سايه بوم ورهماي ازجهان شود معدوم

والرابع: أن الخاتم كان نورانياً فكيف صح أن يستقر في يد الشيطان الظلماني بطريق تقلد الحكومة، وقد ثبت أن الشيطان يحرقه النور مطلقاً، ولذا جعل الشهاب رجماً للشياطين.

والخامس: أنه كان ملك سليمان في الخاتم، فكيف يصح أن يجلس الجني على كرسيه على تقدير قذف الخاتم في البحر على ما قالوا.

قال في «كشف الأسرار»: [ملك سليمان در خاتم وى بود ونكين آن خاتم كبريت أحمر بود]. انتهى.

وفي «عقد الدرر»: أنه كان خاتم آدم عليه السلام قبل خروجه من الجنة ألبسه الحق إياه، ثم أودع في ركن من أركان العرش وكان مكتوب عليه في السطر الأول: «بسم الله الرحمٰن الرحيم». وفي الثاني: «لا إله إلا الله»، وفي الثالث: «محمد رسول الله». فلما أنزله جبريل إلى سليمان اضطرب العالم من مهابته، ولما وضعه في أصبعه غاب عن أعين الناس، فقالوا: يا نبي الله نريد أن نتشرف بمشاهدة جمالك، فقال: اذكروا الله، فلما ذكروه رأوه فالتأثير من الله وبسليمان المظهرية والخاتم واسطة في الحقيقة. وإنما وضع ملكه في فص خاتم؛ لأنه تعالى أراه في ذلك أن ما أعطيت في جنب ما لم تعط قدر هذا الحجر من بين سائر الأحجار إذ كان ملك الدنيا عند الله تعالى كقدر حجر من الأحجار والله يعز من يشاء بما يشاء.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ٣٥﴾.

﴿قال﴾: سليمان وهو بدل من أناب وتفسير له.

﴿رب﴾ [اي بروردكار من]. ﴿اغفر لي﴾: ما صدر مني من الزلة التي لا تليق بشأني وتقديم الاستغفار على الاستيهاب الآتي لمزيد اهتمامه بأمر الدين جرياً على سنن الأنبياء والصالحين وكون ذلك أدخل في الإجابة.

﴿وهب لي﴾: [وببخش مرا]. ﴿ملكاً﴾: [بادشاهي وتصرفي كه]. ﴿لا ينبغي﴾: [نسزد ونشايد] ﴿لأحد﴾ من الخلق ﴿من بعدي﴾ إلى يوم القيامة بأن يكون الظهور به بالفعل في عالم الشهادة في الأمور العامة والخاصة مختصاً بي، وهو الغاية التي يمكنه بلوغها دل على هذا المعنى قول نبينا عليه السلام: «إن عفريتاً من الجن». وهو الخبيث المنكر «تفلت عليّ البارحة؛ أي: تعرض في صورة هر كما في حياة الحيوان.

قال في «تاج المصادر»: [التفلت بجستن]. وفي الحديث: «إن عفريتاً من الجن تفلّت عليّ البارحة»؛ أي: تعرض له فلتة؛ أي: فجأة «ليقطع عليّ صلاتي فأمكنني الله منه». الإمكان: القدرة على الشيء مع ارتفاع الموانع؛ أي: أعطاني الله مكنة من أخذه وقدرة عليه «فأخذته فأردت أن أربطه» بكسر الباء وضمها؛ أي: أشده «على سارية من سواري المسجد»؛ أي: أسطوانة من أساطينه «حتى تنظروا إليه كلكم ويلعب به ولدان أهل المدينة فذكرت دعوة أخي سليمان: رب اغفر لي وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي فرددته خاسئاً»؛ أي: ذليلاً مطروداً، لم يظفر بي ولم يغلب على صلاتي، فدل على أن الملك الذي آتاه الله سليمان ولم

يؤته أحداً غيره من بعده هو الظهور بعموم التصرف في عالم الشهادة لا التمكن منه، فإن ذلك مما آتاه الله غيره من الكمل نبياً كان أو ولياً ألا ترى أن نبينا عليه السلام قال: «فأمكنني الله منه»؛ أي: من العفريت فعلمنا أن الله تعالى قد وهب التصرف فيه بما شاء من الربط وغيره، ثم إن الله تعالى ذكره فتذكر دعوة سليمان، فتأدب معه كمال التأديب حيث لم يظهر بالتصرف في الخصوص فكَيف في العموم فردّ الله ذلك العفريت ببركة هذا التأدب خاسئاً عن الظفر به.

وكان في وجود سليمان عليه السلام قابلية السلطنة العامة ولهذا ألهمه الله تعالى أن يسأل الملك المخصوص به، فلم يكن سؤاله للبخل والحسد والحرص على الاستبداد بالنعمة والرغبة فيها كما توهمه الجهلة. وأما سلطان الأنبياء ﷺ فقد أفنى جميع ما في ملك وجوده من جهة الأفعال والصفات، فلم يبق شيء فظهر مكانه شيء لا يوصف حيث وقع تجلي الذات في مرتبة لم ينلها أحد من أفراد الخلق سابقاً ولا لاحقاً، وستظهر سلطنته الصورية أيضاً بحيث يكون آدم ومن دونه تحت لوائه.

در بزم احتشام تو سياره هفت جام وز مطبخ نوال تو افلاك نه طبق

هر خطبه كمال بنام تو شد ازل كس تا ابد زلوح نمى خوانده اين سبق

﴿إنك أنت الوهاب﴾: لجميع استعدادات كل ما سألت من الكمالات كما قال تعالى: ﴿وَءَاتَىٰكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

وفي «التأويلات النجمية»: بقوله: ﴿قال رب اغفر لي﴾ الآية. يشير إلى معانٍ مختلفة.

منها: أنه لما أراد طلب الملك الذي هو رفعة الدرجة بني الأمر في ذلك على التواضع الموجب للرفعة، وهو قوله: ﴿رب اغفر لي﴾.

ومنها: أنه قدم طلب المغفرة على طلب الملك؛ لأنه لو كان طلب الملك زلة في حق الأنبياء كانت مسبوقة بالمغفرة لا يطالب بها.

ومنها: أن الملك مهما يكن في يد مغفور له منظور بنظر العناية ما يصدر منه تصرف في الملك إلا مقروناً بالعدل والنصفة، وهو محفوظ من آفات الملك وتبعاته.

ومنها: قوله: ﴿وهب لي ملكاً لا ينبغي لأحد من بعدي﴾؛ أي: يكون ذلك موهوباً له بحيث لا ينزعه منه ويؤتيه من يشاء كما هي السنة الإلهية جارية فيه.

ومنها: قوله: ﴿لا ينبغي لأحد من بعدي﴾؛ أي: لا يطلبه أحد غيري لئلا يقع في فتنة الملك على مقتضى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ۝ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ۝﴾ [العلق: ٦، ٧]، فإن الملك جالب للفتنة كما كان جالباً لها إلى سليمان بقوله: ﴿ولقد فتنا سليمان﴾.

ومنها: قوله: ﴿لا ينبغي لأحد غيري﴾؛ أي: لا يكون هذا الملك ملتمس أحد منك غيري للتمتع والانتفاع به، وهو بمعزل عن قصدي ونيتي في طلب هذا، فإن لي في طلب هذا الملك نية لنفسي ونية لقلبي ونية لروحي ونية للممالك بأسرها ونية للرعايا.

فأما نيتي لنفسي فتزكيتها عن صفاتها الذميمة وأخلاقها اللئيمة. وذلك في منعها عن استيفاء شهواتها وترك مستلذاتها النفسانية بالاختيار دون الاضطرار وإنما يتيسر ذلك بعد القدرة الكاملة عليه بالمالكية والملكية بلا مانع ولا منازع، وكماليته في المملكة بحيث لا يكون فيها ما يحرك داعية من دواعي البشرية المركوزة في جبلة الإنسان ليكون كل واحدة من المشتهيات والمستلذات النفسانية محركة لداعية تناسبها عند تملكها، والقدرة عليها عند توقان النفس إليها

وغلبات هواها فيحرم على النفس مراضعها ويحرمها من مشاربها وينهاها عن هواها خالصاً لله، وطلباً لمرضاته فتموت النفس عن صفاتها كما يموت البدن عند إعواز فقدان ما هو غذاء يعيش به، فإذا ماتت عن صفاتها الذميمة يحييها الله بالصفات الحميدة كما قال: ﴿فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَوٰةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧]. وقال: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس: ٩]، فلا يبقى لها نظر إلى الدنيا وسائر نعمها كما كان حال سليمان لم يكن له نظر إلى الدنيا ونعيمها، وإنما كان مع تلك الوسعة في المملكة يأكل كسرة من كسب يده مع جليس مسكين ويقول: مسكين جالس مسكيناً، وأما نيته لقلبه فتصفيته عن محبة الدنيا وزينتها وشهواتها وتوجيهه إلى الآخرة بالإعراض عنها عند القدرة عليها والتمكن فيها، ثم صرفها في سبيل الله وقلع أصلها من أرض القلب، ليبقى القلب صافياً من الدنس قابلاً للفيض الإلٰهي، فإنه خلق مرآة لجميع الصفات الإلٰهية.

وأما نيته لروحه فلتحليته بالأخلاق الحميدة الربانية ولا سبيل إليها إلا بعلو الهمة وخلوص النية، فإن المرء يطير بهمته كالطائر يطير بجناحيه وتربية الهمة بحسب نيل المقاصد الدنيوية الدينية وصرفها في نيل المراتب الدينية الأخروية الباقية، وإن ترك المقاصد الدنيوية الدينية، وإن كان أثر التربية الهمة ولكن لا يبلغ حد أثر صرف ما يملك من المقاصد الدنيوية لنيل الدرجات العلية فلما كان من أخلاق الله أن يحب معالي الأمور ويبغض سفسافها. التمس سليمان أقصى مراتب الدنيا ونهاية مقاصدها لئلا يلتفت ويستعملها في تربية الهمة لتتخلى روحه بأن يحسن إليهم ويؤلف قلوبهم ببذل المال والجاه، فإن القلوب جبلت على حب من أحسن إليها، فإنهم إذا أحبوا نبي الله لزمهم حب الله، فيكون حب الله وحب نبيه في قلوبهم محض الإيمان، ومن لم يمكن أن يؤمن بالإحسان، فيدخلهم في الإيمان بالقهر والغلبة بأن يأتيهم بجنود لم يروها كما أدخل بلقيس وقومها في الإيمان.

وأما نيته للممالك، فبأن يجعل الممالك الدنيوية الفانية أخروية باقية بأن يتوسل بها إلى الحضرة بصرفها بإظهار الدين وإقامة الحق وإعلاء كلمة الإسلام.

فإن قيل قوله: ﴿**لا ينبغي لأحد من بعدي**﴾، هل يتناول النبي عليه السلام أو لا؟.

قلنا: أما بالصورة، فيتناول، ولكن لعلو همته وكمال قدره لا لعدم استحقاقه؛ لأنه عرض عليه ﷺ ملك أعظم من ملكه، فلم يقبله. وقال: «الفقر فخري». وأما بالمعنى: فلم يتناول النبي ﷺ؛ لأنه قال: «فضلت على الأنبياء بست»، يعني على جميع الأنبياء ولا خفاء في أن سليمان عليه السلام ما بلغ درجة واحد من أولي العزم من الرسل مع اختصاصه بصورة الملك منهم، وهم معه مفضولون بست فضائل من النبي عليه السلام، فمعنى الملك الحقيقي الذي كان ملك سليمان صورته بلا ريب يكون داخلاً في الفضائل التي اختصه الله بها وأخبر عنها بقوله: ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣]. بل أعطاه الله ما كان مطلوب سليمان من صورة الملك ومعناه أوفر ما أعطى سليمان وفتنه به من غير زحمة مباشرة صورة الملك والافتتان به عزة ودلالاً. انتهى كلام التأويلات على مكاشفة أعلى التجليات.

﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ۝٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٍ وَغَوَّاصٍ ۝٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ ۝٣٨﴾

﴿فسخرنا له الريح﴾. قال أبو عمرو: إنه ريح الصبا؛ أي: فذللناها لطاعة سليمان؛ أي: جعلناها مطيعة لا تخالفه إجابة لدعوته، فعاد أمره عليه السلام على ما كان عليه قبل الفتنة فيكون ذلك مسبباً عن إنابته: وبالفارسية: [بس رام كردانيدم مر سليمان را باد تافر مان وى برد].

وفيه إشارة إلى أن سليمان لما فعل بالصافنات الجياد ما فعل في سبيل الله عوضه الله مركباً مثل الريح كان غدوها شهراً ورواحها شهراً كما في «التأويلات النجمية». وقد سبق أيضاً من «كشف الأسرار».

قال البقلي رحمه الله: كان سليمان عليه السلام من حبه جمال الحق يحب أن ينظر إلى صنائعه وممالكه ساعة فساعة من الشرق إلى الغرب حتى يدرك عجائب ملكه وملكوته، فسخر الله له الريح وأجراها بمراده. وهذا جزاء صبره في ترك حظوظ نفسه.

﴿تجري بأمره﴾: بيان لتسخيرها له.

﴿رخاء﴾: حال من ضمير تجري. والرخاء: الريح اللينة من قولهم شيء رخو كما في «المفردات»: وبالفارسية: [نرم وخوش].

وفي «الفتوحات المكية»: أن الهواء لا يسمى ريحاً إلا إذا تحرك وتموج، فإن اشتدت حركته كان زعزعاً، وإن لم تشتد كان رخاء، وهو ذو روح يعقل كسائر أجزاء العالم وهبوبه تسبيحه تجري به الجواري، ويطفأ به السراج وتشتعل به النار وتتحرك المياه والأشجار ويموج البحر وتزلزل الأرض ويزجي السحاب. انتهى.

والمعنى: حال كون تلك الريح لينة طيبة لا تزعزع ولا تنافي بين كونها لينة الهبوب، وبين قوله تعالى: ﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾ [الأنبياء: ٨١]؛ لأن المراد: أن تلك الريح أيضاً في قوة الرياح العاصفة إلا أنها لما جرت بأمره عليه السلام، كانت لينة رخاء أو تسخر له كلا نسيميها.

﴿حيث أصاب﴾: ظرف لتجري أو لسخرنا. وأصاب بمعنى أراد لغة حمير أو هجر.

وفي «القاموس»: الإصابة: القصد؛ أي: حيث قصد وأراد من النواحي والأطراف.

واعلم أن المراد بقوله بأمره جريان الريح بمجرد أمره من غير جمعية خاطر ولا همة قلب فهو الذي جعل الله من الملك الذي لا ينبغي لأحد من بعده لا مجرد التسخير، فإن الله تعالى سخر لنا أيضاً ما في السماوات وما في الأرض وما بينهما، لكن إنما تفعل أجرام العالم لهمم النفوس إذا أقيمت في مقام الجمعية، فهذا التسخير عن أمر الله لا عن أمرنا كحال سليمان عليه السلام.

﴿والشياطين﴾: عطف على الريح. ﴿كل بناء﴾: بدل من الشياطين، وهو مبالغة بأن اسم الفاعل من بني، وكانوا يعملون له عليه السلام ما يشاء من محاريب وتماثيل وجفان كالجواب، وقدور راسيات لما سبق في سورة سبأ ويبنون له الأبنية الرفيعة بدمشق واليمن، ومن بنائهم بيت المقدس وإصطخر، وهي من بلاد فارس، تنسب إلى صخر الجني المراد بقوله تعالى: ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ﴾ [النمل: ٣٩].

﴿وغواص﴾: مبالغة غائص من غاص يغوص غوصاً، وهو الدخول تحت الماء وإخراج شيء منه.

قال في «المفردات»: قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلشَّيَٰطِينِ مَن يَغُوصُونَ لَهُۥ﴾ [الأنبياء: ٨٢]؛ أي: يستخرجون له الأعمال الغريبة والأفعال البديعة وليس استنباط الدر فقط. انتهى.

وكانوا يستخرجون الدرر والجواهر والحليّ من البحر، وهو أول من استخرج اللؤلؤ من البحر.

﴿وآخرين مقرنين في الأصفاد﴾: عطف على كل بناء داخل في حكم البدل يقال: قرنت البعيرين إذا جمعت بينهما وقرنت على التكثير كما في الآية.

قال الراغب: والتقرين بالفارسية: [برهم كردن].

قال ابن الشيخ: مقرنين صفة لآخرين، وهو اسم مفعول من باب التفعيل منقول من قرنت الشيء بالشيء؛ أي: وصلته به وشدد العين للمبالغة والكثرة. والأصفاد: جمع صفد محركة، وهو القيد وسمي به العطاء؛ لأنه يرتبط بالمنعم عليه، وفرقوا بين فعليهما، فقالوا: صفده قيده وأصفده أعطاه على عكس وعد وأوعد، فإن الثلاثي فيه للخير والمنفعة والرباعي للشر والمضرة ولكن في كون أصفد، بمعنى: أعطى نكتة، وهي أن الهمزة للسلب.

والمعنى: أزلت ما به من الاحتياج بأن أعطيته ما تندفع به حاجته بخلاف أوعد، فإنه لغة أصلية موضوعة للتهديد.

ومعنى الآية: وسخرنا له شياطين آخرين لا يبنون ولا يغوصون، كأنه عليه السلام فصل الشياطين إلى عملة استعملهم في أعمال الشاقة من البناء والغوص ونحو ذلك. وإلى مردة قرن بعضهم مع بعض في السلاسل وأوثقهم بالحديد لكفهم على الشر والفساد.

فإن قيل: إن هذه الآية تدل على أن الشياطين لها قوة عظيمة، قدروا بها على تلك الأبنية العظيمة التي لا يقدر عليها البشر وقدروا على الغوص في البحار، واستخراج جواهرها، وأنى يمكن تقييدهم بالأغلال والأصفاد. وفيه إشكال، وهو أن هذه الشياطين إما أن تكون أجسادهم كثيفة أو لطيفة، فإن كانت كثيفة وجب أن يراهم من كان صحيح الحاسة إذ لو جاز أن لا يراهم مع كثافة أجسادهم لجاز أن يكون بحضرتنا جبال عالية وأصوات هائلة لا نراها، ولا نسمعها وذا سفسطة، وإن كانت أجسادهم لطيفة واللطافة تنافي الصلابة، فمثل هذا يمتنع أن يكون موصوفاً بالقوة الشديدة بحيث يقدر بها على ما لا يقدر عليه البشر؛ لأن الجسم اللطيف يكون ضعيف القوام تتمزق أجزاؤه بأدنى المدافعة، فلا يطيق تحمل الأشياء الثقيلة ومزاولة الأعمال الشاقة. وأيضاً لا يمكن تقييده بالأصفاد والأغلال.

قلنا: إن أجسادهم لطيفة ولكن شفافة ولطافتها لا تنافي صلابتها بمعنى الامتناع من التفرق، فلكونها لطيفة لا ترى ولكونها صلبة يمكن تقيدها وتحملها الأشياء الثقيلة ومزاولتها الأعمال الشاقة، ولو سلم أن اللطافة تنافي الصلابة إلا أنا لا نسلم أن اللطيف الذي لا صلابة له يمتنع أن يتحمل الأشياء الثقيلة ويقدر على الأعمال الشاقة. ألا ترى أن الرياح العاصفة تفعل أفعالاً عجيبة لا تقدر عليها جماعة من الناس.

وقال في «بحر العلوم»: والأقرب أن المراد تمثيل كفهم عن الشرور بالتقرين في الصفد، يعني: أن قولهم: لا يمكن تقييده بالأصفاد والأغلال حقيقة مسلم. ولكن ليس الكلام محمولاً على حقيقته؛ لأنهم لما كانوا مسخرين مذللين لطاعته عليه السلام بتسخير الله إياهم له كان قادراً على كفهم عن الإضرار بالخلق. فشبه كفهم عن ذلك بالتقرين في الأصفاد، فأطلق على الكف المذكور لفظ التقرين استعارة أصلية، ثم اشتق من التقرين؛ يعني المعنى المجازي لفظ مقرنين، فهو استعارة تبعية بمعنى ممنوعين عن الشرور.

«وفي الأسئلة المقحمة»: الجن أجسام مؤلفة وأشخاص ممثلة ولا دليل يقضي؛ بأن تلك الأجسام لطيفة أو كثيفة، بل يجوز أن تكون لطيفة، وأن تكون كثيفة، وإنما لا نراهم لا للطافتهم كما يزعمه المعتزلة. ولكن لأن الله تعالى لا يخلق فينا إدراكاً لهم. انتهى.

قال القاضي أبو بكر: الأصل الذي خلقوا منه هي النار، ولسنا ننكر مع ذلك أن يكثفهم الله تعالى ويغلظ أجسامهم ويخلق لهم أعراضاً زائدة على ما في النار، فيخرجون عن كونهم ناراً ويخلق لهم صوراً وأشكالاً مختلفة، فيجوز أن نراهم إذا قوى الله أبصارنا كما يجوز أن نراهم لو كثف الله أجسامهم.

قال القاضي عبد الجبار: إن الله تعالى كثفهم لسليمان حتى كان الناس يرونهم وقواهم حتى كانوا يعملون له الأعمال الشاقة. والمقرّن في الأصفاد لا يكون إلا جسماً كثيفاً. وأما إقداره عليهم وتكثيفهم في غير أزمان الأنبياء فإنه غير جائز؛ لأنه يؤدي إلى أن يكون نقضاً للعادة، كما في «آكام المرجان في أحكام الجان».

وقال بعضهم: إن الشياطين كانوا يشاهدون في زمن سليمان، ثم إنه لما توفي أمات الله أولئك الشياطين وخلق نوعاً آخر في غاية الرقة واللطافة. وفيه أن الشياطين منظرون، فكيف يموتون إلا أن يختص الأنظار بإبليس أو إلا أن يحمل الشياطين على كفار الجن، فإنهم ماردون أيضاً. روي: أن الله تعالى أجاب دعاء سليمان بأن سخر له ما لم يسخره لأحد من الملوك، وهو الرياح والشياطين والطير، وسخر له من الملوك ما لم يتيسر لغيره مثل ذلك، فإنه روي: أنه ورث ملك أبيه داود في عصر كيخسرو بن سياوش، وسار من الشام إلى العراق فبلغ خبره إلى كيخسرو، فهرب إلى خراسان، فلم يلبث قليلاً حتى هلك، ثم سار إلى مرو، ثم سار إلى بلاد الترك، فوغل فيها، ثم جاز بلاد الصين، ثم عطف إلى اين وافى بلاد فارس، فنزلها أياماً، ثم عاد إلى الشام ثم أمر ببناء بيت المقدس، فلما فرغ منه سار إلى تهامة، ثم إلى صنعاء. وكان من حديثه مع صاحبة صنعاء، وهي بلقيس ما ذكره الله تعالى في كتابه الكريم وغزا بلاد المغرب، الأندلس وطنجة وإفرنجة ونواحيها.

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٠﴾﴾.

﴿هذا﴾؛ أي: فسخرنا وقلنا له: هذا الذي أعطيناك من الملك العظيم والبسطة والتسلط على ما لم يسلط عليه غيرك.

﴿عطاؤنا﴾ الخاص بك الذي لا يقدر عليه غيرنا ﴿فامنن﴾ من قوله منّ عليه منّاً؛ أي: أنعم؛ أي: فأعط منه من شئت. ﴿أو أمسك﴾ وامنع منه من شئت، وأو للإباحة.

﴿بغير حساب﴾: حال من المستكن في الأمر؛ أي: غير محاسب على منّه وإحسانه ومنعه وإمساكه، لا حرج عليك فيما أعطيت وفيما أمسكت لتفويض التصرف فيه إليك على الإطلاق.

وفي «المفردات»: قيل تصرف فيه تصرف من لا يحاسب؛ أي: تناول كما تحب وفي وقت ما تحب وعلى ما تحب وأنفقه كذلك. انتهى.

قال الحسن: ما أنعم الله على أحد نعمة إلا كان عليه تبعة إلا سليمان؛ فإن أعطي أجر عليه وإن لم يعط لم يكن عليه تبعة وإثم. وهذا مما خص به والتبعة ما يترتب على الشيء من

المضرة، وكل حق يجب للمظلوم على الظالم بمقابلة ظلمه عليه.

قال بعض الكبار المحققين: كان سؤال سليمان ذلك عن أمر ربه، والطلب إذا وقع عن الأمر الإلٰهي كان امتثال أمر وعبادة، فللطالب الأجر التام على طلبه من غير تبعة حساب ولا عقاب، فهذا الملك والعطاء لا ينقصه من ملك آخرته شيئاً، ولايحاسب عليه أصلاً، كما يقع لغيره.

وأما ما روي: أن سليمان آخر الأنبياء دخولاً الجنة لمكان ملكه، فعلى تقدير صحته لا ينافي الاستواء بهم في درجات الجنة، ومطلق التأخر في الدخول لا يستلزم الحساب. وقد روي: (إن الأغنياء يدخلون الجنة بعد الفقراء بخمسمائة سنة). ويجوز أن يكون بغير حساب حالاً من العطاء؛ أي: هذا عطاؤنا ملتبساً بغير حساب لغاية كثرته كما يقال للشيء الكثير. هذا لا يحيط به حساب أو صلة له وما بينها اعتراض على التقديرين.

﴿**وإن له عندنا لزلفى**﴾؛ أي: لقربة في الآخرة مع ما له من الملك العظيم في الدنيا. ﴿**وحسن مآب**﴾، وهو الجنة. وفي الحديث: «أرأيتم ما أعطي سليمان بن داود من ملكه، فإن ذلك لم يزده إلا تخشعاً ما كان يرفع بصره إلى السماء تخشعاً لربه». انتهى.

أي: ولذا وجد الزلفى، وحسن المرجع، فطوبى له حيث كان فقيراً في صورة الغنى.

وفي الإشارة إلى أن الإنسان إذا كمل في إنسانيته يصير قابلاً للفيض الإلٰهي بلا واسطة، فيعطيه الله تعالى من آثار الفيض تسخير ما في السماوات من الملائكة كما سخر لآدم بقوله: ﴿ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ﴾ [البقرة: ٣٤]. وما في الأرض كما سخر لسليمان الجن والإنس والشياطين والوحوش والطيور. وذلك لأن كل ما في السماوات وما في الأرض أجزاء وجود الإنسان الكامل، فإذا أنعم الله عليه بفيضه سخر له أجزاء وجوده في المعنى. أما في الصورة، فيظهر على بعض الأنبياء تسخر بعضها إعجازاً له كما ظهر على نبينا عليه السلام تسخر القمر عند انشقاقه بإشارة أصبع، ولذا قال: هذا عطاؤنا إلخ يشير إلى أن للأنبياء بتأييد الفيض الإلٰهي ولاية إفاضة الفيض على من هو أهله عند استفاضته. ولهم إمساك الفيض عند عدم الاستفاضة من غير أهله ولا حرج عليهم في الحالتين، وإن له عندنا لزلفى في الإفاضة والإمساك وحسن مآب؛ لأنه كان متقرباً إلينا بالعطاء والمنع كما في «التأويلات النجمية». روي: أن سليمان عليه السلام فتن بعدما ملك عشرين سنة وملك بعد الفتنة عشرين سنة ثم انتقل إلى حسن مآب: قال الشيخ سعدي:

جهان اي بسر ملك جاويد نيست ... ز دنيا وفاداری أميد نيست

نه بر باد رفتى سحر كاه وشام ... سرير سليمان عليه السلام

بآخر نديدى كه برباد رفت ... خنك آنكه باذانش وداد رفت

أيقظنا الله تعالى وإياكم.

﴿وَٱذْكُرْ عَبْدَنَآ أَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلشَّيْطَٰنُ بِنُصْبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ ۖ هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ ﴿٤٢﴾﴾

﴿**واذكر عبدنا أيوب**﴾ بن آموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم عليه السلام، وأمه من أولاد لوط بن هاران وزوجته رحمة بنت إفراييم بن يوسف عليه السلام أو ليا

بنت يعقوب عليه السلام. ولذا قال في «كشف الأسرار»: كان أيوب في زمان يعقوب أوما خير بنت ميشا بن يوسف. والأول أشهر الأقاويل.

قال القرطبي: لم يؤمن بأيوب إلا ثلاثة نفر وعمره ثلاث وتسعون. وقوله: أيوب، عطف بيان للعبد. **﴿إذ نادى ربه﴾** بدل من عبدنا؛ أي: دعا وتضرع بلسان الاضطرار والافتقار. **﴿أني﴾**؛ أي: بأني **﴿مسني الشيطان﴾** أصابني. وبالفارسية [ديو بمن رسيد]، فتكون الباء في قوله: **﴿بنصب﴾** للتعدية؛ أي: تعب ومشقة وكذا النصب بفتحتين **﴿وعذاب﴾** العذاب: الإيجاع الشديد؛ أي: ألم ووصب يريد مرضه وما كان يقاسيه من فنون الشدائد، وهو المراد بالضر في قوله في سورة الأنبياء: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلضُّرُّ﴾ [الأنبياء: ٨٣]، وهو حكاية لكلامه الذي ناداه به بعبارته، وإلا لقيل إنه مسه إلخ، وليس هذا تمام دعائه عليه السلام، بل من جملة قوله: **﴿وأنت أرحم الراحمين﴾**، فاكتفى هاهنا عن ذكره بما في سورة الأنبياء كما ترك هناك ذكر الشيطان ثقة بما ذكر هاهنا.

فإن قلت: لا قدرة للشيطان البتة على إيقاع الناس في الأمراض والأسقام؛ لأنه لو قدر على ذلك لسعى في قتل الأنبياء والأولياء والعلماء والصالحين، فهو لا يقدر أن يضر أحداً إلا بطريق إلقاء الوساوس والخواطر الفاسدة. فما معنى إسناد المس إليه.

قلت: إن الذي أصابه لم يصبه إلا من الله تعالى إلا أنه أسنده إلى الشيطان لسؤال الشيطان منه تعالى أن يمسه الله تعالى بذلك الضر امتحاناً لصبره، ففي إسناده إليه دون الله تعالى مراعاة للأدب. روي: أن أيوب عليه السلام كان له أموال كثيرة من صنوف مختلفة. وهو مع ذلك كان مواظباً على طاعة الله محسناً للفقراء واليتامى وأرباب الحاجات، فحسده إبليس لذلك. وقال: إنه يذهب بالدنيا والآخرة، فقال: إلٰهي عبدك أيوب قد أنعمت عليه، فشكرك وعافيته، فحمدك ولو ابتليته بنزع النعمة والعافية لتغير عن حاله، فقال تعالى: إني أعلم منه أن يعبدني ويحمدني على كل حال، فقال إبليس: يا رب سلطني عليه وعلى أولاده وأمواله، فسلطه على ذلك، فأحرق زرعه وأسقط الأبنية على أولاده، فلم يزدد أيوب إلا حمداً لربه، ثم نفخ في جسده نفخة خرجت بها فيه النفاخات، ثم تقطرت بالدم الأسود وأكله الدود سبع سنين، وهو على حاله في مقام الصبر والرضى والتسليم، فكان بلاؤه امتحاناً من غير أن يكون منه ذنب يعاقب عليه ليبرز الله ما في ضميره، فيظهر لخلقه درجته، أين هو من ربه كما ذكره الحكيم الترمذي في «نوادر الأصول».

وعلى هذا القول اعتماد الفحول، فدع ما عداه فإنه غير مقبول.

وفي «التأويلات النجمية» يشير بقوله: **﴿واذكر﴾** إلخ إلى معاني مختلفة.

﴿منها﴾: إن من شرط عبودية خواص عباده من الأنبياء والأولياء الصبر عند نزول البلاء والرضى بجريان أحكام القضاء.

ومنها: ليعلم أن الله تعالى لو سلط الشيطان على بعض من أوليائه وأنبيائه لا يكون لإهانتهم بل يكون لعزتهم وإعانتهم على البلوغ إلى رتبة نعم العبدية ودرجة الصابرين المحبوبين.

ومنها: أن العباد من الأنبياء والأولياء لو لم يكونوا في كنف عصمة الله وحفظه لمستهم الشياطين بنصب وعذاب.

ومنها: أن من آداب العبودية إجلال الربوبية وإعظامها عن إحالة الضر والبلاء والمحن عليها لا على الشيطان، كما قال يوسف عليه السلام: ﴿وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ﴾ [يوسف: ١٠٠]. وقال يوشع عليه السلام: ﴿وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ﴾ [الكهف: ٦٣]. وقال موسى عليه السلام: ﴿هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [القصص: ١٥].

ومنها: ليعلم أنه ما بلغ مقام الرجال البالغين؛ إلا بالصبر على البلوى وتفويض الأمور إلى المولى والرضى بما يجري عليه من القضاء. انتهى.

﴿اركض برجلك﴾ الركض الضرب والدفع القوي بالرجل، فمتى نسب إلى الراكب، فهو إغراء مركوبه وحثه للعدو نحو ركضت الفرس، ومتى نسب إلى الماشي، فوطىء الأرض كما في الآية كذا قاله الراغب. والرجل: القدم أو من أصل الفخذ إلى رؤوس الأصابع. والمعنى: إذ نادى فقلنا له على لسان جبريل عليه السلام حين انقضاء مدة بلائه اركض برجلك؛ أي: من اضرب بها الأرض: وبالفارسية [بزن باي خودرا بزمين]، وهي أرض الجابية بلد في الشام من إقطاع أبي تمام، فضربها فنبعت عين. فقلنا له: ﴿هذا﴾ [اين جشمه]. ﴿مغتسل بارد﴾ تغتسل به.

وقال الكاشفي: [جاي غسل كردنست يا آبيست كه بدان غسل كنند]. أشار إلى أن المغتسل هو الموضع الذي يغتسل فيه، والماء الذي يغتسل به. والاغتسال: غسل البدن وغسلت الشيء غسلاً أسلت عليه الماء، فأزلت درنه. ﴿وشراب﴾ تشرب منه فيبرأ باطنك. والشراب: هو ما يشرب ويتناول من كل مائع ماء كان أو غيره. والواو لتأكيد لصوق الصفة بالموصوف.

وقال بعض الكبار: هذا مغتسل به؛ أي: ماء يغتسل به وموضعه وزمانه بارد يبرد حرارة الظاهر وشراب يبرد حرارة الباطن، يعني: إنما كان الماء بارداً لما كان عليه من إفراط حرارة الألم، فسكن الله إفراطها الزائد المهلك ببرد الماء وأبقى الحرارة النافعة للإنسان.

وفي كلام الشيخ الشهير بافتاده البرسوي قدس سره أن المراد بالماء في هذه الآية صورة إحياء الله تعالى. وهو المراد بماء المطر أيضاً فيما روي أنه إذا كان يوم القيامة ينزل المطر على الأموات أربعين سنة، فيظهرون من الأرض كالنبات. انتهى.

فاغتسل أيوب عليه السلام من ذلك الماء وشرب فذهب ما به من الداء من ظاهره وباطنه، فإن الله تعالى إذا نظر إلى العبد بنظر الرضى يبدل مرضه بالشفاء وشدته بالرخاء وجفاءه بالوفاء، فقام صحيحاً وكسي حلة، وعاد إليه جماله وشبابه أحسن ما كان.

قال ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ: مكث في البلاء سبع سنين وسبعة أشهر وسبعة أيام وسبع ساعات لم يغمض فيهن ولم ينقلب من جنب إلى جنب كما في «زهرة الرياض».

قال حضرة الشيخ بالى الصوفي في «شرح الفصوص»: الإشارة فيه أن الله تعالى أمر نبيه بضرب الرجل على الأرض، ليخرج منها الماء لإزالة ألم البدن، فهو أمر لنا بالسلوك والمجاهدة، ليخرج ماء الحياة، وهو العلم بالله من أرض وجودنا لإزالة أمراض أرواحنا، وهي الحجب المبعدة عن الحق. ثم قال: وفي هذه الآية سر لطيف، وهو أن السالكين مسلك التقوى بالمجاهدة والرياضات إذا اجتمعوا في منزل وذكروا الله كثيراً بأعلى صوت وضربوا أرجلهم على الأرض مع الحركة، أية حركة كانت، وكانت نيتهم بذلك إزالة الألم الروحاني.

جاز منهم ذلك إذا ضرب الرجل الصورية على الأرض الصورية مع الذكر الصوري بنية خالصة يوصل إلى الحقيقة إذ ما من حكم شرعي إلا وله حقيقة توصل عامله إلى حقيقته. انتهى كلامه.

قال بعض العلماء: بالله ارتفاع الأصوات في بيوت العبادات بحسن النيات وصفاء الطويات يحل ما عقدته الأفلاك الدائرات حتى قال أهل البصائر: إن الأنفاس البشرية هي التي تدير الأفلاك العلوية. انتهى.

فقد شرطوا في ضرب الرجل وكذا في رفع الصوت حسن النية وصفوة الباطن من كل غرض ومرض، فإذا كان المرء حسن النية يراعي الأدب الظاهري والباطني من كل الوجوه، فيعرج بمعراج الخلوص على ذروة مراتب أهل الخصوص، ويسلم من الجرح والقدح لكون حركته على ما أشار إليه النصوص.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في «الفتوحات المكية»: لا يجوز لأحد التواجد إلا بإشارة شيخ عارف بأمراض الباطن. وفي محل آخر من شرط أهل الله في السماع أن يكونوا على قلب رجل واحد وأن لا يكون فيهم من ليس من جنسهم، أو غير مؤمن بطريقهم، فإن حضور مثل هؤلاء يشوش. وفي آخر لا ينبغي للأشياخ أن يسلموا للمريد حركة الوجد الذي تبقى معه الإحساس بمن في المجلس ولا يسلم له حركته إلا إن غاب. ومهما أحس بمن كان في المجلس تعين عليه أن يجلس إلا أن يعرف الحاضرون أنه متواجد لا صاحب وجد، فيسلم له ذلك؛ لأن هذه الحالة غير محمودة بالنظر إلى ما فوقها. وفي آخر إذا كانت حركة المتواجد نفسية فليست بقدسية وعلامتها الإشارة بالأكمام والمشي إلى خلف وإلى قادم والتمايل من جانب إلى جنب، والتفريق بين راجع وذاهب فقد أجمع الشيوخ على أن مثل هذا محروم مطرود. انتهى.

فقد شرط الشيخ رضي الله عنه في هذا الكلمات لمن أراد الوجد والسماع، حضور القلب والعشق والمحبة والصدق وغلبة الحال. فقول القرطبي استدل بعض الجهال المتزهدة وطغاة المتصوفة، بقوله تعالى لأيوب عليه السلام: ﴿اركض برجلك﴾ على جواز الرقص. وهذا احتجاج بارد؛ لأنه تعالى إنما أمر بضرب الرجل لنبع الماء لا لغيره؛ وإنما هو لأهل التكلف كما دل عليه صيغة التزهد والتصوف؛ فإن أتقياء الأمة برآء من التكلف، فهو زجر لفسقة الزمان عما هم عليه من الاجتماع المنافي لنص القرآن؛ فإنهم لو كانوا صلحاء مستأهلين لأباحت لهم إشارة القرآن ذلك، لكنهم بمعزل عن الركض بشرائط فهم ممنوعون جداً.

قال الشيخ الشهير بافتاده قدس سره: ليس في طريق الشيخ الحاجي بيرام قدس سره: الرقص حال التوحيد وليس في طريقنا أيضاً، بل نذكر الله قياماً وقعوداً ولا نرقص على وفق قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وقال أيضاً: ليس في طريقتنا رقص، فإن الرقص والأصوات كلها إنما وضع لدفع الخواطر، ولا شيء في دفعها أشد تأثيراً من التوحيد فطريقنا طريق الأنبياء عليهم السلام، فنبينا عليه السلام لم يلقن إلا التوحيد.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ رَحْمَةً مِّنَّا وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَـٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ ۗ إِنَّا وَجَدْنَـٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿ووهبنا له أهله﴾ معطوف على مقدر؛ أي: فاغتسل وشرب، فكشفنا بذلك ما به من ضر كما في سورة الأنبياء ووهبنا له أهله: يعني [فرزندان ويرا زنده كرديم]. وكانوا ثلاثة عشر.

روى الحسن: أن الله تعالى أحياهم بعد هلاكهم؛ أي: بما ذكر من أن إبليس هدم عليهم البناء فماتوا تحته. ﴿ومثلهم معهم﴾ عطف على أهله، فكان له من الأولاد ضعف ما كان له قبل؛ أي: زاده على ما كان له قبل البلاء، قال الصائب:

زفوت مطلب جزؤى مشوغمين كه فلك ستاره ميبرد وآفتاب مى آرد

﴿رحمة منا﴾؛ أي: لرحمة عظيمة عليه من عندنا ﴿وذكرى لأولي الألباب﴾، ولتذكيرهم بذلك ليصبروا على الشدائد كما صبر، ويلجؤوا إلى الله فيما ينزل بهم كما لجأ ليفعل بهم ما فعل به من حسن العاقبة: قال الكاشفي: [رحمت إلٰهي فرج را بصبر ناريست].

اصبر فإن الصبر مفتاح الفرج

كليد صبر كسى راكه باشد اندردست هرآينه در كنج مراد بكشايد
بشام تيره محنت بساز وصبر نماى كه دمبدم سحر از برده روى بنمايد

[آورده أندكه درزمان مرض أيوب عليه السلام زوجه أو رحمه بهمى رفته بود وديرمى آمد أيوب سوكند خورد كه أورا صدجوب بزند جون تباشير صبح صحت أزافق رحمت روى نمود وأيوب بحالت تن درستي وجواني بازآمد خواست تاسوكند خودرا راست كند خطاب از حضرت عزت رسيدكه].

﴿وخذ بيدك ضغثاً﴾.

قال في «الإرشاد»: معطوف على اركض أو على وهبنا بتقدير. وقلنا خذ بيدك إلخ والأول أقرب لفظاً. وهذا أنسب معنى؛ فإن الحاجة إلى هذا الأمر لا تمس إلا بعد الصحة. والضغث: الحزمة الصغيرة من الحشيش ونحوه في «المفردات» الضغث: قبضة ريحان أو حشيش. وبه شبه الأحلام المختلطة التي لا يتبين حقائقها. انتهى.

وقال الكاشفي: [وبكير بدست خود دسته از جوب ازخر ما يا از حشائش خشك شده كه بعدد صد باشد وفي «كشف الأسرار» مفسران كفتند إبليس برصورت طبيبي برسر راه نشست وبيماران را مداوات مي كرد زن أيوب آمد وكفت بيمارى كه فلان علت دارد أورا مداوات كنى إبليس كفت أورا مداوات كنم وشفادهم بشرط آنكه جون أورا شفادهم اومرا كويد «أنت شفيتني» يعني: تومرا شفا دادي ازشما جزاين نخواهم زن بيامد وآنجه ازوى شنيد بأيوب كفت أيوب بدانست كه آن شيطانست وأورا از راه مى برد وكفت «والله لئن برئت لأضربنك مائة» بس جون به شد جبريل آمد وبيام آورد ازحق تعالى كه آن زن ترا درايام بلا خدمت نيكو كرد اكنون تخفيف ويرا وتصديق سوكند خودرا دسته كياه وريحان كه بعدد صد شاخ باشد با قبضه كه ازين درخت كندم كه خوشه برسردارد آنرا بدست خويش كير].

فإنه قال في «التكملة».: وقد روي: أنه أخذ مائة سنبلة في كف واحد فضربها بها.

وقيل: باعت ذؤابتيها برغيفين وكانتا متعلق أيوب إذا قام فحلف بذلك.

قال في «فتح الرحمٰن»: روي أن أيوب عليه السلام كانت زوجته مدة مرضه تختلف إليه فيتلقاها الشيطان مرة في صورة طبيب ومرة في هيئة ناصح، فيقول لها: لو سجد هذا المريض

للصنم الفلاني لبرىء، ولو ذبح عناقاً للصنم الفلاني لبرىء. ويعرض لها وجوهاً من الكفر فكانت هي ربما عرضت ذلك على أيوب، فيقول: لقيت عدو الله في طريقك، فلما أغضبته حلف إن عوفي ليجلدنها مائة جلدة. انتهى.

يقول الفقير: هذه الوجوه ذكرت أيضاً في غيره من التفاسير لكنها ضعيفة، فإن امرأة أيوب، وهي رحمة وكانت بنت ابن يوسف الصديق عليه السلام على ما هو الأرجح، ولا يتصور من مثل هذه المرأة المتدينة أن تحمل أيوب على ما هو كفر في دينه وفي سائر الأديان، وبمجرد نقل كلام العدو لا يلزم الغضب والحلف، فالوجه الأول أليق بالمقام. ﴿**فاضرب به**﴾؛ أي: بذلك الضغث زوجك. ﴿**ولا تحنث**﴾ في يمينك، فإن البر يتحقق به، فأخذ ضغثاً فضربها ضربة واحدة. يقال: حنث في يمينه إذا لم يف بها.

وقال بعضهم: الحنث: الإثم ويطلق على فعل ما حلف على تركه وترك ما حلف على فعله من حيث إن كل واحد منهما سبب له.

وفي «تاج المصادر» [الحنث: دروغ شدن سوكند] ويعدى بفي [وبزه مند شدن]. فإن قيل: لم قال الله تعالى لأيوب عليه السلام ﴿**لا تحنث**﴾. وقال لمحمد ﷺ: ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾ [التحريم: ٢]. قلنا: لأن كفارة اليمين لم تكن لأحد قبلنا، بل هي لنا مما أكرم الله به هذه الأمة بدليل قوله تعالى: لكم. كذا في «أسئلة الحكم».

وفي كلام بعض المفسرين: لعل التكفير لم يجز في شرعهم أو أن الأفضل الوفاء به. انتهى.

قال الشيخ نجم الدين رحمه الله: أراد الله أن يعصم نبيه أيوب عليه السلام من الذنبين اللازمين. أحدهما: إما الظلم وإما الحنث، وأن لا يضيع أجر إحسان المرأة مع زوجها، وأن لا يكافئها بالخير شراً، وتبقى ببركتها هذه الرخصة في الأمم إلى يوم القيامة. انتهى.

فقد شرع الله هذه الرحمة رحمة عليه وعليها لحسن خدمتها إياه ورضاه عنها، وهي رخصة باقية في الحدود يجب أن يصيب المضروب كل واحد من المائة إما بأطرافها قائمة أو بأعراضها مبسوطة على هيئة الضرب؛ أي: بشرط أن توجد صورة الضرب؛ ويعمل بالحيل الشرعية بالاتفاق.

روي: أن الليث بن سعد حلف أن يضرب أبا حنيفة بالسيف، ثم ندم من هذه المقالة وطلب المخرج من يمينه، فقال أبو حنيفة رحمه الله: خذ السيف واضربني بعرضه، فتخرج عن يمينك كما في «مناقب الإمام» رضي الله عنه.

قال في «فتح الرحمٰن»: مذهب الشافعي إذا وجب الحد على مريض وكان جلداً أخر للمرض، فإن لم يرج برؤه جلد بعثكال عليه مائة غصن، فإن كان خمسين ضرب به مرتين وتمسه الأغصان، أو ينكبس بعضها على بعض ليناله بعض الألم، فإن برىء أجزأه. ومذهب أبي حنيفة رحمه الله يؤخر فلا يجلد حتى يبرأ كمذهب الشافعي، فإن كان ضعيف الخلقة يخاف عليه الهلاك لو ضرب شديداً، يضرب مقدار ما يتحمله من الضرب. ومذهب مالك: لا يضرب إلا بالسوط ويفرق الضرب وعدد الضربات مستحق لا يجوز تركه، فإن كان مريضاً آخر إلى أن يبرأ كمذهب الشافعي وأبي حنيفة ومذهب أحمد: يقام الحد في الحال ولا يؤخر للمرض، ولو رجى زواله ويضرب بسوط يؤمن معه التلف كالقضيب الصغير، فإن خشي عليه من السوط أقيم

بأطراف الثياب وعثكول النخل، فإن خيف عليه من ذلك جمع ضغث فيه مائة شمراخ، فضرب به ضربة واحدة كقول الشافعي. وأما إذا كان الحد رجماً، فلا يؤخر بالاتفاق ولا يقام الحد على حامل حتى تضع بغير خلاف، فأبو حنيفة: إن كان حدها الجلد، فحتى تتعالّ؛ أي: تخرج من نفاسها، وإن كان الرجم فعقيب الولادة، وإن لم يكن للصغير من يربيه، فحتى يستغني عنها. والشافعي حتى ترضعه اللبان ويستغني بغيرها، أو فطام لحولين. ومالك وأحمد بمجرد الوضع.

﴿إنا وجدناه﴾ علمناه ﴿صابراً﴾ فيما أصابه في النفس والأهل لولا أنا وجدناه صابراً؛ أي: جعلناه يدل على هذا المعنى قوله تعالى لنبيه عليه السلام: ﴿وَٱصۡبِرۡ وَمَا صَبۡرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِۚ﴾ [النحل: ١٢٧]؛ أي: هو الذي صبرك وإن لم تكن تصبر. انتهى.

روي: أنه بلغ أمر أيوب عليه السلام إلى أن لم يبق منه إلا القلب واللسان، فجاءت دودة إلى القلب فعضته، وأخرى إلى اللسان فعضته، فعند ذلك دعا أيوب فوقعت دودة في الماء فصار علقاً وأخرى في البر فصار نحلاً يخرج منه العسل.

وفي «زهرة الرياض»: أنه بقي على بدنه أربعة من الديدان. واحد طار ووقع على شجرة الفرصاد، فصار دود القز وواحد وقع في الماء فصار علقاً وواحد وقع في الحبوب فصار سوساً، والرابع طار ووقع في الجبال والأشجار فصار نحلاً، وهذا بعدما كشف الله عنه.

واعلم أن العلماء قالوا: إن الأنبياء عليهم الصلاة والسلام معصومون من الأمراض المنفرة ويناقش فيه بحديث أيوب عليه السلام إذ روي أنه تفرق عنه الناس حتى ارتد بعض من آمن به إلا أن يستثنى أيوب عليه السلام، فإن ابتلاءه كان خارقاً للعادة وابتلاء الناس به أي ابتلاء.

ثم اعلم أنه ليس في شكواه إلى الله تعالى إخلال بصبره فإن الصبر حبس النفس عن الشكوى لغير الله لا إلى الله تعالى، وفي حبس النفس عن الشكوى إلى الله في رفع الضر مقاومة القهر الإلهي، وهو ليس من آداب العبودية، فلا بد من الشكاية ليصح الافتقار الذي هو حقيقتك المميزة نسبة العبودية من الربوبية. ولذا قال أبو زيد البسطامي قدس سره:

جارجيز آورده ام شاها كه دركنج تونيست
نيستى وحاجت وعجز ونياز آورده ام

وجاع بعض العارفين فبكى فعاتبه في ذلك بعض من لا ذوق له، فقال: إنما جوّعني لأبكي، وأسأل ﴿نعم العبد﴾؛ أي: أيوب ﴿إنه أواب﴾ تعليل لمدحه؛ أي: إنما كان نعم العبد؛ لأنه رجاع إلى الله تعالى لا إلى الأسباب مقبل بجملة وجوده إلى طاعته أو رجاع إلى الحضرة في طلب الصبر على البلاء، والرضى بالقضاء. ولقد سوى الله تعالى بين عبديه اللذين أحدهما أنعم عليه فشكر، والآخر ابتلي فصبر حيث أثنى عليهما ثناء واحداً فقال في وصف سليمان: ﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٣٠].

وفي وصف أيوب كذلك، ولم يلزم من الأوابية الذنب؛ لأن بلاء أيوب كان من قبيل الامتحان على ما سبق.

واعلم أن العيش في البلاء مع الله عيش الخواص، وعيش العافية مع الله عيش العوام.

وذلك لأن الخواص يشاهدون المبلى في البلاء وتطيب عيشتهم بخلاف العوام؛ فإنهم بمعزل من الشهود، فيكون البلاء لهم عين المحنة، ولذا لا صبر لهم.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: أيوب عليه السلام رأس الصابرين إلى يوم القيامة.

قال بعضهم: [بلا ذخيرة أوليا واختيار اصفيا است هر يكى بنوعى ممتحن بودند. نوح بدست قوم خويش كرفتار. إبراهيم بآتش نمرود. إسماعيل بفتنه ذبح. يعقوب بفراق فرزند. زكريا ويحيى بمحنت قتل. موسى بدست فرعون وقبطيان وعلى هذا أوليا وأصفيا. يكى را محنت غربت بود ومذلت. يكى راكر سنكى وفاقت. يكى رابيماري وعلت. يكى را قتل وشهادت. مصطفى عليه السلام كفت (إن الله ادخر البلاء لأوليائه كما ادخر الشهادة لأحبابه) جون رب عزت آن بلاها از أيوب كشف كرد روزى بخاطروى بكذشت كه نيك صبر كردم دران بلا ندا آمدكه «أأنت صبرت أم نحن صبرناك يا أيوب لولا أنا وضعنا تحت كل شعرة من البلاء جبلاً من الصبر لم تصبر» جنيد قدس سره كفت].

من شهد البلاء بالبلاء ضجّ من البلاء، ومن شهد البلاء من المبلى حنّ إلى البلاء.

قال ابن عطاء: ليخفف ألم البلاء عنك علمك بأن الله هو المبلي.

واعلم أن لكل بلاء خلفاً إما في الدنيا، وإما في الآخرة وإما في كليهما. قال الصائب:

هر محنتى مقدمه راحتى بود   شد همز بان حق جو زبان كليم سوخت

يروى: أن الله تعالى لما أذهب عن أيوب ما كان به من الأذى أنزل عليه ثوبين أبيضين من السماء، فاتزر بأحدهما، وارتدى بالآخر. ثم مشى إلى منزله، فأقبلت سحابة فسحت في أندر قمحه ذهباً حتى امتلأ، وأقبلت سحابة أخرى إلى أندر شعيره، فسحت فيه ورقاً حتى امتلأ وشكر الله خدمة زوجته فردها إلى شبابها وجمالها.

﴿وَاذْكُرْ عِبَادَنَآ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الْأَيْدِي وَالْأَبْصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخْلَصْنَٰهُم بِخَالِصَةٍ ذِكْرَى الدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿واذكر عبادنا﴾ المخصوصين من أهل العناية ﴿إبراهيم وإسحاق﴾ بن إبراهيم ﴿ويعقوب﴾ بن إسحاق. ثم أومأ إلى وجه اختصاصهم بجنابه تعالى. فقال: ﴿أولي الأيدي﴾ ذوي الأيدي، وهي جمع يد، بمعنى الجارحة في الأصل أريد بها القوة مجازاً بمعونة المقام، وذلك لكونها سبب التقوى على أكثر الأعمال. وبها يحصل البطش والقهر، ولم تجمع القوة لكونها مصدراً يتناول الكثير. ﴿والأبصار﴾ جمع بصر. حمل على بصر القلب ويسمى البصيرة، وهي القوة التي يتمكن بها الإنسان من إدراك المعقولات.

قال في «المفردات»: البصر يقال للجارحة الناظرة، وللقوة التي فيها يقال لقوة القلب المدركة: بصيرة وبصر، ولا يكاد يقال للجارحة بصيرة. وجمع البصر: أبصار. وجمع البصيرة: بصائر. والمعنى: ذوي القوة في الطاعة والبصيرة في أمور الدين.

ويجوز أن يراد بالأيدي الأعمال الجليلة لأن أكثر الأعمال تباشر بها، فغلب الأعمال بالأيدي على سائر الأعمال التي تباشر بغيرها، وأن يراد بالأبصار المعارف والعلوم الشريفة؛ لأن البصر والنظر أقوى مباديها، وهم أرباب الكمالات العملية والنظرية، والذين لا يفكرون فكر ذوي الديانات في حكم من لا استبصار لهم.

وفيه تعريض بالجهلة البطالين، وأنهم كالزمنى والعميان حيث لا يعملون عمل الآخرة ولا يستبصرون في دين الله وتوبيخ على تركهم المجاهدة والتأمل مع تمكنهم منهما. وفي المثنوي:

أنـدريـن ره مـي تـراش ومـي خـراش تـا دم آخـر دمـي فـارغ مـبـاش

﴿إنا أخلصناهم بخالصة﴾ تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة. والتنكير للتفخيم؛ أي: إنا جعلناهم لنا بخصلة خالصة عظيمة الشأن لا شوب فيها. ﴿ذكرى الدار﴾ مصدر بمعنى التذكر مضاف إلى مفعوله، وهو خبر مبتدأ محذوف. والجملة صفة خالصة.

والتقدير: هي تذكرهم للدار الآخرة دائماً ولا همّ لهم غيرها وإطلاق الدار يعني مراداً بها الدار الآخرة للإشعار بأنها الدار في الحقيقة وإنما الدنيا معبر.

فإن قيل: كيف يكونون خالصين لله تعالى وهم مستغرقون في الطاعة، وفيما هو سبب لها، وهو تذكر الآخرة.

قلت: إن استغراقهم في الطاعة إنما هو لاستغراقهم في الشوق إلى لقاء الله، ولما لم يكن ذلك إلا في الآخرة، استغرقوا في تذكرها وفي الآخرة: [آن ياد كردن سراى آخر تست جه مطمح نظر أنبيا جزفوز بلقاى حضرت كبريا نيست وآن در آخرت ميسر شود].

وفي «التأويلات النجمية»: إنا صفيناهم عن شوب صفات النفوس وكدورة الأنانية وجعلناهم لنا خالصين بالمحبة الحقيقية ليس لغيرنا فيهم نصيب ولا يميلون إلى الغير بالمحبة العارضة لا إلى أنفسهم ولا إلى غيرهم بسبب خصلة خالصة غير مشوبة بهمّ آخر هي ذكرى الدار الباقية، والمقر الأصلي؛ أي: استخلصناهم لوجهنا بسبب تذكرهم لعالم القدس وإعراضهم عن معدن الرجس مستشرفين لأنواره لا التفات لهم في الدنيا وظلماتها أصلاً. انتهى.

يقول الفقير: أراد أن الدنيا ظلمة؛ لأنها مظهر جلاله تعالى والآخرة نور؛ لأنها مجلى جماله تعالى. والتاء: للتخصيص. والأصل: الآخر الذي هو الله تعالى، ولذا يرجع العباد إليه بالآخرة.

﴿وإنهم عندنا لمن المصطفين﴾. قوله: عند ظرف لمحذوف دل عليه المصطفين، ولا يجوز أن يكون معمولاً لقوله: من المصطفين؛ لأن الألف واللام فيه بمعنى الذي. وما في حيز الصلة لا يتقدم على الموصول.

والمصطفين: بفتح الفاء والنون جمع مصطفى. أصله: مصطفيين بالياءين وبكسر الأولى. والمعنى لمن المختارين من أمثالهم ﴿الأخيار﴾ المصطفين عليهم في الخير.

وفي «التأويلات النجمية»: وأنهم في الحضرة الواحدية لمن الذين اصطفيناهم لقربنا من بني نوعهم الأخيار المنزهين عن شوائب الشر والإمكان والعدم والحدثان. انتهى.

وذكر العندية وقرن بها الاصطفائية إشارة إلى أن الاصطفائية في العبودية أزلية قبل وجود الكون فشرفهم خاص وموهبة خالصة بلا علل.

والأخيار: جمع خير كشر وأشرار على أنه اسم تفضيل أو خير بالتشديد أو خير بالتخفيف كأموات جمع: ميت وميت.

﴿وَٱذۡكُرۡ إِسۡمَٰعِيلَ وَٱلۡيَسَعَ وَذَا ٱلۡكِفۡلِۖ وَكُلّٞ مِّنَ ٱلۡأَخۡيَارِ ﴿٤٨﴾ هَٰذَا ذِكۡرٞۚ وَإِنَّ لِلۡمُتَّقِينَ لَحُسۡنَ مَـَٔابٖ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدۡنٖ مُّفَتَّحَةٗ لَّهُمُ ٱلۡأَبۡوَٰبُ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿واذكر إسماعيل﴾ بن إبراهيم عليهما السلام، وليس هو بأشموئيل بن هلقاثان على ما قال قتادة. وإنما فصل ذكره عن ذكر أبيه وأخيه للإشعار بعراقته في الصبر الذي هو المقصود بالتذكر، وذلك لأنه أسلم نفسه للذبح في سبيل الله، أو ليكون أكثر تعظيماً، فإنه جد أفضل الأنبياء والمرسلين. ﴿واليسع﴾ هو ابن أخطوب من العجوز استخلفه إلياس عليه السلام على بني إسرائيل، ثم استنبىء ودخل اللام على العلم لكونه منكراً بسبب طرو الاشتراك عليه فعرف باللام العهدية على إرادة اليسع الفلاني مثل قول الشاعر:

رأيت الوليد بن اليزيد مباركا

﴿وذا الكفل﴾: هو ابن عم يسع أو يشير بن أيوب عليه السلام بعث بعد أبيه إلى قوم في الشام.

واختلف في نبوته. والأكثرون على أنه نبي لذكره في سلك الأنبياء، واختلف أيضاً أنه إلياس، أو يوشع، أو زكريا، أو غيرهم. وإنما لقب بذي الكفل؛ لأنه فرّ إليه مائة نبي من بني إسرائيل من القتل فآواهم وكفلهم بمعنى: أطعمهم وكساهم وكتمهم من الأعداء.

وفي «التأويلات النجمية»: قيل: إن اليسع وذا الكفل كانا أخوين، وذو الكفل تكفل بعمل رجل صالح مات في وقته كان يصلي لله كل يوم مائة صلاة، فأحسن الله إليه الثناء. ﴿وكل﴾؛ أي: وكلهم على أن لا يكونوا بدلاً منهم ﴿من الأخيار﴾ المشهورين بالخيرية.

والآيات تعزية وتسلية للنبي ﷺ، فإن الأنبياء عليهم السلام إذا اجتهدوا في الطاعات وقاسوا الشدائد والآفات وصبروا على البلايا والأذيات من أعدائهم مع أنهم مفضولون، فالنبي عليه السلام أولى بذلك لكونه أفضل منهم والأفضل يقاسي ما لا يقاسي المفضول إذ به تتم رتبته وتظهر رفعته.

قال في «كشف الأسرار»: [اسما دختر صديق رضي الله عنها روايت كندكه مصطفى عليه السلام روزى در انجمن قريش بكذشت يكى از ايشان برخاست كفت تويى كه خدايان مارا بد ميكويى ودشنام مى دهى رسول خدا كفت من ميكويم كه معبود عالميان يكيست بي شريك وبي نظير شما در برستش اصنام برباطليد ايشان همه بيكبار هجوم كردند ودر رسول آو يختندن واورا ميزدند اسما كفت اين ساعت يكى آمد بدر سراى أبو بكر وكفت «أدرك صاحبك» صاحب خويش را در ياب كه در زخم دشمنانى كرفتارست أبو بكر بشتاب رفت وبا ايشان كفت «ويلكم أتقتلون رجلاً أن يقول ربي الله وقد جاءكم بالبينات من ربكم» ايشان رسول رابكذاشتند وأبو بكر را بيمحابا زدند وأبو بكر كيسوان داشت جون بخانه باز آمدد ست بكيسوان فرو مى آورد وموى بدست وبازمى آمد وميكفت «تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام» رب العالمين اين همه رنج وبلا بردوستان نهد كه از ايشان دوجيز دوست دارد جشمى كريان ودلى بريان ودوست داردكه بنده مى كريد واورا دران كريه مى ستايدكه «ترى أعينهم تفيض من الدمع» ودوست دارد كه بنده مى نالد وبردركاه او مى زارد واوراد آن مى ستايدكه]. وجلت قلوبهم. وفي المثنوي:

باسياستهاى جاهل صبركن خوش مدارا كن بعقل من لدن
صبر برنا اهل اهلا نراجليست صبر صافي ميكندهر جادليست
آتش نمرود إبراهيم را صفوت آينه آمد در جلا
جور كفر نوحيان وصبر نوح نوح را شد صيقل مرآت نوح
أنبيا رنج خسان بس ديده اند از جنين ماران بسى بيجيده اند
روبكش خندان وخوش بار حرج از بى الصبر مفتاح الفرج

اللهم أعنا على الصبر ﴿هذا﴾ المذكور من الآيات الناطقة بمجالس الأنبياء ﴿ذكر﴾؛ أي: شرف لهم وذكر جميل يذكرون به أبداً كما يقال: يموت الرجل ويبقى اسمه وذكره، ويموت الفرس ويبقى ميدانه:

ياد كارست جون حديث بشر ياد كارت بخير به كه بشر

وفي التفسير الفارسي: [اين خبر انبيا سبب ياد كردست ترا اي محمد وقوم ترا]. كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ﴾ [الزخرف: ٤٤]. وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هذا ذكر من مضى من الأنبياء.

وفي «التأويلات النجمية»: هذا؛ أي: القرآن فيه ذكر ما كان، وذكر الأنبياء وقصصهم لتعتبر بهم وتقتدي بسيرهم. ﴿وإن للمتقين﴾ الذين يتقون الله لا ما سواه وهذا لأن جنات عدن مقام أهل الخصوص ﴿لحسن مآب﴾، مرجع في الآخرة مع ما لهم في الدنيا من الثناء الجميل، وهو من إضافة الصفة إلى الموصوف؛ أي: مآباً حسناً.

﴿جنات عدن﴾ عطف بيان لحسن مآب.

وأصل العدن في اللغة: الإقامة ثم صار علماً بالغلبة. روى أبو سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إن الله تعالى بنى جنة عدن بيده وبناها بلبنة من ذهب ولبنة من فضة وجعل ملاطها المسك وترابها الزعفران وحصباءها الياقوت، ثم قال لها: تكلمي فقالت: قد أفلح المؤمنون. قالت الملائكة طوبى لك منزل الملوك».

يقول الفقير: دل الحديث على أن جنة عدن مقر الخواص والمقربين الذين هم بمنزلة الملوك من الرعايا ودل عليه الإطلاق في قوله أيضاً: قد أفلح المؤمنون؛ لأن الله تعالى عقب في القرآن قوله: ﴿قَدْ أَفْلَحَ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝١﴾ [المؤمنون: ١] بصفات جليلة لا تتيسر إلا للخواص، فأين السياس من منازل السلاطين. ﴿مفتحة﴾؛ أي: حال كون تلك الجنات مفتحة. ﴿لهم الأبواب﴾ منها، والأبواب: مفعول مفتحة؛ أي: إذا وصلوا إليها وجدوها مفتوحة الأبواب لا يحتاجون إلى فتح بمعاناة ولا يلحقهم ذل الحجاب ولا كلفة الاستئذان تستقبلهم الملائكة بالتبجيل والترحيب والإكرام يقولون: سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار.

وقيل: هذا مثل كما تقول: متى جئتني وجدت بابي مفتوحاً لا تمنع من الدخول. فإن قيل: ما فائدة العدول عن الفتح إلى التفتيح.

قلنا: المبالغة وليست لكثرة الأبواب بل لعظمها كما ورد من المبالغة في وسعها وكثرة الداخلين، ويحتمل أن يكون للإشارة إلى أن أسباب فتحها عظيمة شديدة؛ لأن الجنة قد حفت بالمكاره على وجه ما رآها جبرائيل عليه السلام مع عظمة نعيمها، قال: يا رب أنى هذه لا يدخلها أحد.

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ ﴿٥١﴾ ۞ وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ أَتْرَابٌ ﴿٥٢﴾ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٥٣﴾ إِنَّ هَٰذَا لَرِزْقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿متكئين فيها﴾، حال من لهم؛ أي: حال كونهم جالسين فيها جلسة المتنعمين للراحة ولا شك أن الاتكاء على الأرائك دليل التنعم ثم استأنف لبيان حالهم في الجنات، فقال: ﴿يدعون فيها﴾. [مى خوانند دران بهشتها]. ﴿بفاكهة كثيرة﴾؛ أي: بألوان الفاكهة، وهي ما يؤكل للذة لا للغذاء والاقتصار على دعاء الفاكهة للإيذان بأن مطاعمهم لمحض التفكه والتلذذ دون التغذي، فإنه لتحصيل بدل المتحلل ولا تحلل فيها. ﴿وشراب﴾؛ أي: ويدعون فيها أيضاً بشراب. وقيل: تقديره: وشراب كثير فحذف اكتفاء بالأول؛ أي: يدعون بشراب كثير بمعنى ألوانه.

يقال: نطق القرآن بعشرة أشربة في الجنة منها: الخمر الجارية من العيون وفي الأنهار.

ومنها: العسل واللبن وغيرهما. ولا شك أن الأذواق المعنوية في الدنيا متنوعة ومقتضاه تنوع التجليات الواقعة في الجنة سواء كانت تجليات شرابية أو غيرها.

﴿وعندهم﴾؛ أي: عند المتقين ﴿قاصرات الطرف﴾؛ أي: زوجات قصرن طرفهن؛ أي: نظرهن على أزواجهن لا ينظرن إلى غيرهم: يعني [زنانى كه از غير شوهر جشم باز كيرند].

قال في «كشف الأسرار»: هذا كقولهم فلانة عند فلان؛ أي: زوجته ﴿أتراب﴾ جمع: ترب بالكسرة، وهي اللدة؛ أي: من ولد معك والهاء في اللدة عوض عن الواو الذاهبة من أوله؛ لأنه من الولادة.

والمعنى: لدات أقران ينشأن معاً تشبيهاً في التساوي والتماثل بالترائب التي هي ضلوع الصدر ولوقوعهن على الأرض معاً؛ أي: يمسهن التراب في وقت واحد.

قال في «كشف الأسرار»: لدات مستويات في السن لا عجوز فيهن ولا صبية.

وقال بعضهم: لدات لأزواجهن؛ أي: هن في سن أزواجهن: يعني: [تمام زنان بهشت درسن متساوى ازواج باشند مجموع سى وسه سال] لا أصغر ولا أكبر. وفيه: أن رغبة الرجل فيمن هي دونه في السن أتم وأنه كان التحاب بين الأقران أرسخ، فلا يكون كونهن لدات لأزواجهن صفة مدح في حقهن. [وبعضى برانندكه مراد از أتراب آنست كه همه زنان متساوى باشند در حسن يعنى هيج يك را رديكرى فضلى نبود دران تاطبع بفاضله كشد واز مفضوله منصرف كردد]. وفي الخبر الصحيح: «يدخل أهل الجنة الجنة جرداً مرداً مكحلين أبناء ثلاث وثلاثين سنة»، «لكل رجل منهم زوجتان على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ ساقها من ورائها».

﴿هذا﴾؛ أي: تقول لهم الملائكة: هذا المعد من الثواب والنعيم. ﴿ما توعدون﴾ أيها المتقون على لسان النبي عليه السلام ﴿ليوم الحساب﴾؛ أي: لأجله فإن الحساب علة للوصول إلى الجزاء.

يقول الفقير: ويحتمل أن يكون التقدير: ما توعدون بوقوعه في يوم الحساب والجزاء.

﴿إن هذا﴾؛ أي: ما ذكر من ألوان النعم والكرامات. ﴿لرزقنا﴾ عطاؤنا أعطيناكموه.

﴿ما له من نفاد﴾؛ أي: ليس له انقطاع أبداً وفناء وزوال.

قال في «المفردات»: النفاد: الفناء.

قال ابن عباس رضي الله تعالى عنهما: ليس لشيء نفاد ما أكل من ثمارها خلف مكانه مثله، وما أكل من حيوانها وطيرها عاد مكانه حياً.

وفي «التأويلات النجمية»: وبقوله: ﴿**جنات عدن**﴾ إلى قوله: ﴿**ليوم الحساب**﴾ يشير إلى أن هذه الجنات بهذه الصفات مفتوحة لهم الأبواب. وأبواب الجنة بعضها مفتوحة إلى الخلق، وبعضها مفتوحة إلى الخالق لا يغلق عليهم واحد منها، فيدخلون من باب الخلق وينتفعون بما أعد لهم فيها ثم يخرجون من باب الخالق وينزلون في مقعد صدق عند مليك مقتدر لا يقيدهم نعيم الجنة ليكونوا من أهل الجنة كما لم يقيدهم نعيم الدنيا ليكونوا من أهل النار، بل أخلصهم من حبس الدارين ومتعهم بنزل المنزلين وجعلهم من أهل الله وخاصته ﴿**إن هذا لرزقنا ما له من نفاد**﴾؛ أي: هذا ما رزقناهم في الأزل، فلا نفاد له إلى الأبد. انتهى.

فعلى العاقل الإعراض عن اللذات الفانية والإقبال على الأذواق الباقية، فالفناء يوصل إلى البقاء كما أن الفقر يوصل إلى الغنى ولكل احتياج استغناء. [حكايت كنند مردى مال بسيار داشت دردلش افتادكه بازركاني كند دران كشتى كه نشسته بود بشكست ومال او جمله غرق شد واو برلوحى بماند بجزيره افتاد حالى بى مونسى ورفيقى سالها بروى آمد دلتنك كشت وغمكين شدشبى برلب دريا نشسته بود وموى باليده وجامها ازوى فروشداين بيت ميكفت].

إذا شاب الغراب أتيت أهلي وهيهات الغراب متى يشيب

[آو ازى درياشنيدكه كسى ميكفت]:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

[ديكر روز آن مردرا جشم بردريا افتاد وجيزى عظيم ديد جون نزديك آمد كشتى جو عروسى بودجون اين مردرا بديد ند كفتند حال توجيست قصة اش بكفت واز شهر ش خبر داد كفتند ترا هيج بسر بود كفت نعم وصفتش بيان كرد ايشان همه بروى افتادند وبوسه بروى دادند وكفتند اين بسر تواست واين كشتى ازان اوست ومابند كان اوييم وهرجه ازان اوست ازان توبود واورا موى فروكرند وجامهاى فاخر بوشيدند وبراحت باجايكاه خويش آوردند]. فظهر أن ذلك الرجل ظن أن نفسه هلك ورزقه نفد فوجد الله تعالى قد أعطاه حالاً أحسن من حاله الأولى؛ فإن رزقه ليس له نفاد وعطاءه غير مجذوذ.

﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٍ ﴿٥٥﴾ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ﴿٥٦﴾ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ﴿٥٧﴾ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿**هذا**﴾؛ أي: الأمر في حق المتقين هذا الذي ذكرناه.

وقال بعضهم: هذا من قبيل ما إذا فرغ الكاتب من فصل وأراد الشروع في فصل آخر منفصل عما قبله. قال هذا أي: احفظ ما كان كيت وكيت وانتظر إلى ما يجيء. ﴿**وإن للطاغين**﴾؛ أي: للذين طغوا على الله وكذبوا الرسل، يعني: للكافرين.

قال الراغب: الطغيان تجاوز الحد في العصيان ﴿**لشر مآب**﴾ مرجع في الآخرة.

﴿**جهنم**﴾ عطف بيان لشر مآب ﴿**يصلونها**﴾، حال من المنوي في للطاغين؛ أي: حال كونهم يدخلونها، ويجدون حرها يوم القيامة، ولكن اليوم مهدوا لأنفسهم، ﴿**فبئس المهاد**﴾؛

أي: جهنم: وبالفارسية: [بس بد آرامكاهيست دوزخ]. وهو: المهد والفرش مستعار من فراش النائم إذ لا مهاد في جهنم ولا استراحة، وإنما مهادها نار وغواشيها نار كما قال تعالى: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ﴾ [الأعراف: ٤١]؛ أي: فراش من تحتهم، ومن تجريدية. ﴿وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١]؛ أي: أغطية: يعني: [زيروزبر ايشبان آتش باشد].

﴿هذا فليذوقوه﴾؛ أي: ليذوقوا هذا العذاب، فليذوقوه. والذوق: وجود الطعم بالفم وأصله في القليل لكنه يصلح للكثير الذي يقال له: الأكل وكثر استعماله في العذاب تهكماً. ﴿حميم﴾؛ أي: هو حميم وهو الماء الذي انتهى حره: يعني [آن آب كرم است درنهايت حرارت جون بيش لب رسد ويرا بسوزد وجون بخورند دو باره شود]. ﴿وغساق﴾: ما يغسق من صديد أهل النار؛ أي: يسيل من غسقت العين سال دمعها.

قال الكاشفي: [مراد ريم است كه از كوشت وبوست دوزخيان واز فروج زانيان سيلان ميكند آنرا جمع كرده بديشان مى خورانند].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هو الزمهرير يحرقهم برده كما يحرقهم النار بحرّها.

وفي «القاموس»: الغساق كسحاب وشداد البارد المنتن فلو قطرت منه قطرة في المشرق لنتنت أهل المغرب، ولو قطرت قطرة في المغرب لنتنت أهل المشرق.

وعن الحسن: هو عذاب لا يعلمه إلا الله إن ناساً اخفوا لله طاعة فأخفى لهم ثواباً في قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم﴾ [السجدة: ١٧]. وأخفوا معصية فأخفى لهم عقوبة.

وقيل: هو مستنقع في جهنم يسيل إليه سم كل ذي سم من عقرب وحية يغمس فيه الآدمي فيسقط جلده ولحمه عن العظام.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿هذا﴾ الذي مهدوا اليوم ﴿فليذوقوه﴾ يوم القيامة، يعني قد حصلوا اليوم معنى صورته ﴿حميم وغساق﴾ يوم القيامة ولكن مذاقهم بحيث لا يجدون ألم عذاب ما حصلوه بسوء أعمالهم فليذوقوه يوم القيامة:

هركه أونيك ميكند يابد   نيك وبدهر كه ميكند يابد

فإذا تنعم المؤمنون بالفاكهة والشراب تعذب الكافرون بالحميم والغساق.

﴿وآخر﴾ ومذوق آخر أو عذاب آخر ﴿من شكله﴾؛ أي: من مثل هذا المذوق أو العذاب في الشدة والفظاعة. ﴿أزواج﴾ قوله: آخر مبتدأ وأزواج: مبتدأ ثان. ومن شكله: خبر لأزواج. والجملة خبر المبتدأ الأول وأزواج؛ أي: أجناس؛ لأنه يجوز أن يكون ضروباً: يعني [اين عذاب كونا كونست أما همه متشابه يكديكرند در تعذيب وإيلام].

وفي «التأويلات النجمية»: أي فنون أخر مثل ذلك العذاب يشير به إلى أن لكل نوع من المعاصي نوعاً آخر من العذاب كما أن كل بذر يزرعونه يكون له ثمرة تناسب البذر:

همينت بسندست اكر بشنوى   كه كرخار كارى سمن ندروى

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ ﴿٦١﴾﴾.

﴿هذا فوج مقتحم معكم﴾: الفوج: الجماعة والقطيع من الناس. وأفاج: أسرع وعدا وندّ.

قال الراغب: الفوج الجماعة المارة المسرعة، وهو مفرد اللفظ، ولذا قيل: مقتحم لا مقتحمون. والاقتحام: الدخول في الشيء بشدة والقحمة: الشدة.

قال في «القاموس»: قحم في الأمر كنصر قحوماً رمى بنفسه فيه فجأة بلا رؤية.

والمعنى: يقول الخزنة لرؤساء الطاغين إذا دخلوا النار مشيرين إلى الأتباع الذين أضلوهم هذا؛ أي: الأتباع فوج تبعكم في دخول النار بالاضطرار كما كانوا قد تبعوكم في الكفر والضلالة بالاختيار، فانظروا إلى أتباعكم لم يحصل بينكم وبينهم تناصر، وانقطعت مودتكم وصارت عداوة.

قيل: يضرب الزبانية المتبوعين والأتباع معاً بالمقامع، فيسقطون في النار خوفاً من تلك المقامع، فذلك هو الاقتحام: وبالفارسية: [اين كردهست كه در آمد كانند در دوزخ برنج وسختى باشما هركه أز روى حرص وشهوت جايى نشيندكه خواهد بجاى كشندش كه نخواهد].

﴿لا مرحباً بهم﴾ مصدر بمعنى الرحب، وهو السعة، وبهم بيان للمدعو وانتصابه على أنه مفعول به لفعل مقدر؛ أي: لا يصادفون رحباً وسعة أو لا يأتون رحب عيش ولا وسعة مسكن، ولا غيره. وحاصله: لا كرامة لهم، أو على المصدر؛ أي: لا رحبهم عيشهم ومنزلهم رحباً، بل ضاق عليهم: وبالفارسية: [هيج مرحبا مباد ايشانرا]. يقول الرجل لمن يدعوه مرحباً؛ أي: أتيت رحباً من البلاء، وأتيت واسعاً وخيراً كثيراً.

قال الكاشفي: [مرحبا كلمه ايست براى اكرام مهمان ميكويند].

وقال غيره: يقصد به إكرام الداخل وإظهار المسرة بدخوله، ثم يدخل عليه كلمة لا في دعاء السوء.

وفي بعض شروح الحديث التكلم بكلمة مرحباً سنة اقتداء بالنبي ﷺ حيث قال: «مرحباً يا أم هانىء» حين ذهبت إلى رسول الله ﷺ عام الفتح، وهي بنت أبي طالب أسلمت يوم الفتح، ومن أبواب الكعبة باب أم هانىء لكون بيتها في جانب ذلك الباب، وقد صحّ أنه عليه السلام عرج به من بيتها كما قال المولى الجامي:

جو دولت شد زبد خواهان نهانى سوى دولت سراى أم هانى

﴿إنهم صالو النار﴾ تعليل من جهة الخزنة لاستحقاقهم الدعاء عليهم؛ أي: داخلون النار بأعمالهم السيئة وباستحقاقهم. ﴿قالوا﴾؛ أي: الأتباع عند سماع ما قيل في حقهم. ﴿بل أنتم لا مرحباً بكم﴾ [بلكه شما مرحبا مباد شمارا بدين نفرين سزاوار تريد]. خاطبوا الرؤساء مع أن الظاهر أن يقولوا بطريق الاعتذار إلى الخزنة، بل هم لا مرحباً بهم قصداً منهم إلى إظهار صدقهم بالمخاصمة مع الرؤساء والتحاكم إلى الخزنة طمعاً في قضائهم بتخفيف عذابهم، أو تضعيف عذاب خصمائهم؛ أي: بل أنتم أيها الرؤساء أحق بما قيل لنا من جهة الخزنة لإغوائكم إيانا مع ضلالكم في أنفسكم. ﴿أنتم قدمتموه لنا﴾ تعليل لأحقيتهم بذلك؛ أي: أنتم قدمتم العذاب أو الصليّ لنا وأوقعتمونا فيه بتقديم ما يؤدي إليه من العقائد الزائغة، والأعمال السيئة وتزيينها في أعيننا وإغرائنا عليها لا أنا باشرنا من تلقاء أنفسنا. وذلك أن سبب عذاب الأتباع هو تلك العقائد والأعمال والرؤساء لم يقدموها، بل الذين قدموها هم الأتباع باختيارهم إياها واتصافهم بها، والذي قدمه الرؤساء لهم ما يحملهم عليها من الإغواء والإغراء عليها،

وهذا القدر من السببية كاف في إسناد تقديم العذاب أو الصليّ إلى الرؤساء.

﴿فبئس القرار﴾؛ أي: فبئس المقر جهنم قصدوا بذمها جناية الرؤساء عليهم. ﴿قالوا﴾؛ أي: الأتباع معرضين عن خصومتهم متضرعين إلى الله. ﴿ربنا من قدم لنا هذا﴾ العذاب أو الصليّ.

وفي «التفسير» الفارسي: [هركه فرا بيش داشت براى ما اين كفر وضلال ومارا ازراه حق بلغزانيد]. ﴿فزده عذاباً ضعفاً في النار﴾. [بس زياده كن أورا عذابي دوباره در آتش يعني آن مقدار عذاب كه دارد آنرا دوجندان كن]. ومن يجوز أن تكون شرطية وفزده جوابها، وأن تكون موصولة بمعنى الذي مرفوعة المحل على الابتداء والخبر، فزده، والفاء: زائدة لتضمن المبتدأ معنى الشرط، وضعفاً صفة لعذاباً بمعنى مضاعفاً. وفي النار ظرف لزده، أو نعت لعذاباً.

قال الراغب: الضعف من الأسماء المتضايفة التي يقتضي وجود أحدها وجود الآخر كالضعف والزوج، وهو تركب قدرين مساويين ويختص بالعدد، فإذا قيل: ضعفت الشيء وضاعفته؛ أي: ضممت إليه مثله فصاعداً، فمعنى عذاباً ضعفاً؛ أي: عذاباً مضاعفاً؛ أي: ذا ضعف بأن يزيد عليه مثله، ويكون ضعفين؛ أي: مثلين، فإن ضعف الشيء وضعفيه مثلاه كقولهم ربنا وآتهم ضعفين من العذاب.

فإن قلت: كل مقدار يعرض من العذاب، إن كان بقدر الاستحقاق لم يكن مضاعفاً، وإن كان زائداً عليه كان ظلماً، فكيف يجوز سؤاله من الله تعالى يوم القيامة.

قلت: إن المسؤول من التضعيف ما يكون بقدر الاستحقاق بأن يكون أحد الضعفين بمقابلة الضلال، والآخر بمقابلة الإضلال. قال عليه السلام: «من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة». ونظيره أن الكافرين إذا قتل أحدهما وزنى دون الآخر، فهما متساويان في وزر الكفر. وأما القاتل والزاني، فعذابه مضاعف لمضاعفة عمله السيىء.

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: العذاب الضعف هو الحيات والأفاعي. وذلك المضل آذى روح من أضله في الدنيا، فسلط الله عليه المؤذي في الآخرة، لأن الجزاء من جنس العمل.

فعلى العاقل إصلاح الباطن وتزكيته من الأخلاق الذميمة، والأوصاف القبيحة وإصلاح الظاهر وتحليته عن الأقوال الشنيعة، والأعمال الفظيعة، ولا يغتر بالقرناء السوء فإنهم منقطعون غداً عن كل خلة ومودة، ولا ينفع لأحد إلا القلب السليم والعلم النافع والعمل الصالح:

بضاعت بجندانكه آرى برى ... وكر مفلسى شر مسارى برى

اللهم اجعلنا من أهل الرحمة لا من أهل الغضب.

﴿وَقَالُواْ مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿وقالوا﴾؛ أي: الطاغون مثل أبي جهل وأضرابه: وبالفارسية: [وكويند صناديد قريش دردوزخ]. ﴿ما لنا﴾ [جيست مارا امروز]. وما: استفهامية مبتدأ ولنا خبره، وهو مثل قوله: ﴿مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ﴾ [النمل: ٢٠] في أن الاستفهام محمول على التعجب لا على حقيقته إذ لا معنى لاستفهام العاقل عن نفسه. ﴿لا نرى رجالاً﴾ الفعل المنفي حال من معنى الفعل في ما

لنا كما تقول ما لك قائماً بمعنى ما تصنع قائماً؛ أي: ما نصنع حال كوننا غير رائين رجالاً.

والمعنى؛ أي حال لنا لا نرى في النار رجالاً ﴿**كنا**﴾ في الدنيا ﴿**نعدّهم من الأشرار**﴾ يعني [از بدان ومردودان]، جمه شر، وهو الذي يرغب عنه الكل كما أن الخير هو الذي يرغب فيه الكل يعنون فقراء المسلمين كانوا يسترذلونهم ويسخرون منهم مثل صهيب الرومي وبلال الحبشي وسلمان الفارسي وحباب وعمار وغيرهم من صعاليك المهاجرين الذين كانوا يقولون لهم: هؤلاء منّ الله عليهم من بيننا سموهم أشراراً، إما بمعنى الأراذل والسفلة الذين لا خير فيهم ولا جدوى، كما قال هذا من شر المتاع، أو لأنهم كانوا على خلاف دينهم فكانوا عندهم أشراراً.

﴿**أتخذناهم سخرياً**﴾ بقطع الهمزة على أنها استفهام. والأصل أاتخذناهم حذفت همزة الوصل للاستغناء عنها بهمزة الاستفهام. وسخرياً: بضم السين وكسرها مصدر سخر.

قال في «القاموس»: سخر؛ أي: هزىء كاستسخر، والاسم: السخرية، والسخرى ويكسر. انتهى.

زيد فيه ياء النسبة للمبالغة، لأن في ياء النسبة زيادة قوة في الفعل كما قيل: الخصوصية في الخصوص قالوه إنكاراً على أنفسهم، ولو مالها في الاستخبار منهم، فمعنى الاستفهام: الإنكار والتوبيخ والتعنيف واللوم: وبالفارسية: [ما ايشانرا كرفتيم مهزوء بهم]. ﴿**أم زاغت عنهم الأبصار**﴾. يقال: زاغ؛ أي: مال عن الاستقامة وزاغ البصر كل وأم متصلة معادلة لاتخذناهم.

والمعنى؛ أي الأمرين فعلنا بهم الاستسخار منهم أم الازدراء بهم وتحقيرهم؛ فإن زيغ البصر وعدم الالتفات إلى الشيء من لوازم تحقيره فكني به عنه.

قال الحسن: كل ذلك قد فعلوا اتخذوهم سخرياً، وزاغت عنهم أبصارهم محقرة لهم.
والمعنى: إنكار كل واحد من الفعلين على أنفسهم توبيخاً لهم.

ويجوز أن تكون أم منقطعة. والمعنى: اتخذناهم سخرياً، بل زاغت عنهم أبصارنا في الدنيا تحقيراً لهم، وكانوا خيراً منا ونحن لا نعلم على معنى توبيخ أنفسهم على الاستسخار، ثم الإضراب، والانتقال منه إلى التوبيخ على الازدراء والتحقير [در آثار آمده كه حق سبحانه وتعالى آن كروه فقرارا برغرفات بهشت جلوه دهد تاكفار ايشانرا بينند وحسرت ايشان زياده شود].

﴿**إن ذلك**﴾ الذي حكي من أحوالهم. ﴿**لحق**﴾ لا بد من وقوعه البتة. ﴿**تخاصم أهل النار**﴾: خبر مبتدأ محذوف. والجملة بيان لذلك؛ أي: هو تخاصم إلخ، يعني تخاصم القادة والأتباع: وبالفارسية: [جنك وجدل كردن أهل دوزخ وماجراى ايشان]. وهذا إخبار عما سيكون وسمي ذلك تخاصماً على تشبيه تقاولهم، وما يجري بينهم من السؤال والجواب بما يجري بين المتخاصمين من نحو ذلك.

وفي «التأويلات النجمية» وبقوله: ﴿**وقالوا ما لنا**﴾ الخ، يشير إلى تخاصم أهل النار مع أنفسهم يسخرون بأنفسهم كما كانوا يسخرون بالمؤمنين، فيقولون: ﴿**ما لنا لا نرى رجالاً كنا نعدهم من الأشرار أتخذناهم سخرياً**﴾، وما كانوا من الأشرار. ﴿**أم زاغت عنهم الأبصار**﴾ فلا نراهم معنا وهم ها هنا. ﴿**إن ذلك**﴾ التخاصم ﴿**لحق**﴾ مع أنفسهم ﴿**تخاصم أهل النار**﴾ من الندامة حين لا ينفعهم التخاصم ولا الندامة. انتهى.

وفي الآية ذم، وفي الحديث: «اتخذوا الأيادي عند الفقراء قبل أن تجيء دولتهم، فإذا كان يوم القيامة يجمع الله الفقراء والمساكين، فيقال: تصفحوا الوجوه، فكل من أطعمكم لقمة أو سقاكم شربة، أو كساكم خرقة، أو دفع عنكم غيبة، فخذوا بيده وأدخلوه الجنة»: قال الحافظ:

ازكر ان تابكران لشكر ظلمست ولى   از ازل تابايد فرصت درويشانست

وفي الحديث: «ملوك الجنة كل أشعث أغبر إذا استأذنوا في الدنيا لم يؤذن لهم، وإن خطبوا النساء لم ينكحوا، وإذا قالوا لم ينصت لقولهم، ولو قسم نور أحدهم بين أهل الأرض لوسعهم»، كذا في «أنيس المنقطعين»: قال الحافظ:

نظر كردن بدر ويشان منافى بزركى نيست   سليمان باجنان حشمت نظر هابود بامورش

اللهم اجعل حليتنا حب الفقراء واحشرنا في الدنيا والآخرة مع الفقراء.

﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌۖ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿قل﴾ يا محمد لمشركي مكة **﴿إنما أنا منذر﴾** رسول منذر من جهته تعالى أنذركم وأحذركم عذابه على كفركم ومعاصيكم. وقل أيضاً: **﴿وما من إله﴾** في الوجود **﴿إلا الله الواحد﴾** الذي لا يقبل الشركة والكثرة أصلاً؛ أي: لا في ذاته ولا في صفاته ولا في أفعاله، فلا ملجأ ولا مفر إلا إليه، يعني من عرف أنه الواحد أفرد قلبه له، فكان واحداً به. وقد فسر قوله عليه السلام: «إن الله وتر يحب الوتر»، يعني: القلب المنفرد له:

إذا كان ما تهواه في الحسن واحداً   فكن واحداً في الحب إن كنت تهواه

ومن خاصية هذا الاسم أن من قرأها ألف مرة خرج الخلائق من قلبه **﴿القهار﴾** لكل شيء سواه، ومن الأشياء آلهتهم، فهو يغلبهم، فكيف تكون له شركاء، وأيضاً يقهر العباد بذنوبهم ومعاصيهم.

قال الكاشفي: [قهر كننده كه بناى آمال را بقواصف آجال درهم شكند باشركت متوهم وكثرت بي اعتبار را في نفس الأمر وجود ندارد در نظر عارف مضمحل ومتلاشى سازد]:

غيرتش غير درجهان نكذاشت   وحدتش اسم اين وآن برداشت

كم شود جمله ظلمت بندار   نزد أنوار واحد قهار

يقول الفقير: سمعت من حضرة شيخي وسندي قدس سره، يقول: في هذه الآية ترتيب أنيق، فإن الذات الأحدية تدفع بوحدتها الكثرة وبقهرها الآثار، فيضمحل الكل، فلا يبقى سواه تعالى.

قال بعضهم: القهار الذي له الغلبة التامة على ظاهر كل أمر وباطنه، ومن عرف قهره لعباده نسي مراد نفسه لمراده، فكان له، وبه لا لأحد سواه، ولا شيء دونه.

وخاصية هذا الاسم إذهاب حب الدنيا وعظمة ما سوى الله تعالى عن القلب، ومن أكثر ذكره ظهرت له آثار القهر على عدوه، ويذكر عند طلوع الشمس، وجوف الليل لإهلاك الظالم بهذه الصفة: يا جبار، يا قهار، يا ذا البطش الشديد مرة ثم تقول: خذ حقي ممن ظلمني وعدا عليّ.

وفي «الأربعين الإدريسية»: يا قاهر، ذا البطش الشديد الذي لا يطاق انتقامه يكتب على

جام صيني لحل المعقود وعلى ثوب الحرب في وقته لقهر الأعداء وغلبة الخصوم.

﴿رب السماوات والأرض وما بينهما﴾ من المخلوقات؛ أي: مالك جميع العوالم، فكيف يتوهم أن يكون له شريك. ﴿العزيز﴾ الذي لا يغلب في أمر من أموره. وأيضاً العزيز بالانتقام من المجرمين، فالعزة لله تعالى. وبه التعزز أيضاً، كما قيل: ليكن بربك عزك تستقر وتثبت، فإن أعززت بمن يموت، فإن عزك يموت.

قال الشيخ أبو العباس المرسي رحمه الله: والله ما رأيت العز إلا في رفع الهمة عن المخلوقين.

وخاصية هذا الاسم أن من ذكره أربعين يوماً في كل يوم أربعين مرة أعانه الله وأعزه، فلم يحوجه لأحد من خلقه.

وفي «الأربعين الإدريسية»: يا عزيز المنيع الغالب على أمره، فلا شيء يعادله.

قال السهروردي: من قرأه سبعة أيام متواليات كل يوم ألفاً أهلك الله خصمه، وإن ذكره في وجه العسكر سبعين مرة، ويشير إليهم بيده، فإنهم ينهزمون. ﴿الغفار﴾: المبالغ في المغفرة والستر والمحو لمن تاب وآمن وعمل صالحاً.

قال بعضهم: الغفار كثير المغفرة لعباده، والمغفرة: الستر على الذنوب وعدم المؤاخذة بها. وما جاء على فعال فإشعار بترداد الفعل. وفي الحديث: «إذا قال العبد يا رب اغفر لي قال الله: أذنب عبدي ذنباً، فعلم أن له رباً يغفر الذنب، ويأخذ به أشهدكم أني قد غفرت له».

وخاصية هذا الاسم وجود المغفرة، فمن ذكره إثر صلاة الجمعة مائة مرة ظهرت له آثار المغفرة. وقد قال رسول الله ﷺ: «من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ويرزقه من حيث لا يحتسب».

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ إذا تضوّر من الليل قال: «لا إله إلا الله الواحد القهار رب السماوات والأرض وما بينهما العزيز الغفار». ومعنى تضوّر: تلوّى إذا قام من النوم.

وفي «تاج المصادر»: [التضور: برخويشتن بيجيدن ازكر سنكى يا از زخم]. وفي هذه الأوصاف الجارية على اسم الله تعالى تقرير للتوحيد، فإن إجراء الواحد عليه يقرر وحدانيته وإجراء القهار العزيز عليه وعيد للمشركين، وإجراء الغفار عليه وعد للموحدين وتنبيه ما يشعر بالوعيد من وصفي القهر وتقديم وصف القهارية على وصف الغفارية لتوفية مقام الإنذار حقه.

﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَىٰ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿قل هو﴾؛ أي: القرآن وما أنبأكم به من أمر التوحيد والنبوة وأخبار القيامة والحشر والجنة والنار وغيرها. ﴿نبأ عظيم﴾ وشأن جسيم؛ لأنه كلام الرب القديم وارد من جانبه الكريم يستدل به على صدقي في دعوى النبوة. والنبأ: ما أخبر النبي عليه السلام عن الله تعالى، ولا يستعمل إلا في خبر ذي فائدة عظيمة.

﴿أنتم عنه معرضون﴾ لا تتفكرون فيه وتعدونه كذباً لغاية ضلالتكم وغاية جهالتكم، فلذا لا تؤمنون به مع عظمته وكونه موجباً للإقبال الكلي عليه، وتلقيه بحسن القبول، فالتصديق فيه نجاة، والكذب فيه هلكة.

﴿ما كان لي﴾ قرأ حفص عن عاصم بفتح الياء والباقون بإسكانها؛ أي: ما كان لي فيما سبق. ﴿من علم﴾؛ أي: علم ما بوجه من الوجوه على ما يفيده حرف الاستغراق. ﴿بالملأ الأعلى﴾؛ أي: بحال الملأ الأعلى، وهم الملائكة وآدم عليهم السلام وإبليس عليه اللعنة، سموا بالملأ الأعلى؛ لأنهم كانوا في السماء وقت التقاول.

قال الراغب: الملأ: الجماعة يجتمعون على رأي، فيملؤون العيون رواء والنفوس جلالة وبهاء. ﴿إذ يختصمون﴾؛ أي: بحالهم وقت اختصامهم ورجوع بعضهم إلى بعض في الكلام في شأن آدم، فإن إخباره عن تقاول الملائكة، وما جرى بينهم من قولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] حين قال الله لهم: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠] على ما ورد في الكتب المتقدمة من غير سماع ومطالعة كتاب لا يتصور إلا بالوحي؛ أي: فلو لم يكن لي نبوة ما أخبرتكم عن اختصامهم وإذ متعلق بالحال المحذوف الذي يقتضيه المقام إذ المراد نفي علمه بحالهم لا بذواتهم. والحال يشمل الأقوال الجارية فيما بينهم، والأفعال أيضاً من سجود الملائكة، واستكبار إبليس وكفره.

﴿إِن يُوحَىٰ إِلَيَّ إِلَّا أَنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٧٠﴾ إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿إن﴾؛ أي: ما ﴿يوحى إليّ﴾؛ أي: من حال الملأ الأعلى وغيره من الأمور المغيبة. ﴿إلا أنما﴾ بفتح الهمزة على تقدير لأنما بإسقاط اللام. ﴿أنا نذير﴾ نبي من جهته تعالى. ﴿مبين﴾ ظاهر النظارة والنبوة بالدلائل الواضحة عبر عن النبي بالنذير، لأنه صفته وخصص النذير مع أنه بشير أيضاً؛ لأن المقام يقتضي ذلك.

قال في «كشف الأسرار»: [وكفته اند اين نبأ عظيم سه خبر ست هول مرك وحساب قيامت وآتش دوزخ يحيى بن معاذ رحمه الله كفت «لو ضربت السماوات والأرض بهذه السياط الثلاثة لانقادت خاشعة فكيف، وقد ضرب بها ابن آدم الموت والحساب والنار» [مسكين فرزند آدم أورا عقبهاى عظيم دربيش است وآنجه در كمانها مى افتد بيش امادر درياى عشق دنيا بموج غفلت جنان غرق كشسته كه نه از سابقه خويش مى انديشه نه از خاتمه كار مى ترسد هر روز بامداد فرشته ندا ميكندكه «خلقتم لأمر عظيم وأنتم عنه غافلون» دركار روزكار خود جون انديشه كند كسى زبانرا بدروغ ملوث كرده ودلرا بخلف آلوده وسر از خيانت شوريده كردانيده سرى كه موضع امانت است بخيانت سبرده دلى كه معدن تقوى است زنكار خلف كرفته زبانى كه آلت تصديق است بردروغ وقف كرده لا جرم سخن جز خداع نيست ودين جز نفاق نيست]:

إذا ما الناس جرّبهم لبيب فإني قد أكلتهمو وذاقا
فلم أر ودّهم إلا خداعاً ولم أر دينهم إلا نفاقا

[اكنون اكر ميخواهى كه درد غفلت را مداوات كنى راه توآنست كه تخته نفاق را بآب جشم كه از حسرت خيزد بشويى وبر راه كذر بادى كه از مهب ندامت بر آمد بنهى وبدبيرستان شرع شوى وسوره اخلاص بنويسى كه خداوند عالم از بندكان اخلاص درخواهد ميكويد. ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ [البينة: ٥] ومصطفى عليه السلام كفت]. اخلص العمل يجزك منه القليل. والله الموفق.

﴿إذ قال ربك للملائكة﴾ بدل من إذ يختصمون.

فإن قيل: كيف يجوز أن يقال: إن الملائكة اختصموا بهذا القول والمخاصمة مع الله تعالى كفر.

قلت: لا شك أنه جرى هناك سؤال وجواب. وذلك يشبه المخاصمة والمناظرة والمشابهة تجوّز إطلاق اسم المشبه به على المشبه، فحسن إطلاق المخاصمة على المقاولة الواقعة هناك.

فإن قلت: إن الاختصام المذكور سابقاً مسند إلى الملأ الأعلى وواقع فيما بينهم، وما وقع في جملة البدل، هو التقاول الواقع بين الله تعالى وبينهم؛ لأنه تعالى هو الذي قال لهم وقالوا له، فكيف تجعل هذه الجملة بدلاً من قوله: إذ يختصمون مبيناً ومشتملاً له.

قلت: حيث كان تكليمه تعالى إياهم بواسطة الملك صح إسناد الاختصام إلى الله تعالى لكونه سبباً آمراً، وقد سبق المراد بالملائكة في سورة الحجر فارجع. ﴿إني خالق﴾؛ أي: فيما سيأتي. ﴿بشراً﴾.

قال الراغب: عبر عن الإنسان بالبشر اعتباراً بظهور جلده من الشعر، فإن البشرة هي ظاهر الجلد بخلاف الحيوانات التي عليها الصوف أو الشعر، أو الوبر.

وقال بعضهم: أي أرباب الحقائق سمي آدم بشراً، لأنه باشره الحق سبحانه بيديه عند خلقه مباشرة لائقة بذلك الجناب مقدسة عن توهم التشبه، فإن المباشرة حقيقة هي الإفضاء بالبشرتين. ولذا كنى بها عن الجماع. ﴿من طين﴾؛ أي: من تراب مبلول.

قال بعض الكبار: من عجز وضعف كما قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤]. قالوا: مقام التراب مقام التواضع والمسكنة ومقام التواضع الرفعة والثبات، ولذا ورد: (من تواضع لله رفعه). وكان من دعائه عليه السلام: «اللهم أحيني مسكيناً وأمتني مسكيناً. ﴿فإذا سويته﴾؛ أي: صورته بالصورة الإنسانية والخلقة البشرية، أو سويت أجزاء بدنه بتعديل طبائعه كما في الجنين الذي أتى عليه أربعة أشهر، فلا بدّ لنفخ الروح من هذه التسوية البتة، كما لا بدّ لنفخ روح الحقيقة من تسوية الشريعة والطريقة، فليحافظ. ولذا قال النجم في «تأويلاته»: ﴿فإذا سويته﴾ تسوية تصلح لنفخ الروح المضاف إلى الحضرة. ﴿ونفخت فيه من روحي﴾. النفخ: إجراء الريح إلى تجويف جسم صلح لإمساكها والامتلاء بها، وليس ثمة نفخ، ولا منفوخ، وإنما هو تمثيل لإضافة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها؛ أي: فإذا أكملت استعداده، وأفضت عليه ما يحيى به من الروح التي هي من أمري وإضافته إلى نفسه لشرفه وطهارته، أو على سبيل التعظيم؛ لأن المضاف إلى العظيم عظيم كما في بيت الله وناقة الله.

وبهذا ظهر فساد ما ذهب إليه الحلولية من أن من تبعيضية، فيكون الروح جزء من الله تعالى. وذلك أنه ليس لله تعالى هذا الروح من أجزائه، وإنما روحه نفسه الرحماني. وأيضاً: إن كل ما له جزء، فهو ممكن ومحدث، والله تعالى منزه عنهما.

قال القاضي عياض رحمه الله في «الشفاء» من ادعى حلول الباري تعالى في أحد الأشخاص كان كافراً بإجماع المسلمين.

قال الراغب: الروح اسم للنفس، وذلك لكون النفس بعض الروح، فهو كتسمية النوع

باسم الجنس كتسمية الإنسان بالحيوان وجعل اسماً للجزء الذي به تحصل الحياة والتحرك واستجلاب المنافع واستدفاع المضار، وهو المذكور في قوله: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنۡ أَمۡرِ رَبِّي﴾ [الإسراء: ٨٥]. وقوله: ﴿**ونفخت فيه من روحي**﴾، وإضافته تعالى إلى نفسه إضافة ملك وتخصيصه بالإضافة تشريف له وتعظيم كقوله: ﴿وَطَهِّرۡ بَيۡتِيَ﴾ [الحج: ٢٦]. انتهى.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: إن الروح روحان: حيواني وهي التي تسميها الأطباء المزاج، وهي جسم لطيف بخاري معتدل سار في البدن الحامل لقواه من الحواس الظاهرة، والقوى الجسمانية. وهذه الروح تفنى بفناء البدن وتنعدم بالموت. وروح روحاني، وهي التي يقال لها: النفس الناطقة، ويقال لها: اللطيفة الربانية، والعقل والقلب من الألفاظ الدالة على معنى واحد لها تعلق بقوى النفس الحيوانية. وهذه الروح لا تفنى بفناء البدن وتبقى بعد الموت.

يقول الفقير: قال شيخي وسندي روح الله روحه في بعض تحريراته: اعلم أن الروح من حيث جوهره وتجرده، وكونه من عالم الأرواح المجردة مغاير للبدن متعلق به تعلق التدبير والتصرف قائم بذاته غير محتاج إليه في بقائه ودوامه، ومن حيث إن البدن صورته ومظهر كمالاته وقواه في عالم الشهادة محتاج إليه غير منفك عنه، بل سار فيه لا كسريان الحلول المشهور عند أهله، بل كسريان الوجود المطلق الحق في جميع الموجودات، فليس بينهما مغايرة من كل الوجوه بهذا الاعتبار، ومن علم كيفية ظهور الحق في الأشياء، وأن الأشياء من أي وجه عينه، ومن أي وجه غيره يعلم كيفية ظهور الروح في البدن، ومن أي وجه عينه، ومن أي وجه غيره؛ لأن الروح رب بدنه، فمن تحقق له حال الرب مع المربوب تحقق له ما ذكرنا، وهو الهادي إلى العلم والفهم. هذا كلامه قدس سره، فاحفظه ودع عنك القيل والقال.

قال السمرقندي في «بحر العلوم»: الظاهر أن هذا النفخ بغير وسط وسبب من ملك ويجوز أن يكون بوسط ملك نفخ فيه الروح بإذنه، كما صرح به النبي عليه السلام في خلق بني آدم بقوله: (يرسل الله ملكاً فينفخ فيه الروح). الحديث، وفيه كلام. انتهى.

يقول الفقير: لا يجوز ذلك، لأن مقام التشريف يأبى عنه لا سيما وقد قال: ﴿**ونفخت فيه**﴾. وقال: ﴿**خلقت بيدي**﴾، فإنه لا معنى لارتكاب التجوز في مثله. وأما أولاده، فيجوز ذلك فيهم لظهورهم بالوسائط. ومنهم عيسى عليه السلام لظهوره بوساطة أمه، فيجوز أن النافخ في حقه هو جبريل عليه السلام، وإن كان الله قد أضافه إلى نفسه في قوله: ﴿فَنَفَخۡنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [التحريم: ١٢].

ثم يقول الفقير: نفخ الروح عندي عبارة عن إظهارها في محلها وعبر عنه بالنفخ؛ لأن البدن بعد ظهور الروح فيه يكون كالمنفوخ المرتفع الممتلىء ألا ترى إلى أن الميت يبقى بعد مفارقة الروح كالخشب اليابس، ففيه رمز آخر في سورة الحجر. ثم في إضافة الروح إشارة إلى تقديم روح آدم على أرواح الملائكة وغيرها؛ لأن المضاف إلى القديم قديم، وإن كان جسد بعض الأشياء متقدماً على جسده. ﴿**فقعوا له**﴾ أمر من وقع يقع؛ أي: اسقطوا له: وبالفارسية: [بس بروى در افتيد].

وفيه دليل على أن المأمور به ليس مجرد انحناء كما قيل، وكذا في قوله: ﴿**ساجدين**﴾، فإن حقيقة السجود وضع الوجه على الأرض؛ أي: حال كونكم ساجدين لاستحقاقه للخلافة.

وهذه السجود من باب التحية والتكريم، فإنه لا يجوز السجود لغير الله على وجه العبادة لا في هذه الأمة ولا في الأمم السابقة، وإنما شاع بطريق التحية للمتقدمين ثم أبطله الإسلام.

﴿فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾ قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَىَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿فسجد الملائكة﴾؛ أي: فخلقه فسواه، فنفخ فيه الروح، فسجد له الملائكة خلافة عن الحق تعالى إذ كان متجلياً فيه، فوقعت هيبته على الملائكة، فسجدوا له وأول من سجد له إسرافيل. ولذلك جوزي بولاية اللوح المحفوظ قاله السهيلي نقلاً عن النقاش. ﴿كلهم﴾ بحيث لم يبق منهم أحد إلا سجد ﴿أجمعون﴾ بطريق المعية بحيث لم يتأخر في ذلك أحد منهم عن أحد ولا اختصاص لإفادة هذا المعنى بالحالية، بل يفيده التأكيد أيضاً:

جون ملك أنوار حق دروى بيافت در سجود افتاد ودرخدمت شتافت

﴿إلا إبليس﴾؛ فإنه لم يسجد والاستثناء متصل؛ لأنه كان من الملائكة فعلاً ومن الجن نوعاً. ولذلك تناوله أمرهم. وكان اسم إبليس قبل أن يبلس من رحمة الله عزازيل، والحارث وكنيته أبو كردوس وأبو مرة؛ كأنه سئل كيف ترك السجود هل كان ذلك للتأمل والتروي، أو غير ذلك فقيل: ﴿استكبر﴾. [الاستكبار: كردن كشى كردن]؛ أي: تعظم: وبالفارسية: [بزرك داشت خودرا وفرمان نبرد]. وسببه أنه كان أعور فما رأى آثار أنوار التجلي على آدم عليه السلام:

در محفلى كه خورشيد أندرشمار ذره است خودرا بزرك ديدن شرط ادب نباشد

﴿وكان من الكافرين﴾ في علم الله أزلاً بالذات. وفي الخارج أبداً باستقباح أمر الله ولذا كانت شقاوته ذاتية لا عارضية وسعادته في البين عارضية لا ذاتية: قال الحافظ:

من آن نكين سليمان بهيج نستانم كه كاه كاه برودست اهر من باشد

فالعبرة لما هو بالذات. وذلك لا يزول لا لما هو بالعرض إذ ذاك يزول، ومن القبيل حال برصيصا وبلعام ونحوهما، ممن هو مرزوق البداية ومحروم النهاية. فالعصاة كلهم في خطر المشيئة بل الطائعون لا يدرون بما ذا يختم لهم.

قالوا: إن الإصرار على المعاصي يجر كثيراً من العصاة إلى الموت على الكفر والعياذ بالله تعالى كما جاء في تفسير قوله تعالى: ﴿كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ١٠] والاستهزاء بها. وذلك هو الكفر أعاذنا الله وإياكم منه. ومن أسبابه المؤدية إليه وأماتنا على ملة الإسلام، وجعلنا من المقبولين لديه، إنه السميع للدعاء في كل الحضرات والمجيب للرجاء في كل الحالات.

﴿قال﴾ الله تعالى لإبليس مشافهة حين امتنع من السجود. ﴿يا إبليس﴾، وهذه مشافهة لا تدل على إكرام إبليس إذ يخاطب السيد عبده بطريق الغضب وتمامه في سورة الحجر. ﴿ما﴾؛ أي: شيء ﴿منعك﴾ من ﴿أن تسجد﴾؛ أي: دعاك إلى ترك السجود ﴿لما﴾؛ أي: لمن. ﴿خلقت بيدي﴾ خصصته بخلقي إياه بيدي كرامة له؛ أي: خلقته بالذات من غير توسط أب وأم، فذكر اليد لنفي توهم التجوز؛ أي: لتحقيق إضافة خلقه إليه تعالى وإسناد اليد إلى أب بعد قيام البرهان على تنزهه عن الأعضاء مجاز عن التفرد في الخلق والإيجاد تشبيهاً لتفرده

بالإيجاد باختصاص ما عمل الإنسان بها، والتثنية في اليد لما في خلقه من مزيد القدرة، واختلاف الفعل، فإن طينته خمرت أربعين صباحاً، وكان خلقه مخالفاً لسائر أبناء جنسه المتكونة من نطفة الأبوين، أو من نطفة الأم مميزاً عنه ببديع صنعه تعالى. ولقد نظم الحكيم السنائي بعض التأويلات الفارسية:

يـد او قـدرتـسـت ووجـه بـقـاش آمـدن حـكـمـش ونـزول عـطـاش
اصـبـعـيـنـش نـفـاذ حـكـم قـدر قـد مـيـنـش جـلال وقـهـر وخـطـر

[ودر بعضى تفسير آمده كه مراد يد قدرت ويد نعمتست ودر فتوحات فرموده كه قدرت ونعمت شاملست همه موجودات را «لأنه خلق إبليس بالقدرة التي خلق بها آدم» بس بدين منوال تأويل آدم راهيج شر في ثابت نشود بس لابداست از آنكه بيدى معنى باشدكه دلالت كند برتشريف آدم عليه السلام بر حمل نسبتين تنزيه وتشبيه كه آدم جامع هر دو صفتست مناسب مى نمايد].

وفي «بحر الحقائق»: يشير بيدي إلى ضفتي اللطف والقهر، وهما تشتملان على جميع الصفات، وما من صفة إلا وهي. إما من قبيل اللطف، وإما من قبيل القهر، وما من مخلوق من جميع المخلوقات إلا وهو إما مظهر صفة اللطف، أو مظهر صفة القهر، كما أن الملك مظهر صفة لطف الحق والشيطان مظهر صفة قهر الحق إلا الآدمي، فإنه خلق مظهر كلتا صفتي اللطف والقهر والعالم بما فيه بعضه مرآة صفة لطفه تعالى، وبعضه مرآة صفة قهره تعالى. والآدمي مرآة ذاته وصفاته تعالى كما قال: ﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ﴾ [فصلت: ٥٣] وبهذه الجامعية كان مستحقاً لمسجوديه الملائكة: [ودرين معنى كفته اند].

آمـد آبـيـنـه جـمـيـلـه ولـى هـمـجـو آبـيـنـه نـكـرده جـلـى
كـشـت آدم جـلاء ايـن مـرآت شـدعـيـان ذات أو بـجـمـلـه صـفـات
مـظـهـرى كـشـت كـلـى وجـامـع سـر ذات وصـفـات از ولامـع

والحاصل: إن الله تعالى أوجد العالم ذا خوف ورجاء فنخاف غضبه ونرجو رضاه، فهذا الخوف والرجاء أثر صفتي الغضب والرضا، ووصف تعالى نفسه بأنه جميل وذو جلال؛ أي. متصف بالصفات الجمالية، وهي ما يتعلق باللطف والرحمة ومتصف بالصفات الجلالية، وهي ما يتعلق بالقهر والغلبة، فأوجدنا على أنس وهيبة، فالإنس من كونه جميلاً، والهيبة من كونه جليلاً. وهكذا جميع ما ينسب إليه تعالى، ويسمى به من الأسماء المتقابلة كالهداية والإضلال والإعزاز والإذلال وغيرها، فإنه سبحانه أوجدنا بحيث نتصف بها تارة، ويظهر فينا آثارها تارة، فعبر عن هذين النوعين المتقابلين من الصفات باليدين لتقابلهما، وتصرف الحق بهما في الأشياء، وهاتان اليدان هما اللتان توجهتا من الحق سبحانه على خلق الإنسان الكامل، لكونه الجامع لحقائق العالم ومفرداته التي هي مظاهر لجميع الأسماء، فلهذا السر ثنى الله اليدين. وأما الجمع في قوله: ﴿مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَآ﴾ [يس: ٧١]، فوارد على طريق التعظيم كما هو عادة الملوك. وأيضاً: إن العرب تسمي الاثنين جمعاً، كما في قوله تعالى: ﴿فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا﴾ [التحريم: ٤]. وأما الواحد في قوله تعالى: ﴿يَدُ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ٦٣] فباعتبار المبدأ والمآل، والله الملك المتعال.

﴿أستكبرت﴾ بقطع الألف، أصله: أستكبرت، أدخلت همزة الاستفهام للتوبيخ والإنكار على همزة الوصل، فحذفت همزة الوصل استغناء عنها بهمزة الاستفهام وبقيت همزة الاستفهام مفتوحة. والمعنى: أتكبرت من غير استحقاق. ﴿أم كنت من العالين﴾ المستحقين للتفوق والعلو، ويحتمل أن يكون المراد بالعالين، الملائكة المهيمين الذين ما أمروا بالسجود لآدم لاستغراقهم في شهود الحق، وهم الأرواح المجردة كما سبق بيانهم في سورة الحجر.

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِى مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ﴿٧٦﴾﴾

﴿قال﴾ إبليس إبداء للمانع.

قال الكاشفي: [إبليس شق ثاني اختيار كرده كفت]. ﴿أنا خير منه﴾؛ أي: أفضل من آدم. وفي المثنوي:

علتى بدتر زبندار كمال نيست اندرجان تو اى ذو دلال
علت إبليس انا خيرى بدست وين مرض در نفس هر مخلوق هست
كرجه خودرا بس شكسته بيند او آب صافى دان وسركين زير جو
جون بشوراند ترا در امتحان آب سركين رنك كرد در زمان

ثم بين وجه الخيرية بقوله: ﴿خلقتني من نار﴾. [بيافريدى مرا ازآتش واورا لطافت ونورانيت است]. نسب خلقه إلى النار باعتبار الجزء الغالب إذ الشيطان مخلوق من نار وهواء مع أنا نقول إن الله تعالى قادر على أن يخلقه من نار فقط من غير اختلاط شيء آخر معها من سائر العناصر، ولا يستحيله إلا فلسفي أو متفلسف. ﴿وخلقته من طين﴾. [وبيافريدي ازكل كه در كثافت وظلمانيت است]. نسب خلقه إلى الطين باعتبار الجزء الغالب أيضاً إذ آدم مخلوق من العناصر الأربعة.

والمعنى: لو كان آدم مخلوقاً من نار لما سجدت له؛ لأنه مثلي، فكيف أسجد لمن هو دوني، لأنه من طين. والنار تغلب الطين وتأكله، فلا يحسن أن يسجد الفاضل للمفضول، فكيف يحسن أن يؤمر ظنّ أن ذلك شرف له، ولم يعلم أن الشرف يكتسب بطاعة الله تعالى. ولقد أخطأ اللعين حيث خص الفضل بما من جهة المادة، والعنصر وزلّ عما من جهة الفاعل كما أنبأ عنه قوله تعالى: ﴿لما خلقت بيدي﴾. وما من جهة الصورة كما نبه عليه قوله تعالى: ﴿ونفخت فيه من روحي﴾. وأما من جهة الغاية، وهو ملاك الأمر كما قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ﴾ [البقرة: ٣١]. ولذلك أمر الملائكة بسجوده حين ظهر لهم أنه أعلم منهم بما يدور عليه أمر الخلافة في الأرض، وأن له خواص ليست لغيره. وفي تفسير سورة ﴿ص﴾ يعني أن النار أقرب إلى الأشرف الذي هو الفلك، وهي خليفة الشمس والقمر في الإضاءة والحرارة، وهي ألطف من الأرض، وهي مشرقة، وهي شبيه الروح، وأشرف الأعضاء القلب والروح. وهما على طبيعة النار، وكل جسم أشبه النار كالذهب والياقوت، فهو أشرف، والشمس أشرف الأجسام. وهي تشبه النار في الطبع والصورة. وأيضاً: لم يتم المزاج إلا بالحرارة ومآل كل هذه إلى أن أصله خير فهو خير وهذا ممنوع. ولذا قال من قال:

أتفخر باتصالك من عليّ وأصل البولة الماء القراح
وليس بنافع نسب زكي تدنسه صنائعك القباح

فيجوز أن يكون أصل أحد الشيئين أفضل وينضم إليه ما يقتضي مرجوحيته، كما في إبليس. فإنه قد انضم إلى أصله عوارض رديئة كالكبر والحسد والعجب والعصيان، فاقتضت اللعنة عليه. وأمر آدم عليه السلام بالعكس.

وقال في «آكام المرجان»: اعلم أن هذه الشبهة التي ذكرها إبليس إنما ذكرها على سبيل التعنت، وإلا فامتناعه عن السجود لآدم إنما كان عن كبر وكفر ومجرد إباء وحسد. ومع ذلك فما أبداه من الشبهة، فهو داحض؛ أي: باطل؛ لأنه رتب على ذلك أنه خير من آدم لكونه خلق من نار، وآدم خلق من طين. ورتب على هذا أنه لا يحسن منه الخضوع لمن هو دونه، وهذا باطل من وجوه:

الأول : أن النار طبعها الفساد وإتلاف ما تعلقت به بخلاف التراب، فإنه إذا وضع القوت فيه أخرجه أضعاف ما وضع فيه بخلاف النار، فإنها آكلة لا تبقي ولا تذر.

والثاني : أن النار طبعها الخفة والطيش والحدة، والتراب طبعه الرزانة والسكون والثبات.

والثالث : أن التراب يتكون فيه، ومنه أرزاق الحيوانات وأقواتهم ولباس العباد وزينهم وآلات معايشهم ومساكنهم. والنار لا يتكون فيها شيء من ذلك.

والرابع : أن التراب ضروري للحيوان لا يستغني عنه البتة، ولا عما يتكون فيه ومنه. والنار يستغني عنها الحيوان مطلقاً، وقد يستغني عنها الإنسان أياماً وشهوراً، فلا تدعوه إليها ضرورة.

والخامس : أن النار لا تقوم بنفسها، بل هي مفتقرة إلى محل تقوم به يكون حاملاً لها، والتراب لا يفتقر إلى حامل، فالتراب أكمل منها لغناه وافتقارها.

والسادس : أن النار مفتقرة إلى التراب، وليس التراب فقر إليها، فإن المحل الذي تقوم به النار لا يكون إلا متكوناً من التراب، أو فيه، فهي المفتقرة إلى التراب، وهو الغني عنها.

والسابع : أن المادة الإبليسية هي المارج من النار، وهو ضعيف تتلاعب به الأهوية فيميل معها كيفما مالت. ولهذا غلب الهوى على المخلوق منه، فأسره وقهره. ولما كانت المادة الآدمية هي التراب، وهو قوي لا يذهب مع الهواء أينما ذهب، فهو قهر هواه وأسره ورجع إلى ربه، فاجتباه، فكان الهواء الذي مع المادة الآدمية عارضاً سريع الزوال فزال، فكان الثبات والرزانة أصلاً له، فعاد إليه وكان إبليس بالعكس من ذلك، فعاد كل منهما إلى أصله وعنصره آدم إلى أصله الطيب الشريف واللعين إلى أصله الرديء الخبيث.

والثامن : أن النار، وإن حصل بها بعض المنفعة من الطبخ والتسخين والاستضاءة بها، فالشر كامن فيها لا يصدها عنه إلا قسرها وحبسها، ولولا القاسر والحابس لها، لأفسدت الحرث والنسل. وأما التراب، فالخير والبركة كامن فيه كلما أثير، وقلب ظهر خيره وبركته وثمرته، فأين أحدهما من الآخر.

التاسع : أن الله تعالى أكثر ذكر الأرض في كتابه وأخبر عن منافعها، وأنه جعلها مهاداً وفراشاً وبساطاً وقراراً وكفاتاً للأحياء والأموات. ودعا عباده إلى التفكر فيها، والنظر في آياتها وعجائبها، وما أودع فيها، ولم يذكر النار إلا في معرض العقوبة والتخويف والعذاب إلا موضعاً أو موضعين، ذكرها فيه بأنها تذكرة ومتاع للمقوين تذكرة بنار الآخرة، ومتاع لبعض أفراد الناس، وهم المقوون النازلون بالقواء. وهي الأرض الخالية إذا نزلها المسافر تمتع بالنار

في منزلة، فأين هذا من أوصاف الأرض في القرآن.

والعاشر: أن الله تعالى وصف الأرض بالبركة في غير موضع من كتابه، وذلك عموماً كما في قوله تعالى: ﴿وَبَٰرَكَ فِيهَا﴾ [فصلت: ١٠]. وخصوصاً كما في قوله: ﴿وَنَجَّيْنَٰهُ وَلُوطًا إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأنبياء: ٧١]. . الآية ونحوها. وأما النار فلم يخبر أنه جعل فيها بركة بل المشهور أنها مذهبة للبركات، فأين المبارك في نفسه من المزيل لها.

والحادي عشر: أن الله تعالى جعل الأرض محل بيوته التي يذكر فيها اسمه ويسبح له فيها بالغدو والآصال عموماً وبيته الحرام الذي جعله قياماً للناس مباركاً وهدى للعالمين خصوصاً، فلو لم يكن في الأرض إلا بيته الحرام لكفاها ذلك شرفاً وفخراً على النار.

والثاني عشر: أن الله تعالى أودع في الأرض من المعادن والأنهار والعيون والثمرات والحبوب والأقوات وأصناف الحيوانات وأمتعتها، والجبال والرياض والمراكب البهية، والصور البهيجة ما لم يودع في النار شيئاً من ذلك، فأي روضة وجدت في النار أو جنة أو معدن أو صورة أو عين فوّارة أو نهر أو ثمرة لذيذة.

والثالث عشر: أن غاية النار أنها وضعت خادمة في الأرض، فالنار إنما محلها محل الخادم لهذه الأشياء، فهي تابعة لها خادمة فقط إذا استغنت عنها طردتها وأبعدتها عن قربها، وإذا احتاجت إليها استدعتها استدعاء المخدوم لخادمه.

الرابع عشر: أن اللعين لقصور نظره وضعف بصره رأى صورة الطين تراباً ممتزجاً بماء، فاحتقره ولم يعلم أنه مركب من أصلين الماء الذي جعل الله منه كل شيء حي، والتراب الذي جعله خزانة المنافع والنعم. هذا ولم يتجاوز من الطين إلى المنافع وأنواع الأمتعة، فلو تجاوز نظره صورة الطين إلى مادته ونهايته لرأى أنه خير من النار، وأفضل. ثم لو سلم بطريق الفرض الباطل أن النار خير من الطين، لم يلزم من ذلك أن يكون المخلوق منها خيراً من المخلوق من الطين، فإن القادر على كل شيء يخلق من المادة المفضولة من هو خير من المادة الفاضلة، فإن الاعتبار بكمال النهاية لا بنقصان المادة، فاللعين لم يتجاوز نظره محل المادة، ولم يعبر منها إلى كمال الصورة ونهاية الخلقة.

[ودر كشف الأسرار فرموده كه آتش سبب فرقتست وخاك وسيلة وصلت واز آتش كسستن آيد واز خاك بيوستن آدم كه از خاك بود بيبوست تاخلقه ﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾ [طه: ١٢٢] يافت إبليس كه از آتش بودبكسست تافرمان ﴿فَٱهْبِطْ مِنْهَا﴾ [الأعراف: ١٣] مردود كشت روزى شوريده باسلطان العارفين أبو يزيد كفت جه بودى اكر اين خاك بى باك نبودى أبو يزيد بانك بروزدكه اكر اين خاك نبودى آتش عشق افروخته نشدى وسوز سينها وآب ديدها ظاهر نكشتى كه اكر خاك نبودى بوى مهرازل كه شنودى وآشناى قرب لم يزل كه بودى]:

اي خاك جه خوش طينت قابل دارى كلهاى لطيفست كه در كل دارى
در مخزن كنت كنز هر كنج كه بودى تسليم توكر دندكه در دل دارى

ثم في الآية إشارة إلى أن أهل الدعوى والإنكار لايدركون فضائل الأنبياء والأولياء إلى أبد الآبدين ولا يرون أنوار الجمال والجلال عليهم، فلا يذوقون حلاوة برد الوصال، بل يخاطبون من جانب رب العزة بالطرد والإبعاد إلى يوم المعاد.

مدعى خواست كه آيد بتماشا كه راز دست غيب آمد وبرسينه نامحرم زد

﴿قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ﴿٧٧﴾ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴿٧٨﴾ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿٧٩﴾﴾.

﴿قال﴾ الله تعالى بقهره وعزته. ﴿فاخرج منها﴾: الفاء: لترتيب الأمر على مخالفته وتعليلها بالباطل؛ أي: فاخرج يا إبليس من الجنة، أو من زمرة الملائكة، وهو المراد بالأمر بالهبوط لا الهبوط من السماء، كما قال البيضاوي، فإن وسوسته لآدم كانت بعد هذا الطرد.

يقول الفقير: عظم جناية إبليس يقتضي هبوطه من السماء إلى الأرض لا التوقف فيها إلى زمان الوسوسة، وأما أمر الوسوسة، فيجوز أن يكون بطريق الصعود إلى السماء ابتلاء من الله تعالى ودخوله الجنة، وهو في السماء ليس بأهون من دخوله، وهو في الأرض إذ هو ممنوع من الدخول مطلقاً سواء كان في الأرض، أو في السماء إلا بطريق الامتحان.

ثم إن الحكمة الإلهية اقتضت أن يخرج إبليس من الخلقة التي كان عليها وينسلخ منها، فإنه كان يفتخر بخلقته، فغير الله خلقته، فاسود بعدما كان أبيض وقبح بعدما كان حسناً وأظلم بعدما كان نورانياً، وكذا حال العصاة مطلقاً، فإنه كما تتغير بواطنهم بسبب العصيان تتغير ظواهرهم أيضاً بشؤمه، فإذا رأيت أحداً منهم بنظر الفراسة، والحقيقة وجدت عليه أثر الاسوداد. وذلك أن المعصية ظلمة وصاحبها ظلماني، والطاعة نور وأهلها نوراني، فكل يكتسي بكسوة حال نفسه. ﴿فإنك رجيم﴾ تعليل للأمر بالخروج؛ أي: مطرود عن كل خير وكرامة، فإن من يطرد يرجم بالحجارة إهانة له، أو شيطان يرجم بالشهب السماوية، أو الأثيرية، وإلى الثاني: ذهب بعض أهل الحقائق.

﴿وإن عليك لعنتي﴾؛ أي: إبعادي عن الرحمة، فإن اللعن طرد أو إبعاد على سبيل السخط، وذلك من الله تعالى في الآخرة عقوبة. وفي الدنيا انقطاع عن قبول فيضه وتوفيقه. ومن الإنسان دعاء على غيره وتقييدها بالإضافة مع إطلاقها في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ﴾ [الحجر: ٣٥] لما أن لعنة اللاعنين من الملائكة والثقلين أيضاً من جهته تعالى، وأنهم يدعون عليه بلعنة الله وإبعاده من الرحمة.

يقول الفقير: اللعنة المطلقة هي لعنة الله تعالى، فمآل الآيتين واحد، ويجوز أن يكون المعنى، وإن عليك لعنتي على ألسنة عبادي يلعنونك. ﴿إلى يوم الدين﴾؛ أي: يوم الجزاء والعقوبة، يعني أن عليك اللعنة في الدنيا، ولا يلزم من هذا التوقيت انقطاع اللعنة عنه في الآخرة إذ من كان ملعوناً مدة الدنيا، ولم يشم رائحة الرحمة في وقتها كان ملعوناً أبدياً في الآخرة. ولم يجد أثر الرحمة فيها لكونها ليست وقت الرحمة للكافر، وقد علم خلوده في النار بالنص وكذا لعنه كما قال: ﴿فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَن لَّعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [الأعراف: ٤٤] مع ما ينضم إليه من عذاب آخر ينسى عنده اللعنة، والعياذ بالله تعالى.

قال بعضهم: أما طرد إبليس فلعجبه ونظره إلى نفسه ليعتبر كل مخلوق بعده. قال: أنا خير منه.

ويقال: طرده وخذله ترهيباً للملائكة ولبني آدم كي يحذروا مما لا يرضى عنه، ويحصل لهم العبرة:

اين خوديرا خرج كن اندر خدا تا نماني همجوآن إبليس جدا

كـن حـذر ازسـطـوت قـهـاريـش روبـسـوى حـضـرت غـفـاريـش
عبـرت بـيـشـيـنـيـان كـيـر اى خـلـف تـا خـلاصـى يـا بـى از قـهـر وتـلـف

ومن الله العصمة والتوفيق.

﴿قال﴾ إبليس ﴿رب﴾. [اى برورد كارمن]. ﴿فأنظرني﴾. الإنظار: الإمهال والتأخير والفاء: فصيحة؛ أي: إذا جعلتني رجيماً، فأمهلني ولا تمتني. ﴿إلى يوم يبعثون﴾. من قبورهم للجزاء، وهو يوم القيامة. والمراد آدم وذريته. [والبعث: مرده رازنده كردن]. وأراد بدعائه أن يجد فسحة لإغوائهم ويأخذ منهم ثأره وينجو من الموت بالكلية إذ لا موت بعد يوم البعث، فلم يجب، ولم يوصل إلى مراده.

﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ۝٨١﴾

﴿قال﴾ الله تعالى ﴿فإنك من المنظرين﴾؛ أي: من جملة الذين أخرت آجالهم أزلاً حسب الحكمة كالملائكة ونحوهم.

﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ الذين قدره الله وعينه لفناء الخلائق، وهو وقت النفخة الأولى لا إلى وقت البعث الذي هو المسؤول.

قال في «آكام المرجان»: ظاهر القرآن يدل على أن إبليس غير مخصوص بالإنظار. وأما ولده وقبيله، فلم يقم دليل على أنهم منظرون معه.

وقال بعضهم: الشياطين يتوالدون ولا يموتون إلى وقت النفخة الأولى بخلاف الجن، فإنهم يتوالدون ويموتون، ويحتمل أن بعض الجن أيضاً منظرون، كما أن بعض الإنس، كالخضر عليه السلام كذلك.

وفيه أن الظاهر أن يموت الخضر، وأمثاله حين يموت المؤمنون، ولا يبقى منهم أحد وذلك قبل الساعة بكثير من الزمان، ثم إن قوله تعالى: ﴿فإنك﴾ الخ. إخبار من الله تعالى بالإنظار المقدر أزلاً لا إنشاء لإنظار خاص به قد وقع إجابة لدعائه. وكان استنظاره طلباً لتأخير الموت لا لتأخير العقوبة هكذا في «الإرشاد». يقول الفقير: لا شك أن الله تعالى استجاب دعاء إبليس ليكون طول بقائه في الدنيا أجراً له في مقابلة طول عبادته قبل لعنه ودعاء الكافر مستجاب في أمور الدنيا، فلا مانع أن يكون إنظاره بطريق الإنشاء يدل عليه ترتيبه على دعائه الحادث، وذلك لا يمنع كونه من المنظرين أزلاً لأن كل أمر حادث في جانب الأبد، فهو مبني على أمر قديم في الأزل ألا ترى أن كفره بإنشاء استقباح أمر الله تعالى مبني على كفره الأزلي في علم الله تعالى ثم لا مانع أن يكون الاستنظار لطلب تأخير الموت وتأخير العقوبة جميعاً، لأن اللعن من موجبات العقوبة، فطلب الإنظار خوفاً من العذاب المعجل ولما حصل مراده صرح بالإغواء لأجل الانتقام؛ لأن آدم هو الذي كان سبب لعنه.

وفي الآية إشارة إلى أن من أبعده الحق وطرده قلب عليه أحواله حتى يجر إلى نفسه أسباب الشقاوة كما دعا إبليس ربه وسأله الإنظار من كمال شقاوته ليزداد إلى يوم القيامة إثمه الذي هو سبب عقوبته واغتر بالمدة الطويلة، ولم يعلم أن ما هو آت قريب [عمر اكرجه دراز بود جون مرك نمود ازان درازى جه سود نوح عليه السلام هزار سال در جهان بسر برده است امروز جند هزار سالست كه مرده است]:

دريغا كه بكذشت عمر عزيز بخواهد كذشت اين دم جندنيز

فأنظره الله تعالى وأجابه إذ سأله بربوبيته ليعلم أن كل من سأله باسم الرب، فإنه يجيبه كما أجاب إبليس، وكما أجاب آدم عليه السلام إذ قال) ﴿رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا﴾ [الأعراف: ٢٣]، فأجابه ﴿فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ﴾ [طه: ١٢٢].

﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿قال﴾ إبليس عليه ما يستحق. ﴿فبعزتك﴾ الباء: للقسم؛ أي: فأقسم بعزتك؛ أي: بقهرك وسلطانك. وبالفارسية: [بغالبيت وقهر توسو كند]. ولا ينافيه قوله تعالى حكاية: ﴿فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي﴾ [الأعراف: ١٦]، لأن إغواء إياه أثر من آثار قدرته وعزته، وحكم من أحكام قهره وسلطنته. ولهذه النكتة الخفية ورد الحلف بالعزة مع أن الصفات اللائقة للحلف كثير. وفي «التأويلات النجمية»: ثم إبليس لتمام شقاوته. قال: فبعزتك الخ. ولو عرف عرته لما أقسم بها على مخالفته. ﴿لأغوينهم أجمعين﴾ لأحملنهم على الغي، وهو ضد الرشد ولأكونن سبباً لغوايتهم؛ أي: ذرية آدم بتزيين المعاصي لهم وإدخال الشكوك والشبهات فيهم، والإغواء بالفارسية [كمراه كردن].

ثم صدق حيث استثنى، فقال:

﴿إلا عبادك منهم المخلصين﴾؛ أي: عبادك المخلصين من ذرية آدم، وهم الذين أخلصهم الله تعالى لطاعته، وعصمهم من الغواية. وقرىء بالكسر على صيغة الفاعل؛ أي: الذين أخلصوا قلوبهم وأعمالهم لله تعالى من غير شائبة الرياء. وفي «التأويلات النجمية»، ثم لعجزه وعزة عباد الله، قال: إلا عبادك منهم المخلصون في عبوديتك. انتهى.

قال بعضهم: العبد المخلص هو الذي يكون سره بينه وبين ربه بحيث لا يعلمه ملك، فيكتبه ولا شيطان، فيفسده، ولا هوى، فيميله، ثم لا شك أن من العباد عباداً إذا رأى الشيطان أثر سلطنة ولايتهم وعزة أحوالهم يذوب كما يذوب الملح في الإناء، ولا يبقى له حيل ولا يطيق أن يمكر بهم، بل ينسى في رؤيتهم جميع مكرياته، ولا يطيق أن يرمي إليهم من أسهم وسوسته بل مكره محيط به لا بأهل الحق. وهكذا حال ورثة الشيطان من المنكرين المفسدين مع أهل الله تعالى، فإنهم محفوظون عما سوى الله تعالى مطلقاً.

﴿قَالَ فَٱلْحَقُّ وَٱلْحَقَّ أَقُولُ ﴿٨٤﴾ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿قال﴾ الله تعالى ﴿فالحق﴾ بالرفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر؛ أي: فالحق قسمي على أن الحق. إما اسمه تعالى كما في قوله تعالى: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ﴾ [النور: ٢٥] أو نقيض الباطل عظمه الله تعالى بإقسامه به، ويحتمل أن يكون التقدير، فالحق مني كما قال الحق من ربك. ﴿والحق أقول﴾ بالنصب على أنه مفعول لأقوله قدم عليه للقصر؛ أي: لا أقول إلا الحق.

﴿لأملأن جهنم منك﴾؛ أي: من جنسك من الشيطان ﴿وممن تبعك﴾ في الغواية والضلال بسوء اختياره ﴿منهم﴾؛ أي: من ذرية آدم. ﴿أجمعين﴾ تأكيد للكاف وما عطف عليه؛ أي: لأملأنها من المتبوعين. والأتباع أجمعين لا أترك أحداً منهم.

وفي «التأويلات النجمية»: ولما كان تجاسره في مخاطبته الحق حيث أصر على الخلاف وأقسم عليه أقبح وأولى في استحقاق اللعنة من امتناعه للسجود لآدم قال: فالحق إلخ. انتهى.

فعلى العاقل أن يتأدب بالآداب الحسنة قولاً وفعلاً ولا يتجاسر على الله تعالى أصلاً ولا يتبع خطوات الشيطان حتى لا يرد معه النار وعن أبي موسى الأشعري، قال: إذا أصبح إبليس بث جنوده، فيقول: من أضل مسلماً ألبسته التاج، قال: فيقول له القائل: لم أزل بفلان حتى طلق امرأته، قال: يوشك أن يتزوج. ويقول الآخر: لم أزل بفلان حتى عق؛ أي: عصى والديه أو أحدهما. قال: يوشك أن يبر، قال: فيقول القائل: لم أزل بفلان حتى شرب. قال: أنت، أي: أنت فعلت شيئاً عظيماً أرضى عنه. قال: ويقول الآخر: لم أزل بفلان حتى زنى، فيقول: أنت. قال: ويقول الآخر: لم أزل بفلان حتى قتل، فيقول: أنت أنت، أي: أنت صنعت شيئاً أعظم وحصلت غاية أمنيتي، وكمال رضاي، وذلك لأن وعيد القتل أشد وأعظم كما قال تعالى، ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ﴾ [النساء: ٩٣]. إلخ.

فلذلك كرر: أنت. إشارة إلى كمال رضاه عنه وعن بعض الأشياخ أنه قال: الشيطان أشد بكاء على المؤمن إذا مات لما فاته من افتتانه إياه في الدنيا. ويقال: لما أنظر الله إبليس وأهبطه إلى الأرض أعطاه منشور الدنيا، فأول نظرة منه وقعت على الجبال فمن شؤمه من ذلك الوقت لا تحتمل الماء للأحجار بل يرسلها إلى أسفله، ومن كان على دينه لا يبقى على الصراط ما لم ينته إلى أسفل السافلين فيا خسارة من كان إنساناً دخل النار معه.

﴿قل﴾ يا محمد للمشركين ﴿ما أسألكم﴾ نيمخواهيم ازشما ﴿عليه﴾؛ أي: على القرآن الذي أتيتكم به، أو على تبليغ الوحي وأداء الرسالة. ﴿من أجر﴾ من مال دنيوي، ولكن أعلمكم بغير أجر، وذلك لأن من شرط العبودية الخالصة أن لا يراد عليها الجزاء ولا الشكور، فمن قطع رأس كافر في دار الحرب أو أسره وأحضره عند رئيس العسكر، ليعطي له مالاً، فقد فعله للأجر لا لله تعالى، وعلى هذه جميع ما يتعلق به الأغراض الفاسدة:

فردا كه بيشكاه حقيقت شود بديد شرمنده رهروى كه عمل برمجاز كرد

﴿وما أنا من المتكلفين﴾؛ أي: المتصنعين بما ليسوا من أهله على ما عرفتم من حالي حتى انتحل النبوة؛ أي: أدعيها لنفسي كاذباً وأتقول القرآن من تلقاء نفسي وبالفارسية: [ومن نيستم از جماعتى كه بتصنع ازخود جيزى ظاهر كنند وبرسازند كه ندارند].

وحاصله: ما جئتكم باختياري دون أن أرسلت إليكم، فكل من قال شيئاً من تلقاء نفسه، فقد تكلف له. والتكلف في الأصل التعسف في طلب الشيء الذي لا يقتضيه إلا العقل. وفي «تاج المصادر»: التكلف [رنج جيزى بكشيدن واز خويشتن جيزى نمودن كه آن نباشد]. والمتكلف: المتعرض لما لا يعينه. انتهى.

وفي «المفردات»: تكلف الشيء ما يفعله الإنسان بإظهار كلفة مع مشقة تناله في تعاطيه، وصارت الكلفة في التعاريف اسماً للمشقة. والتكلف اسم لما يفعل بمشقة أو بتصنع أو تشبع. ولذلك صار التكليف ضربين: محموداً، وهو ما يتحراه الإنسان ليتوصل به إلى أن يصير الفعل الذي يتعاطاه سهلاً عليه ويصبر كلفاً به ومحباً له، وبهذا النظر استعمل التكليف في تكليف العبادات.

والثاني. ما يكون مذموماً، وإياه عنى بقوله: ﴿**وما أنا من المتكلفين**﴾. وصح في الحديث النهي عن التكلف كما قال عليه السلام: «أنا بريء من التكلف»، وصالحو أمتي. وفي حديث آخر: «أنا والأتقياء من أمتي برءاء من التكلف». وكذا صح عن رسول الله ﷺ النهي عن السجع في الدعاء؛ لأنه من باب التكلف والتصنع. ومن هذا قال أهل الحقائق: لا يعين للصلاة شيئاً من القرآن بل يقرأ أول ما يقرع خاطره في أول الركعة، فإنه المسلك الذي اختار الله تعالى له وعنه عليه السلام للمتكلف ثلاث علامات ينازع من فوقه، يعني: [يكى آنكه نزاع كند باكسى كه بر ترازوست، «ويتعاطى ما لا ينال» يعني: دوم آنكه ميخواهد كه فرا كيرد آنجه يافتن آن نه مقدور اوست] «ويقول ما لم يعلم»، يعني: [سوم آنكه كويد جيزى كه نداند].

قال عبد الله بن مسعود رضي الله عنه: يا أيها الناس من علم شيئاً، فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم، فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم. الله أعلم. فإنه تعالى قال لنبيه عليه السلام: ﴿**وما أنا من المتكلفين**﴾. وفي الحديث: «من أفتى بغير علم لعنته ملائكة السماوات والأرض»

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَالَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ ﴿٨٨﴾﴾.

﴿**إن هو**﴾؛ أي: ما هو يعني: [نيست اين كه من آوردم ازخدا]. يعني: القرآن والرسالة.

﴿**إلا ذكر**﴾؛ أي: عظة من الله تعالى، وأيضاً: شرف وذكر باق ﴿**للعالمين**﴾ للثقلين كافة.

﴿**ولتعلمن**﴾ أيها المشركون. ﴿**نبأه**﴾؛ أي: ما أنبأ القرآن به من الوعد والوعيد وغيرهما، أو صحة خبره، وأنه الحق والصدق. ﴿**بعد حين**﴾. بعد الموت، أو يوم القيامة حين لا ينفع العلم وفيه تهديد.

قال في «المفردات»: الحين وقت بلوغ الشيء وحصوله، وهو مبهم المعنى ويتخصص بالمضاف إليه نحو ﴿وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾ [ص: ٣]. ومن قال حين على أوجه للأجل نحو ﴿وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨] وللسنة نحو ﴿تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ﴾ [إبراهيم: ٢٥]. وللساعة نحو ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ [الروم: ١٧]، وللزمان المطلق نحو ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى الْإِنسَانِ حِينٌ مِّنَ الدَّهْرِ﴾ [الإنسان: ١]. ﴿**ولتعلمن نبأه بعد حين**﴾، فإنما فسر ذلك بحسب ما وجده، وقد علق به. انتهى.

قال الحسن بن آدم عند الموت يأتيك الخبر اليقين، فينبغي للمؤمن أن يكون بحيث لو كشف الغطاء ما ازداد يقيناً، ومن كلام سيدنا علي رضي الله عنه: لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً:

حال وخلد وجحيم دانستم بيقين آنجنانكه مى بايد
كر حجاب از ميانه بركيرند آن يقين ذره نيفزايد

[معنى اين كلمه آنست كه داردنيا سراى حجابست وأحوال آخرت مرا يقين كشته است ازحشر ونشر وثواب وعقاب ونعيم وجحيم وغير آن بس اكر حجاب بردارندتا آن جمله را مشاهده كنم يك ذره در يقين من زيادت نشود كه علم اليقين من امروز جو عين اليقين منست در فردا].

وأخبر القرآن أن الكفار يؤمنون بعد الموت بالقرآن، وبما أخبر به، ولكن لا يقبل إيمانهم.

وسئل أبو القاسم الحكيم، فقيل له: العاصي يتوب من عصيانه أم كافر يرجع من الكفر إلى الإيمان، فقال: بل عاص يتوب من عصيانه، لأن الكافر في حال كفره أجنبي، والعاصي في حال عصيانه عارف بربه، والكافر إذا أسلم ينتقل من درجة الأجانب إلى درجة المعارف والعاصي إذا تاب، ينتقل من درجة المعارف إلى درجة الأحباء، فلا بدّ من التوبة والتوجه إلى الله تعالى قبل الموت حتى يزول التهديد والوعيد، ويظهر الوعد والتأييد ويحصل الانبساط في جميع المواطن، وينصب الفيض في الظاهر والباطن بلطفه تعالى وكرمه.

تمت سورة ﴿ص﴾ بعون من هو بالمرصاد في ثالث جمادى الآخرة من سنة اثنتي عشرة ومائة وألف

٣٩ ـ سورة الزمر

خمس وسبعون أو اثنتان وسبعون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿١﴾﴾.

﴿تنزيل الكتاب﴾؛ أي: القرآن، وخصوصاً منه هذه السورة الشريفة، وهو مبتدأ خبره قوله: **﴿من الله العزيز الحكيم﴾** لا من غيره كما يقول المشركون: إن محمداً تقوّله من تلقاء نفسه.

وقيل: معناه تنزيل الكتاب من الله، فاستمعوا له واعملوا به، فهو كتاب عزيز. نزل من رب عزيز على عبد عزيز بلسان ملك عزيز في شأن أمة عزيزة، والتعرض لوصفي العزة والحكمة للإيذان بظهور أثريهما في الكتاب، بجريان أحكامه ونفاذ أوامره ونواهيه من غير مدافع ولا ممانع، وبابتناء جميع ما فيه على أساس الحكم الباهرة.

وقال الكاشفي: **﴿العزيز﴾** [خداوند غالب در تقدير **﴿الحكيم﴾** دانا است در تدبير].

وفي «فتح الرحمٰن»: العزيز في قدرته الحكيم في إبداعه.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿٢﴾﴾

﴿إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق﴾. شروع في بيان شأن المنزل إليه، وما يجب عليه إثر بيان شأن المنزل، وكونه من عند الله، فلا تكرار في إظهار الكتاب في موضع الإضمار لتعظيمه، ومزيد الاعتناء بشأنه. والباء: إمَّا متعلقة بالإنزال؛ أي: بسبب الحق وإثباته وإظهاره، وإما بمحذوف هو حال من نون العظمة؛ أي: أنزلناه إليك حال كوننا محقين في ذلك، أو حال من الكتاب؛ أي: أنزلناه حال كونه ملتبساً بالحق والصواب؛ أي: كل ما فيه حق لا ريب فيه موجب للعمل حتماً.

وفي «التأويلات النجمية»: أي من الحق نزل وبالحق نزل وعلى الحق نزل.

قال في «برهان القرآن»: كل موضع خاطب الله النبي عليه السلام بقوله: **﴿إنا أنزلنا إليك﴾**، ففيه تكليف، وإذا خاطبه بقوله: ﴿أَنزَلْنَا عَلَيْكَ﴾ [النمل: ٦٤]، ففيه تخفيف. ألا ترى إلى ما في أول السورة إليك، فكلفه الإخلاص في العبودية، وإلى ما في آخرها عليك، فختم الآية بقوله: ﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ [الأنفال: ١٠٧]؛ أي: لست بمسؤول عنهم، فخفف عنه ذلك **﴿فاعبد الله﴾** حال كونك **﴿مخلصاً له الدين﴾**. الإخلاص أن يقصد العبد بنيته وعمله إلى خالقه لا يجعل ذلك لغرض من الأغراض؛ أي: ممحضاً له الطاعة من شوائب الشرك والرياء، فإن الدين الطاعة كما في «الجلالين» وغيره.

قال في «عرائس البيان»: أمر حبيبه عليه السلام بأن يعبده بنعت أن لا يرى نفسه في عبوديته، ولا الكون وأهله، ولا يتجاوز عن حدّ العبودية في مشاهدة الربوبية، فإذا سقط عن العبد حظوظه من العرش إلى الثرى، فقد سلك مسلك العبودية الخالصة:

كر نباشد نيت خالص جه حاصل از عمل

قال بعض الكبار: العبادة الخالصة معانقة الأمر على غاية الخضوع. وتكون بالنفس فإخلاصها فيها التباعد عن الانتقاص. وبالقلب فإخلاصه فيها العمى عن رؤية الأشخاص. وبالروح فإخلاصه فيها التنقي عن طلب الاختصاص وأهل هذه العبادة موجود في كل عصر لما قال عليه السلام: «لايزال الله يغرس في هذا الدين غرساً يستعملهم في طاعته».

قال الكاشفي: [مخاطب حضرتست ومراد امت است كه مأمورند بآنكه طاعت خودرا از شرك وريا خالص سازند].

وفي «كشف الأسرار»: [فرموده رسول خدا عليه السلام باين خطاب جنان ادب كرفت كه جبريل آمد وكفت «يا محمد أتختار أن تكون ملكاً نبياً أو عبداً نبياً» كفت خداوندا بندكى خواهم وملكى نخواهم ملكى ترا مسلم است وبندكى مارا مسلم اكر ملك اختيار كنم با ملك بما نم وآنكه افتخار من بملك باشد ليكن بندكى اختيار كنم تا مملوك تو باشم وافتخار من بملك توباشد ازنيجا كفت «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» يعني مارا بهيج جيز فخر نيست فخر ما بخالقست زيراكه برماكس نيست جز او اكر بغير او فخر كنم بغير او نكر سته باشم وفرمان ﴿فاعبد الله مخلصاً﴾ بكذاشته باشم وبكذاشته فرمان نيست وبغير او نكر ستن شرط نيست لا جرم بغير أو فخر نيست]. قال الحافظ:

كدايى درجانا بسلطنت مفروش كسى زسايه اين در بآفتاب رود

﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ ﴿٣﴾﴾.

﴿ألا﴾ بدانيد كه ﴿لله﴾؛ أي: من حقه وواجباته ﴿الدين الخالص﴾ من الشرك؛ أي: ألا هو الذي يجب أن يخص بإخلاص الطاعة له: [يعني او سزاوار آنست كه طاعة او خالص باشد] لتفرده بصفات الألوهية واطلاعه على الغيوب والأسرار، وخلوص نعمته عن استجرار النفع. وفي «الكواشي»: ألا لله الدين الخالص من الهوى والشك والشرك، فيتقرب به إليه رحمة لا أن له حاجة إلى إخلاص عبادته. وفي «التأويلات النجمية»: الدين الخالص ما يكون جملته لله، وما للعبد فيه نصيب والمخلص من خلصه الله من حبس الوجود بجوده لا بجهده. وعن الحسن: الدين الخالص الإسلام، لأن غيره من الأديان ليس بخالص من الشرك، فليس بدين الله الذي أمر به فالله تعالى لا يقبل إلا دين الإسلام. وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قلت: يا رسول الله، إني أتصدق بالشيء وأضع الشيء أريد به وجه الله وثناء الناس، فقال عليه السلام: والذي نفس محمد بيده لا يقبل الله شيئاً شورك فيه، ثم تلا رسول الله ﷺ: ﴿ألا لله الدين الخالص﴾. وقال عليه السلام، قال الله سبحانه: «من عمل لي عملاً أشرك فيه معي غيري، فهو له كله، وأنا بريء منه، وأنا أغنى الأغنياء عن الشرك»، وقال عليه السلام: «لا يقبل الله عملاً فيه مقدار ذرة من رياء»:

زعمرو ای بسر جشم اجرت مدار جو درخانه زيد باشى بكار

[سزاى الله تعالى عبادت باكست بي نفاق وطاعت خالصة بى ريا وكوهر إخلاص كه يابنددر صدق دل يا بند يادر درياى سينه واز انيجاست كه حذيقه كويد رضي الله عنه ازان مهتر كائنات عليه السلام بر سيدم كه اخلاص جيست كفت ازجبريل برسيدم إخلاص جيست كفت از رب العزة برسيدم كه إخلاص جيست كفت سر من أسراري استودعته قلب من أحببت من عبادي كفت كوهر ست كه از خزينه أسرار خويش بيرون آوردم ودرسو يداى دل دوستان خويش وديعت نهادم اين إخلاص نتيجه دوستى است واثر بندكى هركه لباس محبت بوشيد وخلقت بندكى برافكند هر كاركه كند ازميان دل كند دوستى حق تعالى بآرزوهاى برا كنده دريك دل جمع نشود وفريضه تن نماز وروزه است وفريضه دل دوستى حق نشان دوستى آنست كه هر مكروه طبيعت ونهاد كه]:

از دوست بتو آيد بر ديده نهى ولو بيد الحبيب سقيت سما

لكل السم من يده يطيب زهرى كه بيادتو خورم نوش آيد

ديوانه ترا بيند وباهوش آيد آن دل كه توسوختى تراشكر كند

[وآن خون كه توريختى بتو فخر كند]. ﴿**والذين**﴾ عبارة عن المشركين ﴿**اتخذوا**﴾: يعني عبدوا. ﴿**من دونه**﴾؛ أي: حال كونهم متجاوزين الله وعبادته. ﴿**أولياء**﴾: أرباباً أوثاناً كالملائكة وعيسى وعزير والأصنام لم يخلصوا العبادة لله تعالى، بل شابوها بعبادة غيره حال كونهم قائلين. ﴿**ما نعبدهم**﴾؛ أي: الأولياء لشيء من الأشياء. ﴿**إلا ليقربونا إلى الله زلفى**﴾؛ أي: تقريباً، فهو مصدر مؤكد على غير لفظ مصدر ملاق له في المعنى. وكانوا إذا سئلوا عمن خلق السماوات والأرض. قالوا الله، فإذا قيل لهم: لم تعبدون الأصنام. قالوا: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله.

وفي «تفسير الكاشفي»: [درخواست كنند تا بشفاعت ايشان ميزلت يا بيم]. وذكر الشيخ عبد الوهاب الشعراني: أن أصل وضع الأصنام إنما كان من قوة التنزيه من العلماء الأقدمين، فإنهم نزهوا الله عن كل شيء وأمروا بذلك عامتهم، فلما رأوا أن بعض عامتهم صرح بالتعطيل وضعوا لهم الأصنام وكسوها الديباج والحلي والجواهر وعظموها بالسجود وغيره، ليتذكروا بها الحق الذي غاب عن عقولهم. وغاب عن أولئك العلماء أن ذلك لا يجوز إلا بإذن من الله تعالى: ﴿**إن الله**﴾ إلخ. خبر للموصول: ﴿**يحكم بينهم**﴾؛ أي: بين المتخذين بالكسر غير المخلصين، وبين خصمائهم المخلصين للدين، وقد حذف لدلالة الحال عليه ﴿**فيما هم فيه يختلفون**﴾ من الدين الذي اختلفوا فيه بالتوحيد والإشراك وادعى كل فريق صحة ما انتحله وحكمه تعالى في ذلك إدخال الموحدين الجنة والمشركين النار، فالضمير للفريقين. ﴿**إن الله لا يهدي**﴾ لا يوفق إلى الاهتداء إلى الحق الذي هو طريق النجاة من المكروه. والفوز بالمطلوب. ﴿**من هو كاذب كفار**﴾؛ أي: راسخ في الكذب مبالغ في الكفر كما يعرب عنه قراءة كذاب وكذوب؛ فإنهما فاقدان للبصيرة غير قابلين للاهتداء لتغييرهما: الفطرة الأصلية بالتمرن في الضلالة والتمادي في الغيّ، قال في «الوسيط»: هذا فيمن سبق عليه القضاء بحرمان الهداية، فلا يهتدي إلى الصدق والإيمان البتة. قال الحافظ:

كرجان بدهد سنك سيه لعل نكردده باطينت أصلى جه كند بدكهر افتاد

وكذبهم قولهم في بعض أوليائهم بنات الله وولده. قولهم: إن الآلهة تشفع لهم وتقربهم إلى الله وكفرهم عبادتهم تلك الأولياء وكفرانهم النعمة بنسيان المنعم الحقيقي. وفي «التأويلات النجمية»: أن الإنسان مجبول على معرفة صانعه، وصانع العالم ومقتضى طبعه عبادة صانعه، والتقرب إليه من خصوصية فطرة الله التي فطر الناس عليها، ولكن لا عبرة بالمعرفة الفطرية والعبادة الطبيعية؛ لأنها مشوبة بالشركة لغير الله؛ ولأنها تصدر من نشاط النفس واتباع هواها، وإنما تعتبر المعرفة الصادرة عن التوحيد الخالص ومن أماراتها قبول دعوة الأنبياء والإيمان بهم، وبما أنزل عليهم من الكتب ومخالفة الهوى والعبادة على وفق الشرع لا على وفق الطبع، والتقرب إلى الله بأداء ما افترض الله عليهم ونافلة قد استن النبي ﷺ بها، أو بمثلها، فإنه كان من طبع إبليس السجود لله ولما أمر بالسجود على خلاف طبعه أبى واستكبر، وكان من الكافرين بعد أن كان من الملائكة المقربين. وكذلك حال الفلاسفة ممن لا يتابع الأنبياء منهم ويدعي معرفة الله ويتقرب إلى الله بأنواع العلوم، وأصناف الطاعات والعبادات بالطبع لا بالشرع، ومتابعة الهوى لا بأمر المولى، فيكون حاصل أمره ما قال تعالى: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣]، فاليوم كل مدع يدعي حقيقة ما عنده من الدين والمذهب على اختلاف طبقاتهم، فالله تعالى يحكم بينهم في الدنيا والآخرة. أما في الدنيا فيحق الحق باتساع صدور أهل الحق بنور الإسلام وبكتابة الإيمان في قلوبهم وتأييدهم بروح منه، وكشف شواهد الحق عن أسرارهم وتجلي صفات جماله وجلاله لأرواحهم، ويبطل الباطل بتضييق صدور أهل الأهواء والبدع وقسوة قلوبهم وعمى أسرارهم وبصائرهم وغشاوة أرواحهم بالحجب. وأما في الآخرة فتبييض وجوه أهل الحق وإعطاء كتابهم باليمين وتثقيل موازينهم وجوازهم على الصراط وسعي نورهم بين أيديهم وإيمانهم ودخول الجنة ورفعتهم في الدرجات، وبتسويد وجوه أهل الباطل، وإيتاء كتبهم بالشمال ومن وراء ظهورهم، وتخفيف موازينهم، وزلة أقدامهم على الصراط، ودخول النار ونزولهم في الدركات، وبقوله: ﴿**إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار**﴾. يشير إلى تهديد من يتعرض لغير مقامه ويدعي رتبة ليس بصادق فيها، فالله لا يهديه قط إلى ما فيه سداده ورشده وعقوبته أن يحرمه تلك الرتبة التي تصدى لها بدعواه قبل تحققه بوجودها. قال الحافظ:

كرانكشت سليماني نباشد   جه خاصيت دهد نقش نكيني
خدازان خرقه بيزارست صدبار   كه صد بت باندش در آستيني

ومن الله العصمة من الدعوى قبل التحقق بحقيقة الحال، وهو المنعم المتعال.

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾﴾

﴿**لو أراد الله أن يتخذ ولداً**﴾. كما زعم المشركون بأن الله تعالى اتخذ ولداً. ﴿**لاصطفى**﴾ لاتخذ واختار. ﴿**مما يخلق**﴾؛ أي: من جنس مخلوقاته. ﴿**ما يشاء**﴾. ولم يخص مريم ولا عيسى ولا عزيراً بذلك ولخلق جنساً آخر أعز وأكرم مما خلق، واتخذه ولداً لكنه لا يفعله لامتناعه والممتنع لا تتعلق به القدرة والإرادة، وإنما أمره اصطفاء من شاء من عباده وتقريبهم منه، وقد فعل ذلك الملائكة وبعض الناس كما قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَصْطَفِى

مِنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾ [الحج: ٧٥]، ولذا وضع الاصطفاء مكان الاتخاذ.

وقال بعضهم: معناه لو اتخذ من خلقه ولداً لم يتخذه باختيارهم، بل يصطفي من خلقه من يشاء.

وقال الكاشفي: [هر آينه اختيار كردى از آنجه مى آفريند آنجه خواستى از اعزاشيا واحسن آن واكمل كه بنون اندنه از نقص كه بتانند اما مخلوق مماثل خالق نيست وميان والد ومولود مجانست شرط است بس اورا فرزند نبود]. ﴿**سبحانه**﴾ مصدر من سبح إذا بعد؛ أي: تنزه تعالى بالذات عن ذلك الاتخاذ وعما نسبوا إليه من الأولاد والأولياء وعلم للتسبيح مقول على ألسنة العباد؛ أي: أسبحه تسبيحاً لائقاً به أو سبحوه تسبيحاً حقيقياً بشأنه. ﴿**هو**﴾: مبتدأ خبره. قوله: ﴿**الله**﴾ المتصف بالألوهية. ﴿**الواحد**﴾ الذي لا ثاني له والولد ثاني والده وجنسه وشبهه. وفي «بحر العلوم»: واحد؛ أي: موجود جلّ عن التركيب والمماثلة ذاتاً وصفة، فلا يكون له ولد؛ لأنه يماثل الوالد في الذات والصفات. ﴿**القهار**﴾ الذي بقهاريته لا يقبل الجنس والشبه بنوع ما.

وفي «الإرشاد»: قهار لكل الكائنات كيف يتصور أن يتخذ من الأشياء الفانية ما يقوم مقامه.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ ﴿٥﴾﴾.

﴿**خلق السماوات والأرض**﴾، وما بينهما من الموجودات حال كونها ملتبسة. ﴿**بالحق**﴾. والصواب مشتملة على الحكم والمصالح لا باطلاً وعبثاً.

قال الكاشفي: [بيافريد آسمان وزمين را براستى نه بباطل وبازى بلكه در آفرينش هريك ازان صد هزار آثار قدرت وأطوار حكمت است نعميه تاديده وران از روى اعتبار ارقام معرفت آفريد كار بر صفحات آن دلائل مطالعه نمايند]:

نوشته است براوراق آسمان وزمين   خطى كه فاعتبروا منه يا أولي الأبصار

﴿**يكور الليل على النهار ويكور النهار على الليل**﴾. قال في «تاج المصادر»: تكوير الليل على النهار تغشيته إياه، ويقال: زيادته من هذا في ذاك، كما قال الراغب في «المفردات»: تكوير الشيء إدارته وضم بعضه إلى بعض ككور العمامة. وقوله تعالى: ﴿**يكور الليل**﴾ إلخ. إشارة إلى جريان الشمس في مطالعها، وانتقاص الليل والنهار وازديادهما. انتهى.

والمعنى: يغشى كل واحد منهما الآخر، كأنه يلفه عليه لف اللباس على اللابس. وبالفارسية: [برمى بيجد ودر مى آرد شب بروز وبه برده ظلمت آن نور اين مى بوشد ودر مى آرد روزرا برشب وشعله روشنى آن تاريكى اين را مختفى مى سازد]. وذلك أن النور والظلمة عسكران مهيبان عظيمان، وفي كل يوم يغلب هذا ذاك كما في «الكبير» أو يغيب كل واحد منهما بالآخر، كما يغيب الملفوف باللفافة عن مطامح الأبصار، أو يجعله كارّاً عليه كروراً متتابعاً تتابع أكوار العمامة بعضها على بعض.

﴿**وسخّر الشمس والقمر**﴾: جعلهما منقادين لأمره تعالى. ﴿**كل**﴾ منهما ﴿**يجري**﴾ يسير في بروجه ﴿**لأجل مسمى**﴾ لمدة معينة، هي منتهى دورته في كل يوم أو شهر، أو منقطع

حركته؛ أي: وقت انقطاع سيره، وهو يوم القيامة، وإنما ذلك لمنافع بني آدم. وفي الحديث: «وكل بالشمس سبعة أملاك يرمونها بالثلج ولولا ذلك ما أصابت شيئاً إلا أحرقته». [وكفته اند ستاركان آسمان دو قسم اند قسمي بر آفتاب كذر كنند وازوى روشنايى كيرند وقسمى آفتاب برايشان كذر كند وايشانرا روشنايى دهد ازروى اشارت ميكويد مؤمنان دو كروهند كروهى بدركاه شوند بجد واجتهاد تانور هدايت يابند].

كما قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾ [العنكبوت: ٦٩]. [وكروهى آننه كه عنايت ازلى برايشان كذر كند وايشانرا نور معرفت دهد].

كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢]. ﴿ألا﴾ اعلموا ﴿هو﴾ وحده ﴿العزيز﴾ الغالب القادر على كل شيء، فيقدر على عقاب العصاة ﴿الغفار﴾ المبالغ في المغفرة. ولذلك لا يعاجل بالعقوبة، وسلب ما في هذه الصنائع البديعة من آثار الرحمة، وعموم المنفعة. وبالفارسية: [سلب اين نعمتها نمى كند از آدميان باوجود وقوع شرك ومعصيت ازايشان].

قال الإمام الغزالي رحمه الله: الغفار هو الذي أظهر الجميل وستر القبيح والذنوب من جملة القبائح التي سترها بإسبال الستر عليها في الدنيا، والتجاوز عن عقوبتها في الآخرة.

والغفر: هو الستر. وأول ستره على عبده أن جعل مقابح بدنه التي تستقبحها الأعين مستورة في باطنه مغطاة بجمال ظاهره فكم بين باطن العبد وظاهره في النظافة والقذارة. وفي القبح والجمال، فانظر ما الذي أظهره، وما الذي ستره.

وستره الثاني أن جعل مستقر خواطره المذمومة وإرادته القبيحة سر قلبه حتى لا يطلع أحد على سر قلبه، ولو انكشفت للخلق ما يخطر بباله في مجاري وسواسه، وما ينطوي عليه ضميره من الغش والخيانة، وسوء الظن بالناس لمقتوه، بل سعوا في تلف روحه وإهلاكه، فانظر كيف ستر عن غيره أسراره وعوارفه.

والثالث: مغفرة ذنوبه التي كان يستحق الافتضاح بها على ملأ من الخلق، وقد وعد أن يبدل من سيئاته حسنات ليستر مقابح ذنوبه بثواب حسناته إذا مات على الإيمان.

وحظ العبد من هذا الاسم أن يستر من غيره ما يحب أن يستر منه. وقد قال النبي ﷺ. «من ستر على مؤمن عورته ستر الله عورته يوم القيامة». والمغتاب والمتجسس والمكافىء على الإساءة بمعزل، وعن هذا الوصف، وإنما المتصف به من لا يفشي من خلق الله إلا أحسن ما فيهم، ولا ينفلت مخلوق عن كمال ونقص وعن قبح وحسن، فمن تغافل عن المقابح، وذكر المحاسن، فهو ذو نصيب من هذا الاسم والوصف كما روي عن عيسى عليه السلام أنه مر مع الحواريين بكلب ميت قد غلب نتنه، فقالوا: ما أنتن هذه الجيفة، فقال عيسى عليه السلام: ما أحسن بياض أسنانها تنبيهاً على أن الذي ينبغي أن يذكر من كل شيء ما هو أحسنه. قال الشيخ سعدي:

مكن عيب خلق اي خردمند فاش بعيب خود از خلق مشغول باش
جو باطل سرايند نمكمار كوش جو بى ستر بينى نظر رابيوش

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ يَخْلُقُكُمْ فِي

بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ﴿٦﴾﴾

﴿**خلقكم**﴾؛ أي: الله تعالى أيها الناس جميعاً ﴿**من نفس واحدة**﴾ هي نفس آدم عليه السلام. ﴿**ثم جعل منها**﴾؛ أي: خلق من جنس تلك النفس واحدة، أو من قصيراها، وهي الضلع التي تلي الخاصرة، أو هي آخر الأضلاع. وبالفارسية: [ازاستخوان بهلوى جب]، أو ﴿**زوجها**﴾ حواء عليها السلام، وثم عطف على محذوف هو صفة لنفس؛ أي: من نفس واحدة خلقها، ثم جعل منها زوجها، فشفعها وذلك، فإن ظاهر الآية يفيد أن خلق حواء بعد خلق ذرية آدم، وليس كذلك. وفيه إشارة إلى أن الله تعالى خلق الإنسان من نفس واحدة هي الروح، وخلق منها زوجها وهو القلب، فإنه خلق من الروح كما خلقت حواء من ضلع آدم عليه السلام، فالله تعالى متفرد بهذا الخلق مطلقاً، فينبغي أن يعرف ويعبد بلا إشراك. ﴿**وأنزل لكم**﴾؛ أي: قضى وقسم لكم، فإن قضاياه تعالى وقسمه توصف بالنزول من السماء حيث تكتب في اللوح المحفوظ، أو أحدث لكم وأنشأ بأسباب نازلة من السماء كالأمطار وأشعة الكواكب. وهذا كقوله: قد أنزلنا عليكم لباساً، ولم ينزل اللباس نفسه، ولكن أنزل الماء الذي هو سبب القطن والصوف واللباس منهما. ﴿**من الأنعام**﴾ [از جهار بايان]. ﴿**ثمانية أزواج**﴾ ذكراً وأنثى، هي الإبل والبقر والضأن والمعز والأنعام جمع نعم بفتحتين، وهي جماعة الإبل في الأصل لا واحد لها من لفظها.

قال ابن الشيخ في أول المائدة: الأنعام مخصوص بالأنواع الأربعة، وهي الإبل والبقر والضأن والمعز، ويقال لها: الأزواج الثمانية؛ لأن ذكر كل واحد من هذه الأنواع زوج بأنثاه وأنثاه زوج بذكره، فيكون مجموع الأزواج ثمانية بهذا الاعتبار من الضأن اثنين، ومن المعز اثنين ومن الإبل اثنين ومن البقر اثنين والخيل والبغال والحمير خارجة من الأنعام. قال في «بحر العلوم» الواحد إذا كان وحده، فهو فرد، وإذا كان معه غيره من جنسه سمي كل واحد منهما زوجاً، فهي زوجان بدليل قوله تعالى: ﴿خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ﴾ [النجم: ٤٥]، وعند الحساب الزوج خلاف الفرد كالأربعة والثمانية في خلاف الثلاثة والسبعة. وخصصت هذه الأنواع الأربعة بالذكر لكثرة الانتفاع بها من اللحم والجلد والشعر والوبر.

وفي «التأويلات النجمية»: وأنزل لكم من الأنعام ثمانية أزواج؛ أي: خلق فيكم من صفات الأنعام ثماني صفات، وهي الأكل والشرب والتغوط والتبول والشهوة والحرص والشره والغضب. وأصل جميع هذه الصفات الصفتان الاثنتان: الشهوة والغضب، فإنه لا بدّ لكل حيوان من هاتين الصفتين لبقاء وجوده بهما فبالشهوة يجلب المنافع إلى نفسه وبالغضب يدفع المضرات. ﴿**يخلقكم في بطون أمهاتكم**﴾؛ أي: في أرحامهن جمع أم زيدت الهاء فيه كما زيدت في أهراق من أراق. ﴿**خلقاً**﴾ كائناً ﴿**من بعد خلق**﴾؛ أي: خلقاً مدرجاً حيواناً سوياً من بعد عظام مكسوة لحماً من بعد عظام عارية من بعد مضغ مخلقة من بعد مضغ غير مخلقة من بعد علقة من بعد نطفة ونظيره قوله تعالى: ﴿وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا ﴿١٤﴾﴾ [نوح: ١٤]. ﴿**في ظلمات ثلاث**﴾ متعلق بيخلقكم، وهي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة، وهي بالفتح محل الولد؛ أي: الجلد الرقيق المشتمل على الجنين، أو ظلمة الصلب أو البطن والرحم. وفيه

إشارة إلى ظلمة الخلقية وظلمة وجود الروح وظلمة البشرية، وإن شئت قلت: ظلمة الجسد وظلمة الطبيعة وظلمة النفس، فكما أن الجنين يخرج في الولادة الأولى من الظلمات المذكورة إلى نور عالم الملك والشهادة، فكذا السالك يخرج في الولادة الثانية من الظلمات المسطورة إلى نور عالم الملكوت والغيب في مقام القلب والروح.

قال الحافظ:

بال بكشا وصفير از شجر طوبى زن حيف باشد جو تومر غى كه اسير قفسى

﴿ذلكم﴾ إشارة إليه تعالى باعتبار أفعاله المذكورة ومحله الرفع على الابتداء؛ أي: ذلكم العظيم الشأن الذي عدت أفعاله. ﴿الله﴾ خبره. وقوله تعالى: ﴿ربكم﴾ خبر آخر له؛ أي: مربيكم فيما ذكر من الأطوار وفيما بعدها ومالككم المستحق لتخصيص العبادة به.

وفي «التأويلات النجمية»؛ أي: أنا خلقتكم وأنا صورتكم، وأنا الذي أسبغت عليكم إنعامي وخصصتكم بجميع إكرامي وغرقتكم في بحار أفضالي وعرفتكم استحقاق شهود جمالي وجلالي وهديتكم إلى توحيدي وأدعوكم إلى وحدانيتي، فما لكم لا تنطقون إلي بالكلية وما لكم لا تطلبون مني ولا تطلبونني، وقد بشرتكم بقولي ألا من طلبني وجدني ومن كان لي كنت له ومن كنت له يكون له ما كان لي. ﴿له الملك﴾ على الإطلاق في الدنيا والآخرة ليس لغيره شركة في ذلك بوجه من الوجوه. وبالفارسية: [مرورا بادشاهى مطلق كه زوال وفنا بدوراه نيابد]. وقال بعض الكبار: له ملك القدرة على تبليغ العباد إلى المقامات العلية والكرامات السنية، فينبغي للعبد أن لا يقنط، فإن الله تعالى قادر ليس بعاجز والجملة خبر آخر وكذا قوله تعالى: ﴿لا إله إلا هو﴾ [نيست معبودى بسزا مكرا] وفكما أن لا معبود إلا هو، فكذا لا مقصود، بل لا موجود إلا هو، فهو الوجود المطلق والهوية المطلقة والواحدة الذاتية. ﴿فأنى تصرفون﴾؛ أي: فكيف، ومن أي وجه تصرفون وتردون عن ملازمة بابه بالعبودية إلى باب عاجز مثلكم من الخلق؛ أي: عن عبادته تعالى إلى عبادة الأوثان مع وفور موجباتها ودواعيها وانتفاء الصارف عنها بالكلية إلى عبادة غيره من غير داع إليها مع كثرة الصوارف عنها. قال علي كرم الله وجهه: قيل للنبي عليه السلام: هل عبدت وثناً قط. قال: لا، قيل: هل شربت خمراً. قال: لا وما زلت أعرف أن الذي هم؛ أي: الكفار عليه من عبادة الأوثان ونحوها، كفر وما كنت أدري ما الكتاب ولا الإيمان»، فأدلة العقل وحدها كافية في الحكم ببطلان عبادة غير الله، فكيف وقد انضم إليها أدلة الشرع، فلا بد من الرجوع إلى باب الله تعالى، فإنه المنعم الحقيقي والعبودية له؛ لأنه الخالق.

قال أبو سعيد الخراز قدس سره: العبودية ثلاثة: الوفاء لله على الحقيقة ومتابعة الرسول في الشريعة والنصيحة لجماعة الأمة.

واعلم أن العبادة، هي المقصود من خلق الأشياء كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذاريات: ٥٦] سواء فسرت العبادة بالمعرفة أم لا إذ لا تكون المعرفة الحقيقية إلا من طريق العبادة.

وعن معاذ رضي الله عنه، قال: قلت: يا رسول الله أخبرني بعمل يدخلني الحنة ويباعدني من النار. قال: «لقد سألت عن عظيم، وإنه يسير على من يسر الله تعالى تعبد الله لا تشرك به شيئاً، وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت، ثم قال: ألا أدلك

على أبواب الخير: الصوم جنة والصدقة تطفىء الخطيئة كما تطفأ النار بالماء، وصلاة الرجل في جوف الليل». ثم تلا: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾ [السجدة: ١٦] الآية. ثم قال: ألا أخبرك برأس الأمر وعموده وذروة سنامه: الجهاد». ثم قال: «ألا أخبرك بملاك ذلك كله». قلت: بلى يا رسول الله، فأخذ بلسانه. وقال: «كف عليك هذا». قلت: يا نبي الله وإنا المؤاخذون بما نتكلم به فقال: «ثكلتك أمك، وهل يكب الناس في النار على وجوههم أو على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم»:

ترا ديده درسر نهادند وكوش دهن جاى كفتار ودل جاى هوش

مكر بازدانى نشيب ازفراز نكويى كه اين كوته است آن دراز

﴿إِن تَكْفُرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ وَإِن تَشْكُرُواْ يَرْضَهُ لَكُمْ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٧﴾﴾

﴿إن تكفروا﴾ به تعالى بعد مشاهدة ما ذكر من فنون نعمائه ومعرفة شؤونه العظيمة الموجبة للإيمان والشكر. والخطاب لأهل مكة كما في «الوسيط». والظاهر التعميم لكل الناس كما في قوله تعالى: ﴿إِن تَكْفُرُوٓاْ أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [إبراهيم: ٨]. **﴿فإن الله غني عنكم﴾** وعن العالمين؛ أي: فاعلموا أنه تعالى غني عن إيمانكم وشكركم غير متأثر من انتفائهما، والغني هو الذي يستغني عن كل شيء لا يحتاج إليه لا في ذاته ولا في صفاته؛ لأنه الواجب من جميع جهاته. **﴿ولا يرضى لعباده الكفر﴾**، وإن تعلقت به إرادته تعالى من بعضهم؛ أي: عدم رضاه بكفر عباده لأجل منفعتهم ودفع مضرتهم رحمة عليهم لا لتضرره به تعالى. وإنما قيل لعباده لا لكم لتعميم الحكم للمؤمنين والكافرين وتعليله بكونهم عباده.

واعلم أن الرضا ترك السخط، والله تعالى لا يترك السخط في حق الكافر، لأنه لسخطه عليه أعدَّ له جهنم، ولا يلزم منه عدم الإرادة إذ ليس في الإرادة ما في الرضا من نوع استحسان، فالله تعالى مريد الخير والشر، ولكن لا يرضى بالكفر والفسوق، فإن الرضا إنما يتعلق بالحسن من الأفعال دون القبيح، وعليه أهل السنة، وكذا أهل الاعتزال.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: والذي لا يرضى لعباده المؤمنين الكفر، وهم الذين ذكرهم في قوله: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، فيكون عاماً مخصوصاً كقوله: ﴿عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ ٱللَّهِ﴾ [الإنسان: ٦]، يريد بعض العباد، وعليه بعض الماتريدية حيث قالوا: إن الله يرضى بكفر الكافر ومعصية العاصي، كما أنه يريدهما صرح بذلك الخصاف في «أحكام القرآن».

ونقل أن هشام بن عبد الملك إنما قتل غيلان القدري بإشارة علماء الشام بقوله: إن الله لا يرضى لعباده الكفر. قال هشام: إن لم يكن الله قادراً على دفع الكفر عن الكافر يكون عاجزاً فلا يكون إلٰهاً، وإن قدر فلم يدفع يكون راضياً فأفحم غيلان.

وفي «الأسئلة المقحمة»: فإن قيل: هل يقولون بأن كفر الكافر قد رضيه الله تعالى للكافر. قلنا: إن الله تعالى خلق كفر الكافر ورضيه له وخلق إيمان المؤمن، ورضيه له وهو مالك الملك على الإطلاق.

وتكلف بعض أهل الأصول، فقال: إن الله تعالى لا يرضى بكون الكفر حسناً وديناً، لأنه

تعالى يرضى وجوده، وهو حسن، ولا يخلقه، وهو حسن، وعلى هذا معنى قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ﴾ [البقرة: ٢٠٥]. والأليق بأهل الزمان، والأبعد عن التشنيع، والأقرب أن لا يرضى من عباده الكفر مؤمناً كان أو كافراً.

يقول الفقير: إن رضى الله بكفر الكافر ومعصية العاصي اختياره وإرادته له في الأزل، فلذا لم يتغير حكمه في الأبد لا مدحه وثناؤه وترك السخط عليه فارتفع النزاع، ومن تعمق في إشارة قوله تعالى: ﴿مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذُۢ بِنَاصِيَتِهَآ إِنَّ رَبِّى عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [هود: ٥٦]. انكشف له حقيقة الحال. ﴿وإن تشكروا﴾ تؤمنوا به تعالى وتوحدوه يدل عليه ذكره في مقابلة الكفر. ﴿يرضه لكم﴾ أصله يرضاه على أن الضمير عائد إلى الشكر حذف الألف علامة للجزم، وهو باختلاس ضمة الهاء عند أهل المدينة وعاصم وحمزة، وبإسكان الهاء عند أبي عمرو، وبإشباع ضمة الهاء عند الباقين، لأنها صارت بخلاف الألف موصولة بمتحرك. والمعنى: يرضى الشكر والإيمان لأجلكم ومنفعتكم؛ لأنه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لانتفاعه تعالى به.

وفي «التأويلات النجمية»: يعني: لا يرضى لكفركم؛ لأنه موجب للعذاب الشديد ويرضى لشكركم؛ لأنه موجب لمزيد النعمة، وذلك لأن رحمته سبقت غضبه يقول: يا مسكين أنا لا أرضى لك أن لا تكون لي يا قليل الوفاء كثير التجني، فإن أطعتني شكرتك وإن ذكرتني ذكرتك.

﴿ولا تزر وازرة وزر أخرى﴾ بيان لعدم سراية كفر الكافر إلى غيره أصلاً. والوزر: الحمل الثقيل ووزره؛ أي: حمله. والمعنى: ولا تحمل نفس حاملة للوزر حمل نفس أخرى من الذنب والمعصية [بلكه هريك بردارنده وزر خود بردارد جنانكه كناه كسى دردفتر ديكر نمى نويسند]:

كه كناه دكران برتو نخواهند نوشت

﴿ثم إلى ربكم مرجعكم﴾؛ أي: رجوعكم بالبعث بعد الموت لا إلى غيره. ﴿فينبئكم﴾ عند ذلك. وبالفارسية: [بس خبر دهد شمارا]. ﴿بما كنتم تعملون﴾؛ أي: بما كنتم تعملونه في الدنيا من أعمال الكفر والإيمان؛ أي: يجازيكم بذلك ثواباً وعقاباً كما قال الكاشفي. [واخبار از آن بمحاسبه ومجازات باشد].

وفي «تفسير أبي السعود» في غير هذا المحل عبر عن إظهاره بالتنبئة لما بينهما من الملابسة في أنهما سببان للعلم، تنبيهاً على أنهم كانوا جاهلين بحال ما ارتكبوه غافلين عن سوء عاقبته؛ أي: يظهر لكم على رؤوس الأشهاد ويعلمكم؛ أي شيء شنيع كنتم تفعلونه في الدنيا على الاستمرار، ويرتب عليه ما يليق به من الجزاء. ﴿إنه﴾ تعالى ﴿عليم بذات الصدور﴾. تعليل للتنبئة؛ أي: مبالغ في العلم بمضمرات القلوب، فكيف بالأعمال الظاهرة، وأصله عليم بمضمرات صاحبة الصدور.

وفي الآية دليل على أن ضرر الكفر والطغيان يعود إلى نفس الكافر، كما أن نفع الشكر والإيمان يعود إلى نفس الشاكر، والله غني عن العالمين كما وقع في الكلمات القدسية: «يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم»؛ أي: على تقوى أتقى قلب رجل «ما زاد ذلك في ملكي شيئاً يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم

وجنكم كانوا على أفجر قلب واحد منكم ما نقص ذلك من ملكي شيئاً». وفي آخر الحديث، فمن وجد خيراً، فليحمد الله ومن وجد غير ذلك، فلا يلومنّ إلا نفسه. واعلم أن الشكر سبب الرضوان ألا ترى إلى قوله تعالى ﴿وإن تشكروا يرضه لكم﴾، ولشرف الشكر أمر أنبياءه، فقال لموسى فخذ ما آتيتك، وكن من الشاكرين. روي: أنه أخذ التوراة، وهي خمسة ألواح أو تسعة من الياقوت، وفيها مكتوب يا موسى من لم يصبر على قضائي، ولم يشكر نعمائي، فليطلب رباً سواي. وكان الأنبياء لمعرفتهم لفضل الشكر يبادرون إليه.

روي: أنه عليه السلام لما تورمت قدماه من قيام الليل؛ أي: انتفختا من الوجع الحاصل من طول القيام في الصلاة. قالت عائشة ـ رضي الله عنها ـ. . أليس قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، فقال عليه السلام: أفلا أكون عبداً شكوراً؛ أي: مبالغاً في شكر ربي. وفي ذلك تنبيهه على كمال فضل قيام الليل حيث جعله النبي عليه السلام شكراً لنعمته تعالى، ولا يخفى أن نعمه عظيمة وشكره أيضاً عظيم، فإذا جعل النبي عليه السلام قيام الليل شكراً لمثل هذه النعم الجليلة ثبت أنه من أعظم الطاعات، وأفضل العبادات.

وفي الحديث صلاة في مسجدي هذا أفضل من عشرة آلاف في غيره إلا المسجد الحرام، وصلاة في المسجد الحرام أفضل من مائة ألف صلاة في غيره، ثم قال: «ألا أدلكم على ما هو أفضل من ذلك»، قالوا: نعم. قال: «رجل قام في سواد الليل فأحسن الوضوء وصلى ركعتين يريد بهما وجه الله تعالى». وعن عائشة رضي الله عنها أن النبي عليه السلام كان إذا فاته قيام الليل بعذر قضاه ضحوة؛ أي: من غير وجوب عليه، بل على طريق الاحتياط، فإن الورد الملتزم إذا فات عن محله يلزم أن يتدارك في وقت آخر حتى يتصل الأجر ولا ينقطع الفيض، فإنه بدوام التوجه يحصل دوام العطاء وشرط عليه السلام إرادة وجه الله تعالى، فإنه تعالى لا يقبل ما كان لغيره ولذا وعدوا وعداً بقوله: إنه عليم بذات الصدور، فمن اشتمل صدره على الخلوص تخلص من يد القهر، ومن اشتمل على الشرك والرياء وجد الله عند عمله فوفاه حسابه:

اكر جز بحق ميرود جاده ات ... در آتش فشانند سجاده ات
اكر جانب حق نداری نكاه ... بكويی بروز اجل آه آه
جه وزن آورد جايی انبان باد ... كه ميزان عدلست وديوان داد
مرايی كه جندان عمل می نمود ... بديدند هيجش در انبان نبوت
منه آب روی ريارا محل ... كه اين آب در زير دارد وحل

جعلنا الله وإياكم من الصالحين الصادقين والمخلصين في الأقوال والأفعال والأحوال دون الفاسقين الكاذبين المرائين آمين يا كريم العفو كثير النوال.

﴿۞ وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَـٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَـٰبِ ٱلنَّارِ ﴿٨﴾﴾.

﴿وإذا مس الإنسان ضر﴾ أصابه ووصل إليه سوء حال من فقر أو مرض أو غيرهما. وبالفارسية: [وجون آنكاه كه برسيد ايشانرا سختى].

قال الراغب: المس، يقال: في كل ما ينال الإنسان من أذى والضر يقابل بالسراء

والنعماء والضرر والنفع ﴿دعا ربه﴾ في كشف ذلك الضر حال كونه ﴿منيباً إليه﴾ راجعاً إليه مما كان يدعوه في حالة الإنابة إلى الله، والرجوع إليه بالتوبة وإخلاص العمل والنوب رجوع الشيء مرة بعد أخرى. وهذا وصف للجنس بحال بعض أفراده كقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤]، وفيه إشارة إلى أن من طبيعة الإنسان أنه إذا مسه ضر خشع وخضع، وإلى ربه فزع وتملق بين يديه وتضرع. وفي المثنوي:

بندمى نالد بحق ازدر دونيش صد شكايت ميكند از رنج خويش
حق همى كويد كه آخر رنج ودرد مر ترا لابه كان او راست كرد
در حقيقت هر عدد را روى تست كيميا ونافع دلجوى تست
كه از واندر كريزى درخلا استعانت جويى از لطف خدا
در حقيقت دوستان دشمن اند كه زحضرت دور ومشغولت كنند

﴿ثم إذا خوله نعمة منه﴾؛ أي: أعطاه نعمة عظيمة من جنابه تعالى، وأزال عنه ضره وكفاه أمره وأصلح باله، وأحسن حاله من التخول، وهو التعهد؛ أي: المحافظة والمراعاة؛ أي: جعله خائل مال من قولهم فلان خائل ماله إذا كان متعهداً له حسن القيام به، ومن شأن الغني الجواد أن يراعي أحوال الفقراء أو من الخول، وهو الافتخار، لأن الغني يكون متكبراً طويل الذيل؛ أي: جعله يخول؛ أي: يختال ويفتخر بالنعمة. ﴿نسي ما كان يدعو إليه﴾؛ أي: نسي الضر الذي كان يدعو الله إلى كشفه. ﴿من قبل﴾؛ أي: من قبل التخويل كقوله تعالى: مر كألم يدعنا إلى ضر مسه أو نسي ربه الذي كان يدعوه ويتضرع إليه إما بناء على أن ما بمعنى من كما في قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ ۝٣﴾ [الليل: ٣]، وإما إيذاناً بأن نسيانه بلغ إلى حيث لا يعرف مدعوه ما هو فضلاً عن أن يعرفه من هو، فيعود إلى رأس كفرانه وينهمك في كبائر عصيانه ويشرك بمعبوده ويصر على جحوده، وذلك لكون دعائه المحسوس معلولاً بالضر الممسوس لا ناشئاً عن الشوق إلى الله المأنوس. وفي المثنوي:

آن ندامت از نتيجه رنج بود نى زعقل روشن جون كنج بود
جونكه شد ربح آن ندامت شد عدم مى نيرز دخاك آن توبه ندم
ميكند او توبه وبير خرد بابك لو ردوا لعادوامى زند

وفي «عرائس البقلي»: وصف الله أهل الضعف من اليقين إذا مسه ألم امتحانه دعاه بغير معرفته، وإذا وصل إليه نعمته احتجب بالنعمة عن المنعم، فبقي جاهلاً من كلا الطريقين لا يكون صابراً في البلاء ولا شاكراً في النعماء، وذلك من جهله بربه ولو أدركه بنعت المعرفة وحلاوة المحبة لبذل له نفسه حتى يفعل به ما يشاء. وقال بعضهم: أقل العبيد علماً ومعرفة أن يكون دعاؤه لربه عند نزول ضر به، فإن من دعاه بسبب أو لسبب فذلك دعاء معلول مدخول حتى يدعوه رغبة في ذكره وشوقاً إليه.

وقال الحسين: من نسي الحق عند العوافي لم يجب الله دعاءه عند المحن والاضطرار، ولذلك قال النبي عليه السلام لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة». وقال النهر جوري: لا تكون النعمة التي تحمل صاحبها إلى نسيان المنعم نعمة، بل هي إلى النقم أقرب.

اين كله زان نعمتي كن كت زند ازدرما دور مطر ودت كند

﴿وجعل لله أنداداً﴾ شركاء في العبادة؛ أي. رجع إلى عبادة الأوثان جمع ند، وهو يقال: لما يشارك في الجوهر فقط كما في «المفردات». وقال في «بحر العلوم»: هو المثل المخالف؛ أي: أمثالاً يعتقد أنها قادرة على مخالفة الله ومضادته. ﴿ليضل﴾ الناس بذلك يعني: [تاكمراه كندمر دمانرا]. ﴿عن سبيله﴾ الذي هو التوحيد.

والسبيل: من الطرق ما هو معتاد السلوك استعين للتوحيد، لأنه موصل إلى الله تعالى ورضاه قرى ليضل بفتح الياء؛ أي: ليزداد ضلالاً، أو يثبت عليه، وإلا فأصل الضلال غير متأخر عن الجعل المذكور. واللام: لام العاقبة، فإن النتيجة قد تكون غرضاً في الفعل، وقد تكون غير غرض والضلال والإضلال ليسا بغرضين، بل نتيجة الجعل وعاقبته. ﴿قل﴾ الأمر الآتي للتهديد كقوله: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠]، فالمعنى: قل يا محمد تهديداً لذلك الضال المضل وبياناً لحاله ومآله.

وفي «التأويلات النجمية»: قل للإنسان الذي هذه طبيعته في السراء والضراء. ﴿تمتع بكفرك قليلاً﴾؛ أي: تمتعاً قليلاً، فهو صفة مصدر محذوف، أو زماناً قليلاً، فهو صفة زمان محذوف يعني: [ازمتمتعات بهرجه خواهى اشتغال كن در دنيا تاوقت مرك والتمتع برخوردارى كرفتن]، يعني: الانتفاع. ﴿إنك من أصحاب النار﴾ في الآخرة؛ أي: من ملازميها والمعذبين فيها على الدوام: [ولذتهاى دنيا درجنب شدت عذاب دوزخ بغايت محقراست]. وهو تعليل لقلة التمتع.

وفيه من الإقناط من النجاة ما لا يخفى كأنه قيل، وإذ قد أبيت قبول ما أمرت به من الإيمان والطاعة، فمن حقك أن تؤمر بتركه لتذوق عقوبته.

وفيه إشارة إلى أن من صاحب في الدنيا أهل النار وسلك على إقدام مخالفات المولى وموافقات الهوى طريق الدركات السفلى، وهو صاحب النار وأهلها، وإلى أن عمر الدنيا قليل، فكيف بعمر الإنسان، وأن التمتع بمشتهيات الدنيا لا يغني عن الإنسان شيئاً، فلا بد من الانتباه قبل نداء الأجل.

وصلى أبو الدرداء رضي الله عنه في مسجد دمشق، ثم قال: يا أهل دمشق ألا تستحيون إلى متى تؤمّلون ما لا تبلغون وتجمعون ما لا تأكلون وتبنون ما لا تسكنون إن من كان قبلكم أمّلوا بعيداً وبنوا مشيداً وجمعوا كثيراً، فأصبح أملهم غروراً وجمعهم بوراً ومساكنهم قبوراً.

وذكر في «الأخبار»: أن رجلاً قال لموسى عليه السلام: ادع الله أن يرزقني مالاً فدعا ربه، فأوحى الله إليه يا موسى أقليلاً سألت أم كثيراً. قال: يا رب، كثيراً، قال: فأصبح الرجل أعمى فغدا على موسى، فتلقاه سبع فقتله، فقال موسى: يا رب سألتك أن ترزقه كثيراً، وأكله السبع، فأوحى الله إليه: يا موسى، إنك سألت له كثيراً، وكل ما كان في الدنيا، فهو قليل، فأعطيته الكثير في الآخرة، فطوبى لمن أبغض الدنيا وما فيها وعمل للآخرة والمولى قبل دنو الأجل وظهور الكسل، جعلنا الله وإياكم من المتيقظين آمين.

﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ۝٩﴾

﴿أمن﴾ بالتشديد على أن أصله أم من، والاستفهام بمعنى التقرير، والمعنى الكافر

القاسي الناسي خير حالاً وأحسن مآلاً أم من، وهو عثمان رضي الله عنه على الأشهر، ويدخل فيه كل من كان على صفة التزكية، ومن خفف الميم تبع المصحف، لأن فيه ميماً واحدة، فالألف للاستفهام دخلت على من ومعناه أم من. ﴿**هو قانت**﴾ كمن ليس بقانت.

القنوت: يجيء على معاني: **منها**: الدعاء فقنوت الوتر دعاؤه، وأما دعاء القنوت، فالإضافة فيه بيانية كما في «حواشي أخي جلبي».

ومنها: الطاعة كما في قوله تعالى: ﴿وَٱلْقَٰنِتَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥].

ومنها: القيام، فالمصلي قانت؛ أي: قائم. وفي الفروع وطول القيام أولى من كثرة السجود لقوله عليه السلام: «أفضل الصلاة طول القنوت»؛ أي: القيام كما في «الدرر». وفي الحديث: «مثل المجاهد في سبيل الله كمثل القانت الصائم». يعني المصلي الصائم كما في «كشف الأسرار». والتعقيب: بآناء الليل وبساجداً أو قائماً يخصصه؛ أي: القنوت بالقيام، فالمعنى: أم من هو قائم. ﴿**آناء الليل**﴾؛ أي: في ساعاته واحده أنى بكسر الهمزة وفتحها مع فتح النون، وهو الساعة وكذا الإنى والإنو بالكسر وسكون النون. يقال: مضى إنوان وإنيان من الليل؛ أي: ساعتان. ﴿**ساجداً**﴾: حال من ضمير قانت؛ أي: حال كونه ساجداً. ﴿**وقائماً**﴾: تقديم السجود على القيام لكونه أدخل في معنى العبادة. والواو: للجمع بين الصفتين.

والمراد بالسجود والقيام: الصلاة عبر عنها بهما لكونهما من أعظم أركانها.

فالمعنى: قانت؛ أي: قائم طويل القيام في الصلاة كما يشعر به آناء الليل، لأنه إذا قام في ساعات الليل فقد أطال القيام بخلاف من قام في جزء من الليل. ﴿**يحذر الآخرة**﴾: حال أخرى على الترادف أو التداخل أو استئناف؛ كأنه قيل: ما باله يفعل القنوت في الصلاة، فقيل: يحذر عذاب الآخرة لإيمانه بالبعث. ﴿**ويرجو رحمة ربه**﴾؛ أي: المغفرة أو الجنة، لا أنه يحذر ضرّ الدنيا ويرجو خيرها فقط كالكافر.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى القيام بأداء العبودية ظاهراً وباطناً من غير فتور ولا تقصير. ﴿**يحذر الآخرة**﴾ ونعيمها كما يحذر الدنيا وزينتها. ﴿**ويرجو رحمة ربه**﴾ لا نعمة ربه. انتهى.

ودلت الآية على أن المؤمن يجب أن يكون بين الخوف والرجاء يرجو رحمة ربه لعمله ويحذر عذابه لتقصيره في عمله.

ثم الرجاء إذا جاوز حدّه يكون أمناً، والخوف إذا جاوز حدّه يكون إياساً، وكل منهما كفر، فوجب أن يعتدل كما قال عليه السلام: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا».

كرجه دارى طاعتى ازهيبتش ايمن مباش
وركنه دارى زفيض رحمتش دل برمدار
نيك ترسان شوكه قهر اوست بيرون از قياس
باش بس خوش دل كه لطف اوست افزون ازشمار

ثم في الآية تحريض على صلاة الليل. وعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: من أحب أن يهوّن الله عليه الموقف يوم القيامة، فليره الله في سواد الليل ساجداً وقائماً يحذر الآخرة، ويرجو رحمة ربه كما في «تفسير الحدادي».

قال ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه: كنت أبيت مع رسول الله ﷺ فأتيت بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سل»، فقالت: أسألك مرافقتك في الجنة، فقال: «أو غير ذلك»، فقلت: هو ذلك. قال: «فأعن نفسك على كثرة السجود»؛ أي: بكثرة الصلاة.

قال بعض العارفين: إن الله يطلع على قلوب المستيقظين في الأسحار فيملؤها نوراً، فترد الفوائد على قلوبهم، فتستنير ثم تنتشر العوافي من قلوبهم إلى قلوب الغافلين.

خروسان در سحر كويد كه قم يا أيها الغافل سعادت آنكسى داردكه وقت صبح بيدارست

﴿قل﴾ بياناً للحق وتنبيهاً على شرف العلم والعمل. ﴿هل يستوي الذين يعلمون﴾ حقائق الأعمال، فيعملون بموجب علمهم كالقانت المذكور. ﴿والذين لا يعلمون﴾ ما ذكر، فيعملون بمقتضى جهلهم وضلالهم كالكافر. والاستفهام: للتنبيه على كون الأولين في أعلى معارج الخير وكون الآخرين في أقصى مدارج الشر.

وفي «بحر العلوم»: الفعل منزل منزلة اللازم ولم يقدّر له مفعول، لأن المقدر كالمذكور. والمعنى: لا يستوي من يوجد فيه حقيقة العلم ومن لا يوجد. ﴿إنما يتذكر أولو الألباب﴾ كلام مستقل غير داخل في الكلام المأمور به وارد من جهته تعالى؛ أي: إنما يتعظ بهذه البيانات الواضحة أصحاب العقول الخالصة من شوائب الخلل والوهم. وهؤلاء بمعزل عن ذلك.

قيل: قضية اللب الاتعاظ بالآيات، ومن لم يتعظ، فكأنه لا لب له ومثله مثل البهائم.

وفي «المفردات»: اللب العقل الخالص من الشوائب وسمي بذلك، لكونه خالص ما في الإنسان من قواه كاللباب من الشيء.

وقيل: هو ما زكا من العقل، فكل لب عقل، وليس كل عقل لباً. ولذا علق الله تعالى الأحكام التي لا تدركها إلا العقول الزكية بأولي الألباب نحو قوله: ﴿وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [البقرة: ٢٦٩]. ونحو ذلك من الآيات. انتهى.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿هل يستوي الذين يعلمون﴾ قدر جوار الله وقربته ويختارونه على الجنة ونعيمها. ﴿والذين لا يعلمون﴾ قدره. ﴿إنما يتذكر﴾ حقيقة هذا المعنى ﴿أولو الألباب﴾. وهم الذين انسلخوا من جلد وجودهم بالكلية، وقد ماتوا عن أنانيتهم وعاشوا بهويته، انتهى.

وفي الآية بيان لفضل العلم وتحقير للعلماء الغير العاملين فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء.

قال الشيخ السهروردي في عوارف المعارف: أرباب الهمة أهل العلم الذين حكم الله تعالى لهم بالعلم في قوله تعالى: ﴿أم من هو قانت آناء الليل﴾ إلى قوله: ﴿قل هل يستوي﴾ إلخ. حكم لهؤلاء الذين قاموا بالليل بالعلم فهم لموضع علمهم أزعجوا النفوس عن مقار طبيعتها ورقوها بالنظر إلى اللذات الروحانية إلى ذرى حقيقتها، فتجافت جنوبهم عن المضاجع وخرجوا من صفة الغافل الهاجع. انتهى.

وفي الحديث: «يشفع يوم القيامة ثلاث: الأنبياء ثم العلماء ثم الشهداء».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال والملك، فاختار العلم فأعطي المال والملك. وفي الخبر «إن الله تعالى أرسل جبرائيل إلى آدم

عليهما السلام بالعقل والحياء والإيمان، فخيره بينهن، فاختار العقل، فتبعاه. وفي بعض الروايات أرسل بالعلم والحياء والعقل، فاستقر العلم في القلب، والحياء في العين والعقل في الدماغ. وفي الحديث: «من أحب أن ينظر إلى عتقاء الله من النار، فلينظر إلى المتعلمين فوالذي نفسي بيده ما من متعلم يختلف إلى باب العلم إلا كتب الله له بكل قدم عبادة سنة وبنى له بكل قدم مدينة في الجنة ويمشي على الأرض تستغفر له، ويستغفر له كل من يمشي على الأرض ويمسي ويصبح مغفور الذنب وشهدت الملائكة هؤلاء عتقاء الله من النار».

وذكر أن شرف العلم فوق شرف النسب، ولذا قيل: إن عائشة رضي الله عنها أفضل من فاطمة رضي الله عنها، ولعله المراد بقول الأمالي:

وللصدّيقة الرجحان فاعلم على الزهراء في بعض الخصال

لأن النبي عليه السلام، قال: «خذوا ثلثي دينكم من عائشة». وأما أكثر الخصال، فالرجحان للزهراء على الصدّيقة كما دل عليه قوله عليه السلام: «كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء غير مريم بنت عمران وآسية امرأة فرعون وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد». وفي الحديث: «طلب العلم فريضة على كل مسلم».

قال في «الاحياء»: اختلف الناس في العلم الذي هو فرض على كل مسلم.

فقال المتكلمون: هو علم الكلام إذ به يدرك التوحيد ويعلم ذات الله وصفاته.

وقال الفقهاء: هو علم الفقه إذ به يعرف العبادات والحلال والحرام.

وقال المفسرون والمحدثون: هو علم الكتاب والسنة إذ بهما يتوصل العلوم كلها.

وقال المتصوفة: هو علم التصوّف إذ به يعرف العبد مقامه من الله تعالى. **وحاصله**: إن كل فريق نزل الوجوب على العلم الذي هو بصدده قوله: «على كل مسلم»؛ أي: مكلف ذكراً كان أو أنثى.

قال في «شرح الترغيب» مراده علم ما لا يسع الإنسان جهله كالشهادة. باللسان والإقرار بالقلب واعتقاد أن البعث بعد الموت ونحوه حق وعلم ما يجب عليه من العبادات، وأمر معايشه كالبيع والشراء، فكل من اشتغل بأمر شرعيّ يجب طلب علمه عليه مثلاً إذا دخل وقت الصلاة تعين عليه أن يعرف الطهارة وما يتيسر من القرآن، ثم تعلم الصلاة وإن أدركه رمضان وجب عليه أن ينظر في علم الصيام، وإن أخذه الحج وجب عليه حينئذ علمه، وإن كان له مال. وحال عليه الحول تعين عليه علم زكاة ذلك الصنف من المال لا غير، وإن باع أو اشترى وجب عليه علم البيوع والمصارفة. وهكذا سائر الأحكام لا يجب عليه إلا عند ما يتعلق به الخطاب.

فإن قيل: يضيق الوقت على نيل علم ما خوطب به في ذلك الوقت.

قلنا: لسنا نريد عند حلول الوقت المعين، وإنما نريد بقربه بحيث أن يكون له من الزمان بقدر ما يحصل ذلك العلم المخاطب به وليدخل عقيبه وقت العمل وهذا المذكور هو المراد بعلم الحال، فعلم الحال بمنزلة الطعام لا بدّ لكل أحد منه وعلم ما يقع في بعض الأحايين بمنزلة الدواء يحتاج إليه في بعض الأوقات.

وقال في «عين العلم»: المراد المكاشفة فيما ورد: «فضل العالم على العابد كفضلي على أمتي»، إذ غيره وهو علم المعاملة تبع للعمل لثبوته شرطاً له، وكذا المراد المعاملة القلبية

الواجبة فيما ورد: «طلب العلم فريضة على كل مسلم»؛ أي: يفترض عليه علم أحوال القلب من التوكل والإنابة والخشية والرضا، فإنه واقع في جميع الأحوال وكذلك في سائر الأخلاق نحو الجود والبخل والجبن والجراءة والتكبر والتواضع والعفة والشره والإسراف والتقتير وغيرها. ويمتنع أن يراد غير هذه المعاملات، أما التوحيد فللحصول، وأما الصلاة فلجواز أن يتأهلها شخص وقت الضحى بالإسلام، أو البلوغ، ومات قبل الظهر، فلا يفترض عليه طلب علم تلك الصلاة، فلا يستقيم العموم المستفاد من لفظه كل، وكذا المراد علم الآخرة مطلقاً؛ أي: مع قطع النظر عن المعاملة والمكاشفة فيما ورد: ﴿**قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون**﴾، لئلا يفضل علماء الزمان على الصحابة، فمجادلة الكلام والتعمق في فتاوى ندر وقوعها محدث. وبالجملة علم التوحيد أشرف العلوم لشرف معلومه، وكل علم نافع، وإن كان له مدخل في التقرب إلى الله تعالى إلا أن القربة التامة، إنما هي بالعلم الذي اختاره الصوفية المحققون على ما اعترف به الإمام الغزالي رحمه الله في «منقذ الضلال». وكان المتورعون من علماء الظاهر يعترفون بفضل أرباب القلوب ويختلفون إلى مجالسهم. وسأل بعض الفقهاء أبا بكر الشبلي قدس سره اختباراً لعلمه. وقال كم في خمس من الإبل، فقال: أما الواجب فشاة وأما عندنا فكلها لله، فقال: وما دليلك فيه. قال أبو بكر رضي الله عنه: حين خرج عن جميع ماله لله ولرسوله، فمن خرج عن ماله كله فإمامه أبو بكر رضي الله عنه، ومن ترك بعض فإمامه عمر رضي الله عنه، ومن أعطى لله ومنع لله فإمامه عثمان رضي الله عنه، ومن ترك الدنيا لأهلها، فإمامه علي رضي الله عنه، فكل علم لا يدل على ترك الدنيا، فليس بعلم، وقد قال عليه السلام: «أعوذ بك من علم لا ينفع»، وهو العلم الذي لا يمنع صاحبه عن المنهي ولا يجره إلى المأمور به.

وفي «كشف الأسرار»: [علم سه است علم خبري وعلم الهامي وعلم غيبي. علم خبرى كوشها شنود. وعلم الهامى دلها شنود. وعلم غيبي جانها شنود. علم خبري بروايت است. علم الهامى بهدايت است. علم غيبى بعنايت است. علم خبرى را كفت ﴿فَٱعۡلَمۡ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾ [محمد: ١٩] «فقدم العلم لأنه إمام العمل» علم الهامى راكفت ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ مِن قَبۡلِهِۦٓ﴾ [الإسراء: ١٠٧] علم غيبي راكفت ﴿وَعَلَّمۡنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلۡمٗا﴾ [الكهف: ٦٥] ووراى اين همه علمى است كه وهم آدمي بدان نرسد وفهم ازان درماند].

وذلك علم الله عز وجل بنفسه على حقيقته. قال الله تعالى: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِهِۦ عِلۡمٗا﴾ [طه: ١١٠]. قال الشبلي قدس سره: العلم خبر والخبر جحود وحقيقة العلم عندي بعد أقوال المشايخ الاتصاف بصفة الحق من حيث علمه حتى يعرف ما في الحق.

وقال بعض الكبار: المقامات كلها علم والعلم حجاب؛ أي: ما لم يتصل بالمعلوم ويفنى فيه، وكذا الاشتغال بالقوانين والعلوم الرسمية حجاب مانع عن الوصول، وذلك لأن العلم الإلٰهي الذي يتعلق بالحقائق الإلٰهية لا يحصل إلا بالتوجه والافتقار التام وتفريغ القلب وتعريته بالكلية عن جميع المتعلقات الكونية والعلوم والقوانين الرسمية، وأما علم الحال فمن مقدمات السلوك فحجبه مانع لا هو نفسه وعينه، ولا يدعي أحد أن العلم مطلقاً حجاب، وكيف يكون حجاباً، وهو سبب الكشف والعيان لا بد من فنائه في وجود العالم وفناء ما يقتضيه من الافتخار والتكبر والازدراء بالغير ونحوها، ولكون بقائه حجاباً قلما سلك العلماء

بالرسوم نسأل الله سبحانه أن يزين ظواهرنا بالشرائع والأحكام وينور بواطننا بأنواع العلوم والإلهام، ويجعلنا من الذين يعلمون وهم الممدوحون لا من الذين لايعلمون وهم المذمومون آمين، وهو المعين.

﴿قُلْ يَـٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُواْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّـٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿١٠﴾ قُلْ إِنِّىٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿قل يا عباد الذين آمنوا﴾؛ أي: قل لهم قولي هذا بعينه وفيه تشريف لهم بإضافتهم إلى ضمير الجلالة، فإن أصله يا عبادي بالياء حذفت اكتفاء بالكسرة.

وفي «كشف الأسرار»: [اين خطاب با قومي است كه مراد نفس خويش بموافقت حق بدادند ورضاى الله برهواى نفس بركزيدند تاصفت عبوديت ايشان درست كشت ورب العالمين رقم اضافت بر ايشان كشيدكه ﴿يا عباد﴾ ومصطفى عليه السلام كفت «من مقت نفسه في ذات الله آمنه الله من عذاب يوم القيامة»، وأبو يزيد بسطامى قدس سره ميكويد اكر فرادى قيامت مرا كويندكه آرزويى كن آرزوى من آنست بدوزخ اندر آيم واين نفس بر آتش عرض كنم كه دردنيا ازوبسيار بيجيدم ورنج وى كشيدم]. انتهى.

وأيضاً: إن أخص الخواص هم العباد الذين خلصوا من عبودية الغير من الدنيا والآخرة لكونهما مخلوقتين وآمنوا بالله الخالق إيمان الطلب شوقاً ومحبة. ﴿اتقوا ربكم﴾؛ أي: اثبتوا على تقوى ربكم، لأن الإيمان حصول التقوى عن الكفر والشرك أو اتقوا عذابه وغضبه باكتساب طاعته، واجتناب معصيته، أو اتقوا به عما سواه حتى تتخلصوا من نار القطيعة وتفوزوا بوصاله ونعيم جماله. ﴿للذين أحسنوا في هذه الدنيا﴾؛ أي: عملوا الأعمال الحسنة في هذه الدنيا على وجه الإخلاص ورأسها كلمة الشهادة، فإنها أحسن الحسنات. ﴿حسنة﴾: مبتدأ وخبره للذين. وفي هذه الدنيا متعلق بأحسنوا.

وفيه إشارة إلى قوله: «الدنيا مزرعة الآخرة»؛ أي: حسنة ومثوبة عظيمة في الآخرة لا يعرف كنهها، وهي الجنة والشهود؛ لأن جزاء الإحسان الإحسان، والإحسان أن تعبد الله، كأنك تراه فإن لم تكن تراه، فإنه يراك فالمحسن هو المشاهد وبمشاهدة الله يغيب ما سوى الله، فلا يبقى إلا هو وذلك حقيقة الإخلاص، وأما غير المحسن، فعلى خطر لبقائه مع ما سوى الله تعالى، فلا يأمن من الشرك والرياء القبيح ومن كان عمله قبيحاً لم يكن جزاؤه حسناً.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿للذين أحسنوا﴾ في طلبي ﴿في هذه الدنيا﴾، ولا يطلبون من غيري حسنة؛ أي: لهم حسنة وجداني يعني: حسن الوجدان مودع في حسن الطلب: قال الخجندي:

بكوش تابكف آرى كليد كنج وجود ... كه بى طلب نتوان يافت كوهر مقصود
توجاكر در سلطان عشق شو جواياز ... كه هست عاقبت كار عاشقان محمود

﴿وأرض الله واسعة﴾، فمن تعسر عليه التوفر على التقوى والإحسان، وفي وطنه، فليهاجر إلى حيث يتمكن فيه من ذلك، كما هو سنة الأنبياء والصالحين، فإنه لا عذر له في التفريط أصلاً.

وفيه حث على الهجرة من البلد الذي يظهر فيه المعاصي، وقد ورد: «إن من فر بدينه من أرض إلى أرض وجبت له الجنة»، وإنما قال: بدينه احترازاً عن الفرار بسبب الدنيا ولأجلها خصوصاً إذا كان المهاجر إليه أعصى من المهاجر منه.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى حضرة جلاله أنه لا نهاية لها فلا يغتر طالب بما يفتح عليه من أبواب المشاهدات والمكاشفات، فيظن أنه قد بلغ المقصد الأعلى والمحل الأقصى، فإنه لا نهاية لمقامات القرب، ولا غاية لمراتب الوصول. وفي المثنوي:

اى برادر بى نهايت دركهيست هر كجاكه ميرسى بالله مأيست

﴿إنما يوفى الصابرون﴾ الذين صبروا على دينهم، فلم يتركوه للأذى وحافظوا على حدوده، ولم يفرطوا في مراعاة حقوقه لما اعتراهم في ذلك من فنون الآلام والبلايا التي من جملتها مهاجرة الأهل ومفارقة الأوطان [والتوفية: تمام بدادن].

قال في «المفردات»: توفية الشيء بذله وافياً كاملاً واستيفاؤه تناوله وافياً. والمعنى: يعطون ﴿أجرهم﴾ بمقابلة ما كابدوا من الصبر ﴿بغير حساب﴾؛ أي: بحيث لا يحصى ويحصر. وفي الحديث: «أنه تنصب الموازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج، فيوفون بها أجورهم ولا تنصب لأهل البلاء، بل يصب عليهم الأجر صباً حتى يتمنى أهل المعافاة في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض مما يذهب به أهل البلاء من الفضل».

تو مبين رنجورى غمديدكان كاندران رنجيده ازبكزيد كان

هركرا از زخمها غم بيشتر لطف يارش داده مرهم بيشتر

قال سفيان: لما نزل ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠] قال عليه السلام: «رب زد لأمتي»، فنزل: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّاْئَةُ حَبَّةٍ﴾ [البقرة: ٢٦١]، فقال عليه السلام: «رب زد لأمتي»، فنزل: ﴿إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب﴾، فانتهى رسول الله ﷺ. وسئل النبي عليه السلام؛ أي: الناس أشد بلاء، قال: «الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل يبتلى الرجل على حسب دينه»، فإن كان في دينه صلباً اشتد بلاؤه وإن كان في دينه ذا رقة هون عليه، فما زال كذلك حتى يمشي على الأرض كمن ليس له ذنب. وقال ﷺ: «إن العبد إذا سبقت له من الله منزلة لم يبلغها بعمله ابتلاه الله في جسده أو في ماله، أو في ولده، ثم صبر على ذلك حتى يبلغه المنزلة التي سبقت له من الله»، «وإن أعظم الجزاء مع عظم البلاء، وإن الله عز وجل إذا أحب قوماً ابتلاهم، فمن رضي فله الرضا ومن سخط، فله السخط. وفي «عرائس البقلي» وصف الله القوم بأربع خصال: بالإيمان والتقوى والإحسان والصبر. فأما إيمانهم فهو المعرفة بذاته وصفاته من غير استدلال بالحدثان، بل عرفوا الله بالله، وأما تقواهم فتجريدهم أنفسهم عن الكون حتى قاموا بلا احتجاب عنه، وأما إحسانهم فإدراكهم رؤيته تعالى بقلوبهم وأرواحهم بنعت كشف جماله، وأما صبرهم فاستقامتهم في مواظبة الأحوال وكتمان الكشف الكلي.

وحقيقة الصبر أن لا يدعي الديمومية بعد الاتصاف بها ومعنى ﴿أرض الله واسعة﴾ أرض القلوب ووسعها بوسع الحق، فإذا كان العارف بهذه الأوصاف، فله أجران: أجر الدنيا وهو المواجيد والواردات الغريبة وأجر الآخرة، وهو غوصه في بحار الآزال والآباد، والفناء في الذات والبقاء في الصفات.

قال الحارث المحاسبي: الصبر التهدّف لسهام البلاء.

وقال طاهر المقدسي: الصبر على وجوه صبر منه وصبر له وصبر عليه وصبر فيه أهونه الصبر على أوامر الله، وهو الذي بين الله ثوابه، فقال: ﴿إنما يوفى الصابرون﴾ إلخ.

وقال يوسف بن الحسين: ليس بصابر من يتجرع المصيبة ويبدي فيها الكراهة، بل الصابر من يتلذذ بصبره حتى يبلغ به إلى مقام الرضا.

﴿قل﴾: روي أن كفار قريش قالوا للنبي عليه السلام: ما يحملك على الذي أتيتنا به ألا تنظر إلى ملة آبائك وسادات قومك يعبدون اللات والعزى، فتأخذ بتلك الملّة، فقال تعالى: ﴿قل﴾ يا محمد للمشركين: ﴿إني أمرت﴾ من جانبه تعالى: ﴿أن﴾؛ أي: بأن. ﴿أعبد الله﴾ حال كوني ﴿مخلصاً له الدين﴾؛ أي: العبادة من الشرك والرياء بأن يكون المقصد من العبادة هو المعبود بالحق لا غير كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ وَلَآ أُشْرِكَ بِهِۦٓ﴾ [الرعد: ٣٦].

﴿وأمرت﴾ بذلك. ﴿لأن أكون أول المسلمين﴾ من هذه الأمة؛ أي: لأجل أن أكون مقدمهم في الدنيا والآخرة؛ لأن السبق في الدين إنما هو بالإخلاص فيه، فمن أخلص عدّ سابقاً، فإذا كان الرسول عليه السلام متصفاً بالإخلاص قبل إخلاص أمته فقد سبقهم في الدارين إذ لا يدرك المسبوق مرتبة السابق ألا ترى إلى الأصحاب مع من جاء بعدهم والظاهر أن اللام مزيدة، فيكون كقوله تعالى: ﴿أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ﴾ [الأنعام: ١٤]، فالمعنى: وأمرت أن أكون أول من أسلم من أهل زماني؛ لأن كل نبي يتقدم أهل زمانه في الإسلام والدعاء إلى خلاف دين الآباء، وإن كان قبله مسلمون.

قال بعضهم: الإخلاص أن يكون جميع الحركات في السر والعلانية لله تعالى وحده لا يمازجه شيء. وقال الجنيد قدس سره: أمر جميع الخلق بالعبادة وأمر النبي عليه السلام بالإخلاص فيها إشارة إلى أن أحداً لا يطيق تمام مقام الإخلاص سواه.

﴿قُلْ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿١٣﴾ قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِى ﴿١٤﴾﴾.

﴿قل إني أخاف إن عصيت ربي﴾ بترك الإخلاص والميل إلى ما أنتم عليه من الشرك. ﴿عذاب يوم عظيم﴾؛ أي: أخاف من عذاب يوم القيامة، وهو يوم عظيم لعظمة ما فيه من الدواهي والأهوال بحسب عظم المعصية وسوء الحال.

وفيه زجر عن المعصية بطريق المبالغة؛ لأنه عليه السلام مع جلالة قدره إذا خاف على تقدير العصيان فغيره من الأمة أولى بذلك.

ودلت الآية على أن المترتب على المعصية ليس حصول العقاب، بل الخوف من العقاب، فيجوز العفو عن الصغائر والكبائر. قال الصائب:

محيط از جهره سيلاب كرده راه ميشويد   جه اند يشد كسى باعفو حق از كرد زلتها

﴿قل الله﴾ نصب بقوله: ﴿أعبد﴾ على ما أمرت لا غيره لا استقلالاً ولا اشتراكاً. ﴿مخلصاً له ديني﴾ من كل شوب، وهو بالإضافة؛ لأن قوله: أعبد إخبار عن المتكلم بخلاف ما في قوله مخلصاً له الدين؛ لأن الإخبار فيه أمرت وما بعده صلته ومفعوله، فظهر الفرقان كما في «برهان القرآن».

وقال الكاشفي: [باك كننده براى أوكيش خودرا از شرك يا خالص سازنده عمل خودرا ازريا].

وفي «التأويلات النجمية»: قل الله أعبد لا الدنيا ولا العقبى وأطلب بعبادتي المولى مخلصاً له ديني:

وكـل لـه سـؤل وديـن ومـذهـب فلي أنتمو سؤلي وديني هوا كمو

زبشـت آيـنـه روى مـراد نـتـوان ديـد تراكه روى بخلق است ازخداجه خبر

﴿فَٱعۡبُدُواْ مَا شِئۡتُم مِّن دُونِهِۦۗ قُلۡ إِنَّ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ وَأَهۡلِيهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡخُسۡرَانُ ٱلۡمُبِينُ ۝١٥ لَهُم مِّن فَوۡقِهِمۡ ظُلَلٞ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحۡتِهِمۡ ظُلَلٞۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ ۝١٦﴾

﴿فاعبدوا﴾؛ أي: قد امتثلت ما أمرت به، فاعبدوا يا معشر الكفار **﴿ما شئتم﴾** أن تعبدوه **﴿من دونه﴾** تعالى. والأمر للتحديد كما في قوله تعالى: ﴿ٱعۡمَلُواْ مَا شِئۡتُمۡ﴾ [فصلت: ٤٠].

قال في «الإرشاد»: وفيه من الدلالة على شدة الغضب عليهم ما لا يخفى كأنهم لما لم ينتهوا عما نهوا عنه أمروا به كي يحل بهم العقاب، ولما قال المشركون خسرت يا محمد حيث خالفت دين آبائك. قال تعالى: **﴿قل إن الخاسرين﴾**؛ أي: الكاملين في الخسران الذي هو عبارة عن إضاعة ما يهمه وإتلاف ما لا بد منه.

وفي «المفردات»: الخسران انتقاص رأس المال يستعمل في المال والجاه والصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب، وهو الذي جعل الله الخسران المبين، وهو بالفارسية: [زيان: والخاسر زيانكار بكو بدرستى كه زيانكاران]. **﴿الذين﴾**. [آنانندكه]، فالجملة من الموصول والصلة خبر إن. **﴿خسروا أنفسهم﴾** بالضلال واختيار الكفر لها؛ أي: أضاعوها وأتلفوها إتلاف البضاعة، فقوله: أنفسهم مفعول خسروا.

وقال الكاشفي: [زيان كردند در نفسهاى خودكه كمراه كشتند]. **﴿وأهليهم﴾** بالضلال واختيار الكفر لهم أيضاً أصله أهلين جمع أهل وأهل الرجل عشيرته وذو قرابته كما في «القاموس» ويفسر بالأزواج والأولاد وبالعبيد والإماء وبالأقارب وبالأصحاب وبالمجموع كما في «شرح المشارق» لابن الملك. **﴿يوم القيامة﴾** حين يدخلون النار بدل الجنة حيث عرضوهما للعذاب السرمدي وأوقعوهما في هلكة لا هلكة وراءها. **﴿ألا ذلك﴾** الخسران. **﴿هو الخسران المبين﴾** حيث استبدلوا بالجنة ناراً وبالدرجات دركات كما في «كشف الأسرار».

وقال الكاشفي: [بدانيد وآكاه باشيدكه آنست آن زيان هويدا كه برهيجكس ازهل موقف بوشيده نماند].

وفي «التأويلات النجمية»: الخاسر في الحقيقة من خسر دنياه بمتابعة الهوى وخسر عقباه بارتكاب ما نهي عنه وخسر مولاه بتولي غيره، ثم شرح خسرانهم بنوع بيان، فقال:

﴿لهم من فوقهم ظلل من النار﴾ لهم خبر الظلل والضمير للخاسرين ومن فوقهم حال من ظلل، والظلل جمع ظلة كغرف جمع غرفة وهي سحابة تظل وشيء كهيئة الصفة. بالفارسية: [سايبان].

وفي «كشف الأسرار»: ما أظلك من فوقك. والمعنى: للخاسرين ظل من النار كثيرة متراكبة بعضها فوق بعض حال كون تلك الظل من فوقهم. والمراد: طباق وسرادقات من النار ودخانها وسمي النار ظلة لغلظها وكثافتها، ولأنها تمنع من النظر إلى ما فوقهم.

وفيه إشعار بشدة حالهم في النار وتهكم بهم؛ لأن الظلة إنما هي للاستظلال والتبرد خصوصاً في الأراضي الحارة كأرض الحجاز، فإذا كانت من النار نفسها كانت أحرّ ومن تحتها أغمّ. ﴿**ومن تحتهم**﴾ أيضاً. ﴿**ظلل**﴾. والمراد: إحاطة النار بهم من جميع جوانبهم كما قال تعالى: ﴿أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا﴾ [الكهف: ٢٩]؛ أي: فسطاطها، وهو الخيمة شبه به ما يحيط بهم من النار كما سبق في الكهف، ونظير الآية قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يَغْشَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٥٥]. وقوله: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ﴾ [الأعراف: ٤١].

وقال بعضهم: ومن تحتهم ظلل؛ أي: طباق من النار ودركات كثيرة بعضها تحت بعض هي ظلل للآخرين، بل لهم أيضاً عند تردّيهم في دركاتها كما قال السدي هي لمن تحتهم ظلل. وهكذا حتى ينتهي إلى القعر والدرك الأسفل الذي هو للمنافقين فالظلل لمن تحتهم، وهي فرش لهم، وكما قال في «الأسئلة المقحمة» كيف سمى ما هو الأسفل ظللاً، والظلال ما يكون فوقاً، والجواب: لأنها تظلل من تحتها، فأضاف السبب إلى حكمه. ﴿**ذلك**﴾ العذاب الفظيع هو الذي ﴿**يخوف الله به عباده**﴾ في القرآن ليؤمنوا ويحذرهم إياه بآيات الوعيد ليجتنبوا ما يوقعهم فيه.

وفي «الوسيط» يخوف الله به عباده المؤمنين يعني أن ما ذكر من العذاب معد للكفار، وهو تخويف للمؤمنين ليخافوه فيتقوه بالطاعة والتوحيد. ﴿**يا عباد**﴾. [اي بندكان من]. وأصله: يا عبادي بالياء. ﴿**فاتقون**﴾، ولا تتعرضوا لما يوجب سخطي. وهذه عظة من الله تعالى بالغة منطوية على غاية اللطف والرحمة.

وفيه إشارة إلى أن الله تعالى خلق جهنم سوطاً يسوق به عباده إلى الجنة إذ ليس تحت الوجود إلا ما هو مشتمل للحكمة والمصلحة، فمن خاف بتخويف الله إياه من هذا الخسران، فهو عبده عبداً حقيقياً، ومستأهل لشرف الإضافة إليه.

وعن أبي يزيد البسطامي قدس سره: أن الخلق يفرون من الحساب، وأنا أقبل عليه، فإن الله تعالى: لو قال لي أثناء الحساب عبدي لكفاني، فعلى العاقل تحصيل العبودية وتكميلها كي يليق بخطاب الله تعالى، ويكون من أهل الحرمة عند الله تعالى ألا ترى أن من خدم ملكاً من الملوك يستحق الكرامة، ويصير محترماً عنده، وهو مخلوق، فكيف خدمة الخالق.

نقل في آخر «فتاوى الظهيرية»: أن الإمام الأعظم أبا حنيفة رحمه الله لما حج الحجة الأخيرة. قال في نفسه لعلي لا أقدر أن أحجّ مرة أخرى فسأل حجاب البيت أن يفتحوا له باب الكعبة، ويأذنوا له في الدخول ليلاً، ليقوم، فقالوا: إن هذا لم يكن لأحد قبلك ولكنا نفعل ذلك لسبقك وتقدمك في علمك واقتداء الناس كلهم بك، ففتحوا له الباب، فدخل فقام بين العمودين على رجل اليمنى حتى قرأ القرآن إلى النصف وركع وسجد ثم قام على رجل اليسرى وقد وضع قدمه اليمنى على ظهر رجله اليسرى حتى ختم القرآن، فلما سلم بكى وناجى وقال: إلٰهي ما عبدك هذا العبد الضعيف حق عبادتك، ولكن عرفك حق معرفتك، فهب نقصان خدمته لكمال معرفته، فهتف هاتف من جانب البيت يا أبا حنيفة، قد عرفت وأخلصت

المعرفة، وخدمت فأحسنت الخدمة، فقد غفرنا لك، ولمن اتبعك وكان على مذهبك إلى قيام الساعة.

ثم إن مثل هذه العبودية ناشئة عن التقوى والخوف من الله تعالى ومطالعة هيبته وجلاله، وكان عليه السلام يصلي وبصدره أزيز كأزيز المرجل من البكاء. والأزيز: الغليان. وقيل: صوته والمرجل قدر من نحاس. كذا نقل مثل ذلك عن إبراهيم عليه السلام، فحرارة هذا الخوف إذا أحاطت بظاهر الجسم، وباطنه سلم الإنسان من الاحتراق، وإذا مضى الوقت تعذر تدارك الحال، فليحافظ على زمان الفرصة:

وحشى فرصت جوتير از جشم بيرون جسته است

تاتوزه مى سازى اى غافل كمان خويش را

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴿١٨﴾﴾.

﴿والذين اجتنبوا الطاغوت﴾. [الاجتناب: بايك سو شدن]. يقال: اجتنبه بعد عنه. والطاغوت: البالغ أقصى غاية الطغيان، وهو تجاوز الحدّ في العصيان، فلعوت من الطغيان بتقديم اللام على العين، لأن أصله طغيوت بني للمبالغة كالرحموت والعظموت. ثم وصف به للمبالغة في النعت كأن عين الشيطان طغيان؛ لأن المراد به هو الشيطان وتاؤه زائدة دون التأنيث كما قال في «كشف الأسرار»: التاء ليست بأصلية، هي في الطاغوت كهي في الملكوت والجبروت واللاهوت والناسوت والرحموت والرهبوت. ويذكر؛ أي: الطاغوت ويؤنث كما في «الكواشي»، ويستعمل في الواحد والجمع كما في «المفردات» و«القاموس» قال الراغب: وهو عبارة عن كل متعد وكل معبود من دون الله.

وفي «القاموس»: الطاغوت اللات والعزى والكاهن والشيطان وكل رأس ضلال والأصنام وكل ما عبد من دون الله ومردة أهل الكتاب.

وقال في «كشف الأسرار»: كل من عبد شيئاً غير الله، فهو طاغٍ ومعبوده: طاغوت.

وفي «التأويلات النجمية»: طاغوت كل أحد نفسه وإنما يجتنبُ الطاغوت من خالف هواه وعانق رضا مولاه ورجع إليه بالخروج عما سواه رجوعاً بالكلية.

وقال سهل: الطاغوت: الدنيا وأصلها الجهل وفرعها المآكل والمشارب وزينتها التفاخر وثمرتها المعاصي وميراثها القسوة والعقوبة: والمعنى بالفارسية: [و آنانكه بيكسو رفتند ازشيطان يابتان يا كهنه يعني از هرجه بدون خداى تعالى برستند ايشان بر طرف شدند]. **﴿أن يعبدوها﴾** بدل اشتمال منه، فإن عبادة غير الله عبادة للشيطان إذ هو الآمر بها والمزين لها.

قال في «بحر العلوم»: وفيها إشارة إلى أن المراد بالطاغوت ها هنا الجمع. **﴿وأنابوا إلى الله﴾** وأقبلوا عليه معرضين عما سواه إقبالاً كلياً.

قال في «البحر»: واعلم أن المراد باجتناب الطاغوت الكفر بها وبالإنابة إلى الله الإيمان بالله كما قال تعالى: ﴿فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [البقرة: ٢٥٦]. وقدم اجتناب الطاغوت على الإنابة إلى الله كما قدم الكفر بالطاغوت على الإيمان بالله على وفق كلمة التوحيد لا اله إلا الله حيث قدم نفي وجود الإلهية على إثبات الألوهية لله

تعالى. ﴿لهم البشرى﴾ بالثواب والرضوان الأكبر على ألسنة الرسل بالوحي في الدنيا، أو الملائكة عند حضور الموت وحين يحشرون، وبعد ذلك.

وقال بعض الكبار: لهم البشرى بأنهم من أهل الهداية والفضل من الله، وهي الكرامة الكبرى. ﴿فبشر عباد الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه﴾. فيه تصريح بكون التبشير من لسان الرسول عليه السلام، وهو تبشير في الدنيا. وأما تبشير الملك فتبشير في الآخرة، كما قال تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْأَخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]. وبالجملة تبشير الآخرة مرتب على تبشير الدنيا، فمن استأهل الثاني استأهل الأول. والأصل: عبادي بالياء فحذفت.

قيل: إن الآية نزلت في عثمان بن عفان وعبد الرحمٰن بن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير حين سألوا أبا بكر رضي الله عنه، فأخبرهم بإيمانه فآمنوا. حكاه المهدوي في «التكملة»، فيكون المعنى: يستمعون القول من أبي بكر، فيتبعون أحسنه، وهو قول لا إلٰه إلا الله، كما في «كشف الأسرار».

وقال في «الإرشاد» ونحوه؛ أي: فبشر، فوضع الظاهر موضع ضميرهم تشريفاً لهم بالإضافة ودلالة على أن مدار اتصافهم بالاجتناب والإنابة كونهم نقاداً في الدين يميزون الحق من الباطل، ويؤثرون الأفضل فالأفضل. انتهى.

وهذا مبني على إطلاق القول وتعميمه جرياً على الأصل.

يقول الفقير: ويحتمل أن يكون المعنى: يستمعون القول مطلقاً قرآناً كان، أو غيره، فيتبعون أحسنه بالإيمان والعمل الصالح، وهو القرآن؛ لأنه تعالى قال في حقه: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]. كما سيأتي في هذه السورة.

وقال الراغب في «المفردات»: فيتبعون أحسنه؛ أي: الأبعد من الشبهة: [ودر بحر الحقائق فرموده كه قول اعم است ازسخن خدا وملك وانسان وشيطان ونفس. اما انسان حق وباطل ونيك وبد كويد. وشيطان بمعاصى خواند. ونفس بآرزوها ترغيب كند. وملك بطاعت دعوت نمايد. وحضرت عزت بخود خواند كما قال: ﴿وَتَبَتَّلْ إِلَيْهِ تَبْتِيلًا﴾ [المزمل: ٨] بس بندكان خالص آنانندكه احسن خطاب راكه خطاب رب الأرباب است اززبان حضرت رسول استماع نموده اند بيروى كنند].

وأيضاً: إن الألف واللام في القول للعموم، فيقتضي أن لهم حسن الاستماع في كل قول من القرآن وغيره ولهم أن يتبعوا أحسن معنى يحتمل كل قول اتباع درايته والعمل به، وأحسن كل قول ما كان من الله، أو لله أو يهدي إلى الله، وعلى هذا يكون استماع قول القوّال من هذا القبيل كما في «التأويلات النجمية».

وقال الكلبي: يجلس الرجل مع القوم فيستمع الأحاديث محاسن ومساوىء فيتبع أحسنها، فيأخذ المحاسن ويحدث بها ويدع مساوءها: [ودر لباب كفته كه مراد ازقول سخنانست كه در مجالس ومحافل كذرد وأهل متابعت احسن آن اقوال اختيار ميكنند در ايشان ودر امثال آمده].

خذ ما صفا دع ما كدر

قول كس جون بشنوى دروى تأمل كن تمام صاف را بردار ودردى را رها كن والسلام

[وكفته اند استماع قول واتباع احسن آن عمومي دارد ومرد ازقول قرآنست واحسن، أو

محكم باشد دون منسوخ وعزيمت دون رخصت. وكفته أند كه در قرآن مقابح اعدا وممادح أوليا ست ايشان متابعت أحسن مينما يند كه مثلا طريقه موسى است عليه السلام دون سيرت فرعون]. وعلى هذا.

وفي «كشف الأسرار»: مثال هذا الأحسن في الدين أن ولي القتيل إذا طالب بالدم، فهو حسن وإذا عفا ورضي بالدية، فهو أحسن. ومن جزى بالسيئة السيئة مثلها، فهو حسن وإن عفا وغفر، فهو أحسن. وإن وزن أو كال، فهو حسن وإن أرجح، فهو أحسن. وإن اتزن وعدل، فهو حسن وإن طفف على نفسه، فهو أحسن. وإن رد السلام فقال: وعليكم السلام، فهو حسن، وإن قال: وعليكم السلام ورحمة الله، فهو أحسن. وإن حج راكباً، فهو حسن، وإن فعله راجلاً، فهو أحسن. وإن غسل أعضاءه في الوضوء مرة مرة، فهو حسن، وإن غسلها ثلاثاً ثلاثاً، فهو أحسن. وإن جزي من ظلمه بمثل مظلمته، فهو حسن وإن جازاه بحسنة، فهو أحسن. وإن سجد، أو رجع ساكتاً، فهو جائز، والجائز حسن، وإن فعلهما مسبحاً، فهو أحسن. ونظير هذه الآية قوله عز وجلّ لموسى عليه السلام: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا﴾ [الأعراف: ١٤٥]. وقوله: ﴿وَاتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ [الزمر: ٥٥]. انتهى ما في «الكشف».

وهذا معنى ما قال بعضهم: يستمعون قول الله، فيتبعون أحسنه ويعملون بأفضله، وهو ما في القرآن من عفو وصفح واحتمال على أذى، ونحو ذلك فالقرآن كله حسن، وإنما الأحسن بالنسبة إلى الآخذ والعامل.

قال الإمام السيوطي رحمه الله في «الاتقان»: اختلف الناس هل في القرآن شيء أفضل من شيء، فذهب الإمام أبو الحسن الأشعري رحمه الله وبعض الأئمة الأعلام إلى المنع؛ لأن الجميع كلام الله، ولئلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه. وذهب آخرون من المحققين، وهو الحق كلام الله في الله أفضل من كلامه في غيره، فقل هو الله أحد أفضل من تبت يدا أبي لهب؛ لأن فيه فضيلة الذكر، وهو كلام الله وفضيلة المذكور، وهو اسم ذاته وتوحيده وصفاته الإيجابية والسلبية. وسورة ﴿تَبَّتْ﴾ [المسد: ١] فيها فضيلة الذكر فقط، وهو كلام الله تعالى.

والأخبار الواردة في فضائل القرآن وتخصيص بعض السور والآيات بالفضل وكثرة الثواب في تلاوتها لا تحصى.

قال الإمام الغزالي رحمه الله في «جوهر القرآن»: كيف يكون بعض الآيات والسور أشرف من بعض مع أن الكل كلام الله، فاعلم نوّرك الله بنور البصيرة وقلد صاحب الرسالة عليه السلام، فهو الذي أنزل عليه القرآن. وقال: «يٰس قلب القرآن»، وفاتحة الكتاب سور القرآن، وآية الكرسي سيدة القرآن، وقل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن». ومن توقف في تعديل الآيات أول قوله عليه السلام أفضل سورة وأعظم سورة أراد في الأجر والثواب، لا أن بعض القرآن أفضل من بعض، فالكل في فضل الكلام واحد، والتفاوت في الأجر لا في كلام الله من حيث هو كلام الله القديم القائم بذاته.

واعلم أن استماع القول عند العارفين يجري في كل الأشياء، فالحق تعالى يتكلم بكل لسان من العرش إلى الثرى، ولا يتحقق بحقيقة سماعه إلا أهل الحقيقة وعلامة سماعهم انقيادهم إلى كل عمل مقرب إلى الله من جهة التكليف المتوجه على الإذن من أمر أو نهي كسماعه للعلم، والذكر

والثناء على الحق تعالى، والموعظة الحسنة والقول الحسن والتصامم عن سماع الغيبة والبهتان والسوء من القول والخوض في آيات الله والرفث والجدال، وسماع القيان، وكل محرم حجر الشارع عليه سماعه، فإذا كان كذلك كان مفتوح الأذن إلى الله تعالى، وفي المثنوي:

ينبه آن كوش سر كوش سراست تانكردد اين كران باطن كراست

وللفقير:

ينبه بيرون آر از كوش دلت ميرسد تا صوت از هر بلبلت

﴿أولئك﴾ المنعوتون بالمحاسن الجميلة، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿الذين هداهم الله﴾ للدين الحق والاتصاف بمحاسنه. ﴿وأولئك هم أولو الألباب﴾ أصحاب العقول السليمة من معارضة الوهم ومنازعة الهوى المستحقون للهداية لا غيرهم.

وفي الكلام دلالة على أن الهداية تحصل بفعل الله تعالى وقبول النفس لها، يعني أن لكسب العبد مدخلاً فيها بحسب جري العادة.

وفيه إشارة إلى أن أولئك القوم هم الذين عبروا عن قشور الأشياء، ووصلوا إلى الباب حقائقها.

﴿أَفَمَنْ حَقَّ عَلَيْهِ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِى ٱلنَّارِ ﴿١٩﴾﴾

﴿أفمن حق عليه كلمة العذاب أفأنت تنقذ من في النار﴾. بيان لأحوال عبدة الطاغوت بعد بيان أحوال المجتنبين عنها. والهمزة للاستفهام الإنكاري، والفاء للعطف على محذوف دل عليه الكلام، ومن شرطية والمفهوم من «كشف الأسرار» و«تفسير الكاشفي» كونها موصولة وحق بمعنى وجب وثبت، وكلمة العذاب قوله تعالى لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٥]. وكررت الهمزة في الجزاء لتأكيد الإنكار. والفاء فيه فاء الجزاء. ثم وضع موضع الضمير من في النار لمزيد تشديد الإنكار والاستبعاد والتنبيه على أن المحكوم عليه بالعذاب بمنزلة الواقع في النار، وأن اجتهاده عليه السلام في دعائهم إلى الإيمان سعي في إنقاذهم من النار؛ أي: تخليصهم، فإن الانقاذ التخليص من ورطة كما في «المفردات».

والمعنى: أنت يا محمد مالك أمر الناس، فمن حق؛ أي: وجب وثبت عليه من الكفار عدلاً في علم الله تعالى كلمة العذاب، فأنت تنقذه فالآية جملة واحدة من شرط وجزاء. وبالفارسية: [آيا هركسى يا آنكسى كه واجب شد برو كلمة وعيد آيا تو اي محمد مى رهانى آنرا كه در دوزخ باشد يعنى ميتوانى كه أورا مؤمن سازى واز عذاب باز رهانى يعنى اين كار بدست تو نيست كه دوز خيانرا بازر هانى همجو ابو لهب وبسرش عقبه وغير آن].

وفيه إشارة إلى أن من حق عليه في القسمة الأولى أن يكون مظهراً لصفات قهره إلى الأبد لا ينفعه شفاعة الشافعين، ولا يخرجه من جهنم سخط الله وطرده وبعده جميع الأنبياء والمرسلين، وإنما الشفاعة للمؤمنين بدليل قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ عَلَىٰ شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا﴾ [الأعراف: ١٠٣]. وحيث كان المراد بمن في النار الذين قيل في حقهم: ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار ومن تحتهم ظلل﴾ استدرك بقوله تعالى:

﴿لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ ۖ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿لكن الذين اتقوا ربهم﴾. [ليكن آنانكه بترسيدند از عذاب بروردكار خويش وبإيمان وطاعت متصف شدند].

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿لكن الذين اتقوا ربهم﴾ اليوم عن الشرك والمعاصي والزلات والشهوات وعبادة الهوى والركون إلى غير المولى فقد أنقذهم الله تعالى في القسمة الأولى من أن يحق عليهم كلمة العذاب وحق عليهم أن يكونوا مظهر صفات لطفه إلى الأبد. ﴿لهم غرف﴾. [منزلهاى بلندتر دربهشت]؛ أي: بحسب مقاماتهم في التقوى جمع غرفة، وهي علية من البناء وسمى منازل الجنة غرفاً كما في «المفردات». ﴿من فوقها غرف﴾؛ أي: لهم علالي بعضها فوق بعض بين أن لهم درجات عالية في جنات النعيم بمقابلة ما للكفرة من دركات سافلة في الجحيم. ﴿مبنية﴾. تلك الغرف الموصوفة بناء المنازل على الأرض في الرصانة والإحكام.

قال سعدي المفتي: الظاهر أن فائدة هذا الوصف تحقيق الحقيقة وبيان كون الغرف كالظلل حيث أريد بها المعنى المجازي على الاستعارة التهكمية.

وفي «بحر العلوم» مبنية بنيت من زبرجد وياقوت ودرّ وغير ذلك من الجوهر.

وفي «كشف الأسرار» مبنية، يعني: [يخشت زرين وسيمين بر آورده].

وفيه إشارة بأنها مبنية بأيدي أعمال العاملين وأحوال السالكين. ﴿تجري من تحتها﴾؛ أي: من تحت تلك الغرف المنخفضة والمرتفعة. ﴿الأنهار﴾ الأربعة من غير تفاوت بين العلو والسفل. ﴿وعد الله﴾ مصدر مؤكد؛ لأن قوله لهم: غرف في معنى الوعد؛ أي: وعدهم الله تلك الغرف والمنازل وعداً ﴿لا يخلف الله الميعاد﴾؛ لأن الخلف نقص، وهو على الله محال. [والإخلاف: وعده خلاف دادن]. والميعاد بمعنى الوعد.

وفي «التأويلات النجمية»: وعد الله الذي وعد التائبين بالمغفرة والمطيعين بالجنة والمشتاقين بالرؤية والعاشقين الصادقين بالقربة، والوصلة لا يخلف الله الميعاد. يعني: إذا لم يقع لهم فترة فلا محالة يصدق وعده، وإذا وقع لهم ذلك، فلا يلومن إلا أنفسهم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «إن أهل الجنة ليتراأون أهل الغرف من فوقهم». المراد: من أهلها أصحاب المنازل الرفيعة وتراءي القوم الهلال رأوه بأجمعهم ومنه الحديث: «كما يتراأون الكوكب الدرّي الغابر في الأفق من المشرق والمغرب». الغابر الباقي يعني: يرى التباعد بين أهل الغرف وسائر أصحاب الجنة كالتباعد المرئي بين الكوكب ومن في الأرض، وأنهم يضيئون لأهل الجنة إضاءة الكوكب الدري: «لتفاضل ما بينهم». يعني يرى أهل الغرف كذلك لتزايد درجاتهم على من سواهم. قالوا: يا رسول الله، تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم. قال: «بلى والذي نفسي بيده رجال» يعني: يبلغها رجال، وإنما قرن القسم ببلوغ غيرهم لما في وصول المؤمنين لمنازل الأنبياء من استبعاد السامعين: «آمنوا بالله وصدقوا المرسلين».

وفيه بشارة وإشارة إلى أن الداخلين مداخل الأنبياء من مؤمني هذه الأمة، لأنه قال: وصدقوا المرسلين وتصديق جميع الرسل إنما صدر منهم لا ممن قبلهم من الأمم. وفي الحديث: «من يدخل الجنة ينعم ولا ييأس لا تبلى ثيابه ولا يفنى شبابه»، قوله: ينعم بفتح الياء والعين؛ أي: يصيب نعمة وقولة: ولا ييأس بفتح الهمزة؛ أي: لا يفتقر. وفي بعض النسخ

بضمها؛ أي: لا يرى شدة قوله: لا تبلى بفتح حرف المضارعة واللام.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَلَكَهُ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهُ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَاهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُ حُطَامًا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٢١﴾﴾

﴿ألم تر﴾. [آيا نمى بينى يا محمد]، أو يا أيها الناظر. **﴿أن الله أنزل من السماء﴾** من تحت العرش **﴿ماء﴾** هو المطر. روي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «المياه العذبة والرياح اللواقح من تحت صخرة بيت المقدس»، يعني: كل ماء في الأرض نهراً، أو غيره، فهو من السماء ينزل منها إلى الغيم، ثم منه إلى الصخرة يقسمه الله بين البقاع، **﴿فسلكه﴾**. يقال: سلك المكان وسلك غيره فيه، وأسلكه: أدخله فيه؛ أي: فأدخل ذلك الماء ونظمه. **﴿ينابيع في الأرض﴾**؛ أي: عيوناً ومجاري كالعروق في الأجساد فقوله: **﴿ينابيع﴾** نصب بنزع الخافض. وقد ذكر الخافض في قوله: ﴿اسْلُكْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ [القصص: ٣٢]. وقوله: **﴿في الأرض﴾** بيان لمكان الينابيع كقولك لصاحبك: أدخل الماء في جدول المبطخة في البستان، وفيه أن ماء العين هو المطر يحبسه في الأرض، ثم يخرجه شيئاً فشيئاً، فالينابيع جمع ينبوع، وهو يفعول من نبع الماء ينبع مثلثة ونبوعاً خرج من العين. والينبوع: العين التي يخرج منها الماء. والينابيع: الأمكنة التي ينبع ويخرج منها الماء. **﴿ثم يخرج به﴾**. [بس بيرون مى آرد بدان آب]، **﴿زرعاً﴾** هو في الأصل مصدر بمعنى الإنبات عبر به عن المزروع؛ أي: مزروعاً. **﴿مختلفاً ألوانه﴾** أصنافه إضافة من بر وشعير وغيرهما، وكيفياته من الألوان والطعوم وغيرهما. وكلمة ثم للتراخي في الرتبة أو الزمان، وصيغة المضارع لاستحضار الصورة.

قال في «المفردات»: اللون معروف وينطوي على الأبيض والأسود وما يركب منهما. ويقال: تلوّن إذا اكتسى لوناً غير اللون الذي كان له ويعبر بالألوان عن الأجناس والأنواع. يقال: فلان أتى بألوان من الأحاديث، وتناول كذا لوناً من الطعام. انتهى.

﴿ثم يهيج﴾؛ أي: يتم جفافه حين حان له أن يثور عن منبته يقال: هاج يهيج هيجاً وهيجاناً وهياجاً بالكسر: ثار وهاج النبت يبس، كما في القاموس. وبالفارسية: [بس خشك ميشود آن مزروع]. **﴿فتراه مصفراً﴾** من يبسه بعد خضرته ونضرته. وبالفارسية: [بس مى بينى آنرا زرد شده بعد ازتازه كى وسبزى].

قال الراغب: الصفرة لون من الألوان التي بين السواد والبياض، وهي إلى البياض أقرب، ولذلك قد يعبر بها عن السواد. **﴿ثم يجعله﴾**؛ أي: الله تعالى **﴿حطاماً﴾**، فتاتاً متكسراً كأن لم يغن بالأمس. وبالفارسية: [ريزه ريزه ودرهم شكسته] يقال: تحطم العود إذا تفتت من اليبس ولكون هذه الحالة من الآثار القوية علقت بجعل الله تعالى كالإخراج. **﴿إن في ذلك﴾** المذكور مفصلاً. **﴿لذكرى﴾** لتذكيراً عظيماً. [والتذكير: ياد دادن]. **﴿لأولي الألباب﴾**: أصحاب العقول الخالصة من شوائب الخلل وتنبيهاً لهم على حقيقة الحال يتذكرون بذلك أن حال الحياة الدنيا في سرعة التقضي والانصرام كما يشاهدونه من حال الحطام كل عام فلا يغترون ببهجتها ولا يفتنون بفتنها:

بود حال دنيا جو آن سبزه زار ... كه بس تازه بينى بفصل بهار
جو بروى وزد تند باد خزان ... يكى برك سبزى نيابى ازان

قال في «كشف الأسرار»: الإشارة في هذه الآية إلى أن الإنسان يكون طفلاً، ثم شاباً ثم كهلاً ثم شيخاً، ثم يصير إلى أرذل العمر، ثم آخره يخترم، ويقال: إن الزرع ما لم يؤخذ منه الحب الذي هو المقصود منه لا يكون له قيمة كذلك الإنسان ما لم يخل من نفسه لا يكون له قدر ولا قيمة.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بقوله: ﴿**ألم تر**﴾ إلخ، إلى إنزال ماء الفيض الروحاني من سماء القلب. ﴿**فسلكه ينابيع**﴾ الحكمة ﴿**في الأرض**﴾ البشرية. ﴿**ثم يخرج به زرعاً**﴾، من الأعمال البدنية. ﴿**مختلفاً ألوانه**﴾ من الصلاة والزكاة والصوم والحج والجهاد. ﴿**ثم يهيج**﴾ إلخ. يشير إلى أعمال المرائي تراها مخضرة على وفق الشرع، ثم تجف من آفة العجب والرياء. ﴿**فتراه مصفراً**﴾ لا نور له. ﴿**ثم يجعله**﴾ من رياح القهر أذهبت عليه ﴿**حطاماً**﴾ لا حاصل له إلا الحسرة. وقوله: ﴿**إن في ذلك**﴾ إلخ. إشارة إلى أن السالك إذا جرى على مقتضى عقله وعلمه يظهر منه آثار الاجتهاد، ثم إذا ترقى إلى مقام المعرفة تضمحل منه حالته الأولى، ثم إذا بدت أنوار التوحيد استهلكت الجملة كما قالوا:

فلما استبان الصبح أدرج ضوءه ... بأنواره أنوار تلك الكواكب

فالتوحيد كالشمس ونورها، فكما أنه بنور الشمس تضمحل أنوار الكواكب، فكذا بنور التوحيد تتلاشى أنوار العلوم والمعارف ويصير حالها إلى الأفول والفناء، ويظهر حال أخرى من عالم البقاء.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿**أفمن شرح الله صدره للإسلام**﴾. الهمزة: للاستفهام الإنكاري، والفاء: للعطف على محذوف. ومن شرطية أو موصولة وخبرها محذوف دل عليه ما بعده. وأصل الشرح بسط اللحم. ونحوه يقال: شرحت اللحم وشرحته. ومنه شرح الصدر بنور إلٰهي وسكينة من جهته تعالى وروح منه، كما في «المفردات».

قال في «الإرشاد»: شرح الصدر للإسلام عبارة عن تكميل الاستعداد له، فإن الصدر بالفارسية: [سينه] محل القلب الذي هو منبع للروح التي تتعلق بها النفس القابلة للإسلام، فانشراحه مستدع لاتساع القلب واستضاءته بنوره، فهذا شرح قبل الإسلام لا بعده. والمعنى: أكل النساس سواء فمن بالفارسية: [بس هركسى ويا آنكس كه]. ﴿**شرح الله صدره**﴾؛ أي: خلقه متسع الصدر مستعداً للإسلام، فبقي على الفطرة الأصلية، ولم يتغير بالعوارض المكتسبة القادمة فيها. ﴿**فهو**﴾ بموجب ذلك مستقر ﴿**على نور**﴾ عظيم ﴿**من ربه**﴾، وهو اللطف الإلٰهي الفائض عليه عند مشاهدة الآيات التكوينية والتنزيلية، والتوفيق للاهتداء بها إلى الحق كمن قسا قلبه وحرج صدره بسبب تبديل فطرة الله بسوء اختياره واستولت عليه ظلمات الغيّ والضلالة، فأعرض عن تلك الآيات بالكلية حتى لا يتذكر بها ولا يغتنمها كقوله تعالى: ﴿وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُۥ يَجْعَلْ صَدْرَهُۥ ضَيِّقًا حَرَجًا﴾ [الأنعام: ١٢٥]، يعني: ليس من هو على نور كمن هو على ظلمة، فلا يستويان كما لا يستوي النور والظلمة والعلم والجهل.

واعلم أنه لا نور ولا سعادة لمسلم إلا بالعلم والمعرفة، ولكل واحد من المؤمنين معرفة

تختص به، وإنما تتفاوت درجاتهم بحسب تفاوت معارفهم.

والإيمان والمعارف أنوار، فمنهم من يضيء نوره جميع الجهات، ومنهم من لا يضيء نوره إلا موضع قدميه. فإيمان آحاد العوام نوره كنور الشمع وبعضهم نوره كنور السراج وإيمان الصديقين نوره كنور القمر والنجوم على تفاوتها وأما الأنبياء فنور إيمانهم كنور الشمس وأزيد فكما ينكشف في نورها كل الآفاق مع اتساعها، ولا ينكشف في نور الشمع إلا زاوية ضيقة من البيت كذلك يتفاوت انشراح الصدور بالمعارف، وانكشاف سعة الملكوت لقلوب المؤمنين. ولهذا جاء في الحديث: «إنه يقال يوم القيامة أخرجوا من النار من في قلبه مثقال من الإيمان ونصف مثقال وربع مثقال وشعيرة وذرة».

ففيه تنبيه على تفاوت درجات الإيمان وبقدره تظهر الأنوار يوم القيامة في المواقف خصوصاً عند المرور على الصراط. ﴿**فويل**﴾ [بس شدت عذاب]. ﴿**للقاسية قلوبهم من ذكر الله**﴾: القسوة غلظ القلب وأصله من حجر قاس والمقاساة معالجة ذلك ومن أجلية وسببية كما في قوله تعالى: ﴿مِّمَّا خَطِيٓـَٔـٰتِهِمْ أُغْرِقُوا۟﴾ [نوح: ٢٥]. والمعنى: من أجل ذكره الذي حقه أن تنشرح له الصدور وتطمئن به القلوب؛ أي: إذا ذكر الله تعالى عندهم وآياته اشمأزوا من أجله وازدادت قلوبهم قساوة كقوله تعالى: ﴿فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا﴾ [التوبة: ١٢٥]. وقرىء عن ذكر الله؛ أي: فويل للذين غلظت قلوبهم عن قبول ذكر الله.

وعن مالك بن دينار رحمه الله ما ضرب عبد بعقوبة أعظم من قسوة قلبه، وما غضب الله على قوم إلا نزع منهم الرحمة.

وقال الله تعالى لموسى عليه السلام في مناجاته: يا موسى لا تطل في الدنيا أملك، فيقسو قلبك، والقلب القاسي مني بعيد، وكن خلق الثياب جديد القلب تخف على أهل الأرض وتعرف في أهل السماء. وفي الحديث: «تورث القسوة في القلب ثلاث خصال: حب الطعام وحب النوم وحب الراحة».

وفي «كشف الأسرار»: [بدانكه اين قسوة دل از بسيارى معصيت خيزد عائشة صديقه رضي الله عنها كويد أول بدعتى كه بعد از رسول خدا درميان خلق بديد آمد سيرى بود. ذون مصرى رحمه الله كويد هركز سير نخوردم كه نه معصيتى كردم. شبلي رحمه الله كفت هيج وقت كرسنه نه نشستم كه دردل خود حكمتى وعبرتى تازه يافتم]. وفي الحديث: «أفضلكم عند الله أطولكم جوعاً وتفكراً وأبغضكم إلى الله كل أكول شروب نؤوم. كلوا واشربوا في أنصاف البطون فإنه جزء من النبوة». قال الشيخ سعدي:

بانـدازه خـورزاد اكـر آدمـى ... جنـين برشـكم آدمـى يـا خمـى
درون جـاى قـوتسـت وذكـر نفـس ... تـو بنـدارى از بهـر نانسـت وبس
نـدارنـد تـن بـروران آكـهـى ... كه برمعـده باشـد زحكمـت تهـى

﴿**أولئك**﴾: البعداء الموصوفون بما ذكر من قساوة القلب. وبالفارسية: [آن كروه غافلان وسنكدلان]. ﴿**في ضلال**﴾ بعيد عن الحق ﴿**مبين**﴾: ظاهر كونه ضلالاً للناظر بأدنى نظر، يعني: [ضلالت ايشان برهركه اندك فهمى دارد ظاهر است].

واعلم أن الآية عامة فيمن شرح صدره للإسلام بخلق الإيمان فيه.

وقيل: نزلت في حمزة بن عبد المطلب وعلي بن أبي طالب رضي الله عنهما وأبي لهب

وولده. فحمزة وعلي ممن شرح الله صدره للإسلام. وأبو لهب وولده من الذين قست قلوبهم، فالرحمة للمشروح صدره والغضب للقاسي قلبه. روي في الخبر أنه لما نزلت هذه الآية، قالوا: كيف ذلك يا رسول الله، يعني: ما معنى شرح الصدر، قال: «إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح»، فقيل: ما علامة ذلك، قال: «الإنابة إلى دار الخلود»، يعني التوجه للآخرة. «والتجافي عن دار الغرور». [يعني: برهيز كردن از دنيا]. «والتأهب للموت قبل نزوله». [وعزيزى درين معنا فرموده است].

نشان آن دلى كز فيض إيمانست نوراني
توجه باشد اول سوى دار الملك روحاني
زدنيا روى كردانيدن وفكر اجل كردن
كه جون مرك اندر آيدخوش توان مردن بآساني

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الإيمان نور ينوّر الله به مصباح قلوب عباده المؤمنين والإسلام ضوء نور الإيمان تستضيء به مشكاة صدورهم، ففي الحقيقة من شرح الله صدره بضوء نور الإسلام، فهو على نور من نظر عناية ربه. ومن أمارات ذلك النور محو آثار ظلمات الصفات الذميمة النفسانية من حب الدنيا وزينتها وشهواتها وإثبات حب الآخرة والأعمال الصالحة، والتحلية بالأخلاق الكريمة الحميدة. قال تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]، ومن أماراته أن تلين قلوبهم لذكر الله فتزداد أشواقهم إلى لقاء الله تعالى وجواره، فيسأمون من محن الدنيا وحمل أثقال أوصاف البهيمية والسبعية والشيطانية، فيفرون إلى الله ويتنورون بأنوار صفاته منها نور اللوائح بنور العلم، ثم نور اللوامع ببيان الفهم، ثم نور المحاضرة بزوائد اليقين، ثم نور المكاشفة بتجلي الصفات، ثم نور المشاهدة بظهور الذات ثم أنوار جلال الصمدية بحقائق التوحيد، فعند ذلك لا وجد ولا وجود ولا قصد ولا مقصود ولا قرب ولا بعد ولا وصال ولا هجران أن كل شيء هالك إلا وجهه كلا بل هو الله الواحد القهار:

جامى مكن انديشه زنز ديكى ودورى لا قرب ولا بعد ولا وصل ولا بين

قال الواسطي: نور الشرح منحة عظيمة لا يحتمله أحد إلا المؤيدون بالعناية والرعاية، فإن العناية تصون الجوارح والأشباح والرعاية تصون الحقائق والأرواح.

وفي «كشف الأسرار»: [بدان كه دل آدمى را جهار برده است. برده أول صدر است مستقر عهد إسلام كقوله تعالى: ﴿**أفمن شرح الله صدره للإسلام**﴾. برده دوم قلب است محل نور إيمان نور إيمان كقوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ﴾ [المجادلة: ٢٢]، برده سوم فؤادست سرابرده مشاهده حق كقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلۡفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١﴾ [النجم: ١١]. برده جهارم شغافست محط رحل عشق كقوله تعالى: ﴿قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّا﴾ [يوسف: ٣٠] رب العالمين جون خواهد كه رميده را بكمند لطف درراه دين خويش كشد اول نظرى كند بصد روى تاسينه وى از هوى وبدعتها باك كردد وقدم وى برجاده سنت مستقيم شود بس نظر كند بقلب وى تا از آلايش دنيا وأخلاق نكوهيده جون عجب وحسد وكبر وريا وحرص وعداوت ورعونت باك كردد ودر راه ورع روان شود بس نظرى كند بفؤاد وى واورا از خلائق وعلائق

بازبرده جشمه علم وحكمت در دل وى كشايد نور هدايت تحفه نطفه وى كرداند جنانكه كفت ﴿فهو على نور من ربه﴾ بس نظرى كند بشغاف وى واورا از آب وكل بازبرد قدم در كوى فنا نهد ونور برسه قسم است يكى برزبان ويكى دردل ويكى درتن. نور زبان توحيد است وشهادت. ونورتن خدمت است وطاعت. ونوردل شوق است ومحبت. نور زبان بجنت رساند لقوله تعالى: ﴿فَأَثَٰبَهُمُ ٱللَّهُ بِمَا قَالُواْ جَنَّٰتٍ﴾ [المائدة: ٨٥]. نورتن بفردوس رساند. لقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَانَتۡ لَهُمۡ جَنَّٰتُ ٱلۡفِرۡدَوۡسِ نُزُلًا ﴿١٠٧﴾﴾ [الكهف: ١٠٧]. نوردل بلقاى دوست رساند] لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٞ يَوۡمَئِذٖ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٞ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢،٢٣]. وفي الحديث: «إن لأهل النعم أعداء فاحذروهم».

قال بعضهم: وأجل النعم على العبد نعمة الإسلام وعدوها إبليس، فاحفظ هذه النعمة وسائر النعم واحذر من النسيان والقسوة والكفران.

قال الحسين النوري رحمه الله: قسوة القلب بالنعم أشد من قسوته بالشدة، فإنه بالنعمة يسكن وبالشدة يذكر. وقال: من همّ بشيء مما أباحه العلم تلذذاً عوقب بتضييع العمر وقسوة القلب، فليبك على نفسه من صرف عمره وضيع وقته، ولم يدرك مراتب المنشرحين صدورهم، وبقي مع القاسين قلوبهم نسألك اللهم الحفظ والعصمة.

﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ كِتَٰبٗا مُّتَشَٰبِهٗا مَّثَانِيَ تَقۡشَعِرُّ مِنۡهُ جُلُودُ ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُمۡ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمۡ وَقُلُوبُهُمۡ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُۚ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ ﴿٢٣﴾﴾

﴿الله نزل أحسن الحديث﴾. هو القرآن الكريم الذي لا نهاية لحسنه ولا غاية لجمال نظمه وملاحة معانيه، وهو أحسن مما نزل على جميع الأنبياء والمرسلين وأكمله وأكثره إحكاماً. وأيضاً: أحسن الحديث لفصاحته وإعجازه. وأيضاً: لأنه كلام الله، وهو قديم وكلام غيره مخلوق محدث. وأيضاً: لكونه صدقاً كله إلى غير ذلك. سمي حديثاً؛ لأن النبي عليه السلام كان يحدّث به قومه ويخبرهم بما ينزل عليه منه، فلا يدل على حدوث القرآن، فإن الحديث في عرف العامة الخبر والكلام.

قال في «المفردات» كل كلام يبلغ الإنسان من جهة السمع أو الوحي في يقظته أو منامه، يقال له حديث.

روي أن أصحاب رسول الله ﷺ ملوا ملة، فقالوا له عليه السلام: حدثنا حديثاً أو لو حدثتنا: يعني: [جه شودكه براى ماسخنى فرمايند وكام طوطيان أرواح مستمعان را بحديث ازل شكر بار وشيرين كردانند سرمايه حيات ابد اهل ذوق را دريك حكايت ازلب شكر فشان يست]. فنزلت هذه الآية.

والمعنى: أن فيه مندوحة عن سائر الأحاديث. ﴿كتاباً﴾ بدل من أحسن الحديث. ﴿متشابهاً﴾ معانيه في الصحة والأحكام والابتناء على الحق والصدق واستتباع منافع الخلق في المعاد والمعاش وتناسب ألفاظه في الفصاحة وتجاوب نظمه في الإعجاز. ﴿مثاني﴾ صفة أخرى لكتاباً ووصف الواحد، وهو الكتاب بالجمع، وهو المثاني باعتبار تفاصيله كما يقال القرآن سور وآيات والإنسان عروق وعظام وأعصاب، وهو جمع مثنى بضم الميم وتشديد النون

بمعنى مردد ومكرر لما ثنى من قصصه وأنبائه وأحكامه وأوامره ونواهيه ووعده ووعيده ومواعظه، أو لأنه ثنى في التلاوة، فلا يمل كما جاء في نعته لا يخلق على كثرة الترداد؛ أي: لا يزول رونقه ولذة قراءته واستماعه من كثرة ترداده على ألسنة التالين وتكراره على آذان المستمعين وأذهان المتفكرين على خلاف ما عليه كلام المخلوق، وفي القصيدة البردية:

فـلا تـعـد ولا تـحـصـى عـجـائـبـهـا ولا تـسـام عـلـى الإكـثـار بـالـسـأم

أي لا تقابل آيات القرآن مع الإكثار بالملال.

وفي «المفردات» وسمي سور القرآن مثاني؛ لأنها تثنى على مرور الأيام وتكرر، فلا تدرس ولا تنقطع دروس سائر الأشياء التي تضمحل وتبطل على مرور الأيام، وإنما تدرس الأوراق. كما روي أن عثمان رضي الله عنه حرق مصحفين لكثرة قراءته فيهما. ويصح أن يقال للقرآن: مثاني لما يثنى ويتجدد حالاً فحالاً من فوائده، كما جاء في نعته، ولا تنقضي عجائبه. ويجوز أن يكون ذلك من الثناء تنبيهاً على أنه أبداً يظهر منه ما يدعو إلى الثناء عليه، وعلى من يتلوه ويعلمه ويعمل به، وعلى هذا الوجه وصفه بالكرم في قوله: ﴿إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [الواقعة: ٧٧] وبالمجد في قوله: ﴿بَلْ هُوَ قُرْءَانٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾﴾ [البروج: ٢١]، أو هو جمع مثنى بفتح الميم وإسكان الثاء مفعل من الثنية بمعنى التكرير والإعادة كما في قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱرْجِعِ ٱلْبَصَرَ كَرَّتَيْنِ﴾ [الملك: ٤]؛ أي: كرة بعد كرة أو جمع مثنى بضم الميم وسكون الثاء، وفتح النون؛ أي: مثنى عليه بالبلاغة والإعجاز حتى قال بعضهم لبعض: ألا سجدت لفصاحته، ويجوز أن يكون بكسر النون؛ أي: مثن عليّ بما هو أهله من صفاته العظمى.

قال ابن بحر: لما كان القرآن مخالفاً لنظم البشر ونثرهم حول أسمائه بخلاف ما سموا به كلامهم على الجملة والتفصيل، فسمى جملته قرآناً كما سموا ديواناً، وكما قالوا: قصيدة وخطبة ورسالة. قال: سورة، وكما قالوا: بيت. قال: آية وكما سميت الأبيات لاتفاق أواخرها قوافي سمى الله القرآن لاتفاق خواتيم الآي فيه مثاني.

وفي «التأويلات النجمية»: القرآن كتاب متشابه في اللفظ مثاني في المعنى من وجهين:

أحدهما: أن لكل لفظ منه معاني مختلفة بعضها يتعلق بلغة العرب وبعضها يتعلق بإشارات الحق وبعضها يتعلق بأحكام الشرع كمثل الصلاة، فإن معناها في اللغة الدعاء. وفي أحكام الشرع عبارة عن هيئات وأركان وشرائط وحركات مخصوصة بها. وفي إشارة الحق تعالى هي الرجوع إلى الله كما جاء روحه من الحضرة بالنفخة الخاصة إلى القالب، فإنه عبر على القيام الذي يتعلق بالسماوات، ثم على الركوع الذي يتعلق بالحيوانات ثم على السجود الذي يتعلق بالنباتات، ثم على التشهد الذي يتعلق بالمعادن، فبالصلاة يشير الله عز وجلّ إلى رجوع الروح إلى حضرة ربه على طريق جاء منها، ولهذا قال النبي عليه السلام: «الصلاة معراج المؤمن».

والوجه الثاني: أن لكل آية تشبهاً بآية أخرى من حيث صورة الألفاظ، ولكن المعاني والإشارات والأسرار والحقائق مثاني فيها إلى ما لا ينتهي وإلى هذا يشير بقوله: ﴿قُل لَّوْ كَانَ ٱلْبَحْرُ مِدَادًا﴾ [الكهف: ١٠٩] الآية. **﴿تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم﴾**، استئناف مسوق لبيان آثاره الظاهرة في سامعيه بعد بيان أوصافه في نفسه وتقرير كونه أحسن الحديث، يقال: اقشعر جلده أخذته قشعريرة؛ أي: رعدة كما في «القاموس». والجلد: قشر البدن كما في «المفردات».

وقال بعضهم: أصل الاقشعرار تغير كالرعدة يحدث في جلد الإنسان عند الوجل والخوف.

وفي «الإرشاد»: الاقشعرار التقبض يقال: اقشعر الجلد إذا تقبض تقبضاً شديداً وتركيبه من القشع، وهو الأديم اليابس قد ضم إليه الراء ليكون باعثاً ودالاً على معنى زائد يقال: اقشعر جلده ووقف شعره إذا عرض له خوف شديد من منكر حائل دهمه بغتة. والمراد: إما بيان إفراط خشيتهم بطريق التمثيل والتصوير أو بيان حصول تلك الحالة وعروضها لهم بطريق التحقيق، وهو الظاهر إذ هو موجود عند الخشية محسوس يدركه الإنسان من نفسه، وهو يحصل من التأثر القلبي، فلا ينكر.

والمعنى: أنهم إذا سمعوا بالقرآن وقوارع آيات وعيده أصابتهم هيبة وخشية تقشعر منها جلودهم؛ أي: يعلوها قشعريرة ورعدة. وبالفارسية: [لرزد ازو يعنى از خوف وعيد كه در قرآنست بوستها برتنهاى آنانكه مى ترسند از برورد كار خود]. ﴿**ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله**﴾ اللين ضد الخشونة، ويستعمل ذلك في الأجسام، ثم يستعار للخلق ولغيره من المعاني. والجلود عبارة عن الأبدان والقلوب عن النفوس كما في «المفردات»؛ أي: ثم إذا ذكروا رحمة الله وعموم مغفرته لانت أبدانهم ونفوسهم، وزال عنها ما كان بها من الخشية والقشعريرة، بأن تبدلت خشيتهم رجاء ورهبتهم رغبة. وبالفارسية: [بس نرم ميشود وآرام ميكيرد بوستها ودلهاى ايشان بسوى يادكردن رحمت ومغفرت]. وتعدية اللين بإلى لتضمنه معنى السكون والاطمئنان؛ كأنه قيل: تسكن وتطمئن إلى ذكر الله لينة غير منقبضة راجية غير خاشعة أو تلين ساكنة مطمئنة إلى ذكر الله على أن المتضمن بالكسر يقع حالاً من المتضمن بالفتح. وإنما أطلق ذكر الله ولم يصرح بالرحمة إيذاناً بأنها أول ما يخطر بالبال عند ذكره تعالى.

فإن قلت: لم ذكرت الجلود وحدها أولاً ثم قرنت بها القلوب ثانياً.

قلت: لتقدم الخشية التي هي من عوارض القلوب، فكأنه قيل: تقشعر جلودهم من آيات الوعيد وتخشى قلوبهم من أول وهلة، فإذا ذكروا الله ومبنى أمره على الرأفة والرحمة واستبدلوا بالخشية رجاء في قلوبهم وبالقشعريرة ليناً في جلودهم. فالجملتان إشارة إلى الخوف والرجاء أو القبض والبسط أو الهيبة والأنس، أو التجلي والاستتار.

قال النهرجوري رحمه الله: وصف الله بهذه الآية سماع المريدين وسماع العارفين. وقال: سماع المريدين بإظهار الحال عليهم وسماع العارفين بالاطمئنان والسكون فالاقشعرار صفة أهل البداية واللين صفة أهل النهاية.

وعن شهر بن حوشب قالت أم الدرداء: رضي الله عنها: إنما الوجل في قلب الرجل كاحتراق السعفة أما تجد الاقشعريرة قلت: بلى. قالت: فادع الله، فإن الدعاء عند ذلك مستجاب، وذلك لانجذاب القلب إلى الملكوت وعالم القدس واتصاله بمقام الأنس. ﴿**ذلك**﴾ الكتاب الذي شرح أحواله ﴿**هدى الله**﴾. [راه نمودن خداست يعن ارشاديست مر خلق را از خداى]. ﴿**يهدي به**﴾ [راه بنمايد بوى]. ﴿**من يشاء**﴾ أن يهديه من المؤمنين المتقين كما قال: ﴿**هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ**﴾ [البقرة: ٢] لصرف مقدوره إلى الاهتداء بتأمله فيما في تضاعيفه من الشواهد الخفية ودلائل كونه من عند الله ﴿**ومن يضلل الله**﴾؛ أي: يخلق فيه الضلالة لصرف قدرته إلى

مباديها وأعراضه عما يرشده إلى الحق بالكلية وعدم تأثره بوعده ووعيده أصلاً. ﴿فما له من هاد﴾ يخلصه من ورطة الضلال.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿ومن يضلل الله﴾ بأن يكله إلى نفسه وعقله ويحرمه من الإيمان بالأنبياء ومتابعتهم. ﴿فما له من هاد﴾ من براهين الفلاسفة والدلائل العقلية. قال المولى الجامي قدس سره:

خواهى بصوب كعبه تحقيق ره برى　　بى برده مقلد كم كرده ره مرو

وفي «كشف الأسرار»: [يكى ازصحابه روزى بآن مهتر عالم عليه السلام كفت يا رسول الله جرا رخساره ما در استماع قرآن سرخ ميكردد وآن منافقان سياه كفت زيراكه قرآن نوريست مارا مى افروزد وايشانرا ميسوزد] يضل به كثيراً ويهدي به كثيراً. قال الخجندي قدس سره:

دل ازشنيدن قرآن بكيردت همه وقت　　جو باطلان زكلام حقت ملولي جيست

وفي الآية لطائف.

منها: أنه لما عقب أحسنية القرآن بكونه متشابهاً ومثاني رتب عليه اقشعرار جلود المؤمنين إيماء إلى أن ذلك إنما يحصل بكونه مردداً ومكرراً؛ لأن النفوس أنفر شيء من حديث الوعظ والنصيحة وأكثر جموداً وإباء عنه فلا تلين شكيمتها ولا تنقاد طبيعتها إلا أن يلقى إليها النصائح عوداً بعد بدء ولهذا كان عليه السلام يكرر وعظه ثلاثاً أو سبعاً.

ومنها: أن الاقشعرار أمر مستجلب للرحمة قال عليه السلام: «إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله تحاتت عنه ذنوبه»؛ أي: تساقطت: «كما يتحات عن الشجرة اليابسة ورقها» وعنه عليه السلام: «إذا اقشعر جلد العبد من خشية الله حرمه الله على النار»، ولما اتخذ الله إبراهيم خليلاً ألقى في قلبه الوجل حتى إن خفقان قلبه يسمع من بعيد كما يسمع خفقان الطير في الهواء.

قال مسروق: إن المخافة قبل الرجاء، فإن الله تعالى خلق جنة وناراً، فلن تخلصوا إلى الجنة حتى تمروا بالنار.

ومنها: أن غاية ما يحصل للعابدين من الأحوال المذكورة في هذه الآية من الاقشعرار والخشية والاطمئنان.

قال قتادة: هذا نعت أولياء الله نعتهم بأن تقشعر جلودهم وتطمئن قلوبهم ولم ينعتهم بذهاب عقلهم، والغشيان عليهم، وإنما ذلك في أهل البدع، وهو من الشيطان.

وعن عبد الله بن عبد الله بن الزبير. قال: قلت لجدتي أسماء بنت أبي بكر رضي الله عنه: كيف كان أصحاب رسول الله يفعلون إذا قرىء عليهم القرآن، قالت: كانوا كما نعتهم الله تدمع أعينهم وتقشعر جلودهم. قال: فقلت لها: إن ناساً اليوم إذا قرىء عليهم القرآن خر أحدهم مغشياً عليه، فقالت: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

وروي: أن ابن عمر رضي الله عنهما مر برجل من أهل العراق ساقط، فقال: ما بال هذا. قالوا: إنه إذا قرىء عليه القرآن، أو سمع ذكر الله سقط، فقال ابن عمر رضي الله عنه إنا لنخشى الله، وما نسقط. وقال ابن عمر رضي الله عنهما: إن الشيطان يدخل في جوف أحدهم ما كان هذا صنيع أصحاب محمد ﷺ كذا في التفاسير نحو «كشف الأسرار» و«المعالم» و«الوسيط» و«الكواشي» وغيرها.

يقول الفقير: لا شك أن القدح والجرح، إنما هو في حق أهل الرياء والدعوى، وفي حق من يقدر على ضبط نفسه كما أشار عليه السلام بقوله: «من عشق وعف وكتم ثم مات مات شهيداً». فإن من غلب على حاله كان الأدب له أن لا يتحرك بشيء لم يؤذن فيه، وأما من غلب عليه الحال وكان في أمره محقاً لا مبطلاً، فيكون كالمجنون، حيث يسقط عنه القلم فبأي حركة تحرك كان معذوراً فيها، فليس حال أهل البداية والتوسط كحال أهل النهاية، فإن ما يقدر عليه أهل النهاية لا يقدر عليه من دونهم، وكأن الأصحاب رضي الله عنهم، ومن في حكمهم ممن جاء بعدهم راعوا الأدب في كل حال ومقام بقوة تمكينهم، بل لشدة تلوينهم في تمكينهم، فلا يقاس عليهم من ليس له هذا التمكين، فرب أهل تلوين يفعل ما لا يفعله أهل التمكين، وهو معذور في ذلك لكونه مغلوب الحال ومسلوب الاختيار، فليجتهد العاقل في طريق الحق بلا رياء ودعوى وليلازم الأدب في كل أمر متعلق بفتوى أو تقوى، وليحافظ على ظاهره وباطنه من الشين ومما يورث الرين والغين.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُواْ مَا كُنتُمۡ تَكۡسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ فَأَتَىٰهُمُ ٱلۡعَذَابُ مِنۡ حَيۡثُ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿**أفمن يتقي بوجهه**﴾ الهمزة: للإنكار والفاء: للعطف على محذوف. ومن شرطية، والخبر محذوف. والاتقاء بالفارسية: [حذر كردن وخودرا نكاه داشتن]. يقال: اتقى فلان بكذا إذا جعله وقاية لنفسه والتركيب يدل على دفع شيء عن شيء يضره، وتقدير الكلام أكل الناس سواء فمن شأنه، وهو الكافر أن يقي نفسه بوجهه الذي هو أشرف أعضائه. ﴿**سوء العذاب**﴾؛ أي: العذاب السيِّىء الشديد: يعني [زبانه آتش]، كما في «تفسير الفارسي» للكاشفي. ﴿**يوم القيامة**﴾ لكون يده التي بها كان يتقي المكاره والمخاوف مغلولة إلى عنقه كمن هو آمن، وهو المؤمن لا يعتريه مكروه ولا يحتاج إلى الاتقاء بوجه من الوجوه.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**أفمن يتقي بـ**﴾ توجه ﴿**وجهه**﴾ لله ﴿**سوء العذاب**﴾؛ أي: عذاب السيىء ﴿**يوم القيامة**﴾، ويدفعه به عن نفسه كمن لا يتقي ويظلم على نفسه. ﴿**وقيل للظالمين**﴾ الذين وضعوا الكفر موضع الإيمان والتكذيب موضع التصديق والعصيان موضع الطاعة، وهو عطف على يتقي؛ أي: ويقال لهم: من جهة خزنة النار. وصيغة الماضي للدلالة على التحقيق ووضع المظهر في مقام المضمر للتسجيل عليهم بالظلم والإشعار بعلة الأمر في قوله: ﴿**ذوقوا**﴾ [بجشيد]. ﴿**ما كنتم تكسبون**﴾؛ أي: وبال ما كنتم تكسبونه في الدنيا على الدوام من الكفر والتكذيب والمعاصي.

وفي «التأويلات النجمية»؛ أي: ذوقوا ما كسبتم بأفعالكم الرديئة وأخلاقكم الدنيئة يعني كنتم في عين العذاب، ولكن ما كنتم تجدون ذوقه لغلبة نوم الغفلة فإذا متم انتبهتم. ﴿**كذب الذين**﴾ من الأمم السابقة الذين جاؤوا. ﴿**من قبلهم**﴾؛ أي: من قبل كفار مكة، يعني كذبوا أنبياءهم كما كذبك قومك. ﴿**فأتاهم العذاب**﴾ المقدر لكل أمة منهم. وبالفارسية: [بس آمد بديشان عذاب إلهي]. ﴿**من حيث لا يشعرون**﴾ من الجهة التي لا يحتسبون ولا يخطر ببالهم إتيان العذاب والشر منها بينا هم آمنون رافهون إذ فوجئوا من مأمنهم، فمعنى: من حيث لا يشعرون أتاهم العذاب، وهم آمنون في أنفسهم غافلون عن العذاب. وقيل: معناه لا يعرفون له

مدفعاً ولا مرداً، وفي «التأويلات النجمية»؛ أي: أتاهم العذاب في صورة الصحة والنعمة والسرور وهم لا يشعرون أنه العذاب وأشد العذاب ما يكون غير متوقع.

﴿فَأَذَاقَهُمُ اللَّهُ الْخِزْيَ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿فأذاقهم الله الخزي﴾؛ أي: الذل والصغار: وبالفارسية: [بس بجشانيده ايشانرا خداي تعالى خوراى ورسوايى]. يعني: أحسوا به إحساس الذائق المطعوم. **﴿في الحياة الدنيا﴾** بيان لمكان إذاقة الخزي. وذلك الخزي كالمسخ والخسف والغرق والقتل والسبي والإجلاء ونحو ذلك من فنون النكال، وهو العذاب الأدنى. **﴿ولعذاب الآخرة﴾** المعد لهم **﴿أكبر﴾** من العذاب الدنيا لشدته ودوامه. **﴿لو كانوا يعلمون﴾**؛ أي: لو كان من شأنهم أن يعلموا لعلموا ذلك واعتبروا به، وما عصوا الله ورسوله، وخلصوا أنفسهم من العذاب.

فعلى العاقل أن يرجع إلى ربه بالتوبة والإنابة كي يتخلص من عذاب الدنيا والآخرة.

وعن الشبلي قدس سره أنه قال: قرأت أربعة آلاف حديث، ثم اخترت منها واحداً، وعملت به وخليت ما سواه، لأني تأملته، فوجدت خلاصي ونجاتي فيه، وكان علم الأولين والآخرين مندرجاً فيه. وذلك أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم قال لبعض أصحابه: «اعمل لدنياك بقدر مقامك فيها واعمل لآخرتك بقدر بقائك فيها، واعمل لله بقدر حاجتك إليه واعمل للنار بقدر صبرك عليها». فإذا كان الصبر على النار غير ممكن للإنسان الضعيف فليسلك طريق النجاة المبعدة عن النار الموصلة إلى الجنات وأعلى الدرجات. وفي الحديث: «إن بدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بصلاة ولا قيام، ولكن دخلوها بسخاء الأنفس وسلامة الصدر والنصح للمسلمين». وأصل الكل هو التوحيد.

وعن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «مات رجل من قوم موسى، فإذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى لملائكته انظروا هل تجدون لعبدي شيئاً من الأعمال، فيقولون لا نجد سوى نقش خاتمه لا إلٰه إلا الله، فيقول الله تعالى لملائكته أدخلوا عبدي الجنة قد غفرت له»، فإذا كان التوحيد منجياً بنقشه الظاهري، فما ظنك بنقشه الباطني، فلا بد من الاجتهاد لإصلاح النفس وتقوية اليقين، والحمد لله على نعمة الإسلام والدين. وحكي عن أبي علي النسفي أنه قال: فقد مسلم حماراً، فخرج في طلبه فاستقبله مجوسي فانصرف المؤمن. وقال: إلٰهي أنا فقدت الدابة، وهذا فقد الدين فمصيبته أكبر من مصيبتي. الحمد لله الذي لم يجعل مصيبتي كمصيبته. وهذا بالنسبة إلى الوقت والحال، وأما أمر المآل فعلى الإشكال، كما قال المثنوي:

هيج كافررا بخوارى منكريد ... كه مسلمان مردنش باشد اميد
جه خبر دارى زختم عمر او ... تابكر دانى ازو يكباره رو

ومن الله التوفيق.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿ولقد ضربنا للناس في هذا القرآن من كل مثل﴾. يحتاج إليه الناظر في أمور دينه.

قال السمرقندي: ولقد بينا لهم فيه كل صفة هي في الغرابة؛ أي: في غرابتها وحسنها،

كالمثل السائر، وقصصنا عليهم كل قصة عجيبة الشأن كقصة الأولين وقصة المبعوثين يوم القيامة وغير ذلك. والمراد بالناس أهل مكة كما في «الوسيط» ويعضده ما قال بعضهم من أن الخطاب بقوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ﴾ [البقرة: ٢١] في كل ما وقع في القرآن لأهل مكة، والظاهر التعميم لهم ولمن جاء بعدهم. ﴿**لعلهم يتذكرون**﴾ يتذكرون به ويتعظون به ﴿**قرآناً عربياً**﴾؛ أي: بلغة العرب، وهو حال مؤكدة من هذا على أن مدار التأكيد هو الوصف؛ أي: التأكيد في الحقيقة هو الصفة ومفهومها.

وبعضهم جعل القرآن توطئة للحال التي هي عربياً. والحال الموطئة اسم جامد موصوف بصفة هي الحال في الحقيقة، ويجوز أن ينتصب على المدح؛ أي: أريد بهذا القرآن قرآناً عربياً. ﴿**غير ذي عوج**﴾. لا اختلاف فيه بوجه من الوجوه، ولا تناقض ولا عيب ولا خلل. والفرق بينه بالفتح، وبينه بالكسر أن كل ما ينتصب كالحائط والجدار والعود، فهو عوج بفتح العين، وكل ما كان في المعاني والأعيان الغير المنتصبة وبفتحها في المنتصبة كالرمح والجدار، ولذا قال أهل التفسير: لم يقل مستقيماً أو غير معوج مع أنه أخصر لفائدتين:

إحداهما: نفي أن يكون فيه عوج ما بوجه من الوجوه كما قال: ﴿وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا﴾ [الكهف: ١].

والثانية: أن لفظ العوج مختص بالمعاني دون الأعيان، وهو بالفارسية: [كجى].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿**غير ذي عوج**﴾؛ أي: غير مخلوق، وذلك لأن كونه مقروءاً بالألسنة ومسموعاً بالآذان ومكتوباً في الأوراق ومحفوظاً في الصدور لا يقتضي مخلوقيته إذ المراد كلام الله القديم القائم بذاته.

وفي «حقائق البقلي»: قرآناً قديماً ظهر من الحق على لسان حبيبه لا يتغير بتغير الزمان ولا يرهقه غبار الحدثان لا تعوجه الحروف، ولا تحيط به الظرف.

وفي «بحر الحقائق»: صراطاً مستقيماً إلى حضرتنا لا يأتيه الباطل من بين يديه، ولا من خلفه ﴿**لعلهم يتقون**﴾ علة أخرى مترتبة على الأولى، فإن المصلحة في ضرب الأمثال هو التذكر والاتعاظ بها أولاً، ثم تحصيل التقوى.

والمعنى: لعلهم يعملون عمل أهل التقوى في المحافظة على حدود الله في القرآن والاعتبار بأمثاله. وبالفارسية: [شايدكه ايشان بسبب تأمل در معاني آن بيرهيزند ازكفر وتكذيب].

ثم أورد مثلاً من تلك الأمثال، فقال:

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلٗا رَّجُلٗا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلٗا سَلَمٗا لِّرَجُلٍ هَلۡ يَسۡتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِۚ بَلۡ أَكۡثَرُهُمۡ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٢٩﴾ إِنَّكَ مَيِّتٞ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾﴾

﴿**ضرب الله مثلاً رجلاً فيه شركاء متشاكسون**﴾. المراد بضرب المثل هنا تطبيق حالة عجيبة بأخرى مثلها كما مر في أوائل سورة يس ومثلاً مفعول ثان لضرب ورجلاً مفعوله الأول اخر عن الثاني للتشويق إليه، وليتصل به ما هو من تتمته التي هي العمدة في التمثيل. وفيه خبر مقدم لقوله شركاء، والجملة في حيز النصب على الوصفية لرجلاً: [والتشاكس: بايكديكر بدخويى كردن].

قال في «المفردات»: الشكس السيِّىء الخلق ومتشاكسون متشاجرون بشكاسة خلقهم.

وفي «القاموس»: وكندس الصعب الخلق وككتف البخيل ومتشاكسون مختلفون عسرون وتشاكسوا تخالفوا.

والمعنى: جعل الله تعالى للمشرك مثلاً حسبما يقود إليه مذهبه من ادعاء كل من معبوديه عبوديته عبداً يتشارك فيه جماعة يتجاذبونه ويتعاورونه في مهماتهم المتباينة في تحسره. وتوزع قلبه. ﴿ورجلاً﴾؛ أي: وجعل للموحد مثلاً ﴿سلماً﴾ خالصاً ﴿لرجل﴾ فرد ليس لغيره عليه سبيل أصلاً فالتنكير في كل منهما للإفراد؛ أي: فرداً من الأشخاص لفرد من الأشخاص. والسلم: بفتحتين وكقتل وفسق مصدر من سلم له كذا؛ أي: خلص نعت به مبالغة كقبولك رجل عدل، أو حذف منه ذو بمعنى ذا سلامة لرجل؛ أي: ذا خلوص له من الشرك. والرجل ذكر من بني آدم جاوز حد الصغر وتخصيص الرجل، لأنه انطق لما يجري عليه من الضر والنفع، لأن المرأة والصبي قد يغفلان عن ذلك. ﴿هل﴾ استفهام إنكار ﴿يستويان﴾ . [آيا مساوى باشد اين دوبنده]. ﴿مثلاً﴾ من جهة الصفة والحال نصب على التمييز والوحدة حيث لم يقل مثلين لبيان الجنس وإرادته، فيعم؛ أي: هل يستوي حالهما وصفاتهما يعني: لا يستويان.

والحاصل: أن الكافر كالعبد الأول في كونه حيران متفرق البال؛ لأنه يعبد آلهة مختلفة؛ أي: أصناماً لا يجيء منها خير بل تكون سبباً لوقوعه في أسفل سافلين كما أن العبد يخدم ملاكاً متعاسرين مختلفي الأهوية لا يصل إليه منهم منفعة أصلاً، والمؤمن كالعبد الثاني في انضباط أحواله، واجتماع باله حيث يعبد رباً واحداً، يوصله إلى أعلى عليين كما أن العبد يخدم سيداً واحداً يرضى عنه، ويصل إليه بالعطاء الجزيل:

يك يار بسنده كن جويك دل دارى

﴿الحمد لله﴾ حيث خصمهم كما قال مقاتل؛ أي: قطعهم بالخصومة وغلبهم، وأظهر الحجة عليهم ببيان عدم الاستواء بطريق ضرب المثل. ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ إضراب وانتقال من بيان عدم الاستواء على الوجه المذكور إلى بيان أن أكثر الناس وهم المشركون لا يعلمون بذلك مع كمال ظهوره، فيبقون في ورطة الشرك والضلال من فرط جهلهم.

وفي الآية إشارة إلى بيان عدم الاستواء بين الذي يتجاذبه شغل الدنيا وشغل العيال وغير ذلك من الأشياء المختلفة، والخواطر المتفرقة، وبين الذي هو خالص لله ليس للخلق فيه نصيب ولا للدنيا نسيب، وهو من الآخرة غريب وإلى الله قريب منيب.

والحاصل: أن الراغب في الدنيا شغلته أمور مختلفة، فلا يتفرغ لعبادة ربه، وإذا كان في العبادة يكون قلبه مشغولاً بالدنيا. والزاهد: قد تفرغ من جميع أشغال الدنيا، فهو يعبد ربه خوفاً وطمعاً. والعارف: قد تفرغ من الكونين، فهو يعبد ربه شوقاً إلى لقائه، فلا استواء بين البطالين والطالبين وبين المنقطعين والواصلين الحمد لله، يعني الثناء له، وهو مستحق لصفات الجلال، بل أكثرهم لا يعلمون كمال جماله، ولا يطلعون على حسن استعدادهم بمرآتية صفات جماله وجلاله، وإلا لعطلوا الأمور الدنيوية بأسرها وخربت الدنيا التي هي مزرعة الآخرة. وفي المثنوي:

استن اين عالم اي جان غفلتست هو شيارى اين جهانرا آفتست

هو شيارى زان جهانست وجو آن غالب آيد بست كردد اين جهان
هو شيارى آفتاب وحرص يخ هو شيارى آب واين عالم وسخ
زان جهان اندك ترشح مى رسد تانلغزد در جهان حرص وحسد
كر ترشح بيشتر كردد زغيب نى هنر ماند درين عالم نه عيب

فعلى العاقل الرجوع إلى الله والعمل بما في القرآن والاعتبار بأمثاله حتى يكون من الذين يعلمون حقيقة الحال. وفي المثنوي:

هست قرآن حالهاى أنبيا ماهيان بحر باك كبريا
ور بخوانى ونه قرآن بذير أنبيا وأوليا را ديده كير
وربذيرايى جوبر خوانى قصص مرغ جانت تنك آيد در قفص
مرغ كواندر قفص زندانيست مى نجويد رستن ازناد انيست
روحهايى كز قفصها رسته اند انبياى رهبر شايسته اند

كان الحسن والحسين رضي الله عنهما يلعبان بين يدي النبي، فأعجب بهما، فأتاه جبرائيل عليه السلام بقارورة وكاغدة. وفي القارورة الدم وفي الكاغدة السم، فقال: أتحبهما يا محمد، فاعلم أن أحدهما يقتل بالسيف فهذا دمه والآخر يسقى السم، وهذا سمه، فقطع القلب عن الأولاد، وعلق قلبه بالله تعالى من قال الله، ولم يفر من غير الله إلى الله لم يقل الله دع روحك وقلبك، ثم قل الله كما قال الله تعالى لحبيبه عليه السلام: ﴿قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١]؛ أي: ذرهم، ثم قل الله، نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المنقطعين إليه، والحاضرين لديه إنه هو المسؤول:

﴿إنك ميت وإنهم ميتون﴾ تمهيد لما يعقبه من الاختصام يوم القيامة إذ كان كفار قريش يتربصون برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم موته.

يعني: [كفار مكه ميكفتند جشم ميداريم كه محمد بميرد واز وبازر هيم]. والموت: صفة وجودية خلقت ضداً للحياة.

وفي «المفردات»: الموت زوال القوة الحساسية الحيوانية، وإبانة الروح عن الجسد. والتأكيد بالنون لتنزيل المخاطب منزلة المتردد فيه تنبيهاً له على ظهور أدلته وحثاً على النظر فيها. والمعنى: أنكم جميعاً بصدد الموت، فالموت يعمكم ولامعنى للتربص والشماتة، بل هو عين الجهالة:

مكن شادمانى بمرك كسى كه دهرت نماند بس ازوى بسى

فمعنى قوله: ميت وميتون. بالفارسية: [مرده خواهى شد وزود بميرند]؛ أي: ستموت، وسيموتون. والشيء إذا قرب من الشيء يسمى باسمه، فلا بد لكل من الموت قريباً وبعيداً، وكل آتٍ فهو قريب.

روي أن آدم عليه السلام لما أهبط إلى الأرض قيل له: لد للفناء، وابن للخراب. قرأ بعضهم إنك مائت وإنهم مائتون؛ لأنه مما سيحدث وتوضيحه أن المائت صفة حادثة في الحال، أو في المستقبل بدليل صحة قولك: زيد مائت الآن، أو غداً بخلاف الميت، فإنه صفة لازمة كالسيد للعريق في السؤدد والسائد لمن حدث له السؤدد.

وقيل: الموت ليس ما أسند إلى إبانة الروح عن الجسد، بل هو إشارة إلى ما يعتري

الإنسان في كل حال من الخلل والنقص وأن البشر ما دام في الدنيا يموت جزءاً فجزءاً، وقد عبر قوم عن هذا المعنى، وفصلوا بين الميت والمائت، فقالوا: المائت هو المتخلل.

قال القاضي علي بن عبد العزيز ليس في لغتنا مائت على حسب ما قالوه، وإنما يقال: موت مائت كقولنا: شعر شاعر وسيل سائل.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: لما دنا فراق رسول الله جمعنا في بيت أمنا عائشة رضي الله عنها، ثم نظر إلينا، فدمعت عيناه. وقال: «مرحباً بكم حياكم الله رحمكم الله أوصيكم بتقوى الله وطاعته قد دنا الفراق، وحان المنقلب إلى الله تعالى وإلى سدرة المنتهى، وجنة المأوى يغسلني رجال أهل بيتي ويكفنونني في ثيابي هذه إن شاؤوا أو في حلة يمانية، فإذا غسلتموني وكفنتموني ضعوني على سريري في بيتي هذا على شفير لحدي، ثم اخرجوا عني ساعة فأول من يصلي عليّ حبيبي جبرائيل ثم ميكائيل، ثم إسرافيل، ثم ملك الموت مع جنودهم، ثم ادخلوا عليّ فوجاً فصلوا عليّ». فلما سمعوا فراقه صاحوا وبكوا وقالوا: يا رسول الله أنت رسول ربنا وشمع جمعنا، وبرهان أمرنا إذا ذهبت عنا فإلى من نرجع في أمورنا، قال: «تركتكم على المحجة البيضاء»؛ أي: على الطريق الواضح الواسع ليلها كنهارها؛ أي: في الوضوح، ولا يزيغ بعدها إلا هالك وتركت لكم واعظين ناطقاً وصامتاً، فالناطق القرآن والصامت الموت، فإذا أشكل عليكم أمر، فارجعوا إلى القرآن والسنة، وإذا قست قلوبكم فلينوها بالاعتبار في أحوال الأموات»، فمرض رسول الله ﷺ من يومه ذلك من صداع عرض له، وكان مريضاً ثمانية عشر يوماً يعوده الناس، ثم مات يوم الاثنين كما بعثه الله فيه، فغسله علي رضي الله عنه وصب الماء؛ أي: ماء بئر غرس الفضل بن العباس رضي الله عنهما ودفنوه ليلة الأربعاء وسط الليل، وقيل: ليلة الثلاثاء، في حجرة عائشة رضي الله عنها.

وفي الحديث: «من أصيب بمصيبة فليذكر مصيبته بي فإنها أفظع المصائب». وأنشد بعضهم:

اصبر لكل مصيبة وتجلد واعلم بأن المرء غير مخلد

وإذا اعترتك وساوس بمصيبة فاذكر مصابك بالنبي محمد

وفي «التأويلات النجمية» يشير بقوله: ﴿إنك ميت﴾ إلخ إلى نعيه عليه السلام ونعي المسلمين إليهم ليفرغوا بأجمعهم عن مأتمهم ولا تعزية في العادة بعد ثلاث، ومن لم يتفرغ عن مأتم نفسه وأنواع همومه، فليس له من هذا الحديث شمة، فإذا فرغ قلبه عن حديث نفسه، وعن الكونين بالكلية، فحينئذٍ يجد الخير من ربه، وليس هذا الحديث إلا بعد فنائهم عنهم، ولهذا أوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام، فقال: «يا داود فرغ لي بيتاً أسكن فيه، قال: يا رب أنت منزه عن البيت كله، قال: فرغ لي قلبك». وقال لنبينا عليه السلام: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ۝﴾ [الانشراح: ١] يعني قلبك. وقال: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝﴾ [المدثر: ٤]؛ أي: قلبك عن لوث تعلقات الكونين:

سالك پاك رو نخوانندش آنكه ازماسوى منزه نيست

وقال المولى الجامي قدس سره:

روز شب در نظرت موج زنان بحر قدم حيف باشد كه بلوث حدث آلوده شوى

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ (٣١)﴾

﴿ثم إنكم﴾؛ أي: إنك وإياهم على تغليب ضمير المخاطب على ضمير الغائب وأكد بالنون، وإن كان الاختصام مما لا ينكر لتنزيل المخاطبين منزلة من يبالغ في إنكار الاختصام؛ لانهماكهم في الغفلة عنه. ﴿يوم القيامة عند ربكم﴾؛ أي: مالك أمركم. ﴿تختصمون﴾ فتحتج أنت عليهم، بأنك بلغتهم ما أرسلت به من الأحكام والمواعظ، واجتهدت في الدعوة إلى الحق حق الاجتهاد، وهم قد لجوا في المكابرة والعناد، ويعتذرون بما لا طائل تحته مثل أطعنا سادتنا وكبراءنا وجدنا آباءنا.

وفي «بحر العلوم»: الوجه الوجيه أن يراد الاختصام العام، وأن يخاصم الناس بعضهم بعضاً مؤمناً، أو كافراً، فيما جرى بينهم في الدنيا بدلائل:

منها: قول النبي عليه السلام: «أول من يختصم يوم القيامة الرجل والمرأة، والله ما يتكلم لسانها، ولكن يداها تشهدان ورجلاها عليها بما كانت تعيب لزوجها وتشهد عليه يداه ورجلاه بما كان يؤذيها».

ومنها: قوله عليه السلام: «أنا خصم عثمان بن عفان بين يدي الرب تعالى».

وعن إبراهيم النخعي قالت الصحابة رضي الله عنهم: ما خصومتنا ونحن إخوان، فلما قتل عثمان رضي الله عنه قالوا: هذه خصومتنا.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه كنا نقول: ربنا واحد ونبينا واحد وديننا واحد وكتابنا واحد، فما هذه الخصومة، فلما كان يوم صفين وشد بعضنا على بعض بالسيوف، قلنا: نعم هو هذا.

ومنها: قوله عليه السلام: «من كان عنده مظلمة لأخيه من عرض أو شيء فليتحلله اليوم من قبل أن لا يكون دينار ولا درهم، وإن كان له عمل صالح أخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسنات أخذ من سيئات صاحبه، فحمل عليه».

قال ابن الملك: يحتمل أن يكون المأخوذ نفس الأعمال بأن تتجسد، فتصير كالجواهر، وأن يكون ما أعد لها من النعم والنقم إطلاقاً للسبب على المسبب.

وعن الزبير بن العوّام رضي الله عنه قال لما نزلت على رسول الله ﷺ: ﴿ثم إنكم﴾ إلخ. قلت: أي رسول الله أيكرر علينا ما كان بيننا في الدنيا مع خواص الذنوب؛ أي: الذنوب المخصوصة بنا سوى المخاصمات قال: «نعم ليكررن عليكم حتى تؤدوا إلى كل ذي حق حقه». قال الزبير: إن الأمر إذاً لشديد. وفي الحديث: «لا تزال الخصومة بين الناس حتى تخاصم الروح الجسد، فيقول الجسد: إنما كنت بمنزلة جذع ملقى لا أستطيع شيئاً، ويقول الروح: إنما كنت ريحاً لا أستطيع أن أعمل شيئاً، فضرب لهما مثل الأعمى والمقعد يحمل الأعمى المقعد فيدله المقعد ببصره ويحمله الأعمى برجليه».

وفي الحديث: «أتدرون من المفلس»، قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع. قال: «إن المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، وكان قد شتم هذا وقذف هذا، وأكل مال هذا وسفك دم هذا، فيقضي هذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أنْ يقضي ما عليه أخذ من خطاياهم، فطرحت عليه ثم طرح في النار».

فإن قيل: قال في آية أخرى: ﴿لَا تَخْتَصِمُواْ لَدَىَّ﴾ [ق: ٢٨]. قيل: إن في يوم القيامة ساعات كثيرة وأحوالها مختلفة مرة يختصمون ومرة لا يختصمون كما أنه قال: ﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [القصص: ٦٦]. وقال في آية أخرى: ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٧﴾﴾ [الصافات: ٢٧]. يعني في حال لا يتساءلون، وفي حال يتساءلون، وكما أنه قال: ﴿فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾﴾ [الرحمٰن: ٣٩]. وفي موضع آخر: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٢﴾﴾ [الحجر: ٩٢]. ونحو هذا كثير في القرآن. قال بعض الكبار: يوم القيامة يوم عظيم شديد يتجلى الحق فيه أولاً بصفة القهر بحيث يسكت الأنبياء والأولياء، ثم يتجلى باللطف، فيحصل لهم انبساط، فعند ذلك يشفعون.

قال في «التأويلات النجمية»: ﴿ثم إنكم يوم القيامة عند ربكم تختصمون﴾؛ أي: تراجعون الحق تعالى بشفاعة أقربائكم وأهاليكم وأصدقائكم بعد فراغكم من خويصة أنفسكم نسأل الله سبحانه وتعالى العناية.

﴿۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى ٱللَّهِ وَكَذَّبَ بِٱلصِّدْقِ إِذْ جَآءَهُۥٓ ۚ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَـٰفِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿فمن أظلم ممن كذب على الله﴾. في «الإرشاد»: المعنى الأول ليختصمون هو الأظهر الأنسب بهذا القول، فإنه مسوق لبيان حال كل من طرفي الاختصام الجاري في شأن الكفر والإيمان لا غير.

وفي «بحر العلوم»: فيه دلالة بينة على أن الاختصام يوم القيامة بين الظالمين والمظلومين. والمعنى: أظلم من كل ظالم من افترى على الله بأن أضاف إليه الشرك والولد. ﴿وكذب بالصدق﴾؛ أي: بالأمر الذي هو عين الحق ونفس الصدق، وهو ما جاء به النبي عليه السلام: ﴿إذ جاءه﴾؛ أي: في مجيئه على لسان الرسول عليه السلام، يعني: فاجأه بالتكذيب ساعة أتاه وأول ما سمعه من غير تدبر فيه ولا تأمل.

وفيه إشارة إلى من يكذب على الله بادعاء أنه أعطاه رتبة وحالاً ومقاماً، وإذا وجد صديقاً جاء بالصديق في المقال والأحوال كذبه، وينكر على صدقه، فيكون حاصل أمره يوم القيامة، قوله: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ تَرَى ٱلَّذِينَ كَذَبُواْ عَلَى ٱللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ﴾ [الزمر: ٦٠]، ولهذا قال تعالى: ﴿أليس في جهنم مثوى للكافرين﴾ استفهام إنكاري وإنكار النفي نفي له ونفي النفي إثبات. والثواء: هو الإقامة والاستقرار والمثوى المقام والمستقر. والمعنى: أن جهنم منزل ومقام للكاذبين المكذبين المذكورين وغيرهم من الكفار جزاء لكفرهم وتكذيبهم.

﴿وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٣٤﴾﴾

﴿والذي جاء﴾: [وانكه آمد ويا آرد]. ﴿بالصدق وصدق به﴾: الموصول عبارة عن رسول الله عليه السلام، ومن تبعه من المؤمنين كما في قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَـٰبَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [المؤمنون: ٤٩]، فإن المراد: موسى عليه السلام وقومه. ﴿أولئك﴾: الموصوفون بالصدق والتصديق. ﴿هم المتقون﴾ المنعوتون بالتقوى التي هي أجلّ الرغائب. وقال الإمام السهيلي رحمه الله. ﴿والذي جاء بالصدق﴾: هو رسول الله. ﴿و﴾ الذي ﴿صدق

به﴾. هو الصديق رضي الله عنه، ودخل في الآية بالمعنى كل من صدق، ولذلك قال: **﴿وأولئك هم المتقون﴾**. انتهى.

وفيه على ما قال أهل التفسير: إنه يلزم إضمار الذي بأن يقال: والذي صدق به وذا غير جائز.

ودلت الآية على أن النبي عليه السلام يصدق أيضاً بما جاء به من عند الله ويتلقاه بالقبول كما قال الله تعالى: ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]. ومن هنا قال بعضهم: إن النبي عليه السلام مرسل إلى نفسه أيضاً، وهكذا وارث الرسول، فإنه لا يتردد في صدق حاله وتصديق الخبر الذي يأتيه من الله تعالى، فيفيض بركة حاله إلى وجوده كله، وإلى من يعتقده ويصدقه ألا ترى أن النبي عليه السلام أتى بالصدق وأفاض من بركات صدقه على أبي بكر رضي الله عنه، فسمي صديقاً، وهكذا حال سائر الصديقين. قال الحافظ:

بصدق كوش كه خورشيد زايد ازنفست كه از دروغ سيه روى كشت صبح نخست

يعني: أن الصادق الصديق يتولد من نفسه نفس الشمس المعنوية فتنور الأنفس كما أن الصبح الصادق تطلع بعده الشمس الصورية فتنور الآفاق بخلاف حال الكاذب، فإنه كالصبح الكاذب حيث تعقبه الظلمة.

﴿لهم﴾؛ أي: للمتقين بمقابلة محاسن أعمالهم في الدنيا. **﴿ما يشاؤون عند ربهم﴾**؛ أي: كل ما يشاؤونه من جلب المنافع ودفع المضار في الآخرة لا في الجنة فقط لما أن بعض ما يشاؤونه من تكفير السيئات، والأمن من الفزع وسائر أهوال القيامة، إنما يقع قبل دخول الجنة.

يقال: أجمع العبارات لنعيم الجنة. ﴿وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ﴾ [النحل: ٥٧] وأجمع العبارات لعذاب الآخرة. ﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤].

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿لهم ما يشاؤون عند ربهم﴾**، لأنهم تقربوا إلى الله تعالى بالاتقاء به عما سواه فأوجب الله في ذمة كرمه أن يتقرب إليهم بإعطاء ما يشاؤون من عنده بحسب حسن استعدادهم. **﴿ذلك﴾**؛ أي: حصول ما يشاؤونه. **﴿جزاء المحسنين﴾** ثواب الذين أحسنوا أعمالهم بأن عملوها على مشاهدة الحق.

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٣٥﴾ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿ليكفر الله عنهم أسوأ الذي عملوا﴾

قال الراغب: الكفارة ما يغطي الإثم. ومنه كفارة اليمين والقتل والظهار. والتكفير: ستره وتغطيته حتى يصير بمنزلة ما لم يعمل، ويجوز أن يكون بمعنى إزالة الكفر والكفران كالتمريض، بمعنى إزالة المرض، واللام متصل بالمحسنين، يعني الذين أحسنوا رجاء أن يكفر الله، إلخ. أو بالجزاء، يعني: جزاهم كي يكفر عنهم كذا في «كشف الأسرار».

وقال المولى أبو السعود رحمه الله: اللام متعلق بقوله: لهم ما يشاؤون باعتبار فحواه الذي هو الوعد؛ أي: وعدهم الله جميع ما يشاؤونه من زوال المضار، وحصول المسار ليكفر

عنهم بموجب ذلك الوعد أسوأ الذي عملوا دفعاً لمضارهم. ﴿ويجزيهم أجرهم﴾، ويعطيهم ثوابهم ﴿بأحسن الذي كانوا يعملون﴾؛ أي: إعطاؤنا لمنافعهم وإضافة الأسوأ والأحسن إلى ما بعدهما ليست من قبيل إضافة المفضل إلى المفضل عليه، بل من إضافة الشيء إلى بعضه للقصد إلى التحقيق والتوضيح من غير اعتبار تفضيله عليه، وإنما المعتبر فيهما مطلق الفضل والزيادة لا على المضاف إليه المعين بخصوصه خلا أن الزيادة المعتبرة فيها ليست بطريق الحقيقة، بل هي في الأول بالنظر إلى ما يليق بحالهم من استعظام سيئاتهم. وإن قلت: واستصغار حسناتهم، وإن جلت. والثاني: بالنظر إلى لطف كرم أكرم الأكرمين من استكثار الحسنة اليسيرة ومقابلتها بالمثوبات الكثيرة وحمل الزيادة على الحقيقة، وإن أمكن في الأول بناء على أن تخصيص الأسوأ بالذكر لبيان تكفير ما دونه بطريق الأولوية ضرورة استلزام تكفير الأسوأ لتكفير السَّيِّىء لكن لما لم يكن ذلك في الأحسن، كان الأحسن نظمها في سلك واحد من الاعتبار. والجمع بين صيغتي الماضي والمستقبل في صلة الموصول الثاني دون الأول للإيذان باستمرارهم على الأعمال الصالحة بخلاف السيئة، كذا في «الإرشاد».

واعلم أن سبب التكفير والأجر الأحسن هو الصدق، وهو من المواهب لا من المكاسب في الحقيقة، وإن كان حصول أثره منوطاً بفعل العبد، ويجري في القول والفعل والوعد والعزم.

قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: أوقفني الحق سبحانه بين يديه ألف موقف، في كل موقف عرض عليّ مملكة الدارين، فقلت: لا أريدها، فقال لي: في آخر موقف: يا أبا يزيد ما تريد، قلت: أريد أن لا أريد. قال: أنت عبدي حقاً وصدقاً:

من كه باشم كه مرا خواست بود

[داود طائى رحمه الله عالم وقت بود ودر فقه فريد عصر بود ودر مقام صدق جنان بود كه آن شب كه ازدنيا بيرون رفت از آسمان ندا آمدكه «يا أهل الأرض إن داود الطائي رحمه الله قدم على ربه، وهو غير راضٍ» واين منزلت ومنقبت در صدق عمل جنان بودكه أبو بكر عياش حكايت كندكه در حجره وى شدم أورا ديدم نشسته وباره نان خشك دردست داشت ومى كريست كفتم].

ما لك يا داود، فقال: هذه الكسرة آكلها ولا أدري أمن حلال هي أم من حرام. [وشيخ أبو سعيد أبو الخير قدس سره را در مجلس سؤال كردندكه]. يا الشيخ ما الصدق؟ وكيف السبيل إلى الله شيخ كفت.

الصدق: وديعة الله في عباده ليس للنفس فيه نصيب؛ لأن الصدق سبيل إلى الحق، وأبى الله أن يكون لصاحب النفس إليه سبيل. قال عليه السلام لمعاذ رضي الله عنه: «يا معاذ أخلص دينك يكفك القليل من العمل».

﴿أليس الله بكاف عبده﴾. أدخلت همزة الإنكار على كلمة النفي، فأفادت معنى إثبات الكفاية وتقريرها.

والكفاية ما فيه سد الخلة وبلوغ المراد في الأمر؛ أي: هو تعالى كاف عبده محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم أمر من يعاديه وناصره عليه، وفيه تسلية له عليه السلام، ويحتمل الجنس، ففيه تسلية لكل من تحقق بمقام العبودية.

وعن بعض الكبار أليس بكاف عبده أن يعبده، ويؤمن به وأيضاً عبده المتحقق بحقيقة هويته التي هي مبدأ الألوهية؛ أي: ألوهيته وإلٰهيته.

وفي «التأويلات النجمية»: أن الله كافٍ عبده عن كل شيء، ولا يكفي له كل شيء عن الله. ولهذا المعنى إذ يغشى السدرة ما يغشى من نفائس الملك والملكوت لتكون للنبي عليه السلام تلك النفائس كافية عن رؤية ما زاغ البصر، وما طغى بنظر القبول إليها حتى رأى من آيات ربه الكبرى.

وفي «عرائس البقلي»: فيه نبذة من العتاب، عاتب الحق عباده بلفظ الاستفهام؛ أي: هل يجري على قلوبهم أني أتركهم من رعايتي وحفظي كلا، ومن يجترىء أن يقوم بمخاصمة من هو في نظري من الأزل إلى الأبد.

وفي «كشف الأسرار»: من تبرأ من اختياره واحتياله وصدق رجوعه إلى الله من أحواله ولا يستعين بغير الله من أشكاله وأمثاله آواه الله إلى كنف إقباله وكفاه جميع أشغاله. وفي الحديث: «من أصبح وهمومه هم واحد كفاه الله هموم الدنيا والآخرة». [عبد الواحد زيدرا كفتند هيچ كس را دانى كه در مراقبت خالق جنان مستغرق بودكه أورا بروای خلق نباشد كفت يكى را دانم كه همين ساعت درآيد عتبة الغلام در آمد عبد الواحد كفت اى عتبه درراه كراديدى كفت هيچ كس را وراه وى بازار بود انجمن خلق].

وقال السيد جعفر الصادق رضي الله عنه: ما رأيت أحسن من تواضع الأغنياء للفقراء، وأحسن من ذلك إعراض الفقير عن الغني استغناء بالله تعالى ورعايته وكفايته.

قال أبو بكر بن طاهر رحمه الله: من لم يكف بربه بعد قوله: **﴿أليس الله بكاف عبده﴾**، فهو من درجة الهالكين.

وقال ابن عطاء رحمه الله: رفع جلاجل العبودية من عنقه من نظر بعد هذه الآية إلى أحد من الخلق، أو رجاهم، أو خافهم، أو طمع فيهم:

بس ترا از ما سوى امداد هو كفت أليس الله بكاف عبده

﴿ويخوفونك﴾؛ أي: المشركون **﴿بالذين من دونه﴾**؛ أي: بالأوثان التي اتخذوها آلهة من دون الله تعالى، ويقولون: إنك تعيبها، وإنها لتصيبك بسوء كالهلاك، أو الجنون، أو فساد الأعضاء.

وقال بعض أهل التفسير: إن هذه الآية؛ أي: قوله: **﴿أليس الله بكاف عبده﴾** نزلت مرة في حق النبي عليه السلام، ومرة في شأن خالد بن الوليد رضي الله عنه كسورة الفاتحة حيث نزلت مرة بمكة، ومرة بالمدينة. [ونزولش در حق خالد بن الوليد آنست كه قومى از مشركان عرب درختى را بمعبودى كرفته بودند ودر وى ديوى در زير بيخ آن درخت قرار كرده بود نام آن ديو عزى ورب العزة آنرا سبب ضلالت ايشان كرده بود مصطفى عليه السلام خالد وليدرا فرموده تا آن درخت را ازبيخ بر آورد وآن ديورا بكشد مشركان كرد آمدند وخالد را بترسانيد ند كه عزى ترا هلاك كند يا ديوانه كند خالد از مقالت ايشان مصطفى را خبر كرد ورب العزة در حق وى اين آيت فرستادكه **﴿أليس الله بكاف عبده ويخوفونك بالذين من دونه﴾** خالد باز كشت وآن درخت را از بيخ بكند وزير آن درخت شخصى يافت عظيم سياه كريه المنظر واورا بكشت بس مصطفى عليه السلام كفت]. تلك عزى ولن تعبد أبداً. كذا في «كشف الأسرار»: **﴿ومن**

يضلل الله﴾؛ أي: ومن يجعله دالاً عن الطريق القويم والفهم المستقيم حتى غفل عن كفايته تعالى وعصمته له عليه السلام وخوفه بما لا ينفع ولا يضر أصلاً. **﴿فما له من هاد﴾** يهديه إلى خير ما.

﴿ومن يهد الله﴾؛ أي: ومن يرشده إلى الصراط المستقيم. **﴿فما له من مضل﴾** يصرفه عن مقصده أو يصيبه بسوء يخل بسلوكه إذ لا راد لفعله، ولا معارض لإرادته.

وفي «التأويلات النجمية»: فيه إشارة إلى أن رؤية الخير والشر من غير الله ضلالة والتخويف بمن دون الله غاية الضلالة ولهذا قال: **﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾**، ولأن الهادي في الحقيقة هو الله، فمن يضلل الله كيف يهديه غيره، وكذلك من يهد الله فما له من مضل؛ لأن المضل على الحقيقة هو الله، فمن يهده الله كيف يضله. **﴿أليس الله بعزيز﴾** غالب منيع يعز من يعبده. **﴿ذي انتقام﴾** من أعدائه لأوليائه؛ أي: هو عزيز ذو انتقام؛ لأن الاستفهام إذا دخل على النفي أفاد تحقيقاً وتقريراً كما مرّ. والانتقام بالفارسية: [كينه كشيدن].

وفي «بحر العلوم»: من النقمة، وهي الشدة والعقوبة.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿ولئن سألتهم﴾؛ أي: هؤلاء المشركين الذين يخوفونك بآلهتهم، فقلت لهم: **﴿من خلق السماوات والأرض﴾** من اخترع هذين الجنسين المعبر عنهما بالعالم. **﴿ليقولن الله﴾**؛ أي: خلقهن الله لوضوح الدليل على اختصاصه بالخالقية واللام الأولى توطئة وتمهيد للقسم، والثانية: جواب له، وهو سادّ مسدّ جوابين.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الإيمان الفطري مركوز في جبلة الإنسان من يوم الميثاق إذا شهدهم الله على أنفسهم، فقال: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا بَلَىٰ﴾ [الأعراف: ١٧٢]، كما قال تعالى: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾ [الروم: ٣٠]. وقال عليه السلام: «كل مولود يولد على الفطرة»، فلا يزال يوجد في الإنسان، وإن كان كافراً أثر ذلك الإقرار، ولكنه غير نافع إلا مع الإيمان الكسبي بالله وملائكته وكتبه ورسله وبما جاؤوا به. **﴿قل﴾** تبكيتاً لهم. **﴿أفرأيتم ما تدعون من دون الله إن أرادني الله بضر هل هن كاشفات ضره﴾**. أرأيتم بمعنى: أخبروني. جعل الرؤية، وهو العلم الذي هو سبب الإخبار مجازاً عن الإخبار، وتدعون بمعنى: تعبدون، وما عبارة عن الآلهة والضر سوء الحال أياً كان من مرض وضيق معيشة وشدة، والاستفهام للإنكار وضمير هنّ راجع إلى ما باعتبار الآلهة. والكشف: الإظهار والإزالة، ورفع شيء عما يواريه ويعطيه.

والمعنى: بعد ما تحققتم أن خالق العالم العلوي والسفلي هو الله تعالى، فأخبروني أن آلهتكم إن أرادني الله بضر، هل هن يكشفن عني ذلك الضرر والبلاء ويدفعنه؟ أي: لا تقدر على دفعه وإزالته. **﴿أو أرادني برحمة﴾**؛ أي: أو إن أرادني بنفع من صحة أو غنى أو غير ذلك من المنافع. **﴿هل هن ممسكات رحمته﴾**. فيمنعنها عني؛ أي: لا تقدر على إمساك تلك الرحمة، ومنعها وتعليق إرادة الضر والرحمة بنفسه عليه السلام للرد في نحورهم حيث كانوا

خوفوه مضرة الأوثان ولما فيه من الإيذان بإمحاض النصح، وإنما قال: كاشفات وممسكات إبانة لكمال ضعفها وإشعاراً بأنوثتها كما قال: ﴿إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا﴾ [النساء: ١١٧]، وهم كانوا يصفونها بالأنوثة مثل العزى واللات ومناة، فكأنه قال: كيف أشركتم به تعالى هذه الأشياء الجمادية البعيدة من الحياة والعلم والقدرة والقوة والتمكن من الخلق، هلا استحييتم من ذلك؟. ﴿قل﴾ يا محمد: ﴿حسبي الله﴾ حسب مستعمل في معنى الكفاية؛ أي: الله كافيّ في جميع أموري من إصابة الخير ودفع الشر. وبالفارسية: [بسست مرا خداى تعالى در رسانيدن خيروباز داشتن شر].

روي: أنه عليه السلام لما سألهم سكتوا، فنزل: ﴿عليه﴾ تعالى لا على غيره أصلاً. ﴿يتوكل المتوكلون﴾ لعلمهم بأن ما سواه تحت ملكوته تعالى:

توبا خداى خود اندازكار ودل خوش دار
که رحم اكر نكند مدعى خدا بكند

وفيه إشارة إلى أن من تحول عن الكافي إلى غير الكافي لم يتم أمره، فلا بد من التوكل على رب العباد والتسليم له والانقياد. [در كليله ودمنه كويد باسلطان قوى كسى طاقت ندارد وكس با او نستيزد مكر بكردن دادن ويرا مثل آن حشيش كه هركاه كه باد غلبه كيرد خودرا فراباد دهد تادر زمين همين كرداندش آخر نجات يابد وآن درخت رفته راكه كردن ننهد از بيخ بركندن وجون شرار بينى وازو بترسى بيش أودر زمين بغلظ تواضع كن تابرهى كه شيرا كرجه عظيم بود اما كريم بود].

فالعصمة من الله تعالى. حكي: أن سفينة مولى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أخطأ الجيش بأرض الروم وأسر، فانطلق هارباً يلتمس الجيش، فإذا بأسد، فقال له: يا أبا الحارث، أنا سفينة مولى رسول الله، فكان مرادي كيت وكيت، فأقبل الأسد يتبصبص حتى قام إلى جنبه، فركب عليه، فكان كلما سمع صوتاً أهوى إليه، فلم يزل كذلك حتى بلغ الجيش، ثم رجع الأسد.

وفيه إشارات منها أن الحيوان المفترس لا يقدر على الإضرار إذا كان المرء في عصمة الله، فكيف الجماد.

ومنها: أن طاعة الله تعالى والتوكل عليه سبب النجاة من المهالك.

ومنها: أن الاستشفاع برسول الله والتقرب إليه بالإيمان والتوحيد والعمل بسنته يهدي إلى سواء الصراط، كما هدى سفينة رضي الله عنه.

فعلى العاقل إخلاص التوحيد والإعراض عما سوى الله تعالى، فإنه تعالى كاف لعبده في كل حال من الأحوال والأمور.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ ۖ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿قل يا قوم﴾؛ أي: قوم من. ﴿اعملوا على مكانتكم﴾ على حالتكم التي أنتم عليها من العداوة التي تمكنتم فيها، فإن المكانة تستعار من العين للمعنى كما يستعار هنا، وحيث للزمان مع كونهما للمكان. ﴿إني عامل﴾؛ أي: على مكانتي ما استطعت ولا يزيد حالي إلا قوّة

ونصرة. ﴿فسوف تعلمون من يأتيه عذاب يخزيه﴾، بسوء أعماله، ومن مفعول تعلمون. والإخزاء: [دون كردن وخوار كردن ورسوا كردن وهلاك كردن]. ومعاني هذه الكلمة يقرب بعضها من بعض. ومنه الحديث: «لا تخزوا الحور»؛ أي: لا تجعلوهن يستحيين من فعلكم كما في «تاج المصادر». والمعنى بالفارسية: [بس زود باشدكه بدانيد آنكس راكه ازماوشما بيايد بدو عذابى كه اورا رسواكند]. وهو عذاب الدنيا وخزي أعدائه دليل على غلبته فقد نصره الله وعذب أعداءه وأخزاهم يوم بدر. يعني: [حق سبحانه رسوا كرد دشمنان آن حضرت رادر روز بدركه جمعى از ايشان بدست مؤمنان كشته كشتند وكروهى بقيد مذلت وسلسلة نكبت كرفتار شدند]:

اين سرباد داده وآن دستها ببند آن كشته خوار وزار وكرفتار ومستمند

﴿ويحل﴾: ينزل من أفعاله من الحلول، وهو النزول. ﴿عليه عذاب مقيم﴾ إلى الأبد لا يفارقه دائم لا ينقطع عنه، وهو عذاب الآخرة يعني: أنتم الهالكون بسبب كونكم على البطلان. ونحن الناجون بسبب كوننا على الحق، فسوف ينكشف ربحنا وخسرانكم وسوف تظهر زيادتنا ونقصانكم وسوف يطالبكم الله ولا جواب لكم ويعذبكم، ولا شفيع لكم ويدمر عليكم ولا صريخ لكم:

إيمان رسد بفرياد قرآن رسد بامداد

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ ۖ فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا ۖ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٤١﴾﴾.

﴿إنا أنزلنا عليك الكتاب﴾؛ أي: القرآن. ﴿للناس﴾؛ أي: لأجلهم فإنه مناط لمصالحهم في المعاش والمعاد، وقد سبق الفرق بين إليك وعليك في أول السورة. ﴿بالحق﴾ حال من فاعل أنزلنا. حال كوننا محقين في إنزاله أو من مفعوله كون ذلك الكتاب ملتبساً بالحق والصدق؛ أي: كل ما فيه حق وصواب لا ريب فيه موجب للعمل به حتماً. ﴿فمن اهتدى﴾، بأن عمل بما فيه. ﴿فلنفسه﴾؛ أي: إنما نفع به نفسه. ﴿ومن ضل﴾، بأن لم يعمل بموجبه، ﴿فإنما يضل عليها﴾، لما أن وبال ضلالة مقصور عليها. ﴿وما أنت عليهم بوكيل﴾. الوكيل: القائم على الأمر حتى يكمله؛ أي: وما وكلت عليهم لتجبرهم على الهدى، وما وظيفتك إلا البلاغ. وقد بلغت أي بلاغ.

وفي الآية إشارة إلى أن القرآن مذكر جوار الحق للناس الذين نسوا الله وجواره، فمن تذكر بتذكيره واتعظ بوعظه، واهتدى بهدايته كانت فوائد الهداية راجعة إلى نفسه، بأن تنورت بنور الهداية، فانمحى عنها آثار ظلمات صفاتها الحيوانية السبعية الشيطانية الموجبة لدخول النار. ﴿ومن ضل فإنما يضل عليها﴾، فإنه يوكله إلى نفسه وطبيعته، فتتغلب عليه الصفات الذميمة، فيكون حطب النار. ﴿وما أنت﴾ يا محمد ﴿عليهم بوكيل﴾، تحفظهم من النار إذا كان في استعدادهم الوقوع فيها.

وفي الحديث: «إنما مثلي ومثل أمتي كمثل رجل استوقد ناراً فجعلت الدواب والفراش يقعن فيها وأنا آخذ بحجزكم تقحمون فيه». والحجز: جمع الحجزة، كالكدرة، وهي معقد الإزار خصه بالذكر، لأن أخذ الوسط أقوى في المنع وأصل تقحمون بالتشديد تتقحمون وفيه؛

أي: في النار على تأويل المذكور، يعني: أنا آخذكم حتى أبعدكم عن النار وأنتم تدخلون فيها بشدة. ومعنى التمثيل: أن النبي عليه السلام في منعهم عن المعاصي والشهوات المؤدية إلى النار وكونهم متقحمين متكلفين في وقوعها مشبه بشخص مشفق يمنع الدواب عنها وهن يغلبنه.

وفي الحديث إخبار عن فرط شفقته على أمته وحفظهم من العذاب، ولا شك فيه لأن الأمم في حجر الأنبياء كالصبيان الأغبياء في أكناف الآباء صلوات الله عليهم وسلامه.

وفي الحديث: «إن مثل ما بعثني الله به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضاً، فكانت منها طائفة طيبة قبلت الماء وأنبتت الكلأ والعشب الكثير، وكانت منها أجادب أمسكت الماء، فنفع الله بها الناس، فشربوا منها وسقوا وزرعوا، وأصاب منها طائفة أخرى، إنما هي قيعان لا تمسك ماء، فذلك مثل من فقه في دين الله ونفعه الله بما بعثني به، فعلم وعلم ومثل من لم يرفع لذلك رأساً»؛ أي: لم يلتفت إليه بالعمل، ولم يقبل هدى الله الذي أرسلت به». انتهى، فعلم العالم العامل المعلم كالمطر الواقع على التربة الطيبة، وعلم العالم المعلم الغير العامل كالمطر الواقع على الأجادب، وأما الذي لا يقبل الهدى أصلاً، فكان كالأرض التي لا تمسك ماء، ولا تنبت كلأ، فكما أنها ليس فيها ماء ولا كلأ، فكذا الكافر والجاهل ليس فيه علم ولا عمل، فلا لنفسه نفع ولا لغيره.

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٢﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ ۚ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا۟ لَا يَمْلِكُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَعْقِلُونَ ﴿٤٣﴾﴾

﴿الله يتوفى الأنفس حين موتها﴾. يقال: توفاه الله، قبض روحه. كما في «القاموس». والأنفس: جمع نفس بسكون الفاء، وهي النفس الناطقة المسماة عند أهل الشرع بالروح الإضافي الإنساني السلطاني، فسميت نفساً باعتبار تعلقها بالبدن وانصياعها بأحكامه، والتلبس بغواشيه وروحاً باعتبار تجردها في نفسها ورجوعها إلى الله تعالى. فالنفس ناسوتية سفلية والروح لاهوتية علوية.

قالوا: الروح الإنساني جوهر بسيط محرك للجسم، وليس هو حالاً في البدن كالحلول السرياني ولا كالحلول الجواري، ولكن له تعلق به تعلق التدبير والتصرف والروح الحيواني أثر من آثار هذا الروح على ما سبق مني تحقيقه في سورة الإسراء عند قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]، فهو من الروح الإنساني كالقمر من الشمس في استفاضة النور والبهائم تشارك فيه الإنسان وهو الروح الذي يتصرف في تعديله وتقويته علم الطب ولا يحمل الأمانة والمعرفة والتراب يأكل محله، وهو البدن العامي، لأن الله تعالى حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء والصديقين والشهداء بخلاف الروح الإنساني، فإنه حامل الأمانة والمعرفة والإيمان ويتصرف فيه علم الشريعة والطريقة والمعرفة والحقيقة بتوسط الحكماء الإلٰهيين، ولا يأكله التراب، وهو باعتبار كونه نفساً هو النبي والولي والمشار إليه بأنا، والمدرج في الخرقة بعد مفارقته عن البدن، والمسؤول في القبر والمثاب والمعاقب، وليس له علاقة مع البدن سوى أن يستعمله في كسب المعارف بواسطة شبكة الحواس، فإن البدن آلته ومركبه وشبكته، وبطلان الآلة والمركب والشبكة لا يوجب بطلان الصياد. نعم بطلت الشبكة بعد الفراغ من

الصيد، فبطلانها غنيمة إذ يتخلص من حملها وثقلها. ولذا قال عليه السلام: «الموت تحفة المؤمن». أما لو بطلت الشبكة قبل الصيد، فقد عظمت فيه الحسرة والندامة، ولذا يقول المقصرون: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٩٩﴾ لَعَلِّيٓ أَعْمَلُ صَٰلِحًا فِيمَا تَرَكْتُۚ﴾ [المؤمنون: ٩٩ ـ ١٠٠] الآية.

والموت: زوال القوة الحساسة كما أن الحياة وجود هذه القوة، ومنه سمي الحيوان حيواناً ومبدأ هذه القوة هو الروح الحيواني الذي محله الدماغ كما أن محل الروح الإنساني: القلب الصنوبري ولا يلزم من ذلك تحيزه فيه، وإن كانت الأرواح البشرية متحيزة عند أهل السنة. ثم إن الإنسان ما دام حياً، فهو إنسان بالحقيقة، فإذا مات فهو إنسان بالمجاز؛ لأن إنسانيته في الحقيقة إنما كانت بتعلق الروح الإنساني، وقد فارقه. وفي المثنوي:

جان زريش وسبلت تن فارغست ليك تن بى جان بود مرداريست

ومعنى الآية: يقبض الله الأرواح الإنسانية عن الأبدان بأن يقطع تعلقها عنها وتصرفها فيها ظاهراً وباطناً، وذلك عند الموت، فيزول الحس والحركة عن الأبدان، وتبقى كالخشب اليابس ويذهب العقل والإيمان والمعرفة مع الأرواح.

وفي «الوسيط»: ﴿**حين موتها**﴾؛ أي: حين موت أبدانها وأجسادها على حذف المضاف.

يقول الفقير: ظاهره يخالف قوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، فإن المفهوم منه أن الموت يطرأ على النفوس لا على البدن، اللهم إلا أن يقال: المراد أن الله يتوفى الأرواح حين موت أبدانها بمفارقة أرواحها عنها وأسند القبض إليه تعالى، لأنه الآمر للملائكة القابضين.

وفي «زهرة الرياض»: التوفي من الله الأمر بخروج الروح من البدن لو اجتمعت الملائكة لم يقدروا على إخراجه، فالله يأمره بالخروج كما أمره بالدخول، ومن الملائكة المعالجة، وإذا بلغت الحنجرة يأخذها ملك الموت على الإيمان، أو الكفر. انتهى.

على أن من خواص العباد من يتولى الله قبض روحه، كما روي أن فاطمة الزهراء رضي الله عنها لما نزل عليها ملك الموت لم ترض بقبضه، فقبض الله روحها، وأما النبي عليه السلام، فإنما قبضه ملك الموت لكونه مقدم الأمة، وكما قال ذو النون المصري قدس سره: إلٰهي لا تكلني إلى ملك الموت، ولكن اقبض روحي أنت ولا تكلني إلى رضوان، وأكرمني أنت ولا تكلني إلى مالك، وعذبني أنت، نسأل الله الفضل على كل حال. ﴿**والتي لم تمت في منامها**﴾ قوله: ﴿**في منامها**﴾ متعلق بيتوفى المقدر. المنام والنوم واحد، وهو استرخاء أعصاب الدماغ برطوبات البخار الصاعد إليه.

وقيل: هو أن يتوفى الله النفس من غير موت كما في الآية.

وقيل: النوم موت خفيف والموت: نوم ثقيل. وهذه التعريفات كلها صحيح بنظرات مختلفة. والمعنى: ويتوفى الأنفس التي لم تمت في منامها؛ أي: يتوفاها حين نومها بأن يقطع تعلقها عن الأبدان، وتصرفها فيها ظاهراً لا باطناً، فالنائم يتنفس ويتحرك ببقاء الروح الحيواني، ولا يعقل ولا يميز بزوال الروح الإنساني ومثل النوم حال الانسلاخ عند الصوفية إلا أن المنسلخ حال اليقظة أقوى حالاً وشهوداً من المنسلخ حال النوم، وهو النائم وعبر عن الموت، والنوم بالتوفي تشبيهاً للنائمين بالموتى لعدم تميزهم، ولذا ورد: النوم أخو الموت».

وعن علي رضي الله عنه أن الروح يخرج عند النوم ويبقى شعاعه في الجسد، فلذلك يرى الرؤيا، فإذا انتبه عاد روحه إلى جسده بأسرع من لحظة. ويروى: أن أرواح المؤمنين تعرج عند النوم إلى السماء، فمن كان منهم طاهراً؛ أي: على وضوء أذن له في السجود لله تعالى تحت العرش، ومن لم يكن منهم طاهراً، لم يؤذن له فيه، فلذلك يستحب أن ينام الرجل على الوضوء لتصدق رؤياه، ويكون له مع الله معاملات ومخاطبات.

قال بعضهم: خلق الله الأرواح على اللطافة والأجساد على الكثافة، فلما أمرت بالتعلق بالأجساد انقبضت من الاحتجاب بها، فجعل الله النوم والانسلاخ سبباً لسيرها في عالم الملكوت، حتى يتجدد لها المشاهدة، وتزيد الرغبة في قرب المولى؛ وإنما يستريح العبد ويجد اللذة في النوم؛ لأنه في يد الله، وهو أرحم الراحمين، ويضطرب ويجد الألم في الموت؛ لأنه في يد ملك الموت، وهو أشد الخلائق أجمعين. **﴿فيمسك التي قضى عليها الموت﴾** إمساك شيء تعلق به وحفظه، والقضاء الحكم؛ أي: يمسك أنفس الأموات عنده ولا يردها إلى البدن، وذلك الإمساك إنما هو عالم البرزخ الذي تكون الأرواح فيه بعد المفارقة من النشأة الدنيوية، وهو غير البرزخ بين الأرواح المجردة والأجسام؛ أي: غير عالم المثال الذي كان النوم أو الانسلاخ سبباً للدخول فيه؛ لأن مراتب تنزلات الوجود ومعارجه دورية والمرتبة التي قبل النشأة الدنيوية هي من مراتب التنزلات ولها الأولية والتي بعدها هي من مراتب المعارج، ولها الآخرية، وأيضاً: الصور التي تلحق الأرواح في البرزخ الأخير؛ إنما هي صور الأعمال ونتائج الأفعال السابقة في النشأة الدنيوية بخلاف صور البرزخ الأول، فلا يكون شيء منهما عين الآخرة، لكنهما يشتركان في كونهما عالماً روحانياً وجوهراً نورانياً غير مادي مشتملاً على مثال صور العالم.

﴿ويرسل الأخرى﴾؛ أي: ويرسل أنفس الأحياء، وهي النائمة إلى أبدانها عند اليقظة والنزول من عالم المثال المقيد، ولعالم المثال شبه بالجوهر الجسماني في كونه محسوساً مقدارياً، وبالجوهر العقلي المجرد في كونه نورانياً، فجعل الله عالم المثال وسطاً شبيهاً بكل من الطرفين حتى يتجسد أولاً، ثم يتكاثف. ألا ترى أن حقيقة العلم الذي هو مجرد يتجسد بالصورة التي في عالم المثال. **﴿إلى أجل مسمى﴾**: هو الوقت المضروب لموتها، وهو غاية لجنس الإرسال؛ أي: لا لشخصه حتى يرد لزوم أن لا يقع نوم بعد اليقظة الأولى.

وعن سعيد بن جبير أن أرواح الأحياء وأرواح الأموات تلتقي في المنام، فيتعارف منها ما شاء الله أن يتعارف، فيمسك التي قضى عليها الموت، ويرسل الأخرى إلى أجسادها إلى انقضاء مدة حياتها.

وفي «الأسئلة المقحمة»: يقبض الروح حال النوم، ثم يمسك الروح التي قضى الموت على صاحبها، ووافق نومه أجله. انتهى.

فيكون قوله: فيمسك متفرعاً على قوله: والتي لم تمت، ويؤيده قوله عليه السلام: «إذا أوى أحدكم إلى فراشه فلينفض فراشه بداخلة إزاره، فإنه لا يدري ما خلف عليه، ثم يقول: باسمك ربي وضعت جنبي وبك أرفعه إن أمسكت نفسي، فارحمها وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين».

وفيه إشارة إلى أن المقصود من الحياة هو: الصلاح. وما عداه ينبغي أن يكون وسيلة

إليه. ﴿إن في ذلك﴾؛ أي: فيما ذكر من التوفي على الوجهين والإمساك في أحدهما، والإرسال في الآخر. ﴿لآيات﴾ عجيبة دالة على كمال قدرته وحكمته وشمول رحمته. ﴿لقوم يتفكرون﴾ في كيفية تعلق الأرواح بالأبدان وتوفيها عنها تارة بالكلية كما عند الموت، وإمساكها باقية بعد الموت، لا تفنى بفناء الأبدان، وما يقربها من السعادة والشقاوة. وأخرى عن ظواهرها فقط كما عند النوم وإرسالها حيناً بعد حين إلى انقضاء آجالها وانقطاع أنفاسها.

وفي «الكواشي»: ﴿لقوم يتفكرون﴾، فيستدلون على أن القادر على ذلك قادر على البعث كما قال الكاشفي: [براى كروهى كه تفكر كنند در امراماته كه مشابه نوم است ودر احياكه مما ثلتست به يقظه ودرتورات مذكور است كه اى فرزند آدم جنانجه در خواب ميروى بميرد وجنانجه بيدار ميكردى برانكيخته شوى]:

فالموت باب وكل الناس داخله

وفي الحديث القدسي: «ما ترددت في شيء أنا فاعله كترددي في قبض نفس عبدي المؤمن». لما كان التردد، وهو التحير بين الشيئين لعدم العلم بأن الأصلح أيهما محالاً في حق الله تعالى حمل على منتهاه، وهو التوقف. يعني: ما توقفت فيما أفعله مثل توقفي في قبض نفس المؤمن، فإني أتوقف فيه وأريه ما أعددت له من النعم والكرامات حتى يميل قلبه إلى الموت شوقاً إلى لقائي. ويجوز أن يراد من تردده تعالى إرسال أسباب الهلاك إلى المؤمن من الجوع والمرض وغيرهما. وعدم إهلاكه بها ثم إرسالها مرة أخرى حتى يستطيب الموت ويستحلي لقاءه، كذا في «شرح السنة»: «يكره الموت»، استئناف جواب عمن قال: ما سبب ترددك أراد به شدة الموت؛ لأن الموت نفسه يوصل المؤمن إلى لقاء الله، فكيف يكرهه المؤمن. وفي الحديث: «إن أحدكم لن يرى ربه حتى يموت»:

تانميرد بنده ازهستى تمام أو نبيند حق تعالى والسلام
مرك بيش از مرك امنست اى فتى اين جنين فرمود مارا مصطفى

قال بعضهم: [واز موت كراهت داشتن بنده را سبب آنست كه محجوبست از ادراك لذت وصال وكمال عزتى كه اورا بعد از موت حاصل خواهد شد]. «وأنا أكره مساءته»؛ أي: إيذاءه بما يلحقه من صعوبة الموت وكربه. «ولا بد له منه»؛ أي: للعبد من الموت؛ لأنه مقدر لكل نفس.

قال بعضهم: [واكرجه حق تعالى كراهت داردكه روح جنان بنده قبض كند اماجون وقت آيد ازغايت محبت كه بابنده دارد حجاب جسم كه نقاب رخساره روح است برا ندازد]:

حجاب جهره جان ميشود غبار تنم خوشا دمى كه ازين جهره برده بر فكنم

فعلى العاقل أن يتهيأ للموت بتحصيل حضور القلب وصفاء البال، فإن كثيراً من أرباب الحال والمقال وقعوا في الاضطراب عند الحال. وفي المثنوي:

آن هنر هاى دقيق وقال وقيل قوم فرعونند أجل جون آب نيل
سحر هاى ساحران دان جمله را مرك جوبى دانكه آن شد ازدها
جاد ويهارا همه يك لقمه كرد يك جهان برشت بد آن را اصبح خورد
آتش ابراهيم را دندان نزد جون كزيده حق بود جونش كزد
همجنين باد اجل برعارفان نرم وخوش همجو نسيم يوسفان

﴿أم اتخذوا﴾: نزلت في أهل مكة حيث زعموا أن الأصنام شفعاؤهم عند الله، فقال الله تعالى منكراً عليهم، أم اتخذوا؛ أي: بل اتخذ قريش. فأم منقطعة بمعنى: بل والهمزة. ﴿من دون الله﴾: من دون إذنه تعالى. ﴿شفعاء﴾: تشفع لهم عنده تعالى، وهي الأصنام، جمع: شفيع. والشفع: ضم الشيء إلى مثله، والشفاعة: الانضمام إلى آخر مسائلاً عنه، وأكثر ما يستعمل في انضمام من هو أعلى رتبة إلى من هو أدنى، ومنه الشفاعة يوم القيامة. ﴿قل أولو كانوا لا يملكون شيئاً ولا يعقلون﴾: الهمزة لإنكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه. والواو: للحال عند الجمهور.

والمعنى: قل يا محمد للمشركين أفتتخذون الأصنام شفعاء، ولو كانوا لا يملكون شيئاً من الأشياء، ولا يعقلونه فضلاً عن أن يملكوا الشفاعة عند الله، ويعقلوا أنكم تعبدونهم. يعني: [توقع شفاعت مكنيد از جمادات وحال آنكه ايشان ازقدرت وعلم بى بهره اند].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن اتخاذ الأشياء للعبادة أو للشفاعة بالهوى، والطبع لا بأمر الله، ووفق الشرع يكون ضلالة على ضلالة، وأن المقبول من العبادة والشفاعة، ما يكون بأمر الله ومتابعة نبيه عليه السلام على وفق الشرع، وذلك لأن حجاب العبد هو الهوى والطبع، وإنما أرسل الأنبياء لنفي الهوى، لتكون حركات العباد وسكناتهم بأمر الحق تعالى ومتابعة الأنبياء لا بأمر الهوى، ومتابعة النفس، لأن النفس وهواها ظلمانية، والأمر ومتابعة الأنبياء نورانية، والشهوات ظلمانية. ولكن العبد إذا عبد الله بالهوى والطبع تصير عبادته ظلمانية، فإذا جامع زوجته بالأمر على وفق الشرع تصير شهوته نورانية.

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعًاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٤٤﴾﴾

﴿قل﴾ بعد تبكيتهم وتجهيلهم بما ذكر تحقيقاً للحق. ﴿لله الشفاعة جميعاً﴾ نصب على الحال من الشفاعة؛ أي: هو الله تعالى مالك الشفاعة لا يستطيع أحد شفاعة ما إلا أن يكون المشفوع له مرتضى. والشفيع مأذوناً له، وكلاهما مفقود ها هنا.

قال البقلي: بين أنه تعالى مرجح الكل، الشافع والمشفع فيه حتى يرجع العبد العارف إليه بالكلية، ولا يلتفت إلى أحد سواه، فلا يصل إليه أحد إلا به. قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. ونعم ما قالت رابعة رحمها الله: محبة الله تعالى ما أبقت محبة غيره.

ففيه إشارة إلى أن محبة الرسول عليه السلام مندرجة في محبة الله تعالى، فمن أحب الله حباً حقيقياً، أحب الله أن يأذن لحبيبه في شفاعته، ومن أحب رسول الله من غير محبة الله لم يؤذن له في الشفاعة، ألا ترى أن قوماً أفرطوا في حب عليّ رضي الله عنه، ونسوا محبة الله فنفاهم عليّ بل أحرق بعضهم. ﴿له﴾ تعالى وحده ﴿ملك السماوات والأرض﴾ وما فيهما من المخلوقات لا يملك أحد أن يتكلم في أمر من أموره بدون إذنه ورضاه. وأشار إلى أن الله تعالى هو المالك حقيقة، فإن ما سواه عبد ولا ملك للعبد، ولو ملكه مولاه، وإنما هو عارية عنده، والعارية مردودة إلى مالكها.

﴿ثم إليه ترجعون﴾ يوم القيامة لا إلى أحد سواه لا استقلالاً ولا اشتراكاً، فيفعل يومئذٍ ما يريد.

وفي «الكواشي»: يحصي أعمالكم ثم إلى حسابه ترجعون؛ أي: تردون، فيجازيكم فاحذروا سخطه، واتقوا عذابه، فيا ربح الموحدين يومئذٍ ويا خسارة المشركين. وفي الحديث: «شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي». والمراد: أمة الإجابة، فالكفر أكبر الكبائر وصاحبه مخلد في النار لا شفاعة له.

فإن قلت: الحكم في المكروه أن يستحق مرتكبه حرمان الشفاعة كما ذكر في «التلويح»، فيكون حرمان أهل الكبائر أولى.

قلت: استحقاق حرمانها لا يوجب الحرمان بالفعل. [شيخ علاء الدولة در عروه كويد جميع فرق إسلامية أهل نجاتند ومراد از ناحيه در حديث «ستفترق أمتي على نيف وسبعين فرقة والناجية منها واحدة». ناجية بي شفاعتيست].

واعلم أن افتخار الخلق في الدنيا بعشرة، ولا ينفع ذلك يوم القيامة.

الأول: المال، فلو نفع المال لأحد لنفع قارون. قال الله تعالى: ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ [القصص: ٨١].

والثاني: الولد، فلو نفع الولد لأحد لنفع إبراهيم عليه السلام أباه آزر. قال تعالى: ﴿يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَآ﴾ [هود: ٧٦].

والثالث: الجمال، فلو نفع الجمال لنفع أهل الروم؛ لأن لهم تسعة أعشار الجمال. قال الله تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْيَضُّ وُجُوهٌ وَتَسْوَدُّ وُجُوهٌ﴾ [آل عمران: ١٠٦].

والرابع: الشفاعة، فلو نفعت الشفاعة لنفع الرسول من أحب إيمانه. قال تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦]؛ كأنه قال: أنت شفيعي في الجنايات لا شريكي في الهدايات.

والخامس: الحيلة، فلو نفعت الحيلة لنفع الكفار مكرهم. قال تعالى: ﴿وَمَكْرُ أُو۟لَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾ [فاطر: ١٠].

والسادس: الفصاحة، فلو نفعت الفصاحة لنفعت العرب. قال تعالى: ﴿لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [النبأ: ٣٨].

والسابع: العز، فلو نفع العز لنفع أبا جهل. قال تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩].

والثامن: الأصدقاء، فلو نفع الأصدقاء لنفعوا الفساق. قال الله تعالى: ﴿ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزخرف: ٦٧].

والتاسع: الأتباع، فلو نفع التبع لنفع الرؤساء. قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ ٱلَّذِينَ ٱتُّبِعُوا۟ مِنَ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوا۟﴾ [البقرة: ١٦٦].

والعاشر: الحسب، فلو نفع الحسب لنفع يعقوب اليهود؛ لأنهم أولاد يعقوب. قال تعالى: ﴿لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ ۚ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ٣]. وقال الشيخ سعدي: [خاكسترا كرجه نسب عالى داردكه آتش جوهر علويست وليكن جون بنفس خود هنرى ندارد باخاك برابراست قيمت شكر نه ازنى است كه آن خاصيت ويست]:

جو كنعانرا طبيعت بى هنر بود بيمبر زادكى قدرش نيفزود
هنر بنماى اكر دارى نه كوهر كل ازخارست وابراهيم از آزر

فإذا عرفت هذه الجملة، فارجع إلى الله تعالى من الأسباب الغير النافعة، وذلك بكمال الإيمان والتقوى.

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿وإذا﴾ [وجون وآنكاه كه]. **﴿ذكر الله﴾** حال كونه **﴿وحده﴾**؛ أي: منفرداً دون آلهة المشركين. والعامل في إذا قوله: **﴿اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة﴾** انقبضت ونفرت قلوب الذين لا يصدقون بيوم القيامة. والشمز: نفور النفس مما تكره وتشمز وجهه تقبض. والاشمئزاز: هو أن يمتلىء القلب غيظاً وغماً ينقبض منه أديم الوجه، وهو غاية ما يمكن من الانقباض، ففيه مبالغة في بيان حالهم القبيحة.

﴿وإذا ذكر الذين من دونه﴾؛ أي: من دون الله، يعني: الأوثان فرادى، أو مع ذكر الله. **﴿إذا هم يستبشرون﴾** يفرحون ويظهر في وجوههم البشر، وهو أثر السرور لفرط افتتانهم بها ونسيانهم الحق. والاستبشار: هو أن يمتلىء القلب سروراً حتى تنبسط له بشرة الوجه، وهو نهاية ما يمكن من الانبساط، ففيه مبالغة أيضاً في بيان حالهم القبيحة والعامل في إذا هو العامل في إذا المفاجأة، تقديره: وقت ذكر الذين من دونه فاجاؤوا وقت الاستبشار. والمعنى بالفارسية: [آنكاه ايشان تازه وفرحناك شوند بجهت فراموسى از حق ومشغولي بباطل اما كار مؤمن بر عكس اينست ازياد خداى تعالى شادان وبذكر ما سوى غمكين است]:

نامت شنوم دل از فرح زنده شود قال من از اقبال تو فرخنده شود
از غير توهر جاسخن آيد بميان خاطر بهزاران غم براكنده شود

حكي أن بعض الصلحاء ذكر عند رابعة العدوية الدنيا وذمها، فقالت: من أحب شيئاً أكثر ذكره.

واعلم أن هؤلاء المشركين كأمثال الصبيان فكما أنهم يفرحون بالأفراس الطينية. والأسود الخشبية، وبمذاكرة ما هو لهو ولعب، فكذا أهل الأوثان لكون نظرهم مقصوراً على الصور والأشباح، فكل قلب لا يعرف الله، فإنه لا يأنس بذكر الله، ولا يسكن إليه، ولا يفرح به، فلا يكون مسكن الحق.

أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: يا موسى أتحب أن نسكن معك بيتك فخر لله ساجداً، ثم قال: يا رب وكيف تسكن معي في بيتي، فقال: يا موسى أما علمت أني جليس من ذكرني، وحيث ما التمسني عبدي وجدني. كما في «المقاصد الحسنة»، فعلم أن من ذكر الله، فالله تعالى جليسه ومن ذكر غير الله، فالشيطان جليسه. قال الشيخ:

اكر مرده مسكين زبان داشتى بفرياد وزارى فغان داشتى
كه اى زنده جون هست امكان كفت لب از ذكر جون مرده برهم مخفت
جو مارا بغفلت بشد روزكار توبارى دمى جند فرصت شمار

وفي الحديث: «إذا كان يوم حار، فقال الرجل: لا إله إلا الله ما أشد حر هذا اليوم. اللهم أجرني من حر جهنم. قال الله تعالى لجهنم: إن عبداً من عبيدي استجارني من حرك، فإني أشهدك أني قد أجرته، وإن كان يوم شديد البرد، فقال العبد: لا إله إلا الله ما أشد برد

هذا اليوم، اللهم أجرني من زمهرير جهنم. قال الله تعالى لجهنم: إن عبداً من عبادي استجارني من زمهريرك وإني أشهدك أني قد أجرته». قالوا: وما زمهرير جهنم. قال: «بيت يلقى فيه الكافر فيتميز من شدة برده بعضه من بعض». وفي المثنوي:

در حديث آمدكه مؤمن دردعا جون امان خواهد زدوزح ازخدا
دوزخ ازوى هم امان خواهد زبجان كه خدايا دور دارم از فلان

فعلى العاقل أن لا ينقطع عن الذكر ويستبشر به، فالله تعالى معه معينه.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٤٦﴾﴾

﴿**قل اللهم**﴾: الميم بدل من حرف النداء. والمعنى: قل يا محمد، يا الله ﴿**فاطر السماوات والأرض**﴾ نصب بالنداء؛ أي: يا خالق السماوات والأرض على أسلوب بديع. ﴿**عالم الغيب والشهادة**﴾ يا عالم كل ما غاب عن العباد، وكل ما شهدوه؛ أي: التجىء يا محمد إليه تعالى بالدعاء لما تحيرت في أمر الدعوة، وضجرت من شدة شكيمتهم في المكابرة والعناد، فإنه القادر على الأشياء بجملتها، والعالم بأحوالها برمّتها. ﴿**أنت**﴾ وحدك ﴿**تحكم بين عبادك**﴾؛ أي: بيني وبين قومي، وكذا بين سائر العباد. ﴿**فيما كانوا فيه يختلفون**﴾؛ أي: يختلفون فيه من أمر الدين؛ أي: تحكم حكماً يسلمه كل مكابر، ويخضع له كل معاند، وهو العذاب الدنيوي أو الأخروي. والثاني أنسب بما بعد الآية.

وفيه إشارة إلى اختلاف بين الموحدين والمشركين، فإن الموحدين باشروا الأمور بالشرع على ما اقتضاه الأمر والمشركين بالطبع على ما استدعاه الشهوة والهوى، والله تعالى يحكم بينهم في الدنيا وفي الآخرة. أما في الدنيا، فبالعفو والفضل والكرم، وتوفيق التوبة والإنابة وإصلاح ذات البين. وأما في الآخرة، فبالعدل والنصفة وانتقام بعضهم من بعض. كان الربيع بكسر الباء من المحدثين لا يتكلم إلا فيما يعنيه، فلما قتل الحسين رضي الله عنه. قيل: الآن يتكلم، فقرأ: قل اللهم إلى قوله: يختلفون.

وروي: أنه قال: قتل من كان يجلسه النبي عليه السلام في حجره ويضع فاه على فيه.

وعن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ إذا افتتح صلاته من الليل يقول: «اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السماوات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدني لما اختلف فيه من الحق بأمرك إنك تهدي من شئت إلى صراط مستقيم».

وفي الآية إشارة إلى أن الحاكم الحقيقي هو الله تعالى، وكل حكمه وقضائه عدل محض وحكمة بخلاف حكم غيره تعالى. وفي الحديث: «ليس أحد يحكم بين الناس إلا جيء يوم القيامة مغلولة يداه إلى عنقه فكفه العدل وأسلمه الجور».

وقال في «روضة الأخيار»: كان عمر بن هبيرة أمير العراق وخراسان في أيام مروان بن محمد، فدعا أبا حنيفة إلى القضاء ثلاث مرات فأبى فحلف ليضربنه بالسياط وليسجننه وفعل حتى انتفخ وجه أبي حنيفة ورأسه من الضرب، فقال: الضرب بالسياط في الدنيا أهون عليّ من مقامع الحديد في الآخرة، ونعم ما قال من قال:

بو حنيفة قضا نكرد وبمرد تو بميرى اكر قضا نكنى

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِن سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعاً﴾ حال ما؛ أي: لو أن لهم جميع ما في الدنيا من الأموال والذخائر. **﴿ومثله معه﴾**. [وما نند آن همه مالها بآن]. **﴿لافتدوا به من سوء العذاب يوم القيامة﴾**. يقال: افتدى إذا بذل المال عن نفسه، فإن الفداء حفظ الإنسان من النائبة بما يبذله عنه؛ أي: لجعلوا كل ذلك فدية لأنفسهم من العذاب الشديد لكن لا مال يوم القيامة، ولو كان لا يقبل الافتداء به، وهذا وعيد شديد وإقناط لهم من الخلاص.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن هذه الجملة لا يقبل يوم القيامة لدفع العذاب، واليوم ها هنا تقبل ذرة من الخير ولقمة من الصدقة، وكلمة من التوبة والاستغفار كما أنهم لو تابوا وبكوا في الآخرة بالدماء لا يرحم بكاؤهم وبدمعة واحدة اليوم يمحى كثير من ذنوبهم. وفي المثنوي:

آخر هركريه آخر خنده ايست مرد آخر بين مبارك بنده ايست
اشك كان ازبهر أو بارند خلق كوهراست واشك بندار ند خلق

ألا ترى إلى دموع آدم وحواء عليهما السلام، حيث صارت جواهر في الدنيا، فكيف في العقبى.

﴿وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون﴾. يقال: بدا الشيء بدوّاً وبداء؛ أي: ظهر ظهوراً بيناً. والاحتساب: الاعتداد بالشيء من جهة دخوله فيما يحسبه؛ أي: ظهر لهم يوم القيامة من فنون العقوبات ما لم يكن في حسابهم في الدنيا وفي ظنهم أنه نازل بهم يومئذٍ.

قال الكاشفي: [بنداشت ايشان آن بودكه بوسيله شفاعت بتان رتبة قرب يابند]. **﴿وبدا لهم سيئات ما كسبوا﴾** سيئات أعمالهم أو كسبهم حين تعرض عليهم صحائفهم. **﴿وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون﴾**؛ أي: نزل وأصاب وأحاط بهم وبال استهزائهم، وجزاء مكرهم، وكانوا يستهزئون بالكتاب والمسلمين والبعث والعذاب ونحو ذلك.

وهذه الآية؛ أي: قوله: **﴿وبدا لهم من الله﴾** إلخ. غاية في الوعيد لا غاية وراءها، ونظيره في الوعد قوله تعالى: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧].

وفي «التأويلات النجمية»: وفي سماع هذه الآية حسرة لأصحاب الانتباه. وفي بعض الأخبار: أن قوماً من المسلمين من أصحاب الذنوب يؤمر بهم إلى النار، فإذا وافوها يقول لهم مالك من أنتم؟ فإن الذين جاؤوا قبلكم من أهل النار وجوههم مسودة وعيونهم زرق وإنكم لستم بتلك الصفة، فيقولون: نحن لم نتوقع أن نلقاك، وإنما انتظرنا شيئاً آخر. قال الله تعالى: **﴿وبدا لهم من الله﴾** إلى **﴿يستهزئون﴾**.

وقال أبو الليث: يعملون أعمالاً يظنون أن لهم ثواباً فيها، فلم تنفعهم مع شركهم، فظهرت لهم العقوبة مكان الثواب.

وفي «كشف الأسرار»: [از حضرت رسالت عليه السلام تفسير آيت. **﴿وبدا لهم من الله﴾** إلخ برسيدند فر مود]. هي الأعمال حسبوها حسنات فوجدوها في كفة السيئات.

وقال بعضهم: ظاهر الآية يتعلق بأهل الرياء والسمعة افتضحوا يوم القيامة عند المخلصين.

وعن سفيان الثوري رحمه الله أنه قرأها، فقال: ويل لأهل الرياء ثلاثاً:

بنداشت مرايى كه عملهاى نكوست مغزى كه بود خلاصه كاز زدوست

جون برده زروى كار برداشته كشت بر خلق عيان شدكه نبود الابوست

[يكى ازمشايخ يعنى محمد بن المنكدر بوقت حلول أجل جزع ميكرد برسيدند كه سبب جيست فرمود كه مى ترسم جيزى ظاهر كردد كه من آنرا در حساب نمى داشتم].

قال سهل: أثبتوا لأنفسهم أعمالاً فاعتمدوا عليها، فلما بلغوا إلى المشهد الأعلى رأوها هباء منثوراً، فمن اعتمد على الفضل نجا، ومن اعتمد على أفعاله بدا له منها الهلاك.

وفي «عرائس البقلي» رحمه الله: هذه الآية خير من الله للذين فرحوا بما وجدوا في البدايات مما يغترّ به المغترون، وقاموا به وظنوا أن لا مقام فوق مقامهم، فلما رأوا بخلاف ظنونهم ما لأهل معارفه وأحبابه وعشاقه من درجات المعرفة وحقائق التوحيد ولطائف المكاشفات وغرائب المشاهدات ماتوا حسرة.

فانظر إلى هذه المعاني الشريفة في هذا المقام، فإن كلاً منها يحتمله الكلام، بل وأزيد منها على ما لا يخفى عى ذوي الأفهام، واجتهد في أن يبدو لك من الثواب ما لم يكن يخطر ببالك أن تكون مثاباً به، وذلك بالإخلاص والفناء التام حتى يكون الله عندك عوضاً عن كل شيء.

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٥٠﴾ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾﴾.

﴿فإذا مس الإنسان ضر دعانا﴾ إخبار عن الجنس بما يفعله غالب أفراده. والفاء: لترتيب ما بعدها على ما قبلها؛ أي: أن المشركين ليشمئزون عن ذكر الله وحده، ويستبشرون بذكر الآلهة، فإذا مسهم ضر؛ أي: أصابهم سوء حال من مرض وفقر ونحوهما دعوا لدفعه من اشمأزوا عن ذكره، وهو الله تعالى لمناقضتهم وتعكيسهم في التسبب حيث جعلوا الكفر سبباً في الالتجاء إلى الله بأن أقاموه مقام الإيمان مع أن الواجب أن يجعل الإيمان سبباً فيه.

﴿ثم إذا خولناه نعمة منا﴾ أعطيناه إياها تفضلاً، فإن التخويل مختص بما كان بطريق التفضل لا يطلق على ما أعطي بطريق الجزاء. **﴿قال إنما أوتيته على علم﴾**؛ أي: على علم مني بوجوه كسبه. يعني: [وجوه كسب وتحصيل آنرا دانستم وبكياست وكفايت من حاصل شد]. أو بأني سأعطاه لما لي من الفضل والاستحقاق، أو على علم من الله باستحقاقي. يعني: [خدا دانست كه من مستحق اين نعمتم]. والهاء: لما أن جعلت موصولة بمعنى أن الذي أوتيته، وللنعمة إن جاءت كافة، والتذكير لما أن المراد شيء من النعمة وقسم منها، ثم قال تعالى: رداً لما قاله: **﴿بل﴾** [نه جنين است ميكويد]. **﴿هي﴾**؛ أي: النعمة، ويجوز أن يكون تأنيث الضمير باعتبار الخبر، وهو قوله: **﴿فتنة﴾** للإنسان؛ أي: محنة وابتلاء له أيشكر أم

يكفر تقول: فتنت الذهب إذا أدخلته النار لتنظر ما جودته وتختبره. ﴿**ولكن أكثرهم**﴾؛ أي: أكثر الناس. ﴿**لا يعلمون**﴾ أن التخويل استدراج وامتحان.

﴿**قد قالها**﴾؛ أي: تلك الكلمة، أو الجملة، وهي قوله: ﴿**إنما أوتيته على علم**﴾. ﴿**الذين من قبلهم**﴾. وهم قارون وقومه حيث قال: إنما أوتيته على علم عندي، وهم راضون به يعني لما رضي قومه بمقالته جمعوا معه.

وقال بعضهم: يجوز أن يكون جميع من تقدمنا من الخيار والشرار، فيجوز أن يوجد في الأمم المتقدمة من يقول تلك الكلمة غير قارون أيضاً، ممن أبطرته النعمة واغتر بظاهرها. ﴿**فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون**﴾ من متاع الدنيا، ويجمعون منه يعني: أن النعمة لم تدفع عنهم النقمة والعذاب، ولم ينفعهم ذلك، يقال: أغنى عنه. كذا إذا كفاه كما في «المفردات».

﴿**فأصابهم**﴾ [بس رسيد ايشانرا]. ﴿**سيئات ما كسبوا**﴾ جزاء سيئات أعمالهم وأجزية ما كسبوا وتسميتها سيئات؛ لأنها في مقابلة سيئاتهم وجزاء سيئة سيئة مثلها.

ففيه رمز إلى أن جميع أعمالهم من قبيل السيئات. والمعنى: أنهم ظنوا أن ما آتيناهم لكرامتهم علينا، ولم يكن كذلك؛ لأنهم وقعوا في العذاب ولم تنفعهم أموالهم، وهذا كما قال اليهود: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨]. فقال تعالى خطاباً لحبيبه عليه السلام: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم﴾ [المائدة: ١٨]. يعني: أن المكرم المقرب عند الله لا يعذبه الله، وإنما يعذب الخائن المهين المهان. ثم أوعد كفار مكة، فقال: ﴿**والذين ظلموا من هؤلاء**﴾ المشركين المعاصرين لك يا محمد، ومن للبيان أو للتبعيض؛ أي: أفرطوا في الظلم والعتوّ. ﴿**سيصيبهم سيئات ما كسبوا**﴾ من الكفر والمعاصي كما أصاب أولئك والسين للتأكيد وقد أصابهم؛ أي: أصابهم حيث قحطوا سبع سنين وقتل أكابرهم يوم بدر. ﴿**وما هم بمعجزين**﴾ الله تعالى عن تخلي ذاتهم بحسب أعمالهم وأخلاقهم.

وقال الكاشفي: [عاجز كنند كان مارا از تعذيب يا بيشي كيرند كان برعذاب]. يعني: يدركهم العذاب ولا ينجون منه بالهرب.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿**أولم يعلموا**﴾. أقالوا ذلك، ولم يعلموا أو أغفلوا، ولم يعلموا. ﴿**أن الله يبسط الرزق لمن يشاء**﴾ أن يبسط له؛ أي: يوسعه، فإن بسط الشيء نشره وتوسيعه. يعني: [نه براى رفعت قدر او بلكه بمحض مشيت]. ﴿**ويقدر**﴾ لمن يشاء أن يقدره له؛ أي: يقتر ويضيق له من غير أن يكون لأحد مدخل ما في ذلك، حيث حبس عنهم الرزق سبعاً ثم بسط لهم سبعاً.

وقال الكاشفي: [وننك ميكند برهركه ميخواهد نه براى خوارى وبى مقدارى أو بلكه از روى حكمت].

روي: أنهم أكلوا في سني القحط الجيف والجلود والعظام والعلهز، وهو الوبر بأن يخلط الدم بأوبار الإبل ويشوى على النار، وصار الواحد منهم يرى ما بينه وبين السماء، كالدخان من الجوع، فلم ينفعهم ذلك، حيث أصروا على الكفر والعناد. ﴿**إن في ذلك**﴾ الذي ذكر من القبض والبسط. ﴿**لآيات**﴾ دالة على أن الحوادث كافة من الله تعالى بوسط عادي أو غيره. ﴿**لقوم يؤمنون**﴾ إذ هم المستدلون بتلك الآيات على مدلولاتها.

وفي الآيات فوائد:

منها: إن من خصوصية نفس الإنسان أن تضطرّ إلى الله تعالى بالدعاء والتضرع في الشدة والضر والبلاء، فلا عبرة بهذا الرجوع بالاضطرار إلى الله تعالى؛ لأنه إذا أنعم الله عليه بالخلاص والعافية من تلك الشدة والبلاء أعرض عن الله، ويكفر بالنعمة، ويقول: إن ما أوتيته على علم عندي، وإنما العبرة بالرجوع إلى الله والتعرف إليه في الرخاء كما قال عليه السلام: «تعرف إلى الله في الرخاء يعرفك في الشدة».

ومنها: أن المدعين يقولون: نحن أهل الله، فإذا وصل إليهم بلاؤه فزعوا إليه ليرفع عنهم البلاء طلباً لراحة أنفسهم، ولا يرون المبلى في البلاء، وهم مشركون في طريق المعرفة، فإذا وصل إليهم نعمة ظاهرة احتجبوا بها، فإذا هم أهل الحجاب من كلا الطرفين احتجبوا بالبلاء عن المبلى وبالنعمة عن المنعم.

قال الجنيد رضي الله عنه: من يرى البلاء ضراً، فليس بعارف، فإن العارف من يرى الضر على نفسه رحمة والضر على الحقيقة ما يصيب القلوب من القسوة والرين والنعمة إقبال القلوب على الله تعالى، ومن رأى النعمة على نفسه من حيث الاستحقاق فقد جحد النعمة.

ومنها: إن أكثر أهل النعمة لا يعلمون فتنة النعمة وسوء عاقبتها وببطر النعمة والاغترار بها تقسو قلوبهم، وتستولي عليهم الغفلة، وتطمئن نفوسهم بها وتنسى الآخرة والمولى.

ومنها: إن نعمة الدنيا والآخرة وسعادتهما، وكذا نقمتهما وشقاوتهما مبنية على مشيئة الله تعالى لا على مشيئة العباد، فالأوجب للمؤمنين أن يخرجوا عن مشيئتهم ويستسلموا لمشيئة الله وحكمه وقضائه:

كليد قدر نيست دردست كس ... توانای مطلق خدایست وبس

قال بعضهم:

هرجه بايد بهر كه ميشايد ... تودهی آنجنا نكه می بايد
توشناسی صلاح كار همه ... كه تويی آفريد كار همه

ومنها: أن ضيق حال اللبيب وسعة حال الأبله دليل على الرزاق وتقديره.

ويرد بهذه الآية على من يرى الغنى من الكيس والفقر من العجز أوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام: أتدري لم رزقت الأحمق قال: يا رب لا، قال: ليعلم العاقل أن طلب الرزق ليس بالاحتيال، فالكل بيد الله ألا إلى الله تصير الأمور، وبه ظهر فساد قول ابن الراوندي:

كم عاقل عاقل أعيت مذاهبه ... وجاهل جاهل تلقاه مرزوقا
هذا الذي ترك الأوهام حائرة ... وصير العالم النحرير زنديقا

أي: كافراً نافياً للصانع العدل الحكيم قائلاً: لو كان له الوجود لما كان الأمر كذلك، ولقد أحسن من قال:

كم من أديب فهم عقله ... مستكمل العقل مقل عديم
ومن جهول مكثر ماله ... ذلك تقدير العزيز العليم

يعني: أن من نظر إلى التقدير علم أن الأمور الجارية على أهل العالم كلها على وفق الحكمة، وعلى مقتضى المصلحة. ففيه إرشاد إلى إثبات الصانع الحكيم لا إلى نفي وجوده.

﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًاۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾.

قال الراغب: السرف تجاوز الحدّ في كل ما يفعله الإنسان، وإن كان ذلك في الإنفاق أشهر، وقوله تعالى: **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾**. يتناول الإسراف في الأموال، وفي غيرها. انتهى.

وتعدية الإسراف بعلى لتضمين معنى الجناية، والمعنى: أفرطوا في الجناية عليها بالإسراف في المعاصي وارتكاب الكبائر والفواحش.

قال البيضاوي ومن تبعه: إضافة العباد تخصصه بالمؤمن على ما هو عرف القرآن.

يقول الفقير: قوله تعالى: ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُوْلِي بَأْسٍ شَدِيدٍ﴾ [الإسراء: ٥]. ينادي على خلافه؛ لأن العباد، فسر ها هنا ببخت نصر وقومه، وكانوا كفاراً بالاتفاق إلا أن يدعي الفرق بين الإضافة بالواسطة وبغيرها.

وقال في «الوسيط»: المفسرون كلهم. قالوا: إن هذه الآية نزلت في قوم خافوا إن أسلموا أن لا يغفر لهم ما جنوا من الذنوب العظام كالشرك وقتل النفس والزنا، ومعاداة النبي عليه السلام، والقتال معه، فأنزل الله هذه الآية، وفرح النبي عليه السلام بهذه الآية، ورآها أصحابه من أوسع الآيات في مغفرة الذنوب، انتهى.

وقال في «التكملة» روي: أن وحشياً قاتل حمزة رضي الله عنه كتب إلى النبي عليه السلام يسأله: هل له من توبة؟ وكتب أنه كان قد سمع فيما أنزل الله بمكة من القرآن آيتين أيأستاه من كل خير، وهما قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ إلى قوله: ﴿مُهَانًا ﴿٦٩﴾﴾ [الفرقان: ٦٨، ٦٩] فنزلت ﴿إِلَّا مَن تَابَ﴾ [مريم: ٦٠] إلخ، فكتب بها رسول الله عليه السلام، فخاف وحشي. وقال لعلي لا أبقى حتى أعمل صالحاً، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ﴾ [النساء: ٤٨] الخ. فقال وحشي: إني أخاف أن لا أكون من مشيئة الله، فأنزل الله تعالى: **﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾** إلخ، فأقبل وحشي وأسلم. انتهى.

وعلى كل تقدير فخصوص السبب لا ينافي عموم اللفظ، فدخل فيه كل مسرف. **﴿لا تقنطوا من رحمة الله﴾**. القنوط: أعظم اليأس.

وفي «المفردات»: اليأس من الخير. وبالفارسية: [نوميدشدن از خير]. والرحمة من الله تعالى الإنعام والإعطاء والتفضل. وبالفارسية: [بخشايش]، وهو لا يكون في الترتيب الوجودي إلا بعد المغفرة التي هي أن يصون الله عبده من أن يمسه العذاب دل عليه قوله: **﴿إنه هو الغفور الرحيم﴾**. ولذا قالوا في المعنى: لا تيأسوا من مغفرته أولاً وتفضله ثانياً:

نوميد مشوكه نا اميدى كفراست

[در معالم التنزيل آورده كه ابن مسعود رضي الله عنه در مسجد در آمد ديد كه واعظى ذكر آتش دوزخ وسلاسل وأغلال ميكند فرمود كه اى مذكر جرا نوميد مى كردانى مردمانرا مكر نخواندى آنرا كه ميفرمايد]. **﴿قل يا عبادي الذين﴾** الخ.

واعلم أن القنوط من رحمة الله علامة زوال الاستعداد، والسقوط عن الفطرة بانقطاع الوصلة بين الحق والعبد إذ لو بقي شيء في العبد من نوره الأصلي لأدرك أثر رحمته الواسعة السابقة على غضبه، فرجاء وصول ذلك الأثر إليه لاتصاله بعالم النور بتلك البقية، وإن أسرف وفرط في جنب الله. وأما اليأس، فدليل الاحتجاب الكلي واسوداد الوجه، فالله تعالى يغفر الذنوب جميعاً بشرط بقاء نور التوحيد في القلب، فإذا لم يبق دخل في قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ﴾ [النساء: ٤٨]. فالقنوط: من أعظم المصائب. وقد أمهل تعالى عباده تفضلاً منه إلى وقت الغرغرة، فلو رجع العبد إلى الله قبل آخر نفس يتنفسه قبل. ﴿**إن الله يغفر الذنوب**﴾ حال كونها ﴿**جميعاً**﴾؛ كأنه قيل: ما سبب النهي عن القنوط من الرحمة فأجيب بأن سبب النهي هو ﴿**إن الله يغفر الذنوب جميعاً**﴾ عفواً لمن يشاء، ولو بعد حين بتعذيب في الجملة وبغيره حسبما يشاء، فهو وعد بغفران الذنوب، وإن كثرت، وكانت صغائر، أو كبائر بعدد الرمال والأوراق والنجوم ونحوها.

والعموم بمعنى الخصوص؛ لأن الشرك ليس بداخل في الآية إجماعاً، وهي أيضاً في العاصي مقيدة بالمشيئة؛ لأن المطلق محمول على المقيد وسيجيء بقية الكلام على الآية. قال عليه السلام: «إن الله يغفر الذنوب جميعاً ولا يبالي إنه هو الغفور الرحيم». وقال عليه السلام: «إن تغفر اللهم، فاغفر جماً، وأي عبد لك لا ألما». يعني: [جون آمر زى خداوندا همه بيامرز وآن كدام بنده است كه او كناه نكرده است].

والفرق بين العفو والمغفرة هو أن حقيقة العفو هو المحو كما أشير إليه بقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾ [هود: ١١٤]. والتبديل الذي أشير إليه بقوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖۗ﴾ [الفرقان: ٧٠] هو من مقام المغفرة قاله الشيخ الكبير رضي الله عنه في «شرح الأربعين» حديثاً ثم قال في مقام التعليل. ﴿**إنه**﴾ تعالى ﴿**هو**﴾ وحده ﴿**الغفور الرحيم**﴾. الأول: إشارة إلى محو ما يوجب العقاب. والثاني: إلى التفضل بالثواب وصيغة المبالغة راجعة إلى كثرة الذنوب، وكثرة المغفور والمرحوم.

قال الأستاذ القشيري قدس سره: التسمية بيا عبادي مدح. والوصف بأنهم أسرفوا ذم، فلما قال: يا عبادي طمع المطيعون أن يكونوا هم المقصودين بالآية، فرفعوا رؤوسهم ونكس العاصي رأسه وقال: من أنا، حتى يقول لي هذا، فقال الله تعالى: ﴿**الذين أسرفوا على أنفسهم**﴾، فانقلب الحال، فهؤلاء الذين نكسوا رؤوسهم انتعشوا وزالت زلتهم، والذين رفعوا رؤوسهم أطرقوا وزالت صولتهم، ثم قوي رجاؤهم بقوله على أنفسهم. يعني: إن أسرفت لا تقنط من رحمة الله، بعدما قطعت اختلافك إلى بابنا، فلا ترفع قلبك عناء، والألف واللام في الذنوب للاستغراق، والعموم جميعاً تأكيد له؛ فكأنه قال: أغفر ولا أترك وأعفو ولا أبقي، فإن كانت لكم جناية كثيرة عميمة، فلي بشأنكم عناية قديمة.

وفي «كشف الأسرار»: [بدانكه از آفريد كان حق تعالى كمال كرامت دوكروه راست يكى فرشتكان وديكر آدميان «ولهذا جعل الأنبياء والرسل منهم دون غيرهم» وغايت شرف إنساني دردو جيزاست در عبوديت ودرمحبت عبوديت محض صفت فرشتكانست وعبوديت ومحبت هر دوصفت آدميان است فرشتكانرا عبوديت محض دادكه صفت خلق است وآدميانرا بعد از عبوديت خلعت محبت داد كه صفت حق است تا از بهر اين امت ميكويد ﴿يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾

[المائدة: ٥٤] ودر عبوديت نيز آدميانرا فضل داد برفر شتكانكه عبوديت فرشتكان بى اضافت كفت ﴿بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٦] وعبوديت آدميان باضافت كفت ﴿يا عبادي﴾ آنكه بر مقتضاى محبت فضل خود برايشان تمام كرد وعيبها ومعصيتهاى ايشان بأنوار محبت بيوشيد وبرده ايشان ندريد نه بينى كه زلت برايشان قضا كرد وبآن همه زلات نام عبوديت از ايشان نيفكند وباذ كرزلت ومعصيت تشريف اضافت از ايشان باز نستد كفت ﴿قل يا عبادي الذين أسرفوا على أنفسهم﴾ وآنكه برده ايشان نكاه داشت كه عين كناهان اظهار نكرد بلكه مجمل ياد كرد سربسته وعين آن بوشيده كفت ﴿أسرفوا﴾ إسراف كردند كزاف كردند از بهر آنكه درارادت وى مغفرت ايشان بودنه برده دريد نه اسم عبوديت بيفكد «سبحانه ما أرأفه بعباده» موسى عليه السلام كفت «إلٰهي تريد المعصية من العباد وتبغضها» كفت «يا موسى ذاك تأسيس لعفوي» يعني: معصيت بندكان بارادت تست آنكه آنرا دشمن ميدارى وبنده را بمعصيت دشمن ميكيرى حق جل جلاله كفت آن بنياد عفو وكرم خويش است كه مى نهم خزينه رحمت ما براست اكر عاصيان نباشند ضايع ماند].

قال الكاشفي: [بيمارستان جرم وعصيا نرا شربت راحت جز درين دار الشفا حاصل نشود وسر كردانان بيابان نفس وهوارا زاد طريق نجات جز بمدد آن آيت ميسر نكردد]:

ندارم هيج كونه توشه راه — بجز لا تقنطوا من رحمة الله
تو فر مودى كه نوميدى مياريد — زمن لطف وعنايت جشم داريد
بدين معنى بسى اميد واريم — ببخشا زانكه بس اميد داريم
اميد دردمندانرا دوا كن — دل اميد وارنرا روا كن

وقال المولى الجامي قدس سره:

بلى نبود درين ره نا اميدى — سياهى را بود رو در سفيدى
زصد دردى كراميدت نيابد — بنو ميدى جكر خوردن نشايد
درديكر ببايد زدكه نا كاه — ازان در سوى مقصود آورى راه

قال عليه السلام: «ما أحب أن تكون لي الدنيا وما فيها بها»؛ أي: ما أحب أن أملك الدنيا وما فيها، بدل هذه الآية، فالباء في بها للبدلية والمقابلة. وبالفارسية: [دوست نمى دارم كه دنيا وما فيها مرا باشد بعوض اين آيت جه اين آيت ازدنيا وهرجه دردنيا باشد بهتر است].

وذلك لأن الله تعالى منّ على من أسرف من عباده، ووعد لهم مغفرة ذنوبهم جميعاً ونهاهم أن يقنطوا من رحمته الواسعة.

واعلم أن الآية لا تدل على غفران جميع الذنوب لجميع الناس، بل على غفران جميع ذنوب من شاء الله غفران ذنوبه، فلا تنافي الأمر بالتوبة وسبق تعذيب العصاة، والأمر بالإخلاص في العمل والوعيد بالعذاب، فالله تعالى لا يغفر الشرك إلا بالتوبة والرجوع عنه، ويغفر ما دون ذلك من الصغائر والكبائر بالتوبة وبدونها لمن يشاء لا لكل أحد من أهل الذنوب.

روي: أن ابن مسعود رضي الله عنه. قرأ هذه الآية إن الله يغفر الذنوب جميعاً لمن يشاء، فحمل المطلق على المقيد، وذلك لأنه لا يجري في ملكه إلا ما يشاء.

يقول الفقير: إن أهل السنة لم يشترطوا التوبة في غفران الذنوب مطلقاً؛ أي: سواء كانت

صغائر أو كبائر سوى الشرك ودل عليه آثار كثيرة.

روي: أن الله تعالى يقول يوم القيامة لبعض عصاة المؤمنين: سترتها عليك في الدنيا؛ أي: الذنوب وأنا أغفرها لك اليوم، فهذا وأمثاله يدل على المغفرة بلا توبة.

والفرق بين الشرك وسائر المعصية هو أن الكافر لا يطلب العفو والمغفرة لمعاصيه. وقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ﴾ [النساء: ١٧]. إنما هو بالنسبة إلى حال الغرغرة، فالشرك وسائر المعاصي لا يغفر في تلك الحال، وإن وجدت التوبة. وهذا لا ينافي المغفرة بدون التوبة بالنسبة إلى المعاصي سوى الشرك، فإن مغفرته مخالفة للحكمة.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «جعل الله الرحمة مائة جزء فأمسك عنده تسعة وتسعين وأنزل في الأرض جزءاً واحداً، فمن ذلك الجزء يتراحم الخلائق حتى ترفع الدابة حافرها عن ولدها، وهو يمص أن تصيبه»، فهذا مما يدل على كمال الرجاء والبشارة للمسلمين؛ لأنه حصل في هذه الدار من رحمة واحدة ما حصل من النعم الظاهرة والباطنة، فما ظنك بمائة رحمة في الدار الآخرة.

قال يحيى بن معاذ رحمه الله: في كتاب الله كنوز موجبة للعفو عن جميع المؤمنين. منها: قوله تعالى: **﴿قل يا عبادي﴾** إلخ.

ولذا قال العلماء: أرجى آية في القرآن لأهل التوحيد هذه الآية. وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]. وقوله: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ۝٥﴾ [الضحى: ٥]، وذلك أن كل نبي مرسل مظهر لبعض أحكام الرحمة، ولذا كانت رسالته مقيدة ومقصورة على طائفة مخصوصة، ولما كان نبينا عليه السلام مظهر حقيقة الرحمة كانت بعثته عامة. وقيل فيه: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وتم ظهور حكم رحمانيته بالشفاعة التي بها تظهر سيادته على جميع الناس حتى أن من يكون له درجة الشفاعة من الملائكة والأنبياء والمؤمنين لايشفعون إلا بعده، فلا تقنطوا أيتها الأمة المرحومة من رحمة الله المطلقة، إن الله يغفر الذنوب جميعاً بشفاعة من هو مظهر تلك الرحمة. قال الجامي:

زمهجورى بر آمد جان عالم ترحم يا نبي الله ترحم
اكرجه غرق دريای كناهم فتاده خشك لب برخاك راهيم
تواپر رحمتى آن به كه كناهى كنى درحال لب خشكان نكاهى

﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ۝٥٤ وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحْسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ بَغْتَةً وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ ۝٥٥﴾.

﴿وأنيبوا﴾ يا عبادي **﴿إلى ربكم﴾**؛ أي: ارجعوا إلى ربكم بالتوبة من المعاصي. **﴿وأسلموا له﴾**؛ أي: أخلصوا العمل لوجهه، فإن السالم بمعنى الخالص. **﴿من قبل أن يأتيكم العذاب﴾** في الدنيا والآخرة. **﴿ثم لا تنصرون﴾** لا تمنعون من عذاب الله إن لم تتوبوا قبل نزوله.

يعني: [هيجكس دردفع عذاب شما نصرت ندهد].

والظاهر من آخر الآية أن الخطاب للكفار، فالمعنى: فارجعوا أيها الناس من الشرك إلى الإيمان وأخلصوا له تعالى التوحيد.

قال سيد الطائفة الجنيد قدس سره: انقطعوا عن الكل بالكلية، فما يرجع إلينا بالحقيقة أحد وللغير عليه أثر، وللأكوان على سره خطر، ومن كان لنا حراً مما سوانا.

وفي «الأسئلة المقحمة»: الفرق بين التوبة والإنابة أن التائب يرجع إلى الله خوفاً من العقوبة والمنيب يرجع حياء منه وشوقاً إليه.

قال إبراهيم بن أدهم قدس سره: إذا صدق العبد في توبته صار منيباً؛ لأن الإنابة ثاني درجة التوبة.

وفي «التأويلات النجمية»: التوبة لأهل البداية، وهي الرجوع من المعصية إلى الطاعة، ومن الأوبة للمتوسط، وهي الرجوع من الدنيا إلى الآخرة. ومن الإنابة لأهل النهاية، وهي الرجوع مما سوى الله إلى الله بالفناء في الله.

قال في «كشف الأسرار». [انابت برسه قسم است. يكى انابت بيغمبران كه نشانش سه جيزاست بيم داشتن با بشارت آزادى وخدمت كردن باشرف بيغمبرى وباز بلاكشيدن باد لهاى برشادى وجز از بيغمبران كس را طاقت اين انابت نيست. دوم انابت عارفا نست كه نشانش سه جيزاست از معصيت بدر بودن واز طاعت خجل بودن ودرخلوت باحق انس داشتن رابعة عدوية درحالت انس بجايى رسيدكه ميكفت «حسبي من الدنيا ذكرك ومن الآخرة رؤيتك» عزيزى كفت از سرحالت آتش خويش وديكرا نرا بندمى داد]:

اكر در قصر مشتاقان ترا يك روز بارستى ترابا اند هان عشق اين جاد وجه كارستى
وكر رنكى زكلزار حديث أوبديدى تو بجشم توهمه كلها كه درباغست خارستى

[سوم انابت توحيداست كه دشمنانرا وبيكا نكانرا با آن خواند كفت **﴿وأنيبوا إلى ربكم وأسلموا له﴾** ونشان اين انابت آنست كه باقرار زبان وإخلاص دل خدايرا يكى داند ودر ذات بى شيبه ودر قدر بى نظير ودر صفات بيهمتا. كفته اند توحيد دوبابست توحيد اقراركه عامة مؤمنا نراست بظاهر آيد تازبان ازو خبر دهد واهل اين توحيدرا دنيا منزل وبهشت مطلوب ودوم توحيد معرفت كه عارفان وصديقا نراست بجان آيد تاوقت وحال ازو خبر دهد واهل اين توحيدرا بهشت منزل ومولى مقصود]:

وأسكر القوم دور كأس وكان سكرى من المدير

[آن كس راكه كاربا كل افتد كل بويد وآنكس كه كارش باباغبان افتد بوسه برخار زند جنانكه جوانمرد كفت].

از براى آنكه كل شاكر درنك روى اوست كر هزارت بوسه شد بر شريك خارزن

﴿واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم﴾؛ أي: القرآن كقوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، أو العزائم دون الرخص.

قال البيضاوي ومن تبعه: ولعله ما هو أنجى وأسلم، كالإنابة والمواظبة على الطاعة.

وقال الحسن: الزموا طاعته واجتنبوا معصيته، فإن الذي أنزل عليكم من ثلاثة أوجه: ذكر القبيح لتجتنبوه، وذكر الأحسن لتؤثروه، وذكر الأوسط لئلا يكون عليكم جناح في الإقبال عليه، أو الإعراض عنه، وهو المباحات.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن ما أنزل الله منه ما يكون حسناً، وهو ما يدعو به إلى الله. قال الله تعالى: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤٦]. ﴿من قبل أن يأتيكم العذاب﴾؛ أي: البلاء والعقوبة. ﴿بغتة﴾. [ناكهان].

قال الراغب: البغتة مفاجأة الشيء من حيث لا يحتسب، ويجوز أن يكون المراد بالعذاب الآتي بغتة هو الموت؛ لأنه مفتاح العذاب الأخروي، وطريقه ومتصل به. ﴿وأنتم﴾ لغفلتكم. ﴿لا تشعرون﴾ لا تدركون بالحواس مجيئه لتتداركوا وتتأهبوا. وبالفارسية: [وشما نمى دانيد آمدن اورا تادر مقام تدارك وتأهب آييد].

﴿أَن تَقُولَ نَفْسٌ يَٰحَسْرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿أن تقول نفس﴾. مفعول له للأفعال السابقة التي هي الإنابة والإخلاص، واتباع القرآن والتنكير؛ لأن القائل بعض الأنفس، أو للتكثير والتعميم ليشيع في كل النفوس. والمعنى: افعلوا ما ذكر من المأمورات، يعني: أمرتكم به كراهة أن تقول كل نفس. وبالفارسية: [ومباداكه هركس كويا فردا ازشما]. ﴿يا حسرتا﴾ بالألف بدلاً من ياء الإضافة إذ أصله: يا حسرتي. تقول العرب: يا حسرتي، يا لهفي، ويا حسرتا، ويا لهفا، ويا حسرتاي، ويا لهفاي بالجمع بين العوضين. تقول هذه الكلمة في نداء الاستغاثة كما في «كشف الأسرار».

والحسرة: الغم على ما فاته والندم عليه؛ كأنه انحسر الجهل عنه الذي حمله على ما ارتكبه.

وقال بعضهم: الحسرة أن تأسف النفس أسفاً تبقى منه حسيراً؛ أي: منقطعة. والمعنى: يا حسرتي وندامتي احضري، فهذا أوان حضورك. وبالفارسية: [اى بشيمانى من]. ﴿على ما فرطت﴾؛ أي: على تفريطي وتقصيري، فما مصدرية.

قال الراغب: الإفراط أن يسرف في التقدم. والتفريط أن يقصر فإن الفرط المتقدم. ﴿في جنب الله﴾ في جانبه، وهو طاعته وإقامة حقه وسلوك طريقه.

قال في «كشف الأسرار» العرب تسمي الجانب جنباً. [اين كلمه برزبان عرب بسيار بود وجنانست كه مردمان كويند در جنب فلان توانكر شدم از بهلوى فلان مال بدست آوردم].

وقال الراغب: أصل الجنب الجارحة جمعه جنوب، ثم استعير في الناحية التي تليها كاستعارة سائر الجوارح لذلك نحو اليمين والشمال. وقيل: جنب الحائط وجانبه. وقوله: في جنب الله؛ أي: في أمره وحده الذي حده لنا. انتهى.

﴿وإن كنت لمن الساخرين﴾: إن هي المخففة واللام هي الفارقة. والسخر: الاستهزاء، ومحل الجملة النصب على الحال. والمعنى فرطت، والحال: أني كنت في الدنيا من المستهزئين بدين الله وأهله.

قال قتادة: لم يكفهم ما ضيعوا من طاعة الله حتى سخروا بأهل طاعته. در سلسلة الذهب فرمود:

روز آخر كه مرك مردم خوار ... كند از خواب غفلتش بيدار
يادش آيدكه در جوار خداى ... سالها زد بجرم وعصيان واى
هرجه درشصت سال يا هفتاد ... كرده از خير وشربيش افتاد

يـك بـيـك بـيـش جـشـم او آرنـد آشــكــارا بــروى اودارنــد
بــكــذرانــد زكــنــبــد والا بــانــك واحــســرتــا ووا ويــلا
حــســرت ازجــان اوبــر آرد دود وان زمــان حــســرتــش نــدارد ســود

قال الفارسي: يقول الله تعالى: من هرب مني أحرقته؛ أي: من هرب مني إلى نفسه أحرقته بالتأسف على فوتي إذا شهد غداً مقامات أرباب معارفي يدل عليه قوله: يا حسرتا إلخ إذ لا يقوله إلا متحرق.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى الْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَى قَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿أو تقول لو أن الله هداني﴾ بالإرشاد إلى الحق. **﴿لكنت من المتقين﴾** من الشرك والمعاصي. وفي الخبر: «ما من أحد من أهل النار يدخل النار حتى يرى مقعده من الجنة، فيقول: لو أن الله هداني لكنت من المتقين». فيكون عليه حسرة.

﴿أو تقول حين ترى العذاب﴾. عياناً ومشاهدة. **﴿لو أن لي﴾**. لو: للتمني [اى كاشكى مرابودى]. **﴿كرة﴾** رجعة إلى الدنيا يقال: كر عليه عطف، وعنه رجع. والكرة المرة. والجملة كما في «القاموس». **﴿فأكون﴾** بالنصب جواب التمني، يعني: [تاباشم آنجا]. **﴿من المحسنين﴾**. في العقيدة والعمل وأو للدلالة على أنها لا تخلو عن هذه الأقوال تحيراً وتعللاً بما لا طائل تحته وندماً، حيث لا ينفع. وقيل: إن قوماً يقولون: هذا. وقوماً يقولون: ذاك.

﴿بلى﴾ يعني: [ترا ارشاد كردند].

إن قلت: كلمة بلى مختصة بإيجاب النفي، ولا نفي في واحدة من تلك المقالات.

قلت: إنها رد للثانية، وكلمة لو تتضمن النفي، لأنها لامتناع الثاني لامتناع الأول؛ أي: لو أن الله هداني لكنت من المتقين، ولكن ما هداني، فقال تعالى: بلى، قد هديتك و**﴿قد جاءتك آياتي﴾**: آيات القرآن، وهي سبب الهداية، وفصله عن قوله: **﴿لو أن الله هداني﴾** لما أن تقديمه على الثالث يفرق القرائن الثلاث التي دخلها، أو وتأخير لو أن الله هداني. إلخ. يخل بالترتيب الوجودي؛ لأنه يتحسر بالتفريط عند تطاير الكتب، ثم يتعلل بفقد الهداية عند مشاهدة أحوال المتقين واغتباطهم، ثم يتمنى الرجعة عند الاطلاع على النار، ورؤية العذاب، وتذكير الخطاب باعتبار المعنى، وهو الإنسان.

وروي: أن النبي عليه السلام قرأ قد جاءتك بالتأنيث، وكذا ما بعدها خطاباً للنفس. **﴿فكذبت بها﴾**. قلت: إنها ليست من الله. **﴿واستكبرت﴾** تعظمت عن الإيمان بها. **﴿وكنت من الكافرين﴾** بها.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿بلى قد جاءتك آياتي﴾** من الأنبياء ومعجزاتهم والكتب وحكمها ومواعظها وأسرارها وحقائقها ودقائقها وإشاراتها. **﴿فكذبت بها واستكبرت﴾** عن اتباعها والقيام بشرائطها. **﴿وكنت من الكافرين﴾**؛ أي: كافري النعمة بما أنعم الله به عليك من نعمة وجود الأنبياء، وإنزال الكتب وإظهار المعجزات.

قالت المعتزلة: هذه الآيات الثلاث تدل على أن العبد مستقل بفعله من وجوه:

الأول: أن المرء لا يتحسر بما سبق منه إلا إذا كان يقدر على أن يفعل.

والثاني: أن من لا يكون الإيمان بفعله لا يكون مفرطا فيه.

والثالث: أنه لا يستحق الذم بما ليس من فعله.

والجواب: أن هذه الآيات لا تمنع تأثير قدرة الله تعالى في فعل العبد ولا ما فيه إسناد الفعل إلى العبد حيث قال: ﴿بلى قد جاءتك﴾ إلخ. ونحو قوله تعالى: ﴿يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ [النحل: ٩٣] يدل على بطلان مذهبهم.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّى اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوٓءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦١﴾ اللَّهُ خَـٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ لَّهُۥ مَقَالِيدُ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ أُولَـٰٓئِكَ هُمُ الْخَـٰسِرُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله﴾؛ بأن وصفوه بما لا يليق بشأنه كاتخاذ الولد والصاحبة والشريك. ﴿وجوههم مسودة﴾ مبتدأ وخبر. والجملة حال قد اكتفي فيها بالضمير عن الواو على أن الرؤية بصرية، أو مفعول ثان لها على أنها عرفانية.

والمعنى: تراهم حال كونهم أو تراهم مسودة الوجوه بما ينالهم من الشدة، أو بما يتخيل من ظلمة الجهل. وبالفارسية: [رويهاى ايشان سياه كرده شد بيش از دخول دوزخ وآن علامت دوز خيانست كه]. ﴿يُعْرَفُ الْمُجْرِمُونَ بِسِيمَـٰهُمْ﴾ [الرحمٰن: ٤١].

سئل الحسن عن هذه الآية. ﴿ويوم القيامة﴾ إلخ. فقال: هم الذين يقولون الأشياء إلينا إن شئنا فعلنا وإن شئنا لم نفعل.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن يوم القيامة تكون الوجوه بلون القلب، فالقلوب الكاذبة لما كانت مسودة بسواد الكذب وظلمته تلونت وجوههم بلون القلوب.

قال يوسف بن الحسين رحمه الله: أشد الناس عذاباً يوم القيامة من ادعى في الله ما لم يكن له ذلك، أو أظهر من أحواله ما هو خال عنها. ﴿أليس في جهنم﴾ . [آيانيست در دوزخ يعنى هست]. ﴿مثوى﴾ مقام. ﴿للمتكبرين﴾ عن الإيمان والطاعة.

وفي «التأويلات النجمية»؛ أي: الذين تكبروا على أولياء الله، وامتنعوا عن قبول النصح والموعظة.

﴿وينجي الله الذين اتقوا﴾ الشرك والمعاصي؛ أي: من جهنم. ﴿بمفازتهم﴾ مصدر ميمي بمعنى الفوز: من فاز بالمطلوب؛ أي: ظفر به.

قال الراغب: الفوز الظفر مع حصول السلامة. والباء: متعلقة بمحذوف هو حال من الموصول مفيدة لمفازة تنجيتهم من العذاب لنيل الثواب؛ أي: ينجيهم من مثوى المتكبرين حال كونهم ملتبسين بفوزهم بمطلوبهم الذي هو الجنة. ﴿لا يمسهم السوء ولا هم يحزنون﴾ . حال أخرى من الموصول مفيدة لكون نجاتهم وفوزهم بالجنة غير مسبوقة بمساس العذاب والحزن.

قال في «كشف الأسرار» لا يمس أبدانهم أذى. وقلوبهم حزن، ويجوز أن تكون المفازة من فاز منه؛ أي: نجا منه. والباء للملابسة. وقوله تعالى: ﴿لا يمسهم﴾ إلخ. تفسير وبيان

لمفازتهم؛ أي: ينجيهم بسبب مفازتهم التي هي تقواهم، كما يشعر به إيراده في حيز الصلة، وإما على إطلاق المفازة على سببها الذي هو التقوى، فليس المراد نفي دوام المساس، والحزن بل دوام نفيهما.

وفي الآية إشارة إلى أن الذين اتقوا بالله عما سوى الله لا يمسهم سوء القطيعة والهجران ولا هم يحزنون على ما فاتهم من نعيم الدنيا والآخرة، إذ فازوا بقربة المولى، وهو فوز فوق كل فوز، فالمتقون فازوا بسعادة الدارين اليوم عصمة وغداً رؤية واليوم عناية وغداً كفاية وولاية. نسأل الله سبحانه أن يعصمنا مما يؤدي إلى الحجاب، ويجعلنا في حمايته في كل باب.

وفي الآية ترغيب للتقوى؛ فإنها سبب للنجاة وبها تقول جهنم: جز يا مؤمن، فإن نورك أطفأ ناري، وبها يخاف الخلائق من المتقي. ألا ترى أن رسول الروم لما دخل على أمير المؤمنين عمر رضي الله عنه أخذته الرعدة والخوف. قال في المثنوي:

هيبت حقست اين از خلق نيست هيبت اين مرد صاحب دلق نيست

هركه ترسيد ازحق وتقوى كزيد ترسد ازوى جن وانس وهركه ديد

وفي «البستان»:

توهم كردن از حكم داور مبيج كه كردن نبيجد زحكم توهيج

محالست جون دوست داردترا كه دردست دشمن كذار دترا

وجاء إلى ذي النون المصري رحمه الله بعض الوزراء وطلب الهمة، وأظهر الخشية من السلطان، فقال له: لو خشيت أنا من الله كما تخشى أنت من السلطان، لكنت من جملة الصديقين:

كرنبودى اميد راحت ورنج باى درويش بر فلك بودى

ور وزير از خدا بترسيدى همجنان كز ملك ملك بودى

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا مخلصين له.

﴿**الله خالق كل شيء**﴾. من خير وشر وإيمان وكفر، لكن لا بالجبر، بل بمباشرة الكاسب لأسبابها.

قال في «التأويلات النجمية»: دخل أفعال العباد وأكسابهم في هذه الجملة، ولا يدخل هو، وكلامه فيها، لأن المخاطب لا يدخل تحت الخطاب، ولأنه تعالى يخلق الأشياء بكلامه، وهو كلمة كن. ﴿**وهو على كل شيء وكيل**﴾ يتولى التصرف فيه كيفما يشاء. والوكيل: القائم على الأمر الزعيم بإكماله، والله تعالى هو المتكفل بمصالح عباده، والكافي لهم في كل أمر، ومن عرف أنه الوكيل اكتفى به في كل أمره، فلم يدبر معه، ولم يعتمد إلا عليه.

وخاصية هذا الاسم نفي الحوائج والمصائب، فمن خاف ريحاً، أو صاعقة، أو نحوهما، فليكثر منه، فإنه يصرف عنه، ويفتح له أبواب الخير والرزق.

﴿**له مقاليد السماوات والأرض**﴾. جمع مقليد أو مقلاد، وهو المفتاح، أو جمع إقليد على الشذوذ كالمذاكير جمع: ذكر، وإلا ينبغي أن يجمع على أقاليد. والإقليد: بالكسر معرب كليد، وهو في الفارسي بمعنى: المفتاح في العربي، وإن كان شائعاً بين الناس، بمعنى الفعل.

والمعنى: له تعالى وحده مفاتيح خزائن العالم العلوي والسفلي لا يتمكن من التصرف

فيها غيره. وبالفارسية: [مرور است كليدهاى خزائن آسمان وزمين يعني مالك أمور علوى وسفلى است وغير اورا تصر في در آمن ممكن نيست همجنانكه دخل در خزينها متصور نيست مكر كسى راكه مفاتيح آن بدست اوست].

وعن عثمان رضي الله عنه أنه سأل النبي ﷺ عن المقاليد، فقال: «تفسيرها: لا إله إلا الله، والله أكبر، وسبحان الله وبحمده، وأستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، هو الأول والآخر، والظاهر والباطن، بيده الخير يحيي ويميت، وهو على كل شيء قدير».

والمعنى: على هذا أن لله هذه الكلمات يوحد بها ويمجد بها، وهي مفاتيح خير السماوات والأرض من تكلم بها أصابه. يعني: [اين كلمات مفاتيح خيرات آسمان وزمينست هركه بدان تكلم كند بنقود فيوض آن خزائن برسد وكفته اند خزائن آسمان بارانست وخزائن زمين كياه وكليد اين خزينها بدست تصرف اوست هركاه خواهد باران فرستد وهرجه خواهد ازنباتات برورياند].

وفي الخبر أن رسول الله عليه السلام، قال: أتيت بمفاتيح خزائن الأرض، فعرضت عليّ، فقلت: لا بل أجوع يوماً وأشبع يوماً». قال الصائب:

افتد هماى دولت اكر در كمندما   از همت بلند رها ميكنيم ما

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن له مفاتيح خزائن لطفه، وهي مكنونة في سماوات القلوب، وله مفاتيح خزائن قهره، وهي مودعة في أرض النفوس، يعني: لا يملك أحد مفاتيح خزائن لطفه وقهره، إلا هو، وهو الفتاح، وبيده المفتاح يفتح على من يشاء خزائن لطفه في قلبه، فيخرج ينابيع الحكمة منه، وجواهر الأخلاق الحسنة، ويفتح على من يشاء أبواب خزائن قهره في نفسه، فيخرج عيون المكر والخدع والحيل منها، وفنون الأوصاف الذميمة، ولهذا السر قال ﷺ: «مفتاح القلوب لا إله إلا الله». ولما سأله عثمان رضي الله عنه عن تفسير مقاليد السماوات والأرض، قال: «لا إله إلا الله، والله أكبر» إلخ.

﴿**والذين كفروا بآيات الله**﴾ التنزيلية والتكوينية المنصوبة في الآفاق والأنفس. ﴿**أولئك هم الخاسرون**﴾، خسراناً لا خسار وراءه؛ لأنهم اختاروا العقوبة على الثواب وفتحوا أبواب نفوسهم بمفتاح الكفر والنفاق، نسأل الله تعالى أن يجعلنا ممن ربحت تجارته لا ممن خسرت صفقته.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ ٱللَّهِ تَأْمُرُوٓنِّىٓ أَعْبُدُ أَيُّهَا ٱلْجَـٰهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٦٥﴾ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعْبُدْ وَكُن مِّنَ ٱلشَّـٰكِرِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿**قل أفغير الله تأمروني أعبد أيها الجاهلون**﴾؛ أي: أبعد مشاهدة هذه الآيات، فغير الله أعبد تأمرونني بذلك أيها الجاهلون، وتأمروني اعتراض للدلالة على أنهم أمروه عقيب ذلك، بأن يعبد غير الله وقالوا: استلم آلهتنا نؤمن بإلهك لفرط غباوتهم، وأصله تأمرونني بإظهار النونين، ثم أدغمت أولاهما، وهي علم الرفع في الثانية، وهي للوقاية. وقد قرأ ابن عامر على الأصل؛ أي: بإظهارها، ونافع بحذف الثانية؛ فإنها تحذف كثيراً.

﴿**ولقد أوحي إليك وإلى الذين من قبلك**﴾؛ أي: من الرسل عليهم السلام. ﴿**لئن أشركت**﴾ فرضاً. وبالفارسية: [اكر شرك آرى] وإفراد الخطاب باعتبار كل واحد ﴿**ليحبطن**

عملك﴾؛ أي: ليبطلن ثواب عملك وإن كنت كريماً عليَّ **﴿ولتكونن من الخاسرين﴾** في صفقتك بسبب حبوط عملك واللام الأولى موطئة للقسم، والأخريان للجواب، وهو كلام وارد على طريقة الفرض لتهييج الرسل وإقناط الكفرة والإيذان بغاية شناعة الإشراك وقبحه، وكونه بحيث ينهى عنه من لا يكاد يمكن أن يباشره، فكيف بمن عداه.

قال التفتازاني: فالمخاطب هو النبي عليه السلام، وعدم إشراكه مقطوع به لكن جيء بلفظ الماضي إبرازاً للإشراك في معرض الحاصل على سبيل الفرض، والتقدير: تعريضاً لمن صدر عنهم الإشراك بأنه قد حبطت أعمالهم، وكانوا من الخاسرين.

وقال في «كشف الأسرار» هذا خطاب مع الرسول عليه السلام، والمراد به غيره.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: هذا أدب من الله لنبيه عليه السلام وتهديد لغيره؛ لأن الله تعالى قد عصمه من الشرك ومداهنة الكفار.

وقال الكاشفي: [واصح آنست كه مخاطب بحسب ظاهر بيغمبر انند وازروى حقيقت افراد مسلمانان امت ايشان هريك رامى فرمايد كه اكر شرك آرى هر آينه تباه كردد كردار توكه دروقت ايمان واقع شده وهر آينه باشى از زيانكاران كه بعد ازوقت دولت دين بنكبت شرك مبتلى كردد].

قال ابن عطاء: هذا شرك الملاحظة والالتفات إلى غيره، وإطلاق الإحباط من غير تقييد بالموت على الكفر يحتمل أن يكون من خصائصهم؛ لأن الإشراك منهم أشد وأقبح، وأن يكون مقيداً بالموت كما صرح به في قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾ [البقرة: ٢١٧]، فيكون حملاً للمطلق على المقيد، فمذهب الشافعي أن نفس الكفر غير محبط عنده، بل المحبط الموت على الكفر. وأما عند غيره، فنفس الكفر محبط سواء مات عليه أم لم يمت.

وفي «المفردات»: حبط العمل على أضرب:

أحدها: أن تكون الأعمال دنيوية، فلا تغني عن الآخرة غناء كما أشار إليه تعالى بقوله: ﴿وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُواْ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾﴾ [الفرقان: ٢٣].

والثاني: أن تكون أعمالاً أخروية لكن لم يقصد صاحبها بها وجه الله تعالى كما روي: «يؤتى برجل يوم القيامة، فيقال له: بم كان اشتغالك، فيقول بقراءة القرآن، فيقال له: كنت تقرأ ليقال: فلان قارىء. وقد قيل ذلك، فيؤمر به إلى النار».

والثالث: أن تكون أعمالاً صالحة، لكن بإزائها سيئات تربى عليها. وذلك هو المشار إليه بخفة الميزان. انتهى.

وعطف الخسران على الحبوط من عطف المسبب على السبب.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الإنسان، ولو كان نبياً لئن وكل إلى نفسه ليفتحن بمفتاح الشرك والرياء أبواب خزائن قهر الله على نفسه، وليحبطن عمله بأن يلاحظ غير الله بنظر المحبة، ويثبت معه في الإبداع سواه.

﴿بل الله فاعبد﴾. رد لما أمروه، ولولا دلالة التقديم على القصر، لم يكن كذلك، والفاء: جواب الشرط المحذوف، تقديره: لا تعبد ما أمرك الكفار بعبادته، بل إن عبدت، فاعبد الله، فحذف الشرط وأقيم المفعول مقامه. **﴿وكن من الشاكرين﴾** إنعامه عليك. ومن

جملته التوحيد والعبادة، وكذا النبوة والرسالة الحاصلتان بفضله وكرمه لا بسعيك وعملك.

واعلم أن الشكر على ثلاث درجات:

الأولى: الشكر على المحاب، وقد شاركت المسلمين في هذا الشكر اليهود والنصارى والمجوس.

والثانية: الشكر على المكاره. وهذا الشاكر أول من يدعى إلى الجنة؛ لأن الجنة حفت بالمكاره.

والثالثة: أن لا يشهد غير المنعم، فلا يشهد النعمة والشدة. وهذا الشهود والتلذذ به أعلى اللذات؛ لأنه في مقام السر.

فالعاقل يجتهد في الإقبال على الله، والتوجه إليه من غير التفات إلى يمين وشمال.

روي: أن ذا النون المصري قدس سره: أراد التوضؤ من نهر فرأى جارية حسناء، فقالت لذي النون: ظننتك أولاً عاقلاً، ثم عالماً، ثم عارفاً، ولم تكن كذلك؛ أي: لا عاقلاً ولا عالماً ولا عارفاً. قال ذو النون: ولم قالت: فإن العاقل لا يكون بغير وضوء لعلمه بفضائله، والعالم لا ينظر إلى الحرام، فإن العالم لا بد وأن يكون عاملاً، والعارف لا يميل إلى غير الله، فإن مقتضى العرفان أن لا يختار على المحبوب الحقيقي سواه لكون حسنه من ذاته، وحسن ما سواه مستفاداً منه، والغير وإن كان مظهراً لتجليه، ولكن النظر إليه قيد والحضور في عالم الإطلاق هو التفريد الذي هو تقطيع الموحد عن الأنفس والآفاق:

خداست درد وجهان هست جاودان جامى ... وما سواه خيال مزخرف باطل

نسأل الله سبحانه هذا التوحيد الحقيقي.

روى عبد الله بن عباس رضي الله عنهما وعبد الله بن مسعود رضي الله عنه أن حبراً من اليهود أتى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال: يا محمد أشعرت أن الله يضع يوم القيامة السماوات على أصبع والأرضين على أصبع. والجبال على أصبع. والماء والثرى والشجر على أصبع وجميع الخلائق على أصبع ثم يهزهنّ. ويقول: أنا الملك اين الملوك، فضحك رسول الله عليه السلام تعجباً منه وتصديقاً له، فأنزل الله هذه الآية، وهي قوله تعالى:

﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾. القدر بمعنى: التعظيم، كما في «القاموس». فالمعنى: ما عظموا الله حق تعظيمه حيث جعلوا له شريكاً بما لا يليق بشأنه العظيم.

ويقال: قدر الشيء قدره من التقدير كما في «المختار». فالمعنى: ما قدروا عظمته تعالى في أنفسهم حق عظمته.

وقال الراغب في «المفردات»: ما عرفوا كنهه.

يقول الفقير: هذا ليس في محله، فإن الله تعالى، وإن كان لا يعرف حق المعرفة بحسب كنهه، ولكن تتعلق به تلك المعرفة بحسبنا. فالمعنى ها هنا: ما عرفوا الله حق معرفته بحسبهم لا بحسب الله إذ لو عرفوه بحسبهم ما أضافوا إليه الشريك ونحوه فافهم.

وفي «التأويلات النجمية»: ما عرفوا الله حق معرفته وما وصفوه حق وصفه، وما عظموه حق

تعظيمه، فمن اتصف بتمثيل أو جنح إلى تعطيل حاد عن ألسنة المثلى، وانحرف عن الطريقة الحسنى وصفوا الحق بالأعضاء، وتوهموا في نعته الأجزاء، فما قدروا الله حق قدره، انتهى.

﴿**والأرض جميعاً**﴾: حال لفظاً وتأكيد معنى، ولذا قال أهل التفسير: تأكيد الأرض بالجميع؛ لأن المراد بها: الأرضون السبع، أو جميع أبعاضها البادية. والغائرة؛ أي: الظاهرة وغير الظاهرة من باطنها وظاهرها ووسطها. قوله: والأرض مبتدأ خبره قوله: ﴿**قبضته يوم القيامة**﴾. القبضة المرة من القبض، أطلقت بمعنى القبضة، وهي المقدار المقبوض بالكف تسمية بالمصدر أو بتقدير ذات قبضته.

وفي «المفردات»: القبض التناول بجمع الكف نحو قبض السيف، وغيره ويستعار القبض لتحصيل الشيء، وإن لم يكن فيه مراعاة الكف، كقولك: قبضت الدار من فلان؛ أي: حزتها. قال الله تعالى: ﴿**والأرض جميعاً قبضته**﴾؛ أي: في حوزه حيث لا تمليك للعبد. انتهى.

تقول للرجل: هذا في يدك، وفي قبضتك؛ أي: في ملكك، وإن لم يقبض عليه بيده.

والمعنى: والأرض جميعاً مقبوضة يوم القيامة؛ أي: في ملكه وتصرفه من غير منازع يتصرف فيها تصرف الملاك في ملكهم؛ وأنها؛ أي: جميع الأرضين، وإن عظمن، فما هن بالنسبة إلى قدرته تعالى إلا قبضة واحدة.

ففيه تنبيه على غاية عظمته، وكمال قدرته وحقارة الأفعال بالنسبة إلى قدرته ودلالة على أن تخريب العالم أهون شيء عليه على طريقة التمثيل والتخييل من غير اعتبار القبضة حقيقة، ولا مجازاً على ما في «الإرشاد» ونحوه. وعلى هذه الطريقة قوله تعالى: ﴿**والسماوات**﴾ مبتدأ ﴿**مطويات**﴾ خبره ﴿**بيمينه**﴾ متعلق بمطويات؛ أي: مجموعات ومدرجات من طويت الشيء طياً؛ أي: أدرجته إدراجاً، أو مهلكات من الطي بمعنى مضى العمر، يقال: طوى الله عمره. وقوله: بيمينه؛ أي: بقوته واقتداره، فإنه يعبر بها عن المبالغة في الاقتدار؛ لأنها أقوى من الشمال في عادة الناس كما في «الأسئلة المقحمة».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: ما السماوات السبع والأرضون السبع في يد الله إلا كخردلة في يد أحدكم.

قال بعضهم: الآية من المتشابهات، فلا مساغ لتأويلها وتفسيرها غير الإيمان بها كما قال تعالى: ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾ [آل عمران: ٧].

وقال أهل الحقيقة: المراد بهذه القبضة، هي: قبضة الشمال المضاف إليها القهر والغضب ولوازمهما وعالم العناصر، وما يتركب ويتولد منها. ومن جملة ذلك صورة آدم العنصرية، وأما روحانيته، فمضافة إلى القبضة المسماة باليمين. ودل على ما ذكر ذكر اليمين في مقابل الأرض، وصح عن النبي عليه السلام إطلاق الشمال على إحدى اليدين اللتين خلق الله بهما آدم عليه السلام، كما في «شرح الأربعين» حديثاً للشيخ الكبير قدس سره الخطير.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «يقبض الله السماوات بيمينه والأرضين بيده الأخرى ثم يهزهنّ ويقول أنا الملك أين ملوك الأرض». كما في «كشف الأسرار».

وفيه إشعار بإطلاق الشمال على اليد الأخرى، فالشمال في حديثه عليه السلام، والقبضة في هذه الآية واحدة.

فإن قلت: كيف التوفيق بينه وبين قوله عليه السلام: «كلتا يدي ربي يمين مباركة».
وقول الشاعر:

له يمينان عدلاً لا شمال له وفي يمينيه آجال وأرزاق

قلت: كون كل من اليدين يميناً مباركة بالإضافة إليه تعالى، ومن حيث الآثار فيمين وشمال إذ لا تخلو الدنيا والآخرة من اللطف والقهر والجمال والجلال والبسط والقبض والروح والجسم والطبيعة والعنصر، ونحو ذلك. وظهر مما ذكرنا كون السماوات خارجة عن حدّ الدنيا لإضافتها إلى اليمين، وإن كانت من عالم الكون والفساد، اللهم إلا أن يقال: العناصر مطلقاً مضافة إلى الأرض المقبوضة بالشمال، وأما ملكوتها، وهو باطنها كباطن آدم، وباطن السماوات كالأرواح العلوية، فمضاف إلى السماوات المقبوضة باليمين، فالسماوات من حيث عناصرها داخلة في حدّ الدنيا.

﴿**سبحانه وتعالى عما يشركون**﴾ ما أبعد وما أعلى من هذه قدرته وعظمته عن إشراكهم ما يشركونه من الشركاء، فما على الأول مصدرية، وعلى الثاني موصولة.

سئل الجنيد قدس سره عن قوله: ﴿**والسماوات مطويات**﴾، فقال: متى كانت منشورة حتى صارت مطوية سبحانه نفى عن نفسه ما يقع في العقول من طيها، ونشرها إذ كل الكون عنده كالخردلة، أو كجناح بعوضة، أو أقل منها.

قال الزروقي رحمه الله: إذا أردت استعمال حزب البحر للسلامة من عطبه فقدم عند ركوبه: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [هود: ٤١]، ﴿**وما قدروا الله حق قدره**﴾ إلى قوله: ﴿**عما يشركون**﴾. إذ قد جاء في الحديث: «إنه أمان من الغرق»، ومن الله الخلاص.

يقول الفقير: التخصيص: هو أن من عرف الله حق معرفته، قد لا يحتاج إلى ركوب السفينة بأن يمشي على الماء، كما وقع لكثير من أهل التصرف، ففيه تنبيه على العجز وتعريف للقصور.

وأيضاً: أن الأرض إذا كانت في قبضته، فالبحر الذي فوقها متصلاً بها يكون أيضاً في قبضته فينبغي أن يخاف من سطوته في كل مكان، ويشتغل بذكره في كل آن بخلوص الجنان وصدق الإيقان.

يقال: إن الشرك جلي وخفي، فالجلي من العوام الكفر والخفي منهم التوحيد باللسان مع اشتغال القلب بغير الله تعالى، وهو شرك جلي من الخواص، والخفي منهم الالتفات إلى الدنيا وأسبابها، وهو جلي من أخص الخواص والخفي منهم الالتفات إلى الآخرة.

يقال: إن السبب لانشقاق زكريا عليه السلام في الشجرة كان التفاته إلى الشجرة حيث قال: اكتميني أيتها الشجرة كما أن يوسف عليه السلام قال لساقي الملك: اذكرني عند ربك، فلبث في السجن بضع سنين، فاقطع نظرك عما سوى الله، وانظر إلى حال الخليل عليه السلام؛ فإنه لما ألقي في النار أتاه جبرائيل. وقال: ألك حاجة يا إبراهيم؟ فقال: أما إليك، فلا فجعل الله له النار برداً وسلاماً، وكان قطباً وإماماً:

نكر تاقضا ازكجا سير كرد كه كورى بود تكيه برغير كرد

قال عبد الواحد بن زيد لأبي عاصم البصري رحمه الله: كيف صنعت حين طلبك

الحجاج. قال: كنت في غرفتي، فدقوا عليَّ الباب ودخلوا، فدفعت بي دفعة، فإذا أنا على أبي قبيس بمكة، فقال عبد الواحد: من أين كنت تأكل. قال: كانت تأتي إليّ عجوز وقت إفطاري بالرغيفين اللذين كنت آكلهما بالبصرة. قال عبد الواحد: تلك الدنيا أمرها الله أن تخدم أبا عاصم هكذا حال من توكل على الله وانقطع إليه عما سواه، فالله لا يخيب عبداً لا يرجو إلا إياه.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ ﴿٦٨﴾﴾

﴿ونفخ في الصور﴾. المراد: النفخة الأولى التي هي للإماتة بقرينة النفخة الآتية التي هي للبعث والنفخ نفخ الريح في الشيء. وبالفارسية: [دميدن]. يقال: نفخ بفمه، أخرج منه الريح.

والنفخ في القرآن على خمسة أوجه:

الأول: نفخ جبريل عليه السلام في جيب مريم عليها السلام كما قال تعالى: ﴿فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا﴾ [الأنبياء: ٩١]؛ أي: نفخ جبرائيل في الجيب بأمرنا فسبحان من أحبل رحم امرأة وأوجد فيها ولداً بنفخ جبرائيل.

والثاني: نفخ عيسى عليه السلام في الطين كما قال تعالى: ﴿فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩]. وهو الخفاش، فسبحان من حول الطين طيراً بنفخ عيسى.

والثالث: نفخ الله تعالى في طين آدم عليه السلام كما قال تعالى: **﴿ونفخت فيه من روحي﴾**؛ أي: أمرت الروح بالدخول فيه، والتعلق به فسبحان من أنطق لحماً وأبصر شحماً، وأسمع عظماً وأحيا جسداً بروح منه.

والرابع: نفخ ذي القرنين الحديد في النار كما قال تعالى حكاية عنه. ﴿قَالَ ٱنفُخُوا۟﴾ [الكهف: ٩٦] الآية، فسبحان من حول قطعة حديد ناراً بنفخ ذي القرنين.

والخامس: نفخ إسرافيل عليه السلام في الصور، كما قال تعالى: **﴿ونفخ في الصور﴾**، فسبحان من أخرج الأرواح من الأبدان بنفخ واحد كما يطفأ السراج بنفخ واحد، وتوقد النار بنفخ واحد وسبحان من رد الأرواح إلى الأبدان بنفخ واحد. وهذا كله دليل على قدرته التامة العامة. والصور: قرن من نور ألقمه الله إسرافيل، وهو أقرب الخلق إلى الله تعالى، وله جناح بالمشرق وجناح بالمغرب، والعرش على كاهله، وإن قدميه قد خرجتا من الأرض السفلى حتى بعدتا عنها مسيرة مائة عام على ما رواه وهب وعظم دائرة القرن مثل ما بين السماء والأرض.

وفي «الدرة الفاخرة» للإمام الغزالي رحمه الله: الصور قرن من نور له أربع عشرة دائرة. الدائرة الواحدة كاستدارة السماء والأرض فيه ثقب بعدد أرواح البرية وباقي ما يتعلق بالنفخ. والصور قد سبق في سورة الكهف والنمل فارجع. **﴿فصعق من في السماوات ومن في الأرض﴾**. يقال: صعق الرجل إذا أصابه فزع، فأغمي عليه وربما مات منه، ثم استعمل في الموت كثيراً كما في «شرح المشارق» لابن الملك.

قال في «المختار» صعق الرجل بالكسر صعقة غشي عليه. وقوله تعالى: **﴿فصعق من﴾** إلخ. أي: مات. انتهى.

فالمعنى: خروا أمواتاً من الفزع وشدة الصوت. **﴿إلا من شاء الله﴾** جبرائيل وإسرافيل

وميكائيل وملك الموت عليهم السلام، فإنهم يموتون من بعد.

قال السدي: وضم بعضهم إليهم ثمانية من حملة العرش، فيكون المجموع اثني عشر ملكاً وآخرهم موتاً ملك الموت.

وروى النقاش: إنه جبرائيل كما جاء في الخبر أن الله تعالى يقول حينئذٍ: يا ملك الموت خذ نفس إسرافيل. ثم يقول: من بقي؟، فيقول: بقي جبرائيل وميكائيل وملك الموت. فيقول: خذ نفس ميكائيل حتى يبقى ملك الموت وجبرائيل، فيقول تعالى: مت يا ملك الموت، فيموت. ثم يقول: يا جبرائيل من بقي؟ فيقول: تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام وجهك الدائم الباقي، وجبرائيل الميت الفاني، فيقول: يا جبرائيل لابد من موتك، فيقع ساجداً يخفق بجناحيه، فيموت، فلا يبقى في الملك حي من إنس وجن وملك وغيرهم، إلا الله الواحد القهار.

وقال بعض المفسرين: المستثنى الحور والولدان وخزنة الجنة والنار وما فيهما؛ لأنهما وما فيهما خلقاً للبقاء والموت لقهر المكلفين ونقلهم من دار إلى دار، ولا تكليف على أهل الجنة، فتركوا على حالهم بلا موت.

وهذا الخطاب بالصعق متعلق بعالم الدنيا والجنة والنار عالمان بانفرادهما خلقاً للبقاء فهما بمعزل عما خلق للفناء، فلم يدخل أهلهما في الآية، فتكون آية الاستثناء مفسرة لقوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]: و﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وغيرهما من الآيات فلا تناقض.

يقول الفقير: يرد عليه أنه كيف يكون هذا الخطاب بالصعق متعلقاً بعالم الدنيا، وقد قال الله تعالى: ﴿من في السماوات﴾، وهي أي: السماوات خارجة عن حدّ الدنيا، ولئن سلم بناء على أن السماوات السبع كالأرض من عالم الكون والفساد، فيبقى الفلك الثامن الذي هو الكرسي والتاسع الذي هو العرش خارجين عن حدّ الآية، فيلزم أن لا يفنى أهلهما عموماً وخصوصاً من الملائكة الذين لا يحصي عددهم إلا الله على أنهم من أهل التكليف أيضاً.

قال الإمام النسفي في «بحر الكلام»: قال أهل الحق؛ أي: أهل السنة والجماعة سبعة لا تفنى العرش والكرسي واللوح والقلم والجنة والنار وأهلهما من ملائكة الرحمة والعذاب والأرواح؛ أي: بدلالة هذه الآية.

وقال شيخ العلماء الحسن البصري قدس سره: المراد بالمستثنى هو الله تعالى وحده، ويؤيده ما قاله الغزالي رحمه الله: حدثني من لا أشك في علمه أن الاستثناء واقع عليه سبحانه خاصة.

يقول الفقير: فيه بعد من حيث الظاهر؛ لأنه يلزم أن يشاء الله نفسه، فيكون شائياً ومشيئاً، وقد أخرجوه في نحو قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٨٤]: و﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، وغيرهما. والله ليس من أهل السماوات والأرض، وإن كان إلٰهاً، فهي كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌۚ﴾ [الزخرف: ٨٤].

وقال بعض المحققين: الصعق أعم من الموت، فلمن لم يمت الموت، ولمن مات الغشية، فإذا نفخ الثانية، فمن مات حي ومن غشي عليه أفاق، وهو القول المعوّل عليه عند ذوي التحقيق.

يقول الفقير: فيدخل إدريس عليه السلام، فإنه مات ثم أحيي وأدخل الجنة، فتعمه الغشية دون الموت إلا أن يكون ممن شاء الله، وأما موسى عليه السلام، فقد جزي بصعقته وغشيته في الطور، فالموت عام لكل أحد إذ لو بقي أحد لأجاب الله تعالى، حيث يقول: لمن الملك اليوم، فقال: لله الواحد القهار.

قال في «أسئلة الحكم»، وأما قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨]، فمعناه عند المحققين قابل للهلاك، فكل محدث قابل لذلك، بل هالك دائم وعدم محض بالنسبة إلى وجه نفسه إذ لكل شيء وجهان: وجه إلى نفسه، ووجه إلى ربه. فالوجه الأول هالك، وعدم والثاني عين ثابت في علمه قائم بربه، وإن كان له ظل ظاهر، فكل محدث قابل للهلاك، والعدم، وإن لم يهلك وينعدم بخلاف القديم الأزلي. ويؤيد ذلك المعنى أن العرش لم يرو فيه خبر بأنه يهلك، فلتكن الجنة مثله.

يقول الفقير: أما ما روي عن رسول الله ﷺ أنه سأل جبرائيل عن هذه الآية من الذين لم يشأ الله أن يصعقهم. قال: هم الشهداء المتقلدون أسيافهم حول العرش»، كما في «كشف الأسرار»، وكذا ما قال جعفر الصادق رضي الله عنه أهل الاستثناء محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وأهل بيته وأهل المعرفة. وما قال بعضهم: هم أهل التمكين والاستقامة. كل ذلك وما شاكله، فمبني على تفسير الصعق بالغشي إذ الشهداء ونحوهم من الصديقين، وإن كانوا أحياء عند ربهم لكنهم لا يذوقون الموت مرة أخرى، وإلا لتحققوا بالعدم الأصلي، وهو مخالف لحكمة الله تعالى، وإنما شأنهم الفزع والغشيان، فيحفظهم الله تعالى عن ذلك، فالأرواح والأحياء مشتركون في ذلك إلا من شاء الله.

حكي أن واحداً رؤي في المنام ذا شيب، وكان قد مات وهو شاب، فقيل له في ذلك، فقال: لما قبر المرسي القائل بخلق القرآن في قبره في هذه المقبرة هجمت عليه جهنم بغيظ وزفير، فشاب شعري من ذلك الفزع والهول، وله نظائر كثيرة، ودخل في الأرواح من يقال لهم: الأرواح العالية المهيمة، فإنهم لا يموتون لكونهم أرواحاً، ولا يغشى عليهم، إذ ليس لهم خبر عما سوى الله تعالى، بل هم المستغرقون في بحر الشهود، فعلى هذا يكون المراد بالنفخة في الآية نفخة غير نفخة الإماتة، وسيأتي البيان في النفخات. فإن قلت: فما الفرق بين الصعق الذي في هذه الآية، وبين الفزع الذي في آية النمل، وهي قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [النمل: ٨٧].

قلت: لا شك أن الصعق بمعنى الموت غير الفزع، وكذا بمعنى الغشي إذ ليس كل من له فزع مغشياً عليه، هذا ما تيسر لي في هذا المقام، وحقيقة العلم عند الله الملك العلام. ﴿**ثم نفخ فيه أخرى**﴾ نفخة أخرى هي النفخة الثانية على الوجه الأول وأخرى. يحتمل النصب على أن يكون الظرف قائماً مقام الفاعل، وأخرى صفة لمصدر منصوب على المفعول المطلق والرفع على أن يكون المصدر المقدر قائماً مقام الفاعل. ﴿**فإذا هم**﴾؛ أي: جميع الخلائق. ﴿**قيام**﴾ جمع: قائم؛ أي: قائمون من قبورهم على أرجلهم أو متوقفون، فالقيام بمعنى الوقوف والجمود في مكانهم لتحيرهم. ﴿**ينظرون**﴾ يقلبون أبصارهم في الجوانب كالمبهوتين، أو ينتظرون ماذا يفعل بهم، ويقال: ينظرون إلى السماء كيف غيرت، وإلى الأرض كيف بدلت، وإلى الداعي كيف يدعوهم إلى الحساب، وإلى الآباء والأمهات كيف ذهبت شفقتهم عنهم،

واشتغلوا بأنفسهم، وإلى خصمائهم ماذا يفعلون بهم.

وفي الحديث: «أنا أول من ينشق عنه القبر»، وأول من يحيا من الملائكة إسرافيل لينفخ في الصور». «وأول من يحيا من الدواب براق النبي عليه السلام». «وأول من يستظل في ظل العرش رجل أنظر معسراً ومحا عنه». «وأول من يرد الحوض فقراء الأمة والمتحابون في الله»، «وأول من يكسى يوم القيامة إبراهيم الخليل عليه السلام؛ لأنه ألقي في النار عرياناً». «وأول من يكسى حلة من النار إبليس»، «وأول من يحاسب جبرائيل؛ لأنه كان أمين الله إلى رسله»، «وأول ما يقضى بين الناس في الدماء». «وأول ما يحاسب به الرجل صلاته»، «وأول ما تسأل المرأة عن صلاتها، ثم بعلها»، «وأول ما يسأل العبد يوم القيامة عن النعيم؛ بأن يقال له: ألم أصحح جسمك وأروك من الماء البارد». «وأول ما يوضع في الميزان الخلق الحسن»، «وأول ما يوضع في الميزان العبد نفقته على أهله»، «وأول ما يتكلم من الآدمي، فخذه وكفه». «وأول خصمين جاران»، «وأول من يشفع يوم القيامة الأنبياء»، ثم العلماء، ثم الشهداء، «وأول من يدخل الجنة من هذه الأمة أبو بكر رضي الله عنه»، «وأول من يسلم عليه الحق، ويصافحه عمر رضي الله عنه»، «وأول من يدخل من الأغنياء عبد الرحمٰن بن عوف من العشرة المبشرة».

قال في «المدارك»: دلت الآية على أن النفخة اثنتان: الأولى للموت، والثانية: للبعث.

والجمهور على أنها ثلاث:

الأولى: للفزع كما قال: ﴿يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ﴾ [النمل: ٨٧].

والثانية: للموت.

والثالثة: للإعادة. انتهى.

فإن كانت النفخة اثنتين يكون معنى صعق خروا أمواتاً، وإن كانت ثلاثاً، يكون معناه مغشياً عليهم، فتكون هذه النفخة؛ أي: الثالثة بعد نفخة الإحياء يوم القيامة كما ذهب إليه البعض.

وقال سعد المفتي: دل ظاهر الأحاديث على أن النفخات أربع المذكورتان في سورة يٰس للإماتة، ثم الإحياء. ونفخة للإرعاب والإرهاب، فيغشى عليهم، ثم للإفاقة والإيقاظ، والذي يفهم من خريدة العجائب: أن نفخة الفزع هي أولى النفخات، فإنه إذا وقعت أشراط الساعة، ومضت أمر الله صاحب الصور أن ينفخ نفخة الفزع، ويديمها ويطولها، فلا يبرح كذا عاماً يزداد الصوت كل يوم شدة، فيفزع الخلائق وينحازون إلى أمهات الأمصار، وتعطل الرعاة السوائم، وتأتي الوحوش والسباع، وهي مذعورة من هول الصيحة، فتختلط بالناس، ويؤول الأمر إلى تغير الأرض والسماء عما هما عليه، وبين نفخة الفزع. والنفخة الثانية: أربعون سنة، ثم تقع نفخة الثانية، والثالثة: وبينهما أربعون سنة، أو شهراً، أو يوماً، أو ساعة.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: اختلف الناس في أمد المدة الكائنة بين النفختين، فاستقر جمهورهم على أنها أربعون سنة. وحدثني من لا أشك في علمه: أن أمد ذلك لا يعلمه إلا الله تعالى؛ لأنه من أسرار الربوبية، فإذا أراد الله إحياء الخلق يفتح خزانة من خزائن العرش فيها بحر الحياة، فتمطر به الأرض، فإذا هو كمنيّ الرجال بعد أن كانت عطشى فتحيا وتهتز، ولا يزال المطر عليها حتى يعمها، ويكون الماء فوقها أربعين ذراعاً، فإذا الأجسام تنبت من عجب الذنب، وهو أول ما يخلق من الإنسان بدىء منه. ومنه يعود وهو عظم على قدر الحمصة،

وليس له مخ، فإذا نبت كما نبت البقل تشتبك بعضها في بعض، فإذا رأس هذا على منكب هذا، ويد هذا على جنب هذا، وفخذ هذا على حجر هذا لكثرة البشر، والصبي صبي، والكهل كهل، والشيخ شيخ، والشاب شاب، ثم تهب ريح من تحت العرش فيها نار، فتنسف ذلك عن الأرض، وتبقى الأرض بارزة مستوية؛ كأنها صحيفة واحدة، ثم يحيي الله إسرافيل، فينفخ في الصور من صخرة بيت المقدس، فتخرج الأرواح لها دويّ كدويّ النحل، فتملأ الخافقين، ثم تذهب كل نفس إلى جثتها بإعلام الله تعالى حتى الوحش والطير، وكل ذي روح، فإذا الكل قيام ينظرون، ثم يفعل الله بهم ما يشاء. قال الشيخ سعدي قدس سره:

جودرخا كدان لحد خفت مرد قيامت بيفشاند از موى كرد

سرازجيب غفلت برآور كنون كه فردا نماند بحسرت نكون

بران ازدوسر جشمه ديده جوى ور آلايشي دارى ازخود بشوى

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ وَجِاْىٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٦٩﴾﴾

﴿**وأشرقت الأرض**﴾: صارت عرصات القيامة مشرقة ومضيئة. وذلك حين ينزل الله على كرسيه لفصل القضاء بين عباده. ﴿**بنور ربها**﴾: النور: الضوء المنتشر المعين على الإبصار؛ أي: بما أقام فيها من العدل. استعير له النور؛ لأنه يزين البقاع، ويظهر الحقوق كما يسمى الظلم ظلمة.

وفي الحديث: «الظلم ظلمات يوم القيامة» يعني: شدائده يعني: الظلم سبب لشدائد صاحبه، أو الظلم سبب لبقاء الظالم في الظلمة حقيقة، فلا يهتدي إلى السبيل حين يسعى نور المؤمنين بين أيديهم، ولكون المراد بالنور العدل أضيف الاسم الجليل إلى ضمير الأرض، فإن تلك الإضافة إنما تحسن إذا أريد به تزين الأرض بما ينشر فيها من الحكم والعدل، أو المعنى: أشرقت بنور خلقه الله في الأرض يوم القيامة بلا توسط أجسام مضيئة كما في الدنيا، يعني: يشرق بذلك النور وجه الأرض المبدلة بلا شمس ولا قمر، ولا غيرهما من الأجرام المنيرة، ولذلك؛ أي: ولكون المعنى ذلك. أضيف؛ أي: النور إلى الاسم الجليل.

وقال سهل: قلوب المؤمنين يوم القيامة تشرق بتوحيد سيدهم والاقتداء بسنة نبيهم.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**وأشرقت الأرض**﴾: أرض الوجود ﴿**بنور ربها**﴾ إذا تجلى لها.

وقال بعضهم: هذا من المكتوم الذي لا يفسر، كما في «تفسير أبي الليث». ﴿**ووضع الكتاب**﴾؛ أي: الحساب والجزاء من وضع المحاسب كتاب المحاسبة بين يديه، أو صحائف الأعمال في أيدي العمال في الإيمان والشمائل، واكتفى باسم الجنس عن الجمع إذ لكل أحد كتاب على حدة.

والكتاب في الأصل: اسم للصحيفة مع المكتوب فيه. وقيل: وضع الكتاب في الأرض بعدما كان في السماء.

يقول الفقير: هذا على إطلاقه غير صحيح؛ لأن كتاب الأبرار في عليين، وكتاب الفجار في سجين، فالذي في السماء يوضع في الأرض حتى اللوح المحفوظ، وأما ما في الأرض

فعلى حاله. ﴿وجيء بالنبيين﴾: الباء للتعدية. ﴿والشهداء﴾ للأمم وعليهم من الملائكة والمؤمنين.

وفيه إشارة إلى أن النبيين والشهداء، إذا دعوا للقضاء والحكومة والمحاسبة، فكيف يكون حال الأمم وأهل المعاصي والذنوب.

دران روز كز فعل برسند وقول أولو العزم را تن بلرزد زهول
بجايى كه دهشت خورد انبيا تو عذر كنه را جه دارى بيا

﴿وقضي﴾. [حكم كرده شود]. ﴿بينهم﴾؛ أي: بين العباد. ﴿بالحق﴾: بالعدل. ﴿وهم لا يظلمون﴾ بنقص ثواب، وزيادة عقاب على ما جرى به الوعد، وكما فتح الآية بإثبات العدل ختمها بنفي الظلم.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿ووفيت﴾ [وتمام داده شود]. ﴿كل نفس﴾ من النفوس المكلفة. ﴿ما عملت﴾؛ أي: جزاء ما عملت من الخير والشر والطاعة والمعصية. ﴿وهو﴾ تعالى ﴿أعلم﴾ منهم ومن الشهداء ﴿بما يفعلون﴾ إذ هو خالق الأفعال، فلا يفوته شيء من أفعالهم، وإنما يدعو الشهداء لتأكيد الحجة عليهم.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا كان يوم القيامة بدل الله الأرض غير الأرض، وزاد في عرضها وطولها كذا وكذا، فإذا استقر عليها أقدام الخلائق برّهم وفاجرهم أسمعهم الله كلامه يقول: إن كتابي كانوا يكتبون ما أظهرتم، ولم يكن لهم علم بما أسررتم، فأنا عالم بما أظهرتم وبما أسررتم، ومحاسبكم اليوم على ما أظهرتم، وعلى ما أسررتم، ثم أغفر لمن شاء منكم.

قال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: الملك لا سبيل له إلى معرفة باطن العبد في قول أكثرهم.

وقال في «ريحان القلوب»: الذكر الخفي ما خفي عن الحفظة لا ما يخفض به الصوت، وهو خاص به ﷺ، ومن له به أسوة حسنة. انتهى.

يقول الفقير: لا شك أن الحفظة تستملي من خزنة اللوح المحفوظ، فيعرفون كل ما وقع من العبد من فعل ظاهر وعزم باطن، ولكن يجوز أن يكون من الأسرار ما لا يطلع عليه غيره سبحانه وتعالى.

واعلم أنه إذا كان يوم القيامة يقول الله تعالى: أين اللوح المحفوظ؟ فيؤتى به وله صوت شديد، فيقول الله: أين ما سطرت فيك من توراة وزبور وإنجيل وفرقان؟ فيقول: يا رب، نقله مني الروح الأمين، فيؤتى به، وهو يرعد وتصطك ركبتاه، فيقول الله تعالى: يا جبريل، هذا اللوح يزعم أنك نقلت منه كلامي ووحيي أصدق؟ فيقول: نعم يا رب، فيقول: فما فعلت فيه؟ فيقول: أنهيت التوراة إلى موسى والزبور إلى داود والإنجيل إلى عيسى والقرآن إلى محمد صلى الله تعالى عليه وسلم وعليهم أجمعين. وأنهيت إلى كل رسول رسالته، وإلى أهل الصحف صحائفهم، فإذا النداء: يا نوح، فيؤتى به ترعد فرائصه وتصطك ركبتاه، فيقول: يا نوح زعم جبرائيل أنك من المرسلين.

قال: صدق يا رب، فقال: فما فعلت مع قومك؟ قال: دعوتهم ليلاً ونهاراً، فلم يزدهم دعائي إلا فراراً، فإذا النداء: يا قوم نوح، فيؤتى بهم زمرة واحدة، فيقول لهم: هذا نوح زعم أنه بلغكم الرسالة، فيقولون: يا رب كذب ما بلغنا شيئاً، ثم ينكرون الرسالة، ثم يقول الله تعالى: يا نوح ألك بينة عليهم؟ فيقول: نعم يا رب، بيّنتي عليهم محمد ﷺ وأمته، فيقولون: كيف ذلك ونحن أول الأمم وهم آخر الأمم، فيؤتى بالنبي عليه السلام، فيقول الله تعالى: يا محمد هذا نوح يستشهد بك، فيشهد له بتبليغ الرسالة، ويتلو: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦٓ﴾ [نوح: ١] إلى آخر السورة، فيقول الله تعالى: قد وجب عليكم الحق وحقت كلمة العذاب على الكافرين، فيؤمر بهم زمرة واحدة إلى النار من غير وزن أعمال ووضع حساب، وهكذا يفعل بسائر الأمم أجمعين، فإن القرآن نطق بهم وبأحوالهم.

وقد جاء: أن رجلاً يقف بين يدي الله، فيقول: يا عبد السوء كنت مجرماً عاصياً، فيقول: لا، والله ما فعلت! فيقال له: عليك بينة، فيؤمر بحفظته، فيقول: كذبوا عليّ، فتشهد جوارحه عليه ويؤمر به إلى النار، فيجعل يلوم جوارحه، فيقولون: ليس من اختيارنا، أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء. وهكذا يشهد الزمان والمكان ونحوهما، فطريق الخلاص أن لا تشهد اليوم غير الله وتشتغل بذكره وطاعته عما سواه. قال الشيخ سعدي:

دريغست كه فر موده ديو زشت ... كه دست ملك برتو خواهد نوشت
روا دارى از جهل ونا باكيت ... كه باكان نويسند ناباكيت
طريقي بدست آر وصلحى بجوى ... شفيعى برانكيز وعذرى بكوى
كه يك لحظه صورت نبندد امان ... جو بيمانه برشد بدور زمان

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَآ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَتْلُونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ رَبِّكُمْ وَيُنذِرُونَكُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنْ حَقَّتْ كَلِمَةُ ٱلْعَذَابِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧١﴾ قِيلَ ٱدْخُلُوٓاْ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٢﴾﴾.

﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم﴾ مع إمامهم حال كونهم **﴿زمراً﴾**: جماعة جماعة، وبالفارسية: [كروه كروه]، جمع زمرة، وهي الجمع القليل. ومنه قيل: شاة زمرة قليلة الشعر، واشتقاقها من الزمر، وهو الصوت إذ الجماعة لا تخلو عنه. والسوق بالفارسية: [راندن]؛ أي: سيقوا إليها بعد إقامة الحساب بأمر يسير من قبلنا. وذلك بالعنف والإهانة حال كونهم أفواجاً متفرقة بعضها في إثر بعض مترتبة حسب ترتب طبقاتهم في الضلالة والشرارة وتتلقاهم جهنم بالعبوسة، كما تلقوا الأوامر والنواهي والآمرين والناهين بمثل ذلك. **﴿حتى إذا جاؤوها﴾** حتى هي التي تحكى بعد الجملة. يعني: [تاجون بيايند بدوزخ بر صفت ذلت وخوارى]. وجواب إذا قوله: **﴿فتحت أبوابها﴾** السبعة ليدخلوها كما قال تعالى: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ﴾ [الحجر: ٤٤]، وفائدة إغلاقها إلى وقت مجيئهم تهويل شأنها، وإيقاد حرها.

قال في «أسئلة الحكم»: أهل النار يجدونها مغلقة الأبواب كما هي حال السجون، فيقفون هناك حتى يفتح لهم إهانة لهم وتوبيخاً.

يقول الفقير: هذا من قبيل العذاب الروحاني، وهو أشد من العذاب الجسماني، فليس

وقوفهم عند الأبواب أولى لهم من تعجيل العذاب يؤيده أن الكافر حين يطول قيامه في شدة وزحمة وهول، يقول: يا رب أرحني ولو كان بالنار.

وفيه إشارة إلى الأوصاف الذميمة النفسانية السبعة: وهي الكبر والبخل والحرص والشهوة والحسد والغضب والحقد، فإنها أبواب جهنم وكل من يدخل فيها لا بد له من أن يدخل من باب من أبوابها، فلا بد من تزكيتها وتخلية النفس عنها. ﴿**وقال لهم خزنتها**﴾ تقريعاً وتوبيخاً في الإيلام والتوجيع واحدها خازن، وهو حافظ الخزانة وما فيها. والمراد: حفظة جهنم وزبانيتها وهم: الملائكة الموكلون بتعذيب أهلها.

﴿**ألم يأتكم رسل منكم**﴾ من جنسكم آدميون مثلكم ليسهل عليكم مراجعتهم وفهم كلامهم. ﴿**يتلون عليكم آيات ربكم**﴾، وهو ما أنزل الله على الأنبياء. ﴿**وينذرونكم**﴾ يخوفونكم. ﴿**لقاء يومكم هذا**﴾؛ أي: وقتكم هذا، وهو وقت دخولهم النار لا يوم القيامة. وذلك لأن الإضافة اللامية تفيد الاختصاص، ولا اختصاص ليوم القيامة بالكفار. وقد جاء استعمال اليوم والأيام مستفيضاً في أوقات الشدة، فلذلك حمل على الوقت.

وفيه دليل على أنه لا تكليف قبل الشرع من حيث إنهم عللوا توبيخهم بإتيان الرسل وتبليغ الكتب. ﴿**قالوا بلى**﴾. قد أتونا وتلوا علينا. وأنذرونا فأقرّوا في وقت لا ينفعهم الإقرار والاعتراف. ﴿**ولكن حقت**﴾: وجبت ﴿**كلمة العذاب**﴾، وهي قوله تعالى لإبليس: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ۝٨٥﴾ [ص: ٨٥]. ﴿**على الكافرين**﴾: وقد كنا ممن تبع إبليس، فكذبنا الرسل. وقلنا: ما نزل الله من شيء إن أنتم إلا تكذبون.

امروز قدر بند عزيزان شناختيم

﴿**قيل ادخلوا أبواب جهنم خالدين فيها**﴾؛ أي: مقدراً خلودكم فيها وإبهام القائل لتهويل المقول.

وفيه إشارة إلى أن الحكمة الإلهية اقتضت إظهاراً لصفة القهر أن يخلق النار، ويخلق لها أهلاً، كما أنه تعالى خلق الجنة وخلق لها أهلاً إظهاراً لصفة اللطف، فلهذه الحكمة. قيل في الأزل قهراً وقسراً: ادخلوا أبواب جهنم. وهي الصفات الذميمة السبع التي مرّ ذكرها خالدين فيها بحيث لا يمكن الخروج من هذه الصفات الذميمة بتبديلها كما يخرج المتقون منها.

﴿**فبئس مثوى المتكبرين**﴾؛ أي: بئس منزل المتكبرين عن الإيمان والطاعة والحق جهنم. وبالفارسية: [بد آرا مكاهست متكبرا نرا دوزخ]. واللام: للجنس، ولا يقدح ما فيه من الإشعار بأن كونهم مثواهم جهنم لتكبرهم عن الحق في أن دخولهم النار بسبق كلمة العذاب عليهم، فإنها إنما حقت عليهم بناء على تكبرهم وكفرهم فتكبرهم وسائر مقابحهم مسببة عن ذلك السبق.

وفيه إشارة إلى أن العصاة صنفان: صنف منهم متكبرون، وهم المصرون متابعو إبليس فلهم الخلود في النار. وصنف منهم متواضعون، وهم التائبون متابعو آدم، فلهم النجاة. وبهذا الدليل ثبت أن ليس ذنب أكبر بعد الشرك من الكبر، بل الشرك أيضاً يتولد من الكبر كما قال تعالى: ﴿أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤]. وهذا تحقيق قوله تعالى: (الكبرياء ردائي والعظمة إزاري فمن نازعني فيهما ألقيته في النار). ولهذا المعنى قال ﷺ: «لا يدخل الجنة من كان في قلبه مثقال ذرة من الكبر»، فقال رجل: إن الرجل يحب أن يكون ثوبه حسناً ونعله

حسناً. قال: «إن الله جميل يحب الجمال». الكبر: بطر الحق وغمط الناس؛ أي: تضييع الحق في أوامر الله ونواهيه، وعدم تقاته واستحقار الناس وتعييبهم.

ذكر الخطابي في تأويل الحديث وجهين:

أحدهما: أن المراد التكبر عن الإيمان. والثاني: أن ينزع عنه الكبر بالتعذيب، أو بالعفو، فلا يدخل الجنة مع أن يكون في قلبه مثقال ذرة منه كما قال تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ﴾ [الأعراف: ٤٣]، ويمكن أن يقال: معناه أن الكبر مما لو جازى الله بأدنى مقداره لكان جزاؤه عدم دخول الجنة، ولكن تكرم بأن لا يجازي به، بل يدخل كل موحد الجنة كذا في «شرح المشارق» لابن الملك.

يقول الفقير: إن الحديث واقع بطريق التغليظ والتشديد. والوجه الثاني للخطابي بعيد لكون جميع الخطايا كذلك، فلا معنى حينئذٍ للتخصيص. قال المولى الجامي:

جمعست خيرها همه درخانه ونيست آن خانه راكليد بغير از فروتنى

شرها بدين قياس بيك خانه است جمع وانرا كليد نيست بجز مائى ومنى

﴿وَسِيقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّىٰ إِذَا جَاءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ ﴿٧٣﴾﴾.

﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة﴾ حال كونهم. **﴿زمراً﴾** جماعات متفاوتين حسب تفاوت مراتبهم في الفضل وعلو الطبقة، وذلك قبل الحساب أو بعده يسيراً، أو شديداً، وهو الموافق لما قبل الآية من قوله: **﴿ووضع الكتاب﴾** والسائقون: هم الملائكة بأمر الله تعالى يسوقونهم مساق إعزاز وتشريف بلا تعب ولا نصب، بل بروح وطرب للإسراع بهم إلى دار الكرامة.

والمراد: المتقون عن الشرك، فهؤلاء عوام أهل الجنة وفوق هؤلاء من قال الله تعالى فيهم: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الشعراء: ٩٠]. وفوقهم من قال فيهم: ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَٰنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾﴾ [مريم: ٨٥]. وفرق بين من يساق إلى الجنة وبين من قرب إليه الجنة. وفي الحقيقة أهل السوق هم الظالمون وأهل الزلفة المقتصدون، وأهل الوفاء السابقون.

واعلم أنه إذا نفخ في الصور نفخة الإعادة واستوى كل واحد من الناس على قبره يأتي كل منهم عمله، فيقول له: قم وانهض إلى المحشر، فمن كان له عمل جيد يشخص له عمله بغلاً. ومنهم من يشخص له عمله حماراً. ومنهم من يشخص له عمله كبشاً تارة يحمله وتارة يلقيه، وبين يدي كل واحد منهم نور شعشعاني كالمصباح وكالنجم وكالقمر وكالشمس بقدر قوة إيمانهم وصلاح حالهم، وعن يمينه مثل ذلك النور، وليس عن شمائلهم نور، بل ظلمة شديدة يقع فيها الكفار والمرتابون والمؤمن يحمد الله تعالى على ما أعطاه من النور، ويهتدي به في تلك الظلمة. ومن الناس من يسعى على قدميه وعلى طرف بنانه.

قيل لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: كيف يحشر الناس يا رسول الله، قال: «اثنان على بغير وخمسة على بغير وعشرة على بعير». وذلك أنهم إذا اشتركوا في عمل يخلق الله لهم من أعمالهم بعيراً يركبون عليه كما يبتاع جماعة مطية يتعاقبون عليها في الطريق، فاعمل هداك الله عملاً يكون لك بعيراً خالصاً من الشرك. ومنه يعلم حال التشريك في ثواب

العمل، فالأولى أن يهدى من المولى لكل ثواب على حدة من غير تشريك الآخر فيه.

روي: أن رجلاً من بني إسرائيل ورث من أبيه مالاً كثيراً، فابتاع بستاناً، فحبسه على المساكين. وقال: هذا بستاني عند الله وفرق دراهم عديدة في الضعفاء. وقال: اشترى بها من الله جواري وعبيداً وأعتق رقاباً كثيرة، وقال: هؤلاء خدمي عند الله والتفت يوماً إلى رجل أعمى يمشي تارة ويكب أخرى، فابتاع له مطية يسير عليها. وقال: هذه مطيتي عند الله أركبها. قال عليه السلام في حقه: «والذي نفسي بيده لكأنني أنظر إليها، وقد جيء بها إليه مسرجة ملجمة يركبها ويسير بها إلى الموقف»:

در خيـر بـازسـت وطـاعـت ولـيـك نه هـركس تـوانـاسـت بـر فـعـل نـيـك

﴿حتى إذا جاؤوها﴾. [تاجون بيايند به بهشت]. ﴿وفتحت أبوابها﴾؛ أي: والحال أنه قد فتحت أبوابها الثمانية لئلا يصيبهم وصب الانتظار مع أن دار الفرح والسرور لا تغلق للأضياف والوافدين باب الكرم.

فإن قلت: يرد على كون أبواب الجنان مفتحة لهم عند مجيئهم إليها قوله عليه السلام: «أنا أول من يستفتح باب الجنة».

قلت: قد حصل الفتح المقدم على الوصول بدعوته عليه السلام بالاستفتاح، ولو لم يكن دعاؤه قد سبق لما فتحت، ثم تبقى الأبواب بدعائه مفتوحة إلى أن يفرغ من الحساب، فإذا جاء أهل الجنة بعد الحساب والصراط يجدونها مفتوحة ببركة دعائه المقدم على ذلك.

وفي الحديث: «أنا أول من يقرع باب الجنة، «والجنة محرمة على جميع الأمم حتى أدخلها أنا وأمتي الأول، فالأول».

يقول الفقير: أولية الاستفتاح والقرع تمثيل لأولية الدخول، فلا حاجة إلى توجيه آخر.

وعرف كون أبواب الجنة ثمانية بالأخبار كما قال عليه السلام: «إن للجنة لثمانية أبواب ما منها بابان إلا بينهما سير الراكب سبعين عاماً وما بين كل مصراعين من مصارع الجنة مسيرة سبع سنين». وفي رواية: «مسيرة أربعين سنة». وفي رواية: «كما بين مكة وبصرى».

وقيل: عرف بواو الثمانية، وفيه أن واو الثمانية غير مطردة. وقد سبق ما يتعلق بهذه الواو في آخر سورة التوبة.

قال بعضهم: كون أبواب النار سبعة وأبواب الجنة ثمانية؛ لأن الجنة منه تعالى فضل، والنار عدل والفضل أكثر من العدل، والجنة من الرحمة والنار من الغضب والرحمة سابقة وغالبة على الغضب.

وقيل: ليس في النار إلا الجزاء، والزيادة في العذاب جور، وفي الثواب كرم. وقيل: لأن الأذان سبع كلمات، والإقامة ثمان. كذلك أبواب جهنم سبعة وأبواب الجنة ثمانية، فمن أذن وأقام غلقت عنه أبواب النيران السبعة، وفتحت له أبواب الجنة الثمانية. وجواب إذا محذوف؛ أي: كان ما كان مما يقصر عنه البيان. وقال بعضهم: وفتحت جواب إذا، والواو زائدة للإيذان بأنها كانت مفتحة عند مجيئهم. ﴿وقال لهم﴾؛ أي: للمتقين عند دخولهم الجنة. ﴿خزنتها﴾ حفظة الجنة رضوان وغيره من الملائكة. ﴿سلام عليكم﴾ من جميع المكاره والآلام، فهو خبر لا تحية.

وقال الكاشفي: [درود برشما باسلامتى وايمنى لازم حال شما]. وهذا لعوام أهل الجنة

وأما لخواصهم، فيقول الله: ﴿سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ ۝٥٨﴾ [يس: ٥٨]، فإن السلام في الجنة من وجوه: فالسلام الأول، وإن كان سلام الله، ولكن بالواسطة. والثاني: سلام خاص بلا واسطة بعد دخولهم في الحضرة. ﴿طبتم﴾ طهرتم من دنس المعاصي أو طبتم نفساً، بما أتيح لكم من النعيم [واز حضرت مرتضى كرم الله وجهه منقولست كه جون بهشتيان بدير بهشت رسند انجادر ختى بينندكه ارزيران دو جشمه بيرن مى آيدبس دريك جشمه غسل كنند ظاهر ايشان يا كيزه شود واز ديكرى بياشامند باطن ايشان منور ومطهر كردد ودرين حال ملائكة كويند باك شديد بظاهر وباطن] ﴿فادخلوها﴾؛ أي: الجنة ﴿خالدين﴾. والفاء: للدلالة على أن طيبهم سبب لدخولهم وخلودهم سواء كان طيباً بعفو أو بتعذيب إذ كل منهما مطهر، وإنما طهر ظاهرهم لحسن إقرارهم وأعمالهم البدنية وباطنهم لحسن نياتهم وعقائدهم، وفي «عرائس البقلي»: ذكر الله وصف غبطة الملائكة على منازل الأولياء والصديقين. وذلك قوله ﴿سلام عليكم طبتم﴾ أي: أنتم في مشاهدة جماله أبداً طيبين بلذة وصاله سالمين عن الحجاب، وذلك أن الله تعالى قد أحسن إلى النبيين والمرسلين وأفاضل المؤمنين بالمعارف والأحوال والطاعات والإذعان ونعيم الجنان ورضى الرحمٰن، والنظر إلى الديان مع سماع تسليمه وكلامه وتبشيره بتأييد الرضوان، ولم يثبت للملائكة مثل ذلك:

ملائك راجه سوداز حسن طاعت جو فيض عشق بر آدم فروريخت

ومن آثار العشق كونه مأموراً بالجهاد والصبر على البلايا والمحن والرزايا؛ أي: المصائب وتحمل مشاق العبادات لأجل الله تعالى، وليس للملائكة العشق ولا الابتلاء الذي هو من أحكامه، وإن كانوا يسبحون الليل والنهار لا يفترون فرب عمل يسير أفضل من تسبيح كثير، وكم من نائم أفضل من قائم وكون أجسادهم من نور، وأجساد البشر من لحم وشحم ودم لا يفضلهم عليهم في الحقيقة، فإن الله تعالى لا ينظر إلى الصور فرب ماء حياة في ظلمات. قال الصائب:

فروغ كوهر من از نزاد خورشيد ست بتيركى نتوان كرد بايمال مراد

وقال:

بر بساط بوريا سير دو عالم ميكنيم با وجودنى سوارى برق جولا نيم ما

﴿وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ ۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ۝٧٤﴾

﴿وقالوا﴾: [وكويند مؤمنان جون به بهشت درايند]. ﴿الحمد لله﴾: جميع المحامد مخصوص به تعالى. ﴿الذي صدقنا وعده﴾ [راست كرد باما وعده خود رابه بعث وثواب].

قال جعفر الصادق رضي الله عنه: هو حمد العارفين الذين استقروا في دار القرار مع الله. وقوله: الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن حمد الواصلين، قال سهل رضي الله عنه: منهم من حمد الله على تصديق وعده. ومنهم: من حمد الله لأنه يستوجب الحمد في كل الأحوال لما عرف من نعمه وما لا يعرفه وهو أبلغ لكونه حال الخواص. ﴿وأورثنا الأرض﴾ يريدون المكان الذي استقروا فيه من أرض الجنة على الاستعارة وإيراثها إعطاؤها وتمليكها مخلفة عليهم من أعمالهم، أو تمكينهم من التصرف فيما فيها تمكين الوارث فيما يرثه.

وفي «التأويلات النجمية»: صدق وعده للعوام بقوله: وأورثنا الأرض إلى آخره وصدق وعده للخواص بقوله: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] وصدق وعده لأخص الخواص بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾﴾ [القمر: ٥٤-٥٥] فنعم أجر العاملين العاشقين.

﴿نتبوأ من الجنة حيث نشاء﴾ . قال في «تاج المصادر»: [التبوء كرفتن جاى]. أخذ من المباءة، وهي المحلة ويتعدى إلى مفعول واحد، وقال أبو علي: يتعدى إلى مفعولين أيضاً. انتهى.

وبوأت له مكاناً سويته وهيأته. والمعنى بالفارسية: [جاي ميكريم از بهشت هركجامى خواهيم ونزول وقرار ميكنيم]؛ أي: يتبوأ كل واحد منا في أي مكان أراده من جنة الواسعة لا من جنة غيره على أن فيها مقامات معنوية لا يتمانع واردوها كما قال في «التفسير الكبير». قال حكماء الإسلام: الجنة نوعان: الجنات الجسمانية والجنات الروحانية. فالجنات الجسمانية لا تحتمل المشاركة. وأما الروحانية، فحصولها لواحد لا يمنع حصولها لآخرين. وفي تفسير الفاتحة للفناري رحمه الله: اعلم أن الجنة جنتان: جنة محسوسة، وجنة معنوية. والعقل يعقلهما معاً، كما أن العالم عالمان: لطيف وكثيف وغيب وشهادة، والنفس الناطقة المخاطبة المكلفة لها نعيم بما تحمله من العلوم والمعارف من طريق نظرها، ونعيم بما تحمله من اللذات والشهوات، مما تناله بالنفس الحيوانية من طريق قواها الحسية من أكل وشرب ونكاح ولباس وروائح ونغمات طيبة وجمال حسي في نساء كاعبات ووجوه حسان، وألوان متنوعة وأشجار وأنهار. كل ذلك تنقله الحواس إلى النفس الناطقة، فتلتذ به، ولو لم يلتذ إلا الروح الحساس الحيواني لا النفس الناطقة، لكان الحيوان يلتذ بالوجه الجميل من المرأة، أو الغلام بالألوان.

واعلم أن الله خلق هذه الجنة المحسوسة بطالع الأسد الذي هو الإقليد وبرجه، وهو الأسد. وخلق الجنة المعنوية التي هي روح هذه الجنة المحسوسة من الفرح الإلهي من صفة الكمال والابتهاج والسرور، فكانت الجنة المحسوسة كالجسم والمعقولة كالروح وقواه. ولهذا سماها الحق الدار الحيوان لحياتها وأهلها يتنعمون فيها حساً. ومعنى الجنة أيضاً، أشد تنعماً بأهلها الداخلين فيها، وكذا تطلب ملئها من الساكنين. وقد ورد خبر عن النبي عليه السلام: «إن الجنة اشتاقت إلى بلال وعلي وعمار وسليمان». انتهى ما في «التفسير» المذكور. وفي الخبر: «إن الجنان تستقبل إلى أربعة نفر: صائمي رمضان، وتالي القرآن وحافظي اللسان ومطعمي الجيران».

يقول الفقير: على هذا السر يدور قوله عليه السلام في حق جبل أحد بالمدينة: «أحد يحبنا ونحبه». وذلك لأنه ملحق بالجنان كسائر المواضع الشريفة، فله الحياة والإدراك، وإن كان خارجاً عن دائرة العقل الجزئي. وقال في «الأسئلة المقحمة»: كيف قال: حيث نشاء، ومعلوم أن بعضهم لا ينزل مكان غيره إلا بإذن صاحبه.

والجواب: أن هذا وأمثاله مبالغات يعبر بها عن أحوال السعة والرفاهية، ثم قد قيل: لا يخلق الله في قلوب أهل الجنة خاطراً يخالف أحكامهم التي كانوا مكلفين بها في دار الدنيا. انتهى.

وفي «الكواشي»: هذه إشارة إلى السعة والزيادة على قدر الحاجة؛ لا أن أحداً ينزل في

غير منزله. وفي «فتح الرحمٰن» روي: أن أمة محمد تدخل أولاً الجنة، فتنزل حيث تشاء منها، ثم يدخل سائر الأمم. ﴿فنعم أجر العاملين﴾: الجنة يعني: [بس نيكوست ثواب فرمان برندكان].

قال بعض الكبار: ما من فريضة ولا نافلة ولا فعل خير، ولا ترك محرم، ولا مكروه إلا وله جنة مخصوصة ونعيم خاص يناله من دخلها، وما من عمل إلا وله جنة يقع التفاضل فيها بين أصحابها. والتفاضل على مراتب، فمنها بالسن، ولكن في الطاعة والإسلام، فيفضل كبير السن على صغير السن إذا كانا على مرتبة واحدة من العمل. ومنها: بالزمان، فإن العمل في رمضان. وفي يوم الجمعة، وفي ليلة القدر. وفي عشر ذي الحجة وفي عاشوراء أعظم من سائر الزمان.

ومنها: بالمكان، فالصلاة في المسجد الحرام أفضل منها في مسجد المدينة، وهي من الصلاة في المسجد الأقصى، وهي منها في سائر المساجد.

ومنها: بالأحوال، فإن الصلاة بالجماعة أفضل من صلاة الشخص وحده.

ومنها: بنفس الأعمال، فإن الصلاة أفضل من إماطة الأذى.

ومنها: في العمل الواحد، فالمتصدق على رحمه صاحب صلة رحم وصدقة، وكذا من أهدى هدية لشريف من أهل البيت أفضل من أن يهدي لغيره، أو أحسن إليه. ومن الناس من يجمع في الزمن الواحد أعمالاً كثيرة، فيصرف سمعه وبصره ويده، فيما ينبغي في زمان صومه وصدقته، بل في زمان صلاته في زمان ذكره في زمان نيته من فعل وترك، فيؤجر في الزمن الواحد من وجوه كثيرة، فيفضل غيره ممن ليس له ذلك نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الجامعين بين صالحات الأعمال والمسارعين إلى حسنات الأفعال:

جواز جايكاه دويدن كرو   نبردى هم افتان وحيران برو
كران باد بايان بر فتندتيز   توبى دست وبا ازنشستن بخيز

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٥﴾﴾.

﴿وترى الملائكة﴾ يا محمد يوم القيامة بعد أن أحياهم الله.

وقال الكاشفي: يعني: [وقتى كه در مقعد صدق ورتبة قرب باشى بينى ملائكة را] ﴿حافين﴾: محدقين ﴿من حول العرش﴾؛ أي: حوله. ومن مزيدة أو لابتداء الحفوف. يقال: حفوا حوله حفوفاً طافوا به واستداروا. ومنه الآية؛ أي: محيطين بأحفة العرش؛ أي: جوانبه وبالفارسية: [حلقه كرفته كرد عرش وطواف كنند كان بجوانب آن]. ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾. الجملة حال ثانية أو مقيدة للأولى؛ أي: ينزهونه تعالى عما لا يليق به حال كونهم ملتبسين بحمده ذاكرين له بوصفي جلاله وإكرامه تلذذاً به يعني: يقولون: سبحان الله وبحمده.

[به تسبيح نفي ناسرا ميكننند ازذات إلٰهي وبحمد إثبات صفات سزا ميكنند ويرا وفيه اشعار بان اعلى اللذائذ].

هو الاستغراق في شؤون الحق وصفاته.

يقول الفقير: كما أن العرش يطوفه الملائكة مسبحين حامدين. كذلك الكعبة يطوفها

المؤمنون ذاكرين شاكرين، وسر الدوران: أن عالم الوحدة لا قيد فيه ولا جهات كقلب العارف. ولما كانت الكعبة صورة الذات الأحدية أمر بطوافها ودورانها، فالفرق بين الطواف وبين الصلاة، أن الطواف: إطلاق ظاهراً وباطناً والصلاة قيد ظاهراً، وإطلاق باطناً، وإنما قلنا بكونها قيداً في الظاهر، لأنه لا بد فيها من التقييد بجهة من جهات الكعبة. **﴿وقضي بينهم﴾**؛ أي: بين الخلق. **﴿بالحق﴾** بالعدل بإدخال بعضهم النار وبعضهم الجنة، أو بين الملائكة بإقامتهم في منازلهم على حسب تفاضلهم. وفي «آكام المرجان»: الملائكة، وإن كانوا معصومين جميعاً، فبينهم تفاضل في الثواب حسب تفاضل أعمالهم، وكما أن رسل البشر يفضلون على أفراد الأمة في المراتب. كذلك رسل الملائكة على سائرهم.

﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾؛ أي: على ما قضي بيننا بالحق، وأنزل كلامنا منزلته التي هي حقه. والقائلون: هم المؤمنون ممن قضي بينهم، أو الملائكة وطي ذكرهم لتعينهم وتعظيمهم.

وفي «التأويلات النجمية»: وقضي بينهم بالحق، يعني: بين الملائكة وبين الأنبياء والأولياء بما أعطي كل فرقة منهم من المراتب والمنازل ما أعطي. وقيل: يعني: وقال كل فريق منهم الحمد لله رب العالمين على ما أنعم علينا به.

وقال الكاشفي: [همجنانكه درابتدآى خلق آسمان زمين شتايش خود فرمودكه] الحمد لله الذي خلق السماوات والأرض بوقت استقرار أهل آسمان وزمين درمنازل خويش همان ستايش كرد تادانندكه در فاتحه وخاتمه مستحق حمدوثنا اوست]، يعني: ينبغي أن يحمد في أول كل أمر وخاتمته:

درخور ستايش نبود غير توكس جاكه ثنا ييست ترازيبد وبس

فإذا كان كل شيء يسبح بحمده، فالإنسان أولى بذلك، لأنه أفضل. قال بعض العارفين:

ثنا كونا ثنا يابى شكر كونا عطايابى رضاده تارضايابى وراجوتا ورايابى

وقال عليه السلام: إذا أنعم الله على عبده نعمة، فيقول العبد الحمد لله، فيقول الله: انظروا إلى عبدي أعطيته ما قدر له، فأعطاني ما لا قيمة له معناه أن الإنعام أحد الأشياء المعتادة كإطعام الجائع وإرواء العطشان وكسوة العاري. وقوله: الحمد لله معناه: أن كل حمد أتى به أحد، فهو لله، فيدخل فيه محامد ملائكة العرش والكرسي وأطباق السماء والأنبياء والأولياء والعلماء، وما سيذكرونه إلى وقت قوله. وآخر دعواهم أن الحمد لله رب العالمين، وهي بأسرها متناهية، وما لا نهاية له مما سيأتونها أبد الآباد. ولذلك قال: أعطيته نعمة واحدة لا قدر لها، فأعطاني من الشكر ما لا حد له.

قال كعب الأحبار: عوالم الله تعالى لا تحصى لقوله تعالى، ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَۚ﴾ [المدثر: ٣١]، فهو تعالى مربي الكل بما يناسب لحاله ظاهراً وباطناً نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لحمده على نعمه الظاهرة والباطنة أولاً وآخراً.

تمت سورة الزمر بعون الله الخالق القوي والقادر

في يوم السبت السابع والعشرين من شعبان المنتظم في شهور سنة ١١١٢

٤٠ ـ سورة المؤمن

مكية وآيها خمس أو ثمان وثمانون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ۝٢﴾.

﴿حم﴾: اسم للسورة ومحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: هذه السورة مسماة بـ﴿حم﴾: نزلت منزلة الحاضر المشار إليه لكونها على شرف الذكر والحضور. وقال ﷺ: «حم، اسم من أسماء الله تعالى، وكل اسم من أسماء الله تعالى مفتاح من مفاتيح خزائنه تعالى»، فمن اشتغل باسم من الأسماء الإلٰهية يحصل بينه وبين هذا الاسم؛ أي: بين سره وروحه مناسبة بقدر الاشتغال، ومتى قويت تلك المناسبة بحسب قوة الاشتغال يحصل بينه وبين مدلوله الحقيقي مناسبة أخرى، فحينئذٍ يتجلى له الحق سبحانه من مرتبة ذلك الاسم، ويفيض عليه ما شاء بقدر استعداده، وكل أسمائه تعالى أعظم عند الحقيقة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الر، وحم، ون، حروف الرحمٰن مقطعة في سور.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى القسم بسر بينه وبين حبيبه محمد عليه السلام لا يسعه فيه ملك مقرب ولا نبي مرسل. وذلك أن الحاء والميم هما: حرفان من وسط اسم الله، وهو رحمٰن وحرفان من وسط اسم نبيه وحبيبه محمد عليه السلام، فكما أن الحرفين سر اسميهما، فهما يشيران أن القسم بسر كان بينهما أن تنزيل الكتاب إلخ.

وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله في ﴿حم﴾: الحي الملك. وزاد بعضهم: بأن قال: ﴿حم﴾ فواتح أسمائه: الحليم الحميد الحق الحي الحنان الحكيم الملك المنان المجيد.

وقال الكاشفي: [حا اشارت بحكم حق كه خط ومنع ورد بروكشيده نشودوميم اما نيست بملك او كه كرد زوال وفنا كرد سر اوقات آن راه نيابد].

وقال البقلي: الحاء حياة الأزل، والميم: منهل المحبة، فمن خصه الله تعالى بقربه سقاه من عين حياته، حتى يكون حياً بحياته لا يعتريه الفناء بعد ذلك، وينطق من حاء الحياة بعبارة الحكمة، ومن ميم المحبة من إشارات العلوم المجهولة ما لا يعرفها إلا الواردون على مناهل القدم والبقاء.

وفي «شرح حزب البحر»: ﴿حم﴾: إشارة إلى الحماية، ولذلك قال عليه السلام يوم أحد: «ليكن شعاركم حم لا ينصرون»؛ أي: بحماية الله لا ينصرون؛ أي: الأعداء؛ لأن الله تعالى مولى الذين آمنوا ولا مولى للكافرين، فتحصل العناية بالحماية، والحماية من حضرة الأفعال. ويقال: ﴿حم﴾ الأمر بضم الحاء وتشديد الميم؛ أي: قضي وقدر، وتم ما هو كائن

أو ﴿حم﴾: أمر الله؛ أي: قرب أو يوم القيامة. قال: قد حم يومي فسر قوم.
قوم بهم غفلة ونوم.

قال في «كشف الأسرار»: [حا اشارتست بمحبت وميم اشارتست بمنت ميكويد اى بحاى محبت من دوست كشته نه به هنر خود اى بميم منت من مرا يافته نه بطاعت خود اى من ترا دوست كرفته وتومرا نشاخته اى من ترا خواسته وتومرا نادانسته اى من ترابوده وتومرا بوده صد هزار كس بردر كاه ما ايستاده مارا خواستند ودعاها كردند بايشان التفات نكرديم وشمارا اى امت أحمد بى خواست شما كفت]. أعطيتكم قبل أن تسألوني، وأجبتكم قبل أن تدعوني وغفرت لكم قبل أن تستغفروني. [آن رغبت وشوق أنبياء كذشته بتوتا خليل مى كفت].

واجعل لي لسان صدق في الآخرين. [وكليم ميكفت]. اجعلني من أمة محمد. [نه ازان بودكه افعال توبا ايشان شرح داديم كه اكر افعال شما با ايشان كفتيم همه دامن ازشما درجيدندى ليكن أزان بود كه افضال وانعام خود باشما ايشانرا شرح داديم بيش از شما وهركرا بر كزيديم يكان يكان بركزيديم جنانكه اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران جون نوبت شمارا رسيد على العموم والشمول كفتيم كنتم خير أمة همه بركزيد كان ما آيد جاى ديكر كفت اصطفينا من عبادنا در تحت اين خطاب هم زاهد وهم عابداست هم ظالم وهم مظلوم].

روى موسى عليه السلام قال: يا رب هل أكرمت أحداً مثل ما أكرمتني، أسمعتني كلامك، فقال تعالى: إن لي عباداً أخرجهم في آخر الزمان وأكرمهم بشهر رمضان، وأنا أكون أقرب إليهم منك، فإني كلمتك بيني وبينك سبعون ألف حجاب، فإذا صامت أمة محمد وابيضت شفاههم واصفرت ألوانهم أرفع تلك الحجب وقت إفطارهم:

روزى كه سراز برده برون خواهى كرد   دانم كه زمانه رازبون خواهى كرد
كرزيب وجمال ازين فزون خواهى كرد   يا رب جه جكر هاست كه خون خواهى كرد

يا موسى طوبى لمن عطش كبده وجاع بطنه في رمضان، فإني لا أجازيهم دون لقائي، وخلوف فمهم عندي أطيب من ريح المسك، ومن صام يوماً استوجب ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر. قال موسى: أكرمني بشهر رمضان. قال تعالى: هذه لأمة محمد عليه السلام، فانظر لإكرامه تعالى وحمايته لهذه الأمة المرحومة، فإنها بين الأمم بهذه الكرامة موسومة، بل كلها منها محرومة.

﴿تنزيل الكتاب﴾: خبر بعد خبر على أنه مصدر أطلق على المفعول؛ أي: المنزل مبالغة.

﴿من الله﴾: صلة للتنزيل. والأظهر أن تنزيل مبتدأ، ومن الله خبره، فيكون المصدر على معناه. وقوله: من الله؛ أي: لا كما يقوله الكفار من أنه اختلقه محمد.

﴿العزيز العليم﴾: لعل تخصيص الوصفين لما في القرآن من الإعجاز وأنواع العلم الدالين على القدرة الكاملة والعلم البالغ.

وفي «فتح الرحمٰن»: الذي لا مثل له العليم بكل المعلومات.

وقال الكاشفي: [العزيز خداى تعالى غالب كه قادر است به تنزيل آن العليم دانا بهر جه فرستاد بهركس در هر وقت].

﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ وَقَابِلِ ٱلتَّوۡبِ شَدِيدِ ٱلۡعِقَابِ ذِى ٱلطَّوۡلِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ إِلَيۡهِ ٱلۡمَصِيرُ ۝٣﴾

﴿غافر الذنب﴾: صفة أخرى للجلالة والإضافة حقيقية؛ لأنه لم يرد به زمان مخصوص؛ لأن صفات الله أزلية منزهة عن التجدد والتقيد بزمان دون زمان، وإن كان تعلقها حادثاً بحسب حدوث المتعلقات كالذنب في هذا المقام، واسم الفاعل يجوز أن يراد به الاستمرار بخلاف الصفة المشبهة. والغافر: الساتر والذنب: الإثم. يستعمل في كل فعل يضر في عقباه اعتباراً بذنب الشيء؛ أي: آخره. ولم يقل غافر الذنوب بالجمع إرادة للجنس، كما في الحمد لله.

والمعنى: ساتر جمع الذنوب صغائرها وكبائرها بتوبة وبدونها، ولا يفضح صاحبها يوم القيامة، كما يقتضيه مقام المدح العظيم.

﴿وقابل التوب﴾: [القبول بذير فتن]. والقابل: الذي يستقبل الدلو من البئر، فيأخذها. والقابلة: التي تقبل الولد عند الولادة. وقبلت عذره وتوبه وغير ذلك. والتوب: مصدر كالتوبة، وهو ترك الذنب على أحد الوجوه، وهو أبلغ وجوه الاعتذار، فإن الاعتذار على ثلاثة أوجه: إما أن يقول المعتذر: لم أفعل أو يقول: فعلت لأجل كذا، أو فعلت وأسأت. وقد أقلعت ولا رابع لذلك. وهذا الثالث: هو التوبة. والتوبة في الشرع: هو ترك الذنب لقبحه، والندم على ما فرط منه، والعزيمة على ترك المعاودة وتدارك ما أمكنه أن يتدارك من الأعمال بالإعادة، فمتى اجتمعت هذه الأربعة، فقد كملت شرائط التوبة، فالتوبة: هي الرجوع عما كان مذموماً في الشرع إلى ما هو محمود في الدين. والاستغفار: عبارة عن طلب المغفرة بعد رؤية قبح المعصية، والإعراض عنها، فالتوبة: مقدمة على الاستغفار. والاستغفار لا يكون توبة بالإجماع ما لم يقل معه: تبت وأسأت، ولا أعود إليه أبداً، فاغفر لي يا رب، وتوسيط الواو بين الغافر والقابل، لإفادة الجمع بين محو الذنوب وقبول التوبة في موصوف واحد بالنسبة إلى طائفة هي طائفة المذنبين التائبين، فالمغفرة بمحو الذنوب بالتوبة والقبول بجعل تلك التوبة طاعة مقبولة يثاب عليها، فقبول التوبة كناية عن أنه تعالى يكتب تلك التوبة للتائب طاعة من الطاعات، وإلا لما قبلها؛ لأنه لا يقبل إلا ما كان طاعة، أو لتغاير الوصفين إذ ربما يتوهم الاتحاد، بأن يذكر الثاني لمجرد الإيضاح والتفسير، أو التغاير موقع الفعلين ومتعلقهما؛ لأن الغفر هو الستر مع بقاء الذنب، وذلك لمن لم يتب من أصحاب الكبائر، فإن التائب من الذنب كمن لا ذنب له، والقبول بالنسبة إلى التائبين عنها.

وفي «الأسئلة المقحمة»: قدم المغفرة على التوبة رداً على المعتزلة، ليعلم أنه تعالى ربما يغفر من غير توبة. وفي «كشف الأسرار»: [توبه مؤخر آمد وغفران مقدم بر مقتضاى فضل وكرم اكر من كفتى توبه بذيرم بس كناه آمر زم خلق بنداشتنديكه تا از بنده توبة نبود از الله مغفرت نيايد نخست بيا مرزم وآنكه توبه بذيرم تا عالميان دانند جنانكه بتوبه آمرزم اكر توبه مقدم غفرن بودى توبه علت غفران بودى وغفران مارا علت نيست وفعل ما بحيلة نيست نخست بيامرزم وبزلال افضال بنده را باك كردانم تا جون قدم بربساط ما نهد برباكى نهد جون كر ما آيد بصفت باكى آيدهما نست كه جاى ديكر كفت «ثم تاب عليهم ليتوبوا» غافرم آن عاصى راكه توبه نكرد قابلم آنراكه توبه كرد مراد از غفران ذنب درين موضع غفران ذنب غير تائبست بدليل آنكه واو عطف درميان آورد ومعطوف ديكر باشد ومعطوف عليه ديكر ليكن

هردورا حكم يكسان باشد جنانكه كويى جاءني زيد وعمرو زيد ديكرست وعمرو ديكر لكن هر دورا حكم يكيست در آمدن اكر حكم مخالف بودى عطف خطا بودى واكر هر دويكى بودى هر دو غلط بودى ﴿شديد العقاب﴾]. اسم فاعل كما قبله مشدد العقاب كأن ذين بمعنى مؤذن، فصحّ جعله نعتاً للمعرفة حيث يراد به الدوام والثبوت، وليس بصفة مشبهة حتى تكون الإضافة لفظية بأن يكون من إضافة الصفة إلى فاعلها، ولئن سلم، فالمراد: الشديد عقابه باللام، فحذفت للازدواج مع غافر الذنب وقابل التوب في الخلو عن الألف واللام.

قال في «كشف الأسرار»: [أول صفت خود كرد وكفت غافر الذنب وقابل التوب وصفت أو محل تصرف نيست بذيرنده تغيير وتبديل نيست بس جون حديث عقوبت كرد شديد العقاب كفت شديد صفت عقوبت نهاد وعقوبت محل تصرف هست وبذيرنده تبديل وتغيير هست كفت سخت عقوبتهم لكن اكر خواهم سست كنم وآنرا بكر دانم كه دران تصرف كنجد تغيير وتبديل بذيرد].

﴿ذي الطول﴾: الطول بالفتح: الفضل يقال: لفلان على فلان طول؛ أي: زيادة وفضل. وأصل هذه الكلمة من الطول الذي هو خلاف القصر؛ لأنه إذا كان طويلاً، ففيه كمال وزيادة، كما أنه إذا كان قصيراً، ففيه قصور ونقصان وسمي الغنى أيضاً طولاً؛ لأنه ينال به من المرادات ما لا ينال عند الفقر، كما أنه بالطول ينال ما لا ينال بالقصر كذا في تفسير الإمام في سورة النساء.

والمراد ها هنا الفضل بترك العقاب المستحق، وإيراد صفة واحدة في جانب الغضب بين صفات الرحمة دليل سبقها ورجحانها.

وفي «عرائس البقلي»: غافر الذنب يستر ذنوب المؤمنين بحيث ترفع عن أبصارهم حتى ينسوها، ويقبل عذرهم حين افتقروا إليه بنعت الاعتذار بين يديه شديد العقاب لمن لا يرجع إلى المآب؛ بأن عذبه بذل الحجاب ذي الطول، لأهل الفناء بكشف الجمال.

وفي «الوسيط»: نقلاً عن ابن عباس رضي الله عنهما: الذنب لمن يقول: لا إله إلا الله، وهم أولياؤه وأهل طاعته، وقابل التوب من الشرك، شديد العقاب لمن لا يوحده ذي الطول ذي الغنى عما لا يوحده، ولا يقول: لا إله إلا الله.

وفي «كشف الأسرار»: [سنت خداوندست بنده رابآيت وعيد ترساند تابنده دران شكسته وكوفته كردد سوزى وكذا رى در بندكى بنمايد زارى وخوارى برخود نهد آنكه رب العزة بنعت رأفت ورحمت بآيت وعد تدارك دل وى كند وبفضل ورحمت خود اورا بشارت دهد بنده در سماع شديد العقاب بسوزد وبكدازد وبزبان انكسار كويد]:

برز آب دو ديده وبر آتش جكرم ... يرباد دو دستم وبر از خاك سرم

[باز در سماع ذي الطول بنازد ودل بيفر وزد بزبان افتخار كويد]:

جه كند عرش كه اوغاشيه من نكشد ... جون بدل غاشيه حكم قضاى تو كشم

[أبو بكر الشبلي قدس سره يكروز جون مبارزان دست أندازان همى رفت ومى كفت]، لو كان بيني وبينك بحار من نار لخضتها [اكر درين راه صدر هزار درياى آتشست همه بديده كذاره كنم وباك ندارم ديكر روز أورا ديدند كه مى آمد سر فرو افكنده جون محرومى درمانده نرم ميكفت المستغاث منك بك فرياد از حكم توزنهار از قهر تونه باتو امر آرام نه بى توكارم بنظام نه روى آنكه باز آيم نه زهره آنكه بكريزم]:

وكرباز آيم همى نه بينم جاهى ... وربكر يزم همى نه دانم راهى

[كفتند اى شبلى آن دى جه بود امر وزجيست كفت آرى جغدكه طاوس رانه بيندلاف جمال زند لكن جغد جغدست وطاوس طاوس ﴿لا إله إلا هو﴾ هيج خداى نيست كه مستحق برستش باشد مكروا]. فيجب الإقبال الكلي على طاعته في أوامره ونواهيه.

﴿إليه﴾ تعالى فحسب لا إلى غيره لا استقلالاً ولا اشتراكاً. ﴿المصير﴾؛ أي: رجوع الخلق في الآخرة، فيجازي كلاً من المطيع والعاصي.

وفي «التأويلات النجمية» غافر الذنب لأوليائه بأن يتوب عليهم وقابل التوب؛ بأن يوفقهم للإخلاص في التوبة؛ لأنهم مظاهر صفات لطفه شديد العقاب لمن لا يؤمن ولا يتوب؛ لأنهم مظاهر صفات قهره ذي الطول لعموم خلقه بالإيجاد من العدم وإعطاء الحياة والرزق. وأيضاً: غافر الذنب لظالمهم وقابل التوب لمقتصدهم شديد العقاب لمشركهم ذي الطول لسابقهم. ولما كان من سنة كرمه أن سبقت رحمته غضبه غلبت ها هنا أسامي صفات لطفه على اسم صفة قهره، بل من عواطف إحسانه ومراحم طوله وإنعامه جعل اسم صفة قهره بين ثلاثة أسماء من صفات لطفه، فصار ﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾﴾ [الرحمان: ١٩-٢٠]، فإذا هبت رياح العناية من مهب الهداية وتموج البحران، فيتلاشى البرزخ باصطكاك البحرين، ويصير الكل بحراً واحداً، وهو بحر: لا إله إلا هو، إليه المصير، فإذا كان إليه المصير، فقد طاب المسير.

[عمر بن الخطاب رضي الله عنه دوستى داشت باوى برادر كفته دردين مردى عاقل بارسا ومتعبد رفتى آن دوست بشام بودوكسى از نزديك وى آمده بود عمر رضي الله عنه حال آن دوست ازوى برسيد كفت جه ميكندان برادرما وحال وى جيست اين مرد كفت أو برادر إبليس است نه برادر تو يعنى كه فترنى درراه وى آمده وسر نهاده در خمر وزمرو انواع فساد عمر كفت جون باز كردى مرا خبر كن تابوى نامة نويسم بس اين نامه نوشت].

بسم الله الرحمٰن الرحيم من عبد الله عمر إلى فلان ابن فلان سلام عليك إني أحمد إليك الله الذي لا إله، إلا هو غافر الذنب وقابل التوب، شديد العقاب ذا الطول لا إله إلا هو إليه المصير. [جون آن نامه بوى رسيد صدق الله ونصح عمر كلام خدارا ستست ونصيحت عمر نيكو بسيار بكريست وتوبه كرد وحال وى نيكوشد بعد ازان عمر ميكفت هكذا افعلوا بأخيكم إذا زاغ سددوه]. ولا تكونوا عليه عوناً للشيطان. وفيه إشارة إلى أنه لا يهجر الأخ بذنب واحد بل ينصح.

﴿مَا يُجَٰدِلُ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَلَا يَغْرُرْكَ تَقَلُّبُهُمْ فِي ٱلْبِلَٰدِ ﴿٤﴾﴾.

﴿ما يجادل في آيات الله﴾.

الجدال: المفاوضة على سبيل المنازعة والمغالبة، ومعنى المفاوضة بالفارسية [كارى راندن باكسى].

وأصله من جدلت الحبل أحكمت فتله فكأنه المتجادلين يفتل كل واحد الآخر عن رأيه. قال أبو العالية: نزلت في الحارث بن قيس أحد المستهزئين. [يعنى از جمله مستهزيان بود وسخت خصومت بباطل درانكار وتكذيب قرآن].

والمعنى: ما يخاصم في آيات الله بالطعن فيها بأن يقول في حقها سحراً وشعراً وأساطير

الأولين، أو نحو ذلك وباستعمال المقدمات الباطلة لإدحاضه وإزالته وإبطاله لقوله تعالى: ﴿وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ﴾ [غافر: ٥]، فحمل المطلق على المقيد وأريد الجدال بالباطل.

﴿إلا الذين كفروا﴾ بها، وأما الذين آمنوا، فلا يخطر ببالهم شائبة شبهة منها فضلاً عن الطعن فيها، وأما الجدال فيها لحلّ مشكلاتها واستنباط حقائقها، وإبطال شبه أهل الزيغ والضلال، فمن أعظم الطاعات كجهاد في سبيل الله. ولذلك قال عليه السلام: إن جدالاً في القرآن كفر بتنكير جدالاً. الدال على التنويع للفرق بين جدال وجدال. ومما حرره حضرة شيخي وسندي في مجموعة من مجموعات هذا الفقير في ذيل هذه الآية، قوله: فكفار الشريعة يجادلون في آيات القرآن الرسمي، فيكون جدالهم رسمياً لكونه في الآيات الرسمية، فهم كفار الرسوم كما أنهم كفار الحقائق وكفار الحقيقة يجادلون في آيات القرآن الحقيقي. فيكون جدالهم حقيقياً لكونه في الآيات الحقيقية، فهم كفار الحقائق فقط لا كفار الرسوم، فعليك يا ولدي الحقي سمي الذبيح بترك الكفر والجدال مطلقاً حتى تكون عند الله، وعند الناس مؤمناً حقاً ومسلماً صدقاً هذا سبيل الصواب والرشاد، وإليه الدعوة والإرشاد وعلينا وعليكم القبول والاسترشاد، وهو الفرض الواجب على جميع العباد. انتهى.

﴿فلا يغررك تقلبهم في البلاد﴾. الفاء: جواب شرط محذوف والغرة غفلة في اليقظة والتقلب بالفارسية: [كرديدن].

قال في «المفردات» التقلب: التصرف والبلاد شهرها. قال الراغب: البلد المكان المحدود المتأثر باجتماع قطانه وإقامتهم فيه وجمعه بلاد وبلدان.

والمعنى: فإذا علمت أنهم محكوم عليهم بالكفر فلا يغررك إمهالهم وإقبالهم في دنياهم وتقلبهم في بلاد الشام واليمن للتجارات المربحة، وهي رحلة الشتاء والصيف.

يعني: [بدل مبارك ايشانرا فرصتى ومهلتى هست].

فإنهم مأخوذون عما قريب بسبب كفرهم أخذ من قبلهم من الأمم، كما قال: كذبت. إلخ.

قال في «عين المعاني»: فلا يغررك أيها المغرور. والمراد: غيره صلى الله تعالى عليه وسلم خطاب للمقلدين من المسلمين. انتهى. وفي الآية إشارة إلى أن أهل الحرمان من كرامات أولياء الله وذوق مشاربهم ومقاماتهم يصرون على إنكارهم تخصيص الله عباده بالآيات، ويعترضون عليهم بقلوبهم، فيجادلون في جحد الكرامات، وسيفتضحون كثيراً، ولكنهم لا يميزون بين رجحانهم ونقصانهم، فلا يغررك تقلبهم في البلاد لتحصيل العلوم، فإن تحصيل العلوم، إذا كان مبنياً على الهوى والميل إلى الدنيا، فلا يكون له نور يهتدي به إلى ما خصص به عباده المخلصين. قال المولى الجامي:

بيجاره مدعى كند اظهار علم وفضل ... نشناخته قبول ودرجيـ ازردى

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَعْدِهِمْ ۖ وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍۭ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ ۖ وَجَٰدَلُواْ بِٱلْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُواْ بِهِ ٱلْحَقَّ فَأَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۝٥ وَكَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ۝٦﴾

﴿كذبت قبلهم﴾ ؛ أي: قبل قريش. **﴿قوم نوح والأحزاب من بعدهم﴾** ؛ أي: الذين تحزبوا على الرسل وعادوهم وحاربوهم بعد قوم نوح مثل عاد وثمود وأضرابهم. وبدأ بقوم نوح إذ كان أول رسول في الأرض؛ لأن آدم إنما أرسل إلى أولاده. **﴿وهمت﴾** قصدت عند الدعاء والهم عقد القلب على فعل شيء قبل أن يفعل من خير أو شر. **﴿كل أمة﴾** من تلك الأمم المعاتبة. **﴿برسولهم﴾** .

قال في «الأسئلة المقحمة»: لم يقل برسولها؛ لأنه أراد بالأمة ها هنا الرجال دون النساء وبذلك فسروه. وقال في «عين المعاني»: برسولهم تغليب للرجال **﴿ليأخذوه﴾** من الأخذ بمعنى الأسر. والأخيذ: الأسير؛ أي: ليأسروه ويحبسوه ليعذبوه أو يقتلوه. بالفارسية: [تانكيرند اورا وهر آزاركه خواهند بوى رسانند].

وفيه إشارة إلى أن كل عصر يكون فيه صاحب ولاية لا بد له من أرباب الجحود والإنكار وأهل الاعتراض كما كانوا في عهد كل نبي ورسول. **﴿وجادلوا﴾** : [وخصومت كردند با بيغمبران خود]. **﴿بالباطل﴾** : الذي لا أصل ولا حقيقة له أصلاً. قال في «فتح الرحمٰن»: الباطل ما كان فائت المعنى من كل وجه مع وجود الصورة، إما لانعدام الأهلية، أو لانعدام المحلية كبيع الخمر وبيع الصبي.

﴿ليدحضوا به الحق﴾ ؛ أي: ليزيلوا بذلك الباطل الحق الذي لا محيد عنه كما فعل هؤلاء. **﴿فأخذتهم﴾** بالإهلاك جزاء لهمهم بالأخذ. **﴿فكيف كان عقاب﴾** ؛ أي: عقابي الذي عاقبتهم به فإن آثار دمارهم كما ترونها حين تمرون على ديارهم عبرة للناظرين، ولآخذن هؤلاء أيضاً لاتحادهم في الطريقة واشتراكهم في الجريمة كما ينبىء عنه قوله:

﴿وكذلك حقت كلمة ربك﴾ ؛ أي: كما وجب وثبت حكمه تعالى وقضاؤه بالتعذيب على أولئك الأمم المكذبة المتحزبة على رسلهم المجادلة بالباطل لإدحاض الحق به وجب أيضاً.

﴿على الذين كفروا﴾ ؛ أي: كفروا ربك وتحزبوا عليك وهموا بما لم ينالوا، فالمقصود عبارة عن كفار قومه عليه السلام، وهم قريش لا عن الأمم المهلكة. **﴿أنهم أصحاب النار﴾** في حيز النصب بحذف لام التعليل، وإيصال الفعل؛ أي: لأنهم مستحقو أشد العقوبات وأفظعها التي هي عذاب النار وملازموها أبداً لكونهم كفاراً معاندين متحزبين على الرسول عليه السلام كدأب من قبلهم من الأمم المهلكة، فهم لسائر فنون العقوبات أشد استحقاقاً وأحق استيجاباً فعلة واحدة تجمعهم، وهي أنهم أصحاب النار. وقيل: في محل الرفع على أنه بدل من كلمة ربك بدل الكل.

والمعنى: مثل ذلك الوجوب، وجب على الكفرة المهلكة كونهم من أصحاب النار؛ أي: كما وجب إهلاكهم في الدنيا بعذاب الاستئصال كذلك وجب تعذيبهم بعذاب النار في الآخرة. فالتشبيه واقع حالتيهم، والجامع للطرفين إيجاب العذاب ومحل الكاف على التقديرين النصب على أنه نعت لمصدر محذوف في الآية إشارة إلى أن الإصرار مؤدي إلى الأخذ والانتقام في الدنيا والآخرة، فعلى العاقل أن يرجع إلى الله ويتوب ويتعظ بغيره قبل أن يتعظ الغير به:

جو بر كشته بختى درافتد به بند ... ازو نيك بختان بكيرند بند

تو بيش از عقوبت در عفو كوب ... كه سودى ندارد فغان زير جوب

عصمنا الله وإياكم من أسباب سخطه.

﴿ٱلَّذِينَ يَحۡمِلُونَ ٱلۡعَرۡشَ وَمَنۡ حَوۡلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمۡدِ رَبِّهِمۡ وَيُؤۡمِنُونَ بِهِۦ وَيَسۡتَغۡفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا فَٱغۡفِرۡ لِلَّذِينَ تَابُواْ وَٱتَّبَعُواْ سَبِيلَكَ وَقِهِمۡ عَذَابَ ٱلۡجَحِيمِ ٧﴾

﴿**الذين يحملون العرش**﴾. العرش: هو الجسم المحيط بجميع الأجسام سمي به لارتفاعه أو للتشبيه بسرير الملك في ممكنه عليه عند الحكم لنزول أحكام قضائه وقدره منه، ولا صورة ولا جسم ثمة، وهو الفلك التاسع خلقه الله من جوهرة خضراء وبين القائمتين من قوائمه خفقان الطير المسرع ثمانين ألف عام.

والمراد: أن حملة العرش أفضل كما أن خادم أشرف الكائنات مطلقاً، وهو جبرائيل الخادم للنبي عليه السلام أشرف. وفي الحديث: «إن الله أمر جميع الملائكة أن يغدوا ويروحوا بالسلام على حملة العرش تفضيلاً لهم على سائرهم. وهم: أربعة من الملائكة يسترزق أحدهم لبني آدم، وهو في صورة رجل. والثاني: للطيور، وهو في صورة نسر. والثالث: للبهائم، وهو في صورة ثور. والرابع: للسباع، وهو في صورة أسد وبينهم وبين العرش سبعون حجاباً من نور، وإذا كان يوم القيامة يكون حملته ثمانية، دل عليه قوله تعالى، ﴿وَيَحۡمِلُ عَرۡشَ رَبِّكَ فَوۡقَهُمۡ يَوۡمَئِذٖ ثَمَٰنِيَةٞ﴾ [الحاقة: ١٧].

وفي بعض الروايات: كلهم في صورة الأوعال، والعرش على قرونهم أو على ظهورهم، لما أخرجه الترمذي وأبو داود في حديث طويل آخره، ثم فوق السابعة بحر بين أعلاه وأسفله كما بين سماء إلى سماء وفوق ذلك ثمانية أوعال بين أظلافهن وركبهن ما بين سماء إلى سماء ثم فوق ظهورهن العرش بين أسفله وأعلاه مثل ما بين سماء إلى سماء وفي الحديث: «أذن لي ربي أن أحدث عن ملك من حملة عرشه ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام. وروي: أن حملة العرش أرجلهم في الأرض السفلى ورؤوسهم قد خرقت العرش، وهم خشوع لا يرفعون طرفهم، وهم أشد خوفاً من أهل السماء السابعة. وكل أهل سماء أشد خوفاً من أهل السماء التي دونها.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: لما خلق الله تعالى حملة العرش قال لهم: احملوا عرشي، فلم يطيقوا، فخلق كل ملك من أعوانهم مثل جنود من في السماوات والأرض من الملائكة والخلق، فلم يطيقوا، فخلق مثل ما خلق عدد الحصى والثرى، فلم يطيقوا، فقال جلّ جلاله: قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله، فلما قالوا: استقلوا العرش فنفذت أقدامهم في الأرض السابعة على متن الثرى، فقال ابن عباس رضي الله عنهما: قال رسول الله ﷺ: «لا تتفكروا في عظمة ربكم ولكن تفكروا في خلقه، فإن خلقاً من الملائكة يقال له: إسرافيل زاوية من زوايا العرش على كاهله وقدماه في الأرض السفلى، فإنه ليتضاءل من عظمة الله حتى يصير كالوصع ـ وهو بالصاد المهملة الساكنة ـ وتحرك طائر أصغر من العصفور»، كما في القاموس. وإن الله خلق العرش من جوهرة خضراء له ألف ألف رأس وستمائة ألف رأس، في كل رأس ألف ألف وستمائة ألف لسان يسبح بألف ألف لغة، ويخلق الله بكل لغة من لغات العرش خلقاً في ملكوته يسبحه ويقدسه بتلك اللغة، والعرش يكسى كل يوم سبعين ألف لون من نور لا يستطيع أن ينظر إليه خلق من خلق الله، والأشياء كلها في العرش كحلقة ملقاة في فلاة، واحتجب الله بين العرش وحامليه سبعين حجاباً من نار وسبعين حجاباً من ماء وسبعين حجاباً

من ثلج وسبعين حجاباً من درّ أبيض وسبعين حجاباً من زبرجد أخضر، وسبعين حجاباً من ياقوت أحمر، وسبعين من نور، وسبعين من ظلمة، ولا ينظر أحدهم إلى العرش مخافة أن يصعق.

يقول الفقير: دل ما ذكر من الروايات على أن حملهم إياه؛ أي: العرش محمول على حقيقته، وليس بمجاز عن حفظهم وتدبيرهم كما ذهب إليه بعض المفسرين، ولعمري كونه مع سعة دائرته، وعظم محله على قرون الملائكة، أو على ظهورهم أو على كواهلهم أدل على كمال عظمة الله وجلال شأنه، فالملائكة الأربعة اليوم، والثمانية يوم القيامة، كالأسطوانات له، فكما أن القصر محمول على الأسطوانات، فكذا العرش محمول على الملائكة، فلا ينافي ذلك ما صحّ من قوائمه، وكونه بحيث يحيط الأجسام؛ لأنه يجوز أن يكون معلقاً في الحقيقة وأن الملائكة تحمله بالكلية. ﴿**ومن حوله**﴾: في محل الرفع بالعطف على قوله: الذين. وحول الشيء جانبه الذي يمكنه أن يحول إليه ومحل الموصول الرفع على الابتداء خبره.

قوله: ﴿**يسبحون بحمد ربهم**﴾؛ أي: ينزهونه عن كل ما لا يليق بشأنه الجليل ملتبسين بحمده على نعمائه التي لا تتناهى.

وفي «فتح الرحمٰن»: يقولون: سبحان ذي العزة والجبروت، سبحان ذي الملك والملكوت سبحان الملك الحي الذي لا يموت، سبوح قدوس، رب الملائكة والروح. وجعل التسبيح أصلاً والحمد حالاً؛ لأن الحمد مقتضى حالهم دون التسبيح؛ لأنه إنما يحتاج إليه لعارض الرد على من يصفه بما لا يليق به. قيل: حول العرش سبعون ألف صف من الملائكة يطوفون به مهللين مكبرين، ومن ورائهم سبعون ألف صف قياماً، قد وضعوا أيديهم على عواتقهم رافعين أصواتهم بالتهليل والتكبير، ومن ورائهم مائة ألف صف قد وضعوا أيمانهم على شمائلهم ما منهم أحد إلا وهو يسبح بما لا يسبح به الآخر. وما وراءهم من الملائكة لا يعلم حدهم إلا الله ما بين جناحي أحدهم مسيرة ثلاثمائة عام.

[در معالم از شهر بن حوشب نقل ميكند كه حملة عرش هشت اند جهار ميكويند سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على حلمك بعد علمك وجهار ديكر ميكويند سبحانك اللهم وبحمدك لك الحمد على عفوك بعد قدرتك وكوييا ايشان بنسبت كرم الهى با ذنوب بني آدم ابن كلمات ميكويند].

وفي بعض التفاسير: كأنهم يرون ذنوب بني آدم وفي هذه الكلمات فوائد كثيرة: [بير طريقت أبو القاسم بشر ياسين كه از جملة مشاهير علما ومشايخ دهر بود شيخ أبو السعيد الخير راكفت اين كلمات از ما ياد كيرو بيوسته ميكوى أبو سعيد كفت اين كلمات يا دكر فتم وبيوسته ميكفتم وازان منتفع شدم].

﴿**ويؤمنون به**﴾؛ أي: بربهم إيماناً حقيقياً بحالهم، والتصريح به مع إغناء ما قبله عن ذكره لإظهار فضيلة الإيمان، وإبراز شرف أهله. وقد قيل: أوصاف الأشراف أشراف الأوصاف.

يقول الفقير: أشار بالإيمان إلى أنهم في مرتبة الإدراك بالبصائر محجوبون عن إدراكه تعالى بالأبصار؛ كحال البشر ما داموا في موطن الدنيا. وأما في الجنة، فقيل: لا يراه الملائكة. وقيل: يراه منهم جبريل خاصة مرة واحدة، ويراه المؤمنون من البشر في الدنيا بالبصائر. وفي

الآخرة بالأبصار؛ لأن قوله: لا تدركه الأبصار قد استثني منه المؤمنون فبقي على عمومه في الملائكة والجن، وذلك لأن استعداد الرؤية إنما هو لمؤمني البشر لكمالهم الجامع.

﴿ويستغفرون للذين آمنوا﴾: استغفارهم، شفاعتهم وحملهم على التوبة وإلهامهم ما يوجب المغفرة، وفيه إشعار بأنهم يطلعون على ذنوب بني آدم وتنبيه على أن المشاركة في الإيمان توجب النصح والشفقة، وإن تخالفت الأجناس؛ لأنها أقوى المناسبات وأتمها كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠] ولذلك قال الفقهاء: قتل الأعوان والسعاة والظلمة في الفترة مباح، وقاتلهم مثاب وإن كانوا مسلمين؛ لأن من شرط الإسلام الشفقة على خلق الله، والفرح بفرحهم والحزن بحزنهم، وهم على عكس ذلك، وقلما يندفع شرهم بالحبس. ونحوه قال الإمام: قد ثبت أن كمال السعادة مربوط بأمرين: التعظيم لأمر الله، والشفقة على خلق الله. ويجب أن يكون الأول مقدماً على الثاني، فقوله: يسبحون بحمد ربهم، ويؤمنون به مشعر بالتعظيم لأمر الله ويستغفرون للذين آمنوا بالشفقة على خلق الله. انتهى.

قال مجاهد: يسألون ربهم مغفرة ذنوب المؤمنين من حين علموا أمر هاروت وماروت، أو لقولهم: ﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ﴾ [البقرة: ٣٠].

قال الراغب: المغفرة من الله أن يصون العبد عن أن يمسه العذاب، والاستغفار طلب ذلك بالمقال والفعال، فإن الاستغفار بالمقال فقط فعل الكاذبين، ثم لا يلزم من الآية أفضلية الملائكة على البشر حيث اشتغلوا بالاستغفار للمؤمنين من غير أن يتقدم الاستغفار لأنفسهم لاستغنائهم وذلك لأن هذا بالنسبة إلى عوام المؤمنين، وأما خواصهم، وهم الرسل فهم أفضل منهم على الإطلاق، وإنما يصلون عليهم بدل الاستغفار لهم تعظيماً لشأنهم، ونعم ما قال أبو الليث رحمه الله في الآية بيان فضل المؤمنين؛ لأن الملائكة مشتغلون بالدعاء لهم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن الملائكة كما أمروا بالتسبيح والتحميد والتمجيد لله تعالى، فكذلك أمروا بالاستغفار والدعاء لمذنبي المؤمنين؛ لأن الاستغفار للمذنب، ويجتهدون في الدعاء لهم، فيدعون لهم بالنجاة، ثم برفع الدرجات كما قال: ﴿ربنا﴾ على إرادة القول؛ أي: يقولون: ربنا على أنه بيان لاستغفارهم أو حال؛ أي: قائلين: ﴿**وسعت كل شيء رحمة وعلماً**﴾ نصب على التمييز. والأصل: وسعت رحمتك وعلمك لا ذاتك لامتناع المكان في حقه، فأزيل عن أصله للإغراق في وصفه بالرحمة والعلم، كأن ذاته رحمة وعلم واسعان كل شيء وتقديم الرحمة، وإن كان العلم أشمل وأقدم تعلقاً من الرحمة؛ لأنها المقصودة بالذات ها هنا.

وفي «عين المعاني»: ملأت كل شيء نعمة وعلماً به.

يقول الفقير: دخل في عموم الآية الشيطان ونحوه؛ لأن كل موجود فله رحمة دنيوية البتة وأقلها الوجود وللشيطان إنظار إلى يوم الدين، ويكون من الرحمة الدنيوية إلى غير ذلك.

﴿فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك﴾: الفاء: لترتيب الدعاء على ما قبلها من سعة الرحمة والعلم، فما بعد الفاء مسبب عن كل واحد من الرحمة والعلم، إذ المعنى، فاغفر للذين علمت منهم التوبة من الكفر والمعاصي واتباع سبيل الإيمان والطاعة. وفيه إشارة إلى أن الملائكة لا يستغفرون إلا لمن تاب ورجع عن اتباع الهوى، واتبع بصدق الطلب وصفاء النية سبيل الحق تعالى.

وفي «الأسئلة المقحمة» قوله: فاغفر إلخ. صيغة دالة على أن الشفاعة للتائبين. والجواب: أن الشفاعة للجميع، ولكن لما كانت حاجة التائب إليها أظهر قرنوه بالذكر، ثم لا يجب على الله قبول توبة التائب، عندنا انتهى والأظهر أن التخصيص للحث على التوبة والاتباع، وهو اللائح بالبال، ومن أعجب ما قيل في هذا المقام قول البقلي في «تأويلاته»: عجبت من رحمة الملائكة كيف تركوا المصرين على الذنوب عن استغفارهم هذه قطعة زهد وقعت في مسالكهم أين هم من قول سيد البشر عليه السلام حين آذاه قومه، اللهم اهد قومي؛ فإنهم لا يعلمون عمموا الأشياء بالرحمة، ثم خصوا منها التائبين، يا ليت لو بقوا على القول الأول، وسألوا الغفران لمجموع التائبين والعاصين. انتهى.

يقول الفقير: العاصي إما مؤمن أو كافر، والثاني: لا تتعلق به المغفرة؛ لأنها خاصة بالمؤمنين مطلقاً، فلما علم الملائكة أن الله لا يغفر أن يشرك به خصوها بالتائبين ليخرج المشركون.

﴿**وقهم عذاب الجحيم**﴾: أمر من وقى يقي وقاية، وهي حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره؛ أي: واحفظهم من عذاب جهنم، وهو تصريح بعد إشعار للتأكيد، وذلك لأن معنى الغفران إسقاط العذاب، وفيه إشارة إلى أنه بمجرد التوبة لا تحصل النجاة، فلا بد من الثبات عليها وتخليص العمل من شوب الرياء والسمعة وتصفية القلب عن الأهواء والبدع.

﴿رَبَّنَا وَأَدْخِلْهُمْ جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدتَّهُمْ وَمَن صَلَحَ مِنْ ءَابَآئِهِمْ وَأَزْوَٰجِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٨﴾﴾

﴿**ربنا وأدخلهم**﴾: عطف على قهم وتوسيط النداء بينهما للمبالغة في الجؤار، وهو رفع الصوت بالدعاء والتضرع والاستغاثة. ﴿**جنات عدن**﴾: [در بوستانهاى اقامت]. ﴿**التي وعدتهم**﴾؛ أي: وعدتهم إياها وقد وعد الله بأن يدخل من قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله، جنات عدن، إما ابتداء أو بعد أن يعذبهم بقدر عصيانهم.

وروي أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال لكعب الأحبار: ما جنات عدن. قال: قصور من ذهب في الجنة يدخلها النبيون وأئمة العدل، فعلى هذا يكون جنات عدن. موضع أهل الخصوص لا أهل العموم ومثلها الفردوس، إذ لكل مقام عمل يخص به، فإذا كان العمل أخص وأرفع كان المقام أرقى وأعلى.

﴿**ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم**﴾: في محل النصب عطف على الضمير في وأدخلهم. والمعنى: وأدخل معهم من صلح من هؤلاء صلاحاً مصححاً لدخول الجنة في الجملة، وإن كان دون صلاح أصولهم وذلك ليتم سرورهم، ويتضاعف ابتهاجهم، وفيه إشارة إلى أن بركة الرجل التائب تصل إلى آبائه وأزواجه وذرياته لينالوا بها الجنة ونعيمها.

قال سعيد بن جبير: يدخل المؤمن الجنة، فيقول: أين أبي، أين ولدي، أين زوجي، فيقال: إنهم لم يعملوا مثل عملك، فيقول: إني كنت أعمل لي ولهم، فيقال: أدخلوهم الجنة:

اميد است از آنان كه طاعت كنند — كه بى طاعتا نرا شفاعت كنند

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا كان يوم القيامة نودي

في أطفال المسلمين أن اخرجوا من قبوركم، فيخرجون من قبورهم، فينادى فيهم: أن امضوا إلى الجنة زمراً، فيقولون: يا ربنا ووالدينا معنا، فينادى فيهم. الثانية: أن امضوا إلى الجنة زمراً، فيقولون: ووالدينا معنا، فيبتسم الرب تعالى، فيقول: ووالديكم معكم، فيثب كل طفل إلى أبويه، فيأخذون بأيديهم، فيدخلونهم الجنة، فهم أعرف بآبائهم وأمهاتهم يومئذٍ من أولادكم الذين في بيوتكم».

وفي «الواقعات المحمودية»: نقلاً عن حضرة الشيخ الشهير بافتاده قدس سره: من كان من أهل الجنة وزوجته لم تكن كذلك يخلق الله تعالى مثل زوجته في الجنة، فيتسلى بها، فإن قلت: كيف يكون التسلي بمثلها. قلت: لا يعلم أنها مثلها، فلو ظن أنها مثلها لا عينها لا يتسلى، بل يحزن، والجنة دار السرور لا دار الحزن، ولذلك أرسل آدم عليه السلام إلى الدنيا لئلا يحزن في الجنة.

﴿إنك أنت العزيز﴾ الغالب الذي لا يمتنع عليه مقدوره. يعني: [از هيج مقدور عاجز نشوى]. ﴿الحكيم﴾: الذي لا يفعل إلا ما تقتضيه الحكمة الباهرة من الأمور التي من جملتها إنجاز الوعد والوفاء به.

وفي «التأويلات النجمية»: أنت العزيز تعز التائبين وتحبهم، وإن أذنبوا الحكيم فيما لم تعصم محبيك عن الذنوب ثم تتوب عليهم:

زمن سر زحكمت بدرمى برم كه حكمت چنين ميرود بر سرم

﴿وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ۝٩﴾.

﴿وقهم السيئات﴾؛ أي: احفظهم عما يسوؤهم يوم القيامة وادفع عنهم العقوبات؛ لأن جزاء السيئة سيئة، فتسميتها سيئة إما لأن السيئة اسم للملزوم، وهو الأعمال السيئة، فأطلق على اللازم وهو جزاؤها أو المعنى قهم جزاء السيئات على حذف المضاف على أن السيئات، بمعنى الأعمال السيئة، وهو تعميم بعد تخصيص لقوله: وقهم عذاب الجحيم وعذاب القبر، وموقف القيامة والحساب والسؤال والصراط ونحوها، أو مخصوص بمن صلح من الأتباع. والأول دعاء للأصول.

﴿ومن تق السيئات يومئذٍ﴾؛ أي: يوم القيامة. ﴿فقد رحمته﴾؛ لأن المعافى من العذاب مرحوم، ويجوز أن يكون المراد بالسيئات الأول: المعاصي في الدنيا، فمعنى قوله: ومن تق إلخ. ومن تقه المعاصي في الدنيا فقد رحمته في الآخرة؛ كأنهم طلبوا لهم السبب بعدما سألوا المسبب.

وفي «التأويلات النجمية»: وقهم السيئات يعني بعد أن تابوا لئلا يرجوا إلى المعاصي والذنوب، ومن تق السيئات يومئذٍ، فقد رحمته يحيلون الأمر فيه على رحمته وبرحمته لم يسلط على المؤمن أراذل خلقه، وهم الشياطين، وقد قيض لشفاعته أفاضل من خلقه وهم الملائكة المقربون. قال مطرف: أنصح عباد الله للمؤمنين الملائكة وأغش الخلق للمؤمنين الشياطين.

﴿وذلك﴾: المذكور من الرحمة والوقاية. ﴿هو الفوز العظيم﴾: الفوز: الظفر مع حصول السلامة؛ أي: هو الظفر العظيم الذي لا مطمع وراءه لطامع. وبالفارسية: [آن بيروزى

بزر كست جه هركه امروز دربناه عصمت الهيست فردا درساية رحمت نامتناهى خواهد بود ودرين باب كفته اند]:

امـروز كـسـى را در آرى بـه بـنـاه فـردا بـمـقـام قـريـتـش بـخـشـى راه
وانـراكـه رهـش نـداده بـر دركـاه فـردا جـه كـنـد كـه نـكـنـد نـالـه وآه

يقول الفقير: ظهر من الآيات العظام ومن استغفار الملائكة الكرام أن بناء الإنسان محتاج إلى المعاونة لكونه تحت ثقل حمل الأمانة العظمى، وهو المنور بنور لطفه وجماله تعالى، وهو المحترق بنار قهره وجلاله سبحانه، فطريقه طريق صعب، وليس مثله أحد وما أشبه حاله مع الملائكة بحال الديك مع البازي، قال للديك: ما أعرف أقل وفاء منك، لأن أهلك يربونك من البيضة، ثم إذا كبرت لا يدنو منك أحد إلا طرأت ها هنا وها هنا، وأنا أؤخذ من الجبال، فيحبسون عيني ويجيعونني ويجعلونني في بيت مظلم، وإذا أطلقوني على الصيد فآخذه، وأعود إليهم، فقال الديك: لأنك ما رأيت بازياً في سفود، وهي الحديدة التي يشوى بها اللحم، وكم قد رأيت ديوكاً في سفافيد، ثم يجيب على من يطلب الفوز أن يناله من طريقه، فكل سعادة في الآخرة، فبذرها مزروع في الدنيا، ولا بد للعاقل من التقديم لنفسه.

قال لقمان رحمه الله: يا بني لا تكن الذرة أيسر منك تجمع في صيفها لشتائها قبل اشتداد الشتاء، وطلب ضفدع من الذرة ذخيرة، فقالت: لم ترنمت في الصيف في أطراف الأنهار وتركت الادخار للشتاء. قال الشيخ سعدي:

كـنـون بـاخـرد بـايـد انـبـاز كـشـت كـه فـردا نـمـا نـدره بـاز كـشـت

أي: لا يبقى يوم القيامة طريق للرجوع إلى الدنيا.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يُنَادَوْنَ لَمَقْتُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ مِن مَّقْتِكُمْ أَنفُسَكُمْ إِذْ تُدْعَوْنَ إِلَى ٱلْإِيمَٰنِ فَتَكْفُرُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿إن الذين كفروا ينادون﴾: المناداة والنداء: الدعوة ورفع الصوت، وذلك أن الكفار يمقتون في جهنم أنفسهم الأمارة بالسوء التي وقعوا فيما وقعوا من العذاب المخلد باتباع هواها؛ أي: يغضبون عليها حتى يأكلون أناملهم ويبغضونها أشد البغض وينكرونها أشد الإنكار، ويظهرون ذلك على رؤوس الأشهاد، فعند ذلك تناديهم الملائكة، وهم خزنة جهنم من مكان بعيد تنبيهاً على بعدهم عن الحق. وبالفارسية: [بوقتى كه كفار بدوزخ درايند وبانفسها دشمن آغاز كرده روبان عتاب وملامت بكشايند كه جرادر زمان اختيار ايمان نياوردند ملائكه آواز ميدهند ايشانرا وكويند].

﴿لمقت الله﴾: جواب قسم محذوف والمقت البغض الشديد لمن يراه متعاطياً والبغض: نفار النفس من الشيء ترغب عنه، وهو ضد الحب، وهو انجذاب النفس إلى الشيء الذي ترغب فيه ومقت الله غضبه وسخطه، وهو مصدر مضاف إلى فاعله وحذف مفعوله لدلالة المقت الثاني عليه.

والمعنى: والله لمقت الله أنفسكم الأمارة بالسوء. **﴿أكبر﴾** [بزركترست]. **﴿من مقتكم أنفسكم﴾**: اذكروا. **﴿إذ تدعون﴾** في الدنيا من جهة الأنبياء **﴿إلى الإيمان﴾**، فتأبون قبوله **﴿فتكفرون﴾** بالله تعالى وتوحيده اتباعاً لأنفسكم ومسارعة إلى هواها، ويجوز أن يتعلق إذ

بالمقت الأول، ولا يقدح فيه وجود الخبر في البين، لأن في الظروف اتساعاً، فالمعنى: غضب الله تعالى حين أغضبتموه في الدنيا حين كفرتم أكبر مقتكم أنفسكم اليوم.

يقول الفقير: دل قوله: إذ تدعون إلخ على أن سبب المقت هو الكفر؛ كأنه قال: اذكروا ذلك، فهو سبب المقت في الدنيا والآخرة. والدخول في النار المحرقة القاهرة، كما قال فيما سيأتي ذلكم بأنه إذا دعي الله إلخ وحقيقته أن الله تعالى أحب المحبين في الحقيقة، كما أن النفس أعدى الأعداء، فمن صرف محبة أحب المحبين إلى أعدى الأعداء، وجرى على حكمه صرف الله نظره عنه وأبغضه. كما قال الشيخ سعدي:

نظر دوست نادر كند سوى تو جودر روى دشمن بود روى تو
كرت دوست بايد كزو برخورى نبايدكه فرمان دشمن برى
نداني كه كمتر نهد دوست باى جوبيند كه دشمن بود در سراى

ومقت الله على الكفر أزلي خفي لم يظهر أثره إلا في وقت وجود الكفر من الكافر وأبدي؛ لأنه لا ينقطع بانقطاع الدنيا، فالكافر مغضوب في الدنيا والآخرة، وإنما كان مقت الله أكبر من مقت العبد، لأن مقت العبد مأخوذ من مقت الله إذ لو لم يأخذه الله بجريمته لما وقع في مقت نفسه، ولأن أشد العقوبات آثار سخط الله وغضبه على العباد، كما أن أجل النعم آثار رضاه عنهم، فإذا عرف الكافر في الآخرة أن ربه عليه غضبان، فلا شيء أصعب على قلبه منه على أنه لا بكاء ينفعه ولاغناء يزيل عنه ما هو فيه، ويدفعه، ولا يسمع منه تضرع ولا يرجى له حيلة. نسأل الله عفوه وعطاه، وهو حسبنا مما سواه.

﴿قَالُوا۟ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثْنَتَيْنِ وَأَحْيَيْتَنَا ٱثْنَتَيْنِ فَٱعْتَرَفْنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلْ إِلَىٰ خُرُوجٍ مِّن سَبِيلٍ ﴿١١﴾﴾.

﴿قالوا﴾؛ أي: الكفرة حين خوطبوا بهذا الخطاب. **﴿ربنا﴾**؛ أي: [برور دكار مارا]. **﴿أمتنا﴾**: إماتتين. **﴿اثنتين وأحييتنا﴾** إحياءتين. **﴿اثنتين﴾**: فهما صفتان لمصدر الفعلين المذكورين. وفي الإماتتين والإحياءتين وجوه:

الأول: ما قال الكاشفي نقلاً من «التبيان»: [ذريت آدم راكه از ظهر او بيرون آورد وميثاق ازايشان فرا كرفت بميرانيد إماتة نخستين آنست ودر رحم كه نطفه بودند زنده كرد بس دردنيا بميرانيد ودر آخرت زنده كردانيد]. **﴿فاعترفنا﴾**: أقررنا بسبب ذلك. **﴿بذنوبنا﴾**: لا سيما إنكار البعث يعني الأنبياء دعونا إلى الإيمان بالله واليوم الآخر، وكنا نعتقد كالدهرية أن لا حياة بعد الموت، فلم نلتفت إلى دعوتهم ودمنا على الاعتقاد الباطل حتى متنا وبعثنا، فشاهدنا ما نحن ننكره في الدنيا، وهو الحياة بعد الموت، فالآن نعترف بذنوبنا. **﴿فهل إلى خروج﴾**: نوع خروج من النار سريع أو بطيء أو نوع من الأعمال. **﴿من سبيل﴾**: من طريق فنسلكه، ونتخلص من العذاب أو هل إلى خروج إلى الدنيا من سبيل، فنعمل غير الذي كنا نعمل كما قال: هل إلى مرد من سبيل، فيقال: فحذف الجواب، كما في «عين المعاني»، أو الجواب ما بعده من قوله: ذلكم إلخ، كما في غيره.

والثاني: أنهم أرادوا بالإماتة الأولى خلقهم أمواتاً، وذلك في الرحم قبل نفخ الروح كما قال تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَٰتًا فَأَحْيَٰكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨]، وبالثانية: إماتتهم عند انقضاء آجالهم على أن الإماتة: جعل الشيء عادم الحياة، وأرادوا بالإحياء الأول: الإحياء قبل الخروج من البطن،

وبالثاني: إحياء البعث، ولا يلزم منه أن لا عذاب في القبر، ولا حياة ولا موت؛ فإنهم إنما لم يذكروها؛ لأن حياة القبر ليست كحياة الدنيا، ولا كحياة الآخرة، كما في «الأسئلة المقحمة».

وقد ثبت بالتواتر أن النبي عليه السلام استعاذ من عذاب القبر، وأجمع السلف على ذلك قبل ظهور أهل البدع، حتى قال بعضهم في قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِى فَإِنَّ لَهُۥ مَعِيشَةً ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]، أنه أراد في القبر لأنا نشاهد كثيراً منهم عيشهم أرغد في الدنيا من عيش كثير من المؤمنين.

والثالث: أنهم أرادوا بالإماتة الأولى ما بعد حياة الدنيا. وبالثانية: ما بعد حياة القبر. وبالإحياءتين ما في القبر، وما عند البعث، قال في «الإرشاد»: وهو الأنسب بحالهم. وأما حديث لزوم الزيادة على النص ضرورة تحقق حياة الدنيا، فمدفوع لكن لا بما قيل من عدم اعتدادهم بها، لزوالها وانقضائها وانقطاع آثارها وأحكامها، بل بأن مقصودهم إحداث الاعتراف بما كانوا ينكرونه في الدنيا والتزام العمل بموجب ذلك الاعتراف ليتوسلوا بذلك إلى الرجوع إلى الدنيا، وهو الذي أرادوه بقولهم، فهل إلى خروج من سبيل مع نوع استبعاد له واستشعار يأس منه لا أنهم قالوه بطريق القنوط المحض، ولا ريب في أن الذي كانوا ينكرونه ويفرعون عليه فنون الكفر والمعاصي ليس إلا الإحياء بعد الموت، وأما الإحياء الأول، فلم يكونوا لينظموه في سلك ما اعترفوا به، وزعموا أن الاعتراف يجديهم نفعاً، وإنما ذكروا الموتة الأولى لترتبها عليهما ذكراً حسب ترتبهما عليهما وجوداً.

والرابع: على ما في «التأويلات النجمية»: أنهم أرادوا إماتة القلوب وإحياء النفوس، ثم إماتة الأبدان وإحياءها بالبعث.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّهُۥٓ إِذَا دُعِىَ ٱللَّهُ وَحْدَهُۥ كَفَرْتُمْ وَإِن يُشْرَكْ بِهِۦ تُؤْمِنُوا۟ۚ فَٱلْحُكْمُ لِلَّهِ ٱلْعَلِىِّ ٱلْكَبِيرِ ﴿١٢﴾﴾

﴿ذلكم﴾: قال في «الإرشاد»: جواب لهم باستحالة حصول ما يرجونه ببيان ما يوجبها من أعمالهم السيئة؛ أي: ذلكم الذي أنتم فيه من العذاب، وهو مبتدأ خبره. قوله: **﴿بأنه﴾**؛ أي: بسبب أن الشأن **﴿إذا دعي الله﴾** في الدنيا؛ أي: عبد **﴿وحده﴾**؛ أي: حال كونه منفرداً، فهو في موضع الحال من الجلالة. **﴿كفرتم﴾**؛ أي: بتوحيده. **﴿وإن يشرك به﴾**؛ أي: إن يجعل له شريك. **﴿تؤمنوا﴾**؛ أي: بالإشراك به وتصدقوه وتسارعوا فيه. ولفظ الاستقبال تنبيه على أنهم لو ردوا لعادوا إلى الشرك.

وفي «الإرشاد» في إيراد إذا. وصيغة الماضي في الشرطية الأولى، وإن وصيغة المضارع في الثانية: ما لا يخفى من الدلالة على كمال سوء حالهم، وحيث كان حالكم كذلك.

﴿فالحكم لله﴾: الذي لا يحكم إلا بالحق. **﴿العلي الكبير﴾** عن أن يشرك به إذ ليس كمثله شيء في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله. وقد حكم بأنه لا مغفرة للمشرك، ولا نهاية لعقوبته، فلا سبيل لكم إلى الخروج أبداً. قيل: كأن الحرورية أخذوا قولهم: لا حكم إلا لله من هذا.

وقيل: للخوارج حرورية لتجليتهم بحروراء واجتماعهم فيها، وهي كحلولاء. وقد تقصر قرية بالكوفة. والخوارج قوم من زهاد الكوفة خرجوا عن طاعة عليّ رضي الله عنه عند التحكيم

بينه وبين معاوية، وذلك أنه لما طالت محاربة عليّ ومعاوية اتفق الفريقان على التحكيم إلى أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهما في أمر الخلافة، وعلي ارتضى بما يريانه، فقال القوم: المذكور إن الحكم إلا لله، فقال عليّ رضي الله عنه: كلمة حق أريد بها باطل. وكانوا اثني عشر ألف رجل أنكروا الخلافة، واجتمعوا ونصبوا راية الخلاف، وسفكوا الدماء وقطعوا السبيل، فخرج إليهم علي رضي الله عنه وأمرهم بالرجوع، فأبوا إلا القتال، فقاتلهم بالنهروان، هي كزعفران بليدة قديمة بالقرب من بغداد، فقتلهم واستأصلهم، ولم ينج منهم إلا قليل. وهم الذين قال عليه السلام في حقهم: يخرج قوم من أمتي في آخر الزمان يحقر أحدكم صلاته في جنب صلاتهم وصومه في جنب صومهم، ولكن لا يجاوز إيمانهم تراقيهم».

وقال عليه السلام: الخوارج كلاب النار». والحاصل: أن الخوارج من الفرق الضلالة لفسادهم في الاعتقاد وبإنكار الحق وفساد الاعتقاد ساء حال أكثر العباد في أكثر البلاد، خصوصاً في هذه الأعصار، فعلى العاقل أن يجيب دعوة الله ودعوة رسوله، قولاً وعملاً وحالاً واعتقاداً، حتى يفوز بالمرام ويدخل دار السلام، ولا يكون كالذين أرادوا أن يتداركوا الحال بعد مضي الفرصة:

ملوث مكن دامن از كرد شوى ... كه ناكه زبالا ببندند جوى

مكو مرغ دولت زقيدم بجست ... هنوزش سر رشته دارى بدست

وكردير شد كرم روباش وجست ... زدير آمدن غم ندارد درست

المراد: الترغيب في التوبة، ولو في الشيب وقرب الموت.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُنَزِّلُ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ رِزْقًا ۚ وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ فَٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿هو﴾: تعالى وحده **﴿الذي يريكم آياته﴾**. دلائل قدرته وشواهد وحدته في الأنفس والآفاق رعاية لمصالح أديانكم. وفيه إشارة إلى أنه ليس للإنسان أن يرى ببصيرته حقائق الأشياء إلا بإراءة الحق تعالى إياه. **﴿وينزل لكم من السماء رزقاً﴾**؛ أي: سبب رزق، وهو المطر مراعاة لمصالح أبدانكم، فإن آيات الحق بالنسبة إلى حياة الأديان بمنزلة الأرزاق بالنسبة إلى حياة الأبدان. **﴿وما يتذكر﴾**: التذكير: [بند كرفتن]؛ أي: ما يتعظ وما يعتبر بتلك الآيات الباهرة، ولا يعمل بمقتضاها **﴿إلا من ينيب﴾**: يرجع إلى الله تعالى عن الإنكار، ويتفكر فيما أودعه في تضاعيف مصنوعاته من شواهد قدرته الكاملة ونعمته الشاملة الظاهرة والباطنة الموجبة لتخصيص العبادة به تعالى، ومن ليس كذلك، وهو المعاند، فهو بمعزل عن التذكر والاتعاظ، فإذا كان الأمر كذلك؛ أي: كما ذكر من اختصاص التذكر بمن ينيب.

﴿فادعوا الله﴾: فاعبدوه أيها المؤمنون. **﴿مخلصين له الدين﴾**؛ أي: حال كونكم مخلصين له دينكم وطاعتكم من الشرك والالتفات إلى ما سواه بموجب إنابتكم إليه وإيمانكم به. **﴿ولو كره الكافرون﴾**: ذلك وغاظهم إخلاصكم.

قال الكاشفي: [واكرجه كار هند كافران واخلاص شمادر توحيد اوزيرا كه ايشان بنعمت ايمان كافر ند وشما بران نعمت شاكر بس ميان شما منافر تست واعمال واقوال شما مرغوب ومحبوب ايشان نيست جنانجه كردار وكفتار ايشان نيز در نزدشما مكروه ومبغوض است]:

زاهدى در سماع رندان بود زان ميان كفت شاهد بلخى
كر ملولى زما ترش منشين كه توهم درميان ما تلخى

وفي الآية إشارة إلى أن المدعو من الله تعالى ينبغي أن يكون لذاته تعالى مخلصاً غير مشوب بشيء من مقاصد الدنيا والآخرة، ولو كان على كراهة كافر النفس، فإنها تميل إلى مشاربها:

خلاف طريقت بود كاوليا تمنا كنند از خدا جز خدا

فلا بد من الإخلاص مطلقاً، فاعمل لربك خالصاً طيباً، فإنه طيب لا يقبل إلا الطيب وفي الحديث: «يؤجر ابن آدم في نفقته كلها إلا شيئاً وضعه في الماء والطين». قال حضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره في كشف سر هذا الحديث، وإيضاح معناه: اعلم أن صور الأعمال أعراض جواهرها مقاصد العمال وعلومهم واعتقاداتهم ومتعلقات هممهم. وهذا الحديث وإن كان من حيث الصيغة مطلقاً، فالأحوال والقرائن تخصصه وذلك، أن بناء المساجد والرباطات ومواضع العبادات يؤجر الباني لها عليها بلا خلاف:

جون بود قصدش از ريا منفك مزديابد بران عمل بيشك

فالمراد بالمذكور هنا إنما هو البناء الذي لم يقصد صاحبه التنزه. والانفساح والاستراحة والرياء والسمعة، وإذا كان كذلك، فمطمح همة الباني ومقصده لا يتجاوز هذا العلم، فلا يكون لبنائه ثمرة ونتيجة في الآخرة؛ لأنه لم يقصد أمراً وراء هذه الدار، فأفعاله أعراض زائلة لا موجب لتعديها من هنا إلى الآخرة، فلا إثمار لها، فلا أجر. وبالفارسية:

هر كه ميخواهد از عمارت كل فسحت دار ونزهت منزل
يا تفاخر ميانة أقران كه بنا كرد مسجدى ويران
جون باخلاص همت عامل متجاوز نشد ز عالم كل
نفقاتش درآب وكل موضوع ماند واوزا جران بود مقطوع
بلكه در حج وعمره وصلوات جون بود بهر عاجلت نفقات
همه ماند درآب وكل مرهون ندهد اجر صانع بيجون
هر كرا از عمارت كل وآب هست مقصود كسب قرب وثواب
جون زكل در كذشت همت وى نفقاتش همه رود دربى
نفقاتش جو قطع كرد اين راه عندكم بود كشت عند الله
كل ما كان عندكم ينفد دام ما عنده إلى السرمد

قال تعالى: ﴿مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ بَاقٍ﴾ [النحل: ٩٦]. والمرجو من الله تعالى أن يجعلنا من أهل الاختصاص بفيض كمال الإخلاص.

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلْعَرْشِ يُلْقِى ٱلرُّوحَ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ ﴿١٥﴾﴾.

﴿رفيع الدرجات﴾: خبر آخر لقوله: هو والرفيع صفة مشبهة أضيفت إلى فاعلها بعد النقل إلى فعل بالضم كما هو المشهور، وتفسيره بالرفع ليكون من إضافة اسم الفاعل إلى المفعول بعيد في الاستعمال، كما في «الإرشاد» والدرجة: مثل المنزلة، لكن يقال للمنزلة

درجة إذا اعتبرت بالصعود دون الامتداد على نحو درجة السطح والسلم، قاله الراغب. وفي «أنوار المشارق»: الدرجة إن كانت بمعنى المرقاة فجمعها درج وإن كانت بمعنى المرتبة، والطبقة، فجمعها درجات.

واختلف العلماء في تفسير هذه الآية، ففي «الإرشاد»: هو تعالى رفيع الدرجات ملائكته؛ أي: مرتفعة معارجهم ومقاعدهم إلى العرش. وفي «تفسير أبي الليث»: خالق السماوات ورافعها مطلقاً بعضها فوق بعض من طبق إلى طبق خمسمائة عام.

وفي «كشف الأسرار»: [بر دارنده درجهاى بند كانست وبريكديكر جه دردنيا جه در عقبا در دنيا آنست كه كفت]. ﴿وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِى مَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الأنعام: ١٦٥] يعني: [بر داشت شمارا زير يكديكر درجهاى افزونى يكى را بدانش يكى رابنسب يكى را بمال يكى را بشرف يكى را بصورت يكى را بقوت جاى ديكر كفت]. ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]، يعني: [برداشتيم ايشانرا بريكديكر در عز ومال در رزق ومعيشت يكى مالك يكى مملوك يكى خادم يكى مخدوم يكى فرمانده يكى فرمانبر اما درجات آنست كفت]. ﴿وَلَلْءَاخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَٰتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا﴾ [الإسراء: ٢١] [هركه دردنيا بمعرفت وطاعت افزو نتردر عقبى بحق نزد يكتر وكرامت وى بيشتر]. فهو رافع الدرجات في الدنيا بتفاوت الطبقات. وفي العقبى بتباين المراتب والمقامات.

روي أن أسفل أهل الجنة درجة ليعطى مثل ملك الدنيا كلها عشر مرار؛ وأنه ليقول: أي رب لو أذنت لي أطعمت أهل الجنة وسقيتهم لم ينقص ذلك، مما عندي شيئاً، وإن له من الحور العين ثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه من الدنيا.

وقال بعضهم: رافع درجات [انبياست عليهم السلام درجة آدم را بصفوت بر داشت ونوح را بدعوت وإبراهيم رابخلت وموسى را بقربت وعيسى رابزهادت ومحمد را بشفاعت].

وقال بعضهم: رافع درجات العصاة بالنجاة والمطيعين بالمثوبات وذي الحاجات بالكفايات والأولياء بالكرامات، والعارفين بالارتقاء عن الكونين، والمحبين بالفناء عن المحبية، والبقاء بالمحبوبية. [عزيزى فرموده كه]. لا يوجد البقاء إلا بالفناء [تا شربت فنا ننوشى]:

بنوش درد فنا كر بقاهمى خواهى   كه زاد راه بقاى دردى خراباتست
زحال خويش فنا شود درين ره اى عطار   كه باقى ره عشاق فانى الذاتست

يقول الفقير: حقيقة الآية عند السادات الصوفية قدس الله أسرارهم أنه تعالى رفيع درجات أسمائه وصفاته، وطبقات ظهوراته في تنزلاته واسترسالاته، فإنه تعالى خلق العقل الأول، وهو أول ما وجد من الكائنات، وهو آدم الحقيقي الأول، والروح الكلي المحمدي، والعلم الأعلى، وهو أول موجود تحقق بالنعم الإلٰهية وآخر الموجودات تحققاً بهذه النعم هو عيسى عليه السلام؛ لأنه لا خليفة لله بعده إلى يوم القيامة، بل لا يبقى بعد انتقاله، وانتقال من معه مؤمن على وجه الأرض فضلاً عن ولي كامل.

وفي الحديث: «لا تقوم الساعة وفي الأرض من يقول: الله، الله»؛ أي: الملازم الذكر لا الذاكر في الجملة، فلا بدّ للمصلي من أن يستحضر عند قوله: صراط الذين أنعمت عليهم جميع من أنعم الله عليه من العلم الأعلى إلى عيسى، ثم خلق الله النفس الكلية التي منها وجدت النفوس الناطقة كلها، وهي حواء الحقيقية الأولى، ثم أوجد الطبيعة الكلية التي في

الأجسام الجزئية وبواسطتها ظهر الفعل، والانفعال في الأشياء، ثم الهباء، ثم الشكل الكلي، وهو الهيولى الجسمية، ثم جسم الكلي، ثم الفلك الأطلس الذي هو العرش الكريم، ثم الكرسي على ما ذكره داود القيصري، وأما حضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره، فلم يجعل الفلك الأطلس هو العرش بعينه، فالترتيب عنده العرش ثم الكرسي، ثم فلك الأطلس سمي به لخلوه عن الكواكب، كخلو الأطلس عن النقش، ثم المنازل، ثم سماء كيوان، ثم سماء المشتري، ثم سماء المريخ، ثم سماء الشمس، ثم سماء الزهرة، ثم سماء عطارد، ثم سماء القمر، ثم عنصر النار، ثم عنصر الهواء، ثم عنصر الماء، ثم عنصر التراب، ثم المعدن، ثم النبات، ثم الحيوان، ثم الملك، ثم الجن، ثم الإنسان الذي هو مظهر الاسم الجامع، ثم ظهر في مرتبته التي هي مظهر الاسم الرفيع، فتم الملك والملكوت.

وهذه الحقائق كلها درجات إلٰهية ومراتب رحمانية دل عليها قوله تعالى: **﴿رفيع الدرجات﴾**. **﴿ذو العرش﴾**: خبر آخر لقوله: هو؛ أي: هو تعالى مالك العرش العظيم المحيط بأكناف العالم العلوي والسفلي. وله أربعمائة ركن من الركن إلى الركن أربعمائة ألف سنة خلقه فوق السماوات السبع وفوق الكرسي إظهاراً لعظمته وقدرته لا مكاناً لذاته، فإنه الآن على ما كان عليه، وإنما ذكره على حدّ العقول؛ لأن المعقول لا تصل إلا إلى مثله، وإلا فهو أقل من خردلة في جنب جلاله تعالى وعظمته أيضاً خلقه ليكون مطافاً لملائكته، وليكون قبلة الدعاء، ومحل نزول البركات؛ لأنه مظهر لاستواء الرحمة الكلية، ولذا ترفع الأيدي إلى السماء وقت الدعاء؛ لأنه بمنزلة أن يشير سائل إلى الخزانة السلطانية، ثم يطلب من السلطان أن يفيض عليه سجال العطاء من هذه الخزانة.

قال العلماء: يكره النظر إلى السماء في الصلاة، وأما في غيرها فكرهه بعض، ولم يكرهه الأكثرون؛ لأن السماء قبلة الدعاء، وأيضاً خلقه ليكون موضع كتاب الأبرار. كما قال تعالى: ﴿إِنَّ كِتَٰبَ ٱلۡأَبۡرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ﴾ [المطففين: ١٨]، وليكون مرآة للملائكة، فإنهم يرون الآدميين من تلك المرآة، ويطلعون على أحوالهم، كي يشهدوا عليهم يوم القيامة، وليكون ظلة لأهل المحشر من الأبرار والمقربين يوم تبدل السماوات والأرض، وليكون محلاً لإظهار شرف محمد صلى الله تعالى عليه وسلم، كما قال تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحۡمُودًا﴾ [الإسراء: ٧٩]، وهو مقام تحت العرش فيه يظهر أثر الشفاعة العظمى للمؤمنين.

ويقال: إن الله تعالى رفع من كل شيء شيئاً، المسك من الطيب، والعرش من الأماكن، والياقوت من الجواهر، والشمس من الأنوار، والقرآن من الكتب، والعسل من الحلوى، والحرير من اللباس، والزيتون من الأشجار، والأسد من السباع، وشهر رمضان من الشهور، والجمعة من الأيام، وليلة القدر من الليالي، والتوحيد من المقال، والصلاة من الفعال، ومحمداً عليه السلام من الرسل، وأمته من الأمم.

هذا إذا كان العرش بمعنى الجسم المحيط، ويقال: العرش الملك، والبسطة، والعز. يقال: فلان ثل عرشه؛ أي: زالت قوته ومكنته.

وروي أن عمر رضي الله عنه: رؤي في المنام، فقيل له: ما فعل الله بك قال: لولا أن تداركني الله لثل عرشي، فيكون معنى ذو العرش على ما في «التأويلات النجمية»: ذو الملك العظيم؛ لأنه تعالى خلقه أرفع الموجودات وأعظمها جثة إظهاراً للعظمة، وأيضاً: ذو عرش

القلوب، فإنها العرش الحقيقي؛ لأن الله تعالى استوى على العرش بصفة الرحمانية، ولا شعور للعرش به، واستوى على قلوب أوليائه بجميع الصفات، وهم العلماء بالله مستغرقين في بحر معرفته، فإذا كان العرش الصوري، والمعنوي في قبضة قدرته، وهو مستولٍ عليه، ومتصرف فيه لا مالك ولا متصرف له غيره، لا يصح أن يشرك به مطلقاً، بل يجب أن يعبد ظاهراً وباطناً حقاً وصدقاً. ﴿**يلقي الروح**﴾: بيان لإنزال الرزق المعنوي الروحاني من الجانب العلوي بعد بيان إنزال الرزق الجسماني منه، ولذا وصف نفسه بكونه رفيع الدرجات وذا العرش؛ لأن آثار الرحمة مطلقاً، إنما تظهر من جانب السماء خصوصاً العرش مبدأ جميع الحركات.

والمعنى: ينزل الوحي الجاري من القلوب منزلة الروح من الأجساد، فكما أن الروح سبب لحياة الأجسام، كذلك الوحي سبب لحياة القلوب، فإن حياة القلوب إنما هي بالعارف الإلهية الحاصلة بالوحي، فاستعير الروح للوحي؛ لأنه يحيا به القلب بخروجه من الجهل والحيرة إلى المعرفة والطمأنينة، وسمي جبرائيل روحاً؛ لأنه كان يأتي الأنبياء بما فيه حياة القلوب وسمي عيسى روح الله؛ لأنه كان من نفخ جبرائيل وأضيف إلى الله تعظيماً.

واعلم أن ما سوى الله تعالى إما جسماني، وإما روحاني. والقسمان مسخران تحت تسخيره تعالى. أما الجسماني، فأعظمه العرش، فقوله: ذو العرش يدل على استيلائه على جميع عالم الأجسام كله، وقوله: يلقي الروح يدل على أن الروحانيات أيضاً مسخرات لأمره، فإن جبرائيل إذا كان مسخراً له في تبليغ الوحي إلى الأنبياء، وهو من أفاضل الملائكة، فما ظنك بغيره. وأما الوحي نفسه، فهو من الأمور المعنوية، وإنما يتصور بصورة اللفظ عند الإلقاء ﴿**من أمره**﴾: بيان للروح الذي أريد به الوحي، فإنه أمر بالوحي وبعث للمكلف عليه، فيما يأتيه ويذره، فليس المراد بالأمر هنا ما هو بمعنى الشأن، أو حال منه أي حال كونه ناشئاً، ومبتدأ من أمره تعالى: ﴿**على ما يشاء من عباده**﴾. وهو الذي اصطفاه لرسالته وتبليغ الأحكام إليهم.

وقال الضحاك: الروح جبرائيل؛ أي: يرسله إلى من يشاء من أجل أمره يخاطب بهذا من كره نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وسلم.

وفي «التأويلات النجمية»: روح الدراية للمؤمنين، وروح الولاية للعارفين، وروح النبوة للنبيين. وفي الآية دليل على أن النبوة عطائية لا كسبية. وكذا الولاية في الحقيقة إذ لا ينظر إلى الأسباب الخارجة بل إلى الاختصاص الإلهي. ﴿**لينذر**﴾ غاية للإلقاء؛ أي: لينذر الله تعالى أو الملقى عليه، أو الروح. والإنذار: دعوة إبلاغ مع تخويف ﴿**يوم التلاق**﴾. إما ظرف للمفعول الثاني؛ أي: لينذر الناس العذاب يوم التلاق، وهو يوم القيامة، أو هو المفعول الثاني اتساعاً، أو أصالة، فإنه من شدة هوله وفظاعته حقيق بالإنذار أصالة. وسمي يوم القيامة يوم التلاق؛ لأنه تتلاقى فيه الأرواح والأجساد، وأهل السماوات والأرض والعابدون والمعبودون والعاملون والأعمال والأولون والآخرون والظالمون والمظلومون، وأهل النار مع الزبانية.

﴿يَوْمَ هُم بَٰرِزُونَ لَا يَخْفَىٰ عَلَى ٱللَّهِ مِنْهُمْ شَىْءٌ لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾

﴿**يوم هم بارزون**﴾: بدل من يوم التلاق يقال: برز بروزاً: خرج إلى البراز؛ أي: الفضاء كتبرز وظهر بعد الخفاء كبرز بالكسر؛ أي: خارجون من قبورهم، أو ظاهرون لا يسترهم شيء

من جبل، أو أكمة، أو بناء لكون الأرض يومئذٍ مستوية، ولا عليهم ثياب، إنما هم عراة مكشوفون، كما في الحديث: «يحشرون حفاة عراة غرلاً جمع حافٍ وهو من لا نعل له، وجمع عارٍ، وهو من لا لباس عليه، وجمع أغرل، وهو الأقلف الذي لم يختن؛ أي: غير مختونين إلا قوماً ماتوا في الغربة مؤمنين لم يزنوا؛ فإنهم يحشرون، وقد كسوا ثياباً من الجنة، وقوماً أيضاً من أمة محمد عليه السلام، فإنه عليه السلام، قال يوماً: بالغوا في أكفان موتاكم؛ فإن أمتي يحشر بأكفانها وسائر الأمم حفاة عراة».

﴿**لا يخفى على الله منهم شيء**﴾ ما من أعيانهم وأعمالهم الجلية والخفية السابقة واللاحقة مع كثرتهم كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ﴿١٨﴾﴾ [الحاقة: ١٨]، وكانوا في الدنيا يتوهمون أنهم إذا استتروا بالحيطان والحجب فإن الله لا يراهم ويخفى عليه أعمالهم فهم يومئذٍ لا يتوهمون ذلك أصلاً. ﴿**لمن الملك اليوم**﴾؛ أي: يقال: حين بروزهم وظهور أحوالهم؛ أي: ينادي منادٍ لمن الملك اليوم، فيجيب؛ أي: ذلك المنادي بعينه، ويقول: ﴿**لله الواحد القهار**﴾، أو يجيبه أهل المحشر مؤمنهم وكافرهم لحصول العلم الضروري بالوحدانية للكافر أيضاً، لكن الكافر يقوله: صغاراً، وهو أنا وعلى سبيل التحسر والندامة والمؤمن ابتهاجاً وتلذذاً إذ كان يقوله في الدنيا أيضاً، وهذا يسمى سؤال التقرير.

وقيل: إن المجيب إدريس عليه السلام، فإن قلت: كيف خص ذلك بيوم مخصوص، والملك لله في جميع الأوقات. قلت: هو وإن كان لله في جميع الأيام إلا أنه سبحانه ملك عباده في الدنيا، ثم تكون دعاويهم منقطعة يوم القيامة، لا يدعي مدع ملكاً، ولا ملكاً، يومئذٍ، ولذا قال: لمن الملك اليوم.

قال في «كشف الأسرار»: [دران روز رازها آشكار شود بردهاى متواريان درند توانكران بى شكررا در مقام حساب بدارند ودرويشان بى صبر را جامة نفاق از سر بركشند آتش فضيحت در طيلسان عالمان بى عمل زنند خاك ندامت بر فرق قراء مرائى ريزند يكى از خاك وحشت بيرون مى آيد جنانكه خا كستر ازميان آتش يكى جنانكه درازميان صدف يكى ميكويد اين الفرار من الله يكى ميكويد]. أين الطريق إلى الله؟. [يكى ميكويد]. ﴿مَالِ هَٰذَا ٱلْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَاۚ﴾ [الكهف: ٤٩]: [يكى ميكويد]. ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]: [آن روز بادشاهان روى زمين رامى آرند ودست سلطنت ايشان برشتة عزل بربسته ندا آيد كه بادشاهى كراسز دمكرس واحد قهار راكه برهمه شاهان بادشاهست وبادشاهى وى نه بحشم وسباهست سلطان جهان بملك ومال وبنعمت وسوار وبياده ودركاه فخر كنند وملك إلهي بر خلاف اينست كه او جل جلاله رسوم كون را آتش بينيازى درزند وعالم را هباء منثور كرداند وتيغ قهر برهيا كل أفلاك زند نداد هد كه لمن الملك اليوم كراز هرة آن بود كه اين خطاب را جواب دهد جزاو اى مسكين قيامت كه سران وسر هنكان دين را دربناه كرم إلهي جاى دهد ندانم كه ترابان سينة آلوده وعمل شوريده كجانسانند ورختت كجا نهند اي مسكين اكر بى مارى آخر ناله كو وا كر درباطنت آتشيست دودى كو واكر مرد بازركانى سالها برامد سودى كو طيلسان موسى ونعلين هارونت جه سود جون بزير رداء فرعون دارى صد هزار].

ويجوز أن يكون قوله: لمن الملك اليوم. إلخ. حكاية لما دل عليه ظاهر الحال في ذلك

اليوم من زوال الأسباب، وارتفاع الوسائط إذ لولا الأسباب لما ارتاب المرتاب، وأما حقيقة الحال، فناطقة بذلك دائماً، وقيل: السائل، والمجيب هو الله تعالى وحده، وذلك بعد فناء الخلق، فيكون ابتداء كلام من الله تعالى. وها هنا لطيفة، وهي أن سورة الفاتحة نصفها ثناء لله ونصفها دعاء للعبد، فإذا دعا واحد يجب على الآخر التأمين، فإذا قلت: ولا الضالين؛ كأنه يقول: ينبغي أن أقول: آمين. فكن أنت يا عبدي نائباً عني، وقل آمين، وإذا كان يوم القيامة، وأقول: أنا لمن الملك اليوم، يجب عليك أن تقول: لله الواحد القهار، وأنت في القبر، فأكون أنا نائباً عنك، وأقول: لله الواحد القهار.

قال ابن عطاء: لولا سوء طبائع الجهالة وقلة معرفتهم لما ذكر الله قوله: لمن الملك اليوم، فإن الملك لم يزل ولا يزال له، وهو المالك على الحقيقة، وذلك لما جهلوا حقه وحجبوا عن معرفته وشاهدوا الملك وحقيقته في الآخرة ألجأهم الاضطرار إلى أن قالوا: لله الواحد القهار، فالواحد الذي بطل به الأعداد. والقهار: الذي قهر الكلّ على العجز بالإقرار له بالعبودية طوعاً وكرهاً.

قال شيخي وسندي روح الله روحه في قوله: لله الواحد القهار، ترتيب أنيق، فإن الذات الأحدية تدفع بوحدتها الكثرة وبقهرها الآثار، فيضمحل الكل، فلا يبقى سوى الله تعالى.

وفي «التأويلات النجمية»: يومهم بارزون؛ أي: خارجون من وجودهم بالفناء لا يخفى على الله منهم شيء من وجودهم عند إفنائه حتى لا يبقى له غير الله، فيقول الله تعالى: لمن الملك اليوم، يعني: ملك الوجود. وهذا المقام الذي أشار إليه الجنيد قدس سره بقوله: ما في الوجود سوى الله، فإذا لم يكن لغير الله ملك الوجود يكون هو الداعي، والمجيب، فيقول: لله الواحد القهار؛ لأنه تعالى تجلى بصفة القهارية، فما بقي الداعي ولا المجيب غير الله:

جامى معاد ومبدأ ما وحدتست وبس ما درميانه كثرت موهوم والسلام

﴿ٱلۡيَوۡمَ تُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا كَسَبَتۡۚ لَا ظُلۡمَ ٱلۡيَوۡمَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلۡحِسَابِ ﴿١٧﴾﴾.

﴿اليوم تجزى كل نفس بما كسبت﴾: إما من تتمة الجواب، أو حكاية لما سيقوله تعالى يومئذٍ عقيب السؤال. والجواب: أي: تجزى كل نفس من النفوس البرة والفاجرة من خير أو شر. **﴿لا ظلم اليوم﴾**، بنقص ثواب أو زيادة عذاب، يعني: [نه از ثواب كسى كم كنند ونه بر عقاب كسى افزايند ونه كسى رابكناه كسى بكير ند ونه نيكى راباداش بدى دهند].

﴿إن الله سريع الحساب﴾؛ أي: سريع حسابه تماماً إذ لا يشغله تعالى شأن عن شأن، فيحاسب الخلائق مع كثرتهم في أقرب زمان، ويصل إليهم ما يستحقونه سريعاً، فيكون تعليلاً لقوله تعالى: اليوم تجزى. إلخ.

فإن كون ذلك اليوم بعينه يوم التلاق، ويوم البروز ربما يودهم استبعاد وقوع الكل فيه.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: إذا أخذ في حسابهم لم يقل: أهل الجنة إلا فيها ولا أهل النار إلا فيها، قوله: لم يقل من قال يقيل قيلولة، وهي النوم في نصف النهار.

قال في «كشف الأسرار»: [هركه اعتقاد كرد كه اورا روزى دربيش است كه دران روز باوى سؤالي وجوابي وحسابي وعتابي هست وشب وروز بيقرار بود دمبدم مشغول ومستغرق كار بود ميزان تصرف ازدست فرونهد بعيب كس ننكرد همه عيب خودرا مطالعه كند همه

حساب خود كند در خبر است]. حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا وتهيؤوا للعرض الأكبر. [يكى از بزركان دين روزى نامة نوشت ودرخانة عاريتى بود كفتا خواستم كه آن راخاك بر كنم تاخشك شود بر خاطرم كذشت نبايدكه فردا از عهدة اين مظلمه بيرون نتوانم آمدها نفى آو از داد]، سيعلم المستخف بترتيب الكتاب ما يلقى عند الله غداً من طول الحساب. [آرى فردا روز عرض وحساب بداندكه جه كرد آنكس كه نامة خويش بخاك خانة كسان خشك كرد].

وفي الحديث: يقول الله: «أنا الملك، أنا الديان، لا ينبغي لأحد من أهل الجنة أن يدخل الجنة ولا لأحد من أهل النار أن يدخل النار، وعنده مظلمة حتى أقتص منه»، وتلا عليه السلام هذه الآية. وفي بعض الروايات لأقتص من القرناء للجماء؛ أي: قصاص مقابلة لا تكليف:

در وعده أهل ظلم حالى عجبست ورزيدن ظلم را وبالى عجبست
از ظلم برهيز كه درروز جزا لا ظلم اليوم كو شمالى عجبست

﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاظِمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ ﴿١٨﴾﴾

﴿وأنذرهم﴾: خوفهم يا محمد، يعني أهل مكة. **﴿يوم الآزفة﴾**: منصوب على أنه مفعول به لأنذرهم؛ لأنه المنذر به والآزفة: فاعلة من أزف الأمر على حدّ علم إذا قرب. والمراد: القيامة ولذا أنث ونظيره: أزفت الآزفة؛ أي: قربت القيامة، وسميت بالآزفة لأزوفها، وهو القرب لأن كل آتٍ قريب، وإن استبعد اليائس أمده.

وفي الحديث: «بعثت أنا والساعة كهاتين إن كادت لتسبقني». والإشارة بهاتين إلى السبابة والوسطى، يعني: أن ما بيني وبين الساعة بالنسبة إلى ما مضى من الزمان مقدار فضل الوسطى على السبابة شبه القرب الزماني بالقرب المساحي، لتصوير غاية قرب الساعة، ثم في الأزوف إشعار بضيق الوقت، ولذا عبّر عن القيامة بالساعة. وقيل: أتى أمر الله، فعبر عنها بلفظ الماضي تنبيهاً على قربها، وضيق وقتها كما في «المفردات».

وقال بعضهم: أنذرهم يوم الخطة الآزفة؛ أي: وقتها، وهي مشارقة أهل النار دخولها والخطة بالضم الأمر، والقصة وأكثر ما يستعمل في الأمور العصبة التي تستحق أن تخط وتكتب لغرابتها، كما في حواشي سعدي المفتي: **﴿إذ القلوب لدى الحناجر﴾**: جمع حنجرة، وهي الحلقوم، وهي بالفارسية: [كلو].

والجملة: بدل من يوم الآزفة، فإن القلوب ترتفع عن أماكنها من شدة الفزع، فتلتصق بحلوقهم فلا تعود فيستروحوا ويتنفسوا، ولا تخرج فيستريحوا بالموت. وقيل: يلتفح السحر خوفاً؛ أي: الرئة، فيرتفع القلب إلى الحنجرة.

﴿كاظمين﴾: حال من أصحاب القلوب على المعنى إذ الأصل: إذ قلوبهم لدى حناجرهم بناء على أن التعريف اللامي بدل من التعريف الإضافي يقال: كظم غيظه؛ أي: رد غضبه وحبسه في نفسه بالصبر وعدم إظهار الأثر.

والمعنى: كاظمين على الغم والكربة ساكتين حال امتلائهم بهما يعني: لا يمكنهم أن ينطقوا ويصرحوا بما عندهم من الحزن والخوف من شدة الكربة، وغلبة الغم عليهم، فقوله:

إذ القلوب لدى الحناجر تقرير للخوف الشديد. وقوله: كاظمين تقرير للعجز عن الكلام، فإن الملهوف إذا قدر على الكلام وبث الشكوى حصل له نوع خفة وسكون، وإذا لم يقدر عظم اضطرابه واشتد حاله.

﴿ما للظالمين﴾؛ أي: الكافرين **﴿من حميم﴾**؛ أي: قريب مشفق، يعني: [هيج خويشى مشفق ويار مهربان عذاب ايشان را دفع كند]. **﴿ولا شفيع يطاع﴾**: وشفيع مشفع على معنى نفي الشفاعة والطاعة معاً، وعلى أن يطاع مجاز عن يجاب وتقبل شفاعته؛ لأن المطيع في الحقيقة يكون أسفل حالاً من المطاع، وليس في الوجود من هو أعلى حالاً من الله تعالى حتى يكون مطاعاً له تعالى. وفي الآية بيان أن لا شفاعة في حق الكفار؛ لأنها وردت في ذمهم، وإنما قيل للظالمين موضع للكافرين، وإن كان أعم منهم ومن غيرهم من العصاة، بحسب الظاهر تسجيلاً لهم بالظلم، ودلالة على اختصاص انتفاء كل واحد من الحميم والشفيع المشفع بهم فثبت أن لعصاة المسلمين حميماً وشفيعاً ومشفعاً، وهو النبي عليه السلام، وسائر الأنبياء والمرسلين والأولياء المقربين والملائكة أجمعين.

﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ ﴿١٩﴾﴾.

﴿يعلم﴾: [ميداند خداى تعالى]. **﴿خائنة الأعين﴾**؛ أي: النظرة الخائنة للأعين وإسناد الخيانة إلى النظرة مجاز لأن الخائن هو الناظر أو يعلم خائنة الأعين على أنها مصدر كالعافية كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَزَالُ تَطَّلِعُ عَلَىٰ خَآئِنَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [المائدة: ١٣]. والخيانة مخالفة الحق بنقض العهد في السر ونقيضها الأمانة. والمراد هنا: استراق النظر إلى غير المحرم كفعل أهل الريب. والنظرة الثانية إليه. وفي الخبر «يا ابن آدم لك النظرة الأولى» معفوة لوقوعها مفاجأة دون الثانية لكونها مقارنة للقصد، وهي من قبيل زنا النظر. وفي المثنوي:

كرزناى جشم حظى مى برى نى كباب از بهلوى خود ميخورى

وذلك لأن النظر سهم مسموم من سهام إبليس. والنظرة تزرع في القلب شهوة وكفى بها فتنة. قال الكاشفي:

جشم نظر بانجة حرامست يا غمز كرده بمعايب مردم

أي: الرمز بالعين على وجه العيب:

دو جشم از بى صنع باري نكوست زعيب برادر فروكير ودوست

[يا كذب در رؤيت وعدم رؤيت]. يعني: يدعي الرؤية كذاباً، أو ينكرها.

وفي «التأويلات النجمية»: خائنة أعين المحبين استحسانهم شيئاً غير المحبوب، والنظر إلى غير المحبوب. وفي معناها قيل:

فعيني إذا استحسنت غيركم أمرت الدموع بتأديبها

حكي: أن بعضهم مرَّ بدكان. وفيه نطاق معلق فتعلق به نظره، فاستحسنه، ثم لما تباعد عن الدكان. فقد النطاق من محله، فاتبعه صاحب الدكان، ففتش عنه، فوجده على وسطه. وكان ذلك عقوبة من الله عليه لاستحسانه ذلك النطاق حتى اتهم بسرقته وعوقب عليه.

قال أبو عثمان: خيانة العين، هو أن لا يغضها عن المحارم ويرسلها إلى الهوى والشهوات.

وقال أبو بكر الوراق: يعلم من يمد عينيه إلى الشيء معتبراً، ومن يمد عينيه لإرادة

الشهوة. وقال أبو جعفر النيسابوري: زنا العارف نظره بالشهوة إمام قشيري: [فر مود كه خيانت جشمهاى محبان آنست كه در أوقات مناجات خواب را بيرا من آن كذا رند جنانكه در زبور آمده كه دروغ كويد هركه دعوى محبت من كند وجون شب در آيد جشم از بخواب رود (ع) ومن نام عينا نام عنه وصالنا]:

خواب رابا ديده عاشق جه كار ... جشم او جون شمع باشد اشكبار
جشمهاى عاشقا نرا خواب نيست ... يك نفس ان جشمهابى آب نيست

﴿وما تخفي الصدور﴾: من الضمائر والأسرار مطلقاً خيراً كانت أو شراً، ثبت بهذا أن أفعال القلوب معلومة لله تعالى. وكذا أفعال الجوارح تكون؛ لأن أخفاها، وهي خائنة الأعين إذا كانت معلومة لله تعالى، فعلمه تعالى سائر أفعال الجوارح يكون أولى، والحاكم إذا بلغ في العلم إلى هذا الحد، وجب أن يكون خوف المجرم منه أشد وأقوى، فقوله تعالى: يعلم. إلخ. في قوة التعليل للأمر بالإنذار.

وفي «التأويلات النجمية»: وما تخفي الصدور من متمنيات النفوس ومستحسنات القلوب ومرغوبات الأرواح، فالحق به خبير، ويكون السالك موقوفاً بها، حتى يخرج من تعلقها.

وقال بعضهم: خيانته في الصدور أن لا يصير في مقام القبض ليجري عليه أحكام الحقيقة، ثم ينكشف له عالم البسط، فقد وصف الله خيانة العيون وخفايا الصدور. وقال: لا يخفى عليه شيء من ذلك، وذلك أن العين باب من أبواب القلب، فإذا رأت شيئاً يكون حظ القلب منه يعلم ذلك نفسه، فيطلب الحظ منه، ومن القلب إلى العين باب يجري عليها حركة هواجس النفس تحثها على النظر إلى شيء فيه لها نصيب، فإذا تحققت ذلك علمت أن خيانة الأعين متعلقة بما تخفي الصدور، وإذا كان العارف عارفاً بنفسه وراضها برياضات طويلة وطهرها بمجاهدات كثيرة وزمها بزمام الخوف وآداب الشريعة، صارت صافية من حظوظها، ولكن بقيت في سرها جبلتها على الشهوات، ففي كل لحظة يجري في سرها طلب حظوظها، ولكنها سترتها عن العقل وأخفتها عن الروح من خوفها، فإذا وجدت الفرصة خرجت إلى رؤية العين، فتنظر إلى مرادها، فتسرق حظها من النظر إلى المحارم، وذلك النظر خفي، وتلك الشهوة خفية وصفهما الله سبحانه في هذه الآية، واستعاذ منهما النبي عليه السلام، حيث قال: أعوذ بك من شهوة خفية، ثم إن الروح العاشق إذا احتجب عن مشاهدة جمال الأزل ينقبض ويطلب حظه، ولا يقدر أن ينظر إلى الحق، فيطلب ذلك من الصورة الإنسانية التي فيها آثار الروحانية، فينظر من منظره إلى منظر العقل، ومن منظر العقل إلى منظر القلب، ومن منظر القلب إلى منظر النفس، ومن منظر النفس إلى منظر الصورة، وينظر من العين إلى جمال المستحسنات، لينكشف له ما استتر عنه من شواهد الحق، فتذهب النفس معه وتسرق بحثه حظها، من النظر بالشهوة، فذلك النظر منها غير مرضي في الشرع، والطريقة والحقيقة، وكذا نظر الروح إلى الحق بالوسائط خيانة، فيلزم عليه أن يصبر على الانقباض إلى أن يتجلى له جمال الحق بغير واسطة. قال الشيخ سعدي:

جرا طفل يك روزه هو شش نبرد ... كه در صنع ديدن جه بالغ جه خرد
محقق همي بيند اندر ابل ... كه درخو برويان جين وجكل

ومن الله التوفيق لنظر التحقيق.

﴿وَٱللَّهُ يَقْضِى بِٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَقْضُونَ بِشَىْءٍ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿٢٠﴾﴾

﴿**والله يقضي**﴾ يحكم. ﴿**بالحق**﴾ ؛ أي: بالصدق والعدل في حق كل محسن ومسيء؛ لأنه المالك الحاكم على الإطلاق، فلا يقضي بشيء إلا وهو حق وعدل يستحقه المكلف، ويليق به ففيه تشديد لخوف المكلف. ﴿**والذين يدعون**﴾ ؛ أي: يعبدونهم.

﴿**من دونه**﴾ تعالى، وهم: الأصنام. وبالفارسية: [وآنانهم را كه مى برستند مشركان بدون خدا]. ﴿**لا يقضون بشيء**﴾ : [حكمى نمى كنند ايشان بجيزى زيرا كه اكر جمادانند ايشانرا قدرت بدان نيست واكر حيوانند مخلوق ومملوك اند ومخلوق راقوت حكم وفرمان نيست].

وفي «الإرشاد»: هذا تهكم بهم؛ لأن جماداً، لا يقال في حقه يقضي ولا يقضى. ﴿**إن الله هو السميع البصير**﴾ : تقرير لعلمه تعالى بخائنة الأعين وقضائه بالحق، فإن من يسمع ما يقولون، ويبصر ما يفعلون إذا قضى قضي بالحق ووعيد لهم على ما يفعلون، ويقولون وتعريض بحال ما يدعون من دونه، فإنهم عريانون عن التلبس بهاتين الصفتين، فكيف يكونون معبودين.

وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى يقضي للأجانب بالبعاد وبالوصال لأهل الوداد، ويخرج السالكين من تعلقات أوصافهم على ما قضى به، وقدر في الأزل، وإن كان بواسطة إيمانهم وأعمالهم الصالحة، أن الله قد سمع سؤال الحوائج في الأزل، وهم بعد في العدم، وكذا سمع أنين نفوس المذنبين وحنين قلوب المحبين وأبصر بحاجاتهم، ثم إنه لما بالغ في تخويف الكفار بأحوال الآخرة أردفه بالتخويف بأحوال الدنيا، فقال:

﴿۞ أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ مِن قَبْلِهِمْ كَانُوا۟ هُمْ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ وَمَا كَانَ لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِن وَاقٍ ﴿٢١﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَكَفَرُوا۟ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿**أولم يسيروا في الأرض**﴾ : [آيا سفر نميكنند مشركان مكه درزمين شام ويمن براى تجارت].

﴿**فينظروا**﴾ : يجوز أن يكون منصوباً بالعطف على أن يسيروا، وأن يكون منصوباً على أنه جواب الاستفهام. ﴿**كيف كان عاقبة الذين كانوا من قبلهم**﴾ ؛ أي: مآل حال من قبلهم من الأمم المكذبة لرسلهم كعاد وثمود وأضرابهم، وكانت ديارهم ممر تجار قريش. ﴿**كانوا هم أشد منهم قوة**﴾ ، قدرة وتمكناً من التصرفات، وإنما جيء بضمير الفصل مع أن حقه التوسط بين معرفتين كقوله: أولئك هم المفلحون لمضاهاة أفعل من للمعرفة في امتناع دخول اللام عليه.

﴿**وآثاراً في الأرض**﴾ : مثل القلاع الحصينة والمدن المتينة. ﴿**فأخذهم الله بذنوبهم**﴾ عاقبهم وأهلكهم بسبب كفرهم وتكذيبهم. ﴿**وما كان لهم من الله**﴾ من عذاب الله ﴿**من واقٍ**﴾ يقيهم ويحفظهم.

﴿**ذلك**﴾ ؛ أي: ما ذكر من الأخذ. ﴿**بأنهم**﴾ ؛ أي: بسبب أنهم ﴿**كانت تأتيهم رسلهم بالبينات**﴾ ؛ أي: بالمعجزات أو بالأحكام الظاهرة. ﴿**فكفروا**﴾ بها وكذبوا رسلهم، ﴿**فأخذهم**

﴿الله﴾ أخذاً عاجلاً. ﴿إنه قوي﴾ متمكن مما يريد غاية التمكن. ﴿شديد العقاب﴾ لأهل الشرك لا يعتبر عقاب دون عقابه، فهؤلاء قد شاهدوا مصارعهم وآثار هلاكهم، فبأي وجه امنوا أن يصيبهم مثل ما أصابهم من العذاب.

واعلم أن أهل السعادة قد شكروا الله على نعمة الوجود، فزادهم نعمة الإيمان، فشكروا نعمة الإيمان، فزادهم نعمة الولاية، فشكروا نعمة الولاية، فزادهم نعمة القرب والمعرفة في الدنيا ونعمة الجوار في الآخرة، وأهل الشقاوة قد كفروا نعمة الوجود، فعذبهم الله بالكفر والبعاد والطرد واللعن في الدنيا وعذبهم في الآخرة بالنار وأنواع التعذيبات. وفي قوله: ذلك بأنهم. إلخ. إشارة إلى بعض السالكين والقاصدين إلى الله تعالى إن لم يصل إلى مقصوده يعلم أن موجب حجابه وحرمانه اعتراض خامر قلبه على شيخه، أو على غيره من المشايخ في بعض أوقاته، ولم يتداركه بالتوبة والإنابة، فإن الشيوخ بمحل الأنبياء للمريدين. وفي الخبر: الشيخ في قومه كالنبي في أمته». . وفي المثنوي:

كفت بيغمبر كه شيخي رفته بيش — جو نبي باشد ميان قوم خويش

إنه قوي على الانتقام من الأعداء للأولياء شديد العقاب في الانتقام من الأعداء. وفي «شرح الأسماء» للزروقي القوي هو الذي لا يلحقه ضعف في ذاته، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، فلا يمسه نصب ولا تعب ولا يدركه قصور ولا عجز في نقض ولا إبرام، ومن عرف أن الله تعالى هو القوي، رجع إليه عن حوله وقوته وخاصيته ظهور القوة في الوجود، فما تلاه ذو همة ضعفة إلا وجد القوة ولا ذو جسم ضعيف إلا كان له ذلك، ولو ذكره مظلوم يقصد إهلاك الظالم ألف مرة كان له ذلك وكفى أمره.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢٣﴾ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَقَٰرُونَ فَقَالُوا۟ سَٰحِرٌ كَذَّابٌ ﴿٢٤﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْحَقِّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ ٱقْتُلُوٓا۟ أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ وَٱسْتَحْيُوا۟ نِسَآءَهُمْ ۚ وَمَا كَيْدُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿ولقد أرسلنا موسى﴾ ملتبساً ﴿بآياتنا﴾، وهي المعجزات التسع. ﴿وسلطان مبين﴾؛ أي: وحجة قاهرة ظاهرة كالعصا أفردت بالذكر مع اندراجها تحت الآيات تفخيماً لشأنها، فهو من قبيل عطف الخاص على العام.

﴿إلى فرعون﴾: [بسوى فرعون كه أعظم عمالقة مصر بود ودعواى ربوبيت ميكرد]. ﴿وهامان﴾: [وزير او بود]. وخصهما بالذكر؛ لأن الإرسال إليهما إرسال إلى القوم كلهم لكونهم تحت تصرف الملك، والوزير تابعين لهما، والناس على دين ملوكهم. ﴿وقارون﴾: خصّ بالذكر لكونه بمنزلة الملك من حيث كثرة أمواله وكنوزه، ولا شك أن الإرسال إلى قارون متأخر عن الإرسال إلى فرعون وهامان؛ لأنه كان إسرائيلياً ابن عم موسى مؤمناً في الأوائل أعلم بني إسرائيل حافظاً للتوراة، ثم تغير حاله بسبب الغنى، فنافق كالسامري، فصار ملحقاً بفرعون وهامان في الكفر والهلاك، فاحفظ هذا ودع ما قاله أكثر أهل التفسير في هذا المقام.

﴿فقالوا﴾ في حق ما أظهره من المعجزات خصوصاً في أمر العصا أنه ﴿ساحر﴾: [او ساحرست كه خارق عادت مى نمايد ازروى سحر]، وقالوا فيما ادعاه في رسالة رب العالمين

أنه ﴿كذاب﴾: [دروغ كويست درانكه مى كويد خداى هست ومن رسول اويم]، والكذاب الذي عادته الكذب بأن يكذب مرة بعد أخرى، ولم يقولوا: سحار؛ لأنهم كانوا يزعمون أنه ساحر، وأن سحرتهم أسحر منه كما قالوا: يأتوك بكل سحار عليم. وفيه تسلية لرسول الله عليه السلام، وبيان عاقبة من هو أشد من قريش بطشاً وأقربهم زماناً.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بقوله: ولقد أرسلنا. إلخ. إلى أنه تعالى من عواطف إحسانهم يرسل أفضل خلقه في وقته إلى من هو أرذل خلقه ويبعث أخص عباده إلى أخس عباده ليدعوه إلى حضرة جلاله لإصلاح حاله بفضله ونواله، والعبد من خسة طبعه وركاكة عقله يقابله بالتكذيب وينسبه إلى السحر، والله تعالى إظهاراً لحكمه وكرمه لا يعجل عقوبته ويمهله إلى أوان ظهور شقوته، فيجعله مظهر صفة قهره ويبلغ موسى كمال سعادته، فيجعله مظهر صفة لطفه:

نـر دبـان خـلـق ايـن مـا ومـنـيـسـت عـاقـبـت زيـن نـردبـان افـتـاد نـيـسـت
هـر كـه سـر كـش بـود او مـقـهـور شـد هـركـه خـالـى بـود او مـنـصـور شـد

﴿فلما جاءهم بالحق من عندنا﴾، وهو ما ظهر على يده من المعجزات القاهرة. ﴿قالوا﴾: لاستكمال شقاوتهم. ﴿اقتلوا أبناء الذين آمنوا معه﴾؛ أي: تابعوه في الإيمان، والقائل: فرعون وذوو الرأي من قومه أو فرعون وحده؛ لأنه بمنزلة الكل، كما قال: سنقتل أبناءهم ونستحيي نساءهم. ﴿واستحيوا نساءهم﴾؛ أي: أبقوا بناتهم أحياء، فلا تقتلوهن وبالفارسية: [وزنده بكذارد دختران ايشابرا تا خدمت زنان قبط كنند].

والمعنى: أعيدوا عليهم القتل، وذلك أنه قد أمر بالقتل قبيل ولادة موسى عليه السلام بإخبار المنجمين بقرب ولادته، ففعله زماناً طويلاً ثم كف عنه مخافة أن تفنى بنو إسرائيل، وتقع الأعمال الشاقة على القبط، فلما بعث موسى وأحس فرعون بنبوته أعاد القتل غيظاً وحنقاً [وتادلهاى بني إسرائيل بشكند وموسى را يارى ندهند]. ظناً منهم أنه المولود الذي حكم المنجمون والكهنة بذهاب ملك فرعون على يده. ﴿وما كيد الكافرين﴾ فرعون وقومه، أو غيرهم؛ أي: وما مكرهم وسوء صنيعهم. وبالفارسية: [بنسبت انبيا ومؤمنان]، ﴿إلا في ضلال﴾: [مكر دركم راهى وبيهود كى]؛ أي: في ضياع وبطلان لا يغني عنهم شيئاً وينفذ عليهم لا محالة القدر المقدور والقضاء المحتوم.

وفي «التأويلات النجمية»: عزم على إهلاك موسى وقومه واستعان على ذلك بجنده وخيله ورجله إتماماً لاستحقاقهم العذاب، ولكن من حفظ الحق تعالى كان كما قال: ﴿وما كيد الكافرين إلا في ضلال﴾ أي: في ازدياد ضلالتهم بربهم. يشير إلى أن من حفر بئر الولي من أوليائه ما يقع فيه إلا حافره، وبذلك أجرى الحق سنته. انتهى.

حكي أن مفتي الشام أفتى بقتل الشيخ محيي الدين بن العربي قدس سره، فدخل الحوض للغسل، فظهرت يد فخنقته، فأخرج من الحوض، وهو ميت، وحكي: أن شاباً كان يأمر وينهى فحبسه الرشيد في بيت وسدّ المنافذ ليهلك فيه، فبعد أيام رؤي في بستان يتفرج، فأحضره الرشيد، فقال: من أخرجك؟ قال: الذي أدخلني البستان، فقال: من أدخلك البستان؟ قال: الذي أخرجني من البيت، فتعجب الرشيد، فبكى وأمر له بالإحسان وبأن يركب فرساً وينادي بين يديه: هذا رجل أعزه الله وأراد الرشيد إهانته، فلم يقدر إلا على إكرامه واحترامه.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ ذَرُونِيٓ أَقْتُلْ مُوسَىٰ وَلْيَدْعُ رَبَّهُۥٓ إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي ٱلْأَرْضِ ٱلْفَسَادَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿**وقال فرعون**﴾: لملئه ﴿**ذروني**﴾: خلوا عني واتركوني يقال: ذره؛ أي: دعه. يذره تركاً ولا تقل وذرا وأصله وذره يذره كوسعه يسعه، لكن ما نطقوا بماضيه ولا بمصدره ولا باسم الفاعل كما في «القاموس».

﴿**أقتل موسى**﴾، فإني أعلم أن صلاح ملكي في قتله، وكان إذا هم بقتل موسى عليه السلام كفه ملأه بقولهم: ليس هذا بالذي تخافه، فإنه أقل من ذلك وأضعف، وما هو إلا بعض السحرة وبقولهم: إذا قتلته أدخلت على الناس شبهة، واعتقدوا أنك عجزت عن معارضته بالحجة، وعدلت إلى المقارعة بالسيف، وأوهم اللعين أنهم هم الكافون له عن قتله ولولاهم لقتله، وما كان الذي يكفه إلا ما في نفسه من الفزع الهائل. وذلك أنه تيقن نبوة موسى، ولكن كان يخاف إن همّ بقتله أن يعاجل بالهلاك. ﴿**وليدع ربه**﴾: الذي يزعم أنه أرسله كي يمنعه مني، يعني: [تا قتل من ازوبازدارد]. وهو يخاف منه ظاهراً ويخاف من دعاء ربه باطناً، وإلا فما له يقيم له وزناً ويتكلم بذلك.

﴿**إني أخاف**﴾: إن لم أقتله ﴿**أن يبدل دينكم**﴾؛ أي: بغير ما أنتم عليه من الدين الذي هو عبارة عن عبادته وعبادة الأصنام لتقربهم إليه. ﴿**أو أن يظهر في الأرض الفساد**﴾ ما يفسد دنياكم من التحارب والتهارج إن لم يقدر على تبديل دينكم بالكلية، فمعنى أو وقوع أحد الشيئين.

وفي الآية إشارة إلى أن فرعون من عمي قلبه ظن أن الله يذره أن يقتل موسى بحوله وقوته أو يذره قومه، ولم يعلم أن الله يهلكه ويهلك قومه وينجي موسى وقومه. وقد خاف من تبديل الدين، أو الفساد في الأرض، ولم يخف هلاك نفسه وهلاك قومه وفساد حالهم في الدارين.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾

﴿**وقال موسى**﴾؛ أي: لقومه حين سمع بما يقوله اللعين من حديث قتله عليه السلام. ﴿**إني عذت**﴾: [من بناه كرفتم وفرياد وزنهار خواستم]. والعوذ: الالتجاء إلى الغير والتعلق به. ﴿**بربي وربكم**﴾: خص اسم الرب؛ لأن المطلوب هو الحفظ والتربية وإضافته إليه وإليهم للحث على موافقته في العياذ به تعالى، والتوكل عليه، فإن في تظاهر النفوس تأثيراً قوياً، وفي استجلاب الإجابة، وهو السبب الأصلي في اجتماع الناس لأداء الصلوات الخمس والجمعة والأعياد والاستسقاء ونحوها. ﴿**من كل متكبر**﴾ متعظم عن الإيمان. وبالفارسية: [از هر كردن كشى]. ولم يسم فرعون، بل ذكره بوصف يعمه وغيره من جبابرة أركانه وغيرهم لتعميم الاستعاذة والإشعار بعلة القساوة والجراءة على الله، وهي التكبر وما يليه من عدم الإيمان بالبعث.

يقول الفقير: وأما قول الرازي وتبعه القاضي لم يسم فرعون رعاية لحق التربية التي كانت من فرعون له عليه السلام في صغره، فمدخول بأن موسى عليه السلام قد شافهه باسمه في غير هذا الموضع، كما قال: وإني لأظنك يا فرعون مثبوراً وهذا أشد من قوله: من فرعون على

تقدير التسمية من حيث صدوره مشافهة وصدوره من فرعون مغاية. ﴿لا يؤمن بيوم الحساب﴾ صفة لما قبله عقبه به؛ لأن طبع المتكبر القاسي وشأنه إبطال الحق وتحقير الخلق لكنه، قد ينزجر إذا كان مقراً بالجزاء وخائفاً من الحساب. وأما إذا اجتمع التكبر، والتكذيب بالبعث كان أظلم وأطغى، فلا عظيمة إلا ارتكبها، فيكون بالاستعاذة أولى وأحرى. وسئل الإمام أبو حنيفة رضي الله عنه؛ أي ذنب أخوف على سلب الإيمان. قال: ترك الشكر على الإيمان وترك خوف الخاتمة، وظلم العباد فإن من كان فيه هذه الخصال الثلاث، فالأغلب أن يخرج من الدنيا كافراً إلا من أدركته السعادة. وفي الخبر: «إن الله تعالى سخر الريح لسليمان عليه السلام، فحملته وقومه على السرير حتى سمعوا كلام أهل السماء، فقال ملك لآخر إلى جنبه: لو علم الله في قلب سليمان مثقال ذرة من كبر لأسفله في الأرض مقدار ما رفعه من الأرض إلى السماء».

وفي الحديث: «ما من أحد إلا وفي رأسه سلسلتان: إحداهما: إلى السماء السابعة، والأخرى إلى الأرض السابعة، فإذا تواضع رفعه الله بالسلسلة التي في السماء السابعة»، وإذا تكبر وضعه الله بالسلسلة التي في الأرض السابعة، فالمتكبر أياً كان مقهور لا محالة كما يقال: أول ما خلق الله درة بيضاء، فنظر إليها بالهيبة، فذابت وصارت ماء وارتفع زبدها، فخلق منه الأرض، فافتخرت الأرض. وقالت: من مثلي، فخلق الله الجبال، فجعلها أوتاداً في الأرض، فقهر الأرض بالجبال، فتكبرت الجبال، فخلق الحديد، وقهر الجبال به، فتكبر الحديد فقهره بالنار، فتكبرت النار، فخلق الماء، فقهرها به، فتكبر الماء فخلق السحاب، ففرق الماء في الدنيا، فتكبر السحاب، فخلق الرياح، ففرقت السحاب، فتكبرت الرياح، فخلق الآدمي حتى جعل لنفسه بيتاً وكناً من الحر والبرد والرياح، فتكبر الآدمي، فخلق النوم، فقهره به، فتكبر النوم، فخلق المرض، فقهره به فتكبر المرض، فخلق الموت، فتكبر فقهره بالذبح يوم القيامة، حيث يذبح بين الجنة والنار، كما قال تعالى: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩]. يعني: إذ ذبح الموت فالقاهر فوق الكل هو الله تعالى، كما قال. ﴿وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَـٰهِرُونَ﴾ [الأعراف: ١٢٧]، ثم إن الكبر من أشد صفات النفس الأمارة، فلا بد من إزالته. قال المولى الجامي:

لاف بى كبرى مزن كان از نشان باى مور	درشب تاريك برسنك سيه بنهان ترسب
وزدرون كردن برون آسان مكيرانرا كزان	كوه را كندن بسوزن از زمين آسان ترست

﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَـٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّىَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَـٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِى يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿وقال رجل﴾: [جون خبر قتل موسى فاش شد ودستان اندو هكير ودشمنان شادمان كشتند]. ولكن لما استعاذ موسى عليه السلام بالله واعتمد على فضله ورحمته، فلا جرم صانه الله من كل بلية وأوصله إلى كل أمنية وقيض له إنساناً أجنبياً حتى ذب عنه بأحسن الوجوه في تسكين تلك الفتنة كما حكى الله عنه بقوله: وقال رجل: ﴿مؤمن﴾ كائن ﴿من آل فرعون﴾، فهو صفة ثانية لرجل، وقوله: ﴿يكتم إيمانه﴾ صفة ثالثة قدم الأول أعني مؤمن لكونه أشرف الأوصاف، ثم الثاني لئلا يتوهم خلاف المقصود، وذلك لأنه لو أخر عن أن يكتم إيمانه لتوهم

أن من صلته، فلم يفهم أن ذلك الرجل كان من آل فرعون وآل الرجل خاصته الذين يؤول إليه أمرهم للقرابة، أو الصحبة، أو الموافقة في الدين. وكان ذلك الرجل المؤمن من أقارب فرعون؛ أي: ابن عمه، وهو منذر موسى بقوله: ﴿إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾ [القصص: ٢٠] كما سبق في سورة القصص واسمه شمعان بالشين المعجمة، وهو أصح ما قيل فيه. قاله الإمام السهيلي.

وفي «تاريخ الطبري»: اسمه جبر. وقيل: حبيب النجار، وهو الذي عمل تابوت موسى حين أرادت أمه أن تلقيه في اليم، وهو غير حبيب النجار صاحب يٰس. وقيل: خربيل بن نوحائيل أو حزقيل. ويدل عليه قوله عليه السلام سباق الأمم ثلاثة لم يكفروا بالله طرفة عين حزقيل مؤمن آل فرعون وحبيب النجار صاحب يٰس وعلي بن أبي طالب كرم الله وجهه، وهو رضي الله عنه أفضلهم كما في إنسان العيون نقلاً عن «العرائس».

وقال ابن الشيخ في «حواشيه» روي عن النبي عليه السلام: أنه قال الصديقون ثلاثة: حبيب النجار مؤمن آل يٰس ومؤمن آل فرعون الذي قال: أتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله. والثالث: أبو بكر الصديق، وهو أفضلهم». انتهى.

يقول الفقير: يمكن أن يقال: لا مخالفة بين هاتين الروايتين لما أن المراد تفضيل أبي بكر في الصديقية، وتفضيل علي في السبق وعدم صدور الكفر عنه، ولو لحظة فأفضلية كل منهما من جهة أخرى، ثم إن الروايتين دلتا على كون ذلك الرجل قبطياً، وأيضاً أن فرعون أصغى إلى كلامه، واستمع منه، ولو كان إسرائيلياً لكان عدواً له، فلم يكن ليصغي إليه.

قال في «التكملة»: فإن قلت: الآل قد يكون في غير القرابة بدليل قوله تعالى: ﴿أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]، ولم يرد إلا كل من كان على دينه من ذوي قرابته وغيرهم. فالجواب: أن هذا الرجل لم يكن من أهل دين فرعون، وإنما كان مؤمناً، فإذا لم يكن من أهل دينه، فلم يبق لوصفه بأنه من آله إلا أن يكون من عشيرته. انتهى.

وقيل: كان إسرائيلياً، ابن عم قارون أو أبوه من آل فرعون وأمه من بني إسرائيل فيكون من آل فرعون صلة يكتم وفيه أنه لا مقتضى هنا لتقديم المتعلق وأيضاً أن فرعون كان يعلم إيمان بني إسرائيل ألا ترى إلى قوله: ﴿أَبْنَآءَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ [غافر: ٢٥]، فكيف يمكنهم أن يفعلوا كذلك مع فرعون؟ وقيل: كان عربياً موحداً ينافقهم لأجل المصلحة. **﴿يكتم إيمانه﴾**؛ أي: يستره ويخفيه من فرعون وملئه لا خوفاً بل ليكون كلامه بمحل من القبول، وكان قد آمن بعد مجيء موسى أو قبله بمائة سنة وكتمه، فلما بلغه خبر قصد فرعون بموسى. قال:

﴿أتقتلون رجلا﴾ أتقصدون قتله ظلماً بلا دليل. والاستفهام إنكاري. **﴿أن يقول﴾**؛ أي: لأن يقول أو كراهة أن يقول: **﴿ربي الله﴾** وحده لا شريك له، والحصر مستفاد من تعريف طرفي الجملة مثل صديقي زيد لا غير. **﴿وقد جاءكم بالبينات﴾**؛ أي: والحال أنه قد جاءكم بالمعجزات الظاهرة التي شاهدتموها. **﴿من ربكم﴾** لم يقل من ربه لأنهم إذا سمعوا أنه جاءهم بالبينات من ربهم دعاهم ذلك إلى التأمل في أمره، والاعتراف به وترك المكابرة معه، لأن ما كان من قبل رب الجميع يجب اتباعه وإنصاف مبلغه.

وعن عروة بن الزبير، قال: قلت لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما: حدثني: بأشد شيء صنعه المشركون برسول الله عليه السلام. قال: أقبل عقبة بن أبي معيط ورسول الله يصلي عند

الكعبة، أو لقيه في الطواف، فأخذ بمجامع ردائه عليه السلام، فلوى ثوبه على عنقه وخنقه خنقاً شديداً. وقال له: أنت التي تنهانا عما يعبد آباؤنا، فقال عليه السلام: أنا ذاك، فأقبل أبو بكر رضي الله عنه، فأخذ بمنكبيه عليه السلام، والتزمه من ورائه ودفعه عن رسول الله. وقال: أتقتلون رجلاً أن يقول: ربي الله، وقد جاءكم بالبينات من ربكم رافعاً صوته وعيناه تسفحان دمعاً؛ أي: تجريان حتى أرسلوه. وفيه بيان أن ما تولى أبو بكر من رسول الله كان أشد مما تولاه الرجل المؤمن من موسى؛ لأنه كان يظهر إيمانه. وكان بمجمع طغاة قريش.

وحكى ابن عطية في «تفسيره» عن أبيه: أنه سمع أبا الفضل بن الجوهري على المنبر يقول: وقد سئل أن يتكلم في شيء من فضائل الصحابة رضي الله عنهم، فأطرق قليلاً ثم رفع رأسه، فقال:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه فكل قرين بالمقارن يقتدي

ماذا ترون من قوم قرنهم الله تعالى بنبيه وخصهم بمشاهدته وتلقي الروح. وقد أثنى الله على رجل مؤمن من آل فرعون كتم إيمانه وأسره فجعله في كتابه، وأثبت ذكره في المصاحف لكلام قاله في مجلس من مجالس الكفر، وأين هو من عمر بن الخطاب رضي الله عنه إذ جرد سيفه بمكة. وقال: والله لا أعبد الله سراً بعد اليوم، فكان ما كان من ظهور الدين بسيفه ثم أخذهم الرجل المؤمن بالاحتجاج من باب الاحتياط بإيراده في صورة الاحتمال من الظن بعد القطع بكون قتله منكراً، فقال: **﴿وإن يك كاذباً فعليه كذبه﴾** لا يتخطاه وبال كذبه وضرره، فيحتاح في دفعه إلى قتله، يعني: أن الكاذب إنما يقتل إذا تعدى ضرر كذبه إلى غيره كالزنديق الذي يدعو الناس والمبتدع الذي يدعو الناس إلى بدعته. وهذا لا يقدر على أن يحمل الناس على قبول ما أظهره من الدين لكون طباع الناس آبية عن قبوله ولقدرتكم على منعه من إظهار مقالته ودينه. **﴿وإن يك صادقاً﴾** في قوله: فكذبتموه وقصدتم له بسوء، **﴿يصبكم بعض الذي يعدكم﴾**؛ أي: إن لم يصبكم كله، فلا أقل من إصابة بعضه.

وفي بعض ذلك كفاية لهلاكهم، فذكر البعض ليوجب الكل، لا أن البعض هو الكل، وهذا كلام صادر عن غاية الإنصاف وعدم التعصب، ولذلك قدم من شقي الترديد كونه كاذباً وصرح بإصابة البعض دون الجميع مع أن الرسول صادق في جميع ما يقوله: وإنما الذي يصيب بعض ما يعده دون بعض هم الكهان والمنجمون، ويجوز أن يكون المعنى: يصبكم ما يعدكم من عذاب الدنيا، وهو بعض ما يعدهم؛ لأنه كان يتوعدهم بعذاب الدنيا والآخرة؛ كأنه خوفهم بما هو ظهر احتمالاً عندهم. وفي «عين المعاني»: لأنه وعد النجاة بالإيمان والهلاك بالكفر، وقد يكون البعض بمعنى الكل كما في قوله:

قد يدرك المتأني بعض حاجته وقد يكون مع المستعجل الزلل

وقوله تعالى: ﴿وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ﴾ [الزخرف: ٦٣]؛ أي: جميعه. وفي قوله تعالى: ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ﴾ [المائدة: ٤٩]؛ أي: بكلها كما في «كشف الأسرار». وقال أبو الليث: بعض هنا صلة يريد يصبكم الذي يعدكم. **﴿إن الله لا يهدي من هو مسرف﴾**، وهو الذي يتجاوز الحد في المعصية، أو هو السفاك للدم بغير حق. **﴿كذاب﴾**، وهو الذي يكذب مرة بعد أخرى. وقيل: كذاب على الله؛ لأن الكذب عليه ليس كالكذب على غيره، وهو احتجاج آخر ذو وجهين:

أحدهما: أنه لو كان مسرفاً كذاباً، لما هداه الله تعالى إلى البينات، ولما أيده بتلك المعجزات.

وثانيهما: أنه إن كان كذلك خذله الله وأهلكه، فلا حاجة لكم إلى قتله، ولعله أراهم وهو عاكف على المعنى الأول لتلين شكيمتهم. وقد عرض به لفرعون؛ لأنه مسرف حيث قتل الأبناء بلا جرم كذاب حيث ادعى الألوهية لا يهديه الله سبيل الصواب ومنهاج النجاة، بل يفضحه ويهدم أمره.

﴿يَٰقَوْمِ لَكُمُ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ ظَٰهِرِينَ فِى ٱلْأَرْضِ فَمَن يَنصُرُنَا مِنۢ بَأْسِ ٱللَّهِ إِن جَآءَنَا ۚ قَالَ فِرْعَوْنُ مَآ أُرِيكُمْ إِلَّا مَآ أَرَىٰ وَمَآ أَهْدِيكُمْ إِلَّا سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿يا قوم﴾؛ أي: كروه من **﴿لكم الملك﴾** والسلطنة **﴿اليوم﴾**: حال كونكم **﴿ظاهرين﴾** غالبين عالين على بني إسرائيل، والعامل في الحال. وفي قوله: اليوم ما تعلق به لكم. **﴿في الأرض﴾**؛ أي: أرض مصر لا يقاومكم أحد في هذا الوقت. **﴿فمن﴾**: [بس كيست كه]. **﴿ينصرنا من بأس الله﴾** من أخذه وعذابه. **﴿إن جاءنا﴾**؛ أي: فلا تفسدوا أمركم ولا تتعرضوا لبأس الله بقتله، فإنه إن جاءنا لم يمنعنا منه أحد وإنما نسب ما يسرهم من الملك والظهور في الأرض إليهم خاصة ونظم نفسه في سلكهم فيما يسوؤهم من مجيء بأس الله تطميناً لقلوبهم وإيذاناً بأنه مناصح لهم ساعٍ في تحصيل ما يجديهم ودفع ما يرديهم سعيه في حق نفسه ليتأثروا بنصحه.

﴿قال فرعون﴾: بعدما سمع نصحه إضراباً عن المجادلة. وبالفارسية: [كفت فرعون مرآن مومن راكه از قتل موسى نهى كرد وجمعى ديكر را كه نزدوى حاضر بودند]. **﴿ما أريكم﴾**؛ أي: ما أشير عليكم. **﴿إلا ما أرى﴾** واستصوبه من قتله قطعاً لمادة الفتنة. **﴿وما أهديكم﴾** بهذا الرأي. **﴿إلا سبيل الرشاد﴾**؛ أي: الصواب، فهو من الرأي يقال رأى فيه رأياً اعتقد فيه اعتقاداً وراءيته شاورته. ولما نقل رأى من الرأي إلى باب أفعل عدي إلى الضمير المنصوب، ثم استثني استثناء مفرغاً، فقيل: إلا ما أرى، ويجوز أن يكون من الرؤية بمعنى العلم. يقال: رآه بعينه؛ أي: أبصره ورآه بقلبه؛ أي: علمه، فيتعدى إلى مفعولين ثانيهما إلا ما أرى. والمعنى: لا أعلمكم إلا ما أعلم ولا أسر عنكم خلاف ما أظهره. ولقد كذب حيث كان مستشعراً للخوف الشديد، ولكنه كان يظهر الجلادة وعدم المبالاة ولولاه لما استشار أحداً أبداً. وفي المثنوي: إن الاستشارة كانت من عادته حتى أنه كان يلين قلبه في بعض الأوقات من تأثير كلام موسى عليه السلام، فيميل إلى الإيمان ويستشير امرأته آسية، فتشير عليه بالإيمان، ومتابعة موسى ويستشير وزيره هامان، فيصده عن ذلك. وفي المثنوي:

بس بكفتى تا كنون بودى خديو ... بند كردى زنده بوشى را بريو
همجو سنك منجنيقى آمدى ... آن سخن برشيشه خانة أوزدى
هر جه صدروز آن كليم خوش خصاب ... ساختى دريكدم أو كردى خراب
عقل تود ستور مغلوب هواست ... درو جودت زهزن راه خداست
واى آن شه كه وزير شن اين بود ... جاى هردو دوزخ بركين بود
مرهوا را تو وزير خود مساز ... كه برارد جان باكت ازنماز

شاد آن شاهى كه اوراد ستكير باسداندر كارجون آصف وزير
شاه عادل جون قرين اوشود نام او نور على نور بود
شاه جون فرعون وهامانش وزير هردورا نبود زبد بختى كزير
پس بود ظلمات بعضا فوق بعض نى خرد يارونى دولت روز عرض

نسأل الله زكاء الروح وصفاء القلب.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِيٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُم مِّثۡلَ يَوۡمِ ٱلۡأَحۡزَابِ ۝٣٠ مِثۡلَ دَأۡبِ قَوۡمِ نُوحٖ وَعَادٖ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡۚ وَمَا ٱللَّهُ يُرِيدُ ظُلۡمٗا لِّلۡعِبَادِ ۝٣١﴾.

﴿**وقال الذي آمن**﴾ من آل فرعون مخاطباً لقومه واعظاً لهم.

وفي الحديث: «أفضل الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر». وذلك من أجل علة الخوف والقهر؛ ولأن الجهاد بالحجة والبرهان أكبر من الجهاد بالسيف والسنان.

﴿**يا قوم**﴾؛ أي: كروه من ﴿**إني أخاف عليكم**﴾، في تكذيب موسى عليه السلام، والتعرض له بسوء كالقتل والأذى. ﴿**مثل يوم الأحزاب**﴾: مثل أيام الأمم الماضية، يعني: وقائعهم العظيمة وعقوباتهم الهائلة على طريق ذكر المحل وإرادة الحال فإن قلت: الظاهر أن يقال: مثل أيام الأحزاب إذ لكل حزب يوم على حدة قلت: جمع الأحزاب مع «تفسيره» بالطوائف المختلفة المتباينة الأزمان والأماكن أغنى عن جمع اليوم إذ بذلك ارتفع الالتباس، وتبين أن المراد: الأيام.

﴿**مثل دأب قوم نوح**﴾: الدأب: العادة المستمر عليها، والشأن ومثل بدل من الأول. والمراد: بالدأب، واليوم واحد إذ المعنى مثل حال قوم نوح وشأنهم في العذاب. وبالفارسية: [ما نند حال كروه نوح كه بطوفان هلاك شدند]. ﴿**وعاد**﴾: [وكروه عاد كه بباد صرصر مستأصل كشتند]. ﴿**وثمود**﴾: [وقوم ثمود كه بيك صيحه مردند]. ﴿**والذين من بعدهم**﴾: [وما نند حال آنانكه از بس ايشان بودند جون أهل مؤتفكه كه شهر ايشان زود بركشت وجون أصحاب أيكه كه بعذاب يوم الظلة كرفتار شدند].

﴿**وما الله يريد ظلماً للعباد**﴾، فلا يهلكهم قبل ثبوت الحجة عليهم، ولا يعاقبهم بغير ذنب، ولا يخلي الظالم منهم بغير انتقام [بس شماهم ظلم مكنيد تا معذب نكرديد].

﴿وَيَٰقَوۡمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ يَوۡمَ ٱلتَّنَادِ ۝٣٢ يَوۡمَ تُوَلُّونَ مُدۡبِرِينَ مَا لَكُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنۡ عَاصِمٖۗ وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٖ ۝٣٣﴾

﴿**ويا قوم إني أخاف عليكم يوم التناد**﴾. أصله: يوم التنادي بالياء على أنه مصدر تنادى القوم بعضهم بعضاً تنادياً بضم الدال، ثم كسر لأجل الياء وحذف الياء حسن في الفواصل، وهو بالفارسية: [يكديكررا آو ازدادن].

ويوم: نصب على الظرف؛ أي: من ذلك اليوم لما فيه من العذاب على المصرين والمؤذين، أو على المفعول به؛ أي: عذاب يوم التناد حذف المضاف، وأقيم المضاف إليه مقامه، فاعرف إعرابه. والمراد بيوم التناد يوم القيامة؛ لأنه ينادي فيه بعضهم بعضاً للاستغاثة كقولهم: فهل لنا من شفعاء فيشفعوا لنا. [وهيج كس بفرياد كس نمى رسد]. أو يتصايحون بالويل والثبور بنحو قولهم: يا ويلنا من بعثنا، وما لهذا الكتاب، أو يتنادى أصحاب الجنة

وأصحاب النار، يعني: أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا من الجنة والنعيم المقيم حقاً، فهل وجدتم ما وعد ربكم من عذاب النار حقاً، قالوا: نعم، ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء، أو مما رزقكم الله.

قال الكاشفي: [يا بعداز ذبح موت ندا كنند كه يا أهل الجنة خلود ولا موت ويا أهل النار خلود ولا موت يا در آنروز منادى ندا كنند كه فلان نيك بخت شدكه هر كزبد بخت نشودو فلان بد بختى كشت كه تا ابد نيك بختى نيابد].

﴿**يوم تولون**﴾: بدل من يوم التناد، يعني: [روزى كه بركردانيده شويد از موقف حساب وبرويد]. ﴿**مدبرين**﴾: حال كونكم منصرفين عنه إلى النار، يعني: [باز كشتكان ازانجا بسوى دوزخ]، وحال كونكم. ﴿**ما لكم من الله من عاصم**﴾؛ أي: ما لكم من عاصم يعصمكم من عذابه تعالى، ويحفظكم. ﴿**ومن يضلل الله**﴾: [وهر كرا خدا فرود كذا رد در ضلالت]. ﴿**فما له من هاد**﴾: يهديه إلى طريق النجاة. قاله لما أيس من قبولهم.

وفي الآيات إشارة إلى أن الله تعالى إذا شاء بكمال قدرته إظهاراً لفضله ومنته، يخرج الحي من الميت كما أخرج من آل فرعون مؤمناً حياً قلبه بالإيمان من بين كفار أموات قلوبهم بالكفر ليتحقق قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾ [السجدة: ١٣]، وإذا شاء إظهاراً لعزته وجبروته يعمى ويصم الملوك والعقلاء مثل: فرعون وقومه، لئلا يبصروا آيات الله الظاهرة، ولا يسمعوا الحجج الباهرة مثل ما نصحهم بها مؤمن آلهم ليتحقق قوله تعالى: ﴿**ومن يضلل الله فما له من هادٍ**﴾. وقوله: ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾ [السجدة: ١٣] الآية كما في «التأويلات النجمية». وأسند الإضلال إلى الله تعالى؛ لأنه خالق الضلالة، وإنما الشيطان ونحوه من الوسائط، فالجاهل يرى القلم مسخراً للكاتب والعارف يعلم أنه مسخر في يده لله تعالى؛ لأنه خالق الكاتب والقلم، وكذا فعل الكاتب.

وفي قوله تعالى: ﴿**فما له من هادٍ**﴾ إشارة إلى أن التوفيق والاختيار للواحد القهار، فلو كان لآدم لاختار قابيل، ولو كان لنوح لاختار كنعان، ولو كان لإبراهيم لاختار آزر، ولو كان لموسى لاختار فرعون، ولو كان لمحمد عليه وعليهم السلام لاختار عمه أبا طالب.

يقال: سبعة عام وسبعة في جنبها خاص الأمر عام، والتوفيق خاص والنهي عام، والعصمة خاص والدعوة عام، والهداية خاص، والموت عام والبشارة خاص، والحشر يوم القيامة عام، والسعادة خاص، وورود النار عام، والنجاة منها خاص، والتخليق عام، والاختيار خاص، يعني ليس كل من خلقه الله اختاره، بل خص منه قوماً، وكذا خلق أموراً وأشياء فخص منها البعض ببعض الخواص، ثم العجب أن مثل موسى عليه السلام يكون وسط قومه لا يهتدون به، وذلك لأن صاحب المرة لا يجد حلاوة العسل، والضرير لا يرى الشمس، وليس ذلك إلا من سوء المزاج، وفساد الحال، وفقدان الاستعداد:

عنكبوت از طبع عنقا داشتى   از لعا بى خيمه كى افرا شتى

ثم قال مؤمن آل فرعون بطريق التوبيخ.

﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَمَا زِلْتُمْ فِى شَكٍّ مِّمَّا جَآءَكُم بِهِۦ ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ ٱللَّهُ مِنۢ بَعْدِهِۦ رَسُولًا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿ولقد جاءكم﴾ يا أهل مصر ﴿يوسف﴾ بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم الخليل عليهم السلام. ﴿من قبل﴾؛ أي: من قبل موسى ﴿بالبينات﴾ بالمعجزات الواضحة التي من جملتها تعبير الرؤيا وشهادة الطفل على براءة ذمته، وقد كان بعث إلى القبط قبل موسى بعد موت الملك. وكان فرعون هو فرعون موسى عاش إلى زمانه. وذلك لأن فرعون موسى عمر أكثر من أربعمائة سنة، وكان بين إبراهيم وموسى تسعمائة سنة على ما رواه ابن قتيبة في كتاب «المعارف»، فيجوز أن يكون بين يوسف وموسى مدة عمر فرعون تقريباً، فيكون الخطاب لفرعون وجمع لأن المجيء إليه بمنزلة المجيء إلى قومه، وإلا فأهل عصر موسى لم يروا يوسف بن يعقوب.

والأظهر على نسبة أحوال الآباء إلى الأولاد وتوبيخ المعاصرين بحال الماضين؛ أي: ولقد جاء أيها القبط آباءكم الأقدمين. وهذا كما قال الله تعالى: ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِن قَبْلُ﴾ [البقرة: ٩١]، وإنما أراد به آباءهم؛ لأنهم هم القاتلون، ثم لا يلزم من هذا أن يكون فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف على ما ذهب إليه البعض.

وقيل: المراد يوسف بن إفرائيم بن يوسف الصديق أقام نبياً عشرين سنة. ﴿فما زلتم﴾ من زال ضد ثبت؛ أي: دمتم. ﴿في شك مما جاءكم به﴾ من الدين الحق. ﴿حتى إذا هلك﴾ بالموت، يعني: [تا آنكاه كه بمرد]. ﴿قلتم﴾: ضماً إلى تكذيب رسالته، تكذيب رسالة من بعده. ﴿لن يبعث الله من بعده رسولاً﴾.

وقال الكاشفي: [جون سخن اين رسول نشنيديم ديكرى نخو اهد آمد از ترس آنكه در قول او تردد كنيم]. وفي الآية إشارة إلى أن في الإنسان ظلومية وجهولية لو خلي وطبعه لا يؤمن بنبي من أنبيائه ولا بمعجزاتهم أنها آيات الحق تعالى، وهذه طبيعة المتقدمين والمتأخرين منهم، وإنما المهتدي من يهديه الله بفضله وكرمه ومن إنكارهم الطبيعي أنهم ما آمنوا بنبوة يوسف، فلما هلك أنكروا أن يكون بعده رسول الله، وذلك من زيادة شقاوة الكافرين، كما أن من كمال سعادة المؤمنين أن يؤمنوا بالأنبياء قبل نبيهم. ﴿كذلك﴾؛ أي: مثل ذلك الإضلال الفظيع. ﴿يضل الله﴾: [كمراه سازد خداى تعالى در بوادى طغيان].

﴿من هو مسرف﴾ في عصيانه. ﴿مرتاب﴾: في دينه، شاكٌّ في معجزات أنبيائه لغلبة الوهم والتقليد.

﴿الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِ اللَّهِ بِغَيْرِ سُلْطَانٍ أَتَاهُمْ كَبُرَ مَقْتًا عِندَ اللَّهِ وَعِندَ الَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى كُلِّ قَلْبِ مُتَكَبِّرٍ جَبَّارٍ ﴿٣٥﴾﴾

﴿الذين يجادلون في آيات الله﴾ بدل من الموصول الأول؛ لأنه بمعنى الجمع إذ لا يريد مسرفاً واحداً، بل كل مسرف. والمراد بالمجادلة رد الآيات. والطعن فيها ﴿بغير سلطان﴾ متعلق بيجادلون؛ أي: بغير حجة وبرهان صالحة للتمسك بها في الجملة. ﴿أتاهم﴾ صفة سلطان ﴿كبر﴾ عظم من هو مسرف مرتاب، أو الجدال. ﴿مقتاً﴾؛ أي: من جهة البغض الشديد والنفور القوي ﴿عند الله وعند الذين آمنوا﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنه: بمقتهم الذين آمنوا بذلك الجدال. ﴿كذلك﴾؛ أي: مثل ذلك الطبع الفظيع. ﴿يطبع الله﴾: [مهر مى نهد خداى تعالى واز هدى محجوب ميكند].

﴿على كل قلب متكبر جبار﴾: [برهردل شخص متكبر كه سر كش انداز فرمان بردارى خو دكامه كه خودرا ازديكران بر تردانند]. فيصدر عنه أمثال ما ذكر من الإسراف والارتياب والمجادلة بالباطل.

قال الراغب: الجبار في صفة الإنسان. يقال: لمن جبر نقيصته؛ أي: أصلحها بادعاء منزلة من التعالي لا يستحقها. وهذا لا يقال إلا على طريقة الذم ويسمى السلطان جبار لقهره الناس على ما يريده، أو لإصلاح أمورهم، فالجبر تارة، يقال في الإصلاح المجرد وتارة في القهر المجرد.

وقال أبو الليث: ﴿على قلب كل متكبر جبار﴾ ومثله في «كشف الأسرار» حيث قال بالفارسية: [بردل هر كردن كشى]. فقوله: قلب بغير تنوين بإضافته إلى متكبر؛ لأن المتكبر هو الإنسان. وقرأ بعضهم بالتنوين بنسبة الكبر إلى القلب على أن المراد صاحبه؛ لأنه متى تكبر القلب تكبر صاحبه، وبالعكس والخبر زنا العينين النظر يعني زنا صاحبهما.

قال في «الكواشي»، وكل على القراءتين لعموم الطبع جميع القلب لا لعموم جميع القلوب.

يقول الفقير: اعلم أن الطابع هو الله تعالى، والمطبوع هو القلب وسبب الطبع هو التكبر والجبارية وحكمه أن لا يخرج من القلب ما فيه من الكفر والنفاق والزيغ والضلال، فلا يدخل فيه ما في الخارج من الإيمان والإخلاص والسداد والهدى، وهو أعظم عقوبة من الله عليه، فعلى العاقل أن يتشبث بالأسباب المؤدية إلى شرح الصدر لا إلى طبع القلب.

قال إبراهيم الخواص قدس سره: دواء القلب خمسة: قراءة القرآن بالتدبر وخلاء البطن وقيام الليل، والتضرع إلى الله عند السحر، ومجالسة الصالحين.

وقال الحسن البصري: حادثوا هذه القلوب بذكر الله، فإنها سريعة الدثور، وهو بالفارسية: [زنك أفكندن كارد وشمشير والمحادثة بزدودن]. وهذا بالنسبة إلى القلب القابل للمحادثة إذ رب قلب لا يقبل ذلك:

آهـنـى راكـه مـوريـانـه بـخـورد نـتـوان بـرد ازو بـصـيـقـل زنـك
بـاسـيـه دل جـه سـود كـفـتـن وعـظ نـرود مـيـخ آهـنـيـن درسـنـك

وفي الحديث: «إني ليغان على قلبي وإني لأستغفر الله في كل يوم مائة مرة». وقد تكلموا في تأويله عن الجنيد البغدادي قدس سره أن العبد، قد ينتقل من حال إلى أرفع منها. وقد يبقى من الأولى بقية يشرف عليها من الثانية، فيصححها. ويقال: بين العبد والحق ألف مقام أو مائة من نور وظلمة، فعلى هذا كان عليه السلام، كلما جاز عن مقام استغفر، فهو يقطع جميع الحجب كل يوم، وذلك يدل على نهاية بلوغه إلى حد الكمال وجلالة قدره عند الملك المتعال.

يقول الفقير: لعل الغين إشارة إلى لباس البشرية والماهية الإمكانية الساتر للقلب عن شهود حضرة الأحدية، ولما كان عليه السلام بحيث يحصل له الانكشاف العظيم كل يوم من مائة مرتبة. وهي مراتب الأسماء الحسنى بأحديتها لم يكن على قلبه اللطيف غين أصلاً. وأشار بالاستغفار إلى مرتبة التبديل؛ أي: تبديل الغين بالمعجمة عيناً بالمهملة والعلم شهوداً، فصار المقام بحيث كان له غين فأزاله بالاستغفار إرشاداً للأمة، وإلا فلا غين في هذا المقام.

والاستغفار: وإن وهمه العامي قليل الاستبصار. وفي الآية ذم للمتكبر والجبار.

وقال عليه السلام: «يحشر الجبارون والمتكبرون يوم القيامة في صورة الذر يطأهم الناس لهوانهم على الله، وذلك لأن الصورة المناسبة لحال المتكبر الجبار صورة الذر، كما لا يخفى على أهل القلب».

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَٰهَٰمَٰنُ ٱبْنِ لِي صَرْحًا لَّعَلِّيٓ أَبْلُغُ ٱلْأَسْبَٰبَ ﴿٣٦﴾ أَسْبَٰبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ فَأَطَّلِعَ إِلَىٰٓ إِلَٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّي لَأَظُنُّهُۥ كَٰذِبًا ۚ وَكَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِفِرْعَوْنَ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَصُدَّ عَنِ ٱلسَّبِيلِ ۚ وَمَا كَيْدُ فِرْعَوْنَ إِلَّا فِي تَبَابٍ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿وقال فرعون﴾ لوزيره قصداً إلى صعود السماوات لغاية تكبره وتجبره.

قال الكاشفي: [بس در اثناى مواعظ خربيل فرعون انديشه كردكه ناكاه سخن در مستمعان اثر نكند وزير خود را طلبيد وخودرا ومردم يجيز ديكر مشغول كردانيد].

﴿يا هامان﴾: قال في «كشف الأسرار»: كان هامان وزير فرعون، ولم يكن من القبط، ولا من بني إسرائيل. يقال: إنه لم يغرق مع فرعون وعاش بعده زماناً شقياً محزوناً يتكفف الناس. **﴿ابن﴾** أمر من بنى يبني، يعني: بنا كن **﴿لي﴾**: [براى من]. **﴿صرحاً﴾**؛ أي: بناء مكشوفاً ظاهراً على الناظر عالياً مشيداً بالآجر، كما قال في القصص: ﴿فَأَوْقِدْ لِي يَٰهَٰمَٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّي صَرْحًا﴾ [القصص: ٣٨]، ولهذا كره الآجر في القبور كما في «عين المعاني»؛ أي لأن فرعون أول من اتخذه وهو من صرح الشيء بالتشديد إذا ظهر، فإنه يكون لازماً أيضاً.

﴿لعلي﴾: [شايدكه]. من **﴿أبلغ﴾**: [برسم وصعود مينكم]. **﴿الأسباب﴾**؛ أي: الطرق. **﴿أسباب السماوات﴾** بيان لها، يعني: [راهها از آسمانى بآسمانى]. وفي إبهامها ثم إيضاحها تفخيم لشأنها وتشويق للسامع إلى معرفتها. **﴿فأطلع إلى إله موسى﴾** بقطع الهمزة ونصب العين على جواب الترجي؛ أي: أنظر إليه.

قال في «تاج المصادر»: الاطلاع ديده ورشدن. وفي «عين المعاني»: الاستعلاء على شيء لرؤيته. **﴿وإني لأظنه﴾**؛ أي: موسى. **﴿كاذباً﴾** فيما يدعيه من الرسالة.

يقول الفقير: لم يقل كذاباً كما قال عند إرساله إليه؛ لأن القائل هنا هو فرعون وحده، وحيث قال: كذاب. رجع المبالغة إلى فرعون وهارون وقارون، فافهم.

اعلم أن أكثر المفسرين حملوا هذا الكلام على ظاهره، وذكروا في كيفية بناء ذلك الصرح حكاية سبقت في القصص. وقال بعضهم: إن هذا بعيد جداً من حيث إن فرعون إن كان مجنوناً لم يجز حكاية كلامه ولا إرسال رسول يدعوه، وإن كان عاقلاً، فكل عاقل يعلم بديهة أنه ليس في قوة البشر وضع بناء أرفع من الجبل، وأنه لا يتفاوت في البصر حال السماء بين أن ينظر من أسفل الجبل، ومن أعلاه، فامتنع إسناده إلى فرعون، فذكروا لهذا الكلام توجهين يقربان من العقل الأول، أنه أراد أن يبني له هامان رصداً في موضع عال ليرصد منه أحوال الكواكب التي هي أسباب سماوية تدل على الحوادث الأرضية، فيرى هل فيها ما يدل على إرسال الله إياه، والثاني: أن يرى فساد قول موسى عليه السلام؛ بأن إخباره من إله السماء، ويتوقف على اطلاعه عليه ووصوله إليه، وذلك لا يتأتى إلا بالصعود إلى السماء، وهو مما لا يقوى عليه الإنسان، وإن كان أقدر أهل الأرض كالملوك، فإذا لم يكن طريق إلى رؤيته

وإحساسه وجب نفيه وتكذيب من ادعى أنه رسول من قبله، وهو موسى فعلى هذا التوجيه الثاني يكون فرعون من الدهرية الزنادقة، وشبهته فاسدة؛ لأنه لا يلزم من امتناع كون الحس طريقاً إلى معرفة الله امتناع معرفته مطلقاً، إذ يجوز أن يعرف بطريق النظر والاستدلال بالآثار، كما قال ربكم: ﴿ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ٢٦]. وقال: ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَآ﴾ [الشعراء: ٢٨]، ولكمال جهل اللعين بالله، وكيفية استنبائه أورد الوهم المزخرف في صورة الدليل.

وقال الكلبي: اشتغل فرعون بموسى، ولم يتفرغ لبنائه. وقال بعضهم: قال فرعون: ذلك تمويهاً. وبعضهم قال: لغلبة جهله. والظاهر أن الله تعالى إذا شاء يعمي ويصم من شاء فخلى فرعون ونفسه ليتفرغ لبناء الصرح ليرى منه آية أخرى له، وتتأكد العقوبة، وذلك لأن الله تعالى هدمه بعد بنائه على ما سبق في القصص، وأيضاً هذا من مقتضى التكبر والتجبر الذي نقل عنه، كما مثله عن بخت نصر؛ فإنه أيضاً لغاية عتوه واستكباره، بنى صرحاً ببابل على ما سبقت قصته، وأيضاً: كيف يكون من الدهرية والمنقول المتواتر عنه أنه كان يتضرع إلى الله تعالى في خلوته لحصول مهامه، ومن الله الفهم والعناية والدراية، ويدل على ما ذكرنا أيضاً، قوله تعالى: ﴿**وكذلك**﴾؛ أي: ومثل ذلك التزيين البليغ المفرط. ﴿**زين**﴾: [آرايش داده شد]. ﴿**لفرعون سوء عمله**﴾؛ أي: عمله السيِّىء، فانهمك فيه انهماكاً لا يرعوي عنه بحال.

﴿**وصد**﴾: صرف ومنع. ﴿**عن السبيل**﴾؛ أي: سبيل الرشاد، والفاعل في الحقيقة هو الله تعالى، وبالتوسط هو الشيطان. ولذا قال: زين لهم الشيطان أعمالهم، وهذا عند أهل السنة. وأما عند المعتزلة، فالمزين والصاد هو الشيطان. ﴿**وما كيد فرعون**﴾: [ونبود مكر فرعون درساختن قصر ودر ابطال آيات]. ﴿**إلا في تباب**﴾؛ أي: خسار وهلاك.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن من ظن أن الله سبحانه وتعالى في السماء كما ظن فرعون؛ فإنه فرعون وقته ولو لم يكن من المضاهاة بين من يعتقد أن الله سبحانه في السماء، وبين الكافر إلاهذا لكفى به في زيغ مذهبه، وغلط اعتقاده؛ فإن فرعون غلط إذ توهم أن الله في السماء، ولو كان في السماء لكان فرعون مصيباً في طلبه من السماء.

وقوله: وكذلك. إلخ. يدل على أن اعتقاده بأن الله في السماء خطأ، وأنه بذلك مصدود عن سبيل الله، وما كيد فرعون في طلب الله من السماء إلا في تباب؛ أي: خسران وضلال. انتهى.

وعن النبي عليه السلام: «أن الله تعالى احتجب عن البصائر كما احتجب عن الأبصار، وأن الملأ الأعلى يطلبونه كما تطلبونه أنتم»، يعني: لو كان في السماء لما طلبه أهل السماء، ولو كان في الأرض لما طلبه أهل الأرض، فإذا هو الآن على ما كان عليه قبل من التنزه عن المكان، وفي «هدية المهديين»: إذا قال الله في السماء وأراد به المكان يكفر اتفاقاً؛ لأنه ظاهر في التجسيم، وإن لم يكن له نية يكفر عند أكثرهم، وإن أراد به الحكاية عن ظاهر الإخبار لا يكفر، وعن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه: أنه قال: أتيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقلت: يا رسول الله إن جارية لي كانت ترعى غنماً لي فجئتها، وفقدت شاة من الغنم فسألتها عنها، فقالت: أكلها الذئب، فأسفت عليها، وكنت من بني آدم فلطمتها؛ أي: على وجهها وعلى رقبتها، أفأعتقها عنها، فقال لها رسول الله: «أين الله؟»، فقالت: في

السماء، فقال: «من أنا؟»، فقالت: أنت رسول الله، فقال عليه السلام: «أعتقها فإنها مؤمنة».

اعلم أنه قد دل الدليل العقلي على استحالة حصر الحق في أينية، والشارع لما علم أن الجارية المذكورة ليس في قوتها أن تتعقل موجدها إلا على تصوير في نفسها خاطبها بذلك، ولو أنه خاطبها بغير ما تصورته في نفسها لارتفعت الفائدة المطلوبة، ولم يحصل القبول فكان من حكمته عليه السلام؛ أن سأل مثل هذه الجارية بمثل هذا السؤال، وبمثل هذه العبارة، ولذلك لما أشارت إلى السماء. قال فيها: «إنها مؤمنة» يعني: مصدقة بوجود الله تعالى، ولم يقل إنها عالمة؛ لأنها صدقت قول الله، وهو الله في السماوات، ولو كانت عالمة لم تقيده بالسماء، فعلم أن للعالم أن يصحب الجاهل في جهله تنزلاً لعقله، والجاهل لا يقدر على صحبته العالم بغير تنزل. كذا في «الفتوحات المكية». وفيه أيضاً: أنه لا يلزم من الإيمان بالفوقية الجهة، فقد ثبتت، فانظر ماذا ترى وكن أهل السنة من الورى. انتهى. وفي المثنوي:

قرب نى بالانه يستى رفتن است قرب حق از حبس هستى رستن است

نيست راجه جاى بالا است وزير نيست را زود ونه دورست ونه دير

يقول الفقير: يعرف من هذا الكلام أن وجود الأشياء وماهياتها الممكنة اعتباري. والاعتباري لا وجود له حقيقة، وإنما يقوم بوجود الله تعالى لقيام الظل بذي الظل، فإذا كان وجود الموجودات في حكم العدم، فما معنى كون وجود الله تعالى متقيداً بالعدم؛ بأن يظهر في أينية مخصوصة دون غيرها سبحانه، فافهم.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِىٓ ءَامَنَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُونِ أَهۡدِكُمۡ سَبِيلَ ٱلرَّشَادِ ﴿٣٨﴾ يَٰقَوۡمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا مَتَٰعٞ وَإِنَّ ٱلۡأٓخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلۡقَرَارِ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿وقال الذي آمن﴾؛ أي: مؤمن آل فرعون. **﴿يا قوم اتبعون﴾** فيما دللتكم عليه أصله يا قومي اتبعوني. **﴿أهدكم سبيل الرشاد﴾**؛ أي: سبيلاً يصل سالكه إلى المقصود والرشد والرشاد الاهتداء لمصالح الدين والدنيا. وفيه تعريض بأن ما يسلكه فرعون وقومه سبيل الغي والضلال.

وفيه إشارة إلى أن الهداية مودعة في اتباع الأنبياء والأولياء وللولي أن يهدي سبيل الرشاد بتبعية النبي عليه السلام كما يهدي النبي إليه، ومن الهداية قوله: **﴿يا قوم إنما هذه الحياة الدنيا متاع﴾**: اسم بمعنى المتعة، وهي التمتع والانتفاع لا بمعنى السلعة؛ لأن وقوعه خبراً عن الحياة الدنيا يمنع منه؛ أي: تمتع يسير، وانتفاع قليل لسرعة زوالها؛ لأن الدنيا بأسرها ساعة، فكيف عمر إنسان واحد. وبالفارسية: [بساط عيش او باندك فرصتى در نور دند ونامة معاشرت أورا رقم ابطال درسر كشند]:

بباغ دهر كه بس تازه رنك وخوش بويست مباش غره كه رنج خزان زبى دارد

زمان زمان بد مدريح نكبت وادبار جه رنك وبوكه نشانى ازان نكذارد

قال محمد بن علي الترمذي قدس سره: لم تزل الدنيا مذمومة في الأمم السالفة عند العقلاء منهم، وطالبوها مهانين عند الحكماء الماضية، وما قام داع في أمة إلا حذر متابعة الدنيا وجمعها والحب لها، ألا ترى إلى مؤمن آل فرعون كيف قال: **﴿اتبعون أهدكم سبيل الرشاد﴾**؛ كأنهم قالوا: وما سبيل الرشاد، قال: إنما هذه. إلخ.

يعني: لن تصل إلى سبيل الرشاد، وفي قلبك محبة للدنيا وطلب لها. **﴿وإن الآخرة هي**

دار القرار﴾. لخلودها ودوام ما فيها فالدائم خير من المنقضي. قال بعض العارفين: لو كانت الدنيا ذهباً فانياً، والآخرة خزفاً باقياً، لكانت الآخرة خيراً من الدنيا، فكيف والدنيا خزف فانٍ، والآخرة ذهب باقٍ.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم نام على حصير، فقام وقد أثر في جسده، فقال ابن مسعود رضي الله عنه: يا رسول الله لو أمرتنا أن نبسط لك لنفعل، فقال: ما لي وللدنيا وما أنا والدنيا إلا كراكب استظل تحت شجرة، ثم راح وتركها». وعن أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي عليه السلام. قال: «يا بني أكثر ذكر الموت، فإنك إذا أكثرت ذكر الموت زهدت في الدنيا، ورغبت في الآخرة، وإن الآخرة دار قرار والدنيا غرارة، والمغرور من اغتر بها»:

تو غافل در انديشة سود مال — كه سرماية عمر شد بايمال
جه خوش كفت باكودك آموزكار — كه كارى نكرديم وشد روزكار

﴿مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٤٠﴾ ۞ وَيَٰقَوْمِ مَا لِىٓ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ وَتَدْعُونَنِىٓ إِلَى ٱلنَّارِ ﴿٤١﴾﴾.

﴿من﴾: [هر كه]. **﴿عمل﴾** في الدنيا **﴿سيئة﴾**: [كردارى بد]. **﴿فلا يجزى﴾** في الآخرة **﴿إلا مثلها﴾** عدلاً من الله سبحانه، فخلود الكافر في النار مثل لكفره، ولو ساعة لأبدية اعتقاده. وأما المؤمن الفاسق، فعقابه منقطع إذ ليس على عزم أن يبقى مصراً على المعصية.

وفي الآية دليل على أن الجنايات سواء كانت في النفوس أو الأعضاء أو الأموال تغرم بأمثالها، والزائد على الأمثال غير مشروع. **﴿ومن عمل صالحاً﴾**، وهو ما طلب به رضا الله تعالى؛ أي عمل كان من الأعمال المشروعة. **﴿من ذكر أو أنثى﴾** ذكرهما ترغيباً لهما في الصالحات. **﴿وهو﴾**؛ أي: والحال أنه **﴿مؤمن﴾** بالله واليوم الآخر جعل العمل عمدة، والإيمان حالاً للإيذان؛ بأنه لا عبرة بالعمل بدون الإيمان إذ الأحوال مشروطة على ما تقرر في علم الأصول.

﴿فأولئك﴾ الذين عملوا ذلك **﴿يدخلون الجنة يرزقون فيها﴾**: [روزى داده شو نداز فواكه با كيزه ومطاعم لذيذه]. **﴿بغير حساب﴾**؛ أي: بغير تقدير وموازنة بالعمل بل أضعافاً مضاعفة فضلاً من الله ورحمة.

وفي «التأويلات النجمية»: بغير حساب؛ أي: مما لم يكن في حساب العبد أن يرزق مثله. وعن أبي هريرة رضي الله عنه أنه قال: أخبرني رسول الله عليه السلام: أن أهل الجنة إذا دخلوها نزلوا فيها بفضل أعمالهم؛ أي: بأعمالهم الفاضلة، ثم يؤذن لهم في مقدار يوم الجمعة من أيام الدنيا، فيبرزون ويبرز لهم عرشه، ويتبدى لهم في روضة من رياض الجنة، فتوضع لهم منابر من نور، ومنابر من لؤلؤ، ومنابر من ياقوت، ومنابر من زبرجد، ومنابر من ذهب، ومنابر من فضة، ويجلس أدناهم، وما هو دني على كثبان المسك والكافور ما يرون أن أصحاب الكراسي بأفضل منهم مجلساً.

قال أبو هريرة رضي الله عنه، قلت: يا رسول الله، وهل يرى ربنا؟ قال: «نعم، هل

تتمارون في رؤية الشمس والقمر ليلة البدر»، قلنا: لا، قال: كذلك لا تتمارون في رؤية ربكم تبارك وتعالى، ولا يبقى في ذلك المجلس رجل إلا حاضره الله محاضرة حتى يقول للرجل منهم: يا فلان بن فلان: أتذكر يوم قلت كذا وكذا، فيذكره بعض عثراته في الدنيا، فيقول: أو لم تغفر لي، فيقول: بلى. فبسعة مغفرتي بلغت منزلتك هذه، فبينما هم على ذلك إذ غشيتهم سحابة، فأمطرت عليهم طيباً، لم يجدوا مثل ريحه قط. ويقول: ربنا قوموا إلى ما أعددت لكم من الكرامة، فخذوا ما اشتهيتم فنأتي سوقاً قد حفت بالملائكة، لم تنظر العيون إلى مثلها، ولم تسمع الأذان، ولم يخطر على القلوب، فيحمل لنا ما اشتهينا ليس يباع فيها ولايشترى. وفي ذلك السوق يلقى أهل الجنة بعضهم بعضاً.

قال: فيقبل الرجل ذو المنة المرتفعة، فيلقى من هو دونه، وما فيهم دني فيروعه ما عليه من اللباس، فما ينقضي آخر حديثه حتى يتخيل عليه ما هو أحسن منه. وذلك أنه لا ينبغي لأحد أن يحزن فيها، ثم ننصرف إلى منازلنا، فيتلقانا أزواجنا، فيقلن مرحباً وأهلاً، لقد جئت وإن ربك من الجمال ما هو أفضل مما فارقتنا عليه، فيقول: إنا جالسنا اليوم ربنا الجبار، ويحق لنا أن ننقلب بمثل ما انقلبنا».

﴿**ويا قوم**﴾: قال الكاشفي: [آل فرعون از سخنان خربيل فهم كردند كه ايما آورده است زبان ملامت بكشادندكه شرم نداری که از برستش فرعون روی بعبادت دیکری می آری خربیل تکرار ندا کرداز روی تنبیه تا شاید از خواب غفلت بیدار شوند بس کفت ای کروه من]. ﴿**ما لي**﴾: الاستفهام للتوبيخ. ﴿**أدعوكم إلى النجاة**﴾ من النار بالتوحيد. ﴿**وتدعونني إلى النار**﴾ بالإشراك.

قوله: أدعوكم في موضع الحال من المنوي في الخبر وتدعونني عطف عليه ومدار التعجب دعوتهم إياه إلى النار لا دعوته إياهم إلى النجاة؛ كأنه قيل: أخبروني كيف هذا الحال أدعوكم إلى الخير، وتدعونني إلى الشر، وقد جعله بعضهم من قبيل ما لي أراك حزيناً؛ أي: ما لك تكون حزيناً، فيكون المعنى: ما لكم أدعوكم. إلخ.

﴿تَدْعُونَنِى لِأَكْفُرَ بِٱللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِۦ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَأَنَا۠ أَدْعُوكُمْ إِلَى ٱلْعَزِيزِ ٱلْغَفَّٰرِ ﴿٤٢﴾ لَا جَرَمَ أَنَّمَا تَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَأَنَّ مَرَدَّنَآ إِلَى ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿**تدعونني لأكفر بالله**﴾ بدل والدعاء كالهداية بإلى، واللام. ﴿**وأشرك به ما ليس لي به**﴾؛ أي: بشركته له تعالى في المعبودية. ﴿**علم**﴾. والمراد: نفي المعلوم، وهو ربوبية ما يزعمون إياه شريكاً بطريق الكناية، وهو من باب نفي الشيء بنفي لازمه، وفيه إشعار، بأن الألوهية لا بد لها من برهان موجب للعلم بها. ﴿**وأنا أدعوكم إلى العزيز**﴾ الذي لم يكن له كفواً أحد، وأما المخلوقات، فبعضها أكفاء بعض. وأيضاً: إلى القادر على تعذيب المشركين. ﴿**الغفار**﴾ لمن تاب ورجع إليه القادر على غفران المذنبين. ﴿**لا جرم**﴾: [هر آينه]. قاله الكاشفي، وقال غيره كلمة لا رد لما دعوه إليه من الكفر والإشراك وجرم فعل ماض بمعنى حق وفاعله قوله تعالى: ﴿**أنما تدعونني إليه**﴾؛ أي: إلى عبادته وإشراكه.

﴿**ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة**﴾؛ أي: حق ووجب عدم دعوة آلهتكم إلى عبادة

نفسها أصلاً، ومن حق المعبود أن يدعو الناس إلى عبادته بإرسال الرسل، وإنزال الكتب. وهذا الشأن منتف عن الأصنام بالكلية؛ لأنها في الدنيا جمادات لا تستطيع دعاء غيرها.

وفي الآخرة إذا أنشأها الله حيواناً ناطقاً تبرأ من عبدتها، أو المعنى حق وثبت عدم استجابة دعوة لها؛ أي: ليس لها استجابة دعوة لا في الدنيا بالبقاء، والصحة والغنى ونحوها، ولا في الآخرة بالنجاة ورفعة الدرجات وغيرهما، كما قال تعالى: ﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا ٱسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ [فاطر: ١٤]، فكيف تكون الأصنام رباً، وليس لها قدرة على إجابة دعاء الداعين، ومن شأن الرب استجابة الدعوات وقضاء الحاجات.

وقيل: جرم بمعنى كسب وفاعله مستكن فيه؛ أي: كسب ذلك الدعاء إلى الكفر والإشراك بطلان دعوته؛ أي: بطلان دعوة المدعو إليه بمعنى ما حصل من ذلك إلا ظهور بطلان دعوته؛ كأنه قيل: إنكم تزعمون أن دعاءكم إلى الإشراك يبعثني على الإقبال عليه، وأنه سبب الإعراض وظهور بطلانه.

وقيل: جرم فعل من الجرم، وهو القطع كما أن بد من لا بد فعل من التبديد.

والمعنى: لا قطع لبطلان ألوهية الأصنام؛ أي: لا ينقطع في وقت ما فينقلب حقاً، فيكون جرم اسم لا مبنياً على الفتح لا فعلاً ماضياً، كما هو على الوجهين الأولين.

وفي «القاموس»: لا جرم؛ أي: لا بد أو حقاً أو لا محالة، أو هذا أصله، ثم كثر حتى تحول إلى معنى القسم، فلذلك يجاب عنه باللام. يقال: لا جرم لآتينك. ﴿**وأن مردنا**﴾ مرجعنا ﴿**إلى الله**﴾؛ أي: بالموت ومفارقة الأرواح. [الأجساد ومارا جزا خواهد داد]، وهو عطف على أن ما تدعونني داخل في حكمه، وكذا قوله تعالى: ﴿**وأن المسرفين**﴾؛ أي: في الضلال والطغيان كالإشراك وسفك الدماء. ﴿**هم أصحاب النار**﴾؛ أي: ملازموها.

﴿فَسَتَذْكُرُونَ مَآ أَقُولُ لَكُمْ وَأُفَوِّضُ أَمْرِىٓ إِلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرٌۢ بِٱلْعِبَادِ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿**فستذكرون**﴾؛ أي: فسيذكر بعضكم بعضاً عند معاينة العذاب. ﴿**ما أقول لكم**﴾ من النصائح، ولكن لا ينفعكم الذكر حينئذ. ﴿**وأفوض أمري إلى الله**﴾: أرده إليه ليعصمني من كل سوء قاله لما أنهم كانوا توعدوه بالقتل.

قال في «القاموس»: فوض إليه الأمر رده إليه، انتهى. وحقيقة التفويض تعطيل الإرادة في تدبير الله تعالى كما في «عين المعاني»، وكمال التفويض أن لا يرى لنفسه ولا للخلق جميعاً قدرة على النفع والضر، كما في «عرائس البقلي».

قال بعضهم: التفويض قبل نزول القضاء والتسليم بعد نزوله. ﴿**إن الله بصير بالعباد**﴾ يعلم المحق من المبطل، فيحرس من يلوذ به من المكاره، ويتوكل عليه.

وفي «كشف الأسرار»: معنى تفويض: [كار باخداوندكار كذا شتن است درسه جيز دردين ودر قسم ودر حساب خلق اما تفويض دردين آنست كه بتكلف خود در هرجه الله ساخته نياميزى وجنانكه ساخته وى ميكردد با آن ميسازى وتفويض در قسم آنست كه بهانة دعا باحكم او معارضه نكنى وباستقصاى طلب تعيين خودرا متهم نكنى وتفويض در حساب آنست كه اكر ايشانرا بدى بينى آنرا شقاوت نشمرى وبترسى واكر برنيكى بينى آنرا سعادت نشمرى واميد دارى وبر ظاهر هر كس فرو آيى وبصدق ايشانرا مطالبت نكنى].

ويقرب من هذا حديث أبي هريرة رضي الله عنه، قال: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «إن رجلين كانا في بني إسرائيل متحابين أحدهما مجتهد في العبادة والآخر كان يقول: مذنب، فجعل المجتهد يقول: أقصر أقصر، عن ما أنت فيه. قال: فيقول: خلني وربي، فإنما على ذنب استعظمه، فقال: أقصر، فقال: خلني وربي أبعثت علي رقيباً، فقال: والله لا يغفر الله لك أبداً، ولا يدخلك الجنة أبداً. قال: فبعث الله إليهما ملكاً، فقبض أرواحهما، فاجتمعا عنده، فقال للمذنب: ادخل الجنة برحمتي، وقال للآخر: أتستطيع أن تحظر على عبدي رحمتي، فقال: لا يا رب. قال: اذهبوا به إلى النار».

قال أبو هريرة: والذي نفسي بيده لتكلم بكلمة أوبقت بدنياه وآخرته. ودلت الآية على أن الله تعالى مطلع على العباد وأحوالهم، فلا بد من تصحيح الحال، ومراقبة الأحوال.

روي أن ابن مسعود رضي الله عنه: خرج مع بعض الأصحاب رضي الله عنهم إلى الصحراء، فطبخوا الطعام، فلما تهيؤوا للأكل رأوا هنالك راعياً يرعى أغناماً، فدعوه إلى الطعام، فقال الراعي: كلوا أنتم، فإني صائم، فقالوا له بطريق التجربة: كيف تصوم في مثل هذا اليوم الشديد الحرارة، فقال لهم: إن نار جهنم أشد حراً منه، فأعجبهم كلامه، فقالوا له: بع لنا غنماً من هذه الأغنام نعطك ثمنه مع حصة من لحمه، فقال لهم: هذه الأغنام ليست لي، وإنما هي لسيدي ومالكي، فكيف أبيع لكم مال الغير، فقالوا له: قل لسيدك إنه أكله الذئب أو ضاع. فقال الراعي: أين الله، فأعجبهم كلامه زيادة الإعجاب، ثم لما عادوا إلى المدينة اشتراه ابن مسعود من مالكه مع الأغنام، فأعتقه ووهب الأغنام له، فكان ابن مسعود يقول له في بعض الأحيان بطريق الملاطفة: أين الله.

وروي: أن نبياً من الأنبياء كان يتعبد في جبل، وكان في قربه عين جارية، فجاز بها فارس وشرب منها ونسي عندها صرة فيها ألف دينار، فجاء آخر فأخذ الصرة، ثم جاء رجل فقير على ظهره حزمة حطب، فشرب واستلقى ليستريح فرجع الفارس لطلب الصرة، فلم يرها، فأخذ الفقير، فطلبها منه، فلم يجدها عنده، فعذبه حتى قتله، فقال ذلك النبي: إلٰهي ما هذا أخذ الصرة، بل أخذها ظالم آخر وسلطت هذا الظالم عليه حتى قتله، فأوحى الله تعالى إليه أن اشتغل بعبادتك، فليس معرفة مثل هذا من شأنك، إن هذا الفقير قد قتل أبا الفارس، فمكنته من القصاص، وإن أبا الفارس قد كان أخذ ألف دينار من مال آخذ الصرة، فرددته إليه من تركته.

ذكره الغزالي رحمه الله. قال الحافظ:

درگاه خانة كه ره عقل وفضل نيست فهم ضعيف وراى فضولي جرا كنند

﴿فَوَقَىٰهُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِ مَا مَكَرُوا۟ ۖ وَحَاقَ بِـَٔالِ فِرْعَوْنَ سُوٓءُ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٥﴾ ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا ۖ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓا۟ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٦﴾﴾

﴿فوقاه الله﴾: [آورده اندكه فرعون فرمود تاخربيل رابكشندوى كريخته روى بكو هى نهاد وبنماز مشغول شد حق سبحانه تعالى لشكر سباع را برانكيخت تابكر دوى در آمده آغازبا سبانى كردند نتيجة تفويض بزودى دروى رسيد]. يعني: فوض أمره إلى الله فكفاه الله [در كشف الأسرار آمده كه فرعون از خواص خود جمعى را از عقب او فر ستاد جون بوى رسيدند

ونمازوى ونكهبانى سباع مشاهده كرده بترسيدند ونزد فرعون آمده صورت حال باز كفتند همه راسياست كرد تا ان سخن فاش نكردد].

قال بعضهم: منهم من أكلته السباع، ومنهم من رجع إلى فرعون، فاتهمه وصلبه، فأخبر الله عن الحال خربيل بقوله: فوقاه الله؛ أي: حفظه من ﴿**سيئات ما مكروا**﴾: شدائد مكرهم وما هموا به من إلحاق أنواع العذاب بمن خالفهم. وبالفارسية: [بس نكاه داشت اوراخداى از بديهاى آنجه اند يشيد ند درراه او].

وقيل: نجا خربيل مع موسى عليه السلام. ﴿**وحاق**﴾ نزل وأصاب ﴿**بآل فرعون**﴾؛ أي: بفرعون وقومه، وعدم التصريح به للاستغناء بذكرهم عن ذكره ضرورة أنه أولى منهم بذلك من حيث كونه متبوعاً لهم ورئيساً ضالاً مضلاً. ﴿**سوء العذاب**﴾؛ أي: الغرق. وهذا في الدنيا ثم بيّن عذابهم في البرزخ بقوله:

﴿**النار يعرضون**﴾؛ أي: فرعون وآله. ﴿**عليها**﴾؛ أي: على النار. ومعنى عرضهم على النار إحراق أرواحهم وتعذيبهم بها من قولهم عرض الأسارى على السيف إذا قتلوا به.

قال في «القاموس»: عرض القوم على السيف قتلهم وعلى السوط ضربهم. ﴿**غدواً وعشياً**﴾؛ أي: في أول النهار وآخره. وذكر الوقتين إما للتخصيص، وإما فيما بينهما، فالله تعالى أعلم بحالهم. إما أن يعذبوا بجنس آخر، أو ينفس عنهم، وإما للتأبيد كما في قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم: ٦٢]؛ أي: على الدوام.

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إن أرواح آل فرعون في أجواف طير سود يعرضون على النار مرتين، فيقال: يا آل فرعون هذه داركم.

قال ابن الشيخ في «حواشيه» هذا يؤذن بأن العرض ليس بمعنى التعذيب والإحراق، بل بمعنى الإظهار والإبراز، وأن الكلام على القلب كما في قولهم: عرضت الناقة على الحوض، فإن أصله عرضت الحوض على الناقة بسوقها إليه وإيرادها عليه، فكذا هنا أصل الكلام تعرض عليهم؛ أي: على أرواحهم بأن يساق الطير التي أرواحهم فيها؛ أي: في أجوافها إلى النار.

وفي الحديث: «إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة، فمن الجنة، وإن كان من أهل النار، فمن النار. يقال: هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة». يعني: [اينست جاى توتا كه برانكيز دترا خداى بسوى وى درروز قيامت].

يقول الفقير: أما كون أرواحهم في أجواف طير سود، فليس المراد ظرفية الأجواف للأرواح حتى لا يلزم التناسخ، بل هو تصوير لصور أرواحهم البرزخية. وأما العرض بمعنى الإظهار، فلا يقتضي عدم التعذيب، فكل روح. إما معذب، أو منعم وللتعذيب والتنعيم مراتب، ولأمر ما ذكر الله تعالى عرض أرواح آل فرعون على النار، فإن عرضها ليس كعرض سائر الأرواح الخبيثة.

قال في «عين المعاني»: قال رجل للأوزاعي رأيت طيراً لا يعلم عددها إلا الله تخرج من البحر بيضاء، ثم ترجع عشياً سوداء، فما هي قال: أرواح آل فرعون تعرض وتعود والسواد من الإحراق هذا ما دامت الدنيا. ﴿**ويوم تقوم الساعة**﴾: وتعود الأرواح إلى الأبدان يقال للملائكة: ﴿**أدخلوا آل فرعون أشد العذاب**﴾؛ أي: عذاب جهنم، فإنه أشد مما كانوا فيه؛ فإنه للروح والجسد جميعاً، وهو أشد مما كان للروح فقط كما في البرزخ. وذلك أن الأرواح بعد

الموت ليس لها نعيم، ولا عذاب حسي جسماني. ولكن ذلك نعيم، أو عذاب معنوي روحاني حتى تبعث أجسادها، فترد إليها، فتعذب عند ذلك حساً، ومعنى، أو تنعم ألا ترى إلى بشر الحافي قدس سره لما رؤي في المنام. قيل له: ما فعل الله بك. قال: غفر لي وأباح لي نصف الجنة؛ أي: نعيم الروح. وأما النصف الآخر الذي هو نعيم الجسد، فيحصل بعد الحشر ببدنه والأكل الذي يراه الميت بعد موته في البرزخ هو كالأكل الذي يراه النائم في النوم، فكما أنه تتفاوت درجات الرؤيا حتى أن منهم من يستيقظ، ويجد أثر الشبع، أو الري، فكذا تختلف أحوال الموتى، فالشهداء أحياء عند ربهم، كحياة الدنيا ونعيمهم قريب من نعيم الحس، فافهم جداً، ويجوز أن يكون المعنى: أدخلوا آل فرعون أشد عذاب جهنم، فإن عذابها ألوان بعضها أشد من بعض.

وفي الحديث: «أهون أهل النار عذاباً رجل في رجليه نعلان من نار يغلي منهما دماغه».

وفي «التأويلات النجمية»: ويوم تقوم الساعة يشير إلى مفارقة الروح البدن بالموت، فإن من مات فقد قامت قيامته أدخلوا آل فرعون أشد العذاب، وذلك فإن أشد عذاب فرعون النفس ساعة المفارقة؛ لأنه يفطم عن جميع مألوفات الطبع دفعة واحدة. والفطام عن المألوف شديد، وقد يكون الألم بقدر شدة التعلق به. انتهى. قال الحافظ:

غلام همت آنم كه زير جرخ كبود زهر جه رنك تعلق بدير آزا دست

وقال غيره:

الفت مكير همجوالف هيج باكسى تابسته الم نشوى وقت انقطاع

ثم في الآية دليل على بقاء النفس وعذاب القبر؛ لأن المراد بالعرض التعذيب في الجملة، وليس المراد: أنهم يعرضون عليها يوم القيامة لقوله بعده ويوم تقوم الساعة. إلخ. وإذا ثبت في حق آل فرعون ثبت في حق غيرهم إذ لا قائل بالفصل.

وكان عليه السلام لا يصلي صلاة إلا وتعوذ بعدها من عذاب القبر. قال عليه السلام: «من كف أذاه عن الناس كان حقاً على الله أن يكف عنه أذى القبر». وروي عن سالم بن عبد الله: أنه قال: سمعت أبي يقول: أقبلت من مكة على ناقة لي وخلفي شيء من الماء حتى إذا مررت بهذه المقبرة مشيراً إلى مقبرة مخصوصة بين مكة والمدينة. خرج رجل من المقبرة يشتعل من قرنه إلى قدمه ناراً، وإذا في عنقه سلسلة تشتعل ناراً، فوجهت الدابة نحوه. أنظر إلى العجب، فجعل يقول: يا عبد الله صب علي من الماء، فخرج رجل من القبر أخذ بطرف السلسلة، فقال: لا تصب عليه الماء، ولا كرامة، فمد يده حتى انتهى به إلى القبر، فإذا معه سوط يشتعل ناراً، فضربه حتى دخل القبر.

قال وهب بن منبه: من قرأ باسم الله، وبالله وعلى ملة رسول الله، رفع الله العذاب عن صاحب القبر أربعين سنة. كذا في «زهرة الرياض»: قال العلماء: عذاب القبر هو عذاب البرزخ أضيف إلى القبر؛ لأنه الغالب، وإلا فكل ميت أراد الله تعذيبه ناله ما أراد به قبر، أو لم يقبر بأن صلب أو غرق في «البحر»، أو أحرق حتى صار رماداً وذري في الجو. قال إمام الحرمين: من تفرقت أجزاؤه يخلق الله الحياة في بعضها، أو كلها، ويوجه السؤال عليها، ومحل العذاب والنعيم؛ أي: في القبر هو الروح والبدن جميعاً باتفاق أهل السنة.

قال اليافعي: وتختص الأرواح دون الأجساد بالنعيم والعذاب ما دامت في عليين أو

سجين. وفي القبر: يشترك الروح والجسد.

قال الفقيه أبو الليث: الصحيح، عندي أن يقر الإنسان بعذاب القبر، ولا يشتغل بكيفيته.

وفي «الأخبار الصحاح»: أن بعض الموتى لا ينالهم فتنة القبر كالأنبياء والأولياء والشهداء.

قال الحكيم الترمذي: إذا كان الشهيد لا يسأل، فالصديق أولى بأن لا يفتن هو المنخلع عن صفات النفس، والشهيد هو أهل الحضور. والصحيح: هو أهل الاستقامة في الدين، ورؤي بعضهم بعد موته على حال حسنة فسئل عن سببها، فقال: كنت أكثر قول: لا إله إلا الله، فأكثر منها؛ أي: من هذه المقالة الحسنة، والكلمة الطيبة اللهم اختم لنا بالخير والحسنى.

﴿وَإِذْ يَتَحَاجُّونَ فِي ٱلنَّارِ فَيَقُولُ ٱلضُّعَفَٰٓؤُاْ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُنَّا لَكُمْ تَبَعًا فَهَلْ أَنتُم مُّغْنُونَ عَنَّا نَصِيبًا مِّنَ ٱلنَّارِ ﴿٤٧﴾ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓاْ إِنَّا كُلٌّ فِيهَآ إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ حَكَمَ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿**وإذ يتحاجون في النار**﴾: التحاج بالتشديد التخاصم، كالمحاجة؛ أي: واذكر يا محمد لقومك وقت تخاصم أهل النار في النار سواء كانوا آل فرعون، أو غيرهم، ثم شرح خصومتهم بقوله: ﴿**فيقول الضعفاء**﴾: منهم في القدر والمنزلة والحال في الدنيا، يعني: [بيجاركان وزبونان قوم]. ﴿**للذين استكبروا**﴾؛ أي: أظهروا الكبر باطلاً وهم رؤساؤهم ولذا لم يقل للكبراء؛ لأنه ليس الكبرياء صفتهم في نفس الأمر. ﴿**إنا كنا لكم**﴾ في الدنيا ﴿**تبعاً**﴾: جمع تابع كخدم في جمع خادم.

قال في «القاموس»: التبع محركة التابع يكون واحد، أو جمعاً؛ أي: إتباعاً في كل حال خصوصاً فيما دعوتمونا إليه من الشرك والتكذيب، يعني: [سبب دخول مادر دوزخ بيدى شما]. ﴿**فهل أنتم**﴾: [بس آياهستيد شما]. ﴿**مغنون عنا نصيباً من النار**﴾، بالدفع أو بالحمل، يقال: ما يغني عنك هذا؛ أي: ما يجزيك وما ينفعك ونصيباً، وهو الحظ المنصوب؛ أي: المعين كما في «المفردات»: منصوب بمضمر يدل عليه مغنون، فإن أغنى إذا عدي بكلمة عن لا يتعدى إلى مفعول آخر بنفسه؛ أي: رافعون عنا نصيباً؛ أي: بعضاً وجزءاً من النار باتباعنا إياكم، فقد كنا ندفع المؤونة عنكم في الدنيا.

﴿**قال الذين استكبروا**﴾: [جه جاى اين سخن است]. ﴿**إنا كل**﴾؛ أي: كلنا نحن وأنتم. وبهذا صحّ وقوعه مبتدأ. ﴿**فيها**﴾: خبر؛ أي: في النار، فكيف نغني عنكم، ولو قدرنا لأغنينا عن أنفسنا. ﴿**إن الله قد حكم بين العباد**﴾، بماهية كل أحد فأدخل المؤمنين الجنة على تفاوتهم في الدرجات، والكافرين النار على طبقاتهم في الدركات، ولا معقب لحكمه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ ﴿٤٩﴾ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُواْ بَلَىٰ قَالُواْ فَٱدْعُواْ وَمَا دُعَٰٓؤُاْ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿**وقال الذين في النار**﴾ من الضعفاء والمستكبرين جميعاً، لما ذاقوا شدة العذاب وضاقت حيلهم. ﴿**لخزنة جهنم**﴾؛ أي: القوام بتعذيب أهل النار. جمع خازن. والخزن: حفظ الشيء في الخزانة، ثم يعبر به عن كل حفظ كحفظ السر ونحوه.

قاله الراغب: ووضع جهنم موضع الضمير للتهويل والتفظيع. وهم اسم لنار الله

الموقدة. ﴿ادعوا ربكم﴾ شافعين لنا. ﴿يخفف عنا يوماً﴾؛ أي: في مقدار يوم واحد من أيام الدنيا. ﴿من العذاب﴾؛ أي: شيئاً منه، فقوله: يوماً، ظرف ليخفف، ومفعوله محذوف. ومن العذاب بيان لذلك المحذوف، واقتصارهم في الاستدعاء على تخفيف قدر يسير من العذاب في مقدار قصير من الزمان دون رفعه رأساً، أو تخفيف قدر كثير منه في زمان مديد لعلمهم بعدم كونه في حيز الإمكان. ﴿قالوا﴾: أي الخزنة بعد مدة. ﴿أو لم تك﴾: الهمزة للاستفهام، والواو للعطف على مقداري ألم تنبهوا على هذا ولم تك ﴿تأتيكم رسلكم﴾ في الدنيا على الاستمرار. ﴿بالبينات﴾ بالحجج الواضحة الدالة على سوء عاقبة ما كنتم عليه من الكفر والمعاصي، أرادوا بذلك إلزامهم وتوبيخهم على إضاعة أوقات الدعاء، وتعطيل أسباب الإجابة.

﴿قالوا بلى﴾؛ أي: أتونا بها، فكذبناهم كما في سورة الملك. ﴿قالوا﴾: إذا كان الأمر كذلك، يعني: [جون كاربرين منوالست]. ﴿فادعوا﴾: أنتم، فإن الدعاء لمن يفعل ذلك مما يستخيل صدوره عنا، ولم يريدوا بأمرهم بالدعاء اطماعهم في الإجابة، بل إقناطهم منها، وإظهار حقيقتهم حسبما صرحوا به في قولهم.

﴿وما دعاء الكافرين﴾ لأنفسهم، فالمصدر مضاف إلى فاعله، أو وما دعاء غيرهم لهم بتخفيف العذاب عنهم، فالمصدر مضاف إلى مفعوله. ﴿إلا في ضلال﴾؛ أي: في ضياع وبطلان لا يجاب؛ لأنهم دعوا في غير وقته. اختلف العلماء في أنه هل يجوز أن يقال: يستجاب دعاء الكافرين، فمنعه الجمهور لقوله تعالى: ﴿وما دعاء الكافرين إلا في ضلال﴾؛ ولأن الكافر لا يدعو الله؛ لأنه لا يعرفه؛ لأنه وإن أقر به لما وصفه بما لا يليق به نقض إقراره. وما روي في الحديث «أن دعوة المظلوم وإن كان كافراً تستجاب»، فمحمول على كفران النعمة وجوزه بعضهم لقوله تعالى حكاية عن إبليس: ﴿قَالَ أَنظِرْنِىٓ﴾ [الأعراف: ١٤]؛ أي: أمهلني ولا تمتني سريعاً، فقال الله تعالى: ﴿إِنَّكَ مِنَ ٱلْمُنظَرِينَ﴾ [الأعراف: ١٥]، فهذه إجابة وبالجواز يفتى. قال الشيخ سعدي:

مغى در بروى از جهان بسته بود ... بتى را بخدمت ميان بسه بود
بس از جند سال آن نكوهيده كيش ... قضا حالتى صعبش آورد بيش
بباى بت آمد باميد خبر ... بغلطيد بيجاره برخاك دير
كه درما نده ام دست كيراى صنم ... بجان آمدم رحم كن برتنم
بزاريد در خدمتش بارها ... كه هيجش بسامان نشد كارها
بتى جون برارد مهمات كس ... كه نتواند از خود براند مكس
برآشفت كاى باى بند ضلال ... بباطل برستيدمت جند سال
مهمى كه دربيش دارم برآر ... وكرنه نخواهم زيرور دكار
هنوز ازبت آلوده رويش بخاك ... كه كامش برآورد يزدان باك
حقائق شناسى درين خيره شد ... سرو قت صافى بروتيره شد
كه سر كشته دون باطل برست ... هنوزش سراز خمر تبخانه مست
دل از كفر ودست از خيانت نشست ... خدايش برآورد كامى كه جشد
فرورفت خاطر درين مشكلش ... كه بيغامى آمد درون دلش

كه بيش صنم بير ناقص عقول بسى كفت وقولش نيامد قبول
كرازدركه ما شود نيرزد بس آنكه جه فرن از صنم تا صمد
دل اندر صمد بايداى دوست بست كه عاجز ترنداز صنم هر كه هست
محالست اكر سر برين درنهى كه باز آيدت دست حاجت تهى

فإذا ثبت أن الله تعالى يجيب الدعوات لا ما سواه من الأصنام ونحوها، فلا بد من توحيده، وإخلاص الطاعة والعبادة له، وعرض الافتقار إليه إذ لا ينفع الغير لا في الدنيا، ولا في الآخرة جعلنا الله، وإياكم من التابعين للهدى والمحفوظين من الهوى.

﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿إنا﴾: نون العظمة، أو باعتبار الصفات، أو المظاهر. **﴿لننصر رسلنا﴾** النصر: العون. **﴿والذين آمنوا﴾**؛ أي: أتباعهم. **﴿في الحياة الدنيا﴾** بالحجة والظفر والانتقام لهم من الكفرة بالاستئصال والقتل والسبي. وغير ذلك من العقوبات، ولا يقدح في ذلك ما قد يتفق لهم من صورة المغلوبية امتحاناً إذ العبرة إنما هي بالعواقب، وغالب الأمر. وأيضاً: ما يقع في بعض الأحيان من الانهزام، إنما كان بعارض كمخالفة أمر الحاكم، كما في غزوة أحد، وكمطلب الدنيا والعجب والغرور، كما في بعض وقائع المؤمنين. وأيضاً: إن الله تعالى ينتقم من الأعداء، ولو بعد حين كما بعد الموت، ألا ترى أن الله تعالى انتقم ليحيى عليه السلام بعد استشهاده من بني إسرائيل بتسليط بخت نصر حتى قتل به سبعون ألفاً.

قال عبد الله بن سلام رضي الله عنه: ما قتلت أمة نبياً إلا قتل به منهم سبعون ألفاً، ولا قتلوا خليفة إلا قتل به خمسة وثلاثون ألفاً. وأما قصة الحسنين رضي الله عنهما، فكثرة القتلى لهما باعتبار جدهما عليه السلام. وحاصله: أن علماء هذه الأمة كأنبياء بني إسرائيل، فإذا انضم إلى شرفهم شرف الانتساب إلى النبي عليه السلام بالسيادة الصورية قرباً، أو بعداً تضاعف قدرهم، فكان الإكرام إليهم بمنزلة الإكرام إلى النبي عليه السلام. وكذا الإهانة. والظاهر: في دفع التعارض بين قوله تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا﴾ [غافر: ٥١] وبين قوله: ﴿وَيَقْتُلُونَ النَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [البقرة: ٦١] ما قال ابن عباس رضي الله عنهما والحسن رضي الله عنه: من أنه لم يقتل من الأنبياء إلا من لم يؤمر بقتال، وكل من أمر بقتال نصر، كما في «تفسير القرطبي» في البقرة. وكان زكريا ويحيى وشعيب ونحوهم عليهم السلام ممن لم يؤمر بالقتال.

يقول الفقير: حقيقة النصرة للخواص إنما هي بالإمداد الملكوتي. وقد يجيء الإمداد من جهة البلاء الصوري، فالقتل ونحوه كله من قبيل الإمداد بالترقي. والحمد لله الذي بيده الخير.

قال شيخ الشهير بافتاده أفندي قدس سره: كان النبي عليه السلام قادراً على تخليص الحسنين رضي الله عنهما بالشفاعة من الله تعالى، لكنه رأى كمالهما بالشهادة راجحاً على الخلاص.

وفي «التأويلات النجمية»: كمال النصرة في الظفر على أعدى عدوك، وهي نفسك التي بين جنبيك هو الجهاد الأكبر، ولا يمكن الظفر على النفس إلا بنصرة الحق تعالى للقلب إذا تحقق عند العبد أن الخلق أشباح يجري عليهم أحكام القدر، فالولي لا عدو له، ولا صديق إلا

الله. ولهذا قال عليه السلام أعوذ بك منك. ﴿ويوم يقوم الأشهاد﴾ : جمع شاهد كصاحب وأصحاب؛ أي: لننصرنهم في الدنيا والآخرة، وعبر عن يوم القيامة بذلك للإشعار بكيفية النصرة، وأنها تكون عند جمع الأولين والآخرين بشهادة الأشهاد للرسل بالتبليغ، وعلى الكفرة بالتكذيب، وهم الملائكة والمؤمنون من أمة محمد عليه السلام. قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿يوم لا ينفع الظالمين معذرتهم﴾ . بدل من اليوم الأول والمعذرة بمعنى العذر، وقد سبق معناه في أول السورة؛ أي: لا ينفعهم عذرهم عن كفرهم لو اعتذروا في بعض الأوقات؛ لأن معذرتهم باطلة، فيقال لهم: ﴿ٱخْسَـُٔوا۟ فِيهَا وَلَا تُكَلِّمُونِ﴾ [المؤمنون: ١٠٨]. ويجوز أن يكون عدم نفع المعذرة؛ لأنه لا يؤذن لهم، فيعتذرون، فيكون من نفي المقيد والقيد لا معذرة ولا نفع يومئذٍ.

وفي «عرائس البيان»: ظلمهم عدولهم عن الحق إلى الخلق واعتذارهم في الآخرة لا في الدنيا. وفيه إشارة إلى أن المؤثر هو سوابق العنايات لا الأوقات. ﴿ولهم اللعنة﴾ ؛ أي: البعد عن الرحمة. ﴿ولهم سوء الدار﴾ ؛ أي: جهنم بخلاف المؤمنين العارفين؛ فإنها تنفعهم لتنصلهم. يعني: [از كناه بيرازى نمودن]. لكونه في وقته ولهم من الله الرحمة، ولهم حسن الدار، وإنما قال: سوء الدار، فإن جهنم حرها شديد وقعرها بعيد وحليها حديد وشرابها صديد، وكلامها هل من مزيد؟ وأسوأ الظالمين المشركون كما قال تعالى حكاية عن لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣] وأسوأ المشركين المنافقون كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] لاستهزائهم بالمؤمنين، فليحذر العاقل عن الظلم سواء كان لنفسه بالإشراك والمعصية أو لغيره، بكسر العرض وأخذ المال، ونحوهما. وليتذكر الإنسان يوماً يقول فيه الظالمون: ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ [فاطر: ٣٧]، فيجيبهم الله تعالى: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

وروي أن أهل النار يبكون بكاء شديداً حتى الدم، فيقول مالك: ما أحسن هذا البكاء لو كان في الدنيا. قال الشيخ سعدي:

كنونت كه جشمست اشكى بيار ... زبان دردهانست عذرى بيار
كنون بايدت عذر تقصير كفت ... نه جون نفس ناطق زكفتن بخفت
كنون باىداى خفته بيدار بود ... جو مرك اندر آيدز خوابت جه سود
كنون وقت تخمست اكر بدروى ... كراميد دارى كه خر من برى

فعلم أنه لا تنفع المعذرة والبكاء في الآخرة، فليتدارك العاقل تقصيره في الدنيا بالندامة والصلاح والتقوى، ليستريح في الآخرة، ويصل إلى الدرجات العلى مع الأنبياء والصديقين والشهداء والصلحاء، فمن أراد اللحوق بزمرتهم، فليكن على حالهم وسيرتهم، فإن الله ينصرهم في دنياهم وآخرتهم، فإن طاعة الله وطاعة الرسول توصل العبد إلى المرام، وإلى حيز القبول.

روي: أن بعض الصحابة رضي الله عنهم. قال للنبي عليه السلام: «كيف نراك بالجنة وأنت في الدرجات العلى، فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ

﴿عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ۝٦٩﴾ [النساء: ٦٩] فلا بد من الإطاعة، وعلى تقدير المخالفة، فباب التوبة مفتوح.

عن كعب الأحبار: أن رجلاً من بني إسرائيل أراد الاغتسال من فاحشة في نهر فناداه النهر: أما تستحي من الله تعالى، فتاب الرجل ثم عبد الله تعالى مع اثني عشر رجلاً، فبعد زمان أرادوا العبور عن النهر المذكور، فتخلف صاحب الاغتسال استحياء. فقال النهر: إن أحدكم إذا غضب على ولده، فتاب هو قبل توبته، فاعبدوا الله على شاطىء، فأقاموا هناك زماناً، فمات صاحب الاغتسال، فناداهم النهر: أن ادفنوه على شاطىء، فدفنوه، وأصبحوا وقد أنبت الله على قبره اثني عشر سرواً على عدد العابدين. وكان ذلك أول سرو أنبت الله في الأرض، وكل من مات دفنوه هناك، وكان بنو إسرائيل يزورون قبورهم.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْهُدَىٰ وَأَوْرَثْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ ۝٥٣ هُدًى وَذِكْرَىٰ لِأُوْلِى ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٥٤ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ ۝٥٥﴾.

﴿**ولقد آتينا**﴾ بمحض فضلنا ﴿**موسى**﴾ بن عمران ﴿**الهدى**﴾ ما يهتدي به من المعجزات والصحف والشرائع. ﴿**وأورثنا بني إسرائيل الكتاب**﴾: [الا يراث ميراث دادن].

والمراد بالكتاب: التوراة، ولما كان الإيراث الحقيقي إنما يتعلق بالمال تعذر حمله على معناه هنا، فأريد التبرك مجازاً إشعاراً بأن ميراث الأنبياء ليس إلا العلم والكتاب الهادي في باب الدين. والمعنى: وتركنا عليهم من بعد موسى التوراة إذ سائر ما اهتدي به في أمر الدين قد ارتفع بموت موسى عليه السلام. وبالفارسية: [ميراث داديم بني إسرائيل را يعني فرزندان يعقوب راتورات يعنى باقى كذاشتيم درميان ايشان تورات را].

فهم ورثوا التوراة بعضهم من بعض قرناً بعد قرن.

﴿**هدى**﴾: مفعوله؛ أي: هداية وبياناً من الضلالة، أو مصدر بمعنى اسم الفاعل على أنه حال؛ أي: هادياً. يعني: [راه نما ينده]. ﴿**وذكرى**﴾ تذكرة وعظة أو حال كونه مذكراً. يعني: [يند دهنده]. ﴿**لأولي الألباب**﴾ لذوي العقول السليمة العاملين بما في تضاعيفه دون الذين لا يعقلون. والفرق بين الهدى والذكرى: أن الهدى ما يكون دليلاً على شيء آخر، وليس من شرطه أن يذكر شيئاً آخر كان معلوماً، ثم صار منسياً، وأما الذكرى، فليس من ذلك. وكتب الأنبياء مشتملة على هذين القسمين، فإن بعضها دلائل في أنفسها، وبعضها مذكرات لما ورد في الكتب الإلٰهية المتقدمة.

﴿**فاصبر**﴾ مترتب على قوله: إنا لننصر رسلنا، وقوله: ولقد آتينا. إلخ. فالجملة المعترضة للبيان والتأكيد لنصرة الرسل؛ كأنه قيل: إذا سمعت ما وعدت به من نصرة الرسل، وما فعلناه بموسى، فاصبر على ما أصابك من أذية المشركين، فهو غير منسوخ بآية السيف إذ الصبر محمود في كل المواطن. ﴿**إن وعد الله**﴾ بالنصرة وظهور الإسلام على الأديان كلها، وفتح مكة ونحوها. ﴿**حق**﴾ لا يحتمل الإخلاف أصلاً واستشهد بحال موسى وفرعون. ﴿**واستغفر لذنبك**﴾ تداركاً لما فرط منك من ترك الأولى في بعض الأحيان؛ فإنه تعالى كافيك في نصرة دينك وإظهاره على الدين كله.

وفي «عين المعاني»: واستغفر من ذنب إن كان منك. وقيل: هذا تعبد من الله لرسوله ليزيد به درجة وليصير ذلك سنة، لمن بعده.

وفي «عرائس البقلي»: واستغفر لما جرى على قلبك من أحكام البشرية وأيضاً استغفر لوجودك في وجود الحق فإن كون الحادث في كون القديم ذنب. وقيل: واستغفر لذنب أمتك. وفيه أن هذا لا يجري في قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾ [محمد: ١٩]، كما سيأتي في سورة محمد. وقال ابن الشيخ في «حواشيه». والظاهر أنه تعالى يقول: ما أراد أن يقوله، وإن لم يجر لنا أن نضيف إليه عليه السلام ذنباً، انتهى.

يقول الفقير: كلام ابن الشيخ شيخ الكلمات، وذلك لأن مرتبة النبوة أرفع من مرتبة الولاية، فإن أحداً من الأمة، وإن كان واصلاً إلى أقصى الغايات بحسب مرتبته، فهو لا يدري حال النبي فوقه إذ لا ذوق له من مرتبته، فكيف يضيف إليه ذنباً لا يعرفه، فلا يطيع على حقيقة الذنب المضاف إليه عليه السلام إلا الله كالتصلية في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]؛ فإنها سر غامض بينه تعالى وبين رسوله، فليس لأحد سبيل إلى معرفته. ومن هذا القبيل سهوه عليه السلام في بعض المواضع، فإنه ليس من قبيل السهو الذي تعرفه الأمة:

ندانم كدامين سخن كويمت كه وألا ترى زانجه من كويمت

﴿**وسبح بحمد ربك بالعشي والإبكار**﴾؛ أي: ودم على التسبيح ملتبساً مقروناً وبحمده تعالى، أو على قوله: سبحان الله وبحمده. فالمقصود من ذكر العشي والإبكار الدلالة على المداومة عليهما في جميع الأوقات بناء على أن الإبكار عبارة عن أول النهار إلى نصفه، والعشي عبارة عن نصف النهار إلى أول النهار من اليوم الثاني. فيدخل فيهما كل الأوقات.

وفي الآية إشارة إلى قلب الطالب الصادق بالتصبر على أذى النفس والهوى والشيطان، إن وعد الله حق في نصرة القلب المجاهد مع كافر النفس وظفره عليها، واستغفر لذنبك أيها القلب؛ أي: مما سرى إليك من صفات النفس وتخلقت بأخلاقها، فاستغفر لهذا الذنب، فإنه صدأ مرآة القلب ودم على الطاعات، وملازمة الأذكار؛ فإنه تصفو مرآة القلب عن صدأ الأخلاق الذميمة. قالوا: ظاهر البدن من عالم الشهادة والقلب من عالم الملكوت وكما ينحدر من معارف القلب آثار الجوارح كذلك، قد يرتفع من أحوال الجوارح التي هي من عالم الشهادة آثار إلى القلب، فإذاً لا بد من الاشتغال بظواهر الأعمال إصلاحاً للحال، وتنويراً وتصفية للبال، فمن ليس له في الدنيا شغل، وقد ترك الدنيا على أهلها، فما له لا يتنعم بخدمة الله تعالى فيلزم أن يديم العمل لله من غير فتور إما ظاهراً أو باطناً قلباً وقالباً وإلا فباطناً، وترتيب ذلك أنه يصلي ما دام منشرحاً، والنفس مجيبة؛ فإن سئم تنزل من الصلاة إلى التلاوة، فإن مجرد التلاوة أخف على النفس من الصلاة، فإن سئم التلاوة أيضاً، يذكر الله بالقلب واللسان، فهو أخف من القراءة، فإن سئم الذكر أيضاً. يدع ذكر اللسان، ويلازم المراقبة، والمراقبة علم القلب بنظر الله تعالى إليه، فما دام هذا العلم ملازماً للقلب، فهو مراقب والمراقبة عين الذكر، وأفضله وإن عجز عن ذلك أيضاً، وتملكته الوساوس وتزاحم في باطنه حديث النفس، فلينم. وفي النوم السلامة، وإلا فكثرة حديث النفس تقسي القلب ككثرة الكلام؛ لأنه كلام من غير لسان، فيحترز من ذلك فيقيد الباطن بالمراقبة والرعاية، كما يقيد الظاهر بالعمل، وأنواع الذكر

والتسبيح، وبدوام الإقبال على الله ودوام الذكر بالقلب واللسان يرتقي القلب إلى ذكر الذات، ويصير حينئذٍ بمثابة العرش، فالعرش قلب الكائنات في عالم الخلق والحكمة.

والقلب: عرش في عالم الأمر والقدرة، فإذا اكتحل القلب بنور ذكر الذات وصار بحراً مواجاً من نسيمات القرب جرى في جداول أخلاق النفس صفاء النعوت والصفات. وتحقق التخلق بأخلاق الله تعالى:

غير ذكر خداجه سرجه جهر نيست دلرا نصيب وجانرا بهر
نور حق جون زدل ظهور كند ظلمت تن جه شر وشور كند

وفي الحديث: «رأيت رجلاً من أمتي يتقي وهج النار وشررها عن وجهه بيده، فجاءته صدقته، فصارت ستراً على وجه. ورأيت رجلاً من أمتي جاثياً على ركبتيه بينه وبين الله حجاب، فجاء حسن خلقه وأخذ بيده وأدخله على الله. ورأيت رجلاً من أمتي غلقت أبواب الجنة له، فجاءت شهادة أن لا إله إلا الله ففتحت له الأبواب وأدخلته الجنة». جعلنا الله وإياكم من أهل الأخلاق والأحوال وصالحات الأعمال.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بِغَيۡرِ سُلۡطَٰنٍ أَتَىٰهُمۡ إِن فِي صُدُورِهِمۡ إِلَّا كِبۡرٞ مَّا هُم بِبَٰلِغِيهِۚ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ٥٦ لَخَلۡقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ أَكۡبَرُ مِنۡ خَلۡقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ٥٧﴾.

﴿إن الذين﴾: [آورده اندكه كفار مكه درباب قرآن وبعث مجادله ميكر دندكه قرآن سخن خدانيست نعوذ بالله وبعث محالست حق سبحانه وتعالى آيت فرستادكه].

﴿إن الذين يجادلون في آيات الله﴾ ويجحدون بها. **﴿بغير سلطان﴾** حجة قاهرة. **﴿أتاهم﴾** في ذلك من جهته تعالى وتقييد المجادلة بذلك مع استحالة إتيانه للإيذان بأن التكلم في أمر الدين لا بدّ من استناده إلى سلطان مبين البتة. **﴿إن﴾** نافية. **﴿في صدورهم إلا كبر﴾** خبر لإن عبر بالصدر عن القلب لكونه موضع القلب. وفي الحصر إشعار بأن قلوبهم قد خلت عن كل شيء سوى الكبر؛ أي: ما في قلوبهم إلا تكبر عن الحق وتعظم عن التفكر والتعلم أو إلا إرادة الرياسة والتقدم على النبي والمؤمنين، أو إلا إرادة أن تكون النبوة لهم دونك يا محمد حسداً وبغياً. ولذلك يجادلون فيها؛ لأن فيها موقع جدال ما أو أن لهم شيئاً يتوهم أن يصلح مداراً لمجادلتهم في الجملة. واعتبرت الإرادة في هذين الوجهين؛ لأن نفس الرياسة والنبوة ليستا في قلوبهم.

﴿ما هم ببالغيه﴾: صفة كبر، فالضمير راجع إلى الكبر بتقدير المضاف؛ أي: ما هم ببالغي مقتضى كبرهم، وهو دفع الآيات، فإني أنشر أنوارها في الآفاق، وأعلي قدرك أو ما هم بمدركي مقتضى ذلك الكبر، وهو ما أرادوه من الرياسة والنبوة. **﴿فاستعذ بالله﴾**؛ أي: التجىء إليه في السلامة من كيد من يحسد ويبغي عليك. **﴿إنه هو السميع﴾** لأقوالكم **﴿البصير﴾** لأفعالكم.

وقيل: المجادلون هم اليهود، وكانوا يقولون لرسول الله عليه السلام لست صاحبنا المذكور في التوراة، بل هو المسيح بن داود.

وفي «تفسير الكاشفي»: [بلكه او ابو يوسف بن مسيح بن داود است]. يريدون: أن

الدجال يخرج في آخر الزمان، ويبلغ سلطانه البر والبحر وتسير معه الأنهار، وهو آية من آيات الله، فيرجع إلينا الملك، فسمى الله تمنيهم ذلك كبراً ونفى أن يبلغوا متمناهم، فإن الدجال، وإن كان يخرج في آخر الزمان لكنه، ومن تبعه من اليهود يقتلهم عيسى والمؤمنون بحيث لا ينجو منهم واحد، فمعنى قوله: فاستعذ بالله؛ أي: من فتنة الدجال؛ فإنه ليس فتنة أعظم من فتنته. قال عليه السلام تعوذوا بالله من عذاب النار، فقالوا: نعوذ بالله من عذاب النار، ثم قال: تعوذوا بالله من عذاب القبر، فقالوا: نعوذ بالله من عذاب القبر، ثم قال: تعوذوا بالله من الفتن ما ظهر منها، وما بطن، فقالوا: نعوذ بالله من الفتن ما ظهر منها، وما بطن، ثم قال: تعوذوا بالله من فتنة الدجال، فقالوا: نعوذ بالله من فتنة الدجال».

وقال الكاشفي: [ببايد دانست كه دجال آدمى است زآدميان ديكر بقد بلندتر وبحثه بزر كتر ويك جشم است وظهور او يكى از علامات قيامتست وبيغمبرامارات ظهور او بيان كرد كه مردم بسه سال بيش از خروج وى بقحط وغلا مبتلا شوند سال اول آسمان از آنجه باريدى ثلثي باز كيرد يعنى امساك ميكند وزمين از آنجه ازو روييدى ثلثى نكاه دارد سال دوم دو ثلث باز كيرند ودرسال سوم نه از آسمان باران آيد ونه از زمين كياه رويد ويكون غذاء المؤمنين يومئذ التسبيح والتقديس كأهل السماء بس دجال بيرون آيد وباوى سحر وتمويه بسيار بود وبيشتر خلق متابعت وى كنند إلا من عصمه الله تعالى وديوان دارد كه متمثل شوند بصورت آدميان بسى يكى را كويد اكر بدر ومادر ترازنده كنم اقرار كنى بربو بيت من كويد آرى في الحال ديوان بصورت ابوين أو متشكل شوند واورا كويند اى فرزند متابعت وى كن كه آفريد كارتست القصة همه شهر هارا بكيرد الا مكة ومدينة راكه ملائكه باسبانى كنند وجون كار بر مؤمنان به تنك آيد حق سبحانه وتعالى عيسى عليه السلام را از آسمان فرو فرستد تاد جال را بكشد ولشكر او كه اغلب يهود باشند بتمامى مستأصل كرداند وشمة از نزول عيسى در سورة زخرف مذكور خواهد شد].

وفي الحديث: «لا تقوم الساعة حتى يبعث دجالون كذابون قريب من ثلاثين، كلهم يزعم أنه لرسول الله». وقال عليه السلام: «إن بين يدي الساعة كذابين فاحذروهم» كما في «المصابيح» وهم الأئمة المضلون نعوذ بالله من فتنة الدجاجلة، ومن كل فتنة مضلة».

قال المفسرون: قوله: ﴿**إن الذين يجادلون**﴾ الآية، وإن نزل في مشركي مكة، لكنه عام لكل مجادل مبطل، فإن العبرة لعموم اللفظ لا لخصوص السبب، ففيه إشارة إلى مدعي أهل الطلب ومجادلتهم مع أرباب الحقائق فيما آتاهم الله من فضله بغير حجة وبرهان، بل حسداً من عند أنفسهم، وليس مانعهم في قبول الحق وتصديق الصديقين وتسليمهم فيما يشيرون إليه من الحقائق والمعاني الأكبر، مما كان من وصف إبليس إذ أبى واستكبر. وقال: أنا خير منه. وهذه الصفة مركوزة في النفوس كلها. ولهذا المعنى بعض الجهلة المغترين بالعلوم ينكرون على بعض مقالات المشايخ الراسخين في العلوم، فهؤلاء المدعون المنكرون لا يصلون إلى مرادهم، ولا يدركون رتبة أهل الحقائق. ولهذا قال بعضهم: لا تنكر، فإن الإنكار شؤم، والمنكر من هذا الحديث محروم فيا أيها الطالب المحق استعذ بالله من شر نفسك، والنفوس المتمردة وجميع آفات تعوقك عن الحق وتقطع عليك طريق الحق.

قال في «كشف الأسرار»: [كفته اند اين مجادلان داعيان بدعت اند ومنكر ان صفات حق

واين مجادلت اقتحام مكلفاً نست وخوض معترضان وجدال مبتدعان وتأويل جهميان وساخته اشعريان وتزوير فلسفيان وقانون طبايعيان در هر عصرى قوم فراديد آمدند جون غيلان قدرى وبشر مرسى وشيطان الطاق وابن أبي داود وجهم صفوان وعمر وعبيد وأمثال ايشان كه صفات حق را منكر شدند ودين قديم بكذا شتند وكتاب وسنت سست ديدند وراى وقياس محكم داشتد مقصود ايشان آنست كه كتاب وسنت باز بس دارند ومعقول فرا بيش اين آرزوى بزر كست كه دردل دارند وهر كز نخوا هند رسيد بآن آرزوى خويش]. وفي المثنوي:

شمع حق رايف كنى تواى عجوز هم تو سوزى هم سرت اى كنده بوز
كى شود در ياز بوسك نجس كى شود خورشيد از بف منطمس
هر كه بر شمع خدا آرد تفو شمع كى ميرد بسوزد بوز او
جون تو خفا شن بسى بينند خواب كين جهان ماند يتيم از آفتاب
اى بريده آن لب وحلق ودهان كى كند تف سوى مه ايا آسمان
تف بر ويش باز كردد بى شكى تف سوى كردون نيابد مسلكى
تا قيامت تف برو بارد زرب همچو تبت بر روان بو لهب

﴿**لخلق السماوات والأرض**﴾: تحقيقاً للحق وتبيين لأشهر ما يجادلون فيه، وهو أمر البعث. ﴿**أكبر**﴾ أعظم في القدرة. ﴿**من خلق الناس**﴾ مرة ثانية، وهي الإعادة، فمن قدر على خلق الأعظم الأقوى بلا أصل ولا مادة وجب أن يقدر على خلق الأذل، الأضعف من الأصل والمادة بطريق الأولى، فكيف يقرون بأن الله خلق السماوات والأرض، وينكرون الخلق الجديد يوم البعث. ﴿**ولكن أكثر الناس**﴾ يعني: الكفار. ﴿**لا يعلمون**﴾ أن الإعادة أهون من البداية لقصورهم في النظر والتأمل لفرط غفلتهم واتباعهم لأهوائهم.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَلَا ٱلْمُسِىٓءُ ۚ قَلِيلًا مَّا تَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾﴾.

﴿**وما يستوي الأعمى والبصير**﴾؛ أي: الغافل والمستبصر، فالمراد بالأعمى من عمي قلبه عن رؤية الآيات والاستدلال بها والبصير من أبصرها. قال الشاعر:

أيها المنكح الثريا سهيلاً عمرك الله كيف يلتقيان
هي شامية إذا ما استقلت وسهيل إذا استقل يماني

أي: فكما لا تساوي بينهما، فكذلك بين المؤمن والكافر، والعالم والجاهل. ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾: قدمه لمجاورة البصير، وهو باب من أبواب البلاغة. والمراد بهم المحسنون. ﴿**ولا المسيء**﴾ اسم جنس يعم المسيئين.

والمعنى: وما يستوي المحسن والمسيء؛ أي: الصالح والطالح، فلا بد أن يكون لهم حالة أخرى يظهر ما بين الفريقين من التفاوت، وهي فيما بعد البعث، وهو احتجاج آخر على حقيقة البعث والجزاء وزيادة ولا في المسيء لتأكيد النفي لطول الكلام بالصلة؛ لأن المقصود نفي مساواته للمحسن؛ لأنه كما لا يساوي المحسن المسيء فيما يستحقه المسيء من الحقارة والهوان، كذلك لا يساوي المسيء المحسن فيما يستحقه المحسن من الفضل والكرامة والعاطف في قوله: والذين: عطف الموصول بما عطف عليه على الأعمى والبصير مع أن

المجموع؛ أي: مجموع الغافل والمستبصر هو مجموع المسيء والمحسن لتغاير الوصفين. يعني: أن المقصود في الأولين إلى العلم، فإن العمى والبصيرة في القلب. وفي الآخرين إلى العمل؛ لأن الإيمان والأعمال في الجوارح، وإلا ففي الحقيقة المراد: بالبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات واحد وبالأعمى والمسيء واحد، ويجوز أن يراد الدلالة بالصراحة والتمثيل على أن يتحد الوصفان في المقصود؛ بأن يكون المراد بالأولين أيضاً المحسن والمسيء، فالصراحة بالنسبة إلى الذين آمنوا وعملوا الصالحات، والتمثيل بالنسبة إلى ما قبله؛ فإن الأعمى والبصير من قبيل التمثيل. ﴿**قليلاً ما تتذكرون**﴾. قوله: قليلاً صفة مصدر محذوف. وما تأكيد معنى القلة، وتذكرون على الخطاب بطريق الالتفات على أن يكون الضمير للكفار وفائدة الالتفات في مقام التوبيخ هو إظهار العنف الشديد، والإنكار البليغ.

والمعنى: تذكراً قليلاً تتذكرون أيها الكفار المجادلون، يعني: وإن كنتم تعلمون أن التبصر خير من الغفلة، ولا يستويان، وكذا العمل الصالح خير من العمل الفاسد لكنكم لا تتذكرون إلا تذكراً قليلاً، أو تتذكرون أصلاً، فإنه قد يعبر بقلة الشيء عن عدمه مثل: أن يقال فلان قليل الحياء؛ أي: لا حياء له.

قال في «تاج المصادر»: [التذكر ياد كردن ويا ياد آوردن وبند كرفتن].

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ لَآتِيَةٌ لَّا رَيْبَ فِيهَا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٩﴾﴾

﴿**إن الساعة**﴾: إن القيامة ومر وجه التسمية بها مراراً. ﴿**لآتية**﴾ أكد باللام؛ لأن المخاطبين هم الكفار وجرد في طه حيث قال: إن الساعة آتية لكون المخبر ليس بشاك في الخبر. كذا في «برهان القرآن». ﴿**لا ريب فيها**﴾؛ أي: في مجيئها لوضوح شواهدها. ومنها ما ذكر بقوله: لخلق السماوات. إلخ.

﴿**ولكن أكثر الناس**﴾، يعني: الكفار ﴿**لا يؤمنون**﴾ لا يصدقون بها لقصور أنظارهم على الظواهر وقوة الفهم بالمحسوسات. وهذا الكفر والتكذيب طبيعة النفوس إلا من عصمه الله تعالى، ونظر إلى قلبه بنظر العناية.

روي: أن الصراط سبع قناطر، فيسأل العبد عند القنطرة الأولى عن الإيمان، وهو أصعب القناطر وأهواها قراراً فإن أتى بالإيمان نجا، وإن لم يأت به تردى إلى أسفل السافلين، ويسأل في الثانية عن الصلاة، وفي الثالثة عن الزكاة، وفي الرابعة عن صيام شهر رمضان، وفي الخامسة عن الحج، وفي السادسة عن الأمر بالمعروف، وفي السابعة عن النهي عن المنكر، فإن أجاب في الكل نجا، وإلا تردى في النار:

كرد بعث محمد عربي ... تابود خلق رارسول ونبي
هر جه ثابت شود بقول ثقات ... كه محمد عليه ألف صلات
دادمارا خبر بموجت آن ... واجب آمد بان زما ايمان

فالأساس هو الإيمان والتوحيد، ثم يبنى عليه سائر الواجبات. قال مالك بن دينار رحمه الله: رأيت جماعة في البصرة يحملون جنازة، وليس معهم أحد ممن يشيع الجنازة، فسألتهم عنه، فقالوا: هذا من كبار المذنبين، قال: فصليت عليه وأنزلته في قبره، ثم انصرفت إلى الظل، فنمت، فرأيت ملكين نزلا من السماء، فشقا قبره ونزل أحدهما في القبر، وقال: اكتبه

من أهل النار؛ لأنه لم تسلم جارحة منه عن الذنب، فقال الآخر: لا تعجل، ثم نزل هو، فقال لصاحبه: قد اختبرت قلبه، فوجدته مملوءاً بالإيمان، فاكتبه مرحوماً، فإذا صلح القلب بالتوحيد والإيمان بالله واليوم الآخر يرجى أن يتجاوز الله عن سيئاته، ثم إن الساعة ارتاب فيها المرتابون مع وضوح شواهدها، وأما أهل الإيمان والعيان فرأوها كأنها حاضرة.

روي: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم سأل حارثة كيف أصبحت يا حارثة. قال: أصبحت مؤمناً حقاً، قال: يا حارثة إن لكل حق حقيقة، فما حقيقة إيمانك. قال: عزفت نفسي عن الدنيا؛ أي: زهدت وانصرفت، فأظمأت نهارها وأسهرت ليلها واستوى عندي حجرها وذهبها، وكأني أنظر إلى أهل الجنة يتزاورون، وإلى أهل النار يتضاغون؛ أي: يصوتون باكين؛ وكأني أنظر إلى عرش ربي بارزاً، فقال عليه السلام: أصبت فالزم. ومن كلمات أمير المؤمنين عليّ رضي الله عنه: «لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً»:

حال خلد وجحيم دانستم بيقين آنجنانكه مى بايد
كر حجاب ازميانه بر كيرند آن يقين ذرة نيفزايد

فظهر أن هذا حال أهل العيان فأين المحجوب عن هذا، فلما كانا لا يستويان في الدنيا علماً ومعرفة وشهوداً، كذلك لا يستويان في الآخرة درجة وقربة وجوداً نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من الصالحين المحسنين الفائزين بمطالب الدنيا والدين والآخرة.

﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿وقال ربكم﴾ أيها الناس. **﴿ادعوني﴾** وحدوني واعبدوني. **﴿أستجب لكم﴾**؛ أي: أثبكم بقرينة قوله تعالى: **﴿إن الذين يستكبرون عن عبادتي﴾** يتعظمون عن طاعتي **﴿سيدخلون جهنم﴾** حال كونهم **﴿داخرين﴾**؛ أي: صاغرين أذلاء فإن الدخور بالفارسية: [خوارشدن. من دخر كمنع وفرح صغر وذل].

وإن فسر الدعاء بالسؤال كان الاستكبار الصارف عنه منزلاً منزلة الاستكبار عن العبادة، فأقيم الثاني مقام الأول للمبالغة. أو المراد بالعبادة الدعاء، فإنه من أفضل أبوابها، فأطلق العام على الخاص مجازاً.

قال الكاشفي: [مراد از دعا سؤالست يعني بخواهيد كه خزانة من مالا مالست وكرم من بخشنده آمال كدام كداست نياز بيش آورده كه نقد مراد بركف اميدش ننهادم وكدام محتاج زبان سؤال كشاد كه رقعة حاجتش رابتو قيع اجابت موشح نساختم]:

برآستان ارادت كه سر نهادشبى كه لطف دوست برويش دريجة نكشود

يقال: ادعوني بلا غفلة أستجب لكم بلا مهلة ادعوني بلا خفاء أستجب لكم بالوفاء ادعوني بلا خطأ، أستجب لكم بالعطاء، ادعوني بشرط الدعاء، وهو الأكل من الحلال.

قيل: الدعاء مفتاح الحاجة وأسنانه لقمة الحلال. قال الحكيم الترمذي قدس سره: من دعا الله، ولم يعمر قبل ذلك سبيل الدعاء بالتوبة والإنابة وأكل الحلال واتباع السنن ومراعاة السر، كان دعاؤه مردوداً، وأخشى أن يكون جوابه الطرد واللعن. يقال: كل من دعاه استجاب له إما بما سأله، أو بشيء آخر هو خير له منه. ويقال: الكافر ليس يدعوه حقيقة؛ لأنه إنما

يدعو من له شريك، والله تعالى لا شريك له. وكذا المعطلة؛ لأنهم إنما يعبدون إلٰهاً لا صفات له في الحياة والسمع والبصر والكلام والقدرة والإرادة بزعمهم، فهم لا يعبدون الله تعالى، وكذا المشبهة إنما يدعون إلٰهاً له جوارح وأعضاء، والله تعالى منزه عن ذلك؛ فإنه ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير.

قال الشافعي رحمه الله: من انتهض لطلب مدبره؛ فإن اطمأن إلى موجود ينتهي إليه فكره، فهو مشبه، وإن اطمأن إلى نفي محض، فهو معطل، وإن اطمأن إلى موجود واعتراف بالعجز عن إدراكه، فهو موحد، فأهل السنة يثبتون لله تعالى صفات ثبوتية وينزهونه عما لا يليق به، فهم إنما يدعون الله تعالى، فما من مؤمن يدعو الله ويسأله شيئاً إلا أعطاه إما في الدنيا وإما في الآخرة. ويقول له: هذا ما طلبت في الدنيا، وقد ادخرته لك إلى هذا اليوم حتى يتمنى العبد أنه ليته لم يعط شيئاً في الدنيا. ويقال: لم يوفق العبد للدعاء إلا لإرادة الله إجابته، لكن وقوع الإجابة حقيقة، إنما يكون في الزمان المتعين للدعاء كالسلطان إذا كان في وقت الفرح والاستبشار لا يرد السائل البتة.

قال الفضيل بن عياض والناس وقوف بعرفات: ما تقولون لو قصد هؤلاء الوفد بعض الكرماء يطلبون منه دانقاً أكان يردهم، فقالوا: لا. فقال: والله للمغفرة في جنة كرم الله أهون على الله من الدانق في جنة كرم ذلك الرجل، فعرفات وزمان الوقوف من مظان الإجابة. وكذا جميع أمكنة العبادات وأوقات الطاعات؛ لأن الله تعالى إذا رأى عبده حيث أمر رضي عنه واستجاب دعاءه، ونعم ما قال سفيان حيث قال بعضهم: ادع الله، فقال: ترك الذنوب هو الدعاء.

قال بعض العارفين بالله: الصلاة أفضل الحركات والصوم أفضل السكنات والتضرع في هياكل العبادات يحل ما عقدته الأفلاك الدائرات. ولا بد من حسن الظن بالله.

حكي عن بعض البله، وهو في طواف الوداع أنه قال له رجل وهو يمازحه: هل أخذت من الله براءتك من النار، فقال الأبله له: وهل أخذ الناس ذلك، فقال: نعم، فبكى ذلك الأبله، ودخل الحجر وتعلق بأستار الكعبة، وجعل يبكي ويطلب من الله أن يعطيه كتابه بعتقه من النار، فجعل أصحابه والناس يطوفون يعرفونه أن فلاناً مزح معك، وهو لا يصدقهم، بل بقي مستمراً على حاله، فبينما هو كذلك سقطت عليه ورقة من طرف الميزاب فيها براءته وعتقه من النار فسر بها وأوقت الناس عليها، وكان من آية ذلك الكتاب أنه يقرأ من كل ناحية على السواء، لا يتغير كلما قلبت الورقة انقلبت الكتابة لانقلابها، فعلم الناس أنه من عند الله.

[وكفته اند دعا لفظي جامع است بيست خصلت از خصال حسنات در ضمن آن مجتمع همجون معجوني ساخته ازا خلاط متفرق وآن عبادتست واخلاص وحمد وشكر وثنا وتهليل وتوحيد وسؤال ورغبت ورهبت وندا وطلب مناجات وافتقار وخضوع وتذلل ومسكنت واستعانت واستكانت والتجاء رب العالمين باين كلمات مختصر جه كفت] ادعوني أستجب لكم. [ترابا اين بيست خصلت تراميد هد تابدانى كه اين قرآن جوامع الكلم است].

قال في «ترويح القلوب»: الأدب في ابتداء كل توجه أو دعاء أو اسم التوبة. وذكر محامد الله، والثناء عليه والتشفع بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم والصلاة عليه، وهو مفتاح باب السعادة، وأكل الحلال، وهو الترياق المجرب والتبري من الحول والقوة وترك الالتجاء

لغير الله وحسن الظن بالله، وجمع الهمة وحضور القلب وغاية الدعاء، إظهار الفاقة، وإلا فالله يفعل ما يريد:

جز خضوع وبندكى واضطرار اندرين حضرت ندارد اعتبار

في الحديث: «إذا سألتم الله فاسألوه ببطون أكفكم ولا تسألوه بظهورها، وإذا فرغتم فامسحوا بها وجوهكم»، «وما سئل الله شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية». كما في «كشف الأسرار»: ومنه عرف أن مسح اليدين على الوجه عقيب الدعاء سنة، وهو الأصح كما في «القنية».

قال في «الأسرار المحمدية»: كان عليه السلام يأمر أصحابه بمسح الوجه باليدين بعد الفراغ من الدعاء، ويحرض عليه. وسر ذلك أن الإنسان حال دعائه متوجه إلى الله تعالى بظاهره وباطنه، ولذا يشترط حضور القلب فيه، وصحة الاستحضار فسر الرفع والمسح أن اليد الواحدة تترجم عن توجهه بظاهره، واليد الأخرى عن توجهه بباطنه، واللسان مترجم عن جملته ومسح الوجه هو التبرك، والتنبيه على الرجوع إلى الحقيقة الجامعة بين الروح والبدن؛ لأن وجه الشيء حقيقة، والوجه الظاهر مظهرها، والمستحب أن يرفع يديه عند الدعاء إلى حذاء صدره. كذا فعله النبي عليه السلام.

كما رواه ابن عباس رضي الله عنهما، والأفضل أن يبسط كفيه ويكون بينهما فرجة، وإن قلت: ولا يضع إحدى يديه على الأخرى، فإن كان وقت عذر أو برد، فأشار بالمسبحة قام مقام بسط كفيه، والسنة أن يخرج بدنه حين الدعاء من كميه.

قال سلطان العارفين أبو يزيد البسطامي قدس سره: دعوت الله ليلة، فأخرجت إحدى يدي، والأخرى ما قدرت على إخراجها من شدة البرد، فنعست، فرأيت في منامي أن يدي الظاهر مملوءة نوراً، والأخرى فارغة، فقلت: ولم ذلك يا رب، فنوديت: أن اليد التي خرجت للطلب ملأناها، والتي توارت حرمت. ثم إن قوله: ادعوني أستجب لكم. يشير إلى أن معنى ادعوني: اطلبوا مني؛ أي: لا تطلبوا من غيري، فإن من كنت له يكون له ما كان لي. وإن من يطلبني يجدني. كما قال: إن من طلبني وجدني. قال الشيخ سعدي:

خلاف طريقت بودكا وليا تمنا كنند از خدا جز خدا

نسأل الله تعالى أن يجعلنا من الداعين العابدين له بالإخلاص.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٦١﴾﴾

﴿الله الذي جعل﴾: [بيا فريد]. **﴿لكم﴾**: [براى منفعت شما]. **﴿الليل﴾**: [شب تيره را]. **﴿لتسكنوا فيه﴾** ولتستريحوا، فإن الليل لكونه بارداً رطباً تضعف فيه القوى المحركة، ولكونه مظلماً يؤدي إلى سكون الحواس، فتستريح النفس والقوى والحواس بقلة أشغالها وأعمالها، كما قال ابن هيصم: جعل الليل مناسباً للسكون من الحركة؛ لأن الحركة على وجهين: حركة طبع من الحرارة، وحركة اختيار من الخطرات المتتابعة بسبب الحواس، فخلق الليل مظلماً لتنسد الحواس وبارداً لتسكن الحركة، ولذا قيل للبرد القر؛ لأجل أن البرد يقتضي السكون والحر الحركة.

﴿والنهار مبصراً﴾؛ أي: مبصراً فيه أو به، يعني: يبصر به المبصرون الأشياء، ولكونه حاراً يقوي الحركات في اكتساب المعاش، فإسناد الإبصار إلى النهار مجاز فيه مبالغة، ولقصد المبالغة عدل به عن التعليل إلى الحال؛ بأن قال: مبصراً دون لتبصروا فيه أو به، يعني: أن نفس النهار لما جعل مبصراً فهم أن النهار لكمال سببيته للإبصار وكثرة آثار القوة الباصرة فيه، جعل كأنه هو المبصر، فإن قيل: فلم لم يسلك هناك سبيل المبالغة.

قلنا: لأن نعمة النهار لشبهها بالحياة أتم، وأولى من نعمة الليل التي تشبه الموت، فكانت أحق بالمبالغة إذ المقام مقام الامتنان؛ ولأن الليل يوصف بالسكون لسكون هوائه وصفا مجازياً متعارفاً، فسلوك سبيل المبالغة فيه يوقع الاشتباه، كما أشير إليه في «الكشاف»، ثم إذا حملت الآية على الاحتباك. وقيل: المراد جعل لكم الليل مظلماً لتسكنوا فيه، والنهار مبصراً لتنتشروا فيه ولتبتغوا من فضل الله، فحذف من الأول بقرينة الثاني. ومن الثاني بقرينة الأول،لم يحتج إلى ما ذكر. كذا أفاده سعدي المفتي.

قال بعضهم: جعل الليل لتسكنوا فيه إلى روح المناجاة والنهار مبصراً لتبصروا فيه بوادي القدرة. وفيه إشارة إلى ليل البشرية ليسكن أهل الرياضات والمجاهدات فيه إلى استرواح القلوب ساعة فساعة، لئلا يمل من مداومة الذكر. والتعبد وحمل أعباء الأمانة، وإلى نهار الروحانية لجعله مظهراً للجد والاجتهاد في الطلب والتصبر على التعب، وسكون الناس في الليل على أقسام.

أهل الغفلة يسكنون إلى استراحة النفوس والأبدان. وأهل الشهوة يسكنون إلى أمثالهم من الرجال والنسوان. وأهل الطاعة يسكنون إلى حلاوة أعمالهم وبسطهم واستقلالهم وأهل المحبة يسكنون إلى أنين النفوس وحنين القلوب، وضراعة الأسرار واشتعال الأرواح بنار الشوق، وهم يعدمون القرار في ليلهم ونهارهم، أولئك أصحاب الاشتياق أبداً في الاحتراق:

هـر كـه از درد خـدا آكـاه شـد ذكـر وفـكـرش دائـمـا الله شـد

﴿إن الله لذو فضل﴾ عظيم. ﴿على الناس﴾ بخلق الليل والنهار لا يوازيه فضل ولا يدانيه. ﴿ولكن أكثر الناس لا يشكرون﴾: تكرير الناس لتنصيص تخصيص الكفران أن بهم بإيقاعه على صريح اسمهم الظاهر الموضوع موضع الضمير الدال على أن ذلك كان شأن الإنسان، وخاصته في الغالب؛ أي: لا يشكرون فضل الله وإحسانه لجهلهم بالمنعم وإغفالهم مواضع النعم؛ أي: رفعة شأنها وعلو قدرها، وإذا فقدوا شيئاً منها يعرفون قدرها مثل أن يتفق لبعض. والعياذ بالله أن يحسبه بعض الظلمة في بئر عميق مظلم مدة مديدة؛ فإنه حينئذ يعرف قدر نعمة الهواء الصافي وقدر نعمة الضوء:

يـكـى راعـسـس دست بـربـسـتـه بـود همـه شب بـريـشـان ودلـخـسـتـه بـود
بـكـوش آمـدش درشـب تـيـره رنـك كه شخصى همى نـالـد ازدست تنك
شنيد اين سخن دزد مسكين وكفت زبـيـجـاركـى جـنـد نـالـى بـخـفـت
بـروشـكـر يـزدان كـن اى تـنـك دست كه دستت عسس تنك برهم بنست

يعني فلك القدرة على الكسب:

نـدانـد كـسـى قـدر روز خـوشـى مـكـر روزى افـتـد بـسـخـتـى كـشـى
زمـسـتـان درويـش بـس تـنـك سـال جـه سـهـلـسـت بـيـش خـداونـد مـال

جه دانند جيحو نيان قدر آب زوامانند كان برس در آفتاب
كسى قيمت تندرستى شناخت كه يكجند بيجاره در تب كداخت
ببانك دهل خواجه بيدار كشت جه داند شب باسبان جون كذشت

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ﴿٦٢﴾ كَذَٰلِكَ يُؤْفَكُ ٱلَّذِينَ كَانُوا بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴿٦٣﴾﴾.

﴿ذلكم﴾ المتفرد بالأفعال المقتضية للألوهية والربوبية. ﴿الله ربكم خالق كل شيء لا إله إلا هو﴾: أخبار مترادفة تخصص السابقة منها اللاحقة وتقررها.

قال في «كشف الأسرار»: كل ها هنا بمعنى البعض. وقيل: عام خص منه ما لا يدخل في الخلق. ﴿فأنى تؤفكون﴾، فكيف ومن أي وجه تصرفون عن عبادته خاصة إلى عبادة غيره.

﴿كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون﴾؛ أي: مثل ذلك الإفك للعجب الذي لا وجه له، ولا مصحح، أصلاً؛ أي: كما صرف قومك، وهم قريش عن الحق وحرموا من التحلي به مع قيام الدلائل يؤفك، ويصرف عنه كل جاحد قبلهم، أو بعدهم بآياته؛ أي آية كانت لا إفكاً آخر له وجه، ومصحح في الجملة.

قال الراغب: الإفك كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه، ومنه قيل للرياح العادلة عن المهاب المؤتفكات. وقوله: أنى تؤفكون؛ أي: تصرفون من الحق في الاعتقاد إلى الباطل، ومن الصدق في المقال إلى الكذب، ومن الجميل في الفعل إلى القبيح. ورجل مأفوك؛ أي: مصروف عن الحق إلى الباطل والجحود نفي ما في القلب إثباته وإثبات ما في القلب نفيه وتجحد تخصص بفعل ذلك، فعلى العبد أن يقر بمولاه، وبآياته، فإنه خالقه ورازقه.

وجاء في أحاديث المعراج: قل لأمتك إن أحببتم أحداً لإحسانه إليكم، فأنا أولى به لكثرة نعمي عليكم، وإن خفتم أحداً من أهل السماء والأرض، فأنا أولى بذلك لكمال قدرتي، وإن أنتم رجوتم أحداً، فأنا أولى به؛ لأني أحب عبادي، وإن أنتم استحييتم من أحد لجفائكم إياه، فأنا أولى بذلك؛ لأن منكم الجفاء، ومني الوفاء، وإن أنتم آثرتم أحداً بأموالكم وأنفسكم، فأنا أولى به؛ لأني معبودكم، وإن صدقتم أحداً وعده، فأنا أولى بذلك؛ لأني أنا الصادق، ففي العبودية والمعرفة شرف عظيم.

قال علي رضي الله عنه: ما يسرني أن لو مت طفلاً وأدخلت الجنة، ولم أكبر، فأعرف، وذلك لأن الإنسان خلق للعبادة والمعرفة، فإذا ساعده العمر والوقت يجب عليه أن يجتهد إلى أن يترقى إلى ذروة المطالب، ويصل إلى مرتبة استعداده، فإذا أهمل وتكاسل، فمات كان كالصبي الذي مات في صباه خالياً عن حلية الكمالات والسعادات نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من المجتهدين.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾﴾.

﴿الله الذي جعل لكم﴾ لمصالحكم وحوائجكم. ﴿الأرض قراراً﴾ مستقراً؛ أي: موضع قرار ومكان ثبات وسكون، فإن القرار كما يجيء بمعنى الثبات والسكون يجيء بمعنى ما قر

فيه، وبمعنى المطمئن من الأرض كما في «القاموس».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: قراراً؛ أي: منزلاً في حال الحياة وبعد الممات.

﴿والسماء بناء﴾: البناء بمعنى المبنى؛ أي: قبة مبنية مرفوعة فوقكم، ومنه أبنية العرب لمضاربهم، وذلك لأن السماء في نظر العين كقبة مضروبة على فضاء الأرض.

وفي «التأويلات النجمية»: خلق الأرض لكم استقلالاً ولغيركم طفيلياً، وتبعاً لتكون مقركم، والسماء أيضاً خلق لكم لتكون سقفكم مستقلين به، وغيركم تبع لكم فيه.

وقال بعضهم: جعل الأرض قراراً لأوليائه، والسماء بناء لملائكته. وفيه إشارة إلى قوله: أوليائي تحت قبابي؛ أي: مستورون تحت قباب الملكوت، لا تنكشف أحوالهم إلا لمن عرفه الله تعالى. وفي الآية بيان لفضله تعالى المتعلق بالمكان بعد بيان فضله المتعلق بالزمان.

وقوله تعالى: ﴿وصوركم فأحسن صوركم﴾: بيان لفضله المتعلق بأنفسهم، والفاء: في فأحسن تفسيرية، فإن الإحسان عين التصوير، كما قوله عليه السلام: «إن الله أدبني فأحسن تأديبي»، فإن الإحسان عين التأديب، فإن تأديب الله لمثله لا يكون إلا حسناً، بل أحسن. والمعنى: صوركم أحسن تصوير حيث خلقكم منتصبي القامة بادي البشرة متناسبي الأعضاء والتخطيطات متهيئين لمزاولة الصنائع واكتساب الكمالات.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: خلق ابن آدم قائماً معتدلاً يأكل، ويتناول بيده وغير ابن آدم بفيه. وفيه إشارة إلى أنه تعالى جعل أرض البشرية مقراً للروح وجمع سماء الروحانية في عالم صوركم، ولم يجمعها في صورة شيء آخر من الملائكة والجن والشياطين والحيوانات. وإلى هذا المعنى أشار بقوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤]. وأيضاً: فأحسن صوركم إذ جعلها مرآة جماله، كما قال عليه السلام: «كل جميل من جمال الله»، وإنما جعلكم جميلاً ليحبكم، كما قال عليه السلام: «إن الله جميل يحب الجمال». وبالفارسية: [حسن صورت انساني در آنست كه از مرآت جهان نماست بهمه حقائق علوى وسفلى ومجموع دقائق صورى ومعنوى را جامعست وأنوار معرفت ذات آثار شناخت صفات ازآينه جامعة أو لا مع]:

اى صورت تو آينة سر وجود   روشن زرخت برتو انوار شهود

مجموعة هر دو كونى ونيست جوتو   در مملكت صورت ومعنى موجود

وفيه إشارة إلى تخطئة الملائكة فيما قبحوا الإنسان، وقالوا: أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء، فإن الحسن ليس ما يستحسنه الناس، بل ما يستحسنه الحبيب؛ كأن الله يقول: إن الواشين قبحوا صورتكم عندنا، بل الملائكة كتبوا في صحيفتكم قبيح ما ارتكبتم ومولاكم أحسن صوركم عنده بأن محا من ديوانكم الزلات، وأثبت في ذلك الحسنات، كما قال تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]. وقال: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: ٧٠]، فحسن الصورة، والمعنى: مخصوص بالإنسان، وهو المدار، وما سواه دائر عليه. قال الصائب:

اسرار جار دفتر ومضمون نه كتاب   در نقطة تو ساخته ايزد نهان همه

وزبهر خدمت تو فلكها جو بندكان   زا خلاص بسته اند كمر برميان همه

بيش تو سر بخاك مذلت نهاده اند   با آن علوم ومر تيه روحانيان همه

﴿ورزقكم من الطيبات﴾: من المأكولات اللذيذة. [ومتميز كر دانيد روزى شما از روزى حيوانات].

قال في «التأويلات النجمية»: ليس الطيب ما يستطيبه الخلق، بل الطيب ما يستطيبه الحق، فإنه طيب لا يقبل إلا طيباً، فالطيب الذي يقبله الله من العبد، وهو من مكاسبه الكلم الطيب، وهي كلمة لا إله إلا الله، كما قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ﴾ [فاطر: ١٠]، والطيب الذي هو من مواهب الله تعالى هو تجلي صفات جماله وجلاله. وإليهما أشار بقوله: ورزقكم من الطيبات.

والحاصل: أن الطيب أنواع طيب الأرزاق، وطيب الأذكار وطيب الحالات. ﴿ذلكم﴾ الذي نعت بما ذكر من النعوت الجليلة. ﴿الله﴾ خبر لذلكم، ﴿ربكم﴾ الذي يستوجب منكم العبادة خبر آخر. ﴿فتبارك الله﴾ صفة خاصة بالله تعالى؛ أي: تقدس وتنزه وتعالى بذاته عن أن يكون له شريك في العبادة إذ لا شريك له في شيء من تلك النعم. ﴿رب العالمين﴾: [برور دكار عالميان از انس وجن وجزآن]؛ أي: مالكهم ومربيهم والكل تحت ملكوته مفتقر إليه في ذاته، ووجوده وسائر أحواله جميعاً، بحيث لو انقطع فيضه عنه آناً لانعدم بالكلية.

﴿هُوَ ٱلْحَيُّ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ۗ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٥﴾﴾

﴿هو الحي﴾: [اوست زنده]. أي: المنفرد بالحياة الذاتية الحقيقية لا يموت ويميت الخلق. ﴿لا إله إلا هو﴾ إذ لا موجود يدانيه في ذاته وصفاته وأفعاله.

﴿فادعوه﴾: فاعبدوه خاصة لاختصاص ما يوجبه به تعالى: ﴿مخلصين له الدين﴾؛ أي: الطاعة من الشرك الجلي والخفي، قائلين: ﴿الحمد لله رب العالمين﴾.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: «من قال: لا إله إلا الله، فليقل على أثرها: الحمد لله رب العالمين».

وفي «التأويلات النجمية»: هو الحي؛ أي: له الحياة الحقيقية الأزلية الأبدية، ومن هو حي بإحيائه من نور صفاته، كما قال تعالى: ﴿فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا﴾ [الأنعام: ١٢٢]، ويشير بقوله: لا إله إلا هو بعد قوله: هو الحي إلى أن الذي يحيا بحياته ونور صفاته لن يبلغ رتبة الإلهية، فادعوه بالإلهية مخلصين له الدين؛ أي: مقرين له بالعبودية من غير دعوى بالربوبية كمن ادعى بها بقوله: أنا الحق، وقول من قال: سبحاني ما أعظم شاني، الحمد لله رب العالمين، يعني: فيما أنزلكم وبلغكم مقام الوحدة بفضله ورحمته؛ لأنها مقام لا يسع للإنسان بلوغه بمجرد سعيه من دون فضل ربه. قال الصائب:

نيستم از كشش جذبة رحمت نوميد   كر جه از قلزم وحدت بكنار افتادم

واعلم أنه كما لا يصل العبد إلى مقام الوحدة إلا بفضل الله، كذلك لا ينجو من دعوى هذا المقام إلا بفضله تعالى، إما بتربية من عنده بلا سبب صوري، وإما بإرشاد مرشد كامل قد وصل إلى غاية الغايات، فإذا لم يساعده شيء من ذلك، بقي سكران، ووقع فيما وقع كما نقل عن بعض أهل الوله من السلف.

﴿۞ قُلْ إِنِّى نُهِيتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَمَّا جَآءَنِىَ ٱلْبَيِّنَٰتُ مِن رَّبِّى وَأُمِرْتُ أَنْ أُسْلِمَ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٦﴾﴾.

﴿**قل**﴾: روي: أن كفار قريش قالوا: يا محمد ألا تنظر إلى ملة أبيك عبد الله وملة جدك عبد المطلب، فتأخذ بهما، فأنزل الله تعالى: يا محمد ﴿**إني نهيت**﴾: النهي الزجر عن الشيء.

﴿**أن أعبد الذين تدعون من دون الله**﴾؛ أي: الأصنام. ﴿**لما جاءني البينات من ربي**﴾؛ أي: وقت مجيء الآيات القرآنية من ربي، وذلك لأنه لا نهي ولا وجوب عند أهل السنة إلا بعد ورود الشرع. ويجوز أن يقال: كان منهياً عن عبادتها عقلاً بحسب دلالة الشواهد على التوحيد، فأكد النهي بالشرع، ويجوز أنه نهي له عليه السلام والمراد غيره. وفي قوله: مِن ربي إشارة إلى أن دلائل التوحيد وشواهد أنوار الحقيقة لا تطلع إلا من مطلع الهداية الأزلية، ولكن ينبغي للملتمسين أن يتوجهوا إلى ذلك الجانب بالإعراض عن السوي وترك أصنام البدع والهوى:

ددر كعبة دلست شب وروز روى دل جون آفتاب سجده بهر در نميكنم

﴿**وأمرت أن أسلم لرب العالمين**﴾: بأن أنقاد له وأخلص له ديني.

قال ابن الشيخ: يقال: أسلم أمره لله؛ أي: أسلم وذلك إنما يكون بالرضا والانقياد لحكمه وأسلمت له الشيء إذا جعلته سالماً خالصاً له، وعلى التقديرين يكون مفعول أسلم محذوفاً؛ أي: أن أسلم أمري وأخلص توحيدي وطاعتي له.

قال في «برهان القرآن»: مدح سبحانه نفسه وختم ثلاث آيات على التوالي بقوله: رب العالمين، وليس له في القرآن نظير.

وفي الإشارة إشارة إلى أنه عليه السلام مع كمال نبوته ورسالته وقربه بربه وعظم قدره عنده وريه من أصفى الشراب الطهور الذي هو تجلي ذاته وصفاته، لو لم يسلم لرب العالمين بالعبودية وترك الربوبية له، لم يكن مسلماً، فعلى العاشق أن يضبط نفسه القدسية عن إثبات الإلهية لغيره تعالى في مقام الوحدة عند غلبات السكر من لذاذة شراب التجلي، فإن الرب رب، والعبد عبد والأدب مع الله مقبول. [بزركى كفت اى اهل معنى بنكر يدكه با منصور حلاج جه كردند تابا مدعيان جه خواهند كردن بزركى كفت جون منصور أنا الحق كفت واورا در بغداد بردار مى كردند آن شب تا روز بزير آن دار بودم نماز ميكر دم جون روز شد هاتفي آواز دادكه].

أطلعناه على سر من أسرارنا، فأفشى سرنا، فهذا جزاء من يفشي سر الملوك. قال بعض العارفين الملوك لا يعفون عمن تعرض لمملكتهم أو لحرمهم، أو أفشى سرهم. قال الجامي:

رسيد جان بلب ودم نميتوانم زد كه سر عشق همى ترسم آشكار شود

قيل للشيخ أبي سعيد قدس سره: أن فلاناً يمشي على الماء. قال: إن السمك والضفدع كذلك، فقيل: إن فلاناً يطير في الهواء، فقال: إن الطيور كذلك، فقيل: فلاناً يصل إلى الشرق والغرب في آن واحد، فقال: إن إبليس كذلك، فقيل: فما الكمال عندك. قال: أن تكون في الظاهر مع الخلق وفي الباطن مع الحق. وهذا مقام الاستقامة، فإن أهله راسخ في التمكين، بل وفي تلوين التمكين، فلا يصدر عنه إفشاء الأسرار ودعوى ما يقع به الفتنة بين الناس، فطوبى لمن وقف عند الأدب وعامل جميعاً، مع الرب. قال حضرة الشيخ الشهير بافتاده افندي قدس سره، في حق السيد نسيمي: قد فهم فهماً حسناً، ولكنه أظهر بعض شيء كان للستر. انتهى.

وقد جعله الشيخ بالي الصوفي من زمرة الزنادقة والملاحدة، فلا بدّ من رعاية الشرع المطهر في كل مقام.

﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوٓا۟ أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا۟ شُيُوخًا ۚ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ ۖ وَلِتَبْلُغُوٓا۟ أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٧﴾﴾

﴿هو الذي خلقكم﴾ يا بني آدم. **﴿من تراب﴾**؛ أي: في ضمن خلق أبيكم آدم. **﴿ثم من نطفة﴾**؛ أي: ثم خلقكم خلقاً تفصيلياً من مني. قال الراغب: النطفة الماء الصافي، ويعبر بها عن ماء الرجل؛ أي: ماء الصلب يوضع في الرحم كما قال ابن سينا:

لا تكثرن من الجماع فإنه ماء الحياة يصب في الأرحام

والمعنى: خلق أصلكم آدم من تراب، ثم خلقكم من نطفة نسلاً بعد نسل، أو خلق كل واحد منكم من التراب، بمعنى أن كل إنسان مخلوق من المني، وهو من الدم، وهو من الأغذية الحيوانية والنباتية والحيوانية لا بد أن تنتهي إلى النباتية، وإلا لزم أن يتسلسل الحيوانات إلى غير النهاية، والنبات إنما يتولد من الماء والتراب، أو خلق قالبكم في بدء أمركم من الذرة الترابية التي استخرجها من صلب آدم، ثم أودعها في قطرة نطفة بنيه. **﴿ثم من علقة﴾**، وهي الدم الجامد؛ لأن المني يصير على هذا الشكل بعد أربعين يوماً في بطن الأم. **﴿ثم يخرجكم طفلاً﴾**: الطفل الولد ما دام ناعماً كما في «المفردات» والصغير من كل شيء أو المولود كما في «القاموس»: وحد الطفل من أول ما يولد إلى أن يستهل صارخاً إلى انقضاء ستة أعوام كما في تفسير الفاتحة للفناري، والطفل مفرد لا جمع، كما وهم.

وقوله: أو الطفل ﴿ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟﴾ [النور: ٣١] الآية محمول على الجنس، وكذا هو في هذا المقام جنس وضع موضع الجمع؛ أي: الأطفال، أو المعنى، ثم يخرج كل واحد منكم من رحم الأم حال كونه طفلاً لتكبروا شيئاً فشيئاً. **﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾**، كمالكم في القوة والعقل. وبالفارسية: [بغايت قوت خود كه منتهاى شبابست].

قال في «القاموس»: الأشد واحد جاء على بناء الجمع، بمعنى القوة، وهو ما بين ثماني عشرة سنة إلى ثلاثين.

وفي «كشف الأسرار»: يقال: إذا بلغ الإنسان إحدى وعشرين سنة دخل في الأشد، وذلك حين اشتد عظامه وقويت أعضاؤه. **﴿ثم لتكونوا شيوخاً﴾**؛ أي: تصيروا إلى حالة الشيخوخة، والشيخ يقال لمن طعن في السن واستبانت فيه، أو من خمسين، أو إحدى وخمسين إلى آخر عمره، أو إلى ثمانين، كما في «القاموس». قال في «كشف الأسرار»: يقال: إذا ظهر البياض بالإنسان فقد شاب، وإذا دخل في الهرم، فقد شاخ. قال الشاعر:

فمن عاش شب ومن شب شاب ومن شاب شاخ ومن شاخ مات

روي: أن أبا بكر رضي الله عنه قال: يا رسول الله، قد شبت فقال: «شيبتني هود وأخواتها»، يعني: سورة هود، وكان الشيب برسول الله ﷺ قليلاً، يقال: كان شاب منه إحدى وعشرون شعرة بيضاء، ويقال: سبع عشرة شعرة. وقال أنس رضي الله عنه: لم يكن في رأسه ولحيته عشرون شعرة بيضاء وقال بعض الصحابة: ما شاب رسول الله وسئل آخر منهم فأشار إلى عنفقته يعني كان البياض في عنفقته؛ أي: في شعيرات بين الشفة السفلى والذقن، وإنما اختلفوا لقلتها. يقال: كان إذا ادهن خفي شيبه.

﴿ومنكم من يتوفى﴾: يقبض روحه ويموت. ﴿من قبل﴾؛ أي: من قبل الشيخوخة بعد

بلوغ الأشد، أو قبله أيضاً. ﴿ولتبلغوا﴾: متعلق بفعل مقدر بعده؛ أي: ولتبلغوا. ﴿أجلاً مسمى﴾ وقتاً محدوداً معيناً لا تتجاوزونه هو وقت الموت، أو يوم القيامة يفعل ذلك؛ أي: ما ذكر من خلقكم من تراب، وما بعده من الأطوار المختلفة، ولكون المعنى على هذا لم يعطف على ما قبله من لتبلغوا ولتكونوا، وإنما قلنا، أو يوم القيامة؛ لأن الآية تحتوي على جميع مراتب الإنسان من مبدأ فطرته إلى منتهى أمره فجاز أن يراد أيضاً: يوم الجزاء؛ لأنه المقصد الأقصى، وإليه كمية الأحوال.

﴿ولعلكم تعقلون﴾ ولكي تعقلوا ما في ذلك الانتقال من طور إلى طور من فنون الحكم والعبر وتستدلوا به على وجود خالق القوى والقدر.

﴿هُوَ ٱلَّذِى يُحۡيِۦ وَيُمِيتُۖ فَإِذَا قَضَىٰٓ أَمۡرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴿٦٨﴾﴾.

﴿هو الذي يحيي﴾ الأموات كما في الأرحام وعند البعث. ﴿ويميت﴾: الأحياء كما عند انقضاء الأجل. وفي القبر بعد السؤال، وأيضاً: يحيي القلوب الميتة بنور ربوبيته ولطفه، ويميت القلوب بنار قهره، فإذا حيي القلب مات النفس، وإذا مات القلب حيي النفس.

قال الحسين النوري قدس سره: هو الذي أحيا العالم بنظره، فمن لم يكن به وبنظره حياً، فهو ميت، وإن نطق أو تحرك (ع): [خوشادلى كه زنور خدابود روشن]. ﴿فإذا قضى أمراً﴾: القضاء بمعنى التقدير عبر به عن لازمه الذي هو إرادة التكوين؛ كأنه قيل: إذا قدر شيئاً من الأشياء، وأراد كونه. ﴿فإنما يقول له كن فيكون﴾ من غير توقف على شيء من الأشياء أصلاً: يعني: [تكوين اورا احتياج بآلتى وعدتى وفرصتى نيست]:

فعل اوراكه عيب وعلت نيست   متوقف بهيج آلت نيست
ازخم زلف كاف وطره نون   هرزمان شكلى آورد بيرون

وهذا تمثيل لتأثير قدرته تعالى في المقدورات عند تعلق إرادته بها، وتصوير لسرعة ترتب المكونات على تكوينه من غير أن يكون هناك أمر أو مأمور حقيقة.

وذهب بعضهم: إلى أنه حقيقة، وأن الله تعالى مكون الأشياء بهذه الكلمة، فيقول بكلامه الأزلي لا بالكلام الحادث الذي هو المركب من الأصوات والحروف كن؛ أي: احدث فيكون؛ أي: فيحدث، ولما لم يتعلق خطاب التكوين بالفهم، واشتمل على أعظم الفوائد، وهو الوجود جاز تعلقه بالمعدوم.

وفي «كشف الأسرار»: فيكون مرة واحدة لا يثنى قوله.

وفي «التكملة» قوله: كن لا يخلو إما أن يكون قبل وجود المأمور، أو بعد وجوده، فإن قيل: قبل وجوده أدى ذلك إلى مخاطبة المعدوم، ولا يصح في العقل، وإن قيل: بعد وجوده أدى ذلك إلى إبطال معنى: كن؛ لأن المأمور إذا كان موجوداً قبل الأمر، فلا معنى للأمر بالكون.

والجواب: أن الأمر مقارن للمأمور لا يتقدم ولا يتأخر عنه، فمع قوله: كن، يوجد المأمور، وهذه كمسألة الحركة والسكون في الجوهر، فإنه إذا قدرنا جوهراً ساكناً بمحل، ثم انتقل إلى محل آخر، فإنما انتقل بحركة، فلا تخلو الحركة من أن تطرأ عليه في المحل الأول، أو في الثاني، فإن قيل في الأول، فقد اجتمعت مع السكون، وإن قيل في الثاني، فقد انتقل

بغير حركة، وإن قيل: لم تطرأ في هذا، ولا في هذا فقد طرأت عليه في غير محل، وكل هذا محال.

والجواب: أن الحركة هي معنى خصصه بالمحل الثاني، فنفس إخلائه للمحل الأول، هي نفس شغله للمحل الثاني.

واعلم أن الله تعالى أنزل الحروف الثمانية والعشرين، وجعل حقائقها الثمانية والعشرين منزلاً على ما فصل عند قوله تعالى: ﴿رفيع الدرجات﴾، وجعل مفاصل اليدين أيضاً ثمانية وعشرين. أربعة عشر في يد واحدة وأخرى في أخرى على أن يكون لكل أصبع ثلاثة مفاصل إلا الإبهام وجعل كل أصبع مظهر الأصل من الأصول الخمسة، فالإبهام مظهر القدرة والمسبحة مظهر الحياة والوسطى مظهر العلم، والبنصر مظهر الإرادة، والخنصر مظهر القول، ولما كان العلم أعم حيطة جعل متوسطاً بين الأصلين اللذين في يمينه، وهي الحياة والقدرة، وبين الأصلين اللذين في يساره، وهي الإرادة والقول، وإنما سقط عن أصل القدرة المفصل الثالث؛ لأن كل واحد من الأربعة عام التعلق بخلاف القدرة؛ فإنها محجورة الحكم غير مطلقة؛ لأنه لا يتعلق حكمها إلا بالممكن، فلم يعم نفوذه، ولعدم عموم حكم القدرة جعل مظهرها الذي هو الإبهام ذا مفصلين، ولكون أمر القدرة مبهماً وكيفية تعلقها بالمقدور شيئاً غامضاً سمي المظهر بالإبهام، فلا يجوز البحث عن كيفية تعلق القدرة بالمقدور، كما لا يجوز البحث عن كيفية وجود الباري، وعن كيفية العذاب بعد الموت، ونحو ذلك، مما هو من الغوامض. قال المولى الجامي في الإرادة والقدرة:

فعلهايى كه از همه اشيا ... نوبنو درجهان شود بيدا
كرارادى بود جو فعل بشر ... ور طبيعي بود جوميل بشر
منبعث جمله از مشيت اوست ... مبتنى بر كمال حكمت اوست
نخلد بى ارادتش خارى ... نكساد بى مشيتش تارى
في المثل كرجهانيان خواهند ... كه سرمويى از جهان كاهند
كر نباشد جنان ارادت او ... نتوان كاستن سريك مو
ور همه در مقام آن آيند ... كر برآن ذره بيفزايند
ندهد بى ارادت او سود ... نتوانند ذره افزود
بعد ازان قدرتش بود كامل ... مر مرادات را همه شامل
اثر آن بهر عدم كه رسيد ... رخت باخطة وجود كشيد

وحقيقة الإحياء والإماتة ترجع إلى الإيجاد، ولكن الوجود إذا كان هو الحياة سمي فعله إحياء، وإذا كان هو الموت سمي فعله إماتة، ولا خالق للموت والحياة إلا الله، ولا مميت ولا محيي إلا الله تعالى، فهو خالق الحياة ومعطيها لكل من شاء حياته على وجه يريده ومديمها، لمن أراد دوامها له كما شاء بسبب، وبلا سبب، وكذا خالق الموت ومسلطه على من شاء من الأحياء متى شاء، وكيف شاء بسبب، وبلا سبب، ومن عرف أنه المحيي المميت لم يهتم بحياة، ولا موت، بل يكون مفوضاً مستسلماً في جميع أحواله لمن بيده الحياة والموت، كما قال إبراهيم عليه السلام: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾﴾ [الشعراء: ٧٨] الآية.

وخاصية المحيي وجود الألفة، فمن خاف الفراق، أو الحبس، فليقرأه على جسده عدده.

وخاصية الاسم المميت أن يكثر منه المسرف الذي لم تطاوعه نفسه على الطاعة، فإنها تفعلها وتموت عن أوصافها المانعة عن القيام بأمر الله تعالى، ثم إن الماء مظهر الاسم المحيي، والتراب مظهر الاسم المميت، وهكذا الموجودات مع أسماء الله تعالى.

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ أَنَّىٰ يُصْرَفُونَ ﴿٦٩﴾ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِٱلْكِتَٰبِ وَبِمَآ أَرْسَلْنَا بِهِۦ رُسُلَنَا ۖ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾﴾

﴿ألم تر﴾: [آيانمى نكرى]. **﴿إلى الذين يجادلون في آيات الله﴾** في دفعها وإبطالها. **﴿أنى يصرفون﴾**؛ أي: انظر يا محمد إلى هؤلاء المكابرين المجادلين في آياته تعالى الواضحة الموجبة للإيمان بها الزاجرة عن الجدال فيها، وتعجب من أحوالهم الشنيعة وآرائهم الركيكة كيف يصرفون عن تلك الآيات القرآنية، والتصديق بها إلى تكذيبها مع تعاضد الدواعي إلى الإقبال عليها بالإيمان، وانتفاء الصوارف عنها بالكلية.

وتكرير ذم المجادلة في أربعة مواضع في هذه السورة، إما لتعدد المجادل بأن يكون في أقوام مختلفة، أو المجادل فيه بأن يكون في آيات مختلفة، أو للتأكيد.

﴿الذين كذبوا بالكتاب﴾؛ أي: بكل القرآن. والجملة في محل الجر على أنها بدل من الموصول.

قال في «الإرشاد»: إنما وصل الموصول الثاني، بالتكذيب دون المجادلة؛ لأن المعتاد وقوع المجادلة في بعض المواد لا في الكل وصيغة الماضي للدلالة على التحقق كما أن صيغة المضارع في الصلة الأولى للدلالة على تجدد المجادلة وتكررها. **﴿وبما أرسلنا به رسلنا﴾** من سائر الكتب. **﴿فسوف يعلمون﴾** كنه ما فعلوا من الجدال والتكذيب عند مشاهدتهم لعقوباته، وهي جملة مستأنفة مسوقة للتهديد.

﴿إِذِ ٱلْأَغْلَٰلُ فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ وَٱلسَّلَٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ثُمَّ قِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تُشْرِكُونَ ﴿٧٣﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا بَل لَّمْ نَكُن نَّدْعُوا۟ مِن قَبْلُ شَيْـًٔا ۚ كَذَٰلِكَ يُضِلُّ ٱللَّهُ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٧٤﴾﴾.

﴿إذ الأغلال في أعناقهم﴾: ظرف ليعلمون، وهو اسم للزمن الماضي ويعلمون مستقبل لفظاً، ومعنى: وأما المكان، فظاهر مثل قولك: سوف أصوم أمس، وذا لا يجوز.

وجوابه: إن وقت العلم مستقبل تحقيقاً وماضٍ تنزيلاً وتأويلاً؛ لأن ما سيعلمونه يوم القيامة؛ فكأنهم علموه في الزمن الماضي لتحقق وقوعه، فسوف بالنظر إلى الاستقبال التحقيقي وإذ بالنظر إلى المضي التأويلي.

والأغلال: جمع غلّ بالضم، وهو ما يقيد به، فيجعل الأعضاء وسطه. وغل فلان: قيد به؛ أي: وضع في عنقه، أو يده الغل والأعناق جمع عنق وبالفارسية: [كردن].

والمعنى: على ما في «كشف الأسرار»: [آنكاه كه غلها كه دردستهاى ايشان در كرد نهاى ايشان كنند]. يعني: تغل أيديهم إلى أعناقهم مضمومة إليها. **﴿والسلاسل﴾**: عطف على الأغلال والجار في نية التأخير، وهو جمع سلسلة بالكسر. بالفارسية: [زنجير]. وذلك لأن السلسلة بالفتح: إيصال الشيء بالشيء، ولما كان في السلسلة بالكسر: إيصال بعض الخلق بالبعض سميت بها. **﴿يسحبون في الحميم﴾**: السحب: الجر بعنف، ومنه السحاب؛ لأن الريح

تجره وسحبه كمنعه، جره على وجه الأرض، فانسحب. والحميم: الماء الذي تناهى حره.

قال في «القاموس»: الحميم الماء الحار والماء البارد ضد. والقيظ: والعرق؛ أي: على التشبيه كما في «المفردات».

والجملة حال من فاعل يعلمون، أو من ضمير أعناقهم؛ أي: حال كونهم مسحوبين؛ أي: مجرورين تجرهم على وجوههم خزنة جهنم بالسلاسل إلى الحميم؛ أي: الماء المسخن بنار جهنم، ولا يكون إلا شديد الحرارة جداً؛ لأن ما سخن بنار الدنيا التي هي جزء واحد من سبعين جزءاً من نار جهنم إذا كان لا يطاق حرارته، فكيف ما يسخن بنار جهنم. وفي كلمة في إشعار بإحاطة حرارة الماء لجميع جوانبهم كالظرف للمظروف، حتى كأنهم في عين الحميم ويسحبون فيها.

وقال مقاتل: يسحبون في الحميم؛ أي: في حر النار كما في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي ٱلنَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا۟ مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾﴾ [القمر: ٤٨]. والظاهر أن معنى يسحبون في النار؛ أي: يجرون إلى النار على وجوههم كما في هذا المقام.

حكي: أنه توفيت النوار امرأة الفرزدق، فخرج في جنازتها وجوه أهل البصرة، وخرج فيها الحسن البصري. فقال الحسن للفرزدق: يا أبا فراس ما أعددت لهذا اليوم قال: شهادة أن لا إله إلا الله منذ ثمانين سنة، فلما دفنت قام الفرزدق على قبرها، وأنشد هذه الأبيات:

أخاف وراء القبر إن لم يعافني أشد من القبر التهاباً وأضيقا

إذ جاءني يوم القيامة قائد عنيف وسواق يسوق فرزدقا

لقد خاب من أولاد آدم من مشى إلى النار مغلول القلادة أزرقا

فبكى وأبكى الحاضرين.

﴿ثم﴾؛ أي: بعد الجر بالسلاسل إلى الحميم. ﴿في النار يسجرون﴾: يحرقون بالنار، وهي محيطة بهم من سجر التنور إذا ملأه بالوقود، ومن كانوا في النار، وكانت هي محيطة بهم وصارت أجوافهم مملوءة بها لزم أن يحرقوا بها على أبلغ الوجوه، فهم يملؤون بالنار كائنين فيها ويحرقون.

والمراد: بيان أنهم يعذبون بأنواع العذاب، وينقلون من لون إلى لون.

قال في «كشف الأسرار»: [عذاب دوزخيان انوا عست يكى ازآن سلاسل است دردست زبانيه زنجيرهاى آتشين كه دوز خيانرا بدان ببندند هر زنجيرى هفتاد كز هر كزى هفتاد حلقه اكريك حلقه آن بركوههاى دنيا نهند جون از زير بكذارد آن زنجيرها بدن كافران فرو كنند وبزيرش بيرون كشند زنجير ايشانرا در حميم كشند حميم آب كرمست جوشان اكريك قدح ازآن بدرياهاى دنيا فرو ريزند همه زهر شود قدحى ازآن بدست كافران دهند هرجه برروى ويست ازبوست وكوشت وجشم وبينى همه اندران قدح افتد اينست كه رب العزة كفت].

﴿يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾ [الكهف: ٢٩]: [جون حميم بشكم رسد هرجه اندرشكم بود بزير بيرون شود]. فذلك قوله: ﴿وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ﴾ [محمد: ١٥]. [وازآن حميم برسر ايشان مير يزند تابوست وكوشت وبى ورك ازايشان فرو ريزند استخوان بماند سوخته ندا آيدكه].

يا مالك جدد لهم العذاب فإني مجدد لهم الأبدان. [كفته اند كه عاصيان مؤمنا نرا ده جيز نباشد روى ايشان سياه نبود جشم ايشان ازرق نبود در كردن غل نبود دردست ايشان

زنجير نبود نوميدى نبود جاويد فرقت وقطيعت ولعنت نبود جون حرارت وزبانة آتش بايشان رسد ندا آيدكه].

يا نار كفي عن وجوه من سجد لي فلا سبيل لك على مساجدهم. اللهم أجرنا من نارك إنا عائذون بجوارك.

﴿ثم﴾؛ أي: بعد الإحراق. ﴿قيل لهم﴾؛ أي: يقال لهم على سبيل التوبيخ والتقريع، وصيغة الماضي للدلالة على التحقق. ﴿أين﴾ [كجااند]. ﴿ما﴾: [آنا نكه]. يعني: أصنام. ﴿كنتم﴾ في الدنيا على الاستمرار. ﴿تشركون من دون الله﴾ [انباز آورديد وكرفتيد بجز الله معبود بحق]؛ أي: رجاء شفاعتهم ادعوهم ليشفعوا لكم ويعينوكم، وهو نوع آخر من تعذيبهم. ﴿قالوا﴾؛ أي: يقولون: ﴿ضلوا﴾ غابوا؛ أي: الشركاء ﴿عنا﴾ عن أعيننا، وإن كانوا قائمين؛ أي: غير هالكين من قول العرب ضل المسجد والدار؛ أي: لم يعرف موضعهما، وكذلك كل شيء قائم، أو غيرها لك لكنك لا تهتدي إليه، وذلك قبل أن يقرن بهم آلهتهم، فإن النار فيها أمكنة متعددة، وطبقات مختلفة، فلا مخالفة بينه وبين قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، أو ضاعوا عنا، فلم نجد ما كنا نتوقع منهم على أن يكون ضل بمعنى: ضاع وهلك تنزيلاً لوجودهم منزلة الضياع والهلاك لفقدهم النفع الذي يتوقعونه منهم، وإن كانوا مع المشركين في جميع الأوقات. ﴿بل﴾ تبين لنا أنا ﴿لم نكن ندعو﴾ نعبد ﴿من قبل﴾؛ أي: في الدنيا بعبادتهم ﴿شيئاً﴾، لما ظهر لنا اليوم أنهم لم يكونوا شيئاً يعتد به كقولك: حسبته شيئاً، فلم يكن. وبالفارسية: [يعنى برماروشن شد كه جيزى را نمى برستيده ايم بلكه ايشانرا كه عبادت مى كرديم هيج جيزى نبوده اند معتبر وما ايشانرا جيزى نمى بنداشتيم].

﴿كذلك﴾؛ أي: مثل ذلك الضلال الفظيع، وهو ضلال آلهتهم عنهم على التفسيرين المذكورين لقوله: ضلوا. ﴿يضل الله الكافرين﴾، حيث لا يهتدون في الدنيا إلى شيء من العقائد والأعمال ينفعهم في الآخرة، فهو ناظر إلى التفسير الثاني، أو كما ضل عنهم آلهتهم يضلهم عن آلهتهم حتى لو تطالبوا لم يصادفوا؛ أي: لم يجد أحدهم الآخر، فهو ناظر إلى التفسير الأول، وإضلال الحق عبده هو عدم عصمته إياه مما نهاه عنه، وعدم معونته وإمداده بما يتمكن به من الإتيان بما أمره به، أو الانتهاء عما نهاه عنه، كما في تفسير الفاتحة للشيخ صدر الدين القنوي قدس سره. وفي نسخة الطيبي: ﴿كذلك﴾؛ أي: مثل ذلك الإضلال، وهو الأوفق لما عرف من العادة القرآنية، وهو أن تكون الإشارة إلى مصدر الفعل المتأخر.

قال سعدي المفتي، قلت: بل الآية؛ أي: بل لم نكن إلخ. كقوله: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] يفرغون إلى الكذب لحيرتهم واضطرابهم ومعنى قوله: ﴿كذلك يضل الله الكافرين﴾ أنه تعالى يحيزهم في أمرهم حتى يفزعون إلى الكذب مع علمهم؛ بأنه لا ينفعهم.

﴿ذَٰلِكُم بِمَا كُنتُمْ تَفْرَحُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَمْرَحُونَ ﴿٧٥﴾ ٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ فَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٧٦﴾ فَٱصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۚ فَإِمَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ ٱلَّذِى نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٧٧﴾﴾.

﴿ذلكم﴾ الإضلال أيها الكفار، والالتفات للمبالغة في التوبيخ.

وفي «تفسير الجلالين»؛ أي: العذاب الذي نزل بكم، وهو العذاب المذكور بقوله: ﴿**إذ الأغلال**﴾. إلخ.

قال ابن الشيخ: ولا يخلو عن بعد ﴿**بما**﴾ الباء: للسببية. ﴿**كنتم تفرحون في الأرض**﴾ في الدنيا. ﴿**بغير الحق**﴾، وهو الشرك والطغيان. والباء: صلة الفرح.

قال في «القاموس»: الفرح السرور والبطر. انتهى.

والبطر: النشاط والأشر وقلة احتمال النعمة والأشر شدة البطر، وهو بلغ من البطر. والبطر أبلغ من الفرح.

وفي «المفردات»: الفرح: انشراح الصدر بلذة عاجلة، ولم يرخص إلا في الفرح بفضل الله وبرحمته، وبنصر الله والبطر دهش يعتري الإنسان من سوء احتمال النعمة، وقلة القيام بحقها وصرفها إلى غير وجهها. ﴿**وبما كنتم تمرحون**﴾: المرح شدة الفرح والنشاط والتوسع فيه؛ أي: تتوسعون في البطر والأشر. وبالفارسية: [مى نازيديد از خود وبتكبر مى خراميديد].

قال أرسطو من افتخر ارتطم يعني: [دركل افاد]. قال الصائب:

بست وبلند بيش سموم فنا يكيست جون تاك بردرخت دويدن جه فائدة

﴿**ادخلوا أبواب جهنم**﴾؛ أي: أبوابها السبعة المقسومة لكم: يعني: [هرطائفة بدركه درآييد]. ﴿**خالدين فيها**﴾ مقدار خلودكم في الآخرة. ﴿**فبئس مثوى المتكبرين**﴾؛ أي: عن الحق جهنم. وبالفارسية: [بس بد آرامكاهيست كردن كشانرا دوزخ]. وكان مقتضى النظم، فبئس مدخل المتكبرين ليناسب عجز الكلام صدره كما يقال: زر بيت الله، فنعم المزار، فصل في المسجد الحرام، فنعم المصلى، لكن لما كان الدخول المقصود بالخلود سبب الثواء؛ أي: الإقامة عبر بالمثوى الذي هو محل الإقامة فاتحد آخر الكلام بأوله.

وفي الآية إشارة إلى أن كل شهوة من شهوات الدنيا وزينة من زينها باب من أبواب جهنم النفس في الدنيا وباب من أبواب جهنم النار في العقبى وجب ترك الشهوات والزين، والافتخار بالدنيا وبزخارفها حتى تغلق أبواب جهنم مطلقاً، وهكذا يضل الله من ليس له استعداد للهداية حيث يريهم شيئاً مجازياً في صورة وجود حقيقي وزينته، فيضلون به عن الصراط المستقيم، ولا يدرون أن الدنيا سراب وخيال ومنام:

غافل مشو زبرده نيرنك روزكار سير خزان در آيينه نو بهار كن

وفي الآية ذم الكبر، فلا بد من علاجه بضده، وهو التواضع.

وعن بعض الحكماء افتخر الكلأ في المفازة على الشجر، فقال: أنا خير منه يرعاني البهائم التي لا تعصي الله طرفة عين، فقال: أنا خير منك يخرج مني الثمار ويأكلها المؤمنون، وتواضع القصب، قال: لا خير فيّ لا أصلح للمؤمنين ولا للبهائم، فلما تواضع رفعه الله وخلق فيه السكر الذي هو أحلى شيء، فلما نظر إلى ما وضع الله فيه من الحلاوة تكبر، فأخرج الله منه رأس القصب حتى اتخذ منه الآدميون المكنسات، فكنسوا بها القاذورات، فهذا حال كبر غير المكلف، فكيف حال المكلف.

واعلم أن فرعون علا في الأرض حتى ادعى الربوبية، فأخذه الله نكال الآخرة، والأولى؛ أي: بالغرق في الدنيا والإحراق في الآخرة، وعلا قارون بكثرة ماله، فخسف الله به وبداره وعلا إبليس حين امتنع عن السجدة فلعنه الله لعنة أبدية، وعلا قريش على المؤمنين حتى قتلوا

وألقى جيفهم في بئر ذليلين، وهكذا حال كل متكبر بغير الحق إلى يوم القيامة، فإنه ما نجا أحد من المتكبرين ولا ينجو. وفي المثنوي:

آنجه در فرعون بود اندر توهست ... ليك ازدرهات محبوس جهست
نفس ازدر هاست اوكى مرده است ... از غم بى آلتى افسر ده است
كر بيابد آلت فرعون او ... كه بامر او همى رفت آب جو
آنكه او بنياد فرعوني كند ... راه صد موسى وصد هارون زند
كرمكست آن ازدها ازدست فقر ... پشة كردد ز جاه ومال صقر
هر خسى را اين تمناكى رسد ... موسى بايدكه ازدرها كشد
صد هزاران خلق ز ازدرهاى او ... در هزيمت كشته شد از راى او

يعني: أن النفس كثعبان عظيم وقتلها عن أوصافها ليس بسهل، بل يحتاج إلى همة عالية، وإلى جهاد كثير بلا فتور.

﴿فاصبر﴾ يا محمد على أذية قومك لك بسبب تلك المجادلات وغيرها إلى أن يلاقوا ما أعد لهم من العذاب. **﴿إن وعد الله حق﴾**؛ أي: وعده بتعذيبهم حق كائن لا محالة. **﴿فإما نرينك﴾**؛ أي: فإن نرك. وبالفارسية: [بس اكر بنماييم بتو]. وما مزيدة لتأكيد الشرطية، ولذا لحقت النون الفعل ولا تلحقه مع أن وحدها فلا تقول: إن تكرمني أكرمك بنون التأكيد، بل أما تكرمني أكرمك.

﴿بعض الذي نعدهم﴾: وهو القتل والأسر وجوابه محذوف؛ أي: فذاك. **﴿أو نتوفينك﴾** قبل أن تراه. وبالفارسية: [اكر بميرانيم ترابيش از ظهور آن عذاب]. **﴿فإلينا يرجعون﴾**، وهو جواب نتوفينك؛ أي: يردون إلينا يوم القيامة لا إلى غيرنا، فنجازيهم بأعمالهم. [بس هيج وجه ايشانرا فرو نخواهيم كذاشت وحق سبحانه وتعالى درين دنيا بعضى ازعذاب كفار بسيد إبرار عليه السلام نمود از قتل واسر وقحط وجزآن وباقى عقوبات ايشان در عقبى خواهد بود]:

دوستان هر دو عالم شاد وخرم مى زيند ... دشمنان در مخت وغم اين سر او آن سرا

أما سرور الأولياء في الآخرة، فظاهر، وأما سرورهم في الدنيا، فإن الحق بأيديهم، وهم راضون عن الله على كل حال في الفقر والغنى والصحة والمرض، فلا يكدّرهم شيء من الأكدار لشهودهم المبلى في البلاء وتهيئهم لنعيم الآخرة، وأما غم الأعداء في الدنيا، فمما لا حاجة إلى بيانه إذ من كان مع النفس في الدنيا كيف يستريح، ومن كان مع سخط الله في الآخرة كيف يضحك.

وفي الآية إشارة إلى كيفية القدوم على الله، فإن كان العبد عاصياً، فيقدم على مولاه، وهو عليه غضبان، وإن كان مطيعاً، فيقدم عليه قدوم الحبيب المشتاق على الحبيب:

بهار عمر ملاقات دوستان باشد

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ فَإِذَا جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ قُضِيَ بِالْحَقِّ وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ ﴿٧٨﴾﴾.

﴿ولقد أرسلنا﴾. روي: أن الذين كانوا يجادلون في آيات الله اقترحوا معجزات زائدة على ما أظهره الله على يده عليه السلام من تفجير العيون وإظهار البساتين وصعود السماوات ونحوها مع كون ما أظهره من المعجزات كافية في الدلالة على صدقه، فأنزل الله تعالى قوله: ﴿ولقد أرسلنا رسلاً﴾ ذوي عدد كثير إلى قومهم. ﴿من قبلك﴾؛ أي: من قبل بعثتك يا محمد، أو من قبل زمانك. ﴿منهم من قصصنا عليك﴾. قوله: منهم خبر مقدم لقوله: من قصصنا عليك.

والجملة صفة لرسلاً، وقص عليه بين؛ أي: بيناهم وسميناهم لك في القرآن، فأنت تعرفهم. ﴿ومنهم من لم نقصص عليك﴾: لم نسمهم لك ولم نخبرك بهم.

قال الكاشفي: [بعضى از ايشان آنها اندكه خوانده ايم قصهاى ايشان برتوكه آن بيست ونه بيغمبراند].

وفي «عين المعاني»: هم ثمانية عشر: [وبعضى آنا نندكه قصة ايشان نخوانده ايم برتو اما نام ايشان دانسته اليسع وغير او وبعضى آنست كه نه نام ايشان دانسته ونه قصة ايشان شنيده ودرايمان بديشان تعيين عدد ومعرفت ايشان بانساب واسامى شرط نيست].

وعن عليّ رضي الله عنه: «إن الله بعث نبياً أسود». وفي «التكملة»: عبداً حبشياً، وهو ممن لم يقصص الله عليه.

يقول الفقير: «لعل معناه أن الله بعث نبياً أسود إلى السودان»، فلا يخالف ما ورد «من أن الله تعالى ما بعث نبياً إلا حسن الاسم حسن الصورة حسن الصوت»، وذلك لأن في كل جنس حسناً بالنسبة إلى جنسه.

والحاصل: أن المذكور قصصهم من الأنبياء أفراد معدودة، وقد قيل: عدد الأنبياء مائة وأربعة وعشرون ألفاً.

قال في «شرح المقاصد»: روي عن أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أنه قال: قلت لرسول الله عليه السلام: كم عدد الأنبياء؟. فقال: «مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً». فقلت: فكم الرسل، فقال: «ثلاثمائة وثلاثة عشر جماً غفيراً». لكن ذكر بعض العلماء أن الأولى أن لا يقتصر على عددهم؛ لأن خبر الواحد على تقدير اشتماله على جميع الشرائط لا يفيد إلا الظن، ولا يعتبر إلا في العمليات دون الاعتقاديات وها هنا حصر عددهم يخالف ظاهر.

قوله تعالى: ﴿منهم من قصصنا﴾ إلخ. ويحتمل أيضاً مخالفة الواقع وإثبات من ليس بنبي إن كان عددهم في الواقع أقل مما يذكر ونفي النبوة عمن هو نبي إن كان أكثر، فالأولى عدم التنصيص على عدد.

وفي رواية: مائتا ألف وأربعة وعشرون ألفاً. كما في «شرح العقائد» للتفتازاني.

قال ابن أبي شريف في «حاشيته»: لم أر هذه الرواية.

وقال المولى محمد الرومي في «المجالس»: ومما يجب الإيمان به الرسل. والمراد من الإيمان بهم العلم بكونهم صادقين فيما أخبروا به عن الله؛ فإنه تعالى بعثهم إلى عباده ليبلغوهم أمره ونهيه ووعده ووعيده، وأيدهم بالمعجزات الدالة على صدقهم أولهم آدم وآخرهم محمد عليه السلام، فإذا آمن بالأنبياء السابقة، فالظاهر أنه يؤمن بأنهم كانوا أنبياء في الزمان الماضي لا في الحال إذ ليست شرائعهم بباقية، وأما الإيمان بسيدنا محمد عليه السلام، فيجب بأنه

رسولنا في الحال، وخاتم الأنبياء والرسل فإذا آمن بأنه رسول ولم يؤمن بأنه خاتم الرسل لا نسخ لدينه إلى يوم القيامة لا يكون مؤمناً، ومن قال: آمنت بجميع الأنبياء، ولا أعلم آدم نبي أم لا، فقد كفر ثم إنه لم يبين في القرآن عدد الأنبياء، كم هم، وإنما المذكور فيه باسم العلم على ما ذكر بعض المفسرين ثمانية وعشرون وهم: آدم ونوح وإدريس وصالح وهود وإبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويوسف ولوط ويعقوب وموسى وهارون وشعيب وزكريا ويحيى وعيسى وداود وسليمان وإلياس واليسع وذو الكفل وأيوب ويونس ومحمد وذو القرنين وعزير ولقمان على القول بنبوة هذه الثلاثة الأخيرة. وفي «الأمالي»:

وذو القرنين لم يعرف نبيا كذا لقمان فاحذر عن جدال

وذلك لأن ظاهر الأدلة يشير إلى نفي النبوة عن الأنثى وعن ذي القرنين ولقمان ونحوهما، كتبع فإنه عليه السلام: قال: «لا أدري أهو نبي أم ملك»، وكالخضر فإنه قيل: نبي، وقيل: ولي، وقيل: رسول. فلا ينبغي أن يقطع بنفي أو إثبات؛ فإن اعتقاد نبوة من ليس بنبي كفر كاعتقاد نفي نبوة نبي من الأنبياء، يعني: إذا كان متفقاً على نبوته، أو عدم نبوته. وأما إذا كان فيه خلاف، فلا يكفر؛ لأنه كالدليل الظني والكفر في القطعي.

وفي «فتح الرحمٰن»: في سورة البقرة والمذكورون في القرآن باسم العلم ستة وعشرون نبياً، وهم: محمد وآدم وإدريس ونوح وهود وصالح وإبراهيم ولوط وإسماعيل وإسحاق ويعقوب ويوسف وأيوب وذو الكفل وشعيب وموسى وهارون وداود وسليمان وعزير ويونس وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس واليسع صلوات الله عليهم أجمعين. وأشير إلى أشمويل بقوله تعالى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ﴾ [البقرة: ٢٤٧]، وأشير إلى أرميا بقوله: ﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ﴾ [البقرة: ٢٥٩] وأشير إلى يوشع بقوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف: ٦٠]. وأشير إلى إخوة يوسف بقوله: ﴿لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ﴾ [يوسف: ٧].

والأسباط ذكروا إجمالاً وهم من ذرية أولاد يعقوب الاثني عشر نبياً، وكان فيهم أنبياء، وفي لقمان وذي القرنين خلاف كالخضر، انتهى.

قال بعض الحكماء: يجب على المؤمن أن يعلم صبيانه ونساءه وخدمه أسماء الأنبياء الذين ذكرهم الله تعالى في كتابه حتى يؤمنوا بهم، ويصدقوا بجميعهم، ولا يظنوا أن الواجب عليهم الإيمان بمحمد عليه السلام فقط لا غير، فإن الإيمان بجميع الأنبياء سواء ذكر اسمه في القرآن، أو لم يذكر واجب على المكلف، فمن ثبت تعينه باسمه يجب الإيمان به تفصيلاً، ومن لم يعرف اسمه يجب الإيمان به إجمالاً.

وحكى ابن قتيبة في «المعارف» أن الأنبياء مائة ألف وأربعة وعشرون ألفاً الرسل منهم ثلاثمائة وخمسة عشر، منهم خمسة عبرانيون، وهم: آدم وشيث وإدريس ونوح وإبراهيم. وخمسة من العرب: هود وصالح وإسماعيل وشعيب ومحمد عليه السلام.

قال في «التكملة»: هذا الذي ذكر ابن قتيبة لا يصح؛ لأنه قد روي: أنه كان من العرب نبي آخر، وهو خالد بن سنان بن غيث، وهو من عبس بن بغيض. روي: عن النبي عليه السلام أنه قال فيه: «ذلك نبي أضاعه قومه». وردت ابنته على رسول الله عليه السلام، فسمعته يقرأ: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١]. فقالت: كان أبي يقول هذا.

قال ابن قتيبة: وأول أنبياء بني إسرائيل موسى وآخرهم عيسى.

قال في «التكملة»: صاحبها، وهذا عندي غير صحيح؛ لأنه إن أراد أول الرسل فقد قال الله تعالى حكاية عن قول الرجل المؤمن من آل فرعون: ﴿وَلَقَدْ جَآءَكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾ [غافر: ٣٤]، فقد أخبر أنه أرسل إليهم يوسف، وهو إما ابن يعقوب، أو ابن إفراييم بن يوسف بن يعقوب على الخلاف المتقدم، وإن أراد النبوة خاصة، فيوسف وإخوته أنبياء، وهم: بنو إسرائيل؛ لأن يعقوب عليه السلام هو إسرائيل، وأول الأنبياء آدم وآخرهم محمد عليهم السلام.

وروى ابن سلام وغيره عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: «لا تقولوا: لا نبي بعد محمد. وقولوا: خاتم النبيين»؛ لأنه ينزل عيسى ابن مريم حكماً عدلاً وإماماً مقسطاً، فيقتل الدجال ويكسر الصليب، ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتضع الحرب أوزارها.

قال في «التكملة»: وقول عائشة: لا تقولوا لا نبي بعد محمد إنما ذكر، والله أعلم لئلا يتوهم المتوهم رفع ما روي من نزول عيسى ابن مريم في آخر الزمان، وعلى الحقيقة، فلا نبي بعد رسول الله عليه السلام؛ لأن عيسى وإن نزل بعده، فهو موجود قبله حي إلى أن ينزل، وإذا نزل، فهو متبع لشريعته مقاتل عليها، فلا يخلق نبي بعد محمد، ولا تجدد شريعة بعد شريعته، فعلى هذا يصح ولا نبي بعده.

وقد روي في أسماء النبي عليه السلام في كتاب «الشمائل» وغيره والعاقب الذي ليس بعده نبي»، فهذه زيادة وإن لم يذكرها مالك، فهي موجودة في غير «الموطأ»، ويحتمل أن تكون من قبل النبي، أو من قبل الراوي، فإن كانت من قبل النبي عليه السلام، فحسبك بها حجة، وإن كانت من قبل الراوي، فقد صح بها أن إطلاق هذا اللفظ غير ممتنع ولا معارضة بينه وبين حديث عائشة كما ذكرنا. والمراد به: لا تقولوا: لا نبي بعده يعني: لا يوجد في الدنيا نبي، فإن عيسى ينزل إلى الدنيا ويقاتل على شريعة النبي عليه السلام.

والمراد بقوله عليه السلام في الحديث، والعاقب الذي ليس بعده نبي، ولا يبعث بعده نبي ينسخ شريعته. وهذا معنى قوله: ﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠]؛ أي: الذي ختمت النبوة والرسالة به؛ لأن نبوة عيسى قبله فنبوته عليه السلام ختمت النبوات وشريعته ختمت الشرائع. انتهى ما في «التكملة».

وفي «التأويلات النجمية»: تشير الآية إلى أن الحكمة البالغة الأزلية اقتضت أنا نبعث قبلك رسلاً، ونجزي عليهم وعلى أممهم أحوالاً، ثم نقص عليك من أنبائهم ما نثبت به فؤادك ونؤدبك بتأدبهم لتتعظ بهم، ولا نقدمك بالرسالة عليهم ليتعظوا بك فإن السعيد من يتعظ بغيره:

هر طبيدن قاصدى باشد دل آكاهرا

﴿ومنهم من لم نقصص عليك﴾ لاستغنائك عن ذلك تخفيفاً لك عما لا يعنيك. وهذا أمارة كمال العناية فيما قص عليه وفيما لم يقصص عليه. **﴿وما كان لرسول﴾**؛ أي: وما صح وما استقام لرسول منهم. **﴿أن يأتي بآية﴾** تقترح عليه. [يعنى بيارد معجزة كه نشانة نبوت أو باشد]. **﴿إلا بإذن الله﴾**، فإن المعجزات تشعب فنونها عطايا من الله تعالى قسمها بينهم حسبما اقتضته مشيئته المبنية على الحكم البالغة كسائر القسم ليس لهم اختيار في إيثار بعضها ولااستبداد بإتيان المقترح بها.

وفيه تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؛ كأنه قيل: ما من رسول من قبلك سواء كان مذكوراً أو غير مذكور أعطاه الله آيات معجزات إلا جادله قومه فيها وكذبوه عناداً وعبثاً، فصبروا وظفروا، فاصبر كما صبروا تظفر كما ظفروا. وفي المثنوي:

صد هزاران كيميا حق آفريد كيميايى همجو صبر آدم نديد

﴿فإذا جاء أمر الله﴾ بالعذاب في الدنيا والآخرة. ﴿قضي بالحق﴾ حكم بين الرسل ومكذبيهم بإنجاء المحق وإهلاك المبطل وتعذيبه. ﴿وخسر﴾: هلك، أو تحقق وتبين أنه خسر ﴿هنالك﴾ أي: وقت مجيء أمر الله وهو اسم مكان استعير للزمان. ﴿المبطلون﴾ أي: المتمسكون بالباطل على الإطلاق، فيدخل فيهم المعاندون المقترحون دخولاً أولياً.

قال في «القاموس»: الباطل ضد الحق وأبطل جاء بالباطل، فالمبطل صاحب الباطل والمتمسك به كما أن المحق صاحب الحق والعامل به ولم يقل، وخسر هنالك الكافرون لما سبق من نقيض الباطل الذي هو الحق كما في «برهان القرآن».

وفي الآية إشارة إلى أنه يجب الرجوع إلى الله قبل أن يجيء أمره وقضاؤه بالموت والعذاب، فإنه ليس بعده إلا الأحزان:

تو بيش از عقوبت در عفو كوب كه سودى ندارد فغان زير جوب

جه سود از بشيمانى آيد بكف جو سرماية عمر كردى تلف

كسى كرجه بد كردهم بدنكرد كه بيش از قيامت غم خويش خورد

يعني: [بيش از قيامت موت زيراكه مرد قيامت او برخاست].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَنْعَٰمَ لِتَرْكَبُوا۟ مِنْهَا وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٩﴾﴾

﴿الله الذي جعل لكم الأنعام﴾؛ أي: خلق الإبل لأجلكم ومصلحتكم جمع نعم بفتحتين، وهو في الأصل الراعية والكثير استعماله في الإبل. ﴿لتركبوا منها ومنها تأكلون﴾ من لابتداء الغاية ومعناها ابتداء الركوب والأكل منها؛ أي: تعلقهما بها، أو للتبعيض؛ أي: لتركبوا وتأكلوا بعضها لا على أن كلاً من الركوب، والأكل مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر، بل على أن كل بعض منها صالح لكل منهما، وتغيير النظم في الجملة الثانية لمراعاة الفواصل مع الإشعار بأصالة الركوب؛ لأن الغرض إنما يكون في المنافع والركوب متعلق بالمنفعة؛ لأنه إتلاف المنفعة بخلاف الأكل؛ فإنه متعلق بالعين؛ لأنه إتلاف العين ولا يقدح في ذلك كون الأكل أيضاً من المنافع، ولهذا جاء: ﴿لِتَأْكُلُوا۟ مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا﴾ [النحل: ١٤].

﴿وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ فَأَىَّ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُنكِرُونَ ﴿٨١﴾﴾.

﴿ولكم فيها منافع﴾ اخر غير الركوب والأكل؛ كألبانها وأوبارها وجلودها. ﴿ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم﴾؛ أي: في قلوبكم بحمل أثقالكم عليها من بلد إلى بلد.

وقال الكاشفي: [تابر سيد بمسافرت برآن بحاجتى كه در سينهاى شماست از سود ومعامله]. وهو عطف على قوله: لتركبوا منها وحاجة مفعول لتبلغوا. ﴿وعليها﴾؛ أي: على الإبل في البر. ﴿وعلى الفلك﴾؛ أي: السفن في البحر. ﴿تحملون﴾ نظيره. ﴿وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [الإسراء: ٧٠].

قال في «الإرشاد»: ولعل المراد به حمل النساء والولدان عليها بالهودج، وهو السر في فصله عن الركوب والجمع بينهما وبين الفلك لما بينهما من المناسبة التامة حتى تسمت سفائن البر، وإنما قال: وعلى الفلك، ولم يقل: في الملك. كما قال: ﴿قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا﴾ [هود: ٤٠] للمزاوجة؛ أي: ليزاوج ويطابق قوله: ﴿وعليها﴾، فإن محمولات الأنعام مستعلية عليها، فذكرت كلمة الاستعلاء في الفلك أيضاً للمشاكلة.

وفي «المدارك»: الإيعاء ومعنى الاستعلاء كلاهما مستقيم؛ لأن الفلك وعاء لمن يكون فيها حمولة له يستعليها، فلما صح المعنيان صحت العبارتان.

وقال بعض المفسرين: المراد بالأنعام في هذا المقام: الأزواج الثمانية، وهي الإبل والبقر والضأن والمعز باعتبار ذكورتها وأنوثتها، فمعنى الركوب والأكل منها تعلقهما بالكل، لكن لا على أن كلاً منهما يجوز تعلقه بكل منها، ولا على أن كلا منهما مختص ببعض معين منها بحيث لا يجوز تعلقه بما تعلق به الآخر على أن بعضها يتعلق به الأكل فقط كالغنم، وبعضها يتعلق به كلاهما كالإبل والبقر والمنافع تعمّ الكل وبلوغ الحاجة عليها يعم البقر.

وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى خلق النفس البهيمية الحيوانية لتكون مركباً لروحكم العلوي. ﴿ولتبلغوا عليها حاجة في صدوركم﴾ من مشاهدة الحق ومقامات القرب، ولكم في صفاتها منافع، وهي الشهوة الحيوانية ومنفعتها أنها مركب العشق والغضب، وأن مركب الصلابة في الدين والحرص مركب الهمة، وبهذا المركب يصل السالك إلى المراتب العلية كما قال. ﴿وعليها وعلى الفلك﴾؛ أي: صفات القلب ﴿تحملون﴾ إلى جوار الحق تعالى.

جون بيخبر ان دامن فرصت مده از دست تاهست بروبال زعالم سفرى كن

﴿ويريكم آياته﴾: دلائله الدالة على كمال قدرته وفور رحمته. ﴿فأي آيات الله تنكرون﴾. فإن كلاً منها من الظهور بحيث لا يكاد يجرؤ على إنكارها من له عقل في الجملة، وهو ناصب لأي. وإضافة الآيات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وتهويل إنكارها.

فإن قلت: كان الظاهر أن يقال: فأية آيات الله بتاء التأنيث لكون؛ أي: عبارة عن المؤنث لإضافته إليها.

قلت: تذكير؛ أي: هو الشائع المستفيض والتأنيث قليل؛ لأن التفرقة بين المذكر والمؤنث في الأسماء غير الصفات نحو حمار وحمارة، وإنسان وإنسانة غريب، وهي في أي أغرب لإبهامه، فإن قصد التمييز والتفرقة ينافي الإبهام. وهذا في غير النداء، فإن اللغة الفصيحة الشائعة أن تؤنث أياً الواقعة في نداء المؤنث كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧﴾ [الفجر: ٢٧]، ولم يسمع أن يقال: يا أيها المرأة بالتذكير.

اعلم أن جميع أجزاء العالم آيات بينات وحجج واضحات ترشدك إلى وحدانية الله تعالى وكمال قدرته، لكن هداية الله تعالى إلى جهة الإرشاد وكيفيته أصل الأصول.

قال بعض الكبار في سبب توبته: كنت مستلقياً على ظهري، فسمعت طيوراً يسبحن، فأعرضت عن الدنيا وأقبلت على المولى وخرجت في طلب المرشد، فلقيت أبا العباس الخضر، فقال لي: اذهب إلى الشيخ عبد القادر، فإني كنت في مجلسه، فقال: إن الله جذب عبداً إليه، فأرسله إليّ إذا لقيته، قال: فلما جئت إليه، قال: مرحباً بمن جذبه الرب بألسنة الطير، جمع له كثيراً من الخير، فإذا أراد الله بعبده خيراً يجذبه إليه بما شاء، ولا تفرقة بين

شيء وشيء، فمن له بصيرة يرى في مرائي الأشياء جمال الوحدة.

محقق همى بيند اندر ابل   كه در خوب رويان جين وجكل

ثم إن أعظم الآيات أنبياء الله وأولياؤه إذ تجلى الحق من وجوههم بنعت العزة والكبرياء للعالمين، وأي منكر أعظم ممن ينكر على هذه الآيات الساطعة والبراهين الواضحة.

قال سهل: أظهر آياته في أوليائه، وجعل السعيد من عباده من صدقهم في كراماتهم وأعمى أعين الأشقياء عن ذلك، وصرف قلوبهم عنهم، ومن أنكر آيات أوليائه، فإنه ينكر قدرة الله، فإن القدرة الإلٰهية أظهر على الأولياء الأمارات لا هم بأنفسهم يظهرونها، والله تعالى يقول: ﴿ويريكم آياته فأي آيات الله تنكرون﴾، ثم إن الإنكار بعد التعريف والإعلام أشد منه قبله، فطوبى لمن أخذ بإشارة المرشد وإرشاده، ولا يكون في زمرة المنكرين الضالين.

قال حجة الإسلام: العجب منك أنك تدخل بيت غني فتراه مزيناً بأنواع الزين، فلا ينقطع تعجبك منه، ولا تزال تذكره وتصف حسنه طول عمرك، وأنت تنظر إلى بيت عظيم، وهو العالم لم يخلق مثله لا تتحدث فيه ولا تلتفت بقلبك، ولا تتفكر في عجائبه وذلك لعمى القلب المانع عن الشهود والرؤية ونعم ما قيل:

برك درختان سبز در نظر هو شيار   هر ورقى دفتريست معرفت كردكار

ولا بد لتحصيل هذه المرتبة من التوسل بالأسباب وأعظمها الذكر في جميع الأوقات إلى أن يفتح مفتح الأبواب.

﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَكْثَرَ مِنْهُمْ وَأَشَدَّ قُوَّةً وَءَاثَارًا فِى ٱلْأَرْضِ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾﴾.

﴿أفلم يسيروا﴾: الهمزة للاستفهام التوبيخي، والفاء: للعطف على مقدر؛ أي: أقعدوا؛ أي: قومك، وهم قريش، فلم يسيروا ولم يسافروا **﴿في الأرض﴾**. [در زمين عاد وثمود]. **﴿فينظروا﴾** ويعتبروا جواب الاستفهام. وبالفارسية: [تابنكر ندكه]. **﴿كيف كان﴾**: [جه كونه بود]. **﴿عاقبة الذين من قبلهم﴾** من الأمم المهلكة، يعني: أنهم قد ساروا في أطراف الأرض، وسافروا إلى جانب الشام واليمن وشاهدوا مصارع المكذبين من الأمم السالفة وآثارهم، فليحذروا من مثل عذابهم، فلا يكذبوك يا محمد.

ثم بين مبادىء أحوال الأمم المتقدمة وعواقبها، فقال: **﴿كانوا﴾**؛ أي: تلك الأمم. **﴿أكثر﴾** عدداً **﴿منهم﴾**؛ أي: من قومك. **﴿وأشد قوة﴾** في الأبدان والعدد. **﴿وآثاراً في الأرض﴾** باقية بعدهم من الأبنية والقصور والمصانع، وهي جمع مصنعة بفتح النون وضمها شيء كالحوض يجمع فيها ماء المطر، ويقال له: الصهريج أيضاً، وتغلط فيه العامة من الأتراك، فيقولون صارنج، وأكثر بلاد العرب محتاجة إلى هذا لقلة الماء الجاري والآبار.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿وآثاراً في الأرض﴾** بطول الأعمار. وقيل: هي آثار أقدامهم في الأرض بعظم إجرامهم.

وحكي عن الشيخ محيي الدين بن العربي قدس سره: أنه قال: قد اجتمعت بجماعة من قوم يونس عليه السلام سنة خمس وثمانين وخمسمائة بالأندلس حيث كنت فيه، وقست أثر رجل واحد منهم في الأرض، فرأيت طول قدمه ثلاثة أشبار وثلثي شبر. **﴿فما أغنى عنهم﴾**:

يقال: أغنى عنه كذا إذا كفاه ونفعه، وهو إذا استعمل بعن يتعدى إلى مفعول كما سبق؛ أي: لم يغن عنهم لم يدفع ولم ينفع. ﴿**ما كانوا يكسبون**﴾ كسبهم أو مكسوبهم من الأموال والأولاد وترتيب العساكر، فإذا لم تفدهم تلك المكنة العظيمة إلا الخيبة والخسار، فكيف هؤلاء الفقراء والمساكين.

ويجوز أن تكون ما الأولى استفهامية بمعنى؛ أي شيء أغنى عنهم ذلك، وما الثانية على التقديرين، فاعل أغنى. وهذه الفاء: بيان عاقبة كثرتهم وشدة قوتهم، وما كانوا يكسبون بذلك زعماً منهم أن ذلك يغني عنهم، فلم يترتب عليه إلا عدم الإغناء، فهذا الاعتبار جرى مجرى النتيجة، وإن كان عكس الغرض ونقيض المطلوب كما في قولك وعظته، فلم يتعظ؛ أي: لم يترتب عليه إلا عدم الاتعاظ مع أنه عكس المتوقع.

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَرِحُواْ بِمَا عِندَهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٨٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْاْ بَأْسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحْدَهُۥ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشْرِكِينَ ﴿٨٤﴾﴾

﴿**فلما جاءتهم رسلهم بالبينات**﴾ بالمعجزات والدلالات الواضحة. وهذه الفاء: تفسير وتفصيل لما أبهم وأجمل من عدم الإغناء، فهي تعقيبية وتفسيرية، إذ التفسير يعقب المفسر، وقد كثر في الكلام مثل هذه الفاء ومبناها على التفسير بعد الإبهام والتفصيل بعد الإجمال. ﴿**فرحوا بما عندهم من العلم**﴾، لقوله: ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [المؤمنون: ٥٣]؛ أي: أظهروا الفرح بذلك واستحقروا علم الرسل. والمراد بالعلم: ما لهم من العقائد الزائغة والشبه الباطلة كما قالوا لا نبعث ولا نعذب وما أظن الساعة قائمة ونحو ذلك وتسميتها علماً مع أن الاعتقاد الغير المطابق للواقع حقه أن يسمى جهلاً للتهكم بهم، فهي علم على زعمهم لا في الحقيقة. أو المراد علم الصنائع والتنجيم والطبائع، وهو أي علم الطبائع علم الفلاسفة، فإن الحكماء كانوا يصغرون علوم الأنبياء ويكتفون بما يكسبونه بنظر العقل، ويقولون: نحن قوم مهتدون، فلا حاجة بنا إلى من يهدينا كما قال سقراط لما ظهر موسى عليه السلام: نحن قوم مهذبون لا حاجة بنا إلى تهذيب غيرنا. قال المغربي:

علم بى دينان رها كن جهل راحكمت مخوان   از خيالات وظنون اهل يونان دم مزن

وكان يكنى في الجاهلية بأبي الحكم لأنهم يزعمون أنه عالم ذو حكمة فكناه النبي في الإسلام بأبي جهل؛ لأنه لو كان له علم حقيقة لآمن بالرسول عليه السلام. قال الحافظ:

سراى ومدرسه وبحث علم وطاق ورواق   جه سود جون دل دانا وجشم بينا نيست

وفي «التأويلات النجمية»: من العلم؛ أي: من شبه المعقولات والمخيلات والموهومات، ويجوز أن يرجع عندهم للرسل على أن المراد هو العلم الذي أظهره رسلهم وبفرح الكفار به ضحكهم منه واستهزاؤهم به ويؤيده قوله تعالى: ﴿**وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون**﴾؛ أي: نزل بالكفار وأصابهم وبال استهزائهم بالأنبياء واستحقارهم لعلومهم وما أخبروا به من العذاب ونحوه، فلم يعجزوا الله في مراده منهم. وفي المثنوي:

آن دهان كز كرد وزتسخر بخواند   مر محمد را دهانش كز بماند

باز آمد كاى محمد عفو كن   اي ترا الطاف وعلم من لدن

من ترا افسوس ميكردم زجهل   من بدم افسوس را منسوب واهل
جون خداخواهدكه برده كس درد   ميلش اندر طعنة باكان برد
بس سباس اوراكه مارا درجهان   كرد بيدا ازبس بيشينيان
تا شنيدم آن سياستهاى حق   بر قرون ماضيه اندر سبق
تاكه ما از حال آن كركان بيش   همجو روبه باس خود داريم بيش
امت مرحومه زين رو خواند مان   آن رسول حق وصادق دربيان
استخوان وبشم آن كركان عيان   بنكريد وبند كيريد اى مهان
عاقل از سر بنهد اين هستى وباد   جون شنيد آنجام فرعونان وعاد
ورنه بنهد ديكران از حال او   عبرتى كيرند از اضلال او

نسأل الله التوفيق للعلم الذي يوصل إلى التحقيق:

نتوان بقيل وقال زارباب حال شد   منعم نمى شود كسى از كفت وكوى كنج

فلا بد من الانقياد للحق والاجتهاد في العمل. قال الخجندي:

در علم محققان جدل نيست   از علم مراد جز عمل نيست

قال في «الروضة»: صلى الحجاج في جنب ابن المسيب فرآه يرفع قبل الإمام، ويضع رأسه، فلما سلم أخذ بثوبه حتى فرغ من صلاته ودعائه، ثم رفع نعله على الحجاج، فقال: يا سارق ويا خائن تصلي على هذه الصفة، لقد هممت أن أضرب بها وجهك. وكان الحجاج حاجاً، فرجع إلى الشام وجاء والياً على المدينة، ودخل من فوره المسجد قاصداً مجلس سعيد بن المسيب، فقال له: أنت صاحب الكلمات. قال: نعم أنا صاحبها. قال: جزاك الله مَن معلم ومؤدب خيراً ما صليت بعدك إلا ذاكراً قولك، فلا بد من الحركة بمقتضى العلم.

﴿فلما رأوا﴾؛ أي: الأمم السالفة المكذبة.

﴿بأسنا﴾: شدة عذابنا في الدنيا ووقعوا في مذلة الخيبة، ومنه قوله تعالى: ﴿بِعَذَابٍ بَئِيسٍ﴾ [الأعراف: ١٦٥]؛ أي: شديد. **﴿قالوا﴾**: مضطرين **﴿آمنا بالله وحده﴾**: [بخداى يكبتا]. **﴿وكفرنا بما كنا به﴾**؛ أي: بسبب الإيمان به يعنون الأصنام. **﴿مشركين﴾**. يعني: [ازانباز كه ميكفتيم بيزار وبرى كشتيم]. وهذه الفاء لمجرد التعقيب وجعل ما بعدها تابعاً لما قبلها واقعاً عقيبه؛ لأن مضمون قوله تعالى: **﴿فلما جاءتهم﴾**. إلخ. هو أنهم كفروا، فصار مجموع الكلام بمنزلة أن يقال: فكفروا ثم لما رأوا بأسنا آمنوا.

﴿فَلَمْ يَكُ يَنفَعُهُمْ إِيمَـٰنُهُمْ لَمَّا رَأَوْا۟ بَأْسَنَا ۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ فِى عِبَادِهِۦ ۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلْكَـٰفِرُونَ ﴿٨٥﴾﴾

﴿فلم يك﴾ أصله: لم يكن حذفت النون لكثرة استعماله. **﴿ينفعهم إيمانهم﴾**؛ أي: تصديقهم بالوحدانية اضطراراً. وقوله: إيمانهم. يجوز أن يكون اسم كان وينفعهم خبره مقدماً عليه، وأن يكون فاعل ينفعهم واسم كان ضمير الشأن المستتر فيه. **﴿لما رأوا بأسنا﴾**؛ أي: عند رؤية عذابنا والوقوع فيه لامتناع قبوله حينئذ امتناعاً عادياً، كما يدل عليه قوله: **﴿سنة الله﴾**. إلخ. [زيرا دروقت معاينة عذاب تكليف مرتفع ميشود وايمان در زمان تكليف مقبولست نه دروقت يأس].

فامتنع القبول؛ لأنهم لم يأتوا به في الوقت المأمور به، ولذلك قيل: فلم يك بمعنى لم يصح ولم يستقم، فإنه أبلغ في نفي النفع من لم ينفعهم إيمانهم. وهذه الفاء: للعطف على آمنوا كأنه قيل: فآمنوا، فلم ينفعهم؛ لأن النافع هو الإيمان الاختياري الواقع مع القدرة على خلافه، ومن عاين نزول العذاب لم يبق له القدرة على خلاف الإيمان، فلم ينفعه وعدم نفعه في الدنيا دليل على عدم نفعه في الآخرة. ﴿**سنة الله التي قد خلت في عباده**﴾. قوله: سنة من المصادر المؤكدة، وخلت من الخلوّ يستعمل في الزمان والمكان، لكن لما تصور في الزمان المضي فسر أهل اللغة قولهم: خلا الزمان بقولهم: مضى وذهب؛ أي: سن الله عدم قبول إيمان من آمن وقت رؤية البأس ومعاينته سنة ماضية في عباده مطردة؛ أي: في الأمم السالفة المكذبة كلها، ويجوز أن ينتصب سنة على التحذير؛ أي: احذروا سنة الله المطردة في المكذبين السابقين.

والسنة: الطريقة والعادة المسلوكة وسنة الله طريقة حكمته. ﴿**وخسر هنالك الكافرون**﴾ قوله: هنالك اسم مكان في الأصل موضوع للإشارة إلى المكان قد استعير في هذا المقام للزمان؛ لأنه لما أشير به إلى مدلول قوله ﴿**لما رأوا بأسنا**﴾، ولما للزمان تعين أن يراد به الزمان تشبيهاً له بالمكان في كونه ظرفاً للفعل كالمكان. والمعنى على ما قال ابن عباس رضي الله عنهما: هلك الكافرون بوحدانية الله المكذبون وقت رؤيتهم البأس والعذاب.

وقال الزجاج: الكافر خاسر في كل وقت، ولكنه تبين لهم خسرانهم إذا رأوا العذاب، ولم يرج فلاحهم، ولم يقل: وخسر هنالك المبطلون كما فيما سبق؛ لأنه متصل بإيمان غير مجدد ونقيض الإيمان الكفر كما في «برهان القرآن»؛ أي: فحسن موقعه كما حسن موقع قوله المبطلون على ما عرف سره في موقعه.

اعلم أن في إيمان البأس واليأس تفاصيل أقررها لك، فانظر ماذا ترى قال في «الأمالي»:

وما إيمان شخص حال بأس   بمقبول لفقد الامتثال

قوله: بأس بالباء الموحدة وبسكون الهمزة لم يقل: يأس بالياء المثناة لموافقة قوله تعالى: ﴿**فلم يك ينفعهم إيمانهم لما رأوا بأسنا**﴾، فاشتمل على ما بالموحدة والمثناة، وأصل البأس الشدة والمضرة، وحال البأس، هو وقت معاينة العذاب وانكشاف ما جاءت به الأخبار الإلهية من الوعد والوعيد. وحال اليأس هو وقت الغرغرة التي تظهر عندها أحكام الدار الآخرة عليه بعد تعطيل قواه الحسية، ويستوي في حال البأس بالموحدة الإيمان والتوبة لقوله تعالى: ﴿**فلم يك ينفعهم**﴾. الآية ورجاء الرحمة إنما يكون في وقته وبظهور الوعيد خرج الوقت من اليد، ولم يتصور الامتثال ووقع الإيمان ضرورياً خارجاً عن الاختيار، ألا ترى أن إيمان الناس لا يقبل عند طلوع الشمس من مغربها؛ لأنه إيمان ضروري، فلا يعتبر؛ لأنه يجوز أن يكون إيمان المضطر لغرض النجاة من الهلاك بحيث لو تخلص لعاد لما اعتاد.

وقد قال العلماء: الرغبة في الإيمان والطاعة لا تنفع إلا إذا كانت تلك الرغبة رغبة فيه لكونه إيماناً وطاعة. وأما الرغبة فيه لطلب الثواب وللخوف من العقاب، فغير مفيد كما في «حواشي الشيخ» في سورة الأنعام. وفي المثنوي:

آن ندامت از نتيجه رنج بود   بى زعقل روشن جون كنج بود
جونكه شد رنج آن ندامت شد عدم   مى نيرزد خاك آن توبه ندم
ميكند او توبه وبير خرد   بانك لوردوا لعادوا ميزند

فيكون الإيمان والندم وقت ظهور الوعيد الدنيوي كالإيمان والندم وقت وجود الوعيد الأخروي بلا فرق، فكما لا ينفع هذا كذلك لا ينفع ذاك لأن الآخرة وما في حكمها من مقدماتها في الحكم سواء ولذلك ورد من مات فقد قامت قيامته، وذلك لأن زمان الموت آخر زمان من أزمنة الدنيا، وأول زمان من أزمنة الآخرة، فباتصال زمان الموت بزمان القيامة كان في حكمه فإيمان فرعون وأمثاله عند الغرق ونحوه من قبيل ما ذكر من الإيمان الاضطراري الواقع عند وقوع الوعيد الذي ظهوره في حكم ظهور أحوال الآخرة ومشاهدته في حكم مشاهدة العذاب الأخروي. فحال البأس بالموحدة كحال الغرغرة من غير فرق فكما لا يقبل الإيمان حال الغرغرة، فكذا حال البأس ففرعون مثلاً لم يقبل إيمانه حال الغرق، لكونه حال البأس، وإن كان قبل الغرغرة، فافهم جداً، فإنه من مزالق الأقدام.

وأما إيمان اليأس بالياء المثناة التحتية، وهو الإيمان بعد مشاهدة أحوال الآخرة، ولا تكون إلا عند الغرغرة ووقت نزع الروح من الجسد، ففي كتاب «الفتاوى»: أنه غير مقبول بخلاف توبة اليأس فإنها مقبولة على المختار على ما في «هداية المهديين»؛ لأن الكافر أجنبي غير عارف بالله وابتدأ إيماناً، والفاسق عارف وحاله حال البقاء، والبقاء أسهل من الابتداء. فمثل إيمان اليأس شجر غرس في وقت لا يمكن فيه النماء، ومثل توبة اليأس شجر نابت أثمر في الشتاء عند ملاءمة الهواء.

والدليل على قبول التوبة مطلقاً قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥]، هكذا قالوا، وهو يخالف قوله تعالى: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ قَالَ إِنِّى تُبْتُ ٱلْـَٔـٰنَ﴾ [النساء: ١٨].

قال البغوي في «تفسيره»: لا تقبل توبة عاصٍ ولا إيمان كافر إذا تيقن بالموت. انتهى. ومراده عند الإشراف على الموت والصيرورة إلى حال الغرغرة، وإلا فقد قال المحققون: قرب الموت لا يمنع من قبول التوبة، بل المانع من قبولها مشاهدة الأحوال التي عندها يحصل العلم بالله تعالى على سبيل الاضطرار على ما في «حواشي ابن الشيخ» في سورة النساء.

وقرب الموت لا ينافي التيقن بالموت بظهور أسبابه وأماراته دل عليه قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة: ١٨٠] الآية؛ أي: عند حضور أماراته وظهور آثاره من العلل والأمراض إذ لا اقتدار على الوصية عند حضور نفس الموت.

ومن هذا القبيل ما في «روضة الأخبار» من أنه قال عمرو بن العاص رضي الله عنه عند احتضاره لابنه عبد الله: يا بنيّ من يأخذ المال بما فيه من التبعات، فقال: من جدع الله أنفه، ثم قال: احملوه إلى بيت مال المسلمين، ثم دعا بالغل، والقيد فلبسهما، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن التوبة مبسوطة ما لم يغرغر ابن آدم بنفسه». ثم استقبل القبلة، فقال: «اللهم أمرتنا فعصينا ونهيتنا فارتكبنا هذا مقام العائذ بك، فإن تعف، فأهل العفو أنت وإن تعاقب فبما قدمت يداي لاإله إلا أنت سبحانك، إني كنت من الظالمين». فمات وهو مغلول مقيد، فبلغ الحسن بن علي رضي الله عنهما، فقال: استسلم حين أيقن بالموت. . ولعله ينفعه. انتهى.

وأتي بصيغة الترجي؛ لأنه لا قطع، وهو من باب الإرشاد أيضاً على ما حكي: أنه لما مات عثمان بن مظعون رضي الله عنه، وهو أخوه عليه السلام من الرضاعة وغسل وكفن قبل النبي عليه السلام بين عينيه وبكى. وقالت امرأته: خولة بنت حكيم رضي الله عنها: طبت هنيئاً

لك الجنة يا أبا السائب، فنظر إليها النبي عليه السلام نظرة غضب وقال: «وما يدريك»، فقالت: يا رسول مارسك وصاحبك، فقال عليه السلام: «وما أدري ما يفعل بي»، فأشفق الناس على عثمان رضي الله عنه.

ثم إن السبب في عدم قبول التوبة عند الاحتضار أنا مكلفون بالإيمان الغيبي لقوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ﴾ [البقرة: ٣]. وفي ذلك الوقت يكون الغيب عياناً فلا تصح. وأيضاً لا شبهة في أن كل مؤمن عاصٍ يندم عند الإشراف على الموت. وقد ورد: «إن التائب من الذنب كمن لا ذنب له»، فيلزم منه أن لا يدخل أحد من المؤمنين النار، وقد ثبت أن بعضهم يدخلونها. وأما قولهم: إن من شرط التوبة عن الذنب العزم على أن لا يعود إليه. وذلك إنما يتحقق مع ظن التائب التمكن من العود، فيخالفه ما قال الآمدي إنه إذا أشرف على الموت؛ أي: قرب من الاحتضار، فندم على فعله صحت توبته بإجماع السلف، وإن لم يتصور منه العزم على ترك الفعل لعدم تصور الفعل، فهو مستثنى من عموم معنى التوبة، وهو الندم على الماضي والترك في الحال، والعزم على أن لا يعود في المستقبل كما في «شرح العقائد» للمولى رمضان.

وأما إطلاق الآية التي هي قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ﴾ [الشورى: ٢٥]، فمقيد بالآية السابقة، وهي قوله: ﴿وَلَيْسَتِ ٱلتَّوْبَةُ﴾ [النساء: ١٨]، الآية. وبقوله عليه السلام: «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر». أخرجه الترمذي من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وهو يشمل توبة المؤمن والكافر، فالإيمان وكذا التوبة لا يعتبر حالة اليأس بالمثناة بخلافهما قبل هذه الحالة، ولو بقليل من الزمان رحمة من الله تعالى لعباده المذنبين. فمعنى الاحتضار هو وقت الغرغرة، وقرب مفارقة الروح من البدن لا حضور أوائل الموت، وظهور مقدماته مطلقاً، وقس عليه حال البأس بالموحدة.

بقي أنه لما قتل علي رضي الله عنه: من قال: لا إلٰه إلا الله. قال عليه السلام: «لم قتلته يا علي». قال علي: علمت أنه ما قال بقلبه، فقال عليه السلام: «هل شققت قلبه»، فهذا يدل على أن إيمان المضطر والمكره صحيح مقبول، ولعله عليه السلام: اطلع بنور النبوة على إيمان ذلك المقتول بخصوصه، فقال في حقه، ما قال. والعلم عند الله المتعال هذا.

وذهب الإمام مالك إلى أن الإيمان عند اليأس بالمثناة مقبول صحيح، فقالوا: إن الإيمان عند التيقن صحيح عنده لو لم يرد الدليل ذلك الإيمان فإيمان فرعون مثلاً مردود عنده بدليل قوله: ﴿ءَآلْـَٔنَ وَقَدْ عَصَيْتَ قَبْلُ﴾ [يونس: ٩١]، الآية. وإنما لم يرده مالك مطلقاً لعدم النصوص الدالة عنده على عدم صحة الإيمان في تلك الساعة. هكذا قالوا، وفيه ضعف تام ظاهر وإسناده إلى مالك لا يخلو عن سماحة، كما لا يخفى هذا ما تيسر لي في هذا المقام من الجمع والترتيب والترجيح والتهذيب، ثم أسأل الله لي، ولكم أن يشد عضدنا بقوة الإيمان ويحلينا بحلية العيان والإيقان.

ويختم لنا بالخير والحسنى ويبشرنا بالرضوان والزلفى ويجعلنا من الطائرين إلى جنابه والنازلين عند بابه واللائقين بخطابه بحرمة الحواميم وما اشتملت عليه من السر العظيم.

تمت ﴿حم﴾ المؤمن يوم السبت الثامن والعشرين من ذي القعدة الشريف
من شهور سنة اثنتي عشرة ومائة وألف

٤١ ـ سورة فصلت

وآيها ثلاث أو أربع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٢﴾.

﴿حم﴾: خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذه السورة مسماة بـ﴿حم﴾ فيكون إطلاق الكتاب عليها في قوله: كتاب. إلخ. باعتبار أنها من الكتاب وجزء من أجزائه.

وقيل: ﴿حم﴾ اسم للقرآن، فيكون إطلاق الكتاب عليه حقيقة، وإنما افتتح السورة بـ﴿حم﴾؛ لأن معنى ﴿حم﴾: بضم الحاء وتشديد الميم على ما قاله سهل قدس سره، قضى ما هو كائن. يعني: [بودنى همه بودم كردنى همه كردم راندنى همه راندم كزيدنى همه كزيدم بذير فتنى همه بذير فتم برداشتنى همه برداشتم افكندنى همه افكندم آنجه خواستم كردم آنجه خواهم كنم آنراكه بذير فتم بدان نتكرم كه از وجفا ديدم بلكه عفو كنم ودر كذارم واز كفته او باز نيايم]. ما يبدل القول.

ولما كانت هذه السورة مصدرة بذكر الكتاب الذي قدرت فيه الأحكام وبينت ناسب أن تفتح بـ﴿حم﴾ رعاية لبراعة الاستهلال.

وإنما سميت هذه السورة السبع بـ﴿حم﴾ لاشتراكها في الاشتمال على ذكر الكتاب والرد على المجادلين في آيات الله والحث على الإيمان بها، والعمل بمقتضاها ونحو ذلك.

قال بعض العرفاء معنى الحاء والميم؛ أي: هذا الخطاب والتنزيل من الحبيب الأعظم إلى المحبوب المعظم.

وأيضاً هو قسم؛ أي: بحياتي ومجدي. هذا تنزيل، أو بحياتك ومشاهدتك يا حبيبي ويا محبوبي، أو بالحجر الأسود والمقام، فإنهما ياقوتتان من يواقيت الجنة وسران عظيمان من أسرار الله، فناسب أن يقسم بهما. أو هذه الحروف تنزيل إلخ نزل بها جبرائيل عليه السلام من عند الله: [ميكويد اين حروف تهجى كه حا وميم ازان جمله است فرو فرستاده رحمانست جنانكه كود ك را كويى جومى آموزى يا كويى در لوح جه نوشته كيد الف وباء نه خود اين دو حرف خواهد بلكه جمله حروف تهجى خواهد اين همجنان است وحروف تهجى بر آدم عليه السلام نازل بوده وقر آن مشتمل شده برآن جمله]. فهي أصل كل منزل.

وفي الحديث: من قرأ القرآن فأعربه يعني [هركه خواند قرآنرا ولحن نكند درٖوي] فله بكل حرف خمسون حسنة و«من قرأ ولحن فيه، فله بكل حرف عشر حسنات أما أني لا أقول ألم حرف بل ألف حرف ولام حرف وميم حرف».

يقول الفقير: لعل سر العدد أن القراءة في الأصل للصلاة، وكان أصل الصلوات الخمس خمسين، فلذا أجرى الله تعالى على القارىء الفصيح بمقابلة كل حرف خمسين أجراً، وأما العشر، فهي أدنى الحسنات كما قال الله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشۡرُ أَمۡثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦].

قال الكاشفي: [اسم اعظم الهى در حروف مقطعة مخفيست وهر كس در استخراج اين قادر نيست]. قال الكمال الخجندي قدس سره:

كرت دانستن علم حروفست آرزو صوفي
نخست افعال نيكو كن جه سوداز خواندن اسما

﴿تنزيل﴾: خبر بعد خبر؛ أي: منزلة؛ لأن التعبير عن المفعول بالمصدر مجاز مشهور؛ كقولهم: هذا الدرهم ضرب الأمير؛ أي: مضروبه ومعنى كونها منزلة أنه تعالى كتبها في اللوح المحفوظ، وأمر جبرائيل أن يحفظ تلك الكلمات ثم ينزل بها على رسول الله عليه السلام ويؤديها إليه فلما حصل تفهيم هذه الكلمات بواسطة نزول جبرائيل سمي ذلك تنزيلاً وإلا، فالكلام النفسي القائم بذات الله تعالى لا يتصور فيه النزول والحركة من الأعلى إلى الأسفل.

﴿من الرحمٰن الرحيم﴾ متعلق بتنزيل مؤكد لما أفاده التنوين من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية ونسبة التنزيل إلى الرحمٰن الرحيم للإيذان بأن القرآن مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية، وذلك لأن المنزل ممن صفته الرحمة الغالبة لا بد وأن يكون مداراً للمصالح كلها.

وقال الكاشفي: ﴿من الرحمٰن﴾: [ازخداى بخشنده بهداية نفوس عوام] ﴿الرحيم﴾: [مهربان برعايت قلوب خواص].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بالحاء في حم إلى الحكمة وبالميم إلى المنة؛ أي: منّ على عباده بتنزيل حكمة من الرحمٰن الأزلي الذي سبقت رحمته غضبه، فخلق الموجودات برحمانية الرحيم الأبدي الذي وسعت رحمته كل شيء إلى الأبد، وهي كتاب.

قال بعض العارفين: إذا فاض بحر الرحمة تلاشى كل زلة؛ لأن الرحمة لم تزل، ولا تزال والزلة لم تكن، ثم كانت، وما لم يكن ثم كان كيف يقاوم ما لم يزل ولا يزال. قال الصائب:

محيط از جهرة سيلاب كرد راه ميشويد جه انديشه كسى با عفو حق از كرد زلتها

وقال الشيخ سعدي قدس سره:

همى شرم دارم ز لطف كريم كه خوانم كنه بيش عفوش عظيم

﴿كِتَٰبٞ فُصِّلَتۡ ءَايَٰتُهُۥ قُرۡءَانًا عَرَبِيّٗا لِّقَوۡمٖ يَعۡلَمُونَ ٣ بَشِيرٗا وَنَذِيرٗا فَأَعۡرَضَ أَكۡثَرُهُمۡ فَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٤﴾

﴿كتاب﴾: خبر آخر مشتق من الكتب، وهو الجمع فسمي كتاباً؛ لأنه جمع فيه علوم الأولين والآخرين. ﴿فصلت آياته﴾: بينت الأمر والنهي والحلال والحرام والوعد والوعيد والقصص والتوحيد.

قال الراغب في قوله: ﴿أُحۡكِمَتۡ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتۡ﴾ [هود: ١]: هو إشارة إلى ما قال: ﴿تِبۡيَٰنٗا

﴿لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً﴾ [النحل: ٨٩]، فمن اتصف علم أنه ليس في يد الخلق كتاب اجتمع فيه من العلوم المختلفة مثل القرآن. ﴿قرآناً عربياً﴾ نصب على المدح؛ أي: أريد بهذا الكتاب المفصل آياته قرآناً عربياً أو على الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة. ويقال لها: الحال الموطئة، وهو اسم جامد موصوف بصفة هي الحال في الحقيقة، وقد سبق غير مرة. والمعنى بالفارسية: [در حالتى كه قرآنيست تازى يعنى بلغت عرب تا بسهولت خوانند وفهم كنند].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أن القرآن قديم من حيث إنه كلام الله وصفته والعربية كسوة مخلوقة كساها الله تعالى ومن قال إن القرآن أعجمي يكفر؛ لأنه معارضة لقوله تعالى: ﴿قرآناً عربياً﴾، وبوجود كلمة عجمية فيه معربة لا يخرج عن كونه عربياً؛ لأن العبرة للأكثر. وذلك كالقسطاس، فإنه رومي معرب بمعنى الميزان والسجيل، فإنه فارسي معرب سنك، وكل والصلوات، فإنه عبراني معرب صلوتا بمعنى المصلى والرقيم، فإنه رومي بمعنى الكلب والطور، فإنه الجبل بالسرياني. ﴿لقوم﴾؛ أي: عرب. ﴿يعلمون﴾؛ أي: كائناً لقوم يعلمون معانيه لكونه على لسانهم، فهو صفة أخرى لقرآناً.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿لقوم يعلمون﴾ العربية والعربية بحروفها مخلوقة والقرآن منزه عنها.

﴿بشيراً﴾: صفة أخرى لقرآناً؛ أي: بشيراً لمن صدقه وعرف قدره وأدى حقه بالجنة والوصول. ﴿ونذيراً﴾ لمن كذبه، ولم يعرف قدره، ولم يؤد حقه بالنار والفراق، أو بشيراً لمن أقبل إلى الله بنعت الشوق. ونذيراً لمن أقبل إلى نفسه ونظر إلى طاعته، أو بشيراً لأوليائه بنيل المقامات، ونذيراً لهم يحذرهم من المخالفات لئلا يسقطوا من الدرجات، أو بشيراً بمطالعة الرجاء ونذيراً بمطالعة الخوف، أو بشيراً للعاصين بالشفاعة والغفران، ونذيراً للمطيعين ليستعملوا الأدب والأركان في طاعة الرحمٰن، أو بشيراً لمن اخترناهم واصطفيناهم، ونذيراً لمن أغويناهم.

﴿فأعرض أكثرهم﴾ عن تدبره مع كونه على لغتهم، والضمير لأهل مكة أو العرب أو المشركين دال عليه ما سيجيء من قوله: ﴿وويل للمشركين﴾. ﴿فهم لا يسمعون﴾ سماع تفكر وتأمل حتى يفهموا جلالة قدره، فيؤمنوا به.

وفي «التأويلات النجمية»: فأعرض أكثرهم عن أداء حقه فهم لا يسمعون بسمع القبول والانقياد.

وفيه إشارة إلى أن الأقل هم أهل السماع، وإنما سمعوا بأن أزال الله تعالى بلطفه ثقل الآذان، فامتلأت الأذهان بمعاني القرآن.

سئل عبد الله بن المبارك عن بدء حاله، فقال: كنت في بستان، فأكلت مع إخواني وكنت مولعاً؛ أي: حريصاً بضرب العود والطنبور، فقمت في جوف الليل والعود بيدي وطائر فوق رأسي يصيح على شجرة، فسمعت الطير يقول: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]، الآية. فقلت: بلى، وكسرت العود، فكان هذا أول زهدي.

وقد ورد في التوراة أنه تعالى قال: «يا عبدي أما تستحي مني إذ يأتيك كتاب من بعض إخوانك، وأنت في الطريق تمشي، فتعدل عن الطريق وتقعد لأجله وتقرأه وتتدبره حرفاً حرفاً، حتى لا يفوتك منه شيء. وهذا كتابي أنزلته إليك انظره كم فصلت لك فيه من القول، وكم

كررت فيه عليك لتتأمل طوله وعرضه، ثم أنت معرض عنه أو كنت أهون عليك من بعض إخوانك. يا عبدي يقعد إليك بعض إخوانك فتقبل عليه بكل وجهك، وتصغي إلى حديثه بكل قلبك، فإن تكلم متكلم، أو شغلك شاغل عن حديثه، أو مال إليه أن كف وها أنا مقبل عليك، ومحدث لك وأنت معرض بقلبك عني، أفجعلتني أهون عندك من بعض إخوانك». كذا في «الإحياء».

﴿وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ۝٥ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝٦ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۝٧﴾.

﴿وقالوا﴾؛ أي: المشركون لرسول الله ﷺ عند دعوته إياهم إلى الإيمان والعمل بما في القرآن. **﴿قلوبنا في أكنة﴾** جمع كنان، وهو الغطاء الذي يكنّ فيه الشيء؛ أي: يحفظ ويستر؛ أي: في أغطية متكاثفة. **﴿مما تدعونا إليه﴾**؛ أي: تمنعنا من فهم ما تدعونا إليه وتورده علينا، وحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه، وحذف متعلق حرف الجر أيضاً شبهوا قلوبهم بالشيء المحوي المحاط بالغطاء المحيط له، بحيث لا يصيبه شيء من حيث تباعدها عن إدراك الحق واعتقاده.

قال سعدي المفتي: ورد هنا كلمة في. وفي الكهف على؛ لأن القصد هنا إلى المبالغة في عدم القبول. والأكنة إذا احتوت عليها احتواء الظرف على المظروف لا يمكن أن يصل إليها شيء، وليست تلك المبالغة في على، والسياق في الكهف للعظمة، فيناسبه أداة الاستعلاء. **﴿وفي آذاننا وقر﴾**؛ أي: صمم.

قال في «القاموس»: الوقر: ثقل في الأذن، أو ذهاب السمع كله شبهوا أسماعهم بآذان بها صمم من حيث إنها تمج الحق، ولا تميل إلى استماعه.

وفي «التأويلات النجمية»: **﴿وفي آذاننا وقر﴾**: ما ينفعنا كلامك قالوه حقاً، وإن قالوا على سبيل الاستهانة والاستهزاء؛ لأن قلوبهم في أكنة حب الدنيا وزينتها مقفولة بقفل الشهوات والأوصاف البشرية، ولو قالوا ذلك على بصيرة لكان ذلك منهم توحيداً، فتعرضوا للمقت لما فقدوا من صدق القلب.

﴿ومن بيننا وبينك حجاب﴾ ستر عظيم وغطاء غليظ يمنعنا عن التواصل والتوافق. ومن للدلالة عن أن الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة المعبر عنها بالبين، ولم يبق ثمة فراغ أصلاً، فيكون حجاباً قوياً عريضاً مانعاً من التواصل بخلاف ما لو قيل: بيننا وبينك حجاب، فإنه يدل على مجرد حصول الحجاب في المسافة المتوسطة بينهم وبينه من غير دلالة على ابتدائه من الطرفين، فيكون حجاباً في الجملة لا كما ذكر.

شبهوا حال أنفسهم مع رسول الله عليه السلام بحال شيئين بينهما حجاب عظيم يمنع من أن يصل أحدهما إلى الآخر، ويراه ويوافقه، وإنما اقتصروا على ذكر هذه الأعضاء الثلاثة؛ لأن القلب محل المعرفة والسمع والبصر أقوى ما يتوسل به إلى تحصيل المعارف، فإذا كانت هذه الثلاثة محجوبة كان ذلك أقوى ما يكون من الحجاب نعوذ بالله تعالى.

قال بعضهم: قلوبهم في حجاب من دعوة الحق وأسماعهم في صمم من نداء الحق،

وهواتفه وجعل بينهم وبين الحق حجاب من الوحشة والإبانة، ولذا وقعوا في الإنكار ومنعوا من رؤية الآثار:

در جشم اين سياه دلان صبح كاذبست   در روشنى اكريد بيضا شود كسى

﴿فاعمل﴾ على دينك.

﴿إننا عاملون﴾ على ديننا. ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إليّ أنما إلٰهكم إلٰه واحد﴾؛ أي: ما إلٰهكم إلا إلٰه واحد لا غيره، وهذا تلقين للجواب عما ذكره المشركون؛ أي: لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بيني وبينكم حجاب، وتباين مصحح لتباين الأعمال والأديان كما ينبىء عنه قولكم، فاعمل إننا عاملون، بل إنما أنا بشر وآدمي مثلكم مأمور بما أمرتم به حيث أخبرنا جميعاً بالتوحيد بخطاب جامع بيني وبينكم، فإن الخطاب في إلٰهكم محكيّ منتظم للكل، لا أنه خطاب منه عليه السلام للكفرة كما في مثلكم.

وفي الآية إشارة إلى أن البشر كلهم متساوون في البشرية مسدود دونهم باب المعرفة؛ أي: معرفة الله بالوحدانية بالآلات البشرية من العقل وغيره، وإنما فتح هذا الباب على قلوب الأنبياء بالوحي، وعلى قلوب الأولياء بالشواهد والكشوف وعلى قلوب المؤمنين بالإلهام والشرح كما قال تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٢٢]، كما في «التأويلات النجمية».

قال الحسن رضي الله عنه علمه الله التواضع بقوله: ﴿قل إنما أنا بشر مثلكم﴾. ولهذا كان يعود المريض ويشيع الجنازة ويركب الحمار ويجيب دعوة العبد، وكان يوم قريظة والنضير على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف من ليف: [عجب كاريست كه كاه مركب وى براق بهشتى وكاه مركب خركى آرى مركب مختلف بود اما درهر دوحالت راكب يك صفت ويك همت ويك ارادت بود اكر بر براق بود درسرش نخوت نبوت واكر بر حمار بود برخسار عز نبوتش غبار مذلت نبود]:

خلق خوش عود بود انجمن مردم را   جون زنان خود مفكن برسر مجمر دامن

﴿فاستقيموا إليه﴾: من جملة المقول. والفاء: لترتيب ما بعدها على ما قبلها من إيحاء الوحدانية، فإن ذلك موجب لاستقامتهم إليه تعالى بالتوحيد والإخلاص في الأعمال، وعدّي فعل الاستقامة بإلى لما فيه من معنى الاستواء؛ أي: فاستووا إليه بذلك.

والاستقامة: الاستمرار على جهة واحدة. ﴿واستغفروه﴾ مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل. وفي «المقاصد الحسنة» قال ﷺ: «استقيموا ولن تحصوا»؛ أي: لن تستطيعوا أن تستقيموا في كل شيء حتى لا تميلوا. وقال: «شيبتني هود وأخواتها». لما فيها من قوله: فاستقم.

قال بعضهم: إذا وقع العلم والمعرفة، فاستغفروه من علمكم وإدراككم به ومعاملتكم له ووجودكم في وجوده، فإنه تعالى أعظم من إدراك الخليقة وتلاصق الحدثان بجناب جلاله.

وقال بعضهم: الاستقامة مساواة الأحوال مع الأفعال والأقوال، وهو أن يخالف الظاهر والباطن، والباطن الظاهر، فإذا استقمت استقامت أحوالك، واستغفر من رؤية استقامتك. واعلم أن الله تعالى هو الذي قومك لا أنك استقمت.

﴿وويل﴾: [وسختى عذاب] ﴿للمشركين﴾: ترهيب وتنفير لهم عن الشرك إثر ترغيبهم في التوحيد.

﴿الذين لا يؤتون الزكاة﴾: لا يؤمنون بوجوبها ولا يؤتونها. ﴿وهم بالآخرة هم﴾ أعاد الضمير تأكيداً. ﴿كافرون﴾؛ أي: بالبعث بعد الموت والثواب والعقاب. [وبدان جهتى نفقه نمى كنند كه مكافات آن سراريرا باور ندارند]، وهو عطف على لا يؤتون داخل في حيز الصلة. واختلافهما بالفعلية والاسمية لما أن عدم إيتائها متجدد والكفر أمر مستمر.

قالت الشافعية: في تهديد المشرك على شركه وعدم إيتائه الزكاة دليل على أن المشرك حال شركه مخاطب بإيتاء الزكاة إذ لولاه لما استحق بعدم إيتائها الوعيد المذكور، وإذا كان مخاطباً بإيتاء الزكاة يكون مخاطباً بسائر فروع الإسلام، إذ لا قائل بالفصل، فيعذب على ترك الكل، وإليه ذهب مشايخنا العراقيون.

وذهب غيرهم إلى أنهم مخاطبون باعتقاد وجوبها لا بإيقاعها، فيعاقبون على تركهم اعتقاد الوجوب على ما فصل في الأصول.

ومن أصحابنا من قال: إنهم مخاطبون بالفروع بشرط تقديم الإسلام كما أن المسلم مخاطب بالصلاة بشرط تقديم الوضوء.

وقال المولى أبو السعود في «تفسيره»: وصف الله المشركين بأنهم لا يؤتون الزكاة لزيادة التحذير والتخويف من منع الزكاة حيث جعل من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل: وهم بالآخرة هم كافرون.

يقال: الزكاة قنطرة الإسلام فمن قطعها نجا ومن تخلف عنها هلك.

قال ابن السائب: كان المشركون يحجون ويعتمرون ولا يزكون أموالهم، وهم كافرون.

قال الكاشفي: [وجه تخصيص منع زكات از سائر اوصاف مشركان آنست كه مال محبوب انسانست وبذل او نفس را سخت تر باشد از اعمال ديكر بس درايراد اين صفت اشارتيست ببخل ايشان وعدم شفقت بر خلق وبخل اعظم رذائل واكبر ذمايم است وكفته اند توانكرى كه اورا سخا نبود جون تنست كه جان ندارد ويا جون درختى كه برندهد]. قال الشيخ سعدي قدس سره:

زر ونعمت اكنون بده كان تست	كه بعد ازتو بيرون زفرمان تست
كسى كوى دولت زدنيا برد	كه باخود نصيبي بعقبى برد
مسلم كسى را بود روزه داشت	كه در مانده را دهد نان جاشت
وكرنه جه حاجت كه زحمت برى	زخود باز كيرى وهم خود خورى
نه بخشنده بر حال بروانه شمع	نكه كن كه جون سوخت دربيش جمع
ببخش اى بسر كآدمى زاده صيد	باحسان توان كرد ووحشى بقيد
كرامت جوا نمردى ونان دهيست	مقالات بيهوده طبل تهيست

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه فسر لا يؤتون الزكاة بقوله: لا يقولون لا إله إلا الله، فإنها زكاة الأنفس.

والمعنى: لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد، فإنما المشركون نجس.

قال في «كشف الأسرار»: [ذكر زكات درقر آن بردو وجهست يا درنماز بيوسته يا منفرد كفته آنجه درنماز بيوسته جنانست كه]. ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [المائدة: ٥٥]. هذا وأشباهه [مراد باين زكات مالست كه الله فرض كرده برخداوندان مال وآنجه منفرد كفته

جنانست كه ﴿وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً﴾ [مريم: ١٣]: خيراً منه زكاة: وما أوتيتم من زكاة: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾﴾ [الأعلى: ١٤]: [مراد باين باكى است وزيادتى ودينداری].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾﴾.

﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون﴾؛ أي: غير ممنون عليهم على طريق الحذف والإيصال.

والمعنى: لا يمن به عليهم فيتكدر بالمنة، يقال: منَّ عليه مناً أنعم ومنة امتن. والمنة في الأصل: النعمة الثقيلة التي لا يطلب معطيها أجراً ممن أعطاها إليه، ثم استعملت بمعنى الامتنان؛ أي: عد النعمة. وبالفارسية: [منت نهادن]، وجميع ما يعطيه الله عباده في الآخرة تفضل منه وكرم، وليس شيء منه بواجب عند أهل السنة والجماعة، وما كان بطريق التفضل، وإن صح الامتنان عليه، لكنه تعالى لا يفعله فضلاً منه وكرماً، أو غير ممنون بمعنى لا ينقطع أجرهم وثوابهم في الآخرة، بل دائم أبدي من مننت الحبل قطعته، أو غير محسوب كما قال تعالى: ﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢].

قال في «القاموس»: و﴿أجر غير ممنون﴾ محسوب أو مقطوع.

وفي الآية إشارة إلى أن من آمن، ولم يعمل صالحاً لم يؤجر إلا ممنوناً؛ أي: ناقصاً، وهو أجر الإيمان ونقصانه من ترك العمل الصالح، فيدخل النار، ويخرج منها بأجر الإيمان، ويدخل الجنة، ولكنه لا يصل إلى الدرجات العالية المنوطة بالأعمال البدنية مثل الصلاة والصوم والحج ونحوها.

وفي «كشف الأسرار»: سدى رحمه الله: [كفت اين آيت درشان بيماران وزمنان وبيران ضعيف فرو آمد ايشان كه از بيمارى وضعيفى وعاجزى از طاعت وعبادت الله باز مانند وبادای حق وى نرسند وبآن سبب اندو هكين وغمكين باشند رب العالمين ايشانرا دران بيمارى هم آن ثواب ميد هدكه درحال صحت بطاعت وعبادت ميداد مصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم كفت].

«إن العبد إذا كان على طريقة حسنة من العبادة ثم مرض، قيل للملك الموكل به: اكتب له مثل عمله إذا كان «طليقاً حتى أطلقه أو أكفته إليّ». يعني: [دران وقت كه خوش بودتاكه كزارم وى رايا بيش خودش آرم]. وفي رواية أخرى قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «ما من أحد من المسلمين يصاب ببلاء في جسده إلا أمر الله الحافظين اللذين يحفظانه، فقال: اكتبا لعبدي في كل يوم وليلة مثل ما كان يفعل من الخير ما دام في وثاقي». يعني: [دربند من است عبد الله بن مسعود رضي الله عنه كفت يا رسول خدانشسته بوديم كه رسول برآسمان نكريست وتبسم كرد كفتم يا رسول الله تبسم از جه كردى وجه حال برتو مكشوف كشت كفت عجب آيدمرا از بنده مؤمن كه ازبيمارى بنالد وجزع كند اكر بدانستى كه اورا دران بيمارى جه كرامتست وبالله جه قربت همه عمر خود دران بيمارى خواستى اين ساعت كه براسمان مى نكرستم دو فرشته فرود آمدند وبنده كه بيوسته در محراب عبادت بود اورا طلب كردند دران محراب اورا نيافتند بيمار ديدند آن بنده ازعبادت باز ماند فرشتكان بحضرت عزت باز كشتند كفتند بار خدايا فلان بنده مؤمن هر شبانروزى حسنات وطاعات وى مينو شتيم اكنون كه اورا

در حبس بيمارى كردى هيج عمل وطاعت وى نمى نويسم از حق جل جلاله فرمان آمدكه] «اكتبوا لعبدي العمل الذي كان يعمله في يومه وليلته ولا تنقصوا منه شيئاً فعليّ أجر ما حبسته وله أجر ما كان صحيحاً».

يعني: [برمن است اجر حبس وى ومرا وراست اجر آنكه صحيح بود وتن درست].

قال في «عقد الدرر» إذا علم الله صدق نية عبده في الحج والجهاد والصدقات وغيرها من الطاعات وعجز عن ذلك إعطاء أجره، وإن لم يعمل ذلك العمل كما روي: «إن العبد إذا نام بنية الصلاة من الليل، فلم ينتبه كتب له أجر ذلك وكان عليه نور صدقه». وهكذا روي: «إذا مرض العبد، أو سافر وعجز عما كان يعمل في حال الصحة والإقامة إن الله تعالى يقول للملائكة: اكتبوا لعبدي مثل ما كان يعمل، وهو صحيح مقيم». وقد دل على ذلك القرآن كما قال تعالى: ﴿لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُواْ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾. إلى قوله: ﴿أَلَّا يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩١، ٩٢]، فعلى العبد أن لا يقطع رجاءه عن الله ويرضى بقضائه. وفي المثنوي:

ناخوشى او خوش بود درجان من جان فداى يار دل رنجان من

عاشقم بررنج خويش ودرد خويش بهر خشنودى شاه فرد خويش

﴿۞ قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٩﴾﴾

﴿قل أئنكم﴾: [آياشما]. **﴿لتكفرون﴾** إنكار وتشنيع لكفرهم وأن واللام لتأكيد الإنكار. **﴿بالذي﴾**؛ أي: بالعظيم الشأن الذي **﴿خلق الأرض﴾** قدر وجودها؛ أي: حكم بأنها ستوجد **﴿في يومين﴾** في مقدار يومين من أيام الآخرة، ويقال: من أيام الدنيا كما في «تفسير أبي الليث»: [واكر خواستى بيك لحظه بيافريدى لكن خواست كه باخلق نمايدكه سكونت وآهستكى به ازشتاب وعجله وبندكانرا نسبتى باشد بسكونت كار كردن وبراه آهستكى رفتن].

وفي «عين المعاني» تعليماً للتأني وإحكاماً لدفع الشبهات عن توهن المصنوعات تحقيقاً لاعتبار الملائكة عند الإحضار وللعباد عند الإخبار وإن أمكن الإيجاد في الحال بلا إمهال. انتهى.

زود درجاه ندامت سر نكون خواهد فتاد هركه باى خود كذارد بى تأمل برزمين

[إمام أبو الليث آورده كه روز يكشنبه بيافريد وروز دوشنبه بكسترانيد]. وسيجيء تحقيقه ويجوز أن يراد خلق الأرض في يومين؛ أي: في نوبتين على أن ما يوجد في كل نوبة يوجد بأسرع ما يكون، فيكون اليومان مجازاً عن دفعتين على طريق ذكر الملزوم وإرادة اللازم.

وقال سعدي المفتي: الظاهر أن اليوم على هذا التفسير بمعنى مطلق الوقت. انتهى.

وجه حمل اليومين على المعنيين المذكورين أن اليوم الحقيقي إنما يتحقق بعد وجود الأرض وتسوية السماوات وإبداع نيراتها وترتيب حركاتها، يعني أن اليوم عبارة عن زمان كون الشمس فوق الأرض، ولا يتصور ذلك قبل خلق الأرض والسماء والكواكب، فكيف يتصور خلق الأرض في يومين.

﴿وتجعلون له أنداداً﴾ عطف على تكفرون داخل في حكم الإنكار والتوبيخ، وجمع الأنداد باعتبار ما هو الواقع، لا بأن يكون مدار الإنكار هو التعدد؛ أي: وتجعلون له أنداداً

بمعنى تصفون له شركاء وأشباهاً وأمثالاً من الآلهة، والحال أنه لا يمكن أن يكون له ند واحد فضلاً عن الأنداد، وأمر الله تعالى رسوله عليه السلام بأن ينكر عليهم أمرين.

الأول: كفرهم بالله بإلحادهم في ذاته وصفاته كالتجسم، واتخاذ الصاحبة والولد والقول بأنه لا يقدر على إحياء الموتى، وأنه لا يبعث البشر رسلاً.

والثاني: إثبات الشركاء والأنداد له تعالى، فالكفر المذكور أولاً مغاير لإثبات الأنداد له ضرورة عطف أحدهما على الآخر. ﴿**ذلك**﴾ العظيم الشأن الذي فعل ما ذكر من خلق الأرض في يومين، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿**رب العالمين**﴾؛ أي: خالق جميع الموجودات ومربيها دون الأرض خاصة، فكيف يتصور أن يكون أخس مخلوقاته نداً له تعالى.

﴿وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَـٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾﴾

﴿**وجعل فيها رواسي**﴾ عطف على وخلق داخل في حكم الصلة. والجعل إبداعي والمراد تقدير الجعل لا الجعل بالفعل. والمراد بالرواسي: الجبال الثابتة المستقرة.

وبالفارسية: [كوهھاى بلنديا يدار]. يقال: رسا الشيء يرسو ثبت وأرساه غيره ومنه المرساة وهو أنجر السفينة وقفت على الأنجر]. بالفارسية: [لنكر]. ﴿**من فوقها**﴾: متعلق بجعل، أو بمضمر هو صفة لرواسي؛ أي: كائنة من فوقها مرتفعة عليها لتكون منافعها ظاهرة للطلاب، وليظهر للناظر ما فيها من وجوه الاستدلال، وإلا فالجبال التي أثبتت فوق الأرض لا تمنعها عن الميلان، ولو كانت تحتها كأساطين الغرف، أو مركوزة فيها كالمسامير لمنعتها عنه.

عن ابن عباس رضي الله عنهما: أول ما خلق الله من شيء خلق القلم. وقال له: اكتب. قال: يا رب ما أكتب؟. قال: اكتب القدر، فجرى بما يكون من ذلك إلى يوم القيامة. ثم خلق النون، ثم رفع بخار الماء، ففتق منه السماوات، ثم بسط الأرض على ظهر النون، فاضطرب النون، فمادت الأرض؛ أي: مالت فأوتدت بالجبال؛ أي: أحكمت وأثبتت.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره: لما خلق الله الأرض على الماء تحركت ومالت، فخلق الله من الأبخرة الغليظة الكثيفة الصاعدة من الأرض بسبب هيجانها الجبال، فسكن ميل الأرض، وذهبت تلك الحركة التي لا يكون معها استقرار فطوّق الأرض بجبل محيط بها، وهو من صخرة خضراء وطوق الجبل بحية عظيمة رأسها بذنبها رأيت من الأبدال من صعد جبل قاف، فسألته عن طوله علواً، فقال: صليت الضحى في أسفله والعصر في أعلاه يعني: بخطوة الأبدال، وهي من المشرق إلى المغرب.

يقول الفقير: لعل هذا من قبيل البسط في السير الملكوتي، وإلا فما بين السماء والأرض كما بين المشرق والمغرب، وهي خمسمائة عام على ما قالوا.

وعن وهب: أن ذا القرنين أتى على جبل قاف فرأى حوله جبالاً صغاراً، فقال: ما أنت؟ قال: أنا قاف. قال: فما هذه الجبال حولك؟ قال: هي عروقي، وليست مدينة إلا وفيها عرق منها، فإذا أراد الله أن يزلزل مدينة أمرني، فحركت عرقي ذلك فتزلزلت تلك المدينة. قال: يا قاف أخبرني بشيء من عظمة الله، فقال: إن شأن ربنا لعظيم، وإن من ورائي مسيرة خمسمائة عام من جبال ثلج يحطم بعضها بعضاً لولا ذلك لأحرقت من نار جهنم، والعياذ بالله منها.

وذكر أهل الحكمة أن مجموع ما عرف في الأقاليم السبعة من الجبال مائة وثمانية

وسبعون جبلاً منها ما طوله عشرون فرسخاً. ومنها: مائة فرسخ إلى ألف فرسخ.

وفي «زهرة الرياض»: أول جبل نصب على وجه الأرض أبو قبيس وعدد الجبال ستة آلاف وستمائة وثلاثة وسبعون جبلاً سوى التلول.

وجعل الله في الجبال خصائص منها: أن تجر البرودة إلى نفسها، وجعلها خزائن المياه والثلوج تدفعها بأمر الخالق إلى الخلق بالمقادير لكل أرض قدر معلوم على حسب استعدادها.

ومنها: خلق الأودية لمنافع العباد وأودع فيها أنواع المعادن من الذهب والفضة والحديد، وأنواع الجواهر، وهي خزانة الله وحصنه، ودليل على قدرته وكمال حكمته، وهي سجن الوحوش والسباع ليلاً وشرف الله الجبال بعرض الأمانة عليها. وفيها التسبيح والخوف والخشية وجعلها كراسي أنبيائه عليهم السلام كأحد لنبينا والطور لموسى وسرنديب لآدم والجودي لنوح صلوات الله على نبينا وعليهم أجمعين. وكفى شرفاً بذلك وأنها بمنزلة الرجال في الأكوان. يقال للرجل الكامل: جبل.

رأى بعض الأولياء مناماً في الليلة التي هلك فيها رجال بغداد على يد هولاكو خان أن جبال العراقين ذهبت من وجه الأرض بهبوب الرياح المظلمة على بغداد، فوصل الخبر أن هولاكو خان قد دخل مدينة بغداد، وقتل من الرجال الأولياء والعلماء والصلحاء والأمراء، وسائر الناس ما لا يحصى عدداً، ولذا قال بعضهم: رواسي الجبال أوتاد الأرض في الصورة والأولياء، أوتاد الأرض في الحقيقة، فكما أن الجبال مشرفة على سائر الأماكن، كذلك الأولياء مشرفون على سائر الخلائق دل عليه قوله: ﴿**من فوقها**﴾ يعني: من فوق العامة، فكما أن جبل قاف مشرف على كل جبل كذلك القطب الغوث الأعظم مشرف على كل ولي، وبه قوام الأولياء والرواسي دونه.

ومن خواص الأولياء من يقال لهم الأوتاد، وهم أربعة: واحد يحفظ المشرق بإذن الله تعالى، ويقال له: عبد الحي، وواحد يحفظ المغرب، ويقال له: عبد العليم. وواحد يحفظ الشمال، ويقال له: عبد المريد. وواحد يحفظ الجنوب، ويقال له: عبد القادر.

وكان الشافعي رحمه الله في زمانه من الأوتاد الأربعة على ما نصّ عليه الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في «الفتوحات». وببركات الأولياء يأتي المطر من السماء ويخرج النبات من الأرض وبدعائهم يندفع البلاء عن الخلق، وأن حياتهم ومماتهم سواء، فإنهم ماتوا عن أوصاف وجودهم بالاختيار قبل الموت بالاضطرار فهم أحياء على كل حال ولذا قيل:

مشو بمرك زامداد اهل دل نوميد ... كه خواب مردم آكاه عين بيداريست

﴿**وبارك فيها**﴾؛ أي: قدر بأن يكثر خير الأرض بأن يخلق أنواع الحيوان التي من جملتها الإنسان وأصناف النبات التي منها معايشهم ببذر وغيره. ﴿**وقدر فيها أقواتها**﴾: القوت من الرزق ما يمسك الرمق ويقوم به بدن الإنسان، يقال: قاته يقوته إذا أطعمه قوته، والمقيت: المقتدر الذي يعطي كل أحد قوته.

ومن «بلاغات الزمخشري»: إذا حصلتك ياقوت هان عليّ الدر والياقوت. والمعنى: حكم تعالى بالفعل بأن يوجد فيما سيأتي لأهل الأرض من الأنواع المختلفة أقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة.

فالمراد: بأقوات الأرض: أرزاق سكانها بمعنى قدّر أقوات أهلها على حذف المضاف، بأن

عين لكل نوع ما يصلحه ويعيش به. [ويا براى اهل هر موضعى از زمين روزى مقدر كرد جون كندم وجو وبرنج وخرما وكوشت وامثال آن هريك ازينها غالب اقوات بلداست].

وقال بعض العارفين: كل خلق لهم عنده تعالى رزق مخصوص، فرزق الروحانيين المشاهدة ورزق الربانيين المكاشفة ورزق الصادقين المعرفة ورزق العارفين التوحيد ورزق الأرواح الروح ورزق الأشباح الأكل والشرب. وهذه الأقوات تظهر لهم من الحق في هذه الأرض التي خلقت معبداً للمطيعين ومرقداً للغافلين:

جلوة تقدير درزندان كل دارد مراد ورنه بالا تربود از نه فلك جولان من

﴿في أربعة أيام﴾ من أيام الآخرة، أو من أيام الدنيا كما سبق، وهو متعلق بحصول الأمور المذكورة، لا بتقديرها؛ أي: قدر حصولها في يومين يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء على ما سيأتي.

وإنما قيل: في أربعة أيام؛ أي: تتمة أربعة أيام بالفذلكة، ومجموع العدد؛ لأنه باليومين السابقين يكون أربعة أيام؛ كأنه قيل: نصب الراسيات، وتقدير الأقوات وتكثير الخيرات في يومين آخرين بعد خلق الأرض في يومين، وإنما لم يحمل الكلام على ظاهره، بأن يجعل خلق الأرض في يومين، وما فيها في أربعة أيام؛ لأنه قد ثبت أن خلق السماوات في يومين، فيلزم أن يكون خلق المجموع في ثمانية أيام، وليس كذلك؛ فإنه في ستة أيام على ما تكرر ذكره في القرآن.

وذكر في «البرهان»: إنما لم يذكر اليومين على الانفراد لدقيقة لا يهتدي إليها كل أحد، وهي أن قوله: ﴿خلق الأرض في يومين﴾ صلة الذي ﴿وتجعلون له أنداداً﴾ عطف على تكفرون. ﴿وجعل فيها رواسي﴾ عطف على قوله: ﴿خلق الأرض﴾. وهذا ممتنع في الإعراب لا يجوز في الكلام، وهو في الشعر من أقبح الضرورات لا يجوز أن يقول: جاءني الذي يكتب، وجلس ويقرأ؛ لأنه لا يحال بين صلة الموصول، وما يعطف عليه بأجنبي من الصلة، فإذا امتنع هذا لم يكن بد من إضمار فعل يصح الكلام به ومعه، فتضمن خلق الأرض بعد قوله ذلك رب العالمين خلق الأرض، وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدر فيها أقواتها في أربعة أيام ليقع هذا كله في أربعة أيام. انتهى.

وقال غيره: ﴿وجعل فيها رواسي﴾: عطف على خلق، وحديث لزوم الفصل بجملتين خارجتين عن حيز الصلة مدفوع بأن الأولى متحدة بقوله تعالى: ﴿تكفرون﴾، فهو بمنزلة الإعادة له، والثانية: اعتراضية مقررة لمضمون الكلام بمنزلة التأكيد، فالفصل بهما كلا فصل، فالوجه في الجميع دون الانفراد ما سبق. ﴿سواء﴾ مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لأيام؛ أي: استوت تلك الأيام سواء؛ أي: استواء يعني في أربعة أيام كاملة مستوية بلا زيادة ولا نقصان. ﴿للسائلين﴾ متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر في الأربعة للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها القائلين في كم خلقت الأرض، وما فيها فالسؤال استفتائي، واللام للبيان أو بقدّر.

قال في «بحر العلوم»: وهو الظاهر؛ أي: قدر فيها أقواتها لأجل السائلين؛ أي: الطالبين لها المحتاجين إليها من المقتاتين فإن أهل الأرض كلهم طالبون للقوت محتاجون إليه، فالسؤال استعطائي واللام للأجل.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: سمعت رسول الله ﷺ، وأنا رديفه يقول: «خلق الله

الأرواح قبل الأجسام بأربعة آلاف سنة وخلق الأرزاق قبل الأرواح بأربعة آلاف سنة سواء لمن سأل، ولمن لم يسأل وأنا من الذين لم يسألوا الله الرزق ومن سأل فهو جهل». وهذا الخبر يشير إلى أن اللام في للسائلين متعلق بسواء وإليه الإشارة في «تأويلات البقلي» حيث قال لا يزيد الرزق بالسؤال ولا ينقص، وفيه تأديب لمن لم يرض بقسمته:

كشاد عقده روزى بدست تقديراست مكن زرزق شكايت از ين وآن زنهار

وفي الحديث: «من جاع أو احتاج فكتمه عن الناس كان حقاً على الله أن يفتح له رزق سنة من حلال». فالعمدة الصبر وترك الشكاية والتوكل والاشتغال بالذكر.

قال أنس رضي الله عنه: خرجت مع النبي عليه السلام إلى شعب في المدينة ومعي ماء لطهوره، فدخل النبي عليه السلام وادياً، ثم رفع رأسه وأومأ إليّ بيده أن أقبل فأتيته، فدخلت، فإذا بطير على شجرة، وهو يضرب بمنقاره، فقال عليه السلام: «هل تدري ما يقول». قلت: لا. قال: «يقول اللهم أنت العدل الذي لا تجور حجبت عني بصري، وقد جعت فأطعمني» فأقبلت جرادة، فدخلت بين منقاره، ثم جعل يضرب منقاره بمنقاره، قال عليه السلام: «أتدري ما يقول» قلت: لا فقال: «من توكل على الله كفاه ومن ذكره لا ينساه» فقال عليه السلام: «يا أنس من ذا الذي يهتم للرزق بعد ذلك اليوم الرزق أشد طلباً لصاحبه من صاحبه له». قال الصائب:

رزق اكربر آدمى عاشق نمى باشد جرا از زمين كندم كريبان جاك مى آيدجرا

﴿ثُمَّ اسْتَوَىٰٓ إِلَى السَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾

﴿**ثم استوى إلى السماء**﴾ شروع في بيان كيفية التكوين إثر بيان كيفية التقدير، ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالأرض وأهلها لما أن بيان اعتنائه تعالى بأمر المخاطبين، وترتب مبادي معايشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الإيمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان.

وبيان ثم يجيء بعد تمام الآيات، والاستواء ضد الاعوجاج من قولهم استوى العود إذا اعتدل واستقام حمل في هذا المقام على معنى القصد والتوجه؛ لأن حقيقته من صفات الأجسام وخواصها، والله تعالى متعال عنها.

والمعنى: ثم قصد نحو السماء بإرادته ومشيئته قصداً سوياً وتوجه إليه توجهاً لا يلوي على غيره؛ أي: من غير إرادة خلق شيء آخر يضاهي خلقها، يقال: استوى إلى مكان كذا كالسهم المرسل إذا توجه إليه توجهاً مستوياً من غير أن يلوي على غيره. وفي ثم إظهار كمال العناية بإبداع العلويات. ﴿**وهي دخان**﴾: الواو للحال، والضمير إلى السماء؛ لأنها من المؤنثات السماعية والدخان أجزاء أرضية لطيفة ترتفع في الهواء مع الحرارة.

وفي «المفردات»: الدخان العثان المستصحب للهب والبخار أجزاء مائية رطبة ترتفع في الهواء مع الشعاعات الراجعة من سطوح المياه.

والمعنى: والحال أن السماء دخان؛ أي: أمر ظلماني يعد كالدخان، وهو المرتفع من النار، فهو من قبيل التشبيه البليغ وإطلاق السماء على الدخان باعتبار المآل.

قال الراغب قوله تعالى: ﴿**وهي دخان**﴾؛ أي: هي مثل الدخان إشارة إلى أنها لا تماسك بها انتهى. عبر بالدخان عن مادة السماء يعني: الهيولى والصورة الجسمية، أو عن الأجزاء

المتصغرة التي ركبت هي منها، يعني: الأجزاء التي لا تتجزأ وإظلامها إبهامها قبل حلول المنور كما في «الحواشي السعدية»، ولما كانت أول حدوثها مظلمة صحت تسميتها بالدخان تشبيهاً لها به من حيث إنها أجزاء متفرقة غير متواصلة عديمة النور كالدخان، فإنه ليس له صورة تحفظ تركيبه كما في «حواشي ابن الشيخ».

وقال بعضهم: وهي دخان؛ أي: دخان مرتفع من الماء يعني: السماء بخار الماء كهيئة الدخان. وبالفارسية: [وحال آنكه دخان بود يعني بخار آب بهيآت دخان]. كما في «تفسير الكاشفي».

يروى: أن أول ما خلق الله العرش على الماء، والماء ذاب من جوهرة خضراء، أو بيضاء فإذا بها ثم ألقى فيها ناراً، فصار الماء يقذف بالغثاء، فخلق الأرض من الغثاء، ثم استوى إلى الدخان الذي صار من الماء، فسمكه سماء ثم بسط الأرض، فكان خلق الأرض قبل خلق السماء، وبسط الأرض وإرساء الجبال وتقدير الأرزاق وخلق الأشجار والدواب والبحار والأنهار بعد خلق السماء لذلك قال الله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: ٣٠]. هذا جواب عبد الله بن عباس رضي الله عنهما لنافع بن الأزرق الحروري:

كفى را منبسط سازدكه اين فرشيست بس لايق   بخاريرا برافرازدكه اين سقفيست بس زيبا
ازان سقف معلق حسن تصويرش بود ظاهر   بدين فرش مطبق لطف تدبيرش بودبيدا

﴿**فقال لها**﴾: أي للسماء، ﴿**وللأرض**﴾ التي قدر وجودها ووجود ما فيها. ﴿**ائتيا**﴾؛ أي: كونا واحدثا على وجه معين، وفي وقت مقدر لكل منكما هو عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوجودهما تعلقاً فعلياً بطريق التمثيل بعد تقدير أمرهما من غير أن يكون هناك آمر ومأمور كما في قوله: كن بأن شبه تأثير قدرته فيهما وتأثرهما عنها بأمر آمر نافذ الحكم يتوجه نحو المأمور المطيع، فيتمثل أمره، فعبر عن الحالة المشبهة بما يعبر به عن الحالة المشبهة بها.

﴿**طوعاً أو كرهاً**﴾ مصدران واقعان في موقع الحال. والطوع: الانقياد ويضاده الكره؛ أي: حال كونكما طائعتين منقادتين أو كارهتين؛ أي: شئتما ذلك أو أبيتما، وهو تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما، واستحالة امتناعهما من ذلك لا إثبات الطوع والكره لهما؛ لأنهما من أوصاف العقلاء ذوي الإرادة والاختيار والأرض والسماء من قبيل الجمادات العديمة الإرادة والاختيار. ﴿**قالتا أتينا طائعين**﴾؛ أي: منقادين، وهو تمثيل لكمال تأثرهما بالذات عن القدرة الربانية، وحصولهما كما أمرتا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جارياً على مقتضى الحكمة البالغة، فإن الطوع منبىء عن ذلك، والكره موهم لخلافه.

فإن قلت: إنما قيل: طائعين على وزن جمع العقلاء الذكور لا طائعتين حملاً على اللفظ، أو طائعات حملاً على المعنى؛ لأنها سماوات وأرضون.

قلت: باعتبار كونهما في معرض الخطاب والجواب، فلما وصفتا بأوصاف العقلاء عوملتا معاملة العقلاء وجمعتا لتعدد مدلولهما ونظيره ساجدين في قوله تعالى حكاية عن يوسف عليه السلام: ﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى أنه بالقدرة الكاملة أنطق السماء والأرض المعدومة بعد أن أسمعها خطاب ائتيا طوعاً أو كرهاً، لتجيبا وقالتا: أتينا طائعين، وإنما ذكرهما بلفظ التأنيث في البداية؛ لأنهما كانتا معدومتين مؤنثتين، وإنما ذكرهما في النهاية بلفظ التذكير؛ لأنه أحياهما

وأعقلهما، وهما في العدم، فأجابا بقولهما: أتينا طائعين جواب العقلاء.

وفي حديث: «أن موسى عليه السلام قال: يا رب لو أن السماوات والأرض حين قلت لهما: ائتيا طوعاً أو كرهاً عصتاك ما كنت صانعاً بهما. قال: كنت آمر دابة من دوابي فتبتلعهما. قال: يا رب، وأين تلك الدابة؟. قال: في مرج من مروجي. قال: وأين ذلك المرج؟ قال: في علم من علمي».

قال بعضهم: أجاب ونطق من الأرض أولاً موضع الكعبة، ومن السماء ما بحذائها، فجعل الله تعالى لها حرمة على سائر الأرض حتى كانت كعبة الإسلام. وقبلة الأنام. ويقال: أجابه من الأرض أولاً الأردن من بلاد الشام، فسمي لسان الأرض، وأما أول بلدة بنيت على وجه الأرض، فهي بلخ بخراسان بناها كيومرث، ثم بنى الكوفة ابنه هوسنك وكيومرث من أولاد مهلائيل بن قينان بن أنوش بن شيث. كان عمره سبعمائة سنة.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أصل طينة النبي عليه السلام من سرة الأرض بمكة، فهذا يشعر بأنه ما أجاب من الأرض إلا ذرة المصطفى، وعنصر طينة المجتبى عليه السلام، فلهذا دحيت الأرض من تحت الكعبة، وكانت أم القرى، فهو عليه السلام أصل الكل في التكوين روحاً وجسداً. والكائنات بأسرها تبع له، ولهذا يقال: النبي الأمي؛ لأنه أم الكل وأسه.

فإن قلت: ورد في الخبر الصحيح: «تربة كل شخص مدفنه»، فكان يقتضي أن يكون مدفنه عليه السلام بمكة حيث كانت تربته منها.

قلت: لما تموج الماء رمى ذلك العنصر الشريف والزبد اللطيف، والجوهر المنيف، فوقع جوهره عليه السلام إلى ما يحاذي تربته بالمدينة المنورة، وفي تاريخ مكة أن عنصره الشريف كان في محله يضيء إلى وقت الطوفان، فرماه الموج في الطوفان إلى محل قبره الشريف لحكمة إلٰهية وغيرة ربانية يعرفها أهل الله تعالى، ولذا لا خلاف بين علماء الأمة في أن ذلك المشهد الأعظم، والمرقد الأكرم أفضل من جميع الأكوان من العرش والجنان، فذهب الإمام مالك واستشهد بذلك. وقال: لا أعرف أكبر فضل لأبي بكر وعمر رضي الله عنهما من أنهما خلقا من طينة رسول الله عليه السلام لقرب قبرهما من حضرة الروضة المقدسة المفضلة على الأكوان بأسرها. وكان عليه السلام مكياً مدنياً وحنينه إلى مكة لتلك المناسبة وتربته، وبالمدينة الحكمة.

قال الإمام السهروردي رحمه الله: لما قبض عزرائيل عليه السلام قبضة الأرض، وكان إبليس قد وطىء الأرض بقدميه، فصار بعض الأرض بين قدميه وبعضها موضع أقدامه، فخلقت النفوس الأمارة من مماس قدم إبليس، فصارت النفوس الأمارة مأوى الشرور، وبعض الأرض لم يصل إليها قدم إبليس، فمن تلك التربة أصل طينة الأنبياء والأولياء عليهم السلام، وكانت طينة رسول الله موضع نظر الله من قبضة عزرائيل لم تمسها قدم إبليس، فلم يصبه حظ جهل النفس الأمارة، بل صار منزوع الجهل موفراً حظه من العلم فبعثه الله بالعلم والهدى. وانتقل من قلبه الشريف إلى القلوب الشريفة، ومن نفسه القدسية المطمئنة، فوقعت المناسبة في أصل طهارة الطينة، فكل من كان أقرب مناسبة في ذلك الأصل كان أوفر حظاً من القبول والتسليم والكمال الذاتي، ثم بعض من كان أقرب مناسبة إلى النبي عليه السلام في الطهارة

الذاتية، وأوفر حظاً من ميراثه اللدني قد أبعد في أقاصي الدنيا مسكناً ومدفناً، وذلك لا ينافي قربه المعنوي، فإن إبعاده في الأرض كإبعاد النبي عليه السلام من مكة إلى المدينة بحسب المصلحة. قال الحافظ:

كرجه دوريم بياد تو قدح مينو شيم بعد منزل نبود در سفر روحانى

﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبۡعَ سَمَٰوَاتٖ فِي يَوۡمَيۡنِ وَأَوۡحَىٰ فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمۡرَهَاۚ وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنۡيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفۡظٗاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ ١٢﴾.

﴿**فقضاهنّ سبع سماوات**﴾ تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالأمر وجوابه لا أنه فعل مرتب على تكوينها، والضمير للسماء على المعنى، فإنه في معنى الجمع لتعدد مدلوله، فسبع سماوات حال، أو هو؛ أي: الضمير مبهم يفسره سبع سماوات كضمير ربه رجلاً، فسبع سماوات تمييز.

والمعنى: خلقهن حال كونهن سبع سماوات، أو من جهة سبع سماوات خلقاً إبداعياً؛ أي: على طريق الاختراع لا على مثال، وأتقن أمرهن بأن لا يكون فيهن خلل ونقصان حسبما تقضيه الحكمة.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن سماء القلب سبعة أطوار كما قال تعالى: ﴿وَقَدۡ خَلَقَكُمۡ أَطۡوَارًا ١٤﴾ [نوح: ١٤]، فالطور الأول من القلب يسمى الكركر، وهو محل الوسوسة. والثاني: الشغاف، وهو مثوى المحبة كما قال تعالى: ﴿قَدۡ شَغَفَهَا حُبًّاۖ﴾ [يوسف: ٣٠]، والسابع: حب القلب، وهو مورد التجلي، وموضع الكشوف، ومركز الأسرار، ومهبط الأنوار. ﴿**في يومين**﴾ في وقت مقدر بيومين، وهما يوم الخميس ويوم الجمعة خلق السماوات يوم الخميس وما فيها من الشمس والقمر والنجوم في يوم الجمعة، وقد بين مقدار زمان خلق الأرض وخلق ما فيها عند بيان تقديرهما، فكان خلق الكل في ستة أيام حسبما نص عليه في مواضع من التنزيل.

﴿**وأوحى في كل سماء أمرها**﴾: عطف على فقضاهن. والإيحاء: عبارة عن التكوين كالأمر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت.

قال الراغب: يقال للإبداع أمر، وقد حمل على ذلك في هذه الآية. والمعنى: خلق في كل منها ما فيها من الملائكة والنيرات، وغير ذلك مما لا يعلمه إلا الله، وأظهر ما أراده كما قال قتادة والسديّ. أو أوحى؛ أي: ألقى إلى أهل كل منها أوامره وكلفهم ما يليق بهم من التكاليف، فمنهم قيام لا يقعدون إلى قيام الساعة، ومنهم سجود لا يرفعون رؤوسهم أبداً إلى غير ذلك، فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور والآمر هو الله والمأمور أهل كل سماء، وأضيف الأمر إلى نفس السماء للملابسة؛ لأنه إذا كان مختصاً بالسماء، فهو أيضاً بواسطة أهلها.

﴿**وزينا السماء الدنيا بمصابيح**﴾ التفات إلى نون العظمة لإبراز مزيد العناية بالأمر؛ أي: بكواكب تضيء في الليل كالمصابيح؛ فإنها ترى كلها متلألئة على السماء الدنيا؛ كأنها فيها. بالفارسية: [وبياراستيم آسمان نزديكتر بجراغها يعنى ستاركان كه جوجراغ درخشان باشند].

فالمراد بالمصابيح جميع الكواكب النيرة التي خلق الله في السماوات من الثوابت

والسيارات، وليس كلها في السماء الدنيا،وهي التي تدنو وتقرب من أهل الأرض، فإن كل واحد من السيارات السبع في فلك، والثوابت مركوزة في الفلك الثامن إلا أن كونها مركوزة فيما فوق السماء الدنيا لا ينافي كونها زينة لها؛ لأنا نرى جميع الكواكب كالسرج الموقدة فيها، وقيل: إن في كل سماء كواكب تضيء. وقيل: بل الكواكب مختصة بالسماء الدنيا.

ويقال: زين السماء بأنوار الكروبيين كما زين الأرض بالأنبياء والأولياء. وزين قلوب العارفين بأنوار المعرفة، وجعل فيها مصابيح الهداية وضياء التوحيد وزين جوارح المؤمنين بالخدمة وزين الجنة بنور مناجاة العارفين وزهرة خدمة العارفين.

نوری از بیشانی صاحب دلان در یوزه کن

شمع خودرا می بری دل مرده زین محفل جرا

﴿وحفظاً﴾ مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا؛ أي: وحفظنا السماء الدنيا من الآفات، ومن المسترقة حفظاً، وهي الشياطين الذين يصعدون السماء لاستراق السمع فيرمون بشهاب صادر من نار الكواكب منفصل عنها، ولا يرجمون بالكواكب أنفسها لأنها قارة في الفلك على حالها، وما ذلك إلا كقبس يؤخذ من النار والنار باقية بحالها لا ينتقص منها شيء، والشهاب شعلة نار ساقطة.

﴿ذلك﴾ الذي ذكر بتفاصيله. ﴿تقدير العزيز العليم﴾ المبالغ في القدرة، فله بليغ قدرة على كل مقدور، والمبالغ في العلم فله بليغ علم بكل معلوم.

قال الكاشفي: ﴿ذلك﴾: [آنجه ياد كرده از بدائع آفرينش]. ﴿تقدير العزيز العليم﴾: [آفريدن واندازه كردن غالبست كه در ملك خود بقدرت هرجه خواهد كند دانا كه هرجه سازد از روى حكمت است]. فعلى هذا التفصيل لا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب بين إيجاد الأرض وإيجاد السماء، وإنما الترتيب بين التقدير والإيجاد، وإما على تقدير كون الخلق، وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة، فيكون خلق الأرض، وما فيها متقدماً على خلق السماء، وما فيها وعليه إطباق أكثر أهل التفسير ويؤيده قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [البقرة: ٢٩].

وقيل: إن خلق جرم الأرض مقدم على خلق السماوات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر لقوله تعالى: ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾ [النازعات: ٣٠]، ثم هذا على تقدير كون كلمة، ثم للتراخي الزماني. وإما على تقدير كونها للتراخي الرتبي على طريق الترقي من الأدنى إلى الأعلى يفضل خلق السماوات على خلق الأرض، وما فيها كما جنح إليه الأكثرون، فلا دلالة في الآية الكريمة على الترتيب كما في الوجه الأول.

قال الشيخ النيسابوري: خلق السماء قبل خلق الأرض ليعلم أن فعله خلاف أفعال الخلق؛ لأنه خلق أولاً السقف، ثم الأساس ورفعها على غير عمد دلالة على قدرته وكمال صنعه.

وروي: أنه تعالى خلق جرم الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق ما فيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء، وخلق السماوات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة، وخلق آدم في آخر ساعة منه، وهي الساعة التي تقوم فيها القيامة، وسمي الجمعة لاجتماع المخلوقات

وتكاملها، ولما لم يخلق الله في يوم السبت شيئاً امتنع بنو إسرائيل من الشغل فيه كما في «فتح الرحمٰن».

والظاهر أنه ينبغي أن يكون المراد به أنه تعالى خلق العالم في مدة لو حصل فيها فلك وشمس وقمر، لكان مبدأ تلك المدة أول يوم الأحد وآخرها آخر يوم الجمعة كما في «حواشي ابن الشيخ»، وبه يندفع ما قال سعدي المفتي فيه إشكال لا يخفى، فإنه لا يتعين اليوم قبل خلق السماوات والشمس فضلاً عن تعينه وتسميته باسم الخميس والجمعة.

وقال ابن عطية: والظاهر من القصص في طينة آدم أن الجمعة التي خلق فيها آدم قد تقدمتها أيام وجمع كثيرة، وأن هذه الأيام التي خلق الله فيها المخلوقات هي أول الأيام؛ لأنه بإيجاد الأرض والسماء والشمس وجد اليوم. وفي الحديث في خلق يوم الجمعة: «إنه اليوم الذي فرض على اليهود والنصارى فأضلته وهداكم الله تعالى له»؛ أي: أمروا بتعظيمه والتفرغ للعبادة فيه، فاختار اليهود من عند أنفسهم بدله السبت؛ لأنهم يزعمون أنه اليوم السابع الذي استراح فيه الحق من خلق السماوات والأرض، وما فيهن من المخلوقات؛ أي: بناء على أن أول الأسبوع الأحد، وأنه مبدأ الخلق، وهو الراجح.

وفي كلام بعضهم: أول الأسبوع الأحد لغة وأوله السبت عرفاً؛ أي: في عرف الفقهاء في الإيمان ونحوها واختارت النصارى من قبل أنفسهم بدل يوم الجمعة يوم الأحد؛ أي: بناء على أنه أول يوم ابتدأ الله فيه بإيجاد المخلوقات، فهو أولى بالتعظيم. وقد جاء في المرفوع: «يوم الجمعة سيد الأيام وأعظمها عند الله» فهو في الأيام كشهر رمضان في الشهور وساعة الإجابة فيه كليلة القدر في رمضان. وجاء: «إن الله تعالى خلق يوماً، فسماه الأحد ثم خلق ثانياً، فسماه الاثنين، ثم خلق ثالثاً، فسماه الثلاثاء، ثم خلق رابعاً، فسماه الأربعاء، ثم خلق خامساً، فسماه الخميس».

وبه يندفع ما قال السهيلي تسمية هذه الأيام طارئة، ولم يذكر الله منها في القرآن إلا يوم الجمعة والسبت، والعرب أخذوا معاني الأسماء من أهل الكتاب، فألقوا عليها هذه الأسماء اتباعاً لهم، فلم يسمها رسول الله عليه السلام بالأحد والاثنين إلى غير ذلك إلا حاكياً للغة قومه لا مبتدأ بتسميتها. هذا كلام السهيلي.

وفي السبعيات أكرم الله موسى بالسبت وعيسى بالأحد وداود بالاثنين وسليمان بالثلاثاء ويعقوب بالأربعاء وآدم بالخميس ومحمداً صلوات الله عليه وعليهم بالجمعة. وهذا يدل على أن اليهود لم يختاروا يوم السبت والنصارى يوم الأحد من عند أنفسهم، فليتأمل الجمع.

وقد سئل ﷺ عن يوم السبت، فقال: «يوم مكر وخديعة»؛ لأنه اليوم الذي اجتمعت فيه قريش في دار الندوة للاستشارة في أمره عليه السلام. وسئل عن يوم الأحد، فقال: «يوم غرس وعمارة»؛ لأن الله تعالى ابتدأ فيه خلق الدنيا وعمارتها. وسئل عن يوم الاثنين، فقال: «يوم سفر وتجارة»؛ لأن فيه سافر شعيب عليه السلام فاتجر فربح في تجارته، وسئل عن يوم الثلاثاء، فقال: «يوم دم»؛ لأن فيه حاضت حواء وقتل ابن آدم أخاه، وفيه قتل جرجيس وزكريا ويحيى ولده وسحرة فرعون وآسية بنت مزاحم امرأة فرعون وبقرة بني إسرائيل. ولهذا نهى النبي عليه السلام عن الحجامة يوم الثلاثاء أشد النهي، وقال: «فيه ساعة لا يرقأ فيها الدم». وفيه نزل إبليس الأرض، وفيه خلقت جهنم، وفيه سلط الله ملك الموت على أرواح بني آدم،

وفيه ابتلي أيوب عليه السلام». وفي بعض الروايات: ابتلي يوم الأربعاء.

وفي «روضة الأخبار» قيل: كان الرسم في زمن أبي حنيفة أن يوم البطالة يوم السبت في القراءة، لا يقرأ في يوم السبت، ثم في زمن الخصاف كان متردداً بين الاثنين ويوم الثلاثاء.

وسئل عن يوم الأربعاء قال: «يوم نحس أغرق فيه فرعون وقومه وأهلك عاد وثمود وقوم صالح»، وآخر أربعاء في الشهر أشأم. وجاء: «يوم الأربعاء لا أخذ ولا عطاء». وورد في الآثار النهي عن قص الأظفار يوم الأربعاء، وأنه يورث البرص، وقد تردد فيه بعض العلماء، فابتلي نعوذ بالله. وفي حديث: «لا يبدو جذام ولا برص إلا يوم الأربعاء»، وكره بعضهم عيادة المريض فيه ويحمد فيه الاستحمام، والدعاء مستجاب فيه بعد الزوال قبل وقت العصر؛ لأنه عليه السلام استجيب له الدعاء على الأحزاب في ذلك الوقت، وقد بني على موضع الدعاء مسجد في المدينة يقال له مسجد الاستجابة يزار الآن.

وفي الحديث: «ما من شيء بدىء يوم الأربعاء إلا وقد تم»، فينبغي البداءة بنحو التدريس فيه، وكان صاحب الهداية يوقف ابتداء الأمور على الأربعاء. ويروي هذا الحديث، ويقول كان هكذا يفعل أبي ويرويه عن شيخه أحمد بن عبد الرشيد. وسئل عن يوم الخميس، فقال: «يوم قضاء الحوائج»؛ لأن فيه دخل إبراهيم عليه السلام على ملك مصر، فأكرمه وقضى حاجته وأعطاه هاجر، وهو يوم الدخول على السلطان.

وفي الحديث: «من احتجم يوم الخميس فحم مات في ذلك المرض». وسئل عن يوم الجمعة، فقال: «يوم نكاح وخطبة» أيضاً نكح فيه آدم حواء ويوسف زليخا وموسى بنت شعيب وسليمان بلقيس، وصح أنه عليه السلام نكح فيه خديجة وعائشة رضي الله عنهما.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه: «من قلم أظفاره يوم الجمعة أخرج الله منه داء وأدخل فيه شفاء».

وقال الأصمعي: دخلت على الرشيد يوم الجمعة، وهو يقلم الأظفار، فقال: قلم الأظفار يوم الجمعة من السنة وبلغني أنه ينفي الفقر، فقلت: يا أمير المؤمنين، وأنت تخشى الفقر، فقال: وهل أحد أخشى للفقر مني، وعن عليّ رضي الله عنه رفعه من صام يوم الجمعة صبراً واحتساباً أعطي عشرة أيام غر زهر لا تشاكلهن أيام الدنيا»، ومن سالت من عينه قطرة يوم الجمعة قبل الرواح أوحي إلى ملك الشمال: أطو صحيفة عبدي، فلا تكتب عليه خطيئة إلى مثلها من الجمعة الأخرى. قال بعض العارفين شرف الأزمنة وفضيلتها يكون بحسب شرف الأحوال الواقعة فيها من حضور المحبوب ومشاهدته. قال عمر بن الفارض قدس سره:

وعندي عيدي كل يوم أرى به ... جمال محياها بعين قريره

وكل الليالي ليلة القدر إن دنت ... كما كل أيام اللقا يوم جمعه

وليوم الجمعة خواص تجيء في محلها إن شاء الله تعالى. وفي الحديث: «أكثروا الصلاة عليَّ في الليلة الزهراء واليوم الأغر، فإن صلاتكم تعرض عليَّ فأدعو لكم وأستغفر. والمراد بالليلة الزهراء ليلة الجمعة لتلألؤ أنوارها، وباليوم الأغر يوم الجمعة لبياضه ونورانيته.

وفي الحديث: «من صلى عليّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الدنيا وثلاثين من حوائج الآخرة، ثم يوكل الله بذلك ملكاً يدخله عليّ في قبري كما تدخل عليكم الهدايا يخبرني بمن صلى عليّ باسمه ونسبه إلى عشيرته، فأثبته

عندي في صحيفة بيضاء»؛ لأن علمي بعد موتي كعلمي في حياتي. [بروز جمعه درود محمد عربي. زروى قدر زايام ديكر افزونست. زاختصاص كه اورا بحضرت نبويست. درو ثواب درود از قياس بيرونست. ثم إن الليل والنهار خزانتان ما أودعتهما اداه]، وأنهما يعملان فيك فاعمل فيهما جعلنا الله وإياكم من المراقبين للأوقات.

﴿فَإِنْ أَعْرَضُوا فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِّثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾﴾

﴿فإن أعرضوا﴾ : متصل بقوله: قل أئنكم إلخ، فإن أعرض كفار قريش عن الإيمان بعد هذا البيان، وهو بيان خلق الأجرام العلوية والسفلية وما بينهما. **﴿فقل﴾** : لهم **﴿أنذرتكم﴾**؛ أي: أنذركم وأخوفكم وصيغة الماضي للدلالة على تحقق الإنذار المنبىء عن تحقق المنذر.

﴿صاعقة﴾؛ أي: عذاباً هائلاً شديد الوقع كأنه صاعقة يعني أن الصاعقة في الأصل قطعة من النار تنزل من السماء فتحرق ما أصابته استعيرت هنا للعذاب الشديد تشبيهاً له بها في الشدة والهول. وفي «المفردات»: الصاعقة: الصوت الشديد من الجو، ثم يكون فيها نار فقط، أو عذاب أو موت، وهي في ذاتها شيء واحد. وهذه الأشياء تأثيرات منها. وبالفارسية: [صاعقة از عذاب بيهوش سازنده وهلاك كنند]. **﴿مثل صاعقة عاد﴾** : [مانند عذاب قوم عاد كه باد صرصر بود]. **﴿وثمود﴾** : [وعذاب قوم ثمود كه صيحة جبرائيل عليه السلام بوده]؛ أي: لم يبق في حقكم علاج إلا إنزال العذاب الذي نزل عليّ من قبلكم من المعاندين المتمردين المعرضين عن الله وطلبه وطلب رضاه، فهم سلف لكم في التكذيب والجحود والعناد، وقد سلكتم طريقهم، فتكونون كأمثالهم في الهلاك.

قال مقاتل: كان عاد وثمود ابني عم، وموسى وقارون ابني عم وإلياس واليسع ابني عم وعيسى ويحيى ابني خالة. [وتخصيص اين دو قوم بجهت آنست كه درسفر رحلة الشتاء والصيف بر مواضع اين دو كروه كذشته آثار عذاب مشاهده ميكرده اند].

﴿إِذْ جَاءَتْهُمُ الرُّسُلُ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهَ قَالُوا لَوْ شَاءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَائِكَةً فَإِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُم بِهِ كَافِرُونَ ﴿١٤﴾ فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾﴾

﴿إذ جاءتهم الرسل﴾ : الظاهر أنه من إطلاق الجمع على المثنى، فإن الجائي هود إلى عاد وصالح إلى ثمود. والجملة حال من صاعقة عاد؛ أي: مثل صاعقتهم كائنة في وقت مجيء الرسل إليهم، فكذبوهم.

فالمراد كون متعلق الظرف حالاً منها؛ لأن الصاعقة قطعة نار تنزل من السماء، فتحرق فهي جثة والزمان كما لا يكون صفة للجثة لا يكون حالاً منها. **﴿من بين أيديهم ومن خلفهم﴾** : متعلق بجاءتهم؛ أي: من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة من جهات الإرشاد وطرق النصيحة تارة بالرفق وتارة بالعنف وتارة بالتشويق، وأخرى بالترهيب، فليس المراد الجهات الحسية والأماكن المحيطة بهم، أو من جهة الزمان الماضي بالإنذار عما جرى فيه على الكفار من الوقائع، ومن جهة الزمان المستقبل بالتحذير عما أعد لهم في الآخرة، ويحتمل أن يكون عبارة عن الكثرة كقوله تعالى ﴿يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [النحل: ١١٢]، فيراد بالرسل ما يعم المتقدمين منهم، والمتأخرين، أو ما يعم رسل الرسل أيضا، وإلا فالجائي

رسولان، كما سبق وليس في الاثنين كثرة.

﴿ألا تعبدوا إلا الله﴾؛ أي: بأن لا تعبدوا أيها القوم؛ أي: يأمرونهم بعبادة الله وحده، فأن مصدرية ناصبة للفعل وصلت بالنهي كما توصل بالأمر في مثل قوله: أن طهرا.

قال الكاشفي: [در آمدند ودعوت كردند بانكه مبرستيد مكر خدايرا]. ﴿قالوا﴾ استخفافاً برسلهم: ﴿لو شاء ربنا﴾؛ أي: إرسال الرسل، فإنه ليس هنا في أن تقدر المفعول مضمون جواب الشرط كثير معنى. ﴿لأنزل ملائكة﴾؛ أي: لأرسلهم بدلكم ولم يتخالجنا شك في أمرهم فآمنا بهم لكن لما كان إرسالهم بطريق الإنزال. قيل: لأنزل. ﴿فإنا بما أرسلتم به﴾ على زعمكم، فهو ليس إقراراً منهم بالإرسال. ﴿كافرون﴾.

قال في «بحر العلوم»: الفاء وقعت في جواب شرط محذوف تقديره إذا أنتم بشر مثلنا من غير فضلكم علينا، ولستم بملائكة، فإنا لا نؤمن بكم بما جئتم به، ولا يجب أن يكون ما دخلت عليه فعلاً لجواز دخولها على الجملة الاسمية المركبة من مبتدأ وخبر.

وقال سعدي المفتي: إشارة إلى نتيجة قياسهم الفاسد الاستثنائي نقيض تاليه.

قال الكاشفي: [مشركان دربند صورت انبيا مانده از مشاهدة معنى ايشان غافل بودند. جند صورت بينى اى صورت برست. هركه معنى ديد ازصورت برست، ديده صورت برستى را ببند. تاشوى از نور معنى بهره مند].

روي: أن أبا جهل قال في ملأ من قريش: قد التبس علينا أمر محمد عليه السلام، فلو التمستم لنا رجلاً عالماً بالشعر والكهانة والسحر، فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره، فقال عتبة بن ربيعة، والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر، وعلمت من ذلك علماً، وما يخفى عليَّ فأتاه، فقال: أنت يا محمد خير أم هاشم، أنت خير أم عبد المطلب، أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا، فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء، فكنت رئيسنا، وإن كان بك الباءة؛ أي: الجماع والشهوة زوجناك عشر نسوة تختارهن من بنات قريش، وإن كان بك المال جمعنا لك ما تستغني به ورسول الله عليه السلام ساكت، فلما فرغ عتبة قال عليه السلام: بسم الله الرحمٰن الرحيم، ﴿حم﴾ إلى قوله: ﴿مثل صاعقة عاد وثمود﴾، فأمسك عتبة على فيه عليه السلام وناشده بالرحم. يعني: [عتبه درشنيدن كلام خداى عز وجل جنان مبهوت ومدهوش كشت كه جاى سخن دروى نماند وبا آخر دست بردهن رسول نهاد وكفت بحق رحم كه نيز بخوانى كه طاقتم برسيد ودرين سخن سر كردان وحيران شدم]، ورجع إلى أهله متحيراً من أمره عليه السلام، ولم يرجع إلى قريش، ولم يخرج، وكانوا منتظرين لخبره، فلما احتبس عنهم، قالوا: ما نرى عتبة إلا قد صبا. يعني: [صابى ومائل دين محمد شد].

فانطلقوا إليه، وقالوا: يا عتبة ما حبسك عنا إلا أنك قد صبأت فغضب، ثم قال: والله لقد كلمته فأجابني بشيء، والله ما هو شعر ولا كهانة ولا سحر، ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف، وقد علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب، فخفت أن ينزل بكم العذاب. [راى من آنست كه اين مردرا فرو كذا ريد بادين خويش وتعرض نرسانيدا كر عرب برودست يابند خود شغل شما كفايت كردند واكر اوبر عرب دست يابد ملك او ملك شماست وعز او عزشماست ابو جهل كفت جنان ميدانم كه سخر او برتو اثر كرده وترا ازحال خود بكردانيده عتبه كفت راى من اينست كه شما هرجه ميخواهيد بكنيد].

فكان من أمرهم الإصرار حتى قتلوا في وقعة بدر وأبى الله إلا أن يتم نوره، ويظهر دينه، فما كان إلا ما أراد الله دون ما أرادوا.

﴿فأما عاد﴾ لما كان التفصيل مسبباً عن الإجمال السابق أدخل عليه الفاء السببية [بس آماده كرده وعاديان]. **﴿فاستكبروا في الأرض﴾**: [در زمين احقاق در بلاد يمن]؛ أي: تعظموا فيها على أهلها. **﴿بغير الحق﴾**؛ أي: بغير الاستحقاق للتعظيم وركنوا إلى قوة نفوسهم. **﴿وقالوا﴾** اغتراراً بتلك القوة الموقوفة على عظم الأجسام. **﴿من﴾**: استفهام. **﴿أشد منا قوة﴾**، وكان طول كل واحد منهم ثمانية عشر ذراعاً؛ وبلغ من قوتهم أن الرجل كان يقتلع الصخرة من الجبل ويجعلها حيث شاء وكانوا يظنون أنهم يقدرون على دفع العذاب بفضل قوتهم فخانتهم قواهم لما استمكن منهم بلواهم، وقد رد الله عليهم بقوله: **﴿أولم يروا﴾**: [آياندا نستند مغرور شدكان بقوت خود]؛ أي: أغفلوا ولم يعلموا علماً جلياً شبيهاً بالمشاهدة والعيان.

﴿أن الله الذي خلقهم﴾، وخلق الأشياء كلها خصوصاً الأجرام العظيمة كالسماوات والجبال ونحوها، وإنما أورد في حيز الصلة خلقهم دون خلق السماوات والأرض لادعائهم الشدة في القوة. **﴿هو أشد منهم قوة﴾**؛ أي: قدرة؛ لأن قدرة الخالق لا بد وأن تكون أشد من قدرة المخلوق، إذ قدرة المخلوق مستفادة من قدرة الخالق، والقوة عبارة عن شدة البنية وصلابتها المضادة للضعف، ولما كانت صيغة التفضيل تستلزم اشتراك المفضل المفضل عليه في الوصف الذي هو مبدأ اشتقاق أفعل، ولا اشتراك بينه تعالى وبين الإنسان في هذه القوة، لكونه منزهاً عنها أريد بها القدرة مجازاً لكونها مسببة عن القوة بمعنى صلابة البنية.

﴿وكانوا﴾: [وبودند وقوم عادكه ازروى تعصب]. **﴿بآياتنا﴾** المنزلة على الرسل. **﴿يجحدون﴾**: الجحود الإنكار مع العلم؛ أي: ينكرونها، وهم يعرفون حقيقتها كما يجحد المودع الوديعة، وينكرها فهو عطف على فاستكبروا، وما بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء.

والمعنى: أنهم جمعوا بين الاستكبار وطلب العلو في الأرض، وهو فسق وخروج عن الطاعة بترك الإحسان إلى الخلق وبين الجحود بالآيات، وهو كفر وترك لتعظيم الحق، فكانوا فسقة كفرة، وهذان الوصفان لما كانا أصلي جميع الصفات الذميمة، لا جرم سلط الله عليهم العذاب، كما قال:

﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً﴾ لتقلعهم من أصولهم؛ أي: باردة تهلك وتحرق بشدة بردها كإحراق النار بحرها من الصر، وهو البرد الذي يصر؛ أي: يجمع ويقبض؛ أي: ريحاً عاصفة تصر صراً؛ أي: تصوت في هبوبها من الصرير. وبالفارسية: [باد صرصر بآ واز مهيب].

قيل: إنها الدبور مقابل القبول؛ أي: الصبا التي تهب من مطلع الشمس، فيكون الدبور ما تهب من مغربها، والصرصر تكرير لبناء الصر. قال الراغب: الصر الشد، والصرة ما يعقد

فيه الدراهم. والصرصر: لفظه من الصر. وذلك يرجع إلى الشد لما في البرودة من التعقيد إذ هي من الفعليات؛ لأنها كشيفة من شأنها تفريق المتشاكلات وجمع المختلفات.

﴿في أيام نحسات﴾: جمع نحسة من نحس نحساً نقيض سعد سعداً كلاهما على وزن علم والنحسان زحل والمريخ. وكذا آخر شباط وآخر شوال أيضاً من الأربعاء إلى الأربعاء. وذلك سبع ليال وثمانية أيام، يعني كانت الريح من صبيحة الأربعاء لثمان بقين من شوال إلى غروب الأربعاء الآخر، وهو آخر الشهر، ويقال لها: أيام الحسوم، وسيأتي تفصيلها في سورة الحاقة، وما عذب قوم إلا في يوم الأربعاء.

وقال الضحاك: أمسك الله عنهم المطر ثلاث سنين ودامت الرياح عليهم من غير مطر. وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه إذا أراد الله بقوم خيراً أرسل عليهم المطر وحبس عنهم كثرة الرياح، وإذا أراد بقوم شراً حبس عنهم المطر وسلط عليهم كثرة الرياح».

والمعنى: في أيام منحوسات مشؤومات ليس فيها شيء من الخير، فنحوستها أن الله تعالى أدام تلك الرياح فيها على وتيرة وحالة واحدة بلا فتور، وأهلك القوم بها لا كما يزعم المنجمون من أن بعض الأيام قد يكون في حدّ ذاته نحساً وبعضها سعداً استدلالاً بهذه الآية؛ لأن أجزاء الزمان متساوية في حدّ ذاتها، ولا تمايز بينها إلا بحسب تمايز ما وقع فيها من الطاعات والمعاصي، فيوم الجمعة سعد بالنسبة إلى المطيع نحس بالنسبة إلى العاصي، وإن كان سعداً في حدّ نفسه. قال رجل عند الأصمعي فسد الزمان، فقال الأصمعي:

إن الجديدين في طول اختلافهما لا يفسدان ولكن يفسد الناس

وقيل:

نذم زماننا والعيب فينا ولو نطق الزمان إذا هجانا

وقال الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره: الملابس إذا فصلت وخيطت في وقت رديء اتصل بها خواص رديئة. انتهى.

يقول الفقير: لعله أراد عروض الرداءة لها بسبب من الأسباب كيوم الأربعاء بما وقع فيه من العذاب؛ لأن الله خلقه رديئاً، فلا تنافي بين كلامه وبين ما سبق. والظاهر أن الله تعالى خلق أجزاء الزمان والمكان على تفاوت. وكذا سائر الموجودات كما لا يخفى. **﴿لنذيقهم﴾** بالريح العقيم. **﴿عذاب الخزي في الحياة الدنيا﴾**، إضافة العذاب إلى الخزي من قبيل إضافة الموصوف إلى الصفة على طريق التوصيف بالمصدر للمبالغة؛ أي: العذاب الخزي؛ أي: الذليل المهان على أن الذليل في الحقيقة أهل العذاب لا العذاب نفسه. **﴿ولعذاب الآخرة﴾**: [وهر آينه عذاب آن سرى ا]. **﴿أخزى﴾**؛ أي: أذل وأزيد خزياً من عذاب الدنيا، وبالفارسية: [سختراست ازروى رسوايى]. وهو في الحقيقة أيضاً: وصف للمعذب وقد وصف به العذاب على الإسناد المجازي لحصول الخزي بسببه. **﴿وهم لا ينصرون﴾** بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه لا في الدنيا ولا في الآخرة؛ لأنهم لم ينصروا الله ودينه، وأما المؤمنون؛ فإنهم وإن كانوا ضعفاء فقد نصرهم الله؛ لأنهم نصروا الله ودينه، فعجباً من القوة في جانب الضعف وعجباً من الضعف في جانب القوة.

وفي الحديث: إنكم تنصرون بضعفائكم»؛ أي: الضعفاء الداعين لكم بالنصرة. وقال خالد ابن برمك: اتقوا مجانيق الضعفاء؛ أي: دعواتهم.

يقول الفقير: إنما عذبت عاد بريح صرصر؛ لأنهم اغتروا بطول قاماتهم وعظم أجسادهم وزيادة قوتهم، فظنوا أن الجسم إذا كان في القوة والثقل بهذه المرتبة، فهو يثبت في مكانه ويستمسك، ولا يزيله عن مقره شيء من البلاء، فسلط الله عليهم الريح، فكانت أجسامهم كريشة في الهواء، وكان عليه السلام يجثو على ركبتيه عند هبوب الرياح، ويقول: «اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عذاباً. اللهم اجعلها لنا رياحاً؛ أي: رحمة ولا تجعلها ريحاً؛ أي: عذاباً وأراد به أن أكثر ما ورد في القرآن من الريح بلفظ المفرد، فهو عذاب نحو، ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا﴾ [فصلت: ١٦]، و﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات: ٤١]، وإن جاء في الرحمة أيضاً نحو ﴿وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ﴾ [يونس: ٢٢] وكل ما جاء بلفظ الجمع على الرياح، فهو رحمة لا غير، ويقول عليه السلام؛ أي: عند هبوب الرياح، وعند سماع الصوت والرعد والصواعق أيضاً: «اللهم لا تقتلنا بغضبك ولا تهلكنا بعذابك وعافنا قبل ذلك».

وفي الحديث: «لا تسبوا الريح فإذا رأيتم ما تكرهون، فقولوا: اللهم إنا نسألك من خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما أمرت به، ونعوذ بك من شر هذه الريح وشر ما فيها وشر ما أمرت به».

كما في «المصابيح»: [ريح صرصر باد نفس ازدهاست قلب ازودر اضطراب ومكرهاست. هركه بابرجا شود در عهد دين. بايدارش ميكند حق جون زمين].

﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَىٰ عَلَى الْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾﴾

﴿وأما ثمود﴾؛ أي: قبيلة ثمود فهو غير منصرف للعلمية والتأنيث، ومن نونه وصرفه جعله اسم رجل، وهو الجد الأعلى للقبيلة. **﴿فهديناهم﴾** الهداية هنا عبارة عن الدلالة على ما يوصل إلى المطلوب سواء ترتب عليها الاهتداء أم لا كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، وليست عبارة عن الدلالة المقيدة بكونها موصلة إلى البغية، كما في قوله تعالى: ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٢٦٤].

والمعنى: فدللناهم على الحق بنصب الآيات التكوينية وإرسال الرسل وإنزال الآيات الشريفة ورحمنا عليهم بالكلية. **﴿فاستحبوا العمى على الهدى﴾**: حقيقة الاستحباب أن يتحرى الإنسان في الشيء أن يحبه واقتضى تعديته بعلى معنى الإيثار والاختيار كما في «المفردات»؛ أي: اختاروا الضلالة من عمى البصيرة، وافتقادها على الهداية والكفر على الإيمان والمعصية على الطاعة.

قال صاحب الكشف: في لفظ الاستحباب ما يشعر بأن قدرة الله تعالى هي المؤثرة، وأن لقدرة العبد مدخلاً ما فإن المحبة ليست اختيارية بالاتفاق، وإيثار العمى حباً، وهو الاستحباب من الاختيارية، واعترض عليه سعدي المفتي في «حواشيه»، بأنه كيف لا تكون المحبة اختيارية، ونحن مكلفون بمحبة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، ولا تكليف بغير الاختياري ألا يرى إلى قوله عليه السلام لعمر رضي الله عنه: الآن يا عمر، يعني في قول عمر ورسول الله آخذ بيده يا رسول الله، أنت أحب إليّ من كل شيء إلا نفسي، فقال عليه السلام: «لا والذي نفسي بيده حتى أكون أحب إليك من نفسك»، فقال عمر: الآن والله أنت أحب إلي

من نفسي. فقال: «الآن يا عمر»؛ أي: صار إيمانك كاملاً.

والجواب: على ما في «شرح المشارق» لابن الملك أن المراد من هذه المحبة محبة الاختيار لا محبة الطبع؛ لأن كل أحد مجبول على حب نفسه أشد من غيرها، فمعنى الحديث لا يكون إيمانك كاملاً حتى تؤثر رضاي على رضا نفسك، وإن كان فيه هلاكك ونظيره قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]، فهم مع احتياجهم آثروا أنفسهم على أنفسهم. وكذا المحب آثر رضا المحبوب على رضا نفسه مع كون محبته لنفسه أشد من محبته له.

وقيل: إن ثمود في الابتداء آمنوا وصدقوا، ثم ارتدوا وكذبوا فأجراهم مجرى إخوانهم في الاستئصال، فتكون الهداية بمعنى الدلالة المقيدة.

قال ابن عطاء: ألبسوا لباس الهداية ظاهراً، وهم عواري، فيتحقق عليهم لباس الحقيقة، فاستحبوا العمى على الهدى، فردوا إلى الذي سبق لهم في الأزل، يعني: أن جبلة القوم، كانت جبلة الضلالة، فمالوا إلى ما جبلوا عليه من قبول الضلال، فإن السوابق تؤثر في العواقب بدون العكس، فلا عبرة بالهداية المتوسطة؛ لأنها عارضة.

قال الحافظ: [جون حسن عاقبت نه برندى وزاهديست. آن به كه كار خودبعنايت رها كنند]. ﴿**فأخذتهم صاعقة العذاب الهون**﴾: الهون: مصدر بمعنى الهوان والذلة. يقال: هان هوناً وهواناً ذل كما في «القاموس»: وصف به العذاب للمبالغة؛ أي: أخذتهم داهية العذاب المهين؛ كأنه عين الهوان. وبالفارسية: [صاعقة عذاب خوار كننده يعني صيحة جبرائيل ايشانرا هلاك كرده فالصاعقة هي العذاب الهون شبه بها لشدته]، وهوله كما بين فيما سبق. وقيل: صاعقة من السماء؛ أي: نار، فأهلكتهم وأحرقتهم، فيكون من إضافة النوع إلى الجنس، بتقدير من أي من جنس العذاب المهين الذي بلغ في إفادة الهوان للمعذب إلى حيث كان عين الهوان. ﴿**بما كانوا يكسبون**﴾ من اختيار الضلالة والكفر والمعصية.

قال الكاشفي: [بسبب آنجه بودند كسب كردند از]. تكذيب صالح وعقر ناقة.

يقول الفقير: أما حكمة الابتلاء بالصيحة فلعدم استماعهم الحق من لسان صالح عليه السلام مع أن الاستحباب المذكور صفة الباطن وبالصيحة تنشق المرارة، فيفسد الداخل والخارج، وأما بالنار فلإحراقهم باطن ولد الناقة بعقر أمه، فابتلوا بالإحراق الظاهر ألا ترى أن يعقوب ذبح جدياً بين يدي أمه، فابتلي بفراق يوسف واحتراقه على ما قاله البعض.

﴿**ونجينا الذين آمنوا**﴾ من تلك الصاعقة وكانوا مائة وعشرة أنفس.

﴿**وكانوا يتقون**﴾: الشرك أو عقر الناقة وفيه إشارة إلى التنجية من عذاب النار، وهي أنواع، فمنهم من نجاهم من غير أن رأوا النار عبروا القنطرة، ولم يعلموا، وقوم كالبرق الخاطف، وهم الأعلام وقوم كالراكض، وهم أيضاً الأكابر، وقوم على الصراط يسقطون وتردهم الملائكة على الصراط فبعد وبعد وقوم بعد ما دخلوا النار، فمنهم من تأخذه إلى كعبيه، ثم إلى ركبتيه، ثم إلى حقويه، فإذا بلغت القلب.

قال الحق تعالى للنار: لا تحرقي قلبه، فإنه محترق فيّ، وقوم يخرجون من النار بعدما امتحشوا وصاروا حمماً. الامتحاش سوخته شدن. والحمم جمع حممة بالضم، وهو الفحم كما في «القاموس».

وفي الحديث: يدخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار، ثم يقول الله تعالى: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيخرجون منها قد اسودوا، فيلقون في نهر الحياة فينبتون، كما تنبت الحبة في جانب السيل وأشارت الآية إلى أن سبب النجاة من النار هو الإيمان والتقوى، وهما من صفات القلب، فإذا هرب العبد من مقام النفس ودخل في مقام القلب، كان آمناً سالماً من أنواع الألم في الدنيا والآخرة، وإلا كان معذباً.

حكي: أن أبا يزيد البسطامي قدس سره: دخل الحمام يوماً فأصابه الحر، فصاح فسمع نداء من الزوايا الأربع: يا أبا يزيد ما لم تسلط عليك نار الدنيا لم تذكرنا، ولم تستغث بنا، وفيه إشارة إلى أن المقبول هو التدارك وقت الاختيار والإيمان وقت التكلف، وإلا خرج الأمر من اليد ولا تفيد الصيحة وقت الوقوع في العذاب. [توبيش از عقوبت در عفو كوب. كه سودى ندارد فغان زبر جوب]. والكافر تنزل عليه ملائكة العذاب والمؤمن تصافحه الملائكة. قال الله تعالى: اسمع يا موسى ما أقول فالحق ما أقول إنه من تكبر على مسكين حشرته يوم القيامة على صورة الذر ومن تواضع لعالم رفعته في الدنيا والآخرة ومن رضي بهتك ستر مسلم هتكت ستره سبعين مرة، ومن أهان مسلماً، فقد بارزني بالمحاربة ومن آمن بي صافحته الملائكة في الدنيا والآخرة جهراً اللهم وفقنا لما ترضى.

﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿ويوم يحشر أعداء الله﴾ الحشر إخراج الجماعة من مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب وغيرها، ولا يقال: إلا في الجماعة، ويوم منصوب باذكر المقدر.

والمعنى: واذكر يا محمد لقومك يوم يحشر أعداء الله المذكورون من عاد وثمود لا الأعداء من الأولين والآخرين بمعنى أنهم يجمعون إلى النار، كقوله: قل إن الأولين والآخرين لمجموعون إلى ميقات يوم معلوم لما سيأتي من قوله تعالى في أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس والتعبير بالأعداء للذم والإيذان بعلة ما يحيق بهم من فنون العذاب. **﴿إلى النار﴾** إلى موقف الحساب إذ هناك تتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم إلى النار والتعبير عنه بالنار إما للإيذان بأنها عاقبة حشرهم، وأنهم على شرف دخولها، وإما لأن حسابهم يكون على شفيرها.

وفي الإشارة إلى أن من لم يمتثل إلى أوامر الله، ولم يجتنب عن نواهيه، ولم يتابع رسوله، فهو عدو الله، وإن كان مؤمناً بالله مقراً بوحدانيته، وأن ولي الله من كان يؤمن بالله ورسله، ويمتثل أوامر الله في متابعة الرسول، ويحشر الأولياء إلى الله وجنته كما يحشر الأعداء إلى نار البعد وجحيمه. **﴿فهم يوزعون﴾**: يقال: وزعته عن كذا كوضع كففته؛ أي: يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا، وهو كناية عن كثرة أهل النار. وفيه إشارة إلى أن في الوزع عقوبة لهم.

﴿حتى إذا ما جاؤوها﴾ غاية ليحشر وليوزعون؛ أي: حتى إذا حضروا النار جميعاً. وبالفارسية: [تاوقتى كه بيابند بآتش]. وما: مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور يعني: أن وقت مجيئهم النار لا بد أن يكون وقت الشهادة عليهم. **﴿شهد عليهم سمعهم﴾**. إلخ؛ لأنهم

كانوا استعملوها في معاصي الله بغير اختيارهم فشهدت الآذان بما سمعت من شر وأفرد السمع لكونه مصدراً في الأصل.

﴿وأبصارهم﴾ بما نظرت إلى حرام ﴿وجلودهم﴾ ظواهر أنفسهم وبشراتهم بما لامست محظوراً والجلد قشر البدن. وقيل: المراد بالجلود الجوارح والأعضاء. [واول عضوى كه تكلم كنذزان كف دست راست بود]. ﴿بما كانوا يعملون﴾ في الدنيا. ويقال: تخبر كل جارحة بما صدر من أفاعيل صاحبها؛ لا أن كلاً منها تخبر بجناياتها المعهودة فقط، فالموصول عبارة عن جميع أعمالهم السيئة، وفنون كفرهم ومعاصيهم، وتلك الشهادة بأن ينطقها الله، كما أنطق اللسان إذ ليس نطقها بأغرب من نطق اللسان عقلاً، وكما أنطق الشجرة، والشاة المشوية المسمومة بأن يخلق فيها كلاماً، كما عند أهل السنة، فإن البنية ليست بشرط عندهم للحياة والعقل، والقدرة كما عند المعتزلة.

وفي «حواشي سعدي المفتي» بأن ينطقها لا على أن تكون تلك الأعضاء آلاته، ولا على أن تكون القدرة والإرادة آلة في الإنطاق، وكيف وهي كارهة لما نطقوا به بل على أن تكون الأعضاء هي الناطقة، بالحقيقة موصوفة بالقدرة والإرادة. وفيه تأمل انتهى.

روي: أنه عليه السلام ضحك يوماً حتى بدت نواجذه، ثم قال: لا تسألون مم ضحكت قالوا: مم ضحكت يا رسول الله. قال: عجبت من مجادلة العبد ربه يوم القيامة. قال: يقول يا رب أليس قد وعدتني أن لا تظلمني. قال: فإن لك ذلك. قال: فإني لا أقبل شاهداً إلا من نفسي، قال الله تعالى: أوليس كفى بي شهيداً، وبالملائكة الكرام الكاتبين، فيقول: أي رب أجرتني من الظلم، فلن أقبل عليّ شاهداً إلا من نفسي. قال: فيختم على فيه وتتكلم الأركان بما كان يعمل. قال عليه السلام: فيقول لهن بعداً، لكن وسحقاً عنكن كنت أجادل.

وهذه الرواية تنطق بأن المراد بالجلود الجوارح. وفيه إشارة إلى أن الجماد في الآخرة يكون حيواناً ناطقاً كما قال تعالى: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤].

﴿وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿وقالوا لجلودهم﴾ توبيخاً. ﴿لم شهدتم علينا﴾ وصيغة جمع العقلاء في خطاب الجلود. وكذا في قوله تعالى: ﴿قالوا أنطقنا﴾ إلخ. لوقوعها في موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء، ولعل تخصيص الجلود؛ لأنها بمرأى منهم بخلاف غيرها، أو لأن الشهادة منها أعجب وأبعد إذ ليس شأنها الإدراك بخلاف السمع والبصر.

والمراد: الإدراك اللازم للشهادة، وهو الإبصار أو الإسماع إذ الشهادة لا تكون إلا بالمعاينة، أو السماع والإدراك اللمسي لا مدخل له في الشهادة، فيحصل التعجب والبعد.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج؛ لأنها لا تخلو عن الجلود، والله حي يكني، وهو الأنسب بتخصيص السؤال بها في قوله، ﴿وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا﴾ قالوا: ما نشهد به. من الزنا أعظم جناية وقبحاً وأجلب للخزي والعقوبة مما

يشهد به السمع والأبصار من الجنايات المكتسبة بتوسيطها.

﴿قالوا﴾؛ أي: الجلود **﴿أنطقنا الله الذي أنطق كل شيء﴾**. ناطق وأقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها. وفي الآية إشارة إلى أن الأرواح والأجسام متساوية في قدرة الله تعالى إن شاء جعل الأرواح بوصف الأجسام صماً بكماً عمياً فهم لا يعقلون، وإن شاء جعل الأجسام بوصف الأرواح تنطق وتسمع وتبصر وتعقل. **﴿وهو خلقكم أول مرة﴾**: [واز عدم بوجود آورد]. **﴿وإليه ترجعون﴾** فإن من قدر على خلقكم وإنشائكم أولاً وعلى إعادتكم ورجعكم؛ أي: ردكم إلى جزائه ثانياً لا يتعجب من إنطاقه لجوارحكم.

وفي «تفسير الجلالين»: هو ابتداء إخبار عن الله تعالى وليس من كلام الجلود، ولعل صيغة المضارع مع أن هذه المحاورة بعد البعث، والرجع لما أن المراد بالرجع ليس مجرد الرد إلى الحياة بالبعث بل ما يعمه، وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على أن فيه مراعاة الفواصل.

يقول الفقير: قد ثبت في علم الكلام: أن الله تعالى قد خلق كلاً من الحواس لإدراك أشياء مخصوصة كالسمع للأصوات والذوق للطعوم والشم للروائح، لكن ذلك الإدراك بمحض خلق الله تعالى من غير تأثير الحواس، فلا يمتنع أن يخلق عقيب صرف الباصرة إدراك الأصوات مثلاً، وإن لم يكن واقعاً بالفعل، وقد صح أن موسى عليه السلام سمع كلام الله تعالى من كل جانب، وقس عليه الرؤية ليلة المعراج، فإنه عليه السلام كان بصراً محضاً في صورة الجسم، وكذلك اللسان، فإنه مخلوق للنطق، لكن الله تعالى إذا أراد كان جميع البدن لساناً مع أن الإنسان لما تشرف بالحياة والنطق كان جميع أجزائه ناطقاً حكيماً كما كان حياً حقيقة، وذلك لإضافته إلى الحي الناطق، بل وسر الحياة والنطق سار في جميع أجزاء العالم فضلاً عن أعضاء بني آدم. وقد ورد «إن كل شيء سمع صوت المؤذن من رطب ويابس يشهد له يوم القيامة»، فهذه الشهادة من باب النطق لا عن علم وتعقل، فليحذر العبد عن شهادة الأعضاء، وكذا المكان والزمان.

وعن علاء بن زياد قال: ليس يوم يأتي من أيام الدنيا إلا يتكلم، ويقول: يا أيها الناس إني يوم جديد وأنا على ما يعمل في شهيد، وإني لو غربت شمسي لم أرجع إليكم إلى يوم القيامة.

قال الصائب: [غبار قابلة عمر جون نمايان نيست. دوا سبه رفتن ليل ونهار را درياب].

﴿وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم﴾. قوله: أن يشهد في موضع النصب بإسقاط الخافض؛ أي: من أن يشهد لأن استتر لا يتعدى بنفسه، أو في موضع الجر على تقدير المضاف؛ أي: مخافة أن يشهد ولا في الموضعين زائدة لتأكيد النفي. وهذه حكاية لما سيقال للأعداء يومئذٍ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريراً لجواب الجلود.

والمعنى: وما كنتم تستترون في الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة أن تشهد عليكم جوارحكم بذلك؛ لأنها كانت أجساماً صامتة غير ناطقة، ولم يكن في حسابكم ما استقبلكم كما كنتم تستترون من الناس بالحيطان والحجب وظلمة الليل مخافة الافتضاح عندهم، بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأساً فضلاً عن شهادة الأعضاء. وفيه تنبيه على أن المؤمن ينبغي أن يتحقق أن لا يمر عليه حال إلا وعليه رقيب، وأن الله معه أينما كان.

وفي الحديث: «أفضل إيمان المرء أن يعلم أن الله معه حيث كان». [يارباتست هر كجاهستى. جاى ديكر جه خواهى اى او باش. باتو در زيريك كليم جو اوست. بس برواى حريف خودرا باش]. فعلى العبد أن يحفظ نفسه ويحاسبها قبل أن تحاسب. قال البقلي في «عرائسه»: من باشر المعصية تظهر آثارها على جوارحه لا يقدر أن يسترها، ولو كان عالماً بنفسه يستغفر في السر عند الله حتى تضمحل آثارها، ولا يرى وجود تلك الآثار صاحب كل نظرة.

قال أبو عثمان رحمه الله: من لم يذكر في وقت مباشرته الذنوب شهادة جوارحه عليه يجترىء على الذنوب، ومن ذكر ذلك حين مباشرتها ربما تلحقه العصمة والتوفيق فيمنعانه عنها وفضوح الدنيا فالنار ولا العار. ﴿**ولكن ظننتم**﴾ عند استتاركم. ﴿**أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون**﴾ من القبائح المخفية، فلا يظهرها في الآخرة على تقدير وقوعها، ولذلك اجترأتم على ما فعلتم يشير إلى معتقد الفلاسفة الزنادقة، فإنهم يعتقدون أن الله لا يكون عالم الجزئيات، وفيه إيذان بأن شهادة الجوارح بإعلامه تعالى حينئذٍ، لا بأنها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم وأدخل الكثير لكونهم يزعمون أن الله يعلم ما يجهر به دون ما يسر.

عن ابن مسعود رضي الله عنه: كنت مستتراً بأستار الكعبة، فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشي أو قرشيان وثقفي كثير شحم بطونهم قليل فقه بطونهم. قيل: الثقفي عبد يا ليل والقرشيان ختناه ربيعة وصفوان بن أمية، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول: قال الآخر يسمع إن جهرنا، ولا يسمع إن أخفينا، فذكرت ذلك للنبي عليه السلام، فأنزل الله تعالى: ﴿**وما كنتم تستترون**﴾ إلخ. فالحكم المحكي حينئذٍ يكون خاصاً بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة، ولعل الأنسب أن يراد بالظن معنى مجازي يعم المعنى الحقيقي، وما جرى مجراه من الأعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخْلَدَهُۥ ۝٣﴾ [الهمزة: ٣]، فإن معناه يعمل عمل من يظن أن ماله يبقيه حياً، ليعم ما حكي من الحال جميع أصناف الكفرة، فتدبر كذا في «الإرشاد».

﴿**وذلكم**﴾: الظن أيها الأعداء، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿**ظنكم الذي ظننتم بربكم**﴾، وإلا فالله تعالى عالم بجميع الكليات والجزئيات؛ لأنه متجل بأسمائه وصفاته في جميع الموجودات، وهو خالق الأعمال وسائر الأعراض والجواهر والمطلع على البواطن والسرائر، كما على الظواهر والتغاير بين العنوانين أمر جلي لظهور إن ظن عدم علم الله غير الظن بالرب، فيصح أن يكون خبراً له. ﴿**أرداكم**﴾: خبر آخر له؛ أي: أهلككم وطرحكم في النار. ﴿**فأصبحتم**﴾؛ أي: صرتم بسبب ذلك الظن السوء الذي أهلككم. ﴿**من الخاسرين**﴾: [اززيا نكاران]. إذ صار ما منحوا السعادة الدارين من القوة العاقلة، والأعضاء سبباً لشقاء النشأتين إما كونها سبباً لشقاء الآخرة، فظاهر، وأما كونها سبباً لشقاء الدنيا، فمن حيث إنها كانت مفضية في حقهم بسوء اختيارهم إلى الجهل والمركب بالله سبحانه وصفاته واتباع الشهوات، وارتكاب المعاصي.

وفي «التأويلات النجمية»: من الخاسرين الذين خسروا بذر أرواحهم في أرض أجسادهم، بأن لم يصل إليه ماء الإيمان والعمل الصالح، ففسد حتى صاروا بوصف الأجساد صماً بكماً عمياً، فهم لا يعقلون.

وفي «بحر العلوم»: من الخاسرين؛ أي: الكاملين في الخسران حيث ظننتم بالله ظن السوء وسوء الظن بالله من أكبر الكبائر كحب الدنيا.

وقال الحسن رحمه الله: إن قوماً ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا، وما لهم حسنة يقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل. وتلا قوله تعالى ﴿**وذلكم ظنكم**﴾ الآية، فالظن اثنان ظن ينجي، وهو ما قارن حسن الاعتقاد، وصالح العمل وظن يردي، وهو ما لم يقارن ذلك، فلا بد من السعي: [درين دركاه سعى هيجكس ضايع نميكر دد. بقدر آنجة فرمان ميبرى فرمان روا كردى].

﴿فَإِن يَصْبِرُواْ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُواْ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾﴾

﴿**فإن يصبروا**﴾ في النار على العذاب وأمسكوا عن الاستغاثة والجزع مما هم فيه انتظاراً للفرج زاعمين أن الصبر مفتاح الفرج. ﴿**فالنار مثوى لهم**﴾؛ أي: محل ثواء وإقامة أبدت لهم بحيث لا خلاص لهم منها، فلا ينفعهم صبرهم والالتفات إلى الغيبة للإشعار بأبعدهم عن حيز الخطاب والإبقاء في غاية دركات النار. ﴿**وإن يستعتبوا**﴾؛ أي: يسألوا العتبى وهو الرجوع إلى ما يحبونه جزعاً مما هم فيه. ﴿**فما هم من المعتبين**﴾؛ أي: المجابين إلى العتبى، فيكون صبرهم وجزعهم سواء في أن شيئاً منهما لا يؤدي إلى الخلاص ونظيره قوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْنَآ أَجَزِعْنَآ أَمْ صَبَرْنَا مَا لَنَا مِن مَّحِيصٍ﴾ [إبراهيم: ٢١].

قال في «تاج المصادر»: الإعتاب: [خشنود كردن والاستعتاب از كسى حق خواستن كه تراخشنود كندو آشتى خواستن]. وفي «القاموس»: العتبى الرضى واستعتبه أعطاه العتبى كأعتبه وطلب إليه العتبى ضد.

وفي «المفردات»: أعتبته: أزلت عنه عتبه نحو: [اشكيته]. ومنه: ﴿**فما هم من المعتبين**﴾. والاستعتاب أن يطلب من الإنسان أن يذكر عتبه، فيعتب. والعتب: الشدة والأمر الكريه والغلظة التي يجدها الإنسان في نفسه على غيره.

﴿۞ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِۖ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿**وقيضنا لهم**﴾: التقييض: تقدير [كردن وسبب ساختن]؛ أي: قدرنا وقرنا للكفرة في الدنيا. ﴿**قرناء**﴾: جمع قرين؛ أي: أخداناً من شياطين الإنس والجن وأصدقاء يستولون عليه استيلاء القيض على البيض، وهو القشر الأعلى، وفيه حجة على القدرية، فإن هذا على التخلية بينهم وبين التوفيق لأجله صاروا قرناءهم، وهم لا يقولون بموجب الآية: ﴿**فزينوا لهم**﴾؛ أي: قرناؤهم ﴿**ما بين أيديهم**﴾ من أمور الدنيا واتباع الشهوات. ﴿**وما خلفهم**﴾ من أمور الآخرة حيث أروهم أن لا بعث ولا حساب ولا مكروه قط جعل أمر الدنيا بين أيديهم، كما يقال: قدمت المائدة بين أيديهم والآخرة، لما كانت تأتيهم بعد هذا جعلت خلفهم، كما يقال لمن يجيء بعد الشخش أنه خلفه.

وهذا هو الذي تقتضيه ملاحظة الترتيب الوجودي. وقيل: ما بين أيديهم الآخرة؛ لأنها قدامهم، وهم متوجهون إليها، وما خلفهم الدنيا؛ لأنهم يتركونها خلفهم.

وفي «عرائس البيان» زينت النفس الشهوات والشياطين التسويف والإمهال. وهذا ما بين

أيديهم وما خلفهم. قال الجنيد: لا تألف النفس الحق أبداً. وقال ابن عطاء: النفس قرين الشيطان، وإلفه ومتبعه فيما يشير إليه مفارق للحق مخالف له لا يألف الحق ولا يتبعه. قال الله تعالى: ﴿**وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم ما بين أيديهم**﴾ من طول الأمل وما خلفهم من نسيان الذنوب.

[در سر اين غافلان طول امل دانى كه جيست آشيان كردست مارى دركبو ترخانة].

﴿**وحق عليهم القول**﴾؛ أي: ثبت، وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقيق موجبها ومصداقها، وهي قوله: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنْهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٥﴾﴾ [ص: ٨٥] ونحوه: ﴿**في أمم**﴾: حال من الضمير المجرور؛ أي: كائنين في جملة أمم، وقيل: في بمعنى مع هذا كما ترى صريح في أن المراد بأعداء الله فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الأولين والآخرين، كما قيل: ﴿**قد خلت**﴾: صفة الأمم؛ أي: مضت ﴿**من قبلهم من الجن والإنس**﴾ على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء الكفار. ﴿**إنهم كانوا خاسرين**﴾: تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للأولين والآخرين. [زنقد معرفت امروز مفلس. زسود آخرت فردا تهى دست].

وفي «كشف الأسرار»: إذا أراد الله بعبد خيراً قيض له قرناء خير يعينونه على الطاعة ويدعونه إليها، وإذا أراد الله بعبد سوء قيض له أخدان سوء يحملونه على المخالفات، ويدعونه إليها، ومن ذلك الشيطان، فإنه مسلط على الإنسان بالوسوسة، وشر من ذلك النفس الأمارة بالسوء تدعو اليوم إلى ما فيه هلاكها وهلاك العبد وتشهد غداً عليه بما دعته إليه وأوحى إلى داود عليه السلام، عاد نفسك يا داود، فقد عزمت على معاداتك. ولهذا قال عليه السلام: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر». في الخبر: «من مقت نفسه في ذات الله، أمنه الله من عذاب يوم القيامة» قير أبو علي دقاق: [را قدس سره برسيد ندكه خويشين راجه كونه مى بينى كفت جنان مى بينم كه اكر نيجاه ساله عمر مرا بر طبقى نهندو كردهفت آسمان وهفت زمين بكردانند مرا از هيج ملك مقرب درآسان شرم نبايد داشت واز هيج آفريده در زمين حلالى نبايد خواست اى مرد بدين صفت كه شنيدى بوقت نزع كوزة آب بيش وى داشتند كفتند در حرارت جان داد جكر را تبريدى بده كفت هنكام آن نيست كه اين دشمن اصلى را واين نفس ناكسى را شربتى سازم نبايدكه جون قوت يابد دمار از من بر آرد. نفس ازدرهاست اوكى مرده است. از غم بى آلتى افسر ده است. كربيابد آلتى فرعون او. كه بامر او همى رفعت آب جو. آنكه او بنياد فرعونى كند. راه صد موسى وصد هارون زند].

وإذا كانت النفس بهذه الشقاوة والخسارة، فلا بد من إصلاحها وتزكيتها لئلا يحق عليها القول، وتدخل النار مع الداخلين وأصل الخسارة إفساد الاستعداد الفطري كإفساد بعض الأسباب البيضة، فإنها إذا فسدت لم ينتفع بها. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الرابحين لا من الخاسرين، وأن يكون عوناً لنا على النفس وإبليس وسائر الشياطين.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿**وقال الذين كفروا**﴾ من رؤساء المشركين لأعقابهم وأشقيائهم، أو قال بعضهم لبعض.

﴿لا تسمعوا﴾ : [مشنويد وكوش منهيد] ﴿لهذا القرآن﴾ لسماعه. ﴿والغوا فيه﴾ : اللغو من الكلام ما لا يعتد به، وهو الذي لا عن روية وفكر، فيجري مجرى اللغاء، وهو صوت العصافير ونحوها من الطيور؛ أي: ائتوا فيه بالباطل من الكلام الذي لا طائل تحته وعارضوه بالخرافات، وهي الهذيان. والأحاديث التي لا أصل لها مثل قصة رستم واسفنديار وبإنشاء الأرجاز والأشعار، وبالتصدية والمكاء؛ أي: التصفيق والصفير، وارفعوا أصواتكم بها لتشوشوا على القارىء، فيختلط عليه ما يقرأه.

﴿لعلكم تغلبون﴾ ؛ أي: تغلبونه على قراءته، فيترك القراءة، ولا يتمكن السامع أيضاً من سماعه أرادوا بذلك التلبيس والتشويش الأذية. وأيضاً: خافوا من أنه لو سمعه الناس لآمنوا به. وكان ذلك غالباً شأن أبي جهل وأصحابه. وفيه إشارة إلى أن من شأن النفوس المتمردة إنشاء اللغو والباطل، وحديث النفس على الدوام اشتغالاً للقلوب بها عن استماع الإلهامات الربانية لعلها تغلب عليها، ولم تعلم أن من استغرق في سماع أسرار الغيب، فليس له عما سوى الله خبر، ولا لحديث النفس فيه أثر.

﴿فلنذيقن الذين كفروا﴾ ؛ أي: فوالله لنذيقن هؤلاء القائلين واللاغين، أو جميع الكفرة، وهم داخلون فيهم دخولاً أولياً. ﴿عذاباً شديداً﴾ ، لا يقادر قدره كما دل التنكير والوصف، وهذا تهديد شديد؛ لأن لفظ الذوق إنما يذكر في القدر القليل يؤتى به؛ لأجل التجربة. وإذا كان ذلك الذوق، وهو قدر قليل عذاباً شديداً، فقس عليه ما بعده. وفيه إشارة إلى أن الله تعالى إذا تجلى للقلوب احترقت النفوس بالفناء عن أوصافها، وهو عذابها، فكانت كأهل الجزية والخراج في أرض الإسلام، فكما كان أهل الإيمان في سلامة من أذاهم، فكذا القلوب مع النفوس إذ لا كفر واعتراض مع الإيمان والتسليم. ﴿ولنجزينهم أسوأ الذي كانوا يعملون﴾ ؛ أي: جزاء سيئات أعمالهم التي هي في أنفسها أسوأ، فإذا كانت أعمالهم أسوأ كان جزاؤها كذلك، فالأسوأ قصد به الزيادة المطلقة، وإنما أضيف إلى ما عملوا للبيان، والتخصيص.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: عذاباً شديداً يوم بدر وأسوأ الذي كانوا يعملون في الآخرة. ﴿ذلك﴾ المذكور من الجزاء، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿جزاء أعداء الله﴾ ؛ أي: جزاء معد لأعدائه﴿النار﴾ عطف بيان للجزاء، أو ذلك خبر مبتدأ محذوف؛ أي: الأمر ذلك على أنه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبنية لما قبلها، أو النار مبتدأ خبره.

قوله: ﴿لهم فيها دار الخلد﴾ ؛ أي: هي بعينها دار إقامتهم لا انتقال لهم. منها: على أن في للتجريد لا للظرفية، وهو أن ينتزع من أمر ذي صفة أمر آخر مثله مبالغة لكماله فيها، كما يقال في البيضة عشرون منا من حديد. وقيل: هي على معناها؛ أي: للظرفية. والمراد: أن لهم في النار المشتملة على الدركات دار مخصوصة هم فيها خالدون.

﴿جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون﴾ : منصوب بفعل مقدر؛ أي: يجزون جزاء. والباء الأولى متعلقة بجزاء. والثانية بيجحدون. وقدمت عليه لمراعاة الفواصل؛ أي: بسبب ما كانوا يجحدون بآياتنا الحقة أو يلغون فيها وذكر الجحود لكونه سبباً للغو.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿وقال الذين كفروا﴾ : وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب. ﴿ربنا أرنا الذين أضلانا من

﴿الجن والإنس﴾؛ أي: أرنا الشيطانين اللذين حملانا على الضلال بالتسويل والتزيين من نوعي الجن والإنس؛ لأن الشيطان بين جني وإنسي بدليل قوله: شياطين الإنس والجن.

وقوله: من الجنة والناس. ويقال: أحدهما قابيل بن آدم سنّ القتل بغير حق، والذي من الجن إبليس سن الكفر والشرك، فيكون معنى أضلانا: سنا لنا الكفر والمعصية كما في «عين المعاني». ويشهد لهذا القول الحديث المرفوع «ما من مسلم يقتل ظلماً إلا كان على ابن آدم كفل من دمه؛ لأنه أول من سن القتل». أخرجه الترمذي.

ويروى أن قابيل شدت ساقاه بفخذيه يدور مع الشمس حيث دارت يكون في الشتاء في حظيرة ثلج. وفي الصيف في حظيرة نار. **﴿نجعلهما تحت أقدامنا﴾**؛ أي: ندسهما انتقاماً منهما **﴿ليكونا من الأسفلين﴾**؛ أي: ذلاً ومهانة، أو نجعلهما في الدرك الأسفل من النار تشفياً منهما بذلك، ليكونا من الأسفلين مكاناً وأشد عذاباً منا.

وفي الآية إشارة إلى أن النفوس إذا فنيت عن أوصافها بنار أنوار التجلي وذاقت حلاوة القرب تلتمس من ربها إطلاعها على بقايا الأوصاف الشيطانية والحيوانية التي جبلت النفوس عليها ليمكنها منها، فتجعلها تحت أقدام همتها بإفنائها، فتعلو بها إلى مقامات القرب ليكونا من الأسفلين، وتكون من الأعلون. وهذا إنما يكون في الترقي من مقام إلى مقام إذ بقية المقام الأدنى لا تزول إلا بالترقي إلى المقام الأعلى. وهكذا إلى نهاية المقامات فعلى العبد أن يجتهد، حتى يخرج من الدنيا مع فناء النفس لا مع بقائها؛ فإنه إذا خرج منها بالفناء خلص من الجزع وإلا وقع فيه كما وقع الكفرة، ولا فائدة في الجزع يوم القيامة.

وفي الآية تنبيه على أن الأخلاء يومئذٍ أعداء، فالخليل للمؤمن في الدارين ليس إلا الله. وكان رجل له حبيب فتوفي، فجزع عليه جزعاً شديداً حتى صار مجنوناً، فذكر حاله لأبي يزيد البسطامي قدس سره، فأتى إليه وهو مقيد في دار المرضى، فقال له أبو يزيد: يا هذا غلطت في الابتداء حيث أحببت الحي الذي يموت، وهلا أحببت الحي الذي لا يموت فأفاق المجنون من جنونه وأقبل على عبادة الله حتى صار من جملة الكبراء. وفي المثنوي:

جون زعلت وارهيدى اى رهين	سر كه رابكذار وميخور انكبين
تخت دل معمور شد باك ازهوا	بروى الرحمن على العرش استوى
حكم بردل بعد ازين بى واسطه	حق كند جون يافت دل اين رابطه

يشير إلى أنه لا بد من رياضة النفس إلى أن تتخلص من العلة، فما دامت العلة فلتقنع بالخل، فإذا ذهبت فقد حكم عليها القلب، وليس شأنه إلا إبقاء الحلاوة وإطعام اللذائذ، بل لو طهر السر عما سوى الله استوى الرحمٰن على عرش القلب، فكان دوران العبد مع الله في كل حال، فلا يجد إلا الحضور والسكون نسأل الله ذلك الفوز العظيم.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِىٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿إن الذين قالوا ربنا الله﴾. اعترافاً بربوبيته وإقراراً بوحدانيته فربنا الله من باب صديقي زيد يفيد الحصر.

﴿ثم استقاموا﴾: أي ثبتوا على الإقرار بقولهم: ربنا الله ومقتضياته بأن لا تزل قدمهم عن طريق العبودية قلباً وقالباً، ولا تتخطاه. وفيه يندرج كل العبادات والاعتقادات بصفة الدوام إلى وقت الوفاة، فثم للتراخي في الزمان، أو في الرتبة، فإن الاستقامة لها الشأن كله، يعني: المنتهى، وهي الاستقامة لكونه مقصوداً أعلى حالاً من المبدأ، وهو الإقرار واستقامة الإنسان لزومه للمنهج المستقيم. وما روي عن الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم في معناها من الثبات على الإيمان، كما روي عن عمر رضي الله عنه ومن إخلاص العمل، كما روي عن عثمان رضي الله عنه. ومن أداء الفرائض كما روي عن علي رضي الله عنه، فبيان لجزئياتها. أنس بن مالك رضي الله عنه: [كفت آن روزكه اين آيت فرود آمد رسول خدا شاد شد وازشادى كفت امتى ورب الكعبة].

وذلك لأن اليهود والنصارى لم تستقم على دينهم حتى قالوا: عزير ابن الله والمسيح ابن الله ونحو ذلك. وكفروا بنبوة رسول الله عليه السلام، ومن الاستقامة أن لا يرى المرء النفع والضر إلا من الله، ولا يرجو من أحد دون الله، ولا يخاف أحداً غيره.

وعن سفيان بن عبد الله الثقفي رضي الله عنه قلت: يا رسول الله أخبرني بأمر أعتصم به. قال: «قل ربي الله، ثم استقم». قال: قلت: ما أخوف ما يخاف عليّ. فأخذ رسول الله بلسان نفسه، وقال: «هذا»، وكان الحسن إذا تلا هذه الآية. قال: اللهم أنت ربنا فارزقنا الاستقامة.

صاحب «كشف الأسرار»: [فرمودكه ربنا الله عبارت از توحيد اقرارست كه عائد مؤمنان راست ثم استقاموا اشارت بتوحيد معرفت كه عارفان وصديقان راست توحيد اقرار آنست كه الله رايكتا كويى وتوحيد معرفت آنست كه اورا يكستا شناسى يعنى از همه جهت بوحدت او بينا كردى با آنكه در عالم وحدت جهت نيست. نى جهت مى كنجدا ينجا نى صفت. نى تفكرنى بيان نى معرفت. آتشى از سروحدت برفروخت. غير واحد هرجه بيش آمد بسوخت. أبو يزيد بسطامي قدس سره وقتى برمقام علم ايستاده بود از توحيد اقرار نشان ميداد مريدى كت اى شيخ خدايرا شناسى كفت در كل عالم خود كسى باشدكه خدايرا ننشناسد ياندانل وقتى ديكر غريق بحر توحيد معرفت بود وحريق نار محبت اوراكفتند خدايرا شناسى كفت من كه باشم كه اوراشناسم ودر كل عالم خود كسى باشدكه اوراشناسد. در عشق تومن كيم كه در منزل من. از وصل رخت كلى دمدبر كل من، بير طريقت كفت صحبت باحق دوحر فست اجابت واستقامت اجابت عهدست استقامت وفا اجابت شريعت است واستقامت حقيقت درك شريعت هز ارسال بساعتى در توان يافت ودرك حقيقت ساعتى بهزار سال درنتوان يافت].

وفي «التأويلات النجمية»: تشير الآية إلى يوم الميثاق لما خوطبوا بقوله: ألست بربكم. قالوا: بلى؛ أي: ربنا الله، وهم الذريات المستخرجة من ظهر آدم عليه السلام أقروا بربوبيته، ثم استقاموا على إقرارهم بالربوبية ثابتين على أقدام العبودية لما أخرجوا إلى عالم الصورة، ولهذا ذكر بلفظ، ثم لأنه للتراخي، فأقروا في عالم الأرواح، ثم استقاموا في عالم الأشباح، وهم المؤمنون بخلاف المنافقين والكافرين؛ فإنهم أقروا، ولم يستقيموا على ذلك، فاستقامة العوام في الظاهر بالأوامر والنواهي. وفي الباطن بالإيمان والتصديق، واستقامة الخواص في الظاهر بالتجريد عن الدنيا وترك زينتها وشهواتها. وفي الباطن بالتفريد عن نعيم الجنان شوقاً إلى لقاء الرحمٰن، وطلب العرفان واستقامة الأخص في الظاهر برعاية حقوق المتابعة على وفق المبايعة بتسليم النفس والمال.

وفي الباطن بالتوحيد في استهلاك الناسوتية في اللاهوتية ليستقيم بالله مع الله فانياً عن الأنانية باقياً بالهوية بلا أرب من المحبوب مكتفياً عن عطائه ببقائه، ومن مقتضى جوده بدوام فنائه في وجوده. **﴿تتنزل عليهم الملائكة﴾** من جهته تعالى يمدونهم فيما يعرض لهم من الأمور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم، ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الإلهام كما أن الكفرة يمدهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح. وكذا تتنزل عند الموت بالبشرى. وفي القبر وعند البعث إذا قاموا من قبورهم **﴿أن﴾** مفسرة بمعنى؛ أي: أو مخففة من الثقيلة. والأصل بأنه والهاء ضمير الشأن؛ أي: يتنزلون ملتبسين بهذه البشارة، وهي **﴿لا تخافوا﴾** ما تقدمون عليه من أمر الآخرة، فلا ترون مكروهاً؛ فإن الخوف غم يلحق لتوقع المكروه. **﴿ولا تحزنوا﴾** على ما خلفتم من أهل وولد؛ فإنه تعالى يخلفكم عليهم بخير ويعطيكم في الجنة أكثر من ذلك وأحسن، ويجمع بينكم وبين أهاليكم وأولادكم المسلمين في الجنة، فإن الحزن غم يلحق من فوات نافع، أو حصول ضار.

وفي «التأويلات النجمية»: الخوف إنما يكون في المستقبل من الوقت، وهو بحلول مكروه، أو فوات محبوب، والملائكة يبشرونهم بأن كل مطلوب لهم سيكون، وكل محذور لهم لا يكون، والحزن من حزونة الوقت والذي هو راضٍ بجميع ما يجري مستسلم للأحكام الأزلية، فلا حزونة في عيشه، بل من يكون قائماً بالله وهائماً في الله دائماً مع الله لا يدركه الخوف والحزن والملائكة يبشرونهم أن لا تخافوا ولا تحزنوا على فوات العناية في السابقة.

﴿وأبشروا﴾؛ أي: سروا. وبالفارسية: [شاد شويد فان الا بشار شادشدن]. **﴿بالجنة التي كنتم توعدون﴾** في الدنيا على ألسنة الرسل هذا من بشارتهم في أحد المواطن الثلاثة. وعن ثابت: بلغنا إذا انشقت الأرض يوم القيامة ينظر المؤمن إلى حافظيه قائمين على رأسه يقولان له: لا تخف ولا تحزن وأبشر بالجنة الموعودة وإنك سترى اليوم أموراً لن ترى مثلها، فلا تهولنك، فإنما يراد بها غيرك.

وفي «التأويلات النجمية»: وأبشروا بجنة الوصلة، فإن الوعد صار نقداً، فما بقي الوعد والوعيد. وما هو إلا عيد في القيد فأوعد الله للعوام من جميع الثواب للخواص من حسن المآب نقد لأخص الخواص من أولي الألباب (ع): [جنت نقدست انيجا حالت ذوق وحضور]. ويقال: لا تخافوا من عزل الولاية ولا تحزنوا على ما أسلفتم من الجناية وأبشروا بحسن العناية في البداية لا تخافوا فطالما كنتم من الخائفين، ولا تحزنوا فقد كنتم من العارفين وأبشروا بالجنة فلنعم أجر العاملين.

[فردا هر جه شرايعست همه را قلم نسخ در كشند نماز وروزه حج وجهاد روا باشدكه بيايان رسد ومنسوخ شود اما عقد محبت وعهد معرفت هر كز نشايدكه منسوخ شود جون در بهشت روى هر روزى كه برتو بكزرد از شناخت حق سبحانه وتعالى برتو عالمى كشاده شودكه بيش ازان نبوده اين كاريست كه هركز بسرنيايد ومباداكه بسر آيد. تامن بريم بيشه وكارم اينست. آرام وقرار وغمكسارم اينست. روزم اينست وروز كارم اينست. جوينده صيدم وشكارم اينست].

قال البقلي قدس سره: عجبت ممن استقام مع الله في مشاهدته وإدراك جماله كيف يطيق الملائكة أن يبشروه أين الملك والفلك بين الحبيب والمحب، وليس وراء بشارة الحق بشارة،

فإن بشارة الحق سمعوها قبل بشارة الملائكة بقوله: ﴿أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾﴾ [يونس: ٦٢] ليس لهم خوف القطيعة ولا حزن الحجاب، وهم في مشاهدة الجبار. وقول الملائكة ها هنا معهم تشريف لهم؛ لأنهم يحتاجون إلى مخاطبة القوم، وهم أحباؤنا في نسب المعرفة وخدامنا من حيث الحقيقة ألا ترى كيف سجدوا لأبينا.

﴿**نحن أولياؤكم في الحياة الدنيا**﴾. إلخ. من بشاراتهم في الدنيا؛ أي: أعوانكم في أموركم نلهمكم الحق ونرشدكم إلى ما فيه خيركم وصلاحكم بدل ما كانت الشياطين تفعل بالفكرة. ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من أن ذلك بتوفيق الله وتأييده لهم بواسطة الملائكة.

قال جعفر رضي الله عنه: من لاحظ في أعماله الثواب والأغراض كانت الملائكة أولياءه، ومن عملها على مشاهدته تعالى، فهو وليه؛ لأنه يقول: ﴿ٱللَّهُ وَلِيُّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البقرة: ٢٥٧]. ﴿**وفي الآخرة**﴾: نمدكم بالشفاعة ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادي والتخاصم.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى ولاية الرحمة للعوام وولاية النصرة للخواص وولاية المحبة لأخص الخواص فبولاية الرحمة للعوام في الحياة الدنيا يوفقهم لإقامة الشريعة. وفي الآخرة يجازيهم بالجنة وبولاية النصرة للخواص في الحياة الدنيا يسلطهم على أعدى عدوهم، وهو نفسهم الأمارة بالسوء ليجعلوها مزكاة من أخلاقها الذميمة وأوصافها الدنيئة، وفي الآخرة بجذبة ارجعي إلى ربك، وبولاية المحبة لأخص الخواص في الحياة الدنيا يفتح عليهم أبواب المشاهدات والمكاشفات. وفي الآخرة يجعلهم من أهل القربات والمعاينات. ومن ولاية الله تعالى عفو الزلل، فإن الزلل لا يزاحم الأزل.

أبو يزيد بسطامي قدس سره: [در راهى ميرفت او از جمعى بكوش رى رسيد خواست كه آن حال باز داند فرا رسيدكه كودكى را ديد در كل سياه افتاده وخلقى بنظاره ايستاده ناكاه مادر آن كودك از كوشه در دويد وخودرا درميان كل افكند وآن كودك رابر كرفت وبرفت ابو يزيد جون آن بديد وقتش خوش كشت نعرة بزد ايستاده وميكفت شفقت بيامد آلايش ببرد ومحبت بيامد معصيت ببرد وعنايت بيامد جنايت] ببرد العذر عندي لك مبسوط والذنب على مثلك محطوط.

قال الحافظ: [ببوش دامن عفوى بذلت من مست، كه آب روى شريعت بدين قدر نرود]. ﴿**ولكم**﴾ لا لغيركم من الأعداء. ﴿**فيها**﴾؛ أي: في الآخرة. ﴿**ما تشتهي أنفسكم**﴾ من فنون اللذائذ. ﴿**ولكم فيها ما تدعون**﴾ ما تتمنون. وبالفارسية: [هرجه شما آرزو خواهيد]. افتعال من الدعاء بمعنى الطلب، وهو أعم من الأول إذ لا يلزم أن يكون كل مطلوب مشتهى كالفضائل العلمية، وإن كان الأول أعم أيضاً من وجه بحسب حال الدنيا، فالمريض لا يزيد ما يشتهيه ويضر مرضه إلا أن يقال التمني أعم من الإرادة وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهي بأن يقول، وما تدعون للإشباع في البشارة والإيذان باستقلال كل منهما. ﴿**نزلاً**﴾ رزقاً كائناً. ﴿**من غفور**﴾ للذنوب العظام مبدل للسيئات بالحسنات. ﴿**رحيم**﴾ بالمؤمنين من أهل الطاعات بزيادة الدرجات والقربات قوله: نزلا حال مما تدعون؛ أي: من الموصول، أو من ضميره المحذوف؛ أي: ما تدعونه مفيدة، لكون ما يتمنونه بالنسبة إلى ما يعطون من عظائم

الأمور كالنزل، وهو ما يهيأ للنزيل؛ أي: الضيف من الرزق؛ كأنه قيل: وثبت لكم فيها الذي تدعونه حال كونه كالنزل للضيف، وأما أصل كرامتكم، فمما لا يخطر ببالكم فضلاً عن الاشتهاء، أو التمني.

وفي «التأويلات النجمية» نزلاً؛ أي: فضلاً وعطاء وتقدمة لما سيدوم إلى الأزل من فنون الأعطاف وأصناف الألطاف. وذلك لأن عطاء الله تعالى يتجدد في كل آن خصوصاً لأهل الاستقامة من أكامل الإنسان ويظهر في كل وقت وموطن ما لم يظهر قبله وفي غيره ويكون ما في الماضي كالنزل لما يظهر في الحال، ومن هنا قالوا: ما ازداد القوم شرباً إلا ازدادوا عطشاً. وذلك لأنه لا نهاية للسير إلى الله في الدنيا والآخرة. وفي المثنوي:

هركه جز ما هى زآبش سيرشد ... هركه بى روزيست روزش ديرشد

وفيه إشارة إلى أن بعض الناس لا نصيب له من العشق والذوق والتجلي ويومه ينقضي بالهموم وتطول حسرته، ولذلك كان يوم القيامة خمسين ألف سنة. قال ابن الفارض في آخر القصيدة الخمرية: على نفسه فليبك من ضاع عمره. وليس له منها نصيب ولا سهم. قال الصائب: [ازين جه سودكه دركلستان وطن دارم. مراكه عمر جونر كس بخواب ميكذرد]. ومن الناس من له نصيب من هذا الأمر لكن لا على وجه الكمال، ومنهم من لم يحصل له الري أصلاً، وهو حال الكمال.

حكي أن يحيى بن معاذ الرازي رضي الله عنه: كتب إلى أبي يزيد البسطامي قدس سره سكرت من كثرة ما شربت من كأس حبه فكتب إليه أبو يزيد:

شربت الحب كأساً بعد كأس ... فما نفد الشراب ولا رويت

أشار إلى أن حصول الري إنما هو للضعفاء، وأما الأقوياء، فإنهم يقولون: هل من مزيد ولو شربوا سبعة أبحر جعلنا الله، وإياك هكذا من فضله.

﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾﴾.

﴿ومن﴾ استفهام. والمعنى بالفارسية: [وكيست]. **﴿أحسن﴾** نيكوتر **﴿قولا﴾**: [از جهت سخن]. **﴿مما دعا إلى الله﴾**؛ أي: إلى توحيده وطاعته. **﴿وعمل صالحاً﴾** فيما بينه وبين ربه. **﴿وقال إنني من المسلمين﴾** ابتهاجاً بأنه منهم، أو اتخاذاً للإسلام ديناً ونحلة إذ لا يقبل طاعة بغير دين الإسلام من قولهم هذا قول فلان؛ أي: مذهبه لا أنه تكلم بذلك. وفيه رد على من يقول: أنا مسلم إن شاء الله، فإنه تعالى قال مطلقاً غير مقيد بشرط إن شاء الله. وقال علماء الكلام: إن قاله للشك، فهو كفر لا محالة، وإن كان للتأدب مع الله وإحالة الأمور إلى مشيئة الله أو للشك في العاقبة والمآل لا في الآن. والحال وللتبرك بذكر الله، أو التبري من تزكية نفسه والإعجاب بحاله، فجائز، لكن الأولى تركه لما أنه يوهم الشك وحكم الآية عام لكل من جمع ما فيها من الخصال الحميدة التي هي الدعوة والعمل والقول، وإن نزلت في رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، أو في أصحابه رضي الله عنهم، أو في المؤذنين؛ فإنهم يدعون الناس إلى الصلاة، فإن قلت السورة بكاملها مكية بلا خلاف الآذان إنما شرع بالمدينة قلت: يجعل من باب ما تأخر حكمه عن نزوله، وكم في القرآن منه، وإليه ذهب بعض الحفاظ كابن حجر وغيره. اعلم أن للدعوة مراتب، الأولى: دعوة «الأنبياء» عليهم السلام، فإنهم

يدعون إلى الله بالمعجزات والبراهين وبالسيف.

وفي «التأويلات النجمية»: تشير الآية إلى أن أحسن قول قاله الأنبياء والأولياء قولهم بدعوة الخلق إلى الله، وكان عليه السلام مخصوصاً بهذه الدعوة كما قال تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَـٰكَ شَـٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَـذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤٥-٤٦]، وهو أن يكتفي بالله من الله لم يطلب منه غيره:

خلاف طريقت بود كاوليا تمنا كنند از خدا جز خدا

وقال وعمل صالحاً؛ أي: كما يدعو الخلق إلى الله يأتي بما يدعوهم إليه يعني: سلكوا طريق الله إلى أن وصلوا إلى الله وصولاً بلا اتصال ولا انفصال فبسلوكهم ومناراتهم عرفوا الطريق إلى الله، ثم دعوا بعد ما عرفوا الطريق إليه الخلق إلى الله. **﴿وقال إنني من المسلمين﴾** لحكمه الراضين بقضائه وتقديره. والمرتبة الثانية: دعوة العلماء؛ فإنهم يدعون إلى الله تعالى بالحجج والبراهين فقط.

قال الكاشفي: إمام أبو الليث: [فرموده كه مراد يعنى از آيت مذكورة علما اندكه معالم دين بمردم آموزند وعمل صالح ايشان آنست كه هرجه دانند بدان كار كنند بامحتسبا نندكه قواعد امر معروف ونهى منكررا تمهيد دهند وعمل صالح ايشان صبر وتحمل است بر آنجه بديشان رسد از مكاره].

ثم إن العلماء ثلاثة أقسام: عالم بالله غير عالم بأمر الله وعالم بأمر الله غير عالم بالله وعالم بالله وبأمر الله. أما الأول: فهو عبد استولت المعرفة الإلٰهية على قلبه، فصار مستغرقاً في مشاهدة الجلال وصفات الكبرياء، فلا يتفرغ لتعلم علم الأحكام إلا قدر ما لا بد له. وأما الثاني: فهم الذين عرفوا الحلال والحرام ودقائق الأحكام، ولكنهم لا يعرفون أسرار جلال الله وجماله. أما مع الإقرار بأصحاب هذا الشأن، أو بإنكارهم. والثاني: ليس من عداد العلماء، وأما العالم بالله وبأحكامه، فهم الجامعون لفضائل القسمين الأولين، وهم تارة مع الله بالحب والإرادة وتارة مع الخلق بالشفقة والرحمة، فإذا رجعوا إلى الخلق صاروا معهم كواحد منهم؛ كأنهم لا يعرفون الله وإذا خلوا مع ربهم صاروا مشتغلين بذكره؛ كأنهم لا يعرفون الخلق. وهذا سبيل المرسلين والصديقين، فالعارف يدعو الخلق إلى الله ويذكر لهم شمائل القدم ويعرفهم صفات الحق وجلال ذاته، ويحبب الله في قلوبهم، ثم يقول بعد كماله وتمكينه إنني واحد من المسلمين من تواضعه ولطف حاله:

از زنك كبر آينة خويش ساده كن درزير با نظر كن وحج بياده كن

والمرتبة الثالثة: الدعوة بالسيف، وهي للملوك؛ فإنهم يجاهدون الكفار حتى يدخلون في دين الله وطاعته، فالعلماء خلف الأنبياء في عالم الأرواح والملوك خلف الأنبياء في عالم الأجسام.

والمرتبة الرابعة: دعوة المؤذنين إلى الصلاة، وهي أضعف مراتب الدعوة إلى الله، وذلك أن ذكر كلمات الأذان، وإن كان دعوة إلى الصلاة لكنهم يذكرون تلك الألفاظ الشريفة بحيث لا يحيطون بمعناها، ولا يقصدون الدعوة إلى الله، فإذا لم يلتفتوا إلى مال الوقف وراعوا شرائط الأذان ظاهراً وباطناً وقصدوا بذلك مقصداً صحيحاً، كانوا كغيرهم من أهل الدعوة. [فضيل رفيده كفت مؤذن بودم در روزكار أصحاب رضي الله عنهم عبد الله بن مسعود

وعاصم بن هبيرة مراكفت جون زبانك نماز فارغ شوى بكو وأنا من المسلمين نبينى كه رب العالمين كفت].

وقال: «إنني أول المسلمين». وفي الحديث: «الملك في قريش والقضاء للأنصار والأذان للحبشة». وفيه مدح لبلال الحبشي رضي الله عنه. وكذا في الآية تعظيم لشأنه خصوصاً؛ لأنه مؤذن الداعي إلى الله على بصيرة، وهو المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم. صاحب «عين المعاني»: [آورده كه جون بلال بانك نماز آغاز كردى يهود كفتندى كلاغ ندامى كند وبنماز ميخواند وسخنان بيهوده برزبان ايشان كذشتى اين آيت نازل شد وبر تقديرى كه مؤذنان باشند عمل صالح ايشان آنست درميان اذان واقامت دو ركعت نماز كذا رند].

قال عمر رضي الله عنه: لو كنت مؤذناً ما باليت أن لا أحج ولا أجاهد ولا أعتمر بعد حجة الإسلام. صاحب «كشف الأسرار»: [فرموده كه حق جل وعلا مؤذنان امت احمد بنج كرامت كرده]. حسن الثناء وكمال العطاء ومقارنة الشهداء ومرافقة الأنبياء والخلاص من دار الشقاء. [كرامت أول ثناء جميل است وسند خداوند كريم كه در حق مؤذن ميكويد]. ومن أحسن قولاً. إلخ. [أحسن بر لفظ مبالغت كفت همجنانكه تعظيم قرآنرا كفت الله نزل أحسن الحديث قرآن أحسن الآيات است وبانك نماز احسن الكلمات زيرا درو تكبير وتعظيم وإثبات وحدانيت خداوند أعلى وإثبات نبوت مصطفى].

وفي الخبر: «من كثرت ذنوبه، فليؤذن بالأسحار» عمر بن الخطاب رضي الله عنه. [كفت يا رصول الله اين وقت سحررا باين معنى جه خاصيت است كفت]. والذي بعث بالحق محمداً إن النصارى إذا ضربت نواقيسها في أديارها فيثقل العرش على مناكب حملة العرش، فيتوقعون المؤذنين من أمتي، فإذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر. خف العرش على مناكب حملة العرش.

قال الإمام السيوطي رحمه الله: أول ما حدث التسبيح بالأسحار على المنابر في زمن موسى عليه السلام حين كان بالتيه واستمر بعده إلى أن كان زمن داود عليه السلام وبنى بيت المقدس فرتب فيه عدة يقومون بذلك البيت على الآلات وبغيره بلا آلات من الثلث الأخير من الليل إلى الفجر إلى أن خرب بيت المقدس بعد قتل يحيى عليه السلام. وقام اليهود على عيسى عليه السلام، فبطل ذلك في جملة ما بطل من شرائع بني إسرائيل. وأما في هذه الملة المحمدية، فكان ابتداء عمله بمصر. وسببه أن مسلمة بن مخلد الصحابي رضي الله عنه بنى وهو أمير مصر مناراً بجامع عمرو واعتكف فيه، فسمع أصوات النواقيس عالية، فشكا ذلك إلى شرحبيل بن عامر عريف المؤذنين، فقال إني أمد الأذان من نصف الليل إلى قرب الفجر؛ فإنهم لا ينقسون إذا أذنت، ففعل ثم لما كان أحمد بن طولون رتب جماعة نوباً يكبرون ويسبحون ويحمدون ويقولون قصائد زهدية، وجعل لهم أرزاقاً واسعة، ومن ثمة اتخذ الناس قيام المؤذنين في الليل على المنابر، فلما ولي السلطان صلاح الدين بن أيوب أمر المؤذنين في وقت التسبيح أن يعلنوا بذكر العقيدة الأشعرية، فواظب المؤذنون على ذكرها كل ليلة إلى وقتنا هذا، انتهى.

يقول الفقير: آل الأمر في زمننا هذا في بلاد الروم إلى أن السلاطين من ضعف حالهم في الدين صاروا مغلوبين، فانتقل كثير من البلاد الإسلامية إلى أهل الحرب، فجعلوا المساجد

كنائس والمنارات مواضع النواقيس، ولما كان الناس على دين ملوكهم صار الأمر في البلاد الباقية في أيدي المسلمين إلى الوهن والهدم، بحيث تخربت بعض المحلات بالكلية مع المساجد الواقعة فيها، وتعطل بعضها عن العمار من المسلمين بسبب توطن أهل الذمة فيها، وبقيت المساجد بينهم غريبة، فتعالوا نبك على غربة هذا الدين، وأما كمال العطاء، فما روي أن النبي عليه السلام قال: «المؤذنون أمناء المؤمنين على صلاتهم وصيامهم ولحومهم ودمائهم لا يسألون الله شيئاً إلا أعطاهم، ولا يشفعون بشيء إلا شفعوا فيه».

قال: «ويغفر للمؤذن مدى صوته يعني: [آمر زيده ميشويد مؤذن بمقدار آنكه اوازوى رسد]. ويشهد له كل شيء سمع صوته من شجر أو حجر، أو مدر أو رطب، أو يابس، ويكتب للمؤذن بكل إنسان صلى معه في ذلك المسجد مثل حسناته، وأما مقارنة الشهداء، فما روي أن النبي عليه السلام قال: «من أذن في سبيلِ الله إيماناً واحتساباً جمع بينه وبين الشهداء في الجنة» وأما مرافقة الأنبياء، فما روي: أن رجلاً جاء إلى النبي عليه السلام، فقال: يا رسول الله من أول الناس دخولاً الجنة، قال: «الأنبياء». قال: ثم من؟، قال: «الشهداء». قال: ثم من؟ قال: «مؤذنو مسجدي هذا. قال: ثم من؟. قال: سائر المؤذنين على قدر أعمالهم». وقال عليه السلام: «من أذن عشرين سنة متوالية أسكنه الله تعالى مع إبراهيم عليه السلام في الجنة وأما الخلاص من دار الأشقياء. فما روي أن النبي عليه السلام قال: «إذا قال المؤذن الله أكبر الله أكبر أغلقت أبواب النيران السبعة»، وإذا قال: «أشهد أن لا إلٰه إلا الله فتحت أبواب الجنة الثمانية، وإذا قال: أشهد أن محمداً رسول الله أشرفت عليه الحور العين». وإذا قال: «حي على الصلاة تدلت ثمار الجنة، وإذا قال: حي على الفلاح قالت الملائكة أفلحت وأفلح من أجابك، وإذا قال: الله أكبر الله أكبر، قالت الملائكة: كبرت كبيراً وعظمت عظيماً، وإذا قال: لا إلٰه إلا الله قال الله تعالى: حرمت بدنك وبدن من أجابك على النار».

وفي الحديث: «المؤذنون أطول الناس أعناقاً يوم القيامة»؛ أي: يكونون سادات وأكثر الناس ثواباً، أو جماعات، أو رجاء؛ لأن من رجا شيئاً أطال إليه عنقه، والناس حين يكونون في الكرب يكون المؤذنون أكثر رجاء بأن يؤذن لهم في دخول الجنة كان ذلك جزاء مد أعناقهم عند رفع أصواتهم، أو طول العنق كناية عن الفرح كما أن خضوعها كناية عن الحزن، أو معناه إذا وصل العرق إلى أفواه الناس يوم القيامة طالت أعناق المؤذنين في الحقيقة لئلا ينالهم ذلك، ومن أجاب دعوة المؤذنين يكون معه.

قال الفقهاء: يقطع سامع الأذان كل عمل باليد والرجل واللسان حتى تلاوة القرآن إن كان في غير المسجد، وإن كان فيه، فلا يقطع ولا يسلم على أحد وأما رده، فقد اختلفوا فيه، فقيل: يجوز. وقيل: لا يجوز ويشتغل بالإجابة، واختلفوا في الوجوب والاستحباب، فقال بعضهم: الإجابة واجبة عند الأذان والإقامة منهم صاحب «التحفة والبدائع».

وقال الآخرون: هي مستحبة وعليه صاحب «الهداية». ويستحب أن يقول عند سماع الأولى من الشهادة الثانية صلى الله تعالى عليك يا رسول الله وعند سماع الثانية قرة عيني بك يا رسول الله، ثم يقول: اللهم متعني بالسمع والبصر بعد وضع ظفر الإبهامين على العينين، كما في «شرح القهستاني»، وفي «تحفة الصلوات» للكاشفي صاحب «التفسير» نقلاً عن الفقهاء الكبار، ويقول بعد الأذان: اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة القائمة آت محمداً الوسيلة

والفضيلة والدرجة الرفيعة وابعثه المقام المحمود الذي وعدته.

ويقول عند أذان المغرب خصوصاً: اللهم هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك وأصوات دعاتك، فاغفر لي وأول من أذن في السماء جبرائيل وأم ميكائيل عليهما السلام عند البيت المعمور، وأول من أذن في الإسلام بلال الحبشي رضي الله عنه، وكان أول مشروعيته في أذان الصبح. قالت النوار أم زيد بن ثابت: كان بيتي أطول بيت حول المسجد، فكان بلال يؤذن فوقه من أول ما أذن إلى أن بنى رسول الله عليه السلام مسجده، فكان يؤذن بعده على ظهر المسجد، وقد رفع له شيء فوق ظهره، وأول من أقام عبد الله بن زيد وزاد بلال في أذان الصبح بعد الحيعلات الصلاة خير من النوم مرتين، فأقرها عليه السلام؛ أي: اليقظة الحاصلة للصلاة خير من الراحة الحاصلة بالنوم، ويقول المجيب عنده: صدقت وبالخير نطقت. وعند قوله في الإقامة: قد قامت الصلاة، أقامها الله وأدامها ويقيم من أذن لا غيره إلا بإذنه. وفي بعض الروايات أنه عليه السلام: «أذن مرة واحدة في السفر على راحلته».

ويروى: أن بلالاً كان يبدل الشين في أشهد سيناً، فقال عليه السلام سين بلال عند الله شين كما في «إنسان العيون». وفي المثنوي:

آن بلال صدق در بانك نماز	حى راهى هى همى خواند ازنياز
تابكفتنداى بيمبر نيست راست	اين خطا اكنون كه آغاز بناست
اى نبى واى رسول كردكار	يك موذن كو بود افصح بيار
عيب باشد اول دين وصلاح	لحن خواندن لفظ حي على الفلاح
خشم بيغمبر بجوشيد وبكفت	يك دو رمزى از عنايات نهفت
كاى خسان نزد خداى هي بلال	بهتر از صد حي حي وقيل وقال
وامشو رانيد تا من را زتان	وانكويم آخر وآغاز تان

وأول من زاد الأذان الأول في الجمعة عثمان رضي الله عنه زاده ليؤذن أهل السوق، فيأتون إلى المسجد. وكان في زمانه عليه السلام وزمان أبي بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه أذان واحد حين يجلس الإمام على المنبر، والتذكير قبل الأذان الأول الذي هو التسبيح أحدث بعد السبعمائة في زمن الناصر محمد بن قلوون لأجل التبكير المطلوب في الجمعة، وأول ما أحدثت الصلاة والسلام على النبي عليه السلام بعد تمام الأذان في زمن السلطان المنصور الحاجي بن الأشرف شعبان بن حسن بن محمد بن قلوون في أواخر القرن الثامن، وأول من أحدث أذان اثنين معاً بنو أمية، وأول من وضع إحدى يديه عند أذنيه في الأذان ابن الأصم مؤذن الحجاج بن يوسف.

وكان المؤذنون يجعلون أصابعهم في آذانهم، وأول من رقى منارة مصر للأذان شرحبيل المذكور. وفي عرافته بنى مسلمة المنابر للأذان بأمر معاوية، ولم تكن قبل ذلك، وأول من عرف على المؤذنين سالم بن عامر أقامه عمرو بن العاص، فلما مات عرف عليهم أخاه شرحبيل، وأول من رزق المؤذنين عثمان رضي الله عنه، والجهر واجب في الأذان لإعلام الناس، ولذا سن أن يكون في موضع عالٍ، ولو أذن لنفسه خافت، وأما التكبيرات في الصلاة، فالمؤذن يرفع صوته لتبليغ التكبير لمن بعد عن الإمام من المقتدين، فإن كان في صوت الإمام كفاية، فالتبليغ مكروه، كما في «إنسان العيون».

يقول الفقير: أما سر عدد المنارات في الحرم النبوي. وهي اليوم خمس فإشارة إلى الأوقات الخمسة، فهو صورة الدعوات الخمس في الساعات الأربع والعشرين المشتمل عليها الليل والنهار، وأول من قدر الساعات الاثنتي عشرة نوح عليه السلام في السفينة، ليعرف بها مواقيت الصلوات، وأما سر عددها في الحرم المكي، وهي سبع الآن، فإشارة إلى مراتب الدعوة إلى الفناء، وهي سبع عدد الأسماء السبعة التي آخرها القهار، فإن الكعبة إشارة إلى الذات الأحدية ومراتبها عروجاً هي مراتب الفناء، إذ البقاء إنما هو بعد النزول، ولذا أمر عليه السلام بالهجرة إلى المدينة لتتحقق مرتبة البقاء فللكعبة منارة أخرى هي الثامنة من المنارات، وهي منارة البقاء، لكنها في بطن الكعبة مدفونة تحتها، ولم يكن لها ظهور فوق الأرض إلا بحسب المكاشفة كوشفت عنها حين مجاورتي في الحرم وكان للحرم المكي في الأوائل خمسون منارة على ما طالعته في تاريخ القطبي بعضها في الحرم وبعضها على رؤوس الجبال التي هي بينها كل ذلك لإعلام الأوقات، فهي إشارة إلى أصل الصلوات المفروضة ليلة المعراج، وهي خمسون حتى خففها الله تعالى، فبقيت منها خمس، ولله في كل شيء حكمة عجيبة ومصلحة بديعة.

﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾﴾

﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾، بيان لمحاسن الأعمال الجارية بين العبد وبين الرب ترغيباً لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في الصبر على أذية المشركين ومقاتلة إساءتهم بالإحسان، ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفي؛ أي: لا تستوي الخصلة الحسنة والسيئة في الجزاء وحسن العاقبة، فإنك إذا صبرت على أذيتهم وجهالتهم وتركت الانتقام منهم، ولم تلتفت إلى سفاهتهم، فقد استوجبت التعظيم في الدنيا والثواب في الآخرة، وهم بالضد من ذلك، فلا يكن إقدامهم على تلك السيئة مانعاً لك من الاشتغال بهذه الحسنة، وإذا فسرت الحسنة والسيئة بالجنس على أن يكون المعنى لا تستوي الحسنات إذ هي متفاوتة في أنفسها كشعب الإيمان التي أدناها إماطة الأذى ولا السيئات لتفلوتها أيضاً من حيث إنها كبائر وصغائر لم تكن زيادة لا الثانية لتأكيد النفي على ما أشير إليه في «الكشاف».

﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾: بيان لحسن عاقبة الحسنة؛ أي: ادفع السيئة حين اعترضتك من بعض أعاديك بالتي هي أحسن ما يمكن دفعها به من الحسنات كالإحسان إلى من أساء؛ فإنه أحسن من العفو:

بدى رابدى سهل باشد جزا اكر مردى احسن إلى من اسا

وكان عليه السلام يقول: صل من قطعك واعف عمن ظلمك وأحسن إلى من أساء إليك»، وما أمر عليه السلام غيره بشيء إلا بعد التخلق به، وإخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال: كيف؟ مع أن الظاهر أن يقول: فادفع بالفاء السببية للمبالغة، ولذلك وضع أحسن موضع الحسنة؛ لأنه أبلغ في الدفع بالحسنة، فإن من دفع بالحسنى هان عليه الدفع بما دونها.

﴿فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم﴾: بيان لنتيجة الدفع المأمور به؛ أي: فإذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق؛ أي: المخالف مثل الولي الشفيق.

روي: أنها نزلت في أبي سفيان بن حرب، وذلك أنه لان للمسلمين بعد الشدة؛ أي: شدة عداوته بالمصاهرة التي جعلت بينه وبين النبي عليه السلام، ثم أسلم فصار ولياً بالإسلام حميماً بالقرابة.

[از امام اعظم نقلست كسى بمن رسانندكه مرابدمى كويد من درشان او سخن نيكو ترمى كويم تاوقتى من يابم كه او نيكويى من ميكويد]:

بدى درقفا عيب من كردو خفت	بترز وقريبى كه آو رد وكفت
عدو را بالطاف كردن ببند	كه نتوان بريدن بتيغ اين كمند
جود شمن كرم بيند ولطف وجود	نيايد دكر خبث ازو در وجود
جو بادوست دشوار كيرى وتنك	نخواهد كه بيند ترا نقش رنك
وكر خواجه بادشمنان نيك خوست	كسى برنيا يدكه كردند دوست

قال البقلي: بين الله ها هنا أن الخلق الحسن ليس كالخلق السيىء وأمرنا بتبديل الأخلاق المذمومة بالأخلاق المحمودة وأحسن الأخلاق الحلم إذ يكون به العدو صديقاً، والبعيد قريباً حين دفع غضبه بحلمه وظلمه بعفوه وسوء جانبه بكرمه.

قال ابن عطاء: لا يستوي من أحسن الدخول في خدمتنا، والخروج منها، ومن أساء الأدب في الخدمة. فإن سوء الأدب في القرب أصعب من سوء الأدب في البعد، فقد يصفح عن الجهال في الكبائر ويؤاخذ الصديقون باللحظة والالتفات.

﴿وما يلقاها﴾ التلقية: [جيزى بيش كسى آوردن]؛ أي: وما يلقى، وما يعطى هذه الخصلة والسجية التي هي مقابلة الإساءة بالإحسان.

وبالفارسية: [وندهند اين خصلت كه مقابلة بديست بنيكى]. **﴿إلا الذين صبروا﴾**؛ أي: شأنهم الصبر؛ فإنها تحبس النفس عن الانتقام. **﴿وما يلقاها﴾**: [وعطا نكنند اين خصلت وصفت]. **﴿إلا ذو حظ عظيم﴾** من الفضائل النفسانية والقوة الروحانية، فإن الاشتغال بالانتقام لا يكون إلا لضعف النفس وتأثرها من الواردات الخارجية، فإن النفس إذا كانت قوية بالجوهر لم تتأثر من الواردات الخارجية، وإذا لم تتأثر منها لم يصعب عليها تحمل، ولم تشتغل بالانتقام.

والحاصل: أنه يلزم تزكية النفس حتى يستوي الحلو والمر، ويكون حضور المكروه كغيبته. ففي الآية مدح لهم بفعل الصبر والحظ النصيب المقدر.

قال الجنيد قدس سره في قوله: **﴿وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم﴾**؛ أي: ما يوفق لهذا المقام إلا ذو حظ من عناية الحق فيه.

وقال ابن عطاء: ذو معرفة بالله وأيامه.

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿وإما ينزغنك من الشيطان نزغ﴾: أصله إن ما على أن إن شرطية، وما مزيدة لتأكيد معنى الشرط والاستلزام، فلذا لحقت نون التأكيد بفعل الشرط؛ فإنها لا تلحق الشرط ما لم يؤكد. والنزغ شبه النخس كما في «الإرشاد» شبه به وسوسة الشيطان؛ لأنها بعث على الشر وتحريك على ما لا ينبغي. وجعل نازغاً على طريقة جد جده فمن ابتدائية؛ أي: نزغ صادر من

جهته، أو أريد. وإما ينزغنك نازغ وصفاً للشيطان بالمصدر، فكلمة من تجريدية جرد من الشيطان شيطاناً آخر وسمي نازغاً.

والمعنى: وأن يوسوس إليك الشيطان ويصرفك عما وصيت به من الدفع بالتي هي أحسن ودعاك إلى خلافه. ﴿**فاستعذ بالله**﴾ من شره ولا تطعه. ﴿**إنه هو السميع**﴾ باستعاذتك ﴿**العليم**﴾ بنيتك. وفي جعل ترك الدفع بالأحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه.

وفي الآية إشارة إلى أن النبي أو الولي لا ينبغي أن يكون آمناً من مكر الله وأن الشيطان صورة مكر الحق تعالى: بل يكون على حذر من نزغاته، فليستعذ بالله من همزاته، فلا يذرها أن تصل إلى القلب، بل يرجع إليه في أول الخطرة؛ فإنه إن لم يخالف أول الخطرة صار فكرة، ثم بعد ذلك يحصل العزم على ما يدعو إليه الشيطان، ثم إن لم يتدارك ذلك تحصل الزلة، فإن لم يتدارك بحسن الرجعة صار قسوة ويتمادى به الوقت، فهو يخطر كل آفة ولا يتخلص العبد من نزغات الشيطان إلا بصدق الاستعانة بالله، والإخلاص في العبودية. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَـٰنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، فكلما زاد العبد في تبريه من حوله وقوته، وأخلص بين يدي الله تعالى بتضرعه واستعانته زاد الله في حفظه ودفع الله الشيطان عنه، بل يسلط عليه ليسلم على يديه. كذا في «التأويلات النجمية».

قال البقلي: هذا تعليم لأمته إذ كان الشيطان أسلم على يده. قال في «حياة الحيوان»: أجمعت الأمة على عصمة النبي عليه السلام من الشيطان، وإنما المراد تحذير غيره من فتنة القرين ووسوسته له وإغوائه، فأعلمنا أنه معنا لنحترز منه حسب الإمكان:

آدمـى را دشـمـن بـنـهـان بـسـيـسـت   آدمـى بـاحـذر عـاقـل كـسـيـسـت

وفي الحديث: «ما منكم من أحد إلا ومعه قرينه من الجن وقرينه من الملائكة». قالوا: وإياك قال، وإياي، ولكن الله أعانني عليه، فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير».

قال سفيان بن عيينة معناه، فأسلم من شره، فإن الشيطان لا يسلم.

وقال غيره: هو على صيغة الفعل الماضي ويدل عليه ما قاله عليه السلام «فضلت على آدم بخصلتين كان شيطاني كافراً، فأعانني الله عليه، فأسلم وكن أزواجي عوناً لي وكان شيطان آدم كافراً وزوجته عوناً على خطيئته»، فهذا صريح في إسلام قرين النبي عليه السلام، وإن هذا خاص بقرين النبي عليه السلام، فيكون عليه السلام مختصاً بإسلام قرينه، كذا في «آكام المرجان».

يقول الفقير: لا شك أن الشيطان لا يدخل في دائرة الإسلام حقيقة كما أن النفس لا تتبدل حقيقتها كما قال يوسف الصديق عليه السلام: ﴿إِنَّ ٱلنَّفْسَ لَأَمَّارَةٌۢ بِٱلسُّوٓءِ﴾ [يوسف: ٥٣] بل تتبدل صفتها، فالنبي والولي والعدو في هذا سواء إلا أن النبي معصوم والولي محفوظ، والعدو موكول، ولذا لم يقولوا: إن النبي والولي ليس لهما نفس أصلاً، بل قالوا: هو معصوم ومحفوظ فدل على أصل النفس. وهذا من مزالق الأقدام، فلا بد من حسن الفهم، وصحة الكشف، فمعنى إسلام شيطان النبي عليه السلام دخوله في السلم كأهل الذمة في دار الإسلام حيث لا يقدرون على أذية المسلمين بحال، ولكن فرق بين إسلام قرين النبي وقرين الولي، كما دل عليه لفظ العصمة، والحفظ، فإن العظمة تعم الذات كلها، والحفظ يتعلق بالجوارح

مطلقاً، ولا يشترط استصحابه في السر فقد تخطر للولي خواطر لا يقتضيها طريق الحفظ، لكن يظهر لها حكم على الجوارح.

صاحب «كشف الأسرار»: [فرموده كه نزغ شيطان سورة غضب ست يعنى تيزى خشم كه از حد اعتدال در كذرد وبتهود كشد وازان خصلتهاى بدخيزد جون كبرو عجب وعداوت اما أصل خشم از خود بيفكندن ممكن نباشد زيراكه آن در خلقت است وجون از حد اعتدال بكاهد بددلى بود وبى حميتى باشد وجون معتدل بود آنرا شجاعت كويند وازان حلم وكرم وكظم غيظ خيزد].

وفي الخبر: «خلق الغضب من النار التي خلق منها إبليس». وفي الحديث: «الغضب من نار الشيطان ألا ترى إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه والمتغاضبان شيطانان يتهاتران ويتكاذبان.

يعني: [دوكس بريكد يكر غضب ميكند باطل ميكويد ودروغ ميسازند فان التهاتر بريكديكر دعوى باطل كردن كما في «تاج المصادر»].

وقال صلى الله تعالى عليه وسلم: «إذا غضبت وكنت قائماً فاقعد، وإن كنت قاعداً فقم فاستعذ بالله من الشيطان» عصمنا الله وإياكم من كيده ورد مكره إليه، فلا نتوكل ولا نعتمد إلا عليه.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ ﴿٣٨﴾﴾

﴿ومن آياته﴾: [وازنشانهاى قدرت الهيست]. **﴿الليل والنهار﴾**. قال الإمام المرزوقي: الليل بإزاء النهار، والليلة بإزاء اليوم. **﴿والشمس﴾**: المشتمل عليها النهار يعني: [خورشيد عالم آراى جون جام سيماب]. **﴿والقمر﴾**: المشتمل عليه الليل يعني: [هيكل ماه كاه جون نعل زرين وكاه جون سر سيمين]. كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لأمره يعني: تعاقب الليل والنهار على الوجه الذي يتفرع عليه منافع الخلق ومصالحهم وتذلل الشمس والقمر لما يراد منهما من أظهر العلامات الدالة على وجوده تعالى ووحدانيته وكمال علمه وحكمته:

بر صنع إلٰه بيعدد برهانست در برك كلى هزار كون الوانست
روزارجه سبيد وروشن وتابانست آنراكه نديد روز شب يكسانست

[رب العزة كفت ربى اكر خواهى كه در ولا يتم نكرى ﴿لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ١٢٠] واكر خواهى كه در سباهم نكرى ﴿وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الفتح: ٧]، ورخواهى كه در صنعم فعلم نكرى]. ﴿فَٱنظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ [الروم: ٥٠]. [در خواهى كه در صنعم نكرى]. ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت: ٣٧]. [وخواهى كه فردا درمن نكرى امروز از صنع من بامن نكر بديده دل]. ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] [تافردا بفضل من دو نكرى بديده سر]. ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: ٢٢-٢٣]. **﴿لا تسجدوا للشمس ولا للقمر﴾**؛ لأنهما من جملة مخلوقاته المسخرة لأوامرة مثلكم. والمراد: الأمر التكويني لا التكليفي إذ لا علم لهما ولا اختيار عند أهل الظاهر. وأما عند أهل الحقيقة، فالأمر بخلافه. ويدل عليه قول الشيخ

سعدي: [همه ازبهر توسر كشته وفرمان بردار شرط انصاف نباشدكه توفرمان نبرى].
﴿واسجدوا لله الذي خلقهن﴾: الضمير للأربعة؛ لأن حكم جماعة ما لا يعقل حكم الأنثى، وإن كان المناسب تغليب المذكر وهو ما عدا الشمس على المؤنث، وهو الشمس أو لأنها عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للإيذان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما في سلك الأغراض التي لا قيام لها بذاتها، وهو السر في نظم الكل في آياته تعالى. وفي المثنوي:

آفتاب ازامر حق طباخ ماست ... ابلهى باشدكه كوييم او خداست
آفتابت كربكيرد جون كنى ... آن سياهى زونو جون بيرون كنى
نى بدركاه خدا آرى صداع ... كه سياهى را ببر داده شعاع
كركشندن نيمشب خورشيد كو ... تا نيابى با امان خواهى ازو
حادثات اغلب بشب واقع شود ... وان زمان معبود توغايب بود
سوى حق كرراستانه خم شوى ... وار هى از اختران محرم شوى

﴿إن كنتم إياه﴾ تعالى لا غيره. ﴿تعبدون﴾؛ أي: إن كنتم تعبدون إياه لا تسجدوا لغيره، فإن السجود أقصى مراتب العبادة، فلا بد من تخصيصه به تعالى. ولعل ناساً منهم كانوا يسجدون للشمس والقمر كالصابئين في عبادتهم الكواكب ويزعمون أنهم يقصدون بالسجود لهما السجود لله، فنهوا عن هذه الواسطة، فأمروا أن لا يسجدوا إلا لله الذي خلق الأشياء، فإن قيل: لم لم يجز أن تكون الشمس قبلة للناس عند سجودهم، قلنا: لأنها جوهر مشرق عظيم الرفعة، لها منافع في صلاح أحوال الخلق، فلو أذن في جعلها قبلة في الصلاة بأن يتوجه إليها، ويركع ويسجد نحوها لربما غلب على بعض الأوهام أن ذلك الركوع والسجود للشمس لا لله بخلاف الأحجار المعينة، فإنها ليس في جعلها قبلة ما يوهم الإلٰهية، وعن عكرمة قال: إن الشمس إذا غربت دخلت بحراً تحت العرش، فتسبح الله حتى إذا هي أصبحت استعفت ربها من الخروج، فقال الرب: ولم ذلك، والرب أعلم أني إذا خرجت عبدت من دونك، فقال لها الرب: اخرجي فليس عليك من ذلك شيء حسبهم جهنم أبعثها إليهم من ثلاثة عشر ألف ملك يقودونها حتى يدخلوهم فيها.

وفي الحديث: «ليس في أمتي رياء إن راءوا فبالأعمال فأما الإيمان فثابت في قلوبهم أمثال الجبال، وأما الكبر فإن أحدهم إذا وضع جبهته لله تعالى ساجداً فقد برىء من الكبر».
﴿فإن استكبروا﴾؛ أي: تعظموا عن امتثال أمرك في ترك السجود لغير الله، وأبوا إلا اتخاذ الواسطة، فذلك لا يقلل عدد من يخلص عبادته لله. ﴿فالذين عند ربك﴾، فإن الملائكة المقربين عند الله، فهو علة للجزاء المحذوف. ﴿يسبحون له﴾ ينزهونه عن الأنداد وسائر ما لا يليق به. ﴿بالليل والنهار﴾؛ أي: دائماً، وفي جميع الأوقات وظهر من هذا التقرير أن تخصيص الملائكة مع وجود غيرهم من العباد المخلصين لكثرتهم. وأيضاً الشمس والقمر عندهم، فيردون العبادة عنهما غيرة بتخصيصها بالله تعالى. ﴿وهم لا يسأمون﴾ السآمة الملالة؛ أي: لا يفترون ولا يملون من التسبيح والعبادة، فإن التسبيح منهم كالتنفس من الناس.

وبالفارسية: [وايشان ملول وسير نمى شوند از كثرت عبادت وبسيارى ستايش وبرستش]. روي: أن لله ملكاً يقال له: حوقبائيل. له ثمانية عشر ألف جناح ما بين الجناح إلى

الجناح خمسمائة عام، فخطر له خاطر. هل فوق العرش شيء؟، فزاده الله مثلها أجنحة أخرى، فكان له ستة وثلاثون ألف جناح بين الجناح إلى الجناح خمسمائة عام، ثم أوحى الله أيها الملك طر فطار مقدار عشرين ألف سنة، فلم ينل رأس قائمة من قوائم العرش، ثم ضاعف الله له في الجناح والقوة، وأمره أن يطير، فطار مقدار ثلاثين ألف سنة، فلم ينل أيضاً، فأوحى الله إليه أيها الملك لو طرت إلى نفخ الصور مع أجنحتك وقوتك لم تبلغ ساق عرشي، فقال الملك: سبحان ربي الأعلى، فأنزل الله: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى ﴿١﴾﴾ [الأعلى: ١]، فقال عليه السلام: «اجعلوها في سجودكم».

قال عبد العزيز المكي: في هذه الآية سبحان الذي من عرفه لا يسأم من ذكره سبحان الذي من أنس به استوحش من غيره، سبحان الذي من أحبه أعرض بالكلية عما سواه.

وفي «التأويلات النجمية»: لا تتخذوا ما كشف لكم عند تجلي شمس الروح من المعقولات وأنواع العلوم الدقيقة مقصداً ومعبداً كما اتخذت الفلاسفة، ولا تتخذوا أيضاً ما شهدتم عند تجلي شواهد الحق في قمر القلب من المشاهدات ومكاشفات العلوم الدينية مقصداً ومعبداً، كما اتخذ بعض أرباب السلوك، ووقفوا عند عقبات العرفان والكرامات، فشغلوا بالمعرفة عن المعروف وبالكرامات عن المكرم. واتخذوا المقصود والمعبود حضرة جلال الله الذي خلق ما سواه منازل السائرين به إليه إن كنتم من جملة المحبين الصادقين الذين إياه يعبدون طمعاً في وصاله، والوصول إليه لا من الذي يعبدونه خوفاً من النار وطمعاً في الجنة، فإن استكبر أهل الأهواء والبدع ولا يوفقون للسجود بجميع الوجود، فالذين عند ربك من أرواح الأنبياء والأولياء ينزهونه عن احتياجه إلى سجدة أحد من العالمين، وهم لا يسأمون من التسبيح والتنزيه.

قال الكاشفي: [اين سجدة يازدهم است از سجدات قرآنى وحضرة شيخ أكبر قدس سره الأطهر در فتوحات اين را سجدة احتماد كفت وفرموده كه اكر در آخر آيت اولى سجدة ايشان شرط باشد جه مقارنست]. نقول: ﴿**إن كنتم إياه تعبدون**﴾: [واكر بعد از آيت دوم بسجود دروند سجدة نشاط ومحبت بودجه مقرونست باين كلمات].

﴿**وهم لا يسأمون**﴾. والحاصل: أن قوله: تعبدون موضح السجود عند الشافعي ومالك لاقتران الأمر به. يعني: [تاسجدة مقترن امر باشد]. وعند أبي حنيفة وفي وجه عن الشافعي، وعند أحمد آخر الآية، ﴿**وهم لا يسأمون**﴾؛ لأنه تمام المعنى، وكل من الأئمة على أصله في السجود، فأبو حنيفة هو واجب ومالك، وهو فضيلة، والشافعي وأحمد هو سنة.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾.

﴿**من آياته**﴾: دلائل قدرته تعالى. ﴿**أنك**﴾ يا محمد أو يا أيها الناظر. ﴿**ترى الأرض**﴾: حال كونها ﴿**خاشعة**﴾ يابسة لا نبات فيها متطامنة يعني: [فرسوده وخشك شده]. مستعار من الخشوع بمعنى التذلل شبه يبس الأرض وخلوها عن الخير والبركة بكون الشخص خاشعاً ذليلاً عارياً لا يؤبه به الدناءة هيئته، فهي استعارة تبعية بمعنى يابسة جدبة. ﴿**فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت**﴾: الاهتزاز: التحرك؛ أي: تحركت بالنبات يعني: [بحنبش درآيدر ستن كياه ازو].

﴿**وربت**﴾: وانتفخت؛ لأن النبت إذا دنا أن يظهر ارتفعت له الأرض، وانتفخت ثم تصدعت عن النبات؛ أي: انشقت يقال: ربا ربواً ورباً، زاد ونما. والفرس ربواً انتفخ من عدو أو فزع.

وقال الراغب: وربت؛ أي: زادت زيادة المتربي. ﴿**إن الذي أحياها**﴾ بما ذكر بعد موتها والإحياء في الحقيقة إعطاء الحياة، وهي صفة تقتضي الحس والحركة، فالمراد بإحياء الأرض تهييج القوى النامية فيها وإحدات نضارتها بأنواع النباتات. ﴿**لمحيي الموتى**﴾ بالبعث. ﴿**إنه على كل شيء**﴾ من الأشياء التي من جملتها الإحياء. ﴿**قدير**﴾ مبالغ في القدرة وقد وعد بذلك من أن يفي به والحكمة في الإحياء هو المجازاة والمكافأة.

وفي الآية إشارة إلى إحياء النفوس وإحياء القلوب. أما الأول فلأن أرض البشرية قد تصير يابسة عند فقدان الدواعي والأسباب، فإذا نزل عليها ماء الابتلاء والاستدراج تراها تهتز بنباتات المعاصي وأشجار المناهي. وفي المثنوي:

آتشت را هيزم فرعون نيست ... زانكه جون فرعون اوراعون نيست
نفس ازدرهاست اوكى مرده است ... از غم بى التي افسرده است
كرمك است آن ازدها ازده ست فقر ... بشه كردد زجاه ومال صقر

ولذا كان أصعب دعاء إليه أن يقال له: أذاقك الله طعم نفسك، فإنه من ذاق طعم نفسه، واستحلى ما عنده وشغل به عن المقصود، فلا يرجى فلاحه أبداً، وأما إحياء القلوب فبنور الإيمان وصدق الطلب وغلبات الشوق، وذلك عند نزول مطر اللطف وماء الرحمة.

وعن بعض الصالحين قال: رأيت سمنون في الطواف، وهو يتمايل، فقبضت على يده. وقلت له: يا شيخ بموقفك بين يديه إلا أخبرتني بالأمر الذي أوصلك إليه، فلما سمع بذكر الموقف بين يديه سقط مغشياً عليه، فلما أفاق أنشد:

ومكتئب لجّ السقام بجسمه ... كذا قلبه بين القلوب سقيم
يحق له لو مات خوفاً ولوعة ... فموقفه يوم الحساب عظيم

ثم قال: يا أخي أخذت نفسي بخصال أحكمتها.

فأما الخصلة الأولى أمت مني ما كان حياً، وهو هوى النفس وأحييت مني ما كان ميتاً، وهو القلب.

وأما الثانية: فإني أحضرت ما كان عني غائباً، وهو حظي من الدار الآخرة، وغيبت ما كان حاضراً عندي، وهو نصيبي من الدنيا.

وأما الثالثة: فإني أبقيت ما كان فانياً عندي، وهو التقى، وأفنيت ما كان باقياً عندي، وهو الهوى.

وأما الرابعة: فإني أنست بالأمر الذي منه تستوحشون وفررت من الأمر الذي إليه تسكنون.

أشار إلى الاستئناس بالله وبذكره، وإلى الاستيحاش مما سوى الله، وهو المراد بحسن الخاتمة، وأما التوحش من الله والأنس بما سواه، فهو المراد بسوء العاقبة نعوذ بالله، وربما كان سوء العاقبة بالخروج من الدنيا بغير إيمان. وكان في زمان حاتم الأصم نباش، فحضر مجلس حاتم يوماً، فتاب على يده وأحياه الله بسبب نفس حاتم، فقال له حاتم: كم نبشت من القبور، فقال: سبعة آلاف. قال في كم سنة؟ قال: في عشرين سنة فغشي على حاتم، فلما أفاق. قال

قبور المسلمين أم قبور الكافرين. قال: بل قبور المسلمين، فقال: كم قبراً وجدت صاحبه على غير القبلة. قال: وجدت ثلاثمائة قبر صاحبه على القبلة، والباقون على غير القبلة، فغشي على حاتم. وذلك لأن خوف كل أحد بحسب مقامه من المعرفة، فإذا عرف المرء أن في إمامه موتاً وابتلاء، ثم حشراً وامتحاناً لا يزال في ناحية، وربما يغلب عليه حاله، فيغشى عليه.

قال بعضهم: إذا عرج بروح المؤمن إلى السماء. قالت الملائكة: سبحان الذي نجى هذا العبد من الشيطان، يا ويحه كيف نجا، ولكثرة فتن الشيطان وتشبثها بالقلوب عزت السلامة، فلا بد من الاستقامة في الله وإدامة الذكر والاستعاذة بالله من كل شيطان مضل وفتنة مهلكة.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤٠﴾﴾

﴿إن الذين يلحدون﴾: الإلحاد في الأصل مطلق الميل والانحراف ومنه اللحد؛ لأنه في جانب القبر، ثم خص في العرف بالانحراف عن الحق إلى الباطل؛ أي: يميلون عن الاستقامة. **﴿في آياتنا﴾** بالطعن فيها بأنها كذب، أو سحر، أو شعر وبتحريفها بحملها على المحامل الباطلة.

﴿لا يخفون علينا﴾، فنجازيهم بإلحادهم، ثم نبه على كيفية الجزاء، فقال: **﴿أفمن﴾**: [آيا كسى كه]. **﴿يلقى في النار﴾** عل وجهه وهم الكفرة بأنواعهم. **﴿خير أم من يأتي آمناً﴾** من النار **﴿يوم القيامة﴾**، وهم المؤمنون على طبقاتهم قابل الإلقاء في النار بالإتيان آمناً مبالغة في إحماد حال المؤمنين بالتنصيص على أنهم آمنون يوم القيامة من جميع المخاوف، فلو قال: أم من يدخل الجنة، لجاز من طريق الاحتمال أن يبدلهم الله من بعد خوفهم أمناً ولك أن تقول الآية من الاحتباك حذف من الأول مقابل الثاني، ومن الثاني مقابل الأول. والتقدير: أفمن يأتي خائفاً ويلقى في النار خير أم من يأتي آمناً ويدخل الجنة يعني: أن الثاني خير من الأول. **﴿اعملوا ما شئتم﴾** من الأعمال المؤدية إلى ما ذكر من الإلقاء في النار والإتيان آمناً وآثروا ما شئتم، فإنكم لا تضرون إلا أنفسكم، وفيه تهديد شديد لظهور أن ليس المقصود الأمر بكل عمل شاؤوا.

قال في «الأسئلة المقحمة»: هو أمر وعيد ومعناه: أن المهلة ما هي لعجز ولا لغفلة، وإنما يعجل من يخاف الفوت وهو أبلغ أسباب الوعيد **﴿إنه بما تعملون بصير﴾** فيجازيكم بحسب أعمالكم:

حيل ومكر رها كن كه خدا مى داند نقد مغشوش مياور كه معامل بيناست

وفي الآية: تخويف لأهل الشطح والطامات الذين يريدون العزة عند العامة، ويزعقون ويمزقون ثيابهم ويجلسون في الزوايا ويتزهدون وينظرون في «تصانيف» المشايخ. ويقولون عليها ما يجهلون ويتزخرفون وينتظرون دخول الأمراء عليهم، ويدعون المكاشفة والأحوال والمواجيد لا يخفى على الله كذبهم وزورهم وبهتانهم ونياتهم الفاسدة وقلوبهم الغافلة، وكذا على أوليائه من الصديقين والعارفين الذين يرون خفايا قلوب الخلق بنور الله لو رأيتهم كيف يفتضحون يوم القيامة على رؤوس الأشهاد وترى أهل الحق ينظرون إلى الحق بأبصار نافذة وقلوب عاشقة لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة وقد وصف النبي هؤلاء الملحدين

وشبههم بالفراعنة، وشبه قلوبهم بقلوب الذئاب. كما قال عليه السلام: «يخرج في أمتي أقوام لسانهم لسان الأنبياء وقلوبهم كقلوب الفراعنة».

وقال في موضع آخر: «كقلوب الذئب يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية أفتوا بغير علم فضلوا وأضلوا».

قال بعضهم: معنى هذه الآية أن الذين يجترئون علينا على غير سبيل الحرمة، فإنه لا يخفى علينا جراءتهم علينا وتعديهم في دعواهم.

وقال ابن عطاء: في هذه الآية أن المدعي عن غير حقيقة سيرى منا ما يستحقه من تكذيبه على لسانه وتفضيحه في أحواله.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ﴿٤١﴾ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾﴾.

﴿**إن الذين كفروا بالذكر**﴾؛ أي: القرآن، فيكون من وضع الظاهر موضع ضمير الآيات. ﴿**لما جاءهم**﴾؛ أي: بادهوه بالكفر والإنكار ساعة جاءهم وأول ما سمعوه من غير إجالة فكر وإعادة نظر وكذبوا به على البديهة قبل التدبر ومعرفة التأويل قوله: إن الذين إلخ، بدل من قوله: إن الذين يلحدون. إلخ. بدل الكل بتكرير العامل وخبر إن هو الخبر السابق، وهو لا يخفون علينا؛ لأن إلحادهم في الآيات كفر بالقرآن، فلهذا اكتفى بخبر الأول عن الثاني إلا أنه غير معهود إلا في الجار والمجرور لشدة الاتصال. قال الرضي: ولا يتكرر في اللفظ في البدل من العوامل إلا حرف الجر لكونه، كبعض حروف المجرور. وقيل: مستأنف وخبرها محذوف مثل ﴿سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا﴾ [النساء: ٥٦]، وذلك بعد قوله: حميد.

وقال الكسائي: سد مسد الخبر السابق. ﴿**وإنه**﴾. إلخ. جملة حالية مفيدة لغاية شناعة الكفر به؛ أي: والحال أن الذكر. ﴿**لكتاب عزيز**﴾؛ أي: كثير المنافع عديم النظير، فهو من العز الذي هو خلاف الذل، أو منيع لا يتأتى معارضته وإبطاله وتحريفه، فهو من العزة بمعنى الغلبة، فالقرآن، وإن كان لا يخلو عن طعن باطل من الطاعنين، وتأويل فاسد من المبطلين إلا أنه يؤتى بحفظة، ويقدر له في كل عصر منعة يحرسونه بإبطال شبه أهل الزيغ والأهواء ورد تأويلاتهم الفاسدة، فهو غالب بحفظ الله إياه وكثرة منعته على كل من يتعرض له بالسوء إمام قشيري قدس سره: [فرموده كه قرآن عزيز است زيزا كلام رب عزيز ست كه ملك عزيز بر رسول عزيز آورده براى امت عزيز با آنكه نامه دوست است بنزديك دوست ونامة دوست نزد دوستان عزيز باشد]:

زنام ونامة تويافتم عزو كرامت هزارجان كرامى فداى خامه ونامت

قال ابن عطاء: عزيز؛ لأنه لا يبلغ حد حقيقة حقه لعزه في نفسه وعز من أنزل عليه وعز من خوطب به من أوليائه، وأهل صفوته.

﴿**لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه**﴾. صفة أخرى لكتاب؛ أي: لا يتطرق إليه الباطل ولا يجد إليه سبيلاً من جهة من الجهات حتى يصل إليه ويتعلق به؛ أي: متى راموا فيه أن يكون ليس حقاً ثابتاً من عند الله وإبطالاً له لم يصلوا إليه ذكر أظهر الجهات، وأكثرها في

الاعتبار، وهو جهة القدام والخلف. وأريد الجهات بأسرها، فيكون قوله: لا يأتيه الباطل من بين إلخ. استعارة تمثيلية شبه الكتاب في عدم تطرق الباطل إليه بوجه من الوجوه بمن هو محمي بحماية غالب قاهر يمنع جاره من أن يتعرض له العدو من جهة من جهاته، ثم أخرجه مخرج الاستعارة بأن عبر عن المشبه بما عبر به عن المشبه به، فقال: لا يأتيه. إلخ. أو لا يأتيه الباطل فيما أخبر عما مضى ولا فيما أخبر عن الأمور الآتية، أو الباطل هو الشيطان لا يستطيع أن يغيره بأن يزيد فيه أو ينقص منه، أو لا يأتيه التكذيب من الكتب التي قبله ولا يجيء بعده كتاب يبطله أو ينسخه.

﴿تنزيل﴾ : أي: هو تنزيل أو صفة أخرى لكتاب مفيده لفخامته الإضافية بعد إفادة فخامته الذاتية وكل ذلك لتأكيد بطلان الكفر بالقرآن. **﴿من حكيم﴾** ؛ أي: حكيم مانع عن تبديل معانيه بأحكام مبانيه. **﴿حميد﴾** ؛ أي: حميد مستحق للتحميد بإلهام معانيه أو يحمده كل خلق في كل مكان بلسان الحال، والمقال بما وصل إليه من نعمه.

وفي «التأويلات النجمية»: إن من عزة الكتاب لا يأتيه الباطل، يعني: أهل الخذلان من بين يديه بالإيمان به، ولا من خلفه بالعمل به تنزيل من حكيم ينزل بحكمته على من يشاء من عباده لمن يشاء أن يعمل به حميد في أحكامه وأفعاله؛ لأنها صادرة منه بالحكمة. وعن علي رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله عليه السلام يقول: «إلا أنها» الضمير للقصة «ستكون فتنة»، فقلت: ما المخرج منها يا رسول الله؟ قال: كتاب الله فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار. بيان لمن؟ والجبال إذا أطلق على إنسان يشعر بالصفة المذمومة ينبه بذلك على أن ترك القرآن والإعراض عنه، وعن العمل به، إنما هو الجبر والحماقة. «قصمه الله» كسره وأهلكه دعاء عليه، أو خبر «ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله» دعاء عليه وإخبار بثبوت الضلالة، فإن طلب الشيء في غير محله ضلال.

«وهو حبل الله»؛ أي: عهده وأمانه الذي يؤمن به العذاب. وقيل: هو نور هداه. وفي الحديث: «القرآن كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض»؛ أي: نور ممدود. وقيل: هو السبب القوي والوصلة إلى من يوثق عليه، فيتمسك به من أراد التجافي عن دار الغرور والإنابة إلى دار السرور «المتين»؛ أي: القوي يعني: هو السبب القوي المأمون الانقطاع المؤدي إلى رحمة الرب. «وهو الذكر»؛ أي: القرآن ما يتذكر به ويتعظ به. «الحكيم»؛ أي: المحكم آياته؛ أي: قوي ثابت لا ينسخ إلى يوم القيامة، أو ذو الحكمة في تأليفه. «وهو الصراط المستقيم الذي لا تزيغ به الأهواء»؛ أي: لا يميل بسببه أهل الأهواء، يعني: لا يصير به مبتدعاً وضالاً «ولا تلتبس به الألسنة»؛ أي: لا يختلط به غيره بحيث يشتبه كلام الرب بكلام غيره لكونه معصوماً. «ولا يشبع منه العلماء»؛ أي: لا يحيط علمهم بكنهه، بل كلما تفكروا تجلت لهم معانٍ جديدة كانت في حجب مخفية.

«ولا يخلق» خلق الشيء يخلق بالضم فيهما خلوقة إذا بلي؛ أي: لا يزول رونقه ولا يقل طراوته ولذة قراءته واستماعه. «عن كثرة الرد»؛ أي: عن تكرر تلاوته على ألسنة التالين وآذان المستمعين وأذهان المتفكرين مرة بعد أخرى، بل يصير كل مرة يتلوه التالي أكثر لذة على خلاف ما عليه كلام المخلوقين. وهذه إحدى الآيات المشهورة. «ولا تنقضي عجائبه»؛ أي: لا ينتهي أحد إلى كنه معانيه العجيبة وفرائده الكثيرة. «هو الذي لم تنته الجن»؛ أي: لم تقف

إذ سمعته حتى ﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا﴾ [الجن: ١] مصدر وصف به للمبالغة؛ أي: عجيباً لحسن نظمه ﴿يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ﴾ [الجن: ٢]؛ أي: يدل إلى الإيمان والخير. ﴿فَـَٔامَنَّا بِهِۦ﴾ [الجن: ٢] وصدقناه من قال به صدق ومن عمل به رشد»؛ أي: يكون راشداً مهدياً.

(ومن حكم به ومن دعا إليه هدي إلى صراط مستقيم). كذا في «المصابيح».

وفي الحديث: «يدعى يوم القيامة بأهل القرآن، فيتوج كل إنسان بتاج لكل تاج سبعون ألف ركن ما من ركن إلا وفيه ياقوتة حمراء تضيء من مسيرة كذا من الأيام والليالي، ثم يقال له: أرضيت، فيقول: نعم، فيقول له الملكان اللذان كانا عليه يعني: الكرام الكاتبين: زده يا رب، فيقول الرب اكسوه حلة الكرامة، فيلبس حلة الكرامة، ثم يقال له: أرضيت؟ فيقول: نعم فيقول ملكاه زده يا رب، فيقول لأهل القرآن أن ابسط يمينك فتملأ من الرضوان؛ أي: رضوان الله، ويقال له: ابسط شمالك فتملأ من الخلد، ثم يقال له: أرضيت؟، فيقول: نعم يا رب، فيقول ملكاه: زده يا رب، فيقول الله: إني قد أعطيته رضواني وخلدي، ثم يعطى من النور مثل الشمس فيشيعه سبعون ألف ملك إلى الجنة، فيقول الرب: انطلقوا به إلى الجنة، فأعطوه بكل حرف حسنة، وبكل حسنة درجة ما بين الدرجتين مسيرة مائة عام».

وفي حديث آخر: «يجاء بأبويه، فيفعل بهما من الكرامة ما فعل بولدهما تكرمة لصاحب القرآن، فيقولان من أين لنا هذا، فيقول بتعليمكما ولدكما القرآن»:

بخردى درش زجر وتعليم كن ... به نيك وبدش وعده وبيم كن
هرآن طفل كو جور آموز كار ... نه بيند جفا بيند از روزكار

﴿**ما يقال لك**﴾. إلخ. تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عما يصيبه من أذية الكفار؛ أي: ما يقال في شأنك وشأن ما أنزل إليك من القرآن من جهة كفار قومك. ﴿**إلا ما قد قيل للرسل من قبلك**﴾ إلا مثل ما قد قيل في حقهم، وفي حق الكتب السماوية المنزلة عليهم مما لا خير فيه من الساحر، والكاهن والمجنون والأساطير ونحوها. ﴿**إن ربك لذو مغفرة**﴾ لأنبيائه ومن آمن بهم. ﴿**وذو عقاب أليم**﴾ لأعدائهم الذين لم يؤمنوا بهم وبما أنزل إليهم والتزموا الأذية، وقد نصر من قبلك من الرسل، وانتقم من أعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك وبأعدائك أيضاً.

وفيه إشارة إلى حال الأولياء أيضاً؛ فإنهم ورثة الأنبياء فلهم أعداء وحساد يطلقون ألسنتهم في حقهم باللوم والطعن بالجنون والجهل ونحو ذلك. ولكنهم يصبرون على الجفاء والأذى، فيظفرون بمراداتهم كما صبر الأنبياء، فظفروا. وفي آية أخرى: ﴿وَلَقَدۡ كُذِّبَتۡ رُسُلٞ مِّن قَبۡلِكَ فَصَبَرُواْ عَلَىٰ مَا كُذِّبُواْ وَأُوذُواْ حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمۡ نَصۡرُنَاۚ﴾ [الأنعام: ٣٤]؛ أي: ظاهراً بهلاك القوم، أو بإجابة الدعوة وباطناً بالتخلق بالأخلاق الإلۤهية مثل الصبر، فإنه نصر؛ أي: نصر إذ به يحصل المرام. وفي المثنوي:

صد هزاران كيميا حق آفريد ... كيميايى همجو صبر آدم نديد

وبذلك ينقلب الإنسان بالصبر من حال إلى حال أخرى أحسن من الأولى، كما ينقلب النحاس بالأكسير فضة، أو ذهباً. ودلت الآية على أنه ليس من الحكمة أن يقطع لسان الخلق بعضهم عن بعض ألا ترى أنه تعالى لم يقطع لسان الخلق عن ذاته الكريمة. حتى قالوا في حقه تعالى إن له صاحبة وولداً، ونحو ذلك، فكيف غيره تعالى من الأنبياء والمرسلين والأولياء

والمقربين، فالنار لا ترتفع من الدنيا إلا يوم القيامة، وإنما يرتفع الاحتراق بها كما وقع لإبراهيم عليه السلام، وغيره من الخواص، فكل البلايا كالنار، فبطون الأولياء وقلوب الصديقين في سلامة من الاحتراق بها؛ فإنه لا يجري إلا ما قضاه الله تعالى، ومن آمن بقضاء الله سلم من الاعتراض والانقباض.

وهكذا شأن الكبار نسأل الله الغفار السلامة من عذاب النار.

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿**ولو جعلناه**﴾؛ أي: الذكر. ﴿**قرآناً أعجمياً**﴾ منتظماً على لغة العجم مؤلفاً عليها والأعجمي في الأصل يقال: لذات من لايفصح عن مراده بلغة لسانه، وإن كان من العرب ولكلامه الملتبس الذي لا يوضح المعنى المقصود أطلق ها هنا على كلام مؤلف على لغة العجم بطريق الاستعارة تشبيهاً له بكلام من لا يفصح من حيث إنه لا يفهم معناه بالنسبة إلى العرب. وهذا جواب لقول قريش تعنتاً هلا أنزل القرآن بلغة العجم. يعني: [قرآن جرا بلعت عجم فروا نيامد]. ﴿**لقالوا**﴾: [هرآينه ميكفتند كفار قريش]. ﴿**لولا**﴾: حرف تحضيض بمعنى هلا وحرف التحضيض إذا دخل على الماضي كان معناه اللوم والتوبيخ على ترك الفعل، فهو في الماضي بمعنى الإنكار. ﴿**فصلت آياته**﴾؛ أي: بينت بلسان نفقهه من غير ترجمان عجمي، وهو من كان منسوباً إلى أمة العجم فصيحاً كان، أو غير فصيح. ﴿**أعجمي وعربي**﴾ إنكار مقرر للتحضيض. فالهمزة الأولى: همزة الاستفهام المعني بها الإنكار. والأعجمي كلام لا يفهم معناه ولغة العجم كذلك بالنسبة إلى العرب كما أشير إليه آنفاً. والياء ليست للنسبة الحقيقة، بل للمبالغة في الوصف كالأحمري.

والمعنى: لأنكروا وقالوا: كلام أو قرآن أعجمي ورسول أو مرسل إليه عربي؛ أي: لقالوا: كيف أرسل الكلام العجمي إلى القوم العرب، فكان ذلك أشد لتكذيبهم على أن الإقرار مع كون المرسل إليهم أمة جمة لما أن المراد بيان التنافي. والتنافي بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحداً، أو جمعاً. وقرأ هشام أعجمي على الإخبار لا على الاستفهام والإنشاء؛ أي: بهمزة واحدة هي من أصل الكلمة، فالتفصيل يجوز أن يكون بمعنى التفريق والتمييز، لا بمعنى التبيين كما في القراءة الأولى. فالمعنى: ولو جعلنا المنزل كله أعجمياً لقالوا: لولا فرقت آياته وميزت بأن جعل بعضها أعجمياً لإفهام العجم وبعضها عربياً لإفهام العرب أعجمي وعربي.

والمقصود بيان أن آيات الله على أي وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتاً يتعللون به؛ لأن القوم غير طالبين للحق، وإنما يتبعون أهواءهم:

در جشم اين سياه دلان صبح كاذبست درر وشنى اكر يد بيضا شود كسى

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى إزاحة العلة لمن أراد أن يعرف صدق الدعوة وصحة الشريعة، فإنه لا نهاية للتعليل بمثل هذه التعللات؛ لأنه تعالى لو جعل القرآن أعجمياً وعربياً، لقالوا لولا جعله عبرانياً وسريانياً. ﴿**قل هو**﴾؛ أي: الذكر. ﴿**للذين آمنوا هدى**﴾ يهديهم إلى الحق

وإلى طريق مستقيم. ﴿وشفاء﴾ لما في الصدور من شك وشبهة أو شفاء، حيث استراحوا به من كد الفكرة وتحير الخواطر، أو شفاء لضيق صدور المريدين لما فيه من التنعم بقراءته، والتلذذ بالتفكر فيه، أو شفاء لقلوب المحبين من لواعج الاشتياق لما فيه من لطائف المواعيد، أو شفاء لقلوب العارفين لما يتوالى عليها من أنوار التحقيق، وآثار خطاب الرب العزيز.

﴿**والذين لا يؤمنون**﴾: مبتدأ خبره قوله: ﴿**في آذانهم وقر**﴾؛ أي: ثقل وصمم على أن التقدير هو أي القرآن في آذانهم وقر على أن وقر خبر للضمير المقدر، وفي آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالاً لوقر لبيان محل الوقر، وهو أوفق لقوله تعالى: ﴿**وهو**﴾؛ أي: القرآن ﴿**عليهم**﴾؛ أي: على الكفار المعاندين ﴿**عمى**﴾، وذلك لتصاممهم عن سماعه وتعاميهم عما يريهم من الآيات، وهو بفتح الميم المنونة؛ أي: ذوي عمى على معنى عميت قلوبهم عنه، وهو مصدر عمى يعمى كعلم.

وفي «المفردات»: محتمل لعمى البصر والبصيرة جميعاً. وقرأ ابن عباس رضي الله عنهما بكسر الميم بمعنى: خفي. وبالفارسية: [واين كتاب برايشان بوشيد كيسنت تاجلوه جمال كمال اونه بينند]. ﴿**أولئك**﴾ البعداء الموصوفون بما ذكر من التصامم عن الحق الذي يسمعونه والتعامي عن الآيات الظاهرة التي يشاهدونها. ﴿**ينادون من مكان بعيد**﴾: تمثيل لهم في عدم قبولهم واستماعهم للقرآن بمن ينادي ويصيح به من مسافة بعيدة لا يكاد يسمع من مثلها الأصوات. يعني: [مثل ايشان جون كسيست كه اورا از مسافة دور ودراز بخواندند نه خواننده را بيند ونه آواز اورا شنودبس اورا ازان نداجه نفع رسد]:

نادى اقبال ميكويد كه اي ناقابلان ما بسى نزديك نزديك وشما بس دوردور

قال الشيخ سعدي در جامع بعلبك: [كلمة جندبر طريق وعظ ميكفتم باطائفة افسر ده ودل مرده وراه از عالم صوت بمعنى نبرده ديدم كه نفسم درنمى كيردو آتشم در هيزم ترايشان اثر نمى كنند دريغ آمدم تربية ستوران وآينه دارى در محله كوران وليكن در معنى باز بودو سلسلة سخن دراز ودربيان اين آيت كه كفت خداى تعالى]. ونحن أقرب إليه من حبل الوريد [سخن بجايى رسيده بود كه ميكفتم]:

دوست نزديكتر ازمن بمنست وين عجبتر من ازوى دورم
جه كنم باكه توان كفت كه او دركنار من ومن مهجورم

[من از شرح اين سخن مست وفضلة قدح دردست كه رونده از كنار مجلس كذر كردودور آخر برو اثر كرد نعرة جنان زدكه ديكران درموافقت اودر خروش امدند وخامان مجلس درجوش كفتم سبحان الله دوران با خبر در حضورست ونزديكان بى بصر دور]:

فهم سخن جون نكند مستمع قوت طبع از متكلم مجوى
فسحت ميدان ارادت بيار تابزند مرد سخن كوى كوى

وعن الضحاك ينادون يوم القيامة بأقبح أسمائهم من مكان بعيد يعني: يقال يا فاسق يا منافق يا كذا، ويا كذا، فيكون ذلك أشد لتوبيخهم وخزيهم.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**أولئك ينادون من مكان بعيد**﴾؛ لأن النداء إنما يجيء من فوق أعلى عليين، وهم في أسفل السافلين من الطبيعة الإنسانية، وهم أبعد البعداء. وقال ذو النون رحمه الله: من وقر سمعه وصم عن نداء الحق في الأزل لا يسمع نداءه عند الإيجاد،

وإن سمعه كان عليه عمى، ويكون عن حقائقه بعيداً، وذلك أنهم نودوا عن بعد، ولم يكونوا بالقرب نسأل الله القرب على كل حال.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾﴾

﴿ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه﴾؛ أي: وبالله لقد آتيناه التوراة، فاختلف فيها، فمن مصدق لها، ومن مكذب وغيروها من بعده بخمسمائة عام. وهكذا حال قومك في شأن ما آتيناك من القرآن، فمن مؤمن به ومن كافر، وإن كانوا لا يقدرون على تحريفه، فإنا له لحافظون، فالاختلاف في شأن الكتب عادة قديمة للأمم غير مختص بقومك، ففيه تسلية له عليه السلام.

﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾ في حق أمتك المكذبة، وهي العدة بتأخير عذابهم، والفصل بينهم وبين المؤمنين من الخصومة إلى يوم القيامة بنحو قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ﴾ [القمر: ٤٦]. وقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [فاطر: ٤٥]. **﴿لقضي﴾** في الدنيا وحكم **﴿بينهم﴾** باستئصال المكذبين كما فعل بمكذبي الأمم السالفة.

يقول الفقير: إنما لم يفعل الاستئصال؛ لأن نبينا عليه السلام كان نبي الرحمة؛ ولأن مكة كانت مهاجر الأنبياء والمرسلين ومهبط الملائكة المقربين بأنواع رحمة رب العالمين، فلو وقع فيها الاستئصال لكانت مثل ديار عاد وثمود، ووقعت النفرة لقلوب الناس. وقد دعا إبراهيم عليه السلام بقوله: ﴿فَٱجْعَلْ أَفْـِٔدَةً مِّنَ ٱلنَّاسِ تَهْوِىٓ إِلَيْهِمْ﴾ [إبراهيم: ٣٧] فكان من حكمته أن لا يجعل الحرم المبارك الآمن مصارع السوء، وأن يقيه من نتائج سخطه. **﴿وإنهم﴾**؛ أي: كفار قومك. **﴿لفي شك منه﴾**؛ أي: من القرآن. **﴿مريب﴾**: موجب للاضطراب موقع فيه. وبالفارسية: [كمانى باضطراب آورده]. وتمامه في آخر سورة سبأ، فارجع والشك عبارة عن تساوي الطرفين والتردد فيهما من غير ترجيح والوهم ملاحظة الطرف المرجوح، وكلاهما تصور لا حكم معه؛ أي: لا تصديق معه أصلاً.

﴿مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿من﴾: [هركه].

﴿عمل صالحاً﴾ بأن آمن بالكتب وعمل بموجبها. **﴿فلنفسه﴾** فعمله أو فنفعه لنفسه لا لغيره. **﴿ومن أساء﴾**: [وهركه بكند عمل بد والاساءة بدى كردن]. **﴿فعليها﴾** ضرره لا على غيرها. **﴿وما ربك بظلام للعبيد﴾**، فيفعل بهم ما ليس له أن يفعله، بل هو العادل المتفضل الذي يجازي كل أحد بكسبه، وهو اعتراض تذييلي مقرر لمضمون ما قبله مبني على تنزيل ترك إثابة المحسن بعمله، أو إثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير إساءة أو بإساءة غيره منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه سبحانه؛ أي: هو منزه عن الظلم. يقال: من ظلم وعلم أنه يظلم، فهو ظلام.

وقال بعضهم: أصله وما ربك بظالم، ثم نقل مع نفيه إلى صيغة المبالغة، فكانت المبالغة راجعة إلى النفي على معنى أن الظلم منفي عنه نفياً مؤكداً مضاعفاً، ولو جعل النفي داخلاً على صيغة المبالغة بتضعيف ظالم بدون نفيه، ثم أدخل عليه النفي لكان المعنى أن

تضعيف الظلم منفي عنه تعالى، ولا يلزم منه نفيه عن أصله والله تعالى منزه عن الظلم مطلقاً، ويجوز أن يقال: صيغة المبالغة باعتبار كثرة العبيد لا باعتبار كثرة الظلم، كما قال تعالى: ﴿وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

وفي الحديث القدسي: «إني حرمت الظلم على نفسي وعلى عبادي ألا فلا تظالموا» ـ بفتح التاء ـ أصله تتظالموا. والظلم هو: التصرف في ملك الغير أو مجاوزة الحد. وهذا محال في حق الله تعالى؛ لأن العالم كله ملك، وليس فوقه أحد يحدّ له حداً، ولا تجاوز عنه. فالمعنى: تقدست وتعاليت عن الظلم، وهو ممكن في حق العباد، ولكن الله منعهم عنه.

وفي الحديث: «من مشى مع ظالم ليعينه، وهو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام». وفي حديث آخر: «من مشى خلف ظالم سبع خطوات فقد أجرم». قال الله تعالى: ﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ [السجدة: ٢٢]. وكان من ديدن السلطان بسمرقند الامتحان بنفسه مرات لطلبة مدرسته المرتبين أعالي وأواسط وأداني بعد تعيين جماعة كثيرة من العدول غير المدرس للامتحان من الأفاضل حذراً من الحيف. وكان يعد الحيف في الرتبة بين المستعدين من قبيل الكفر في الدين وأكثر المستعدين في هذا الزمان على الخذلان والحرمان.

قال الصائب: [تير بختى لازم طبع بلند افتاده است باى خودرا جون تواند داشتن روشن جراغ].

ينبغي للعاقل أن يسارع إلى الأعمال الصالحة دائماً خصوصاً في زمان انتشار الظلم والفساد وغلبة الهوى على النفوس والطباع، فإن الثبات على الحق في مثل ذلك الوقت أفضل وأعظم. قال ابن الماجشون، وهو أي: ابن الماجشون كان من أهل المدينة. وكان مع عمر بن عبد العزيز في ولايته على المدينة لما خرج روح أبي وضعناه على السرير، فدخل عليه غاسل فرأى عرقاً يتحرك في أسفل قدمه فمكث ثلاثة أيام، ثم استوى جالساً. وقال: ائتوني بسويق، فأتوا به فشرب فقلنا له: خبرنا ما رأيت. قال: عرج بروحي فصعد بي الملك حتى أتى إلى السماء الدنيا، فاستفتح ففتح له حتى انتهى إلى السابعة. فقيل له: من معك؟ قال: الماجشون، فقيل: لم يؤذن له بعد يقي من عمره كذا. ثم هبط بي فرأيت النبي ﷺ، وأبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعمر بن عبد العزيز بين يديه، فقلت للملك: إنه لقريب المقعد من رسول الله عليه السلام. قال: إنه عمل بالحق في زمن الجور وأنهما عملا بالحق في زمن الحق [بقومى كه نيكى بسندد خداى]:

دهد خسر وعادل ونيك راى ... جوخواهد كه ويران كند عالمى
كند ملك دربنجه ظالمى ... ومن الله الأمن والسلامه

﴿۞ إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ ۚ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ ۚ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ۖ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾﴾.

﴿**إليه**﴾ تعالى لا إلى غيره. ﴿**يرد علم الساعة**﴾ إذا سئل عن القيامة يقال: الله يعلم إذ لا يعلمها إلا الله، فإذا جاءت يقضي بين المحسن والمسيء بالجنة والنار. ﴿**وما**﴾ نافية. ﴿**تخرج من ثمرات**﴾ من مزيدة للتنصيص على الاستغراق؛ فإنه قبل دخولها يحتمل نفي الجنس ونفي الوحدة.

والمعنى بالفارسية: [وبيرون نيايد هيج ميوه]. ﴿من أكمامها﴾ من أوعيتها يعني الكفرى قبل أن ينشق. وقيل: قشرها الأعلى من الجوز واللوز والفستق وغيرها. جمع كم بالكسر، وهو وعاء الثمرة وغلافها؛ أي: ما يغطي الثمرة كما أن الكم بالضم ما يغطي اليد من القميص. ﴿وما تحمل من أنثى﴾: [وبار نكيرد هيج مادة ازانسان وسائر حيوانات]. ﴿ولا تضع﴾ حملها بمكان على وجه الأرض. ﴿إلا بعلمه﴾ استثناء مفرغ من أعم الأحوال، ولم يذكر متعلق العلم للتعميم؛ أي: وما يحدث شيء من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابساً بشيء من الأشياء إلا ملابساً بعلمه المحيط واقعاً حسب تعلقه به، يعلم وقت خروج الثمرة من أكمامها وعددها وسائر ما يتعلق بها من أنها تبلغ أوان النضج أو تفسد قبل ونحوه، ووقت الحمل وعدد أيامه وساعاته وأحواله من الخداج والتمام والذكورة والأنوثة. والحسن والقبح وغير ذلك. ووقت الوضع وما يتعلق به، ولعل ذكر هذه الجمل الثلاث بعد ذكر الساعة لاشتمالها على جواز البعث، وإحياء الموتى.

وفي «حواشي ابن الشيخ»: المعنى أن إليه يضاف علم الساعة؛ أي: علم وقت وقوع القيامة، فإذا سئلت عنه فرد العلم إليه، فقل الله أعلم كما يرد إليه علم جميع الحوادث الآتية من الثمار والنبات وغيرهما.

روي: أن منصور الدوانقي أهمه مدة عمره فرأى في منامه شخصاً أخرج يده من البحر وأشار بالأصابع الخمس فاستفتى العلماء في ذلك فتأولوه بخمس سنين وبخمسة أشهر وبغير ذلك حتى قال أبو حنيفة تأويله أن مفاتح الغيب خمسة لا يعلمها إلا الله، وأن ما طلبت معرفته لا سبيل لك إليه أخذه أبو حنيفة رحمه الله من قوله عليه السلام مفاتح الغيب خمسة، وتلا قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ [لقمان: ٣٤].

يقول الفقير: ظهر من هذا وجه الجمع بين علم الساعة وعلم خروج الثمرات إذ هو داخل في تنزيل الغيث؛ لأنه بالغيث والرياح تخرج النباتات، وتظهر الثمرات. ﴿ويوم يناديهم﴾؛ أي: اذكر يا محمد لقومك يوم يناديهم الله ﴿أين شركائي﴾ بزعمكم كما نص عليه في قوله تعالى: ﴿نَادُواْ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ﴾ [الكهف: ٥٢] وبالفارسية كجا اند انبازان بزعم شما. ﴿قالوا آذناك﴾؛ أي: أخبرناك وأعلمناك. ﴿ما منا﴾: [نيست ازما]. ﴿من شهيد﴾ من أحد يشهد لهم بالشركة إذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال، فيكون السؤال عنهم للتوبيخ، والشهيد من الشهادة، أو ما منا من أحد يشهدهم؛ لأنهم ضلوا عنهم حينئذٍ فهم لا يبصرونهم في ساعة التوبيخ، فالشهيد من الشهود.

قال في «حواشي سعدي المفتي»: والظاهر أنه كقولهم، والله ربنا ما كنا مشركين، بل الإشارة بقولهم آذناك إلى هذا القول الذي أجابوا به أولاً متعمدين للكذب. انتهى. وفي «الإرشاد» قولهم: آذناك إما لأن هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب أو لأن معناه الإنشاء لا الإخبار بإيذان قد كان انتهى.

﴿وضل عنهم ما كانوا يدعون من قبل﴾؛ أي: غاب عن المشركين الآلهة التي كانوا يعبدونها من قبل يوم القيامة، أو ظهر عدم نفعهم، فكان حضورهم كغيبتهم. ﴿وظنوا﴾؛ أي: أيقنوا. ﴿ما لهم من محيص﴾ مهرب. وبالفارسية: [ويقين دانندكه اذ عذاب وعقوبت نيست

ايشانرا هيج كريز كاهى]. من حاص يحيص حيصاً ومحيصاً إذا هرب.

وفي «المفردات»: أصله من قولهم: وقع في حيص بيص؛ أي: في شدة وحاص عن الحق يحيص؛ أي: جاد عنه إلى شدة ومكروه.

وفي «القاموس»: حاص عنه عدل وحاد. والمحيص المحيد والمعدل والميل والمهرب والظن معلق عنه بحرف النفي، والتعليق أن يوقع بعده ما ينوب عن المفعولين جميعاً.

وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى ينادي، فيقول: أين شركائي الذين كانوا يرون أنهم يخلقون أفعالهم وأعمالهم. قالوا: آذناك ما منا من شهيد يشهد أنه خالق فعله وكوشفوا بأنه لا خالق إلا الله، وهم المعتزلة، وقد سئل الرستغفني عن المناكحة بين أهل السنة وبين أهل الاعتزال، فقال: لا يجوز كما في «مجمع الفتاوى». وذلك لأن أهل الاعتزال مشركون بقولهم: أن العباد خالقون لأفعالهم. وقد قال تعالى: ﴿وَلَا تُنكِحُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَتَّىٰ يُؤْمِنُوا۟ۚ﴾ [البقرة: ٢٢١]؛ أي: يوحدوا ويقولوا: لا خالق إلا الله ولا وجود في الحقيقة إلا الله وضل عنهم يوم القيامة، ما كانوا يدعون من قبل أن له وجوداً وزال وبطل (ع): [جه كونه غير توبيند كسى كه غير تويست]. وأيقنوا ما لهم من مهرب إلى الله عند قيام الساعة بتجلي صفة القهارية، ولو كانوا أرباب اللطف في الدنيا لنالوا لطفه في العقبى، فعلى العاقل أن يهرب ويفر إلى الله تعالى، كما قال: ﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِۖ﴾ [الذاريات: ٥٠]، فإذا فر إليه أنس به والأنيس لايخاف من قهر الأنيس إذ هو على الملاطفة معه على كل حال.

قال ذو النون المصري قدس سره: ركبنا مرة في مركب وركب معنا شاب صبيح وجهه مشرق، فلما توسطنا فقد صاحب المركب كيساً فيه مال، ففتش كل من في المركب، فلما وصلوا إلى الشاب ليفتشوه وثب وثبة من المركب حتى جلس على أمواج البحر. وقام له الموج على مثال السرير، ونحن ننظر إليه من المركب.

وقال: يا مولاي إن هؤلاء اتهموني، وإني أقسم عليك يا حبيب قلبي أن تأمر كل دابة في هذا المكان أن تخرج رأسها، وفي أفواهها جواهر.

قال ذو النون: فما تم كلامه حتى رأينا دواب البحر أمام المركب، قد أخرجت رؤوسها، وفي فم كل واحدة منها جوهرة تتلألأ، وتلمع، ثم وثب الشاب من الموج إلى البحر وجعل يتبختر على وجه الماء، ويقول: إياك نعبد وإياك نستعين حتى غاب عن بصري، فحملني هذا على السياحة، وذكرت قوله عليه السلام «لا يزال في أمتي ثلاثون قلوبهم على قلب إبراهيم خليل الرحمن وكلما مات منهم واحد أبدل الله مكانه واحداً» ظهر من هذه الحكاية، أن الله تعالى تجلى لذلك الشاب بصفة اللطف، فسلم من قهر البحر، وذلك لتحققه بحقيقة قوله: إياك نعبد؛ فإنه من اختصاص العبادة يحصل اختصاص التوحيد وبالتوحيد الحقاني يزول كل ما كان من طريق القهر؛ لأن من قهر وجوده لا يقهر مرة أخرى، ولما شاهد ذو النون هذه الحال من الشاب؛ لأنها حال تنافي حال أهل الدنيا. كما قال الشيخ المغربي:

هيج كس كرجه زحالى نيست خالى درجهان

ليكن اين حالى كه ماراهست حال ديكراست

سلك طريق اللطف وساح في الأرض حتى وصل إلى اللطيف الخبير.

﴿لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾﴾.

﴿**لا يسأم الإنسان**﴾؛ أي: لا يمل ولا يضجر. وبالفارسية: [ملول نميشود كافر]. فهذا وصف للجنس بوصف غالب افراده لما أن اليأس من رحمة الله لا يتأتى إلا من الكافر، وسيصرح به. ﴿**من دعاء الخير**﴾؛ أي: من دعائه الخير وطلبه السعة في النعمة وأسباب المعيشة، فحذف الفاعل، وأضيف إلى المفعول. والمعنى: أن الإنسان في حال إقبال الخير إليه لا ينتهي إلى درجة إلا ويطلب الزيادة عليها، ولا يمل من طلبها أبداً، وفيه إشارة إلى أن الإنسان مجبول على طلب الخير بحيث لا تتطرق إليه السآمة، فبهذه الخصلة بلغ من بلغ رتبة خير البرية، وبها بلغ من بلغ دركة شر البرية، وذلك لأنه لما خلق لحمل الأمانة التي أشفق منها البرية، وأبين أن يحملنها. وهي عبارة عن الفيض الإلٰهي بلا واسطة. وذلك فيض لا نهاية له، فلحملها احتاج الإنسان إلى طلب غير متناه، فطلب بعضهم هذا الطلب في تحصيل الدنيا وزينتها وشهواتها واستيفاء لذاتها فما سئم من الطلب وصار شر البرية.

قال الحافظ:

تاكى غم دنياى دنى اى دل دانا حيفست زخوبى كه شود عاشق زشتى

﴿**وإن مسه الشر**﴾؛ أي: العسر والضيق. ﴿**فيؤوس قنوط**﴾؛ أي: يبالغ في قطع الرجاء من فضل الله ورحمته. وبالفارسية: [واكر برسد ويرابدى جون تنكى وتنكدستى وبيمارى بس نوميدست ازراحت اميد برنده ازرحمت]. والقنوط: عبارة عن يأس مفرط يظهر أثره في الشخص فيتضاءل وينكسر فبهذا ظهر الفرق بين اليأس والقنوط.

وفي «التأويلات النجمية»: وإن مسه الشر، وهو فطامه عن مألوفات نفسه وهواه فيؤوس قنوط لايرجو زوال البلايا والمحن لعدم علمه بربه، وانسداد الطريق على قلبه في الرجوع إلى الله ليدفع عنه ذلك. قال الحافظ:

سروش عالم غيبم بشارتى خوش داد كه كس هميشه بكيتى دزم نخواهد ماند

وفيه إشارة إلى أن الإنسان لا يدعو عارفاً بربه طاعة لربه، بل لتحصيل مراده وأربه، ولهذا وقع في ورطة الفرار واليأس عند ظهور اليأس.

﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ ۚ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾﴾

﴿**ولئن أذقناه رحمة منا**﴾ من عندنا. ﴿**من بعد ضراء مسته**﴾؛ أي: أصابته وذلك بتفريج تلك الضراء عنه كالمرض والضيق بالرحمة كالصحة والسعة. ﴿**ليقولن هذا**﴾ الخير ﴿**لي**﴾؛ أي: حقي وصل إليَّ لأني أستحقه لما لي من الفضل وعمل البر، فاللام للاستحقاق أولى لا لغيري، فلا يزول عني أبداً، فاللام للاختصاص فيكون إخباراً عن لازم الاستحقاق لا عن نفسه، كما في الوجه الأول، ومعنى الدوام استفيد من لام الاختصاص؛ لأن ما يختص بأحد الظاهر أنه لا يزول عنه، فذلك المسكين لم ير فضل الله وتوفيقه، فادعى الاستحقاق في الصورة الأولى، واشتغل بالنعمة عن المنعم، وجهل أن الله تعالى أعطاه ليبلوه [ايشكرام]. يكفر فلو أراد لقطعها منه، وذلك في الصورة الثانية. ﴿**وما أظن الساعة قائمة**﴾؛ أي: تقوم وتحضر وتكون فيما سيأتي كما يزعم محمد. ﴿**ولئن رجعت**﴾ رددت ﴿**إلى ربي**﴾ على تقدير

قيامها وبعثت، وهو الذي أرادوا بقولهم إن نظن إلا ظناً، فلا يخالف، وما أظن الساعة قائمة؛ لأن المراد الظن منه الكامل. ﴿**إن لي عنده للحسنى**﴾، وهو جواب القسم لسبقه الشرطية؛ أي: للحالة الحسنى من الكرامة يعني: [استحقاق من مرنعمت وكرمت راثابت است خواه دردنيا خواه در عقبا (ع)].

زهـى تـصـور بـاطـل زهـى خـيـال مـحـال

أعتقد أن ما أصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه لها، وأن نعم الآخرة كذلك؛ لأن سبب الإعطاء متحقق في الآخرة أيضا، وهو استحقاقه إياها، فقاس أمر الآخرة على أمر الدنيا بالوهم المحض والأمنية الكاذبة. وعن بعضهم: للكافر أمنيتان يقول في الدنيا: ولئن رجعت إلخ. وفي الآخرة: يا ليتني كنت تراباً [وهيجكدام ازين معنى وجودى نخواهد كرفت]. وعن بعض أهل التفسير: ﴿**إن لي عنده للحسنى**﴾؛ أي: الجنة يقول ذلك استهزاء. ﴿**فلننبئن الذين كفروا بما عملوا**﴾؛ أي: لنعلمنهم بحقيقة أعمالهم حين أظهرناها بصورها الحقيقية، فيرون أنها مقابح يهان عليها لا محاسن يكرم عليها. ﴿**ولنذيقنهم من عذاب غليظ**﴾ لا يعرف كنهه، ولا يمكنهم التفصي منه؛ كأنه لغلظته يحيط بجميع جهاتهم. وقد كان معذباً في الدنيا بعذاب الطرد والبعد، ولكن لما لم يجد ذوق العذاب وألمه أذاقه الله تعد انتباهه من نومه وغفلته؛ أي: بعد الموت لقول علي كرم الله وجهه الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا.

وفي «بحر العلوم»: غليظ؛ أي: شديد أو عظيم، ومن ابتدائية أو بيانية والمبين محذوف كأنه قيل: ولنذيقنهم عذاباً مهيناً من عذاب كبير بدل ما اعتقدوه لأنفسهم من الإكرام والإعزاز من الله تعالى.

يقول الفقير: يجوز أن يقال: وصف العذاب بالغلظة لغلظة بدن المعذب به. قال حضرة الشيخ صدر الدين القنوي قدس سره: الغالب على الأشقياء خواص التركيب والكثافة. كما أشار إليه عليه السلام بقوله: إن غلظ جلد الكافر يوم القيامة مسيرة ثلاثة أيام وكما نبه الحق على ذلك بقوله: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْفُجَّارِ لَفِى سِجِّينٍ ۝٧﴾ [المطففين: ٧]، وهو العالم السفلي المضاف إلى اليد المسماة بالقبضة، وبالشمال أيضاً. وقال في أصحاب اليمين: ﴿كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ۝١٨﴾ [المطففين: ١٨]. وهذا مثل قوله: ﴿وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]. والسر في أن الأبرار وكتابهم في عليين هو أن أجزاء نشأتهم الكثيفة، وقواهم الطبيعة المزاجية تجوهرت وزكت واستحالت بالتقديس والتزكية الحاصلين بالعلم والعمل والتحلية بالصفات المحمودة، والأخلاق السنية قوى وصفات ملكية ثابتة زكية ذاتية لنفوسهم المطمئنة، كما أخبر الحق عن ذلك بقوله: في بيان أحوال النفوس ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ۝٩﴾ [الشمس: ٩]، وكما أشار إليه عليه السلام في دعائه: اللهم آتِ نفسي تقواها وزكها أنت خير من زكاها. والحال في الأشقياء بعكس ذلك، فإن قواهم وصفاتهم الروحانية لما استهلكت في القوى الطبيعة المتصفة بأحكام اعتقاداتهم وظنونهم الفاسدة وأفعالهم الرديئة وأخلاقهم المذمومة زمان بقائهم السنين الكثيرة في هذه النشأة. وهذه الدار ركبها الحق في النشأة الحشرية بحيث يحصل منها ما اقتضى أن يكون غلظ جلد بدن أحدهم مسيرة ثلاثة أيام عكس ما نبهت عليه من حال الأبرار، ولهذا ورد في شأن النشأة الجنانية أن أصحابها يظهرون في الوقت الواحد في الصور المتعددة منعمين في كل طائفة من أهاليهم منقلبين فيما اشتهوا من الصور، وليس هذا إلا من

أجل ما ذكرنا من استهلاك أجزاء نشأتهم الكثيفة في لطائف جواهرها وانصباغها بصفاتها وغلبة خواص نفوسهم، وقواهم الروحانية على قوى أمزجتهم الطبيعية، فصاروا كالملائكة يظهرون فيما شاؤوا من الصور.

بال بكشا وصفيراز شجر طوبى زن حيف باشد جوتو مرغى كه اسير قفسى

﴿وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض﴾؛ أي: عن الشكر على إنعامه، وهذا نوع آخر من طغيان الكافر إذا أصابه الله بنعمة أبطرته النعمة؛ وكأنه لم يلق شدة قط فنسي المنعم وكفر بنعمته بترك الشكر. **﴿ونأى بجانبه﴾**: [النأى دور شدن]. ويعدى بنفسه وبعن كما في «تاج المصادر»؛ أي: تباعد بكليته عن الشكر لا بجانبه فقط، ولم يمل إلى الشكر والطاعة تكبراً وتعظماً، فالجانب مجاز عن النفس كما في قوله تعالى: ﴿فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٦]، ويجوز أن يراد به عطفه، فيكون على حقيقته وعبارة عن الانحراف والازورار؛ لأن نأي الجانب عن الشكر يستلزم الانحراف عنه، كما قالوا: ثنى عطفه وتولى بركنه، فالباء للتعدية.

وفي «التأويلات النجمية»: إذا خلناه إلى الطبيعة الإنسانية، وهي الظلومية والجهولية لا يميز بين العطاء والبلاء، فكثير مما يتوهمه عطاء، وهو مكر واستدراج هو يستديمه وكثير مما هو فضل في نقمة وعطاء في الشر، وهو يظنه بلاء، فيكرهه بل إذا أنعمنا عليه صاحبه بالبطر، وإذا أبليناه قابله بالضجر، بل وإذا أنعمنا عليه أعجب بنفسه، فتكبر مختالاً في زهوه لا يشكر ربه، ولا يذكر فضله ويشتغل بالنعمة عن المنعم ويتباعد عن بساط طاعته، فكالمستغني عنا يهيم على وجهه. قال الحافظ:

ببال وبر مرو ازره كه تيربرتابى هو اكرفت زمانى ولى بخاك نشست

﴿وإذا مسه الشر﴾؛ أي: إذا مس هذا الإنسان المعرض المتكبر جنس الشر كالبلاء والمحنة، وإنما جيء بلفظ الماضي، وإذا لأن المراد الشر المطلق الذي حصوله مقطوع به. **﴿فذو دعاء عريض﴾**؛ أي: فهو ذو دعاء كثير كما يقال: أطال فلان الكلام والدعاء، وأعرض؛ أي: أكثر فهو مستعار مما له عرض متسع للإشعار بكثرته، فإن العريض يكون ذا أجزاء كثيرة، وامتداد فمعنى الاتساع يؤخذ من تنكير عريض، فإنه يدل على التعظيم، ومعنى الامتداد يؤخذ من معنى الطول اللازم للعرض، وهو أي عريض أبلغ من طويل إذ الطول أطول الامتدادين فإذا كان عرضه كذلك؛ أي: متسعاً، فما ظنك بطوله، ولعل شأن بعض غير البعض الذي حكي عنه اليأس والقنوط إذ اليأس، والقنوط ينافيان الدعاء؛ لأنه فرع الطمع والرجاء، أو شأن الكل في بعض الأوقات.

وقيل: قنوط من الصنم دعاء لله، أو قنوط بالقلب دعاء باللسان.

﴿قل أرأيتم﴾؛ أي: أخبروني؛ لأن الرؤية سبب للإخبار. **﴿إن كان﴾**؛ أي: القرآن **﴿من عند الله ثم كفرتم به﴾** من غير نظر واتباع دليل مع تعاضد موجبات الإيمان به. **﴿من﴾** استفهام **﴿أضل ممن هو في شقاق بعيد﴾**؛ أي: من أضل منكم، فوضع الموصول موضع الضمير شرحاً لحالهم وتعليلاً لمزيد ضلالهم وخلافهم؛ بأنه لكونهم في شقاق بعيد، فإن من كفر بما

نزل من عند الله، بأن قال: أساطير الأولين، ونحوه. فقد كان مشاقاً لله؛ أي: معادياً ومخالفاً له خلافاً بعيداً عن الوفاق، ومعاداة بعيدة عن الموالاة، ولا شك أن من كان كذا، فهو في غاية الضلال.

وفي الآية إشارة إلى أن كل بلاء وعناء ونعمة ورحمة ومضرة ومسرة ينزل بالعبد، فهو من عند الله، فإن استقبله بالتسليم والرضا صابراً شاكراً للمولى في الشدة والرخاء والسراء والضراء، فهو من المهتدين المقربين، وإن استقبله بالكفر والجزع بالخذلان، فهو من الأشقياء المبعدين المضلين.

وفي الحديث القدسي: «إذا وجهت إلى عبد من عبيدي مصيبة في بدنه أو ماله، أو ولده، ثم استقبل ذلك بصبر جميل استحييت منه يوم القيامة أن أنصب له ميزاناً وأنشر له ديواناً». وفي الحديث: «إذا أحب الله عبداً ابتلاه إذا أحبه حباً شديداً، افتناه فإن صبر ورضي اجتباه. قيل: يا رسول الله، وما افتناؤه، قال: أن لا يبقى له مالاً ولا ولداً».

قال بعض الكبار: النعمة توجب الإعراض كما قال الله تعالى: **﴿وإذا أنعمنا على الإنسان﴾**، إلخ. ومس الضر يوجب الإقبال على الله كما قال الله تعالى: **﴿وإذا مسه الشر﴾** إلخ. فالله تعالى رحيم على العبد بدفع النعمة والصحة عنه؛ لأنها مظنة الإعراض والبلاء للولاء كاللهب للذهب، فالبلاء كالنار، فكما أن النار لا تبقي من الحطب شيئاً إلا وأحرقته، فكذا البلاء لا يبقي من ضر الوجود شيئاً، فالطريق إلى الله على جادة المحنة أقرب من جادة المنحة إذ الأنبياء والأولياء جاؤوا، وذهبوا من طريق البلاء، وقد ثبت أن النار لا ترتفع من الدنيا أبداً، فكيف يؤمل العاقل الراحة في الدنيا، فهي دار محنة وقد ورد: «الدنيا سجن المؤمن» لا يستريح في الدنيا، ولا يخلو من قلة أو علة، أو ذلة، وله راحة عظمى في الآخرة والكافر خاسر في الدنيا والآخرة، فعلى العبد أن يمشي على الصراط السوي، ويخاف من الزلق ومن مكر الله تعالى. قال الحافظ:

جه جاى من كه بلغزد سبهر شعبده باز ازين حيل كه در انبانة بهانة يست

﴿سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ ۗ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ ۗ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾.

﴿سنريهم﴾: [زود باشد كه بنما يم ايشانرا يعني كفار قريش را]. **﴿آياتنا﴾**: الدالة على حقيقة القرآن، وكونه من عند الله **﴿في الآفاق﴾**: جمع أفق، وهي الناحية من نواحي الأرض، وكذا آفاق السماء: نواحيها وأطرافها. والآفاق: ما خرج عنك، وهو العالم الكبير من الفرش إلى العرش، والأنفس ما دخل فيك، وهو العالم الصغير، وهو كل إنسان بانفراده. والمراد بالآيات الآفاقية: ما أخبرهم النبي عليه السلام من الحوادث الآتية كغلبة الروم على فارس في بضع سنين، وآثار النوازل الماضية الموافقة لما هو المضبوط المقرر عند أصحاب التواريخ. والحال أنه عليه السلام أمي لم يقرأ، ولم يكتب، ولم يخالط أحداً، أو ما يسر الله له ولخلفائه من الفتوح، والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة إذ لم يتيسر أمثالها لأحد من خلفاء الأرض قبلهم.

﴿وفي أنفسهم﴾: هو ما ظهر فيما بين أهل مكة من القحط والخوف، وما حل بهم يوم

بدر ويوم الفتح من القتل والمقهورية، ولم ينقل إلينا أن مكة فتحت على يد أحد قبل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وكذا قتل أهلها، وأسرهم.

وقيل: في الآفاق؛ أي: في أقطار السماوات والأرض من الشمس والقمر والنجوم، وما يترتب عليها من الليل والنهار، والأضواء والظلال والظلمات، ومن النبات والأشجار والأنهار. وفي أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة في تكوين الأجنة في ظلمات الأرحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتراكيب الغريبة كقوله تعالى: ﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذاريات: ٢١]، واعتذر بأن معنى السين مع أن إراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك أنه تعالى سيطلعهم على تلك الآيات زماناً فزماناً ويزيدهم وقوفاً على حقائقها يوماً فيوماً، قالوا: الآفاق هو العالم الكبير والأنفس هو العالم الصغير. [وهرجه از دلائل قدرت در عالم كبيراست نمودار آن عالم صغير است]، وتزعم أنك جرم صغير، وفيك انطوى العالم الأكبر [جميع آنجه در عالم است مفصلا در نشأت إنسان است مجملاً بل إنسان عالم صغير عالم مجملست ازروى صورت وعالم أنسان كبير اما أزروى قدرت مرتبة إنسان كبيرست وعالم إنسان صغير]:

اى آنكه تر است ملك اسكندر وجم از حرص مباش دربى نيم درم
عالم همه درتست وليكن از جهل بنداشتة تو خويش را در عالم

فجسم الإنسان كالعرش، ونفسه كالكرسي، وقلبه كالبيت المعمور، واللطائف القلبية كالجنان والقوى الروحانية كالملائكة والعينان والأذنان والمنخران والسبيلان والثديان والسرة والفم كالبروج الاثني عشر، والقوة الباصرة والسامعة والذائقة والشامة واللامسة والناطقة والعاقلة، كالكواكب السيارة، وكما أن رياسة الكواكب بالشمس والقمر واحدهما يستمد من الآخر، فكذلك رياسة القوى بالعقل والنطق، وهو أي النطق مستمد من العقل، وكما أن في العالم الكبير ستين وثلاثمائة يوم، فكذا في الإنسان ستون وثلاثمائة مفصل، وكما أن للقمر ثمانية وعشرين منزلاً يدور فيه في كل شهر، فكذا في الفم ثمانية وعشرون مخرجاً للحروف، وكما أن القمر يظهر في خمس عشرة ليلة، ويخفى في الباقي كذلك التنوين والنون الساكنة يخفيان عند ملاقاتهما خمسة عشر حرفاً، وكما أن في العالم الكبير أرضاً وجبالاً ومعادن وبحاراً، وأنهاراً وجداول وسواقي، فجسد الإنسان كالأرض وعظامه كالجبال التي هي أوتاد الأرض، ومخه كالمعادن وجوفه كالبحار وأمعاؤه كالأنهار وعروقه كالجداول والسواقي وشحمه كالطين وشعره كالنبات، ومنبت الشعر كالتربة الطيبة وأنسه كالعمران وظهره كالمفاوز ووحشته كالخراب وتنفسه كالرياح وكلامه كالرعد وأصواته كالصواعق وبكاؤه كالمطر وسروره كضوء النهار وحزنه كظلمة الليل ونومه كالموت ويقظته كالحياة وولادته كبدء سفره وأيام صباه كالربيع وشبابه كالصيف، وكهولته كالخريف وشيخوخته كالشتاء وموته كانقضاء مدة سفره والسنون من عمره كالبلدان والشهور كالمنازل والأسابيع كالفراسخ وأيامه كالأميال وأنفاسه كالخطى فكلما تنفس نفساً؛ كأنه يخطو خطوة إلى أجله:

هر دم از عمر ميرود نفسى جون نكه ميكنم نماندبسى

وله في كل يوم اثنا عشر ألف نفس، وفي كل ليلة كذلك، فيوم القيامة ينظر في كل نفس أخرجه في غفلة عن ذكر الله فيا طول حسرة من مضى نفس من أنفاسه بالغفلة، ثم الأرض سبع طباق أرض سوداء وغبراء وحمراء وصفراء وبيضاء وزرقاء وخضراء، فنظائرها من الإنسان في

جسمه الجلد والشحم واللحم والعروق والعصب والقصب والعظام. وهذه المرة السوداء بمنزلة الأرض ليبسها وبردها، وهذه المرة الصفراء بمنزلة النار ليبسها وحرارتها. وهذا الدم بمنزلة الهواء لحرارته ورطوبته. وهذا البلغم بمنزلة الماء لبرودته ولزوجته، وكما أن المياه مختلفة فمنها الحلو والمالح والمنتن كذلك مياه بدن الإنسان هذا ماء العين ملح؛ لأن العين شحمة ولولا ملوحة مائها لفسدت، وهذا الريق عذب، ولولا ذلك ما استعذب طعام ولا شراب. وهذا الماء الذي في صماخ الأذنين مر؛ لأنهما عضوان مفتوحان لا انطباق لهما حتى أن نتن الماء يصد كل شيء عن أذنه، ولو أن دودة دخلتهما لماتت لمرارة ذلك الماء ونتنه، ولولا ذلك لوصل الديدان إلى دماغه، فأفسده، ثم فيه أخلاق جميع الحيوانات، فهو كالملك من جهة المعرفة والصفاء وكالشيطان من جهة المكر والكدورة، وكالأسد في الجراءة والشجاعة، وكالبهيمة في الجهل، وكالنمر في الكبر، وكالفهد والأسد في الغضب، وكالذئب في الإفساد والإغارة، وكالحمار في الصبر وكذا كالحمار والعصفور في الشهوة وكالثعلب في الحيلة وكالفأرة، والنملة في الحرص والجمع، وكالكلب في البخل، وكذا في الوفاء، والخنزير في الشره، وكالحية في الحقد، وكالجمل في الحلم، وكذا في الحقد، وكالديك في السخاوة، وكالبوم في الصناعة وكالهرة في التواضع والتملق، وكالغراب في البكور، وكالبازي والسلحفاة في الهمة إلى غير ذلك، ويزيد على الجميع بالنظر ووجود التمييز والاستدلال بالشاهد على الغائب، وأنواع الحرف والصناعات، فهذه كلها آيات الله تعالى في أنفسنا، فتبارك الله أحسن الخالقين. قال الصائب:

عجبتر از تو ندارد جهان تماشا كاه جرا بجشم تعجب بخود نظر نكنى

وقال:

اى رازنه فلك زو جودت عيان همه دردادن تو حاصل دريا وكان همه

بيش توسر بخاك مذلت نهاده اند با آن علوم ومرتبه روحانيان همه

در كوش كرده خلقة فرمان بذير يرتست خاك وهواو آتش وآب روان همه

﴿**حتى يتبين لهم**﴾ بذلك ﴿**أنه الحق**﴾؛ أي: القرآن، أو الرسول فالقصر المستفاد من تعريف المسند حقيقي ادعائي، أو الله، أو التوحيد، فالقصر إضافي تحقيقي؛ أي: لا الشركاء ولا التشريك والضمائر في سنريهم، وفي أنفسهم، ولهم للمشارفين على الاهتداء منهم، أو للجميع على أنه من وصف الكل بوصف البعض كما في «حواشي سعدي المفتي».

[وجمعى ضمير را عائد بآدميان دارند يعني بنمايم مردمانرا دلائل آفاقى وآيات أنفسى].

فعبارة الآية مقام التوحيد وإشارتها مقام التجريد والتفريد وظهور الحق في مظاهر الآفاق والأنفس وتبينه بآيات توحيده المرئية فيهما توحيد واستقطاع التوحيد الموحد عن الالتفات إلى الآفاق تجريد، وعن النظر إلى الأنفس تفريد، لكن هذا التوحيد والتجريد والتفريد كوني لا إلٰهي؛ لأنه باعتبار ظهور الحق في المظاهر الكونية دون الإلٰهية، ففوقها توحيد وتجريد وتفريد إلٰهي باعتبار ظهور الحق في مظاهر الإلٰهية من مراتب التعينات الذاتية والاسمائية والصفاتية والافعالية والكوني من الإلٰهي بمنزلة الظاهر من الباطن فمرتبة التعين ذاتياً أولاً وصفاتياً ثانياً، وإفعالياً ثالثاً مرتبة التوحيد، ومرتبة اللاتعين الذي فوق التعين مطلقاً مرتبة التجريد ومرتبة الجامعية بين المرتبتين: مرتبة التفريد إذ الفرد الحقيقي الأولي جمعية المراتب الثلاث مطلقاً،

وجميع العلوم والأعمال والآثار جمالية، أو جلالية شؤونات ذاتية مستجنة في غيب الذات أولاً وصور وأعيان علمية ثابتة في عرصة العلم ثانياً، وحقائق موجودات عينية متحققة في عرصة العين. ولهذا التحقق العيني، والوجود الخارجي خلق الله الأنفس والآفاق والسماوات والأرضين والملأ الأعلى والأسفل، حتى يكون المعلوم مرئياً ومشاهداً ويتم الأمر الإلٰهي الجمالي والجلالي والكمالي ويكمل مطلقاً بالوجود العيني الخارجي حكمه الأزلي الأبدي جلاء واستجلاء [سر بحربى كرانراموج بر صحرا نهاد. كنج مخفي آشكارا شد نهان آمد بديد].

﴿أو لم يكف بربك﴾ استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم في شأن القرآن وعنادهم المحوج إلى إراءة الآيات وعدم اكتفائهم بإخباره تعالى، والهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام والباء مزيدة للتأكيد؛ أي: ألم يغن، ولم يكف ربك **﴿أنه على كل شيء شهيد﴾**بدل منه؛ أي: ألم يغنهم عن إراءة الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن، ولم يكفهم في ذلك أنه تعالى شهيد على جميع الأشياء. وقد أخبر بأنه من عنده، فعدم الكفاية معتبر بالنسبة إليهم كما يصرحه قوله تعالى: **﴿ألا﴾** كلمة تنبيه **﴿إنهم﴾**؛ أي: كفار مكة. **﴿في مرية﴾** شك عظيم وشبهة شديدة. **﴿من لقاء ربهم﴾** بالبعث والجزاء، فإنهم استبعدوا إحياء الموتى بعد ما تفرقت أجزاؤهم، وتبددت أعضاؤهم.

وفيه إشارة إلى أن الشك أحاط بجميع جوانبهم إحاطة الظرف بالمظروف لا خلاص لهم منه وهم مستمرون دائمون فيه. **﴿ألا إنه بكل شيء محيط﴾**. الإحاطة: إدراك الشيء بكماله؛ أي: عالم بجميع الأشياء جملها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها، فلا يخفى عليه خافية منهم، وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لا محالة، ومرجع تأكيد العلم إلى تأكيد الوعيد:

علم بى جهل وقدرت بى عجز خاص مر حضرت الهى راست
هرجه بايد در أنفس وآفاق كنداز حكم بادشاهى راست

وإحاطة الله سبحانه وتعالى عند العارفين بالموجودات كلها عبارة عن تجليه بصور الموجودات، فهو سبحانه بأحدية جميع أسمائه سار في الموجودات كلها ذاتاً، وحياة وعلماً وقدرة إلى غير ذلك من الصفات. والمراد بإحاطته تعالى هذه السراية، ولا يعزب عنه ذرة في السماوات والأرض، وكل ما يعزب يلحق بالعدم، وقالوا: هذه الإحاطة ليست كإحاطة الظرف بالمظروف، ولا كإحاطة الكل بأجزائه، ولا كإحاطة الكلي بجزئياته، بل كإحاطة الملزوم بلازمه، فإن التعينات اللاحقة لذاته المطلقة، إنما هي لوازم له بواسطة، أو بغير واسطة، وبشرط، أو بغير شرط، ولا تقدح كثرة اللوازم في وحدة الملزوم، ولا تنافيها. والله أعلم بالحقائق.

واعلم أن الأشياء كلها قد اتفقت على الشهادة بوحدة خالقها وأنه مظهرها من كتم العدم، والمظهر لا يفارق المظهر في معرفة أرباب البصائر، فسبحان من هو عند كل شيء، ومعه وقبله، ومن ها هنا.

قال بعضهم: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله معه. وقال بعضهم: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله بعده. وقال بعضهم: ما رأيت شيئاً إلا ورأيت الله قبله، فمنهم من يرى الأشياء به، ومنهم من يراه بالأشياء، وإلى الأول الإشارة بقوله: **﴿أولم يكف بربك أنه على كل شيء شهيد﴾**، وإلى الثاني بقوله: **﴿سنريهم آياتنا في الآفاق﴾**. فالأول: صاحب مشاهدة ودرجة الصديقين.

والثاني: صاحب استدلال ودرجة العلماء الراسخين فما بعدها إلا درجة الغافلين المحجوبين.

وفي الآيات إشارات منها: أن الخلق لا يرون الآيات إلا بإراءة الله إياهم.

ومنها: أن الله تعالى خلق الآفاق ونفس الإنسان مظهر آياته.

ومنها: أنه ليس للآفاق شعور على الآيات وعلى مظهريتها للآيات بخلاف الإنسان.

ومنها: أن نفس الإنسان مرآة مستعدة لمظهرية جميع آيات الله ومظهريتها بإراءة الحق تعالى بحيث يتبين له أنه الحق، ويبين لغيره أنه الحق.

ومنها: أن العوام يتبين لهم باختلاف الليل والنهار والأحداث التي تجري في أحوال العالم واختلاف الأحوال التي تجري عليهم من الطفولة إلى الشيخوخة، واختلاف أحكام الأعيان مع اختلاف جواهرها في التجانس. وهذه هي آيات حدوث العالم، واقتفاء المحدث بصفاته.

ومنها: أن الخواص يتبين لهم ببصائر قلوبهم من شواهد الحق واختلاف الأحوال في القبض والبسط والجمع والفرق والحجب والجذب والستر والتجلي والكشوف والبراهين وأنوار الغيب، وما يجدونه من حقائق معاملاتهم ومنازلاتهم بإراءة الحق تعالى.

ومنها: أن أخص الخواص يتبين لهم بالخروج من ظلمات حجب الإنسانية إلى نور الحضرة الربانية بتجلي صفات الجمال والحلال وكشف القناع الحقيقي عن العين والعيان، ولهذا قال: ﴿**أولم يكف بربك**﴾؛ أي: بإراءة آياته وتعريف ذاته وصفاته بكشف القناع ورفع الأستار أنه على كل شيء شهيد لا يغيب عن قدرته شيء بقوله ﴿**ألا إنهم في مرية من لقاء ربهم**﴾ يشير إلى أن أهل الصورة لفي شك من تجويز ما يكاشف به أهل الحقيقة من أنواع المشاهدات والمعاينات ﴿**ألا إنه بكل شيء محيط**﴾، وهو قادر على التجلي لكل شيء كما قال صلى الله تعالى عليه وسلم «إذا تجلى الله لشيء خضع له».

تمت سورة حم السجدة في العشر العاشر من العشر الأول من صفر الخير
من سنة ثلاث عشرة ومائة وألف

٤٢ ـ سورة (حم عسق)

وتسمى سورة الشورى، مكية وهي ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢ كَذَٰلِكَ يُوحِيٓ إِلَيۡكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكَ ٱللَّهُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ۝٣ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ۝٤﴾.

﴿حم عسق﴾: اسمان للسورة، ولذلك فصل بينهما في الكتابة، وعد آيتين بخلاف ﴿كهيعص﴾ و﴿المص﴾ و﴿المر﴾ فإنها آية واحدة وأنها اسماً واحداً وآية واحدة فالفصل لتطابق سائر الحواميم وفي «القاموس» آل حاميم وذوات حاميم. السور المفتتحة بها، ولا تقل حواميم. وقد جاء في شعر، وهو اسم الله الأعظم أو قسم أو حروف الرحمٰن مقطعة، وتمامه الرون. انتهى.

روى الطبري: أنه جاء رجل إلى ابن عباس رضي الله عنهما وعنده حذيفة اليماني رضي الله عنه، فسأله عن تفسير ﴿حم عسق﴾، فأطرق وأعرض عنه حتى أعاد عليه ثلاثاً، فأعرض، فقال له حذيفة: أنا أنبئك بها، قد عرفت لم كرهها وتركها نزلت في رجل من أهل بيته، يقال له: عبد الله، أو عبد الإله ينزل على نهر من أنهار المشرق، فيبني عليه مدينتين، يشق النهر بينهما شقاً، فإذا أراد الله زوال ملكهم، وانقطاع دولتهم، ينزل على إحداهما ناراً ليلاً، فتصبح سوداء مظلمة قد احترقت؛ كأنها لم تكن مكانها، وتصبح صاحبتها سالمة متعجبة كيف أفلتت، فما هو إلا بياض يومها حتى يجتمع فيها كل جبار عنيد منهم؛ أي: من أهل المدينتين، ثم يخسف الله بها وبهم جميعاً في الليلة القابلة، فذلك قوله تعالى: ﴿حم عسق﴾؛ أي: عزمة من عزمات الله وفتنة ﴿حم﴾؛ أي: قضى وقدر عدلاً منه سيكون واقعاً في هاتين المدينتين، ونظير هذا التفسير ما روى جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «تبنى مدينتان بين دخلة ودجيل وقطربل والصراة يجتمع فيهما جبابرة الأرض يجبى إليهما الخزائن، يخسف بهما».

وفي رواية: «بأهلهما»، فلهما أسرع ذهاباً في الأرض من الوتد الحديد في الأرض الرخوة. قوله: دخلة بالخاء المعجمة على وزن حمزة، قرية كثيرة التمر، ودجيل بالجيم كزبير شعب من دجلة نهر بغداد وقطربل، بالضم وتشديد الباء الموحدة، أو بتخفيفها. موضعان: أحدهما بالعراق ينسب إليه الخمر والصراة، بالفتح: نهر بالعراق.

وقال الضحاك: قضى عذاب سيكون واقعاً، وأرجو أن يكون قد مضى يوم بدر. وذكر الثعلبي والقشيري: أن النبي عليه السلام لما نزلت هذه الآية عرف الكآبة في وجهه؛ أي: أثر

الحزن والملالة، فقيل: يا رسول الله، ما أحزنك. قال: أخبرت ببلايا تنزل بأمتي من خسف ومسخ ونار تحشرهم وريح تقذفهم في البحر، وآيات متتابعات متصلات بنزول عيسى، وخروج الدجال.

[كفته اند حاحرفست وميم مهلكه وعين عذاب وسين مسخ وقاف قذف وثعلبي كويد ابن عباس رضي الله عنهما ﴿حم عسق﴾ خواندى وكفتى علي رضي الله عنه فتنهارا باين دو لفظ دانست].

وروي عن علي رضي الله عنه: أنه كان يستفيد علم الفتن والحروب من هذه الحروف التي في أوائل السور. وقال شهر بن حوشب: ﴿حم عسق﴾ حرب يذل فيها العزيز ويعز فيها الذليل من قريش، ثم تفضي إلى العرب إلى العجم، ثم هي متصلة إلى خروج الدجال.

يقول الفقير: الفتن المتصلة بخروج الدجال بعضها قد مضى وبعضها سيقع فيما بين المائتين بعد الألف، دل عليه﴿حم﴾ ، وهو ثمان وأربعون، والعين وهو سبعون، والسين وهو ستون، والقاف وهو مائة؛ لأنه قد صحّ أن الدجال متأخر عن المهدي، وأن المهدي يخرج على رأس المائة الثالثة، أو على أربعة ومائتين، فيقع قبيل ظهور المهدي الطامات الكبرى.

وقال عطاء: الحاء حرب وهو موت ذريع في الناس، وفي الحيوان حتى يبيدهم ويفنيهم. والميم تحويل ملك من قوم إلى قوم، والعين عدو لقريش يقصدهم، ثم ترجع إليهم الدولة لحرمة البيت، والسين: هو استئصال بالسنين؛ كسني يوسف عليه السلام وسبي يكون فيهم. والقاف: قدرة الله نافذة في ملكوت الأرض لا يخرجون من قدرة الله، وهي نافذة فيهم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الحاء حكم الله والميم ملك الله، والعين علو الله، والسين سنا الله، والقاف قدرة الله، أقسم الله بها؛ فكأنه يقول: فحكمي وملكي وعلوي وسناي وقدرتي لا أعذب عبداً قال: لا إله إلا الله مخلصاً، فلقيني بها. ومعناه على ما قال أبو الليث في «تفسيره»: لا يعذبه عذاباً دائماً خالداً.

وفي الحديث: «افتتحوا صبيانكم لا إله إلا الله»، و«لقنوا أمواتكم لا إله إلا الله». والحكمة في ذلك أن حال الصبيان حال حسن لا غل ولا غش في قلوبهم. وحال الموتى حال الاضطرار، فإذا قلتم في أول ما يجري عليكم القلم، وآخر ما يجف عليكم القلم. فعسى الله أن يتجاوز ما بين ذلك، ويقال: الحاء من الرحمٰن الرحيم، والميم من المجيد، والعين من العليم، والسين من القدوس، والقاف من القاهر. ويقال: الحاء حلمه والميم من مجده، والعين عظمته، والسين سناه، والقاف قدرته. ويقال: إن القاف، اسم لجبل يحيط بالدنيا.

[در كشف اسرار آورده كه اين حروف ايمانيست بأن عطاياكه حق سبحانه وتعالى بحضرت رسالت ارزانى داشت حاء حوض مورود اوست يعنى حوض كوثر كه تشنه لبان امت را ازان سيراب كردانند وميم ملك ممدود او كه از مشرق تابمغرب بتصرف امت اودر آيدو عين عز موجود اوكه اعز همه اشيا نزد حق سبحانه بوده وسين سناء مشهود اوكه مرتبة هيجكس برتبة رفعت او همه نرسيد وقاف مقام محمود اوكه درشب معراج درجة او ادناست ودر روز ميامت شفاعت كبرى]:

مقام تو محمود ونامت محمد   بدين سان مقامى ونامى كه دارد

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى القسم بحاء حبه وميم محبوبه محمد، وعين عشقه

على سيده، وقاف قربه إلى سيده بكمال لا يبلغه أحد من خلقه.

يقول الفقير: الحاء هو الحجر الأسود، والميم مقام إبراهيم، والعين عين زمزم، والسين والقاف سقياها، فمن استلم الحجر الأسود ساد سيادة معنوية، ومن صلى خلف المقام أكرمه الله بالخلة، ومن دعا عند زمزم أجابه الله، ومن شرب من زمزم سقاه الله شراباً طهوراً لا يبقي فيه وجعاً ولا مرضاً. ﴿**كذلك يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم**﴾. الكاف في حيز النصب على أنه مفعول ليوحي، والجلالة فاعله؛ أي: مثل ما في هذه السورة من المعاني يوحي الله العزيز الحكيم إليك في سائر السور، وإلى من قبلك من الرسل في كتبهم على أن مناط المماثلة هو الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق، وما فيه صلاح العباد في المعاش، ويجوز أن يكون الكاف في حيز النصب على أنه نعت لمصدر مؤكد ليوحي؛ أي: مثل إيحاء هذه السورة يوحي الله العزيز الحكيم إليك عند إيحاء سائر السور، وإلى سائر الرسل عند إيحاء كتبهم إليهم لا إيحاء مغايراً على أن مدار المثلية كونه بواسطة الملك، وإنما ذكر بلفظ المضارع مع أن مقتضى المقام، أن يذكر بلفظ الماضي ضرورة أن الوحي إلى الذين من قبله قد مضى، دلالة على استمرار الوحي، وتجدده وقتاً فوقتاً، وأن إيحاء مثله عادته تعالى، ويجوز أن يكون إيذاناً أن الماضي والمستقبل بالنسبة إليه تعالى واحد كما في «الكواشي».

والعزيز الحكيم: صفتان مقررتان لعلو شأن الموحى به؛ لأنه أثر من اتصف بكمال القدرة والعلم. ﴿**له ما في السماوات وما في الأرض**﴾؛ أي: أن الله تعالى يختص به جميع ما في العوالم العلوية والسفلية خلقاً وملكاً وعلماً. ﴿**وهو العلي**﴾ الشأن ﴿**العظيم**﴾ الملك والقدرة والحكمة، أو هو العلي؛ أي: المرتفع عن مدارك العقول إذ ليس كذاته ذات، ولا كصفاته صفات، ولا كاسمه اسم، ولا كفعله فعل، وهو العظيم الذي يصغر عند ذكره وصف كل شيء سواه. والعظيم من العباد الأنبياء والعلماء الوارثون لهم، فالنبي عظيم في حق أمته، والشيخ عظيم في حق مريده، والأستاذ في حق تلميذه. وإنما العظيم المطلق هو الله تعالى.

﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّۚ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِى ٱلْأَرْضِۗ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾﴾.

﴿**تكاد السماوات**﴾: [نزديك شدكه آسمانها]. ﴿**يتفطرن**﴾: التفطر: [شكافته شدن].

وأصل الفطر: الشق طولاً؛ أي: يتشققن من عظمة الله وخشيته وإجلاله، كقوله تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِۚ﴾ [الحشر: ٢١]. ﴿**من فوقهن**﴾؛ أي: يبتدىء التفطر من جهتهن الفوقانية إلى جهتهن التحتانية وتخصيصها لما أن أعظم الآيات وأدلها على العظمة والجلال من تلك الجهة من العرش والكرسي، وصفوف الملائكة المرتجة بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل حول العرش، وما لا يعلم كنهه إلا الله من آثار الملكوت العظمى، فكان المناسب أن يكون تفطر السماوات مبتدأ من تلك الجهة بأن يتفطر أولاً أعلى السماوات، ثم وثم إلى أن ينتهي إلى أسفلها بأن لا تبقى سماء إلا سقطت على الأخرى.

ويقال: تتشققن من دعاء الولد، كما قال تعالى في سورة مريم: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ وَتَخِرُّ ٱلْجِبَالُ هَدًّا ﴿٩٠﴾ أَن دَعَوْا لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدًا ﴿٩١﴾﴾ [مريم: ٩٠-٩١]،

فتخصيصها للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الأولى؛ لأن تلك الكلمة الشنعاء الواقعة في الأرض إذا أثرت في جهة الفوق، فلأن تؤثر في جهة التحت أولى.

وقيل: لنزول العذاب منهن. ﴿**والملائكة يسبحون بحمد ربهم**﴾. ينزهونه تعالى عما لا يليق به من الشريك والولد وسائر صفات الأجسام ملتبسين بحمده تعالى. يعني: تسبيح وحمد [باهم ميكويند جه يكى نفى ناسزاست ويكى إثبات سزا]، فقدم التسبيح على الحمد؛ لأن التخلية مقدمة على التحلية. وهذا جانب الاستفاضة من الله، والقبول، ثم أشارا جانب الإفاضة والتأثير بقوله: ﴿**ويستغفرون لمن في الأرض**﴾؛ أي: للمؤمنين بالشفاعة لقوله تعالى: ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧]، فالمطلق محمول على المقيد، أو للمؤمن والكافر بالسعي، فيما يستدعي مغفرتهم من الشفاعة والإلهام، وترتيب الأسباب المقربة إلى الطاعة واستدعاء تأخير العقوبة جمعاً في إيمان الكافر وتوبة الفاسق. وهذا لا ينافي كون الملائكة لاعنين للكفار من وجه آخر، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ ٱللَّهِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة: ١٦١].

وفي الحديث: «ما فيها موضع أربع أصابع إلا وملك واضع جبهته ساجداً لله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الأرض». وهذا يدل على أن المراد بالملائكة في الآية ملائكة السماوات كلها.

وقال مقاتل حملة العرش وإليه ذهب الكاشفي في «تفسيره»، ويدل عليه قوله تعالى في أوائل حم المؤمن ﴿ٱلَّذِينَ يَحْمِلُونَ ٱلْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُۥ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [غافر: ٧].

يقول الفقير: تخصيص ملائكة العرش لا ينافي من عداهم، فلعله من باب الترقي؛ لأن آية ﴿**حم**﴾ المؤمن مقيدة بحملة العرش واستغفار المؤمنين. وهذه الآية مطلقة في حق كل من الملائكة والاستغفار. ﴿**ألا**﴾ اعلموا ﴿**إن الله هو الغفور**﴾ يغفر ذنوب المقبلين ﴿**الرحيم**﴾ يرحم بأن يرزقهم جنته وقربه ووصاله وبرحمته يأمر الملائكة بالاستغفار لبني آدم مع كثرة عصيانهم، والكفار الذين يرتكبون الشرك والذنوب العظام لا يقطع رزقهم ولا صحتهم ولا تمتعاتهم من الدنيا، وإن كان يريد أن يعذبهم في الآخرة.

يقول الفقير: إن الملائكة وإن كانوا يستغفرون للمؤمنين، فالمؤمنون يسلمون عليهم، كما يقولون في التشهد السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، إذ لا يعصون ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون، فالمنة لله تعالى على كل حال.

وفي الآية إشارة إلى أن قوماً من الجهلة يقولون على الله ما لا يعلمون، ومن عظم افترائهم تكاد السمٰوات تنشق من فوقهم؛ لأن الله تعالى ألبسها أنوار قدرته وأدخلها روح فعله حتى عقلت عبوديته صانعها، وعرفت قدسه وطهارته عن قول الزائغين، وإشارة الملحدين والملائكة يقدسون الله عما يقولون فيه من الزور والبهتان، والدعاوى الباطلة، ويستغفرون للمؤمنين الذين لم يبلغوا حقيقة عبوديته، فإنهم هم القابلون للإصلاح لاعترافهم بعجزهم وقصورهم دون المصرين المبتدعين:

فاسد شده راز روزكار وارون لايمكن أن يصلحه العطارون

﴿وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ اللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ الْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِى الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِى السَّعِيرِ ﴿٧﴾﴾

﴿**والذين اتخذوا من دونه أولياء**﴾ شركاء وأنداداً، وأشركوهم معه في العبادة. ﴿**الله حفيظ عليهم**﴾ رقيب على أحوالهم وأعمالهم مطلع ليس بغافل فيجازيهم لا رقيب عليهم إلا هو وحده. ومعنى الحفيظ بالفارسية: [نكهبان].

وقال في «المفردات»: معناه محفوظ لا يضيع، كقوله: ﴿عِلْمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٍ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى﴾ [طه: ٥٢]. ﴿**وما أنت عليهم بوكيل**﴾ بموكول إليه أمرهم حتى تسأل عنهم وتؤخذ بهم، وإنما وظيفتك الإنذار وتبليغ الأحكام.

وفيه إشارة إلى أن كل من عمل بمتابعة هواه، وترك لله حداً ونقض له عهداً، فهو متخذ الشياطين أولياء؛ لأنه يعمل بأوامرهم وأفعاله موافقة لطباعهم الله حفيظ عليهم بأعمال سرهم وعلانيتهم إن شاء عذبهم، وإن شاء عفا عنهم، وما أنت عليهم بوكيل لتمنعهم عن معاملاتهم، فعلى العاقل أن لا يتخذ من دون الله أولياء، بل يتفرد بمحبة الله وولايته كما قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ﴾ [الأنعام: ٩١] حتى يتولاه في جميع أموره، وما أحوجه إلى أحد سواه.

وقال الأستاذ أبو علي الدقاق قدس سره: ظهرت علة بالملك يعقوب بن الليث أعيت الأطباء، فقالوا له: في ولايتك رجل صالح يسمى سهل بن عبد الله لو دعا لك لعل الله يستجيب له، فاستحضره، فقال: ادع الله، فقال: كيف يستجاب دعائي فيك. وفي حبسك مظلومون، فأطلق كل من حبسه، فقال سهل: اللهم كما أريته ذل المعصية، فأره عز الطاعة وفرج عنه فعوفي، فعرض مالاً على سهل، فأبى أن يقبله، فقيل له: لو قبلته ودفعته إلى الفقراء، فنظر إلى الحصباء في الصحراء، فإذا هي جواهر، فقال: من يعطي مثل هذا يحتاج إلى مال يعقوب بن الليث، فالمعطي والمانع والضار والنافع هو: الله الولي الوكيل الذي لا إله غيره:

نقش او كردست ونقاش من اوست — غير اكر دعوى كند او ظلم جوست

﴿**وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً**﴾. ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا، ومحل الكاف النصب على المصدرية، وقرآناً عربياً مفعول لأوحينا؛ أي: ومثل ذلك الإيحاء البديع البين المفهم أوحينا إليك إيحاء لا لبس فيه عليك وعلى قومك.

وقال الكاشفي: [وهمجانكه وحى كرديم بهر بيغمبر بزبان او ووحى كرديم بتو قرآني بلغت عرب كه قوم تواند تاكه فهم حاصل شود]. ﴿**لتنذر أم القرى**﴾؛ أي: لتخوف أهل مكة بعذاب الله على تقدير إصرارهم على الكفر والعرب تسمي أصل كل شيء بالأم، وسميت مكة أم القرى تشريفاً لها وإجلالاً لاشتمالها على البيت المعظم، ومقام إبراهيم، ولما روي من أن الأرض دحيت من تحتها، فمحل القرى منها محل البنات من الأمهات. ﴿**ومن حولها**﴾ من العرب، وهذا؛ أي: التبيين بالعرب لا ينافي عموم رسالته؛ لأن تخصيص الشيء بالذكر لا ينافي حكم ما عداه، وقيل: من أهل الأرض كلها، وبذلك فسره البغوي، فقال: قرى الأرض كلها وكذا القشيري حيث قال العالم محدق بالكعبة ومكة؛ لأنهما سرة الأرض:

بس همه أهالي بلاد برحوالي ويند

قال في «التأويلات النجمية»: يشير إلى إنذار نفسه الشريفة؛ لأنها أم قرى نفوس آدم وأولاده؛ لأنه صلى الله تعالى عليه وسلم هو الذي تعلقت القدرة بإيجاده قبل كل شيء، كما قال أول ما خلق الله روحي، ومنه تنشأ الأرواح والنفوس. ولهذا المعنى قال آدم: ومن دونه تحت لوائي يوم القيامة، فالمعنى: كما يوحي إليك وإلى الذين من قبلك الله العزيز الحكيم لينذروا الأمم. كذلك أوحينا قرآناً عربياً لتنذر نفسك الشريفة بالقرآن العربي؛ لأن نفسك عربية ومن حولها من نفوس أهل العالم؛ لأنها محدقة بنفسك الشريفة، ولذلك قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠٧﴾﴾ [الأنبياء: ١٠٧]. وقال عليه السلام: «بعثت إلى الخلق كافة».

مه طلعتى كه برقد قدرش بريده اند ديباى قم فانذر واستبرق دنا

﴿وتنذر﴾ أهل مكة ومن حولها. ﴿يوم الجمع﴾؛ أي: بيوم القيامة وما فيه من العذاب؛ لأنه يجمع فيه الخلائق من الأولين والآخرين وأهل السماوات وأهل الأرض، والأرواح والأشباح والأعمال والعمال، فالباء محذوف من اليوم، كما قال: ﴿لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا﴾ [الكهف: ٢]، أي: ببأس شديد كما قاله أبو الليث، فيكون مفعولاً به لا ظرفاً، كما في «كشف الأسرار»، وقد سبق غير ذلك في ﴿حم﴾ المؤمن عند قوله تعالى: ﴿لِيُنذِرَ يَوْمَ ٱلتَّلَاقِ﴾ [غافر: ١٥] ﴿لا ريب فيه﴾ اعتراض لا محل له؛ أي: لا بد من مجيء ذلك اليوم، وليس بمرتاب فيه في نفسه وذاته؛ لأنه لا بد من جزاء العاملين من المنذرين والمنذرين، وأهل الجنة وأهل النار وارتياب الكفار فيه لا يعتد به، أو لا شك في الجمع أنه كائن، ولا بد من تحققه. ﴿فريق﴾ وهم المؤمنون ﴿في الجنة﴾ وفريق، وهم الكافرون ﴿في السعير﴾؛ أي: سميت بها لالتهابها، وذلك بعد جمعهم في الموقف؛ لأنهم يجمعون فيه أولاً ثم يفرقون بعد الحساب، والتقدير منهم فريق على أن فريق مبتدأ حذف خبره، وجاز الابتداء بالنكرة لأمرين تقديم خبرها، وهو الجار والمجرور المحذوف ووصفها بقوله في الجنة والضمير المجرور في منهم للمجموعين لدلالة لفظ الجمع عليه فإن المعنى يوم يجمع الخلائق في موقف الحساب.

وفي «التأويلات النجمية»: وتنذر يوم الجمع بين الأرواح والأجساد لا شك في كونه، وكما أنهم اليوم فريقان: فريق في جنة القلوب وراحات الطاعات وحلاوات العبادات، وتنعمات القربات.

وفريق في سعير النفوس وظلمات المعاصي وعقوبات الشرك والجحود، فكذلك غدا فريق هم: أهل اللقاء، فريق هم: أهل الشقاء والبلاء.

وفي الحديث: «إن الله خلق للجنة خلقاً، وهم في أصلاب آبائهم»، وعنه عليه السلام أن الله خلق الخلق وقضى القضية وأخذ ميثاق النبيين وعرشه على الماء، فأهل الجنة أهلها وأهل النار أهلها».

وروي عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه. قال: خرج علينا رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. وفي يده كتابان.

وفي رواية: خرج ذات يوم قابضاً على كفيه، ومعه كتابان، فقال: أتدرون ما هذان الكتابان؟. قلنا: لا يا رسول الله، فقال: «للذي في يده اليمنى هذا كتاب من رب العالمين بأسماء أهل الجنة، وأسماء آبائهم وعشائرهم وعدتهم قبل أن يستقروا نطفاً في الأصلاب وقبل أن يستقروا نطفاً في الأرحام إذ هم في الطينة منجدلون، فليس بزائد فيهم ولا بناقص منهم

إجمال من الله عليهم إلى يوم القيامة»، فقال عبد الله بن عمرو: ففيم العمل إذاً؟ فقال: «اعملوا وسددوا وقاربوا، فإن صاحب الجنة يختم له بعمل أهل الجنة، وإن عمل أي عمل، وإن صاحب النار يختم له بعمل أهل النار، وإن عمل أي عمل، ثم قال: فريق في الجنة، وفريق في السعير عدل من الله تعالى قوله: سددوا وقاربوا؛ أي: اقصدوا السداد؛ أي: الصواب، ولا تفرطوا فتجهدوا أنفسكم في العبادة لئلا يفضي ذلك بكم إلى الملال، فتتركوا العمل» كما في «المقاصد الحسنة» للإمام السخاوي ونظيره قوله عليه السلام: «إن هذا الدين يسر ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه» يعني: أن الدين يشتمل على أعمال سهلة، فمن تكلف والتزم في عبادات شاقة وتكلفات لربما لم يتيسر إقامتها عليه، فتغلب عليه، فالكسب طريق الجنة، ولا بد منه، وإن علم أنه من أهل الجنة:

کسب را همچون زراعت دان عمو تا نکاری دخل نبود آن تو

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ۖ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾﴾.

﴿ولو شاء الله لجعلهم﴾؛ أي: في الدنيا، والضمير لجميع الناس المشار إليهم بالفريقين **﴿أمة واحدة﴾**: فريقاً واحدا وجماعة واحدة مهتدين، أو ضالين، وهو تفصيل لما أجمله ابن عباس رضي الله عنهما في قوله على دين واحد. **﴿ولكن يدخل من يشاء﴾** أن يدخله **﴿في رحمته﴾** وجنته، ويدخل من يشاء أن يدخله في عذابه ونقمه، ولا ريب في أن مشيئته تعالى لكل من الإدخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله، ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعاً، فلم يشأ جعل الكل أمة واحدة، بل جعلهم فريقين.

﴿والظالمون﴾؛ أي: المشركون **﴿ما لهم من ولي﴾**؛ أي: ما لهم ولي ما يلي أمرهم ويغنيهم وينفعهم، فمن مزيدة لاستغراق النفي. **﴿ولا نصير﴾**: يدفع العذاب عنهم ويخلصهم منه، وفيه إيذان بأن الإدخال في العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم، لا من جهته تعالى، كما في الإدخال في الرحمة.

قال سعدي المفتي في «حواشيه»: لعل تغيير المقابل حيث لم يأت المقابل، ويدخل من يشاء في نقمته، بل عدل إلى ما في النظم للمبالغة في الوعيد، فإن في نفي من يتولاهم وينصرهم في دفع العذاب عنهم دلالة على أن كونهم في العذاب أمر معلوم مفروغ عنه، وأيضاً فيه سلوك طريق، وإذا مرضت، فهو يشفين، وأيضاً ذكر السبب الأصلي في جانب الرحمة ليجتهدوا في الشكر. والسبب الظاهري في جانب النقمة ليرتدعوا عن الكفر.

وفي «التأويلات النجمية»: ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة كالملائكة المقربين ﴿لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ﴾ [التحريم: ٦] الآية، أو جعلهم كالشياطين المبعدين المطرودين المتمردين، ولكن الحكمة الإلهية اقتضت أن يجعلهم مركبين من جوهر الملكي والشيطاني، ليكونوا مختلفين بعضهم الغالب عليه الوصف الملكي مطيعاً لله تعالى، وبعضهم الغالب عليه الوصف الشيطاني متمرداً على الله تعالى، ليكونوا مظاهر صفات لطفه وقهره مستعدين لمرآتية صفات جماله وجلاله متخلقين بأخلاقه. وهذا سر قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]،

ومن ها هنا قالت الملائكة: ﴿سُبْحَٰنَكَ لَا عِلْمَ لَنَآ إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَآ﴾ [البقرة: ٣٢]، ويدل على هذا التأويل قوله: ﴿ولكن يدخل من يشاء في رحمته﴾؛ أي: ليكون مظهر صفات لطفه، والظالمون ما لهم من ولي ولا نصير؛ أي: ليكونوا مظاهر صفات قهره.

﴿أم اتخذوا من دونه أولياء﴾، أم منقطعة مقدرة ببل، والهمزة، وما فيها من بل للانتقال من بيان ما قبلها إلى بيان ما بعدها، والهمزة لإنكار الوقوع ونفيه على أبلغ وجه وأكده لا لإنكار الواقع واستقباحه، كما قيل: إذ المراد بيان أن ما فعلوا ليس من اتخاذ الأولياء في شيء؛ لأن ذلك فرع كون الأصنام أولياء، وهو أظهر الممتنعات؛ أي: بل اتخذوا متجاوزين الله أولياء من الأصنام وغيرها:

ءلاف دوستی ایشان می زند هیهات

﴿فالله هو الولي﴾: جواب شرط محذوف؛ كأنه قيل: بعد إبطال ولاية ما اتخذوه أولياء إن أرادوا أولياء في الحقيقة فالله هو الولي الذي يجب أن يتولى، ويعتقد أنه المولى والسيد لا ولي سواه، وهو متولي الأمور من الخير والشر والنفع والضر.

قال في «كشف الأسرار»: [الله اوست كه يار فرياد رس است]. قال سعد المفتي: ولك أن تحمل الفاء على السببية الداخلة على السبب لكون ذكره مسبباً عن ذكر السبب فانحصار الولي في الله سبب لإنكار اتخاذ الأولياء من دون الله كما يجوز أن يقال: أتضرب زيداً، فهو أخوك على معنى: لا ينبغي أن تضربه فإنه أخوك. ﴿وهو يحيي الموتى﴾؛ أي: من شأنه ذلك ليس في السماء والأرض معبود يحيي الموتى غيره، وهو قول إبراهيم عليه السلام ﴿رَبِّيَ ٱلَّذِي يُحْيِۦ وَيُمِيتُ﴾ [البقرة: ٢٥٨]، ولما نزل العذاب بقوم يونس عليه السلام لجؤوا إلى عالم فيهم كان عنده من أهل العلم شيء، وكان يونس ذهب مغاضباً، فقال لهم: قولوا: يا حي حين لا حي يا حي محيي الموتى يا حي لا إله إلا أنت، فقالوها، فكشف عنهم العذاب.

يقول الفقير قدس سره: إن الله تعالى إنما يرسل العذاب للإماتة والإهلاك. وفي الحي والمحيي ما يدفع ذلك إذ لا تجتمع الحياة والموت في محل واحد.

وفيه إشارة إلى غلبة الرحمة والشفقة. ﴿وهو على كل شيء قدير﴾، فهو الحقيق بأن يتخذ ولياً فليتحصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شيء:

اوست قادر بحكم كن فيكون غير أو جمله عاجز ند وزبون
عجز را سوى قدرتش ره نيست عقال ازين كارخانه آكه نيست

وفي «التأويلات النجمية»: وهو يحيي الموتى؛ أي: النفوس والقلوب الميتة، ويميت النفوس والقلوب اليوم وغداً، وهو على كل شيء قدير من الإيجاد والإعدام.

وقال الواسطي رحمه الله: يحيي القلوب بالتجلي ويميت الأنفس بالاستتار. وقال سهل لا يحيي النفوس حتى تموت؛ أي: من أوصافها.

وقال بعضهم: فيه شكاية من المشغولين بغيره الباقين في حجاب الوسائط بعرض نفسه بالجمال والجلال على المقصرين ليجذب بحسنه وجماله قلوبهم إلى محبته وعشقه ويحييها بنور أنسه وسنا قدسه، فلا بد للمرء من الاجتهاد والتضرع إلى رب العباد ليصل إلى المطلوب ويعانق المحبوب. قال في المثنوي:

بيش يوسف نازش وخوبى مكن جز نياز واه يعقوبى مكن

ازبهاران كى شود سر سبزسنك خاك شوبا كل بروى رنك رنك
سالها توسنك بودى دلخراش آزمون رايك زمانى خاك باش

ففي هذا الفناء حياة عظيمة ألا ترى أن الأرض تموت عن نفسها وقت الخريف فيحييها الله تعالى وقت الربيع بما لا مزيد عليه.

﴿وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾﴾.

﴿**وما اختلفتم فيه من شيء**﴾. حكاية لقول رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم للمؤمنين لقوله بعده ﴿**ذلكم الله ربي**﴾ إلخ؛ أي: ما خالفكم الكفار فيه من أمور الدين، فاختلفتم أنتم وهم ﴿**فحكمه**﴾ راجع ﴿**إلى الله**﴾، وهو إثابة المحقين وعقاب المبطلين يوم الفصل والجزاء، فعلى هذا لا يجوز أن يحمل على الاختلاف بين المجتهدين؛ لأن الاجتهاد بحضرته عليه السلام لا يجوز.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى اختلاف العلماء في شيء من الشرعيات والمعارف الإلٰهية، فالحكم في ذلك إلى كتاب الله وسنة نبيه عليه السلام، وإجماع الأمة وشواهد القياس، أو إلى أهل الذكر، كما قال تعالى، ﴿فَسْـَٔلُوٓا۟ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [الأنبياء: ٧]، ولا يرجعون إلى العقول المشوبة بآفة الوهم والخيال، فإن فيها للنفس والشيطان مدخلاً بإلقاء الشبهات، وأدنى الشبهة في التوحيد كفر، وقد زلت أقدام جميع أهل الأهواء والبدع والفلاسفة عن الصراط المستقيم، والدين القويم بهذه المزلة. ﴿**ذلكم**﴾ الحاكم العظيم الشأن، وهو مبتدأ ﴿**الله**﴾ خبر ﴿**ربي**﴾ ومالكي لقب لله. ﴿**عليه**﴾ خاصة لا على غيره ﴿**توكلت**﴾ في كل أموري التي من جملتها رد كيد أعداء الدين ﴿**وإليه**﴾ لا إلى أحد سواه ﴿**أنيب**﴾ أرجع في كل ما يعن لي من معضلات الأمور التي منها كفاية شرهم والنصر عليهم، وحيث كان التوكل أمراً واحداً مستمراً والإنابة متعددة متجددة حسب تجدد موادها أوثر في الأول صيغة الماضي. وفي الثاني: صيغة المضارع. وفيه إشارة إلى أنه إذا اشتغلت قلوبكم بحديث نفوسكم لا تدرون أبالسعادة جرى حكمكم أم بالشقاوة مضى اسمكم، فكلوا الأمر فيه إلى الله، واشتغلوا في الوقت بأمر الله دون التفكر فيما ليس لعقولكم سبيل إلى معرفته وعلمه من عواقبكم.

﴿فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾

﴿**فاطر السماوات والأرض**﴾ خبر آخر لذلكم؛ أي: خالق الآفاق من العلويات والسفليات، ويدخل فيه بطريق الإشارة: الأرواح والنفوس. ﴿**جعل لكم من أنفسكم**﴾؛ أي: من جنسكم ﴿**أزواجاً**﴾ نساء وحلائل. وبالفارسية: [جفتال].

﴿**ومن الأنعام**﴾؛ أي: وجعل للأنعام من جنسها ﴿**أزواجاً**﴾، أو خلق لكم من الأنعام أصنافاً يعني: [خلق كرد از جهار بايان صنفهاى كونا]. كون إكراماً لكم لترتفقوا بها إذ يطلق الزوج على معنى الصنف كما في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾﴾ [الواقعة: ٧] أو ﴿ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا﴾ [الشورى: ٥٠] فإنه يطلق على مجموع الزوجين، وهو خلاف الفرد. ﴿**يذرؤكم**﴾ يكثركم أيها الناس. والأنعام من الذرء، وهو البث.

قال في «القاموس»: ذرأ كجعل خلق. والشيء كثره ومنه الذرية مثلثة لنسل الثقلين.

﴿فيه﴾؛ أي: في هذا التدبير، وهو جعل الناس والأنعام أزواجاً يكون بينهم توالد فاختير فيه على به مع أن التدبير ليس ظرفاً للبث والتكثير، بل هو سبب لهما؛ لأن هذا التدبير كالمنبع والمعدن لهما، ففيه تغليبان: تغليب المخاطب على الغائب حيث لم يقل يذرؤكم وإياهن؛ لأن الأنعام ذكرت بلفظ الغيبة، وتغليب العقلاء على غيرهم حيث لم يقل يذرأها وإياكم، فإن كم مخصوص بالعقلاء. ﴿ليس كمثله شيء﴾: المثل كناية عن الذات كما في قولهم: مثلك لا يفعل كذا على قصد المبالغة في نفيه عنه؛ فإنه إذا نفى عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى. وهذا لا يتوقف على أن يتحقق مثل في الخارج، بل يكفي تقدير المثل، ثم سلكت هذه الطريقة في شأن من لا مثل له، والشيء عبارة عن الموجود، وهو اسم لجميع المكونات عرضاً كان أو جوهراً. وعند سيبويه: الشيء ما يصح أن يعلم ويخبر عنه موجوداً أو معدوماً. والمعنى: ليس كذاته شيء من شأن من الشؤون التي من جملتها هذا التدبير البديع؛ لأن ذاته لا يماثل ذات أحد بوجه من الوجوه، ولا من جميع الوجوه؛ لأن الأشياء كلها إما أجسام أو أعراض تعالى ربنا عن ذلك ولا كاسمه اسم كما قال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، ولا كصفته صفة إلا من جهة موافقة اللفظ والمحال كل المحال أن تكون الذات القديمة مثلاً للذات الحادثة، وأن يكون لها صفة حادثة، كما استحال أن تكون للذات المحدثة صفة قديمة:

ذات تراصورت اوبيوندند توبكس وكس بتو مانند ند
جل المهيمن أن تدرى حقيقته من لإله المثل لا تضرب له مثلا

وفي المثنوي:

ذات أورا در تصور كنج كو تادر آيى در تصور مثل أو

هذا ما عليه المحققون والمشهور عند القوم أن الكاف زائدة في خبر ليس، وشيء اسمها، والتقدير: ليس مثله شيء وإلا كان المعنى: ليس مثل مثله شيء، وهو محال.

قال بعضهم: لعل من قال: الكاف زائدة أراد أنه يعطي مغني ليس مثله شيء غير أنه آكد لما ذكر من أنه إذا نفى عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى. وقال بعضهم: كلمة مثل هي الزائدة. والتقدير: ليس كهو شيء، ودخول الكاف على الضمائر لا يجوز، فالوجه الرجوع إلى طريق الكناية؛ لأن القول بزيادة ماله فائدة جليلة وبلاغة مقبولة بعيد كل البعد.

قال في «بحر العلوم»: ومما يجب التنبه له أن المثل عبارة عن المساواة في بعض الصفات لا في جميعها كما زعم كثير من المحققين، فإنه سهو بدليل قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ﴾ [الكهف: ١١٠]، الآية. فإنه ثبت مماثلته بالاشتراك والمساواة في وصف البشرية فقط لا في جميع الأوصاف كما لا يخفى للقطع بأن بينه وبينهم مخالفة بوجوه كثيرة من اختصاصه بالنبوة والرسالة والوحي إلى غير ذلك. ألا ترى إلى قوله: يوحى إلي كيف أثبت المخالفة بأن خصصه بالإيحاء إليه ذكراً، فظهر أن ما ذكره الإمام الغزالي رحمه الله من أن المثل عبارة عن المساوي في جميع الصفات ليس كما ينبغي، انتهى.

يقول الفقير: إنما جاء التخصيص من قبل قوله: بشر كما في قوله: زيد مثل عمرو في النحو، وإلا فلو قال: أنا مثلكم لأفادت المماثلة في جميع الصفات، كما في قوله: زيد مثل عمرو أي من كل الوجوه.

قال الإمام الراغب في «المفردات»: المثل عبارة عن المشابه لغيره في معنى من المعاني؛

أي: معنى كان. وهو أعم الألفاظ الموضوعة للمشابهة، وذلك أن الند يقال: لما يشارك في الجوهر فقط والشبه يقال: فيما يشاركه في القدر والمساحة فقط. والمثل عام في جميع ذلك. ولهذا لما أراد الله سبحانه وتعالى نفي التشبيه من كل وجه خصه بالذكر، فقال تعالى: **﴿ليس كمثله شيء﴾**. انتهى.

وحيث ترى في مرآة القلب صورة أو خطر بالخاطر مثال، وركنت النفس إلى كيفيته، فليجزم بأن الله بخلافه إذ كل ذلك من سمات الحدوث لدخوله في دائرة التحديد والتكييف اللازمين للمخلوقين المنزه عنهما الخالق، ولقد أقسم سيد الطائفة الجنيد قدس سره بأنه ما عرف الله إلا الله.

وقال بعض سادات الصوفية قدس الله أسرارهم: المثل ليس بزائد عند أهل الحقيقة، فإن الهاء كناية عن الهوية الذاتية، والمثل إشارة إلى التجلي الإلٰهي. والمعنى: ليس كالتجلي الإلٰهي الذي هو أول التجليات شيء إذ هو محيط بكل التجليات الباقية المرتبة عليه.

قال الواسطي قدس سره: أمور التوحيد كلها خرجت من هذه الآية **﴿ليس كمثله شيء﴾**؛ لأنه ما عبر عن الحقيقة بشيء إلا والعلة مصحوبة والعبارة منقوضة؛ لأن الحق تعالى لا ينعت على إقداره؛ لأن كل باعث مشرف على المنعوت وجل أن يشرف عليه المخلوق. قال الشيخ سعدي:

نه براوج ذاتش برد مرغ وهم ... نه در ذيل وصفش رسد دست فهم

توان در بلاغت بسحبان رسيد ... كنه در نه بيجون سبحان رسيد

جه خاصان درين ره فرس رانده اند ... بلا احصى از تك فرومانده اند

﴿وهو السميع البصير﴾: المبالغ في العلم بكل ما يسمع ويبصر. قال الزروقي: السميع الذي انكشف كل موجود لصفة سمعه، فكان مدركاً لكل مسموع من كلامه وغيره والبصير الذي يدرك كل موجود برؤيته. والسمع والبصر صفتان من صفاته المنعوتة نابتتان له تعالى كما يليق بوصفه الكريم ورده بعضهم للعلم، ولا يصح. انتهى.

قال الغزالي رحمه الله: السمع في حقه عبارة عن صفة ينكشف بها كمال صفات المسموعات والبصر عبارة عن الوصف الذي به ينكشف كمال نعوت، والمبصرات وسمع العبد قاصر، فإنه يدرك ما قرب لا ما بعد بجارحة، وربما بطل السمع بعظم الصوت؛ وإنما حظ العبد منه أمران أحدهما أن يعلم أن الله سميع، فيحفظ لسانه. والثاني: أن يعلم أن الله لم يخلق له السمع إلا ليسمع كلامه، وحديث رسوله، فيستفيد به الهداية إلى طريق الله، فلا يستعمل سمعه إلا فيه، واستماع صوت الملاهي حرام، وإن سمع بغتة، فلا إثم عليه والواجب عليه أن يجتهد حتى لا يسمع؛ لأنه عليه السلام «أدخل أصبعه في أذنه»، كما في البزازية.

وفي الحديث: «استماع صوت الملاهي معصية والجلوس عليها فسق، والتلذذ بها كفر» على وجه التهديد وبصر العبد قاصر إذ لا يمتد إلى ما بعد، ولا يتغلغل إلى باطن ما قرب منه وحظه الديني أمران أن يعلم أنه خلق له البصر، لينظر إلى الآيات الآفاقية والأنفسية، وأن يعلم أنه بمرأى من الله ومسمع؛ أي: بحيث يراه ويسمعه، فمن قارف معصية، وهو يعلم أن الله يراه، فما أجسره وأخسره، ومن ظن أنه لا يراه فما أكفره.

قال في «كشف الأسرار»: ثم قال: وهو السميع البصير لئلا يتوهم أنه لا صفات له كما

لا مثل له، فقد تضمنت الآية إثبات الصفة ونفي التشبيه والتوحيد كله بين هذين الحرفين إثبات صفة من غير تشبيه ونفي تشبيه من غير تعطيل، فمن نزل عن الإثبات، وادعى اتقاء التشبيه وقع في التعطيل، ومن ارتقى عن الظاهر، وادعى اتقاء التعطيل حصل على التشبيه، وأخطأ وجه الدليل، وعلى الله قصد السبيل.

وفي «التأويلات النجمية»: أن قوماً وقعوا في تشبيه ذاته بذات المخلوقين، فوصفوه بالحد والنهاية والكون والمكان، وأقبح قولاً منهم من وصفه بالجوارح والآلات، وقوم وصفوه بما هو تشبيه في الصفات، فظنوا أن بصره في حدقة وسمعه في عضو وقدرته في يد إلى غير ذلك وقوم قاسوا حكمه على حكم عباده، فقالوا: ما يكون من الحق قبيحاً فمنه قبيح وما يكون من الخلق حسناً، فمنه حسن، فهؤلاء كلهم أصحاب التشبيه والحق تعالى مستحق التنزيه لا التشبيه محقق بالتحصيل دون التعطيل والتمثيل مستحق التوحيد دون التحديد موصوف بكمال الصفات مسلوب عن العيوب والنقصان.

﴿لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ۞ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾.

﴿له مقاليد السماوات والأرض﴾ قال الجواليقي في كتابه «المعرب» المقليد المفتاح فارسي معرب لغة في الإقليد، والجمع مقاليد، فالمقاليد: المفاتيح. وهي كناية عن الخزائن وقدرته عليها وحفظه لها. وفيه مزيد دلالة على الاختصاص؛ لأن الخزائن لا يدخلها، ولا يتصرف فيها إلا من بيده مفاتيحها.

وقال الكاشفي: [كليد هاى آسمانها وزمينها يعني: مفاتيح رزق جه خزانة آسمان مطراست وكنجينة زمين نبات].

قال ابن عطاء: مقاليد الأرزاق صحة التوكل ومقاليد القلوب صحة المعرفة بالله ومقاليد العلوم في الجوع:

نــدارنــد تــن بــروران آكــهــى كه برمعده باشدز حكمت تهى

وقال بعضهم: مقاليد سماواته ما في قلوب ملائكته من أحكام الغيوب، ومقاليد أرضه ما أودع الحق صدور أوليائه من عجائب القلوب. **﴿يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر﴾** يوسع ويضيق **﴿إنه بكل شيء عليم﴾** مبالغ في الإحاطة به، فيفعل كل ما يفعل على ما ينبغي أن يفعل عليه، فلا يوسع الرزق إلا إذا علم أن سعته خير للعبد. وكذا التضييق. وفي «التأويلات النجمية»: له مفاتيح سماوات القلوب، وفيها خزائن لطفه ورحمته وأرض النفوس، وفيها خزائن قهره، وعزته، فكل قلب مخزن لنوع من ألطافه، فبعضها مخزن المعرفة وبعضها مخزن المحبة، وبعضها مخزن الشوق وبعضها مخزن الإرادة. وغير ذلك من الأحوال كالتوحيد والتفريد والهيبة والأنس والرضا. وغير ذلك، وكل نفس مخزن لنوع من أوصاف قهره، فبعضها مخزن النكرة، وبعضها مخزن الجحود وبعضها مخزن الإنكار، وغير ذلك من الأخلاق الذميمة كالشرك والنفاق، والحرص والكبر والبخل والشره والغضب والشهوة، وغير ذلك وفائدة التعريف أن

المقاليد له قطع أفكار العباد من الخلق إليه في جلب ما يريدونه، ودفع ما يكرهونه، فإنه تعالى يوسع ويضيق رزق النفوس ورزق القلوب، والخلق بمعزل عن هذا الوصف.

وفي الحديث: «لا إلٰه إلا الله مفتاح الجنة»، ولا شك أن الجنة جنتان: جنة صورية هي دار النعيم، وجنة معنوية هي: القلب. ومفتاح كلتيهما هو التوحيد، وهو بيد الله يعطيه من يشاء من عباده ويجعله من أهل النعيم مطلقاً، ثم إن الرزق الصوري هي المأكولات والمشروبات الحسية والرزق المعنوي، هي العلوم الحقيقية، والمعارف الإلٰهية، فالأول داخل في الآية بطريق العبارة. والثاني: بطريق الإشارة. وفي المثنوي:

فهم نان كردن نه حكمت اى رهى زانكه حق كفتت كلو من رزقه
رزق حق حكمت بود در مرتبت كان كلو كيرت نباشد عاقبت
اين دهان بستى دهانى بازشد كه خورنده لقمهاى رازشد
كر زشير ديوتن را وا برى در فطام او بسى حكمت خورى

نسأل الله فيضه وعطاه بحق مصطفاه.

﴿شرع لكم من الدين﴾ شرع بمعنى سن وجعل سنة وطريقاً واضحاً؛ أي: سن الله لكم يا أمة محمد من التوحيد ودين الإسلام وأصول الشرائع والأحكام. وبالفارسية: [وراه روشن ساخت شمار ازدين]. ﴿ما وصى به نوحا﴾ التوصية وصيت: [كردن وفرمودن]، والوصية: التقدم إلى الغير بما يعمل به مقترناً بوعظه؛ أي: أمر به نوحاً أمراً مؤكداً، فإن التوصية معربة عن تأكيد الأمر والاعتناء بشأن المأمور به قدم نوح عليه السلام؛ لأنه أول أنبياء الشريعة؛ فإنه أول من أوحى إليه الحلال والحرام وأول من أوحي إليه تحريم الأمهات والأخوات والبنات وسائر ذوات المحارم، فبقيت تلك الحرمة إلى هذا الآن.

﴿والذي أوحينا إليك﴾؛ أي: وشرع لكم الذي أوحينا إلى محمد عليه السلام، وتغيير التوصية إلى الإيحاء في جانب النبي صلى الله عليه وسلم للتصريح برسالته القامع لإنكار الكفرة، والالتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال الاعتناء بإيحائه، وهو السر في تقديمه على ما بعده مع تقدمه عليه زماناً، وتقديم توصية نوح للمسارعة إلى بيان كون المشروع لهم ديناً قديماً، والتعبير بالأصل في الموصولات، وهو الذي للتعظيم وتوجيه الخطاب إليه عليه السلام بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على أنه تعالى شرعه لهم على لسانه.

﴿وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى﴾ وجه تخصيص هؤلاء الخمسة بالذكر، أنهم أكابر الأنبياء ومشاهيرهم من أولي العزم وأصحاب الشرائع العظيمة والأتباع الكثيرة. ﴿أن أقيموا الدين﴾ محله النصب على أنه بدل من مفعول شرع، والمعطوفين عليه أو رفع على الاستئناف؛ كأنه قيل: وما ذلك المشروع المشترك بين هؤلاء الرسل، فقيل: هو إقامة الدين؛ أي: دين الإسلام الذي هو توحيد الله وطاعته والإيمان بكتبه ورسله، وباليوم الآخر وسائر ما يكون الرجل به مؤمناً.

والمراد: بإقامته تعديل أركانه وحفظه من أن يقع فيه زيغ، أو المواظبة عليه والتشمر له.

﴿ولا تتفرقوا فيه﴾ في الدين الذي هو عبارة عن الأصول والخطاب متوجه إلى أمته عليه السلام، فهذه وصية لجميع العباد.

واعلم أن الأنبياء عليهم السلام مشتركون ومتفقون في أصل الدين وجميعهم أقاموا الدين

وقاموا بخدمته وداموا بالدعوة إليه، ولم يتخلفوا في ذلك، وباعتبار هذا الاتفاق والاتحاد في الأصول. قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ [آل عمران: ١٩] من غير تفرقة بين نبي ونبي ومختلفون في الفروع والأحكام. قال تعالى: ﴿لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗاۚ﴾ [المائدة: ٤٨]، وهذا لاختلاف الناشىء من اختلاف الأمم وتفاوت طبائعهم لا يقدح في ذلك الاتفاق، ثم أمر عباده بإقامة الدين والاجتماع عليه ونهاهم عن التفرق فيه، فإن يد الله ونصرته مع الجماعة، وإنما يأكل الذئب الشاة البعيدة النافرة والمنفردة عن الجماعة.

أوصى حكيم أولاده عند موته، وكانوا جماعة، فقال لهم: ائتوني بعصى، فجمعها، فقال لهم: اكسروها، وهي مجموعة، فلم يقدروا على ذلك، ثم فرقها، فقال: خذوا واحدة واحدة، فاكسروها فكسروها، فقال لهم: هكذا أنتم بعدي لن تغلبوا ما اجتمعتم، فإذا تفرقتم تمكن منكم عدوكم، فأهلككم، وكذا القائمون بالدين إذا اجتمعوا على إقامته، ولم يتفرقوا فيه لم يقهرهم عدو. وكذا الإنسان في نفسه إذا اجتمع في نفسه على إقامة الدين لم يغلبه شيطان من الإنس والجن، بما يوسوس به إليه مع مساعدة الإيمان والملك بإقامته له. قال علي رضي الله عنه: لا تتفرقوا، فإن الجماعة رحمة والفرقة عذاب، وكونوا عباد الله إخواناً.

قال سهل: الشرائع مختلفة وشريعة نوح هو الصبر على أذى المخالفين. انتهى. فعلى هذا فشريعة إبراهيم عليه السلام هو الانقياد والتسليم وشريعة موسى عليه السلام هو الاشتياق إلى جمال الرب الكريم وشريعة عيسى عليه السلام هو الزهد والتجرد العظيم وشريعة نبينا عليه السلام هو الفقر الحقيقي المغبوط عند كل ذي قلب سليم كما قال: «اللهم أغنني بالافتقار إليك»، وهذه الشرائع الباطنة باقية أبداً ومن أصول الدين التوجه إلى الله تعالى بالكلية في صدق الطلب، وتزكية النفس عن الصفات الذميمة وتصفية القلب عن تعلقات الكونين وتخلية الروح بالأخلاق الربانية ومراقبة السر لكشف الحقائق وشواهد الحق، وكان نبينا عليه السلام قبل البعثة متعبداً في الفروع بشرع من قبله مطلقاً آدم وغيره وفي كلام الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر تعبده عليه السلام قبل نبوته كان بشريعة إبراهيم عليه السلام، حتى جاءه الوحي وجاءته الرسالة، ولم يكن على ما كان عليه قومه باتفاق الأئمة، وإجماع الأمة، فالولي الكامل يجب عليه متابعة العمل بالشريعة المطهرة حتى يفتح الله له في قلبه عين الفهم عنه، فيلهم معاني القرآن، ويكون من المحدثين بفتح الدال ثم يصير إلى إرشاد الخلق. وفي المثنوي:

لـوح مـحـفـوظـسـت اورا بـيـشـوا ازجه محفوظست محفوظ از خطا
نى نجومست ونه رملست ونه خواب وحـى حـق والله أعـلـم بـالـصـواب

﴿كبر على المشركين﴾؛ أي: عظم وشق عليهم ﴿ما تدعوهم إليه﴾ يا محمد من التوحيد ورفض عبادة الأصنام واستبعدوه حيث قالوا: أجعل الآلهة إلٰهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب. وقال قتادة: شهادة أن لا إلٰه إلا الله وحده، ضاق بها إبليس وجنوده، فأبى الله إلا أن يظهرها على من ناوأها؛ أي: عادها. ﴿الله يجتبي إليه من يشاء﴾.

قال الراغب: جبيت الماء في الحوض جمعته والحوض الجامع له جابية، ومنه استعير جبيت الخراج جباية. والاجتباء: الجمع على طريق الاصطفاء، وهو هنا مأخوذ من الجباية، وهي جلب الخراج وجمعه لمناسبة النهي عن التفرق في الدين؛ ولأن الاجتباء بمعنى الاصطفاء لا يتعدى بإلى إلا باعتبار تضمين معنى الضم والصرف، والمعنى: الله يجتلب إلى ما تدعوهم

إليه من يشاء أن يجتلبه إليه، وهو من صرف اختياره إلى ما دعي إليه. ﴿ويهدي إليه﴾ بالإرشاد والتوفيق وإمداد الالطاف. ﴿من ينيب﴾ يقبل إليه، ويجوز أن يكون الضمير لله في كلا الموضعين، فالمعنى: الله يجمع إلى جنابه على طريق الاصطفاء من يشاء من عباده بحسب استعداده ويهدي إليه بالعناية من ينيب، واجتباء الله تعالى العبد تخصصه إياه بفيض إلٰهي يتحصل منه أنواع من النعم، بلا سعي من العبد، وذلك للأنبياء عليهم السلام، ولبعض من يقاربهم من الصديقين والشهداء.

قال الكاشفي: [يعني هركه از همه اعراض كند وحق راخواهد حق سبحانه راء راست بد ونمايد]:

نخست از طالبى از جمله بكذر روبدو آور
كرآن حضرت ندا آردكه اى سر كشته راه اينك

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بقوله ﴿الله يجتبي إليه﴾ الآية إلى مقامي المجذوب والسالك، فإن المجذوب من الخواص اجتباه الله في الأزل، وسلكه في سلك من يحبهم واصطنعه لنفسه وجذبه عن الدارين بجذبة توازي عمل الثقلين في مقعد صدق عند مليك مقتدر، والسالك من العوام الذين سلكهم في سلك من يحبونه موفقين للهداية على قدمي الجهد والإنابة إلى سبيل الرشاد من طريق العناد انتهى. والإنابة: نتيجة التوبة فإذا صحت التوبة حصلت الإنابة إلى الله تعالى.

قال بعض الكبار: من جاهد في إقامة الدين في مقام الشريعة والطبيعة يهديه الله إلى إقامته في مقام الطريقة والنفس، ومن أقامه في هذا المقام يهديه الله إلى إقامته في مقام المعرفة والروح، ومن أقامه في هذا المقام يهديه الله إلى إقامته في مقام الحقيقة والسر، ومن أقامه في هذا المقام، تم أمره وكمل شأنه في العلم والعرفان والذوق والوجدان والشهود والعيان، وإليه يشير قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ﴾ [العنكبوت: ٦٩] فعليك بإتيان جميع القرب قدر الاستطاعة في كل زمان وحال، فإن المؤمن لن تخلص له معصية أبداً من غير أن تخالطها طاعة؛ لأنه مؤمن بها أنها معصية، فإن أضاف إلى هذا التخليط استغفاراً وتوبة، فطاعة على طاعة وقربة على قربة، فيقوى جزاء الطاعة التي خالطها العمل السَّيِّىء، وهو الإيمان بأنها معصية، والإيمان من أقوى القرب وأعظمها عند الله؛ فإنه الأساس الذي ابتني عليه جميع القرب.

وقال تعالى في الخبر الصحيح: «وإن تقرب مني شبراً تقربت منه ذراعاً، وإن تقرب إليّ ذراعاً تقربت منه باعاً وإن أتاني يمشي أتيته هرولة»، وكان قربه تعالى من العبد ضعف قرب العبد منه، وعلى كل حال لا يخلو المؤمن من الطاعة والقرب والعمل الصالح يمحو الخطايا، فإن العبد إذا رجع عن السيئة وأناب إلى الله وأصلح عمله أصلح الله شأنه، وأعاد عليه نعمه الفائتة.

عن إبراهيم بن أدهم قدس سره: بلغني أن رجلاً من بني إسرائيل ذبح عجلاً بين يدي أمه فيبست يده فبينما هو جالس إذ سقط فرخ من وكره، وهو يتبصبص فأخذه ورده إلى وكره، فرحمه الله تعالى لذلك ورد عليه يده بما صنع، والوكر بالفتح عشر الطائر. وبالفارسية: [آشيان].

والتبصبص: التملق وتحريك الذنب. وفي الآية إشارة إلى أهل الوحدة والرياء والسمعة، فكما أن المشركين بالشرك الجلي يكبر عليهم أمر التوحيد فكذا المشركون بالشرك الخفي يكبر عليهم أمر الوحدة والإخلاص، نسأل الله سبحانه أن يجذبنا إليه بجذبة عنايته، ويشرفنا بخاص هدايته.

﴿وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَٰلِكَ فَٱدْعُ ۖ وَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ ۖ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَهُمْ ۖ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِن كِتَٰبٍ ۖ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ ۖ لَنَآ أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ ۖ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ ۖ ٱللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا ۖ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٥﴾﴾.

﴿وما تفرقوا﴾؛ أي: وما تفرق اليهود والنصارى في الدين الذي دعوا إليه، ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم في حال من الأحوال، أو في وقت من الأوقات. **﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾**؛ أي: إلا حال جيء العلم أو إلا وقت مجيء العلم بحقية ما شاهدوا في رسول الله، والقرآن من دلائل الحقية حسبما وجدوه في كتابهم، أو العلم بمبعثه. **﴿بغياً بينهم﴾** من بغى بمعنى طلب وحقيقة البغي، الاستطالة بغير حق كما في «المفردات»؛ أي: لابتغاء طلب الدنيا وطلب ملكها وسياستها وجاهها وشهرتها، وللحمية الجاهلية لا؛ لأن لهم في ذلك شبهة. **﴿ولولا كلمة سبقت من ربك﴾**، وهي العدة بتأخير العقوبة. **﴿إلى أجل مسمى﴾**؛ أي: وقت معين معلوم عند الله هو يوم القيامة وآخر أعمارهم المقدرة. **﴿لقضي بينهم﴾** لأوقع القضاء بينهم باستئصالهم لاستيجاب جنايتهم لذلك قطعاً.

﴿وإن الذين أورثوا الكتاب من بعدهم﴾؛ أي: والمشركين الذين أوتوا الكتاب؛ أي: القرآن من بعدما أوتي أهل الكتاب كتابهم والإيراث في الأصل: ميراث دادن. **﴿لفي شك منه﴾**؛ أي: من القرآن، والشك اعتدال النقيضين عند الإنسان وتساويهما. و**﴿مريب﴾** موقع في القلق؛ أي: الاضطراب، ولذلك لا يؤمنون إلا لمحض البغي والمكابرة بعدما علموا بحقيته كدأب أهل الكتابين. والريبة: قلق النفس واضطرابها، ويسمى الشك بالريب؛ لأنه يقلق النفس ويزيل الطمأنينة، والظاهر أن شك مريب من باب جد جده؛ أي: وصف الشك بمريب بمعنى ذي ريب مبالغة فيه.

وفي «القاموس»: أراب الأمر صار ذا ريب.

﴿فلذلك﴾؛ أي: فلأجل ما ذكر من التفرق والشك المريب، أو فلأجل أنه شرع لهم الدين القويم القديم الحقيق، بأن يتنافس فيه المتنافسون. **﴿فادع﴾** الناس كافة إلى إقامة ذلك الدين والعمل بموجبه، فإن كلاً من تفرقهم وكونهم في شك مريب، ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله تعالى عليه والسلام، سبب للدعوة إليه، والأمر بها، وليس المشار إليه ما ذكر من التوصية والأمر بالإقامة، والنهي عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار.

وفيه إشارة إلى افتراق أهل الأهواء والبدع ثنتين وسبعين فرقة ودعوتهم إلى صراط مستقيم السنة لإبطال مذاهبهم.

وفي الحديث: «من انتهر»؛ أي: منع بكلام غليظ «صاحب بدعة» سيئة مما هو عليه من

سوء الاعتقاد والفحش من القول والعمل. «ملأ الله قلبه أمناً وإيماناً ومن أهان صاحب بدعة آمنه الله يوم القيامة من الفزع الأكبر». وهو حين الانصراف إلى النار كما قال ابن السماك إن الخوف المنصرف للمتفرقين قطع نياط قلوب العارفين.

وقال في «البزازية»: روي أن ابن المبارك رؤى في المنام، فقيل له ما فعل ربك بك، فقال: عاتبني وأوقفني ثلاثين سنة بسبب أني نظرت باللطف يوماً إلى مبتدع، فقال: إنك لم تعاد عدوي في الدين، فكيف حال القاعد بعد الذكر مع القوم الظالمين. ﴿واستقم﴾ عليه وعلى الدعوة إليه. ﴿كما أمرت﴾ وأوحي إليك من عند الله تعالى. والمراد: الثبات والدوام عليهما؛ لأنه كان مستقيماً في هذا المعنى.

وفي الحديث: «شيبتني هود وأخواتها»، فقيل له: لم ذلك يا رسول الله؟ فقال: «لأن فيها فاستقم كما أمرت»، وهذا الخطاب له عليه السلام بحسب قوته في أمر الله. وقال هو لأمته بحسب ضعفهم استقيموا، ولن تحصوا؛ أي: لن تطيقوا الاستقامة التي أمرت بها فحقيقة الاستقامة لا يطيقها إلا الأنبياء، وأكابر الأولياء؛ لأنها الخروج من المعهودات ومفارقة الرسوم والعادات والقيام بين يدي الحق على حقيقة الصدق.

قال الكاشفي: [درتبيان آورده كه وليد مغيره بآن حضرت كفت ازدين ودعوى كه دارى رجوع كن تا من نصفى ازا موال خود بتودهم وشيبه وعده كرده كه اكر بدين بدران باز آيى دختر خود در عقد توارم اين آيت نازل شدكه بردعوت خود مقيم ودر دين وملت خود مستقيم باش]. ﴿ولا تتبع أهواءهم﴾ المختلفة الباطلة والضمير للمشركين، وكانوا يهوون أن يعظم عليه السلام آلهتهم، وغير ذلك. وفي الخبر: «لكل شيء آفة وآفة الدين الهوى»:

هـو اوهـوس رانـمـانـد سـتـيـز   جـو بـيـنـد سـر يـجـة عـقـل تـيـز

﴿وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب﴾؛ أي كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها، وكفروا ببعض، وذلك فإن كلمة ما من ألفاظ العموم. وفيه إشارة إلى وجوب الإيمان بجميع الحقائق، وإن اختلف مظاهرها، فإن كلها إلهام صحيح من الله تعالى. ﴿وأمرت﴾ بذلك ﴿لأعدل بينكم﴾ بين شريفكم ووضيعكم في تبليغ الشرائع والأحكام، وفصل القضايا عند المحاكمة والمخاصمة إلي، فاللام على حقيقتها، والمأمور به محذوف أو زائدة، والباء محذوفة؛ أي: أمرت بأن أعدل وأسوي بين شريفكم ووضيعكم، فلا أخص البعض بأمر أو نهي.

قوله: وقل آمنت. إلخ. تعليم من الله لاستكمال القوة النظرية. وقوله: وأمرت، إلخ. لاستكمال القوة العملية.

روي: أن داود عليه السلام قال: «ثلاث خصال من كن فيه، فهو الفائز القصد في الغنى، والفقر والعدل في الرضا، والغضب والخشية في السر والعلانية، وثلاث من كن فيه أهلكته شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه، وأربع من أعطيهن، فقد أعطي خير الدنيا والآخرة لسان ذا ذكر وقلب شاكر وبدن صابر وزوجة مؤمنة».

وفي «التأويلات النجمية»: لأعدل بينكم؛ أي: لأسوي بين أهل الأهواء، وبين أهل السنة بترك البدعة ولزوم الكتاب والسنة ليندفع الافتراق ويكون الاجتماع. ﴿الله ربنا وربكم﴾؛ أي: خالقنا جميعاً، ومتولي أمورنا لا الأصنام والهوى. ﴿لنا أعمالنا﴾ لا يتخطانا جزاؤها ثواباً

كان أو عقاباً. ﴿ولكم أعمالكم﴾ لا يجاوزكم آثارها، لا نستفيد بحسناتكم ولا نتضرر بسيئاتكم. ﴿لا حجة بيننا وبينكم﴾: الحجة في الأصل: البرهان والدليل، ثم يقال: لا حجة بيننا وبينكم؛ أي: لا إيراد حجة بيننا ويراد به لا خصومة بيننا بناء على أن يراد الحجة من الجانبين لازم للخصومة، فيكنى بذكر اللازم عن الملزوم، فالمعنى لا محاجة ولا خصومة؛ لأن الحق قد ظهر، ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة.

وفيه إشارة إلى أنه لا خصومة بالإهداء والمعصية. ﴿الله يجمع بيننا﴾ يوم القيامة. ﴿وإليه المصير﴾: مرجع الكل لفصل القضاء، فيظهر هناك حالنا وحالكم، وليس في الآية إلا ما يدل على المتاركة في المقاولة لا مطلقاً، حتى لا تكون منسوخة بآية القتال. يعني: هذه الآية إنما تدل على المتاركة القولية لحصول الاستغناء عن المحاجة القولية معهم؛ لأنهم قد عرفوا صدقه من الحجج، وإنما كفروا عناداً وبعد ما ظهر الحق وصاروا محجوجين كيف يحتاج إلى المحاجة القولية، فلا يبقى بعد هذا إلا السيف أو الإسلام، وقد قوتلوا بعد ذلك، فعلى العبد، قبول الحق بعد ظهوره والمشي خلف النصح بعد إضاءة نوره، فإن المصير إلى الله، والدنيا دار عبور، وأن الحضور في الآخرة، والدنيا دار التفرق والفتور، فلا بد من التهيؤ للموت.

قال إبراهيم بن أدهم قدس سره لرجل في الطواف: اعلم أنك لا تنال درجة الصالحين حتى تجوز ست عقبات:

أولاها: تغلق باب النعمة وتفتح باب الشدة.

والثانية: تغلق باب العز وتفتح باب الذل.

والثالثة: تغلق باب الراحة، وتفتح باب الجهد.

والرابعة: تغلق باب النوم وتفتح باب السهر.

والخامسة: تغلق باب الغنى وتفتح باب الفقر.

والسادسة: تغلق باب الأمل وتفتح باب الاستعداد للموت. وأنشدوا:

إن لله عباداً فطنا ... طلقوا الدنيا وخافوا الفتنا
نظروا فيها فلما علموا ... أنها ليست لحي وطنا
جعلوها لجة واتخذوا ... صالح الأعمال فيها سفنا

وفي المثنوي:

ملك برهم زن تو آدم وارزود ... تابيابى همجو او ملك خلود
اين جهان خود حبس جانهاى شماست ... هين رويدان سوكه صحراى شماست

﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾﴾.

﴿والذين يحاجون في الله﴾؛ أي: يخاصمون في دين نبيه، وهو مبتدأ ﴿من بعد ما استجيب له﴾؛ أي: من بعدما استجاب له الناس ودخلوا فيه لظهور حجته ووضوح محجته، والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم إليه.

وفيه إشارة إلى أنهم استجابوا له تعالى يوم الميثاق بقولهم: بلى، حين قال لهم: ﴿ألست بربكم﴾؟ ثم لما نزلوا من عالم الأرواح إلى عالم الأجسام نسوا الإقرار والعهد،

فأخذوا في المحاجة والإنكار بخلاف المؤمنين، فإنهم ثبتوا على التصديق والإقرار. قال الحافظ:

ازدم صبح ازل تا آخر شام ابد دوستى ومهر بريك عهد ويك ميثاق بود

﴿حجتهم﴾: مبتدأ ثان ﴿داحضة عند ربهم﴾: خبر الثاني، والجملة خبر الأول؛ أي: زالة زائلة باطلة. يعني: [ناجيز ونابر جاى]، بل لا حجة لهم أصلاً، وإنما عبر عن أباطيلهم بالحجة مجاراة معهم على زعمهم الباطل والمجاراة بالفارسية: [رفتن وبا كسى جيزى واراندن]. ﴿وعليهم غضب﴾ عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره. ﴿ولهم عذاب شديد﴾ على كفرهم الشديد وضلالهم البعيد لا يعرف كنهه، وهو عذاب النار.

يقول الفقير: وجه الغضب والعذاب أن الدين الحق، وما جاء من القرآن سبب الرحمة والنعمة، فإذا أعرضوا عنهما وجدوا عند الله الغضب والنقمة بدلهما نعوذ بالله من ذلك، وهذا من نتائج أحوالهم وثمرات أعمالهم:

ابرا كرآب زندكى بارد هركز ازشاخ بيد بر نخورى
بافر ومايه روز كار مبر كزنى بور يا شكر نخورى

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا ۖ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا ٱلْحَقُّ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلَّذِينَ يُمَارُونَ فِى ٱلسَّاعَةِ لَفِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾﴾

﴿الله الذي أنزل الكتاب﴾؛ أي: جنس الكتاب حال كونه ملتبساً. ﴿بالحق﴾ في أحكامه وأخباره بعيداً من الباطل، أو بما يحق إنزاله من العقائد والأحكام. ﴿والميزان﴾؛ أي: وأنزل الميزان؛ أي: الشرع الذي يوزن به الحقوق ويسوي بين الناس على أن يكون لفظ الميزان مستعاراً للشرع تشبيهاً له بالميزان العرفي من حيث يوزن به الحقوق الواجبة الأداء سواء كان من حقوق الله، أو من حقوق العباد، أو أنزل نفس العدل والتسوية، بأن أنزل الأمر به في الكتب الإلهية، فيكون تسمية العدل بالميزان تسمية المسمى باسم آلته، فإن الميزان آلة العدل، أو أنزل آلة الوزن. والوزن: معرفة قدر الشيء. يعني: [منزل كردانيد ترازورا كه موزونات رابان سنجد تادر بارئه خزنده وفروشنده ستم نرود].

فيكون المراد بالميزان معناه الأصلي وإنزاله إما حقيقة لما روي أن جبرائيل عليه السلام نزل بالميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام، فقال له: مر قومك يزنوا به. وقيل: نزل آدم عليه السلام بجميع آلات الصنائع، وإما مجازاً عن إنزال الأمر به واستعماله في الإيفاء والاستيفاء.

[ودر عين المعاني آورده كه مراد از ميزان حضرت بهتر كائنات محمد است صلى الله تعالى عليه وسلم قانون عدل بدل وتمهيد مى بايد ونزال وإرسال اوست].

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى كتاب الإيمان الذي كتب الله في القلوب وميزان العقل يوزن به أحكام الشرع. والخير والشر والحسن والقبح، فإنهما قرينان متلازمان لا بد لأحدهما من الآخر وسماهما البصيرة، فقال: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٤]، فمن أبصر، فلنفسه، ومن عمي فعليها، ففي انتفاء أحدهما انتفاء الآخر، كما قال تعالى: ﴿صُمٌّۢ بُكْمٌ عُمْىٌ فَهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ١٧١]، فنفي العقل والبصيرة بانتفاء الإيمان.

﴿وما يدريك﴾: الإدراء بمعنى الإعلام؛ أي: أي شيء يجعلك دارياً؛ أي: عالماً بحال الساعة التي هي من العظم والشدة والخفاء بحيث لا يبلغه دراية أحد، وإنما يدرى ذلك بوحي منا. وبالفارسية: [وجه جيز دانا كرد براوجه دانى].

قال الراغب: كل موضع ذكر في القرآن، وما أدراك فقد عقب ببيانه نحو: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾﴾ [القارعة: ١٠ - ١١] وكل موضع ذكر فيه، وما يدريك لم يعقبه بذلك نحو: ﴿وما يدريك لعل الساعة قريب﴾. ﴿لعل الساعة﴾ التي يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق. ﴿قريب﴾؛ أي: شيء قريب، أو قريب مجيئها وإلا فالفعيل بمعنى الفاعل لا يستوي فيه المذكر والمؤنث عند سيبويه، فكان الظاهر أن يقال: قريبة لكونه مسند إلى ضمير الساعة إلا أنه قد ذكر لكونه صفة جارية على غير من هي له. وقيل: القريب بمعنى ذات قرب على معنى النسب، وإن كان على صورة اسم الفاعل كلابن وتامر بمعنى ذو لبن وذو تمر؛ أي: لبنى وتمرى لا على معنى الحدث كالفعل، فلما لم يكن في معنى الفعل حقيقة لم يلحقه تاء التأنيث، أو الساعة بمعنى البعث تسمية باسم ما حل فيه.

وقال الزمخشري: لعل مجيء الساعة قريب بتقدير المضاف. والمعنى: أن القيامة على جناح الإتيان، فاتبع الكتاب يا محمد واعمل به، وواظب على العدل قبل أن يفاجئك اليوم الذي يوزن فيه الأعمال، ويوفى جزاؤها: [امام زاهدى فرموده كه لعل براى تحقيق است يعني البتة ساعتى كه بدان قيامت قائم شود نزديكست]. وفيه زجرهم عن طول الأمل وتنبيههم على انتظار الأجل، وهجومه نبهنا الله تعالى إياكم أجمعين آمين.

﴿يستعجل بها﴾: [شتاب ميكنند بساعت يعنى بامداو]. ﴿الذين لا يؤمنون بها﴾ استعجال إنكار واستهزاء، ولا يشفقون منها، ويقولون متى هي ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق أهو الذي نحن عليه أم الذي عليه محمد وأصحابه، فإنهم لما لم يؤمنوا بها لم يخافوا ما فيها، فهم يطلبون وقوعها استبعاداً لقيامها، والعجلة طلب الشيء وتحريه قبل آوانه.

﴿والذين آمنوا﴾ بها ﴿مشفقون منها﴾ خائفون منها مع اعتنائها لتوقع الثواب، فإن المؤمنين يكونون أبداً بين الخوف والرجاء، فلا يستعجلون بها. يعني: [ترسانندازقيامت جه ميدا نندكه خداى تعالى باايشان جه كند ومحاسبه ومجازات برجه وجه بود]. فالآية من الاحتباك ذكر الاستعجال أولاً دليلاً على حذف ضده ثانياً والإشفاق ثانياً دليلاً على حذف ضده أولاً. ﴿ويعلمون أنها الحق﴾؛ أي: الكائن لا محالة. وفيه إشارة إلى أن المؤمنين لا يتمنون الموت خوف الابتلاء بما بعده، فيستعدون له وإذا ورد لم يكرهوه وذلك أن الموت لا يتمناه إلا جاهل أو مشتاق. ﴿ألا إن الذين يمارون في الساعة﴾ يجادلون فيها وينكرون مجيئها عناداً من المرية، فمعناه في الأصل تداخلهم المرية والشك، فيؤدي ذلك إلى المجادلة، ففسر المماراة بلازمها.

قال الراغب: المرية التردد في الأمر، وهو أخص من الشك والمماراة المحاجة فيما فيه مرية. انتهى.

ويجوز أن يكون من مريت الناقة إذا مسحت ضرعها بشدة الحلب، فيكون تفسيره بيجادلون حملاً له على الاستعارة التبعية بأن شبه المجادلة بمماراة الحالب للضرع لاستخراج ما فيه من اللبن من حيث إن كلاً من المتجادلين يستخرج ما عند صاحبه بكلام فيه شدة. ﴿لفي

ضلال بعيد﴾ عن الحق، فإن البعث أشبه الغائبات بالمحسوسات؛ لأنه كإحياء الأرض بعد موتها، فمن لم يهتد إلى تجويزه، فهو من الاهتداء إلى ما وراءه أبعد وأبعد. ووصف الضلال بالبعد من المجاز العقلي؛ لأن العبد في الحقيقة للضال؛ لأنه هو الذي يتباعد عن الطريق، فوصف به فعله، ويحتمل أن يكون المعنى في ضلال ذي بعد أو فيه بعد؛ لأن الضال قد يضل عن الطريق مكاناً قريباً وبعيداً.

وفي «التأويلات النجمية»: لفي ضلال بعيد؛ لأنه أزلي. وفي الآية أمور:

الأول: ذم الاستعجال، ولذا قيل: العجلة من الشيطان إلا في ستة مواضع أداء الصلاة إذا دخل الوقت ودفن الميت إذا حضر وتزويج البكر إذا أدركت، وقضاء الدين إذا وجب وإطعام الضيف إذا نزل وتعجيل التوبة إذا أذنب.

والثاني: الإيمان والتصديق؛ فإنه الأصل، وذلك بجميع ما يكون به المرء مؤمناً خصوصاً الساعة، وكذا الاستعداد لها بالأعمال الصالحات.

روي: أن رجلاً من الأعراب قال للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم: متى الساعة؟ فقال عليه السلام: «وما أعددت لها»، قال: لا شيء إلا أني أحب الله ورسوله، فقال: «أنت مع من أحببت»، ولا شك أن من أحب رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أحب الاقتداء به في جميع الأحوال، فإذا كان محباً لرسول الله والاقتداء به. كان رسول الله محباً له، كما قال عليه السلام متى ألقى أحبائي فقال أصحابه: بآبائنا وأمهاتنا يا رسول الله أولسنا أحباءك فقال: «أنتم أصحابي أحبائي قوم لم يروني وآمنوا بي أنا إليهم بالأشواق وخصهم بالأخوة في الحديث الآخر، فقال أصحابه: نحن إخوانك يا رسول الله. قال: لا أنتم أصحابي وإخواني الذين يأتون بعدي آمنوا بي ولم يروني. وقال: للعامل منهم أجر خمسين منكم، قالوا: بل منهم يا رسول الله. قال: بل منكم رددها ثلاثاً، ثم قال: لأنكم تجدون على الخير أعوانا والثالث مدح العلم، لكن إذا قرن بالخوف والخشية والعمل كان أمدح، فإن العلم ليس جالباً للسؤدد إلا من حيث طرده الجهل، فلا تعجب بعلمك، فإن فرعون علم بنبوة موسى وإبليس علم حال آدم، واليهود علموا بنبوة محمد وحرموا التوفيق للإيمان.

والرابع: ذم الشك والتردد، فلا بد من اليقين الصريح، بل من العيان الصحيح كما قال عليّ كرم الله وجهه لو كشف الغطاء ما ازددت يقيناً.

حال خلد وجحيم دانستم بيقين آنجنانكه مي بايد
كر حجاب ازميانه بر كيرند آن يقين ذرة نيفزايد

والخامس: أن السعادة والشقاوة أزليتان، وإنما يشقى السعيد لكون سعادته عارضة، وإنما يسعد الشقي لكون شقاوته عارضة، فكل يرجع إلى أصله فنسأل الله الهدى ونعوذ به من الهوى.

﴿ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾﴾.

﴿الله لطيف بعباده﴾؛ أي: بر بليغ البر بهم، يفيض عليهم من فنون ألطافه ما لا يكاد يناله أيدي الأفكار والظنون قوله: من فنون ألطافه يؤخذ ذلك من صيغة لطيف، فإنها للمبالغة، وتنكيره أيضاً.

وقوله: ما لا يكاد. إلخ. مأخذه مادة الكلمة، فإن اللطف إيصال نفع فيه دقة. ﴿يرزق من يشاء﴾ أن يرزقه كيفما يشاء فيخص كلاً من عباده الذين عمهم جنس لطفه بنوع من البر على ما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة، فلا مخالفة بين عموم الجنس، وخصوص النوع، يعني أن المخصوص بمن يشاء هو نوع البر وصنفه، وذلك لا ينافي عموم جنس بره بجميع عباده على ما أفادته إضافة العباد إلى ضميره تعالى حتى يلزم التناقض بين الكلامين، فالله تعالى يبرهم جميعاً لا بمعنى: أن جميع أنواع البر وأصنافه يصل إلى كل أحد، فإنه مخالف للحكمة الإلٰهية إذ لا يبقى الفرق حينئذٍ بين الأعلى والأدنى، بل يصل بره إليهم على سبيل التوزيع، بأن يخص أحد بنعمة، وآخر بأخرى، فيرجع بذلك كل واحد منهم إلى الآخر فيما عنده من النعمة، فينتظم به أحوالهم، ويتم أسباب معاشهم وصلاح دنياهم وعمارتها، فيؤدي ذلك إلى فراغهم لاكتساب سعادة الآخرة.

وقال بعضهم: ﴿يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [البقرة: ٢١٢] إذ الآيات القرآنية يفسر بعضها بعضاً. ﴿وهو القوي﴾ الباهر القدرة على كل شيء، وهو يناسب عموم لطفه للعباد والقوة في الأصل صلابة البنية وشدتها المضادة للضعف، ولما كانت محالاً في حق الله تعالى حملت على القدرة لكونها مسببة عن القوة. ﴿العزيز﴾ المنيع الذي لا يغلب، وهو يلائم تخصيص من يشاء بما يشاء.

قال بعض الكبار: لطفه بعباده لطف الفطرة التي فطر الناس عليها في أحسن تقويم مستعدة لقبول الفيض الإلٰهي بلا واسطة ولطف الجذبة للوصلة، وأيضاً لطيف بعباده بأن جعلهم عباده لا عباد الدنيا، ولا عباد النفس والهوى والشيطان خاطب العابدين بقوله: لطيف بعباده؛ أي: يعلم غوامض أحوالكم من دقيق الرياء والتصنع لئلا يعجبوا بأحوالهم وأعمالهم وخاطب العصاة بقوله: لطيف لئلا ييأسوا من إحسانه، وخاطب الفقراء بقوله: لطيف؛ أي: أنه محسن بكم لا يقتلكم جوعاً، فإنه محسن بالكافرين، فكيف بالمؤمنين:

أديـم زمـيـن سـفـره عـام اوسـت   بر ين خوان يغماجه دشمن جه دوست

وخاطب الأغنياء بقوله: لطيف ليعلموا أنه يعلم دقائق معاملاتهم في جميع المال من غير وجه بنوع تأويل، ومن لطفه بعباده أنه جعلهم مظهر صفات لطفه، ومن لطفه بعباده أنه عرفهم أنه لطيف، ولولا لطفه ما عرفوه، ومن لطفه بعباده أنه زين أسرارهم بأنوار العرفان وكاشفهم بالعين والعيان. [در فصول آورده كه لطيف جند معنى دارداول مهربان امام قشيري فرموده كه لطف اوست كه بيشتر از كفايت بدهد وكمتر از قوت كار فرمايد دوم توازنده وكذا نوازندكى سوم بوشيده كار كسى بر قضا وقدر اوراه نبرد ودركاه اوجه وجون دخل ندارد]:

كـسـى زجـون وجـرادم نـمـى تـوانـدزد   كه نقش كار حوادث وراى جون وجراست

جرامكوكه جرادست بسته قدرست   زجون ملاف كه جون تير بايمال قضاست

[در موضح آورده كه لطيف آنست كه غوامض امور را بعلم داند وجرائم مجهور را بحلم كذا راند در كشف الأسرار آورده كه لطيف آنست كه نعمت بقدر خود داد وشكر بقدر بنده خواست].

وقال بعضهم: اللطيف الذي ينسي العباد ذنوبهم في الآخرة لئلا يتشوشوا. وقال أبو سعيد الخراز قدس سره: لطيف بعباده موجود في الظاهر والباطن والأشياء كلها موجودة به. لكن يوجد ذكره في قلب العبد مرة ويفقد مرة ليجدد بذلك افتقاره إليه.

وقال جعفر الصادق رضي الله عنه: لطفه في الرزق الحلال وتقسيمه على الأحوال، يعني: أنه رزقك من الطيبات، ولم يدفعه إليك مرة واحدة.

وقال علي بن موسى رضي الله عنه: هو تضعيف الأجر، وقال الجنيد قدس سره: هو الذي لطف بأوليائه، فعرفوه، ولو لطف بأعدائه ما جحدوه. وقيل: هو الذي ينشر المناقب ويستر المثالب. وقال بعضهم: [لطف وى بوداز توطاعات موقت خواست ومثوبات مؤبد داد خدايرا لطف است وهم قهر بلطف او كعبه ومسجدها رابنا كردند وبقهرا وكلبيساها وبتكدها برآوردند بس بعضى بطريق لطف سلوك ميكند بسبب توفيق وبعضى بطريق قهر ميرود بمقتضاى خذلان مؤذنى بود جندين سال بانك نماز كفته روزى برمنارة رفت ديده وى برزنى ترسا افتاد تعشق كرد جون ازمناره فرو آمد بدرسرايش رفت قصة باوى بكفت آن زن كفت اكر دعوى راستست ودر عشق صادقى موافقت شرطست زنار بر ميان بايدبست آن بدبخت بطمع آن زن زنار ترسايي بربست وخمر خورد وجون مست كشف قصد آن زن كرد زن بكر يخت ودرخانة شدآن بدبخت بربام رفت تا بحيلتى خويشتزا در ان خانه افكند بخذلان أزلي ازبام درفتاد وبترسايى هلاك شد جندين سال مؤذنى كرد در شرائع اسلام ورزيد وبعاقبت بترسايى هلاك وبمقصود نرسد].

قال الحافظ:

حكم مستورى ومستى همه برخاتمتست كس نداست كه آخربجه حالت برود

وقال الإمام الغزالي رحمه الله: اللطيف من يعلم دقائق المصالح وغوامضها، وما دق منها وما لطف، ثم يسلك في إيصالها إلى المستصلح سبيل الرفق دون العنف، وإذا اجتمع الرفق في الفعل واللطف في العلم والإدراك، ثم معنى اللطف، ولا يتصور كمال ذلك في العلم والفعل إلا الله وحده، ومن لطفه خلقه الجنين في بطن أمه في ظلمات ثلاث وحفظه فيها وتغذيته بواسطة السرة إلى أن ينفصل فيستقل بالتناول للغذاء بالفم، ثم إلهامه إياه عند الانفصال التقام الثدي وامتصاصه، ولو في ظلمات الليل من غير تعليم ومشاهدة، بل تتفتق البيضة عن الفرخ، وقد ألهمه التقاط الحب في الحال، ثم تأخير خلق السن من أول الخلقة إلى وقت إنباته للاستغناء باللبن عن السن، ثم إنباته السن بعد ذلك عند الحاجة إلى طحن الطعام، ثم تقسيم الأسنان إلى عريضة للطحن، وإلى أنياب للكسر، وإلى ثنايا حادة الأطراف للقطع، ثم استعمال اللسان الذي الغرض الأظهر منه النطق ورد الطعام إلى المطحن كالمجرفة، فيكون الإنسان في زمرة الجمادات، وأول نعمة عليه أن الله تعالى كرمه فنقله من عالم الجماد إلى عالم النبات، ثم عظم شأنه فنقله من عالم النبات إلى عالم الحيوان، فجعله حساساً متحركاً بالإرادة، ثم نقله إلى عالم الإنسان، فجعله ناطقاً، وهي نعمة أخرى أعظم مما سبق، ومن لطفه أنه يسر لهم الوصول إلى سعادة الأبد، بسعي خفيف في مدة قصيرة، وهو العمر القليل، ومن لطفه إخراج اللبن الصافي من بين فرث ودم، وإخراج الجواهر النفيسة من الأحجار الصلبة، وإخراج العسل من النحل والابريسم من الدود والدر من الصدف إلى غير ذلك وحظ العبد من هذا الوصف

الرفق بعباد الله والتلطف بهم في الدعوة إلى الله والهداية إلى سعادة الآخرة من غير إزراء، وعنف ومن غير تعصب وخصام.

وأحسن وجوه اللطف فيه: الجذب إلى قبول الحق بالشمائل والسير المرضية والأعمال الصالحة، فإنها أوقع وألطف من الألفاظ المزينة، ولذلك قال عليه السلام: «صلوا كما رأيتموني أصلي»، ولم يقل: «صلوا كما قلت لكم»؛ لأن الفعل أرجح في نفس المقتدي من القول. وفي المثنوي:

بند فعلى خلق را جذاب تر كه رسدد رجان هربا كوش كر

ثم إن الأرزاق صورية ومعنوية فالصورية ظاهرة، والمعنوية هي: علم التوحيد والمعارف الإلٰهية التي تتغذى بها الأرواح يقال: غذاء الطبيعة الأكل والشرب، وغذاء النفس التكلم بما لا يعني، وغذاء القلب: الفكر وغذاء الروح: علم التوحيد من حيث الأفعال والصفات والذات، وسائر المعارف الإلٰهية مما لا نهاية لها والمنظر الإلٰهي في الوجود الإنساني هو: القلب، فإذا صلح هو بالتوحيد، والذكر ونور الإيمان والعرفان صلح سائر الأحوال، ومن الله البر واللطف والإحسان والنوال والإفضال.

﴿من﴾: [هركه]. **﴿كان يريد حرث الآخرة﴾**: الحرث في الأصل: إلقاء البذر في الأرض يطلق على الزرع الحاصل منه، ويستعمل في ثمرات الأعمال ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الأعمال بالبذور من حيث إنها فائدة تحصل بعمل الدنيا. ولذلك قيل: الدنيا مزرعة الآخرة، والمعنى: من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة. **﴿نزد له في حرثه﴾**: نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة إلى سبعمائة فما فوقها.

قال الكاشفي: [جنانكه كشت دانه مى افزايد تايكى ازان بسيار ميشود همجنين عمل مؤمن روز بروز افزونى ميكيرد تاحدى كه يك ذره برابر كوه احد ميشود]، ولم يقل في حقه، وله في الدنيا نصيب مع أن الرزق المقسوم له يصل إليه لا محالة للاستهانة بذلك والإشعار بأنه في جنب ثواب الآخرة ليس بشيء، ولذلك قال سليمان عليه السلام: لتسبيحة خير من ملك سليمان [كفته اندكه بر سليمان عليه السلام مال وملك وعلم عرضه كردندكه زين سه يكى اختيار كن سليمان علم اختيار كرد مال وملك فرا فرودنداد]:

دنيا طلبى بهرة دنيات دهند عقبى طلبى هر دوبيك جات دهند

فإن قيل ظاهر اللفظ يدل على أن من صلى لأجل طلب الثواب، أو لأجل دفع العقاب، فإنه تصح صلاته وأجمعوا على أنها لا تصح؛ لأن الرغبة في الإيمان والطاعة لا تنفع إلا إذا كانت تلك الرغبة رغبة فيه لكونه إيماناً وطاعة. وأما الرغبة فيه لطلب الثواب وللخوف من العقاب، فغير مفيد؛ لأنه يكون عليلاً مريضاً.

والجواب: أن الحرث لا يتأتى إلا بإلقاء البذر الصحيح في الأرض والبذر الصحيح الجامع للخيرات والسعادات ليس إلا عبودية الله تعالى، فلا يكون العمل أخروياً إلا بأن يطلب فيه رضا الله. **﴿ومن كان يريد﴾** بأعماله **﴿حرث الدنيا﴾**، وهو متاعها وطيباتها.

والمراد: الكافر أو المنافق حيث كانوا مع المؤمنين في المغازي وغرضهم الغنيمة، ودخل فيه أصحاب الأغراض الفاسدة جميعاً. **﴿نؤته منها﴾**؛ أي: شيئاً منها حسبما قسمنا له لا ما لا يريده ويبتغيه، فمنها متعلق بكائناً المحذوف الواقع صفة للمفعول الثاني. ويجوز أن يكون

كلمة من للتبعيض؛ أي: بعضها ومآل المعنى واحد دلت الآية على أن طالب الدنيا لا ينال مراده من الدنيا.

وفي الحديث: «من كانت نيته الآخرة جمع الله شمله وجعل غناه في قلبه وأتته الدنيا، وهي راغمة، ومن كانت نيته الدنيا فرق الله عليه أمره، وجعل فقره بين عينيه، ولم يأته من الدنيا إلا ما كتب الله له». ﴿وما له في الآخرة من نصيب﴾: من مزيدة للاستغراق؛ أي: ما له نصيب ما في الآخرة إذ كانت همته مقصورة على الدنيا، ولكل امرىء ما نوى، فيكون محروماً من ثواب الآخرة بالكلية.

وقال الإمام الراغب: إن الإنسان في دنياه حارث وعمله حرثه، ودنياه محرثه، ووقت الموت وقت حصاده والآخرة بيدره ولا يحصد إلا ما زرعه، ولا يكيل إلا ما حصده.

حكي: أن رجلاً ببلخ أمر عبده أن يزرع حنطة فزرع شعيراً فرآه وقت الحصاد وسأله، فقال العبد: زرعت شعيراً على ظن أن ينبت حنطة، فقال مولاه: يا أحمق، هل رأيت أحداً زرع شعيراً، فحصد حنطة؟ فقال العبد: فكيف تعصي أنت وترجو رحمته وتغتر بالأماني، ولا تعمل العمل الصالح؟:

ازرباط تن جوبكذشتى دكر معموره نيست   زاد راهى بر نميدارى ازين منزل جرا

وكما أن في البيدر مكيالاً وموازين وأمناء وحفاظاً وشهوداً كذلك في الآخرة مثل ذلك، وكما أن للبيدر تذرية وتمييزاً بين النفاوة والحطام كذلك في الآخرة تمييز بين الحسنى والآثام فمن عمل لآخرته بورك له في كيله ووزنه، وجعل له منه زاد الأبد، ومن عمل لدنياه خاب سعيه وبطل عمله، فأعمال الدنيا كشجرة الخلاف بل كالدفلى والحنظل في الربيع يرى غض الأوراق حتى إذا جاء حين الحصاد لم ينل طائلاً، وإذا حضر مجتناه في البيدر لم يفد نائلاً، ومثل أعمال الآخرة كشجرة الكرم والنخل المستقبح المنظر في الشتاء، فإذا حان وقت القطاف والاجتناء أفادتك زاداً، وادخرت عدة وعتاداً، ولما كانت زهرات الدنيا رائقة الظاهر خبيثة الباطن نهى الله تعالى عن الاغترار بها، فقال: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾ [طه: ١٣١]، فالقذر قذر وإن كان في ظرف من الذهب، فالعاقل لا يتناوله.

وفي «التأويلات النجمية»: من كان يريد حرث الآخرة بجهده وسعيه نزد له في حرثه بهدايتنا وتوفيق مزيد طاعتنا وصفاء الأحوال في المعارف بعنايتنا اليوم ونزيده في الآخرة قربة ومكانة ورفعة في الدرجات وشفاعة الأصدقاء والقرابات، ومن كان يريد حرث الدنيا مكتفياً به نؤته منها؛ أي: من آفات حب الدنيا من عمى القلب وبكمه وصممه وسفهه والحجب التي تتولد منها الأخلاق الذميمة النفسانية، والأوصاف الرديئة الشيطانية والصفات السبعية والبهيمية الحيوانية وما له في الآخرة من نصيب؛ أي: في الأوصاف الروحانية والأخلاق الربانية.

وفي «عرائس البيان» حرث الآخرة مشاهدته ووصاله وقربه وهذا للعارفين وحرث الدنيا الكرامات الظاهرة، ومن شغلته الكرامات احتجب بها عن الحق، وما يريد من حرث الدنيا، فهو معرفة الله ومحبته وخدمته، وإلا فلا يزن الكون عند أهل المعرفة ذرة.

قال بعضهم: في هذه الآية من عمل لله محبة له لا طلباً للجزاء صغر عنده كل شيء دون الله، ولا يطلب حرث الدنيا ولا حرث الآخرة بل يطلب الله عن الدنيا والآخرة.

وقال سهل: حرث الدنيا القناعة وحرث الآخرة الرضا. وقال أيضاً: حرث الآخرة القناعة في الدنيا والمغفرة في الآخرة والرضا من الله في كل الأحوال. وحرث الدنيا قضاء الوطر منها، والجمع منها والافتخار بها، ومن كان بهذه الصفة، فما له في الآخرة من نصيب. قال الشيخ العطار قدس سره:

همجو طفلان منكراندر سرخ وزرد جون زنان مغرور رنك وبو مكرد

فالدنيا امرأة عجوز ومن افتخر بزينتها وزخارفها، فهو في حكم المرأة، فعلى العاقل تحصيل الجاه الأخروي بالأعمال الصالحة الباقية، فإن الدنيا وما فيها بأسرها زائلة فانية كما قال لبيد:

ألا كل شيء ما خلا الله باطل وكل نعيم لا محالة زائل

والمراد: نعيم الدنيا.

﴿أم لهم شركاء﴾: أم منقطعة مقدرة ببل، والهمزة قيل: للاضطراب عن قوله: ﴿شرع لكم من الدين﴾ والهمزة للتقرير والتحقيق وشركاؤهم شياطينهم من الإنس والجن، والضمير للمشركين من قريش، والإضافة على حقيقتها. والمعنى: بل لهم شركاء من الشياطين؛ أي: نظراء يشاركونهم في الكفر والعصيان ويعاونونهم عليه بالتزيين والإغراء. ﴿شرعوا لهم﴾ بالتسويل. وبالفارسية: [نهاده اندبر اى ايشان يعنى بيار استه اند دردل ايشان].

﴿من الدين﴾ الفاسد. ﴿ما لم يأذن به الله﴾ كالشرك وإنكار البعث، والعمل للدنيا وسائر مخالفات الشريعة، وموافقات الطبيعة؛ لأنهم لا يعلمون غيرها، وتعالى الله عن الإذن في مثل هذا، والأمر به والدين للمشاكلة؛ لأنه ذكر في مقابلة دين الله، أو للتهكم. وقيل: شركاؤهم أوثانهم، فالهمزة للإنكار، فإن الجماد الذي لا يعقل شيئاً كيف يصح أن يشرع ديناً، والحال أن الله تعالى لم يشرع لهم ذلك الدين الباطل، وإضافتها إليهم؛ لأنهم الذين جعلوها شركاء لله، وإسناد الشرع إليها مع كونها بمعزل عن الفاعلية إسناد مجازي من قبيل إسناد الفعل إلى السبب لأنها سبب ضلالتهم وافتنانهم كقوله تعالى: ﴿إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٦].

﴿ولولا كلمة الفصل﴾؛ أي: القضاء السابق بتأخير العذاب، أو العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة، والفصل القضاء بين الحق والباطل، كما في «القاموس»، ويوم الفصل اليوم الذي فيه يبين الحق من الباطل، ويفصل بين الناس بالحكم كما في «المفردات».

﴿لقضي بينهم﴾: [حكم كرده شده بودى ميان كافران ومؤمنان ياميان مشركان وشركاء وهريك جزا بسزا يافته بودندى اما وعده فصل ميان ايشان درقيا متست].

﴿وإن الظالمين لهم عذاب أليم﴾ في الآخرة؛ أي: نوع من العذاب متفاقم ألمه. وبالفارسية: [عذابى دروناك دائم وبى انقطاع بود]. وأقام المظهر مقام المضمر تسجيلاً عليهم بالظلم ودلالة على أن العذاب الأليم الذي لا يكتنه كنهه، إنما يلحقهم بسبب ظلمهم، وانهماكهم فيه.

وفي الآية إشارات منها:

أن كفار النفوس شرعوا عند استيلائهم على الدين بالهوى للأرواح والقلوب ما لم يرض به الله من مخالفات الشريعة وموافقات الطبيعة كأهل الحرب شرعوا لأسارى المسلمين عند استيلائهم عليهم ما ليس في دينهم من أكل لحم الخنزير وشرب الخمر وعقد الزنار ونحوها،

فلا بد من التوجه إلى الله ليندفع الشر وينعكس الأمر.

روي: أن سالم بن عوف رضي الله عنه أسره العدو، فشكاه أبوه إلى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فقال عليه السلام: اتق الله وأكثر قول لا حول ولا قوة إلا بالله، ففعل فجاء ابنه ومعه مائة من الإبل. قال الحافظ:

سروش عالم غيبم بشارتى خوش داد   كه كس هميشه بكيتى دزم نخواهد ماند

ومنها: أن الله تعالى لم يقض بين الخلق بالتكاليف والمجاهدات قبل البلوغ لضعف البشرية وثقل حمل الشريعة وأخر بحكمته تكاليف الشرع تربية للقالب ليحصل القوة لقمع الطبع. قال الصائب:

تاجه آيدروشن است ازدست اين يك قطعه خاك

جرخ نتوانست كردن زه كمان عشق را

ومنها: أن من ظلم نفسه بمتابعة الهوى، فله عذاب أليم بعد البلوغ من الفطام عن المألوفات الطبيعية بالأحكام الشرعية، وهذا العذاب للنفس والطبيعة رحمة عظيمة للقلب والروح. ولذا من قال: هذه الطاعات جعلها الله عذاباً علينا من غير تأويل كفر؛ فإن أول مراده بالتعب لا يكفر، ولو قال: لو لم يفرض الله لكان خيراً لنا بلا تأويل كفر؛ لأن الخير فيما اختاره الله إلا أن يؤول ويريد بالخير الأهون والأسهل. وفي القصيدة البردية:

وراعها وهي في الأعمال سائمة   وإن هي استحلت المرعى فلا تسم

أي: راع النفس في اشتغالها بالأعمال عما هو مفسد ومنقص للكمال من الرياء والعجب والغفلة والضلال، وإن عدت النفس بعض التطوعات حلواً واعتادت به، وألفت، فاجتهد في أن تقطع نفسك عنها، واشتغل بما هو أشق عليها؛ لأن اعتبار العبادة، إنما هو بامتيازها عن العادة، وإنما ترتفع الكلفة مطلقاً عن العارفين:

كم حسنت لذة للمرء قاتلة   من حيث لم يدر أن السم في الدسم

يعني: كثيراً من المرات زينت النفس لذة للمرء من اللذات قاتلة للمرء كالدسم والمرء لا يدري أن السم في الدسم، لا سيما إذا كان المرء من أهل المحبة والوداد، فهلاكه في لذة الطعم، وطيب الرقاد، ومن الله التوفيق لإصلاح النفس وتزكيتها.

﴿تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا۟ وَهُوَ وَاقِعٌۢ بِهِمْ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ فِى رَوْضَاتِ ٱلْجَنَّاتِ ۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿ترى الظالمين﴾؛ أي: المشركين يوم القيامة يأمن بصلح للرؤية. **﴿مشفقين﴾** خائفين **﴿مما كسبوا﴾**؛ أي: إشفاقاً ناشئاً من السيئات التي عملوها في الدنيا، ومن أجلها، فكلمة من للتعليل وليست صلة مشفقين حتى يحتاج إلى تقدير المضاف هنا مع أنه أيضاً معنى صحيح؛ لأن الأول أبلغ وأدخل في الوعيد. **﴿وهو واقع بهم﴾**؛ أي: وباله وجزاؤه لاحق بهم لا محالة أشفقوا، أو لم يشفقوا. والجملة حال من ضمير مشفقين، أو اعتراض.

قال سعدي المفتي، يعني: ينعكس الحال في الآخرة فالآمنون في الدنيا يشفقون في الآخرة، والمشفقون في الدنيا يأمنون في الآخرة. وفي المثنوي:

لا تخافوا هست نزل خائفان   هست درخوراز براى خائف آن

هركه ترسد مرورا ايمن كنند ‌ ‌ ‌ ‌ هردل ترسنده راسا كن كنند
آنكه خوفش نيست جون كويى مبرس ‌ ‌ ‌ ‌ درس جه دهى نيست او محتاج درس

وفيه إشارة إلى أن عذاب أهل الهوى والشهوات واقع بهم، إما في الدنيا بكثرة الرياضات، وأنواع المجاهدات لتزكية النفس من أوصافها وتحليتها بأضدادها. وإما في الآخرة بورودها النار لتنقيتها، وعذاب الدنيا أهون فلا بد من الاجتهاد قبل فوات الوقت. ﴿**والذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾؛ أي: استعملوا تكاليف الشرع لقمع الطبع وكسر الهوى وتزكية النفس وتصفية القلب وتحلية الروح. ﴿**في روضات الجنات**﴾: مستقرون في أطيب بقاعها وأنزهها، فإن روضة الأرض تكون كذلك.

وبالفارسية: [اندر مر غزار هاى بهشت اند يعنى خوشترين بقعها ونزهت فزاى ترين آن]. قال في «حواشي الكشاف»: الروضة: اسم لكل موضع فيه ماء وعشب.

وفي «كشف الأسرار»: هي الأماكن المتسعة المونقة ذات الرياحين والزهر. انتهى.

وفي الحديث: «ثلاث يجلون البصر: النظر إلى الخضرة، وإلى الماء الجاري وإلى الوجه الحسن».

قال ابن عباس رضي الله عنهما: والإثمد عند النوم.

وقال الراغب: قوله في روضات الجنات إشارة إلى ما أعد لهم في العقبى من حيث الظاهر. وقيل: إشارة إلى ما أهلهم له من العلوم والأخلاق التي من تخصص بها طاب قلبه. ﴿**لهم ما يشاؤون عند ربهم**﴾؛ أي: ما يشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم على أن عند ربهم ظرف للاستقرار العامل في لهم. وقيل: ظرف ليشاؤون على أن يكون عبارة عن كونهم عند الله والآية من الاحتباك أنبت الإشفاق أولاً دليلاً على حذف الأمن ثانياً، والجنات ثانياً دليلاً على حذف النيران أولاً. ﴿**ذلك**﴾ المذكور من أجر المؤمنين. ﴿**هو الفضل الكبير**﴾ الذي يصغر دونه ما لغيرهم من الدنيا، أو تحقر عنده الدنيا بحذافيرها من أولها إلى آخرها. وهذا في حق الأمة. وأما النبي عليه السلام، فمخصوص بالفضل العظيم، كما قال تعالى، ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴿١١٣﴾﴾ [النساء: ١١٣].

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۗ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ ۗ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾﴾

﴿**ذلك**﴾؛ أي: الفضل الكبير، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿**الذي**﴾؛ أي: الثواب الذي ﴿**يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾؛ أي: يبشرهم به على لسان النبي عليه السلام، فحذف الجار، ثم العائد إلى الموصول؛ لأنهم لا يجوزون حذف المفعول الجار والمجرور إلا على التدريج بخلاف مثل السمن منوان بدرهم؛ أي: منه.

قال الكاشفي: [وتقديم خبراين كرامتها جهت ازدياد سرور مؤمنانست وآنكه دانندكه عمل ايشان ضائع نيست بس در مراسم عبوديت اجتهاد نمايند وبر وظائف عبادت بيفزايند]:

كار نيكوكن اكر مردنكو ميطلبى ‌ ‌ ‌ ‌ كز جراهر كه نكوتر بنكو كار دهند
كارا كرنيست ترادر طمع اجر مباش ‌ ‌ ‌ ‌ مزد مزدور باندازه كردار دهند

يقول الفقير: وجه تخصيص الروضة وتعميم المشيئة أن أكثر بلاد العرب خالية عن

الأنهار الجارية والروضات، وأنهم لا يجدون كل المشتهيات فيشوقهم بذلك، ليكونوا على أهبة وتدارك ولا يقيسوا الآخرة على الدنيا، فإن الدنيا محل البلاء والآفات، والآخرة دار النعيم والضيافات وتدارك كل ما فات، فمن أحب مولاه اجتهد في طريق رضاه.

قال شقيق البلخي قدس سره: رأيت في طريق مكة مقعداً يزحف على الأرض، فقلت له: من أين أقبلت؟ قال: من سمرقند، قلت: كم لك في الطريق، فذكر أعواماً تزيد على العشرة، فرفعت طرفي أنظر إليه متعجباً، فقال لي: يا شقيق ما لك تنظر إلي، فقلت: متعجباً من ضعف مهجتك وبعد سفرتك، فقال لي: يا شقيق، أما بعد سفرتي، فالشوق يقربها، وأما ضعف مهجتي، فمولاها يحملها يا شقيق أتعجب من عبد ضعيف، يحمله المولى اللطيف، فمن وصل إليه بشارة الله بفضله وجوده هان عليه بذل وجوده. ﴿**قل لا أسألكم عليه**﴾.

روي: أنه اجتمع المشركون في مجمع لهم، فقال بعضهم: أترون محمداً يسأل على ما يتعاطاه أجراً؟ يعني: هيج دريافته آيدكه محمد عملى كه مباشر آنست از ابلاغ مزدى ميخوا هديانى، فنزلت.

والمعنى: لا أطلب منكم على ما أنا عليه من التبليغ، والبشارة، كما لم يطلب الأنبياء من قبلي. ﴿**أجراً**﴾؛ أي: نفعاً.

قال سعدي المفتي: فسر الأجر بالنفع ليظهر جعل استثناء المودة منه متصلاً مع أن ادعاء كونها من أفراد الأجر يكفي في ذلك، كما في قوله:

وبلدة ليس بها أنيس إلا اليعافير وإلا العيس

وفي «التأويلات النجمية»: قل يا محمد لا أسألكم على التبشير أجراً؛ لأن الله ليس يطلب منكم على الفضل عوضاً، فأنا أيضاً لا أسألكم على التبشير أجراً، فإن المؤمن أخذ من الله خلقاً حسناً، فكما أن الله تعالى بفضله يوفق العبد للإيمان ويعطي الثواب لمن آمن به، وليس يرضى بأن يعطيك فضله مجاناً، بل يعطيك عليه أجراً كذلك ليس يرضى لرسوله صلى الله تعالى عليه وسلم، بأن يطلب منك أجراً على التبليغ والتبشير، بل يشفع لك أيضاً. ﴿**إلا المودة في القربى**﴾ المودة، مودة الرسول عليه السلام، والقربى مصدر كالزلفى، بمعنى القرابة التي هي بمعنى الرحم. وفي للسببية وبمعنى اللام متعلقة بالمودة، ومودته كناية عن ترك أذيته والجري على موجب قرابته سمى عليه السلام المودة أجراً، واستثناها منه تشبيهاً لها به، والاستثناء من قبيل قول من قال:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

وذلك لأنه لا يجوز من النبي عليه السلام أن يطلب الأجر أياً كان على تبليغ الرسالة؛ لأن الأنبياء لم يطلبوه، وهو أولى بذلك؛ لأنه أفضل؛ ولأنه صرح بنفيه في قوله: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾ [الفرقان: ٥٧]؛ ولأن التبليغ واجب عليه لقوله تعالى: ﴿بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ﴾ [المائدة: ٦٧] وطلب الأجر على أداء الواجب لا يليق؛ ولأن متاع الدنيا أخس الأشياء، فكيف يطلب في مقابلة تبليغ الوحي الإلهي الذي هو أعز الأشياء؛ لأن العلم جوهر ثمين، والدنيا خزف مهين؛ ولأن طلب الأجر يوهم التهمة، وذلك ينافي القطع بصحة النبوة، فمعنى الآية: لا أسألكم على التبليغ أجراً أصلاً إلا أن تودوني لأجل قرابتي منكم، وبسببها وتكفوا عني الأذى، ولا تعادوني إن كان ذلك أجراً يختص بي لكنه ليس بأجر؛ لأنه لم يكن بطن من

بطونكم يا قريش إلا وبيني وبينها قرابة، فإذا كانت قرابتي قرابتكم فصلتي، ودفع الأذى عني لازم لكم في الشرع والعادة والمروءة سواء كان مني التبليغ أو لا. وقد كنتم تتفاخرون بصلة الرحم، ودفع الأذى عن الأقارب، فما لكم تؤذونني. والحال ما ذكر، ويجوز أن يراد بالقربى أهل قرابته عليه السلام على إضمار المضاف وبالمودة مودة أقربائه، وترك أذيتهم، فكلمة في على هذا للظرفية، والظرف حال من المودة.

والمعنى: إلا أن تودوا أهل قرابتي مودة ثابتة متمكنة فيهم. روي: أنها لما نزلت. قيل: يا رسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم. قال علي وفاطمة وابناي؛ أي: الحسن والحسين رضي الله عنهم، ويدل عليه ما روي عن علي رضي الله عنه، أنه قال: شكوت إلى رسول الله عليه السلام حسد الناس لي، فقال: أما ترضى أن تكون رابع أربعة؛ أي: في الخلافة أول من يدخل الجنة أنا، وأنت والحسن والحسين وأزواجنا عن أيماننا وشمائلنا وذرياتنا خلف أزواجنا».

قال سعدي المفتي: فيه أن السورة مكية من غير استثناء منها، ولم يكن لفاطمة حينئذٍ أولاد. وعنه عليه السلام: «حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتي وآذاني في عترتي، ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه، فأنا أجازيه عليها غداً، إذا لقيني يوم القيامة».

وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: من مات على حب آل محمد مات شهيداً ألا ومن مات على حب آل محمد مات مغفوراً له ألا ومن مات على حب آل محمد مات تائباً ألا ومن مات على حب آل محمد مات مؤمناً مستكمل الإيمان ألا ومن مات على حب آل محمد بشره ملك الموت بالجنة، ثم منكر ونكير ألا ومن مات على حب آل محمد يزف إلى الجنة كما تزف العروس إلى بيت زوجها. ألا ومن مات على حب آل محمد فتح له في قبره بابان إلى الجنة، ألا ومن مات على حب آل محمد جعل الله قبره مزار ملائكة الرحمة، ألا ومن مات على حب آل محمد مات على السنة والجماعة، ألا ومن مات على بغض آل محمد جاء يوم القيامة مكتوب بين عينيه آيس من رحمة الله، ألا ومن مات على بغض آل محمد مات كافراً، ألا ومن مات على بغض آل محمد لم يشم رائحة الجنة».

وآل محمد هم الذين يؤول أمرهم إليه عليه السلام، فكل من كان مآل أمرهم إليه أكمل وأشد كانوا هم الآل، ولا شك أن فاطمة وعلياً والحسن والحسين كان التعلق بينهم وبين رسول الله أشد التعلقات بالنقل المتواتر، فوجب أن يكونوا هم الآل.

[در تفسير ثعلبى آورده كه خويشان حضرت رسول الله بنو هاشم اند وبنو المطلب كه خمس برايشان قسمت بايد كرد].

وفي «الكواشي»: قرابته عليه السلام فاطمة وعلي وابناهما، أو آل علي وآل عقيل وآل جعفر وآل العباس، أو من حرمت عليهم الصدقة، وهم بنو هاشم وبنو المطلب. وقيل: آل الرسول أمته الذين قبلوا دعوته.

قال ابن عطاء: لا أسألكم على دعوتكم أجراً إلا أن تتوددوا إليّ بتوحيد الله وتتقربوا إليه بدوام طاعته وملازمة أوامره. وقال الحسين: كل من تقرب إلى الله بطاعته وجبت عليكم محبته، فإن المحب يحب المحب لكونهما محبين لمحبوب واحد، وكذا المطيع مع المطيع

لشركتهما في الإطاعة والانقياد.

حكي عن الشيخ ابن العربي قدس سره أنه قال: قد بلغني عن رجل أنه يبغض الشيخ أبا مدين، فكرهت ذلك الشخص لبغضه الشيخ أبا مدين، فرأيت رسول الله في المنام، فقال لي: لم تكره فلاناً، فقلت لبغضه في أبي مدين، فقال: أليس يحب الله ورسوله، فقلت له: بلى يا رسول الله، فقال لي: «فلم تبغضه لبغضه أبا مدين وما تحبه لحبه الله ورسوله»، فقلت له: يا رسول الله إلى الآن: إني والله زللت وغفلت، فأما الآن، فأنا تائب، وهو من أحب الناس إليّ، فلقد نبهت ونصحت صلى الله عليك وسلم، فلما استيقظت جئت إلى منزله، فأخبرته بما جرى، فبكى واعتد الرؤيا تنبيهاً من الله، فزال بغضه أبا مدين وأحبه. ﴿ومن يقترف حسنة﴾؛ أي: يكتسب؛ أي: حسنة كانت سيما حب آل رسول الله.

قال الراغب: أصل القرف والاقتراف: قشر اللحاء عن الشجرة والجليدة عن الجذع، وما يؤخذ منه قرف واستعير الاقتراف للاكتساب حسنياً كان أو سوئياً، وفي الإساءة أكثر استعمالاً. ولهذا يقال: الاعتراف يزيل الاقتراف. ﴿نزد له فيها﴾؛ أي: في الحسنة يعني: [براى آن حسنة]، كما قال الكاشفي: ﴿حسناً﴾ بمضاعفة. والتوفيق لمثلها والإخلاص فيها وبزيادة لا يصل العبد إليها بوسعه مما لا يدخل تحت طوق البشر. ﴿إن الله غفور﴾ لمن أذنب ﴿شكور﴾ لمن أطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة، فالشكر من الله مجاز عن هذا المعنى؛ لأن معناه الحقيقي، وهو فعل ينبىء عن تعظيم المنعم لكونه منعماً لا يتصور من الله لامتناع أن ينعم عليه أحد حتى يقابل بالشكر شبهت الإثابة والتفضل بالشكر من حيث إن كل واحد منهما يتضمن الاعتداد بفعل الغير، وإكراماً لأجله.

وفي «بحر العلوم»: أو معتد بالحسنة القليلة حتى يضاعفها، فإن القليل عند الله كثير. وفي الحديث: «إن عيسى ابن مريم، قال: أخبرني يا رب عن هذه الأمة المرحومة، فأوحى الله إليه أنها أمة محمد حكماء علماء؛ كأنهم من الحكمة والعلم أنبياء يرضون باليسير من العطاء، وأرضى منهم باليسير من العمل أدخل أحدهم الجنة، بأن يقول: لا إله إلا الله».

قال الإمام الغزالي رحمه الله: العبد يتصور أن يكون شاكراً في حق عبد آخر مرة بالثناء عليه بإحسانه إليه وأخرى بمجازاته أكثر مما صنعه إليه، وذلك من الخصال الحميدة. قال رسول الله عليه السلام: «ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله» وأما شكره لله تعالى، فلا يكون إلا بنوع من المجاز والتوسع؛ فإنه إن أثنى فثناؤه قاصر؛ لأنه لا يحصي ثناء عليه، فإن أطاع، فطاعته نعمة أخرى من الله عليه، بل عين شكره نعمة أخرى وراء النعمة المشكورة، وإنما أحسن وجوه الشكر لنعم الله أن لا يستعملها في معاصيه، بل في طاعته. وذلك أيضاً بتوفيق الله وتيسيره:

عطايست هرموى ازو برتنم جه كونه بهرموى شكرى كنم
تراآنكه جشم ودهان دادو كوش اكر عاقلى در خلافش مكوش

﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۖ فَإِن يَشَإِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ ۗ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ ۚ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ (٢٤)﴾.

﴿أم يقولون﴾: أم منقطعة؛ أي: بل أيقولون: يعني كفار مكة على أنه إضراب على

قوله: ﴿أم لهم شركاء﴾ إلخ. ﴿افترى﴾ محمد ﴿على الله كذباً﴾ بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على أن الهمزة للإنكار التوبيخي؛ كأنه قيل: أيتمالكون أن ينسبوا مثله عليه السلام، وهو هو إلى الافتراء لا سيما الافتراء على الله الذي هو أعظم الفرى وأفحشها. والفرق بين الافتراء والكذب؛ أن الافتراء هو افتعال الكذب من قول نفسه، والكذب قد يكون على وجه التقليد للغير فيه. ﴿فإن يشأ الله يختم على قلبك﴾ استشهاد على بطلان ما قالوا: ببيان أنه عليه السلام، لو افترى على الله لمنعه من ذلك قطعاً وتحقيقه، أن دعوى كون القرآن افتراء على الله قول منهم؛ بأنه تعالى لا يشأ صدوره عن النبي، بل يشأ عدم صدوره عنه، ومن ضرورته منعه عنه قطعاً، فكأنه قيل: لو كان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنه، وإن يشأ ذلك يختم على قلبك، بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه، ولم تنطق بحرف من حروفه، وحيث لم يكن الأمر كذلك، بل تواتر الوحي حيناً فحيناً تبين أنه من عند الله.

كما قال في «التأويلات النجمية»: يعني: أنك إن افتريته ختم الله على قلبك، ولكنك لم تكذب على ربك، فلم يختم على قلبك. يعني: [مهرنهد بردل تو وپيغام خويش ازان ببرد].

وفيه إشارة إلى أن الملائكة والرسل والورثة محفوظون عن المغالطة في بيان الشريعة والافتراء على الله في شيء من الأشياء. [در حقائق سلمى از سهل بن عبد الله التستري قدس سره نقل مكيندكه مهر شوق ازلي ومحبته لم يزلى بردلى تونهدتا التفات بغير نكنى وازاجابت واباي خلق فارغ كردى]. ﴿ويمح الله الباطل ويحق الحق بكلماته﴾: استئناف مقرر لنفي الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبىء عنه إظهار الاسم الجليل، وصيغة المضارع للاستمرار، وكتبت يمح في المصحف بحاء مرسلة، كما كتبوا ويدع الإنسان، ويدع الداع وسندع الزبانية، مما ذهبوا فيه إلى الحذف، والاختصار نظراً إلى اللفظ وحملاً للوقف على الوصل، يعني: أن سقوط الواو لفظاً لالتقاء الساكنين حال الوصل وخطاً أيضاً حملاً للخط على اللفظ؛ أي: على أنه خلاف القياس، وليس سقوطها منه، لكونه مجزوماً بالعطف على ما قبله لاستحالة المعنى؛ لأنه تعالى يمحو الباطل مطلقاً لا معلقاً بالشرط.

والمعنى: ومن عادته تعالى أن يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه، أو بقضائه، فلو كأنه افتراء، كما زعموا لمحقه ودفعه. ويجوز أن يكونه عدة لرسول الله عليه السلام؛ بأنه تعالى يمحو الباطل الذي هم عليه عن البهت والتكذيب، ويثبت الحق الذي هو عليه بالقرآن، أو بقضائه الذي لا مرد له بنصرته عليم فالصيغة على هذا للاستقبال. ﴿إنه عليم بذات الصدور﴾ بما تضمره القلوب، فيجري عليها أحكامها اللائقة بها من المحو والإثبات. قال الكاشفي:

راستى تو ومظنه افتراى ايشان بتوبر ومخفى نيست

ولم يقل: ذوات الصدور لإرادة الجنس وذات ها هنا تأنيث ذي بمعنى صاحب، فحذف الموصوف، وأقيمت صفته مقامه؛ أي: عليم بالمضمرات صاحبة الصدور، وهي الخواطر القائمة بالقلب من الدواعي والصوارف الموجودة فيه، وجعلت صاحبة للصدور بملازمتها وحلولها فيها، كما يقال: للبن ذو الإناء، ولولد المرأة هو جنين ذو بطنها.

وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى يتصرف في عباده بما يشاء من إبعاد قريب وإدناء بعيد.

روي: أن رجلاً مات فأوحى الله تعالى إلى موسى عليه السلام مات ولي من أوليائي، فاغسله، فجاء موسى عليه السلام، فوجده قد طرحه الناس في المزابل لفسقه، فقال موسى

عليه السلام: يا رب أنت تسمع مقالة الناس، فقال الله: يا موسى إنه تشفع عند موته بثلاثة أشياء لو سأل مني جميع المذنبين لغفرت لهم **الأول** أنه قال: يا رب أنت تعلم أني وإن كنت أرتكب المعاصي بتسويل الشيطان وقرين السوء، ولكني كنت أكرهها بقلبي.

والثاني: أني وإن كنت من الفسقة بارتكاب المعاصي، ولكن الجلوس مع الصالحين أحب إلي.

والثالث: لو استقبلني صالح وفاجر كنت أقدم حاجة الصالح، فبهذه الثلاثة أدناه الله منه، وجعله من المقربين عنده بعدما أبعده هو والناس، فعلى العاقل إصلاح الصدر والسريرة. وفي الخبر: «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأموالكم، بل إلى قلوبكم وأعمالكم»، يعني: إن كانت لكم قلوب وأعمال صالحة تكونوا مقبولين مطلقاً، وإلا فلا، وربما يهتدي إلى الطريق المستقيم من مضى عمره في الضلال، وذلك لأن شقاوته كانت شقاوة عارضة والعبرة للحكم الأزلي والسعادة الأصلية، فإذا كان كذلك، فيمحو الله الباطل، وهو الكفر ويثبت الحق، وهو الإسلام، وربما يختم على قلب من مضى وقته على الطاعة، فيصير عاقبة إلى المعصية، بل إلى الكفر كبلعام وبرصيصا ونحوهما، مما كانت شقاوته أصلية وسعادته عارضة. قال الحافظ:

جون حسن عاقبت نه برندى وزاهديست آن به كه كار خود بعنايت رها كنند

والله المعين.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَقۡبَلُ ٱلتَّوۡبَةَ عَنۡ عِبَادِهِۦ وَيَعۡفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعۡلَمُ مَا تَفۡعَلُونَ ﴿٢٥﴾﴾

﴿وهو الذي يقبل التوبة عن عباده﴾ بالتجاوز عما تابوا عنه؛ لأنه إن لم يقبل كان إغراء بالمعاصي عدي القبول بعن لتضمنه معنى التجاوز.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: هي عامة للمؤمن والكافر والولي والعدو، ومن تاب منهم قبل الله توبته. والتوبة هي الرجوع عن المعاصي بالندم عليها والعزم أن لا يعاودها أبداً.

وقال السري البوشنجي: هو أن لا تجد حلاوة الذنب في القلب عند ذكره.

وروى جابر رضي الله عنه: أن أعرابياً دخل مسجد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وقال: اللهم إني أستغفرك وأتوب إليك وكبر، فلما فرغ من صلاته. قال له عليّ رضي الله عنه: يا هذا، إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج إلى التوبة، فقال: يا أمير المؤمنين، وما التوبة؟ قال: التوبة اسم يقع على ستة معانٍ: على الماضي من الذنوب بالندامة، وتضييع الفرائض بالإعادة، ورد المظالم، وإذابة النفس في الطاعة كما ربيتها في المعصية، وإذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية، والبكاء بدل كل ضحك ضحكته.

وفي الأثر: لله تعالى أفرح بتوبة العبد من المضل الواجد، ومن العقيم الوالد، ومن الظمآن الوارد فمن تاب إلى الله توبة نصوحاً أنسى الله حافظيه وبقاع الأرض خطاياه».

روى عبد العزيز بن إسماعيل، قال: يقول الله تعالى: ويح ابن آدم يذنب الذنب، ثم يستغفر، فأغفر له، لا هو يترك ذنوبه، ولا هو ييأس من رحمتي أشهدكم أني قد غفرت له».

وفي «التأويلات النجمية»: إذا أراد الله تعالى أن يتوب على عبد من عباده ليرجع من أسفل سافلين البعد إلى أعلى عليين. القرب يخلصه من رق عبودية ما سواه بتصرف جذبات

العناية، ثم يوفقه للرجوع بالتقرب إليه، كما قال: «من تقرب إليّ شبراً تقربت إليه ذراعاً»؛ أي: من تقرب إليّ شبراً بالتوبة تقربت إليه ذراعاً بالقبول، ولو لم يكن القبول سابقاً على التوبة لما تاب، كما قال بعضهم لبعض المشايخ: إن أتب إلى الله، هل يقبل: قال: إن يقبل الله تتوب.

وفي الخبر: «أن بعض مواضع الجنة تبقى خالية، فيخلق الله تعالى خلقاً جديداً فيملؤها بهم». [اكر روا باشد ازروى كرم كه خلقى آفريند عبادت نابرده ورنج نا برده درجات جنت بايشان دهدا وبرسرو سزا واربركه بندكان ديرينه را ودرويشان دلخسته رازدر بيرون نكند وازثواب وعطاى خود محروم نكرداند].

فكيف بالتائبين منهم والمستغفرين. ﴿ويعفو عن السيئات﴾ صغيرها وكبيرها غير المشرك لمن يشاء بمحض رحمته وشفاعة شافع، وإن لم يتوبوا، وهو مذهب أهل السنة.

وفي «التأويلات النجمية»: ويعفو عن كثير من الذنوب التي لا يطلع العبد عليها ليتوب عنها، وأيضاً، ويعفو عن كثير من الذنوب قبل التوبة، ليصير العبد به قابلاً للتوبة وإلا لما تاب. ﴿ويعلم ما تفعلون﴾ كائناً ما كان من خير وشر، فيجازي التائب ويتجاوز عن غير التائب حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح.

وفي «التأويلات النجمية»: ويعلم ما تفعلون من السيئات والحسنات مما لا تعلمون أنها من السيئات والحسنات، فبتلك الحسنات يعفو عن السيئات.

وعن «عرائس البقلي»: يقبل توبتهم حين خرجوا من النفس والكون وصاروا أهلاً له مقدسين بقدسه ويعفو عن سيئاتهم ما يخطر بقلوبهم من غير ذكره، ويعلم ما تفعلون من التضرع بين يديه في الخلوات.

وفي صحف إبراهيم عليه السلام: على العاقل أن يكون له ساعات: ساعة يناجي فيها ربه، ويفكر في صنع الله، وساعة يحاسب نفسه فيما قدم وأخّر، وساعة يخلو فيها بحاجته من الحلال في المطعم والمشرب وغيرهما.

وروي: أن رجلاً قال للدينوري رحمه الله: ما أصنع؟ فكلما وقفت على باب المولى صرفني البلوى، فقال: كن كالصبي مع أمه، فكلما ضربته يجزع بين يديها، ويتضرع، فلا يزال كذلك حتى تضمه إليها.

وفي الخبر: «إن بعض المذنبين يرفع يده إلى جناب الحق، فلا ينظر إليه؛ أي: بعين الرحمة، ثم يدعو ثانياً، فيعرض عنه، ثم يدعو ويتضرع ثالثاً، فيقول: يا ملائكتي قد استحييت من عبدي، وليس له رب غيري، فقد غفرت له واستحيت؛ أي: حصلت مرامه، فإني أستحيي من تضرع العباد»:

كرم بين ولطف خداوندكار كنه بنده كردست واو شرمسار

ومعنى استحيائه تعالى: تركه تخييب العبد في رجائه.

﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ ۚ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾: الفاعل ضمير اسم الله والموصول مفعول به على إضمار المضاف؛ أي: ويستجيب الله دعاء الذين آمنوا وعملوا الصالحات؛ أي:

المؤمنين الصالحين إذا دعوه ويثيبهم على طاعاتهم، يعني: يعطيهم الثواب في الآخرة والإثابة معنى مجازي للإجابة؛ لأن الطاعة لما شبهت بدعاء ما يترتب عليها من الثواب كانت الإثابة عليها بمنزلة إجابة الدعاء، فعبر بها عنها. ومنه قوله عليه السلام: «أفضل الدعاء الحمد لله»، يعني: أطلق الدعاء على الحمد لله لشبهه به في طلب ما يترتب عليه، ويجوز أن يكون التقدير، ويستجيب الله لهم، فحذف اللام، كما في قوله: ﴿وَإِذَا كَالُوهُمْ﴾ [المطففين: ٣]؛ أي: كالوا لهم.

قال سعدي المفتي: الأظهر حمل الكلام على إضمار المضاف. فإنه كالمنقاس بخلاف حذف الجار. ﴿**ويزيدهم من فضله**﴾ على ما سألوا منه تفضلاً وكرماً، ويجوز أن يكون الموصول فاعل الاستجابة. والاستجابة، فعلهم لا فعل الله تعالى واستجاب بمعنى أجاب، أو على أن يكون السين للطلب على أصلها، فعلى هذا الوجه يكون ﴿**ويزيدهم من فضله**﴾ معطوفاً على مقدر.

والمعنى: ويستجيبون لله بالطاعة ويزيدهم على ما استحقوه من الثواب تفضلاً، ويؤيد هذا الوجه ما روي عن إبراهيم بن أدهم قدس سره: أنه قيل: ما لنا ندعو فلا نجاب. قال: لأنه دعاكم، فلم تجيبوه، ثم قرأ: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥]، فأشار بقراءته ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ إلى أن الله تعالى دعا عباده وبقراءته ﴿وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ إلى أنه لم يجب إلى دعائه إلا البعض.

قال في «بحر العلوم»: هذا الجواب مع سؤاله ليس بمرضي عند أهل التحقيق من علماء الأخبار، بل الحق الصريح أن الله يجيب دعاء كل عبد مؤمن بدليل قول النبي عليه السلام: «إن العبد لا يخطئه من الدعاء أحد ثلاث: إما ذنب يغفر، وإما خير يدخر، وإما خير يعمل.

رواه أنس رضي الله عنه، وقوله عليه السلام: «ما من مسلم ينصب وجهه لله في مسألة إلا أعطاه إياها، إما أن يعجلها له، وإما أن يدخرها له». وقوله عليه السلام: «إن المؤمن ليؤجر في كل شيء حتى في الكظ عند الموت». وقوله عليه السلام: «إن الله يدعو بعبده يوم القيامة، فيقول: إني قلت ادعوني أستجب لكم، فهل دعوتني، فيقول: نعم، فيقول: أرأيت يوم نزل أمر كذا وكذا، مما كرهت فدعوتني، فجعلت لك في الدنيا، فيقول: نعم، ويقول: دعوتني يوم نزل بك كذا. فلم تر فرجاً فقد ادخرته لك في الجنة حتى يقول العبد ليته لم يستجب لي في الدنيا دعوة».

رواه جابر عنه، وبدليل قوله عليه السلام: «من أعطي الدعاء لم يحرم من الإجابة».

وقال عليّ رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إذا أحب الله عبداً صب عليه البلاء صباً وثجه عليه ثجاً، فإذا دعا العبد ربه قال جبريل: أي رب، اقض حاجته، فيقول تعالى: دعه فإني أحب أن أسمع صوته، فإذا دعا يقول تعالى: لبيك عبدي، وعزتي لا تسألني شيئاً إلا أعطيك، ولا تدعوني بشيء إلا أستجيب، فإما أن أعمل لك، وإما أن أدخر لك أفضل منه».

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، وإن الله يجيب الدعوات كلها من عبده المؤمن، ولا يخيبه في شيء من دعواته. وكيف يخيب ولا يجيب من إذا لم يسأله عبده يغضب عليه.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال النبي عليه السلام: «إن الله يغضب على من لم يسأله، ولا يفعل ذلك أحد غيره». انتهى. ما في «بحر العلوم».

يقول الفقير: هذا كله مسلم مقبول، فإنه يدل على أن دعاء المؤمن المطيع لربه مستجاب على كل حال، ولكن لا يلزم منه أن يستجاب لكل مؤمن، فإن بعضاً من الذنوب يمنع الاستجابة، ويرد الدعوة كما إذا كان الملبوس والمشروب حراماً، والقلب لاهياً غافلاً، وعلى الداعي مظالم وحقوق للعباد، ونحو ذلك. ويدل على ما ذكرنا ما قال عليه السلام لسعد بن أبي وقاص رضي الله عنه حين قال له: يا رسول الله، ادع الله أن يستجيب دعائي. يا سعد اجتنب الحرام، فإن كل بطن دخل فيه لقمة من حرام لا تستجاب دعوته أربعين يوماً، وأيضاً، ما قال عليه السلام: «الرجل يطيل السفر؛ أي: في طريق الحق أشعث أغبر يمد يده إلى السماء قائلاً: يا رب، يا رب ومطعمه حرام ومشربه حرام وغذي بالحرام، فأنى يستجاب لذلك الرجل دعاؤه».

وأيضاً ما قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «وأنت يا عم لو أطعته أطاعك إطاعتي حين قال له عمه أبو طالب: ما أطوعك ربك يا محمد، وغير ذلك، ثم إن الزيادة في الآية مفسرة بالشفاعة لمن وجبت له النار، وبالرؤية، فإن الجنان ونعيمها مخلوقة تقع في مقابلة مخلوق مثلها، وهو عمل العبد والرؤية مما يتعلق بالقديم، ولا تقع إلا في مقابلة القديم، وهو الفضل الرباني.

وفي «كشف الأسرار»: [بنده كه بديدار الله رسد بفضل الله ميرسد نه ازطاعت خود].

وفي الخبر الصحيح: «إذا دخل أهل الجنة الجنة نودوا: يا أهل الجنة إن لكم عند الله موعداً يريد أن ينجزكموه، فيكشف الحجاب، فينظرون إليه». أبو بكر الشبلي قدس سره: [وقتى در غلبات وجد وخروش كفت اى بارخدا فردا همه رانابينا انكيز تاجز من تراكس نبيند باز وقتى ديكر كفت بارخدا باشبلي رانا بينا انكيز كه دريغ بودكه جون منى ترابيند وآن سخن اول غيرت بود بر جمال ازديده اغيار وآن سخن ديكر غيرت بود بر جمال ازديده خودو در راه جوانمردان اين قدم ازان قدم تما مترست وعزيز تر]:

از رشك تو بر كنم دل وديده خويش   تا اين تونه بيند ونه آن رابيش

[وجون حق تعالى ديدار خود را دوستانرا كرامت كند بتقاضاى جمال خود كندنه بتقاضاى بنده كه بشر محض راهر كز زهرة آن نبودكه با اين تقاضا بيدا آيد]. ﴿**والكافرون لهم عذاب شديد**﴾: بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد.

قال الكاشفي: [مرايشا نراست عذابى سخت كه ذل حجاب ودوام عقابست وهيج عقاب بدترا زمذلت حجاب نيست]:

زهيج رنج ثو مطلق دلم نتابد روى   جزآنكه بند كنى در حجاب حرمانش

وفي «التأويلات النجمية»: لما ذكر أنه تعالى يقبل توبة التائبين، ومن لم يتب يغفر زلتهم والمطيعون يدخلهم الجنة، فلعله يخطر ببال أحدهم، أن هذه النار لمن هي؟. قال الله تعالى: ﴿**والكافرون لهم عذاب شديد**﴾، فلعله خطر ببالهم أن العصاة من المؤمنين لا عذاب لهم. فقال: والكافرون لهم عذاب شديد، فدليل الخطاب: أن المؤمنين لهم عذاب، ولكن ليس بشديد، ثم إن العبد لو لم يتب خوفاً من النار، ولا طمعاً في الجنة، لكان من حقه أن يتوب ليقبل الحق سبحانه توبته، ثم إن العامي أبداً منكسر القلب، فإذا علم أن الله يقبل الطاعة من المطيعين يتمنى أن له طاعة ميسرة ليقبلها الله، فيقول الحق: عبدي إن لم يكن لك طاعة تصلح

للقبول، فلك توبة إن أتيت بها تصلح لقبولها.

﴿۞ وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾﴾

﴿ولو بسط الله الرزق لعباده﴾، لو وسعه عليهم. ﴿لبغوا في الأرض﴾ لطغوا في الأرض وعصوا، فمن العصمة أن لا تجد، أو لظلم بعضهم على بعض؛ لأن الغنى مبطرة مأشرة؛ أي: داع إلى البطر، والأشر، أو البغي بمعنى الكبر، فيكون كناية عن الفساد.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: بغيهم في الأرض طلبهم منزلة بعد منزلة ومركباً بعد مركب وملبساً بعد ملبس.

وقال بعضهم: لو أن الله تعالى رزق العباد من غير كسب لتفرغوا للفساد في الأرض، ولكن شغلهم بالكسب حتى لا يتفرغوا للفساد ونعم ما قيل:

إن الشباب والفراغ والجده مفسدة للمرء أي مفسده

أي: داعية إلى الفساد ومعنى الفراغ عدم الشغل ولزوم البغي على بسط الرزق على الغالب، وإلا فقد يكون الفقير مستكبراً وظالماً، يعني أن البغي مع الفقر أقل؛ لأن الفقر مؤدٍ إلى الانكسار والتواضع غالباً، ومع الغنى أكثر وأغلب؛ لأن الغنى مؤدٍ إلى البغي غالباً، فلو عم البسط كل واحد من العباد لغلب البغي، وانقلب الأمر إلى عكس ما عليه الآن.

قال الكاشفي: [واين در غالبست جه ذى النورين رضي الله عنه مالدارترين مردم بودند وهركز ازايشان بغى وطغيان ظاهر نشد وكفته اندمال دنيا بمثال بارانست كه برتمام زمين بارد واز هرقطعه ازان كياه ديكر رويد]:

باران كه در لطافت طبعش خلاف نيست درباغ لا له رويد ودرشوره بوم خس

[وجون اغلب طباع خلق بجانب هوى وهوس مائلست وبرورش صفات سبعى وبهيمى وبرايشان غالب ومال دنيا درين ابواب قوى ترين اسبابست بس اكر حق سبحانه وتعالى روزى بر خلق فراخ كرداند اكثر باغى وطاغى كردند]. وكفى بحال فرعون وهامان وقارون ونحوهم عبرة. قال عليه السلام: «إن أخوف ما أخاف على أمتي زهرة الدنيا وكثرتها». قال الصائب:

نفس رابد خوبناز ونعمت دنيا مكن آب ونان وسير كاهل ميكند مزدور را

﴿ولكن ينزل بقدر﴾؛ أي: بتقدير. يعني: [باندازه]، كما في «كشف الأسرار». وقال الكاشفي: [بتقدير أزلى].

وفي «القاموس»: قدر الرزق: قسمه، والقدر قياس الشيء بالشيء. وفي «بحر العلوم»: يقال: قدره قدراً وقدراً. وقوله عليه السلام: «فإن غمّ عليكم، فاقدروا» بكسر الدال والضم خطأ. رواية: أي: فقدروا عدد الشهر حتى تكملوه ثلاثين يوماً. ﴿ما يشاء﴾: أن ينزله مما تقتضيه مشيئته، وهو مفعول ينزل. ﴿إنه بعباده خبير بصير﴾: محيط بخفايا أمورهم وجلاياها، فيقدر لكل واحد منهم في كل وقت من أوقاتهم ما يليق بشأنهم، فيفقر ويغني ويمنع ويعطي، ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية، ولو أغناهم جميعاً لبغوا، ولو أفقرهم لهلكوا.

روى أنس بن مالك رضي الله عنه، عن النبي عليه السلام، عن جبرائيل، عن الله تعالى أنه قال: «من أهان لي ولياً بارزني بالمحاربة، وإني لأسرع شيء إلى نصرة أوليائي، وإني

لأغضب لهم كما يغضب الليث الجريء، وما تقرب إلي عبدي المؤمن بمثل أداء ما افترضت عليه، وما زال عبدي المؤمن يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته كنت له سمعاً وبصراً ويداً مؤيداً، إن دعاني أجبته، وإن سألني أعطيته، وما ترددت في شيء أنا فاعله، ترددي في قبض روح عبدي المؤمن يكره الموت وأكره مساءته، ولا بد له منه، وإن من عبادي المؤمنين لمن يسألني الباب من العبادة، فأكفه عنه لئلا يدخله عجب، فيفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الفقر، ولو أغنيته لأفسده، ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الغنى، ولو أفقرته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا الصحة، ولو أسقمته لأفسده ذلك، وإن من عبادي المؤمنين لمن لا يصلح إيمانه إلا السقم، ولو أصححته لأفسده ذلك، إني أدبر أمر عبادي بعلمي بقلوبهم، إني بعبادي خبير بصير.

وكان يقول أنس رضي الله عنه: اللهم إني من عبادك المؤمنين الذين لا يصلحهم إلاالغنى، فلا تفقرني برحمتك.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى قلب الفقير؛ كأنه إنما لم أبسط أيها الفقير، عليك الدنيا لما كان لي من المعلوم، إني لو وسعت عليك لطغوت، وسعيت في الأرض بالفساد. ويشير أيضاً إلى وعيد الحريص على الدنيا لينتبه من نوم الغفلة، ويتحقق له أن لو بسط الله له الرزق بحسب الطلب لكان سبب بغيه وطغيانه، وفساد حاله ولتسكن نائرة حرصه على الدنيا، ثم قال بطريق الاستدراك إن لم أوسع عليك الرزق لصلاح حالك لم أمنع عنك الكل، ولكن ينزل بقدر ما يشاء لعلمه بصلاح ذلك، وهو قوله: ﴿إنه بعباده خبير بصير﴾.

روي: أن أهل الصفة رضي الله عنهم تمنوا الغنى، فنزلت: [يعني أصحاب صفه كه بفقر فاقه ميكذرانيد ند روزى در خاطر ايشان كذشت كه جه باشدكه ماتوا نكر شويم ومال خود بفلان وفلان جيز صرف كنيم اين آيت آمد]. قال خباب بن الأرت رضي الله عنه فينا نزلت هذه الآية، وذلك أنا نظرنا إلى أموال بني قريظة والنضير وبني قينقاع، فتمنيناها، فأنزل الله تعالى الآية.

قال سعدي المفتي: وفيه أن الآية حينئذٍ مدنية، فكان ينبغي أن يستثني. وقيل: نزلت في العرب. كانوا إذا أخصبوا تحاربوا وإذا أجدبوا؛ أي: أصابهم الجدب والقحط انتجعوا؛ أي: طلبوا الماء والكلأ وتضرعوا وفي ذلك يقول الشاعر:

قوم إذا نبت الربيع بأرضهم ... نبتت عداوتهم مع البقل

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿وهو الذي ينزل الغيث﴾؛ أي: المطر الذي يغيث الناس من الجدب، ولذلك خص بالنافع منه، فإن المطر قد يضر، وقد لا يكون في وقته.

قال الراغب: الغيث: يقال في المطر والغوث في النصرة. ﴿من بعد ما قنطوا﴾؛ أي: يئسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه أيضاً، لتذكير كمال النعمة، فإن حصول النعمة بعد اليأس والبلية أوجب لكمال الفرح، فيكون أدعى إلى الشكر. ﴿وينشر﴾: [وبراكنده كند]. ﴿رحمته﴾؛ أي: بركات الغيث ومنافعه في كل شيء من السهل والجبل والنبات والحيوان.

وفي «فتح الرحمٰن»: ﴿وينشر رحمته﴾، وهي الشمس، وذلك تعديد نعمة غير الأولى، وذلك أن المطر إذا جاء بعد القنوط حسن موقعه، فإذا دام سئم وتجيء الشمس بعده عظيمة الوقع. ﴿وهو الولي﴾: المالك السيد الذي يتولى عباده بالإحسان ونشر الرحمة.

قال الكاشفي: [واوست دوست مؤمنان وسازنده كار ايشان بفرستادن باران ونشر رحمت واحسان]:

تواز فشاندن تخم اميد دست مدار   كه در كرم نكند ابر نوبهار امساك

﴿الحميد﴾: المستحق للحمد على ذلك وغيره لا غيره.

وقال بعضهم: وهو الولي؛ أي: مولى المطر ومتصرفه يرسله مرة بعد مرة الحميد؛ أي: الأهل لأنه يحمد على صنعه إذ لا قبح فيه؛ لأنه بالحكمة ودل الغيث على الاحتياج وعند الاحتياج تتقوى العزيمة، والله تعالى يجيب دعوة المضطر. وقيل لعمر رضي الله عنه اشتد القحط وقنط الناس، فقال: مطروا إذن وأراد هذه الآية. وفي المثنوي:

تافرود آيد بلاى دافعى   جون نباشداذ تضرع شافعى

تا سقاهم ربهم آيد خطاب   تشنه باش الله أعلم بالصواب

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن تحت العرش بحراً ينزل منه أرزاق الحيوانات يوحي الله إليه، فيمطر ما شاء من سماء إلى سماء حتى ينتهي إلى سماء الدنيا، ويوحي إلى السماء أن غربليه فتغربله، فليس من قطرة تقطر إلا ومعها ملك يضعها موضعها، ولا ينزل من السماء قطرة إلا بكيل معلوم، ووزن معلوم إلا ما كان من يوم الطوفان من ماء، فإنه نزل بغير كيل ووزن.

وروي: أن الملائكة يعرفون عدد المطر ومقداره في كل عام؛ لأنه لا يختلف فيه البلاد، وفي الحديث: «ما من سنة بأمطر من أخرى، ولكن إذا عمل قوم بالمعاصي حول الله ذلك إلى غيرهم، فإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك إلى الفيافي والبحار».

وفي الحديث القدسي: «لو أن عبادي أطاعوني سقيتهم المطر بالليل، وأطلعت الشمس عليهم بالنهار، وما أسمعتهم صوت الرعد».

قال سفيان رحمه الله: ليس الخائف من عصر عينيه، وبكى إنما الخائف من ترك الأمر الذي يخاف منه. وروي مرفوعاً: «ما من ساعة من ليل ولا نهار إلا والسماء تمطر فيها يصرفه الله حيث يشاء». وفيه إشارة إلى دوام فيضه تعالى ظاهراً وباطناً، وإلا لانتقل الوجود إلى العدم.

وفي الآية إشارة إلى أن العبد إذا ذبل غصن وقته وتكدر صفو ورده وكسف شمس أنسه وبعد بالحضرة وساحات القرب عهده، فربما ينظر الحق بنظر رحمته، فينزل على سره أمطار الرحمة ويعود عوده طرياً، وينبت من مشاهد أنسه ورداً جنياً.

وفي «عرائس البيان»: يكشف الله لهم أنوار جماله بعد أن أيسوا من وجدانهم في مقام القبض، وينشر عليهم لطائف بسط القرب؛ لأن وليهم وحبيبهم محمود بلسان افتقارهم.

قال ابن عطاء: إن الله تعالى يربي عباده بين طمع ويأس، فإذا طمعوا فيه أيأسهم بصفاتهم، وإذا أيسوا أطمعهم بصفاته، وإذا غلب على العبد القنوط، وعلم العبد ذلك وأشفق منه أتاه من الله الفرج، ألا تراه يقول: وهو الذي ينزل الغيث من بعد ما قنطوا معناه: ينزل

غيث رحمته على قلوب أوليائه، فينبت فيها التوبة والإنابة والمراقبة والرعاية: [ابر جود باران وجود ريزد سحاب افضال دراقبال فشاندكل وصال درباغ نوال شكفته كردد آخر كار باول كار بازشود].

يقول الفقير: لا شك أن القبض والبسط يتعاقبان، وإن الإنسان لا يضحك دائماً، ولا يبكي دائماً، ومن أعاجيب ما وقع لي في هذا الباب هو أنه أغار العرب على الحجاج في طريق الشام في سنة الألفات الأربعة، وكنت إذ ذاك معهم فتجردت باختياري عن جميع ما معي غير القميص والسراويل، ومشيت على وجهي، فقيل لي: في باطني على يمينك، فأخذت اليمين حتى لم يبق لي طاقة على المشي من الجوع والعطش، فوقعت على الرمل فأيست من الحياة وليس معي أحد إلا الله، فقيل لي: في سمعي قول الشاعر:

عسى الكرب الذي أمسيت فيه يكون وراءه فرج قريب

ثم إن الله تعالى فرج عني بعد ساعات بما يطول بيانه، بل يجب خفاؤه، وهو الولي الحميد.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾﴾

﴿ومن آياته﴾، أي: دلائل قدرته تعالى: ﴿خلق السماوات والأرض﴾ على ما هما من تعاجيب الصنائع فإنها بذاتها أو صفاتها تدل على شؤونه العظيمة. قال في «الحواشي السعدية» قوله: فإنها إشارة إلى ما تقرر في الكلام من المسالك الأربعة في الاستدلال على وجود الصانع تعالى حدوث الجواهر وإمكانها، وحدوث الأعراض القائمة بها، وإمكانها أيضاً.

وفيه إشارة إلى أن خلق السماوات من إضافة الصفة إلى الموصوف، أي: السماوات المخلوقة. انتهى.

﴿وما بث فيهما﴾ عطف على السماوات أو الخلق. ومعنى بث فريق يعني: [براكنده كرده].

وقال الراغب: أصل البث إثارة الشيء وتفريقه كبث الريح التراب وبث النفس ما انطوت عليه من الغم والسرور. وقوله: وبث إشارة إلى إيجاده تعالى ما لم يكن موجوداً وإظهاره إياه.

﴿من دابة﴾ حي على إطلاق اسم المسبب على السبب، أي: الدبيب مجازاً أريد به سببه، وهوالحياة فتكون الدابة بمعنى الحي، فتتناول الملائكة أيضاً، لأن الملائكة ذوو حركة طيارون في السماء، وإن كانوا لا يمشون على الأرض ويجوز أن يكون المعنى مما ندب على الأرض، فإن ما يختص بأحد الشيئين المجاورين يصبح نسبه إليهما. يعني: ما يكون في أحد الشيئين يصدق أنه فيهما في الجملة، كما في قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمن: ٢٢]، إنما يخرج من الملح. وقد جوز أن يكون للملائكة مشي مع الطيران، فيوصفون بالدبيب، وأن يخلق الله في السماء حيوانات يمشون فيها مشي الأناسي على الأرض كما ينبىء عنه قوله تعالى: ﴿وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل: ٨]. وقد روي عن النبي عليه السلام قال: «فوق السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض، ثم فوقه العرش العظيم».

يقول الفقير: إن للملائكة أحوالاً شتى وصوراً مختلفة لا يقتضي موطنهم الحصر في

شيء من المشي والطيران، فطيرانهم إشارة إلى قوتهم في قطع المسافة، وإن كان ذلك لا ينافي أن يكون لهم أجنحة ظاهرة، فلهم أجنحة يطيرون بها، ولهم أرجل يمشون بها، والله أعلم.

﴿وهو﴾ تعالى ﴿على جمعهم﴾، أي: حشر الأجسام بعد البعث للمحاسبة. ﴿إذا يشاء﴾ في أي وقت يشاء ﴿قدير﴾ متمكن منه.

[يعني تواناست ومتمكن ازان وغير عاجز دران]. قوله: هو مبتدأ وقدير خبره وعلى جمعهم متعلق بقدير وإذا منصوب بجمعهم لا بقدير لفساد المعنى، فإن المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لا قدرته، وإذا عند كونها بمعنى الوقت، كما تدخل على الماضي تدخل على المضارع. قال تعالى: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١﴾ [الليل: ١].

وفي الآية إشارة إلى سماوات الأرواح وأرض الأجساد. وما بث فيهما من دابة النفوس والقلوب، فلا مناسبة بين كل واحد منهم، فإن بين الأرواح والأجساد بوناً بعيداً، لأن الجسد من أسفل سافلين، والروح من أعلى عليين، والنفس تميل إلى الشهوات الحيوانية الدنيوية، والقلب يميل إلى الشواهد الروحانية الأخروية الربانية، وهو على جمعهم على طلب الدنيا وزينتها، وعلى طلب الآخرة ودرجاتها، وعلى طلب الحضرة وقرباتها إذا يشاء قدير. والحشر على أنواع: عام، وهو خروج الأجساد من القبور إلى المحشر يوم النشور. وخاص، وهو خروج الأرواح الأخروية من قبور الأجسام الدنيوية بالسير والسلوك في حال حياتهم إلى عالم الروحانية، يحرق الحجب الظلمانية وأخص. وهو خروج الأسرار من القبور الروحانية إلى عالم الهوية بقطع الحجب النورانية. فعند ذلك يرجع الإنسان إلى أصله رجوعاً اختيارياً مرضياً ليس فيه شائبة غضب أصلاً، ونعم الرجوع والقدوم، وهو قدوم الحبيب على الحبيب والخلوة معه.

خلوت كزيده را بتماشا جه حاجتست جون روى دوست هست بصحراجه حاجتست

ولا يمكن الخروج من النفس إلا بالله. وكان السلف يجهدون في إصلاح نفوسهم وكسر مقتضاهم وقمع هواها.

(حكي) أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه مر وعلى ظهره قربة ماء، فقيل له: في ذلك فقال: ليس لي حاجة إلى الماء، وإنما أردت به كسر نفسي لما حصل لها من إطاعة ملوك الأطراف، ومجيء الوفود فكما أنه لا بعث إلى المحشر إلا بعد فناء ظاهر الوجود، فكذا لا حشر إلى الله إلا بعد فناء باطنه. نسأل الله سبحانه أن يوصلنا إلى جنابه.

﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ۝٣٠ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ۝٣١﴾

﴿وما أصابكم﴾ [وهرجه شمارا رسدا اى مؤمنان]. فما شرطية. وقال بعضهم: موصول مبتدأ دخلت الفاء في خبره لتضمنه معنى الشرط، أي: الذي وصل إليكم أيها الناس. ﴿من مصيبة﴾، أي: مصيبة كانت من الآلام والأسقام والقحط والخوف، حتى خدش العود وعثرة القدم، واختلاج العرق وغير ذلك من البدن أو في المال أو في الأهل والعيال، ويدخل فيها الحدود على المعاصي، كما أنه يدخل في قوله: ﴿ويعفو عن كثير﴾ ما لم يجعل له حد.

﴿فبما كسبت أيديكم﴾ أي فهو بسبب معاصيكم التي اكتسبتموها، فإن ذكر الأيدي لكون أكثر الأعمال مما يزاول بها، فكل نكد لاحق إنما هو بسبب ذنب سابق أقله التقصير. وفي المثنوي:

هرجه برتو آيد از ظلمات غم   آن ربى باكى وكستاخيست هم

وفي الحديث: «لا يرد القدر إلا بالدعاء ولا يزيد في العمر إلا البر، وأن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه قوله لا يرد» إلخ. لأن من جملة القضاء رد البلاء بالدعاء، فالدعاء سبب لدفع البلاء وجلب الرحمة كما أن الترس سبب لدفع السلاح والماء سبب لخروج النباتات من الأرض. قال الضحاك: ما تعلم رجل القرآن ثم نسيه إلا بذنب، وأي معصية أقبح من نسيان القرآن. وتلا الآية: ﴿ويعفو عن كثير﴾ من الذنوب، فلا يعاقب عليها، ولولا عفوه وتجاوزه ما ترك على ظهرها من دابة.

وفي الآية تسلية لقلوب العباد وأهل المصائب يعني: إن أصابتكم مصيبة الذنوب والمعاصي الموجبة للعفو الأخروية الأبدية تداركناها بإصابة المصيبة الدنيوية الفانية لتكون جزاء لما صدر منكم من سوء الأدب، وتطهير لما تلوثتم به من المعاصي، ثم إذا كثرت الأسباب من البلايا على عبد وتوالى عليه ذلك فليفكر في أفعاله المذمومة لم حصلت منه، حتى يبلغ جزاء ما يفعله مع عفو الكثير هذا المبلغ، فعند هذا يزداد حزنه وأسفه وخجلته لعلمه بكثرة ذنوبه وعصياته. وغاية كرم ربه وعفوه وغفرانه. قيل لأبي سليمان الداراني قدس سره: ما بال العقلاء أزالوا اللوم عمن أساء إليهم. قال: لأنهم علموا أن الله تعالى إنما ابتلاهم بذنوبهم. وقرأ هذه الآية: ﴿وما أنتم بمعجزين في الأرض﴾ فائتين ما قضى عليكم من المصائب وإن هربتم من أقطار الأرض كل مهرب، يعني: إذا أراد الله ابتلاءكم وعقوبتكم، فلا تفوتونه حيثما كنتم، ولا تسبقونه، ولا تقدرون أن تمنعوه من تعذيبكم. وبالفارسية: [ونيستيد عاجز كنندكان خدا يرا از انفاذ امريا از عذاب كردن مستحق].

قال أهل اللغة: أعجزته؛ أي: صيرته عاجزاً. وأعجزته فيه سبقته قال في تفسير «المناسبات» لما كان من يعاقب بما دون الموت ربما ظن أنه عاجز، قال: وما أنتم؛ أي: أجمعون العرب وغيرهم بمعجزين في الأرض لو أريد محقكم بالكلية ولا في شيء أراده منكم كائناً ما كان. ﴿وما لكم﴾؛ أي: عند الاجتماع، فكيف عند الانفراد. ﴿من دون الله﴾: المحيط بكل شيء عظمة وكبراً وعزة. ﴿من ولي﴾: يكون متولياً لشيء من أموركم بالاستقلال يحميكم من المصائب. ﴿ولا نصير﴾: يدفعها عنكم.

وهذه الآية الكريمة داعية لكل أحد إلى المبادرة عند وقوع المعصية إلى محاسبة النفس ليعرف من أين أتى، فيبادر إلى التوبة عنه لينقذ نفسه من الهلكة، وفائدة ذلك، وإن كان الكل بخلقه وإرادته إظهار الخضوع والتذلل واستشعار الحاجة والافتقار إلى الله الواحد القهار، ولولا ورود الشريعة لم يوجد سبيل إلى هذه الكمالات البديعة، ومثل هذه التنبيهات تستخرج من العبد ما أودع في طبيعته، وركز في غريزته كغرس وزرع سيق إليه ماء وشمس لاستخراج ما في طبيعته من المعلومات الإلٰهية والحكم العلية.

قال الإمام الواحدي رحمه الله: هذه الآية أرجى آية في كتاب الله؛ لأن الله جعل ذنب المؤمن صنفين صنفاً كفر عنه بالمصائب وصنفاً عفا عنه في الدنيا، وهو كريم، ولا يرجع في الآخرة في عفوه، فهذه سنة الله مع المؤمنين، وأما الكافر، فلا يعجل له عقوبة ذنبه حتى يوافي به يوم القيامة.

قال بعضهم: إذا كسب العبد شيئاً من الجرائم، فهو من أسباب القهر، ويكون محجوباً

به. فإذا كان أهلاً لله تعالى يعاقبه الله في الدنيا ببعض المصائب ويخرجه من ذلك الحجاب، وإلا فيمهله في ضلالته، والآية مخصوصة بالمجرمين، فإن ما أصاب غيرهم من الأنبياء وكمل الأولياء والأطفال والمجانين، فلأسباب أخر لا بما كسبت أيديهم؛ لأنهم معصومون محفوظون. منها التعريض للأجر العظيم بالصبر عليه.

قال بعضهم: شوهد منه عليه السلام كرب عند الموت ليحصل لمن شاهده من أهله، ومن غيرهم من المسلمين الثواب لما يلحقهم عليه من المشقة، كما قيل: بمثل ذلك في حكمة ما يشاهد من حال الأطفال من الكرب الشديد.

وفي «نوادر الأصول» للحكيم الترمذي قدس سره: البلاء على ثلاثة أضرب:

منها: تعجيل عقوبة للعبد كمثل ما نزل بيوسف عليه السلام من لبثه في السجن بالهم الذي هم به، ومن لبثه بعد مضي المدة في السجن بقوله: ﴿ٱذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَىٰهُ ٱلشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى ٱلسِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ﴾ [يوسف: ٤٢].

ومنها: امتحانه ليبرز ما في ضميره، فيظهر لخلقه درجته أين هو من ربه كمثل ما نزل بأيوب عليه السلام. قال تعالى: ﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا ۚ نِّعْمَ ٱلْعَبْدُ ۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ٤٤].

ومنها: كرامته ليزداد عنده قربة وكرامة كمثل ما نزل بيحيى بن زكريا عليهما السلام، ولم يعمل خطيئة قط، ولم يهم بها، فذبح ذبحاً، وأهدى رأسه إلى بغي من بغايا بني إسرائيل. وقد سأل النبي عليه السلام العافية من كل ذلك حيث قال: «واسأل الله العافية من كل بلية» والعافية أن يكون في كل وجه من هذه الوجوه، إذا حل به شيء من ذلك أن لا يكله إلى نفسه ولا يخذله؛ أي: يكلؤه ويرعاه في كل من هذه الوجوه هذا وجه، والوجه الآخر أن يسأله أن يعافيه من كل شيء فيه شدة، فإن الشدة إنما يحل أكثرها من أجل الذنوب، فكأنه يسأل أن يعافيه من البلاء، ويعفو عنه الذنوب التي من أجلها تحل الشدة بالنفس، فقد قال عز وجل: ﴿وما أصابكم من مصيبة فبما كسبت أيديكم ويعفو عن كثير﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَدْنَىٰ دُونَ ٱلْعَذَابِ ٱلْأَكْبَرِ﴾ [السجدة: ٢١]، فعلى العاقل أن يسأل العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة، فإذا ابتلي بشيء من البلايا صبر عليه ليكون مأجوراً ومكفراً عنه ذنوبه ومصححاً له حاله ومصفى باله ونعم ما قيل:

نرى الناس دهناً في القوارير صافيا ... ولم تدر ما يجري على رأس سمسم

وقال الحافظ:

شكر كمال حلاوت بس از رياضت يافت ... نخست درشكن تنك ازان مكان كيرد

وما قال:

كويند سنك لعل شود در مقام صبر ... آرى شود وليك بخون جكر شود

نسأل الله العافية.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿ومن آياته﴾: دلائل وحدته تعالى وقدرته وعظمته وحكمته. ﴿الجوار﴾: السفن الجارية، وهي بالياء في الأصل حذفت للكسر الدال عليها. ﴿في البحر﴾: [در دريا].

﴿كالأعلام﴾ جمع علم بفتحتين بمعنى الجبل، وكل مرتفع علم؛ أي: كالجبال على الإطلاق لا التي عليها النار للاهتداء خاصة. وبالفارسية: [مانند كوها در عظمت]. فقوله: جوار جمع جارية، بمعنى سائرة صفة للسفن المقدرة.

وفي البحر: متعلق بالجوار، وحال منه إن كانت الجارية جامدة اسماً للسفينة بالغلبة سميت بها لجريها وكالأعلام حال منه على التقديرين.

﴿إن يشأ﴾؛ أي: الله تعالى، وهو شرط جوابه. قوله: ﴿يسكن الريح﴾ التي تجريها يعني ساكن: [كرداندبادى راكه سبب رفتن كشتى است]. ﴿فيظللن رواكد على ظهره﴾ عطف على قوله: يسكن وظل بمعنى صار وركدت السفينة إذا سكنت وثبتت؛ أي: فيصرن تلكن السفن ثوابت بعدما كانت جواري برياح طيبة. وحاصل المعنى فيبقين ثوابت على ظهر البحر غير جاريات لا غير متحركات أصلاً.

[وجون آن كشتيها ساكن شوند بسبب سكون باد اهل كشتى در كرداب اضطراب افتد].

﴿إن في ذلك﴾ الذي ذكر من السفن اللاتي يجرين تارة ويركدن تارة أخرى على حسب مشيئة الله تعالى. ﴿لآيات﴾ عظيمة في أنفسها كثيرة في العدد دالة على ما ذكر من شؤونه. ﴿لكل صبار﴾ بليغ الصبر على احتمال البلايا في طاعة الله تعالى. ﴿شكور﴾ بليغ الشكر له على نعمائه باستعمال كل عضو من الأعضاء فيما خلق له.

وقال الكاشفي: [مر هر صبر كننده رادر كشتى سباس درانده برقت خروج از كشتى]. ويجوز أن يكون مجموع صبار شكور كناية عن الآتي بجميع ما كلف به من الأفعال والتروك. فالمعنى: لكل مؤمن كامل في خصائل الإيمان وثمراتها ترجع كلها إلى الصبر والشكر، فإن الإيمان نصفه صبر عن المعاصي ونصفه شكر، وهو الإتيان بالواجبات.

﴿أو يوبقهن بما كسبوا﴾ عطف على يسكن يقال: أوبقه: أهلكه كما في «القاموس»، والإيباق بالفارسية: [هلاك كردن]، كما في «تاج المصادر».

والمعنى: إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يرسلها، فتغرق بعضها؛ أي: السفن بعدله وإيقاع الإيباق عليهن مع أنه حال أهلهن للمبالغة والتهويل. يعني: أن المراد إهلاك أهلها بسبب ما كسبوا من الذنوب موجبات الهلاك على إضمار المضاف، أو التجوز بعلاقة الحلول.

قال سعدي المفتي: والظاهر أنه لا منع من إبقاء الكلام على حقيقته، فالآية مثل قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ﴾ [الشورى: ٣٠]. إلخ.

أي: يوبق سفائنهم بشؤم ما كسبوا. ﴿ويعف عن كثير﴾، فلا يوبق أموالهم. انتهى.

وإجراء حكمه على العفو في قوله تعالى: ﴿ويعف عن كثير﴾ لما أن المعنى، أو يرسلها فيوبق ناساً، وينجي آخرين بطريق العفو عنهم.

﴿وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٣٥﴾ فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾﴾

﴿ويعلم الذين يجادلون في آياتنا﴾ عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم، وليعلم الذين يكذبون ويسعون في دفعه وإبطاله وقرىء بالرفع على الاستئناف عطفاً على الشرطية وبالجزم عطفاً على يعف، فيكون المعنى: وإن يشأ يجمع بين إهلاك قوم وإنجاء قوم، وتحذير قوم.

﴿ما لهم من محيص﴾؛ أي: من مهرب من العذاب، والجملة معلق عنها الفعل فكما لا مخلص لهم إذا وقفت السفن، أو عصفت الرياح، كذا لا مهرب لهم من عذابه بعد البعث، فلا بد من الاعتراف بأن الضار والنافع ليس إلا الله، وإن كل أمر عرض، فإنما هو بتأثيره.

وفي الآيات إشارات منها: أن الله تعالى حثهم على الفكرة المنبهة لهم في السفن التي تجري في البحار، فيرسل الله الرياح تارة ويسكنها أخرى، وما يريهم من السلامة والهلاك. والإشارة في هذا إلى إمساك الناس في خلال فتن الوقت عن الأنواع المختلفة، ثم حفظ العبد في إيواء السلامة، وذلك يوجب خلوص الشكر الموجب له جزيل المزيد.

ومنها: كما أن السفن تجري في البحر بالريح الطيبة، فتصل إلى الساحل كذلك بعض الهمم تجري في الدنيا بريح العناية، فتصل إلى الحضرة، وكما أن لبعض السفن وقفة لانقطاع الريح، فكذا لبعض الهمم بانقطاع الفيض، وكما أن بعضها تهلك، فكذا بعض النفوس في بحر الدنيا نعوذ بالله تعالى.

ومنها: أن الريح لا تتحرك بنفسها، بل لها محرك إلى أن ينتهي إلى المحرك الأول الذي لا محرك له، وهو الله تعالى، فلا يجوز الاعتماد على الريح في استواء السفينة وسيرها، وإلا فقد جاء الشرك في توحيد الأفعال، والجهل بحقائق الأمور.

ومنها: أن الصابر من صبره الله والشكور من شكره الله، فإن الصبر الحقيقي والشكر الحقيقي لا يكون إلا لمن كان صبره بالله وشكره بالله، فإنه تعالى هو الصبور الشكور.

ومنها: أن علم الله قديم ليس بحادث وأما علم الخلق، فحادث متأخر، ولذلك قال: ويعلم إلخ. فالعاقل يرى عاقبة الأمر فيحذر كما قيل (ع): [درانتهاى كر خوداز ابتدا ببين].

﴿فما أوتيتم﴾: [بس آنجه داده شده آيد]. ﴿من شيء﴾ مما ترغبون أيها الناس وتتنافسون فيه من مال ومعاش وأولاد. ﴿فمتاع الحياة الدنيا﴾؛ أي: فهو متاعها ومنفعتها وتتمتعون وتنتفعون به مدة حياتكم القليلة فيزول ويفنى، فما موصولة متضمنة لمعنى الشرط من حيث إن إيتاء ما أوتوا سبب للتمتع به في الحياة الدنيا، ولذا دخلت الفاء في جوابها. وقدر المبتدأ؛ لأن الجواب لا يكون إلا جملة، يعني أن سببيته مقصود فيها الإعلام لتضمنها الترغيب في الشكر بخلاف الثانية، وهي قوله تعالى: ﴿وما عند الله﴾ إلخ. فإن المقصود فيها بيان حال أن ما عند الله سبب للخيرية والدوام وقد يقال: إن ما شرطية على أنها مفعول ثان لأوتيتم بمعنى أعطيتم، والأول، وهو ضمير المخاطبين قائم مقام الفاعل. ومن شيء بيان لها لما فيها من الإبهام. ﴿وما عند الله﴾ من ثواب الآخرة أشير إليه آنفاً. ﴿خير﴾: ذاتاً لخلوص نفعه وهو خبر ما. ﴿وأبقى﴾: زمان حيث لا يزول ولا يفنى بخلاف ما في أيدي الناس.

وفيه إشارة إلى أن الرحات في الدنيا لا تصفو، ومن الشوائب لا تخلو، وإن اتفق لبعضهم: منها في الأحايين، فإنها سريعة الزوال، وشيكة الارتحال، وما عند الله من الثواب الموعود خير وأبقى من هذا القليل الموجود، بل ما عند الله من الألطاف الخفية والمقامات العلية، والمواهب السنية خير وأبقى مما في الدنيا والآخرة. ﴿للذين آمنوا﴾: أخلصوا في الإيمان، وهو متعلق بأبقى.

وفي «الحواشي السعدية» الظاهر أن اللام للبيان؛ أي: للبيان من له هذه النعمة، وقد بينه أبو الليث في «تفسيره» بقوله: ثم بين لمن يكون ذلك الثواب، فقال للذين آمنوا. ﴿وعلى ربهم

يتوكلون﴾ لا على غيره تعالى؛ أي: خصوا ربهم بالتوكل عليه فيما يعرض لهم من الأمور لا يسندون أمراً إلا إليه، ولا يعتمدون إلا عليه وعن علي رضي الله عنه أنه تصدق أبو بكر رضي الله عنه بماله كله فلامه جميع المسلمين، فنزلت:

مستغرق كار خود جنانم كه دكر　　برواى ملا متكربى كارم نيست

بيّن أن ثواب الآخرة مع كونه خيراً مما في الدنيا وأبقى يحصل لمن اتصف بصفات وجمع بينهما، وهو الإيمان والتوكل، وما ذكر بعدهما، فالمؤمن والكافر يستويان في أن الدنيا متاع لهما يتمتعان بها كما قال في «البستان»:

اديم زمين سفرة عام اوست　　برين خوان يغماجه دشمن جه دوست

وإذا صار إلى الآخرة كان ما عند الله خيراً للمؤمن، فمن عرف فناء متاع الدنيا، وتيقن أن ما عند الله خير وأبقى. ترك الدنيا واختار العقبى، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

حكي: أنه كان لهارون الرشيد ابن في سن ست عشرة، فزهد في الدنيا وتجرد واختار العبادة، فمر يوماً على الرشيد، وحوله وزراؤه، فقالوا: لقد فضح هذا الولد أمير المؤمنين بين الملوك بهذه الهيئة الدنية فدعاه هارون الرشيد. وقال: يا بني فضحتني بحالك هذه، فلم يجبه الولد، ثم التفت فرأى طائراً على حائط، فقال: أيها الطائر بحق خالقك إلا جئت على يدي، فقعد الطائر على يده، ثم قال: ارجع إلى مكانك، فرجع، ثم دعاه إلى يد أمير المؤمنين، فلم يأت، فقال لأبيه، بل أنت فضحتني بين الأولياء بحبك للدنيا، وقد عزمت على مفارقتك. ثم خرج من بلده، ولم يأخذ إلا خاتماً ومصحفاً ودخل البصرة، وكان يعمل يوم السبت عمل الطين، ولا يأخذ إلا درهماً ودانقاً للقوت.

قال أبو عامر الواعظ البصري رحمه الله: استأجرته يوماً، فعمل عمل عشرة، وكان يأخذ كفاً من الطين ويضعه على الحائط ويركب الحجارة بعضها على بعض، فقلت: هذه أفعال الأولياء، فإنهم معانون، ثم طلبته يوماً فوجدته مريضاً في خربة، فقال:

يا صاحبي لا تغترر بتنعم　　فالعمر ينفذ والنعيم يزول

وإذا حملت إلى القبور جنازة　　فاعلم بأنك بعدها محمول

ثم وصاني بالغسل والتكفين في جبته، فقلت: يا حبيبي ولم لا أكفنك في الجديد، فقال: الحي أحوج إلى الجديد من الميت يا أبا عامر: الثياب تبلى والأعمال تبقى، ثم قال: ادفع هذا المصحف والخاتم إلى الرشيد، وقل له: يقول لك ولدك الغريب لا تدومن على غفلتك.

قال أبو عامر: فلما غسلته وكفنته بما أوصى ودفنته. دفعت المصحف والخاتم إلى الرشيد وحكيت ما جرى، فبكى وقال: فيم استعملت قرة عيني وقطعة كبدي؟. قلت: في الطين والحجارة. قال: استعملته في ذلك، وله اتصال برسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فقلت: ما عرفته، قال: ثم أنت غسلته، قلت: نعم، فقبل يدي وجعلها على صدره، ثم زار قبره، ثم رأيته في المنام على سرير عظيم في قبة عظيمة، فسألته عن حاله، فقال: صرت إلى رب راض أعطاني ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، وآلى على نفسه الشريفة؛ أي: قال: والله الذي خلقني لا يخرج عبد من الدنيا كخروجي إلا أكرمه مثل كرامتي.

قال بعضهم: ما ظهر من أفعالك وطاعتك لا يساوي أقل نعمة من نعيم الدنيا من سمع

وبصر، وكيف ترجو بها نجاة الآخرة، فالنعيم كله بالفضل لا بالاستحقاق. ودخل ابن السماك على بعض الخلفاء، وفي يده كوز ماء، وهو يشربه، فقال: عظني، فقال: لو لم تعد هذه الشربة إلا ببذل جميع أموالك وإلا بقيت عطشاناً فهل كنت تعطيه قال: نعم فقال: لو لم تعط إلا بملكك كله، فهل كنت تتركه، قال: نعم، فقال: لا تفرح بملك لا يستوي بشربة ماء. يعني: فشربة ماء عند العطش أعظم من ملك الأرض كلها، بل كل نفس كذلك، فلو أخذ لحظة، ثم انقطع الهواء عنه مات، ولو حبس في بيت حمام حار، أو بئر عميق مات، فعلى العبد التوغل في العبادة شكراً لنعم الله تعالى، ومن أفضل الطاعات التوكل، وهو ترك التدبير والانخلاع عن الحول والقوة.

قال الجنيد قدس سره: حقيقة التوكل أن يكون العبد مع الله بعد وجوده كما كان قبل وجوده، وهو مقتضى الحال، كما أن الكسب مقتضى العلم.

روي: أن النوري قدس سره تعبد مع عالم في مسجد، وكان النوري يجمع ما نبذه الناس في آخر النهار، ويغسله ويأكل معه فسأله سائل، فأعطاه، فقال له رفيقه: العالم قد قنعنا من الدنيا بما يطرحه الناس وأنت تنفقه أيها العابد لو كان معك علم، فبعد ساعة جاء طعام من غني فأكلا، ثم قال النوري أيها العالم لو كان معك حال، فانظر حال التوكل واليقين والاتكال على الملك المتعال من خصائص توحيد الأفعال الحاصل بإصلاح الطبيعة في مقام الشريعة:

باك وصافى شوواز جاه طبيعت بدراى كه صفايى ندهد آب تراب آلوده

﴿وَٱلَّذِينَ يَجۡتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُواْ هُمۡ يَغۡفِرُونَ ٣٧﴾.

﴿والذين﴾. الخ. في موضع الجر عطفاً على الذين آمنوا عطف الصفة على الصفة؛ لأن الذات واحدة، والعطف إنما هو بين الصفات. ﴿يجتنبون﴾: الاجتناب: [بايك سوشدن وترك كردن]. ﴿كبائر الإثم﴾: الإثم: الذنب كما في «القاموس».

وقال الراغب: الإثم والآثام اسم للأفعال المبطئة عن الثواب. وقوله تعالى: ﴿فِيهِمَآ إِثۡمٞ كَبِيرٞ﴾ [البقرة: ٢١٩]؛ أي: في تناولهما إبطاء عن الخيرات وتسمية الكذب إثماً، كتسمية الإنسان حيواناً لكونه من جملتهم، والكبيرة ما أوجب الله عليه الحد في الدنيا والعذاب في الآخرة.

وفي «المفردات» الكبيرة متعارفة في كل ذنب تعظم عقوبته. والمعنى: يجتنبون الكبائر من هذا الجنس، فالإضافة بمعنى من ولكون المراد جنس الإثم، لم يقل كبائر الآثام.

قال في «كشف الأسرار»: أضاف الكبائر إلى الإثم، فإن إثم الصغيرة مغفور إذا اجتنب الكبيرة، كما قال الله تعالى: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ نُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ﴾ [النساء: ٣١].

قرأ حمزة والكسائي وخلف: كبير الإثم على التوحيد إرادة الجنس. قال الراغب: قوله: ﴿والذين يجتنبون كبائر الإثم﴾. وقوله: ﴿إِن تَجۡتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنۡهَوۡنَ عَنۡهُ﴾ قيل: أريد بهما الشرك لقوله: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣].

قال ابن عباس: كبير الإثم هو الشرك. قال الإمام الرازي: هو عندي ضعيف؛ لأن ذكر الإيمان يغني عنه.

يقول الفقير: لا يغني؛ فإنه بالإيمان يحصل الاجتناب عن مطلق الشرك الشامل للجلي والخفي، بل عن الجلي فقط. وقد أطلق عليه السلام: «الشرك على الرياء حيث قال: اتقوا الشرك الأصغر». فالقول ما قال ترجمان القرآن رضي الله عنه. وقرأ الباقون كبائر الإثم على إرادة جميع المعاصي الموبقة، وهو الشرك بالله؛ أي: الكفر مطلقاً، وإن لم يعبد الصنم، وقتل النفس بغير حق سواء قتل نفسه، أو غيره وقذف المحصنة؛ أي: شتم الحرة المكلفة المسلمة العفيفة التي أحصنها الله عن القبائح والزنا، وهو وطء في قبل المرأة خال عن ملك وشبهة فوطء البهيمة، واللواطة ليس بزنا، والسحر ويقتل الساحر ذكراً كان أو أنثى، إذا كان سعيه بالإفساد والإهلاك في الأرض، وأما إذا كان سعيه بالكفر، فيقتل الذكر وتضرب الأنثى وتحبس، وأكل مال اليتيم إلا بجهة الشرع، كما قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ﴾ [الأنعام: ١٥٢]، وأما ما أخذه قضاة الزمان حقاً للقسمة، فأصله مشروع إذا لم يعين له من بيت المال حق وكميته مشكلة وعقوق الوالدين المسلمين إذا كان مؤدياً إلى إضاعة الحقوق، وإلا فلا طاعة لمخلوق في معصية الخالق. وأما إذا كانا كافرين قال الله تعالى في حقهما: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ﴾ [العنكبوت: ٨]، والإلحاد في الحرم؛ أي: الذنب فيه، ولو صغيرة، فالكبيرة فيه كبيرتان. وقيل: الإلحاد فيه منع الناس عن عمارته، ومن عمارته الحج، فالأعراب الذين يقطعون طريق الحجاج في هذه الزمان إن استحلوا ذلك كفروا، وإلا أثموا إثماً كبيراً، وأكل الربا؛ أي: الانتفاع بالربا سواء كان أكلاً أو غيره، وإنما ذكر أكله لكونه معظم منافعه، والسرقة ونصابها عند أبي حنيفة قدر عشرة دراهم عيناً، أو قيمة، وهذا نصاب السرقة في حق القطع، وأما في حق العيب، فأخذ ما دون عشر يعد سرقة أيضاً شرعاً، ويعد عيباً حتى يرد العبد به على بائعه وشرب الخمر، وقطع الطريق خصوصاً إذا كان مع أخذ المال، فإنه فوق السرقة وشهادة الزور واليمين الغموس وسوء الظن بالله وحب الدنيا ولعن الرجل، الدية سواء كان بوسط أو بغيره، ومعنى بوسط أن يسب أبا رجل وأمه، فيسب هو أباه وأمه وأذية الرسول عليه السلام؛ فإنها فوق عقوق الوالدين وسب الشيخين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما.

قال القهستاني: سب أحد من الصحابة ليس بكفر كما في «خزانة المفتين» وغيرها، لكن في «مجموع النوازل» لو قال أحد: من يسب الشيخين، أو يلعنهما رضي الله عنهما، لم يقتص منه؛ فإنه كافر؛ لأن سبهما يصرف إلى سب النبي عليه السلام، وسب الختنين ليس بكفر كما في «الخلاصة»، وهو مشكل؛ لأن سب أهل العلم على وجه الإهانة إذا كان كفراً، فكيف لا يكون سب الختنين كفراً، وسب العالم بالعلوم الدينية على وجه المزاح، فإنه يعزر والإصرار على الصغيرة، فإنه عليه السلام قال: «لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار».

وقد قال الإمام علاء الدين التركستاني الحنفي رحمه الله في «منظومته»: عدد الكبائر سبعون:

فمنها: الغناء، بالكسر والمد، وقد يقصر، وهو رفع الصوت بالأشعار والأبيات على نحو مخصوص. قال الإمام الغزالي رحمه الله في «الإحياء»: واحتجوا على حرمة الغناء بما رواه أبو أمامة رضي الله عنه عن النبي عليه السلام أنه قال: «ما رفع أحد صوته بغناء إلا بعث الله له شيطانين على منكبيه يضربان بأعقابهما على صدره حتى يمسك».

قال بعضهم: المراد به الغناء الذي يحرك من القلب ما هو مراد الشيطان من الشهوة ومحبة المخلوقين لا ما يحرك الشوق إلى الله، ويرغب في الآخرة.

ومنها: الظلم والغيبة والتجسس والتطفيف في الكيل والوزن والكبر والعجب والحسد وترك الوفاء بالعهد والخيانة في نسوة الجيران وترك الصلاة والصوم والزكاة والحج إذا كان له استطاعة. وفي الطريق أمن ونسيان القرآن، وكتم الشهادة، وقطع الرحم والسعي بين اثنين بالفساد والحلف بغير الله والسجدة لمخلوق، فإنها كعبادة الصنم وترك الجمعة، والجماعة، وأن يقول لمسلم يا كافر ومصادقة الأمير الجائر ونكاح الكف.

وفي الحديث: «ناكح الكف ملعون»، وهو من يعالج ذكره بيده حتى يدفق، كما في «شرح المنار» لابن الملك.

وقال الرهاوي: لم أجده في كتب الحديث، وإنما ذكره المشايخ في كتب الفقه، وفي «حواشي البخاري»: والاستمناء باليد حرام بالكتاب والسنة. قال الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَٰفِظُونَ ۝٥﴾ إلى قوله: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْعَادُونَ﴾ [المؤمنون: ٥ ـ ٧]؛ أي: الظالمون المتجاوزون الحلال إلى الحرام.

قال ابن جريج: سألت عطاء عنه. قال: سمعت أن قوماً يحشرون وأيديهم حبالى وأظنهم هؤلاء نعم يباح عند أبي حنيفة وأحمد، إذا خاف على نفسه الفتنة وأراد تسكين الشهوة. وكذلك يباح الاستمناء بيد امرأته وجاريته عند الضرورة.

ومنها: تعييب أحد من الناس والقصاص بغير عدل وترك العدل في القسم وترك الشكر في القسم واللواطة، وإتيان المرأة في الحيض والسرور بالغلاء والخلوة بالأجنبية، وإتيان البهيمة. وقد كان بعض الجهال من الزهاد يفعله تسكيناً للشهوة، ثم علم حرمته وتاب.

وفي «نوادر أبي يوسف» ويطأ بهيمة نفسه تذبح وتحرق إن لم تكن مأكولة، وإن كانت مما يؤكل تذبح ولا تحرق، وإن كانت لغيره تدفع إلى الفاعل على القيمة، وتذبح وتحرق.

وقال بعضهم: تؤكل وفي الأجناس من أصحابنا من قال: تذبح وتحرق على وجه الاستحباب أما بهذا الفعل لا يحرم أكل الحيوان المأكول. كذا في «خزانة الفتاوى».

ومنها: تصديق الكاهن، وهو الذي يخبر عن الكوائن في مستقبل الزمان ويدعي معرفة الأسرار ومطالعة علم الغيب واللعب بالنردشير.

وفي الحديث: «من لعب بالشطرنج والنردشير فكأنما غمس يده في دم الخنزير. الشطرنج معرب [صدرنك ورنك] في الفارسية: الحيلة والنردشير اللعب المعروف بالنرد. قال صاحب «الهداية» يكره اللعب بالنرد والشطرنج، والأربعة عشر، وكل لهو؛ لأنه إن قامر بها فالميسر حرام بالنص، وهو اسم لكل قمار، وإن لم يقامر، فهو عبث.

ومنها: النياحة واستباحتها وإظهار الصلاح وإخفاء الفسق وتعييب الطعام واستماع الملاهي.

وفي الحديث: «استماع صوت الملاهي معصية، والجلوس عليها فسق، والتلذذ بها كفر، وهو على وجه التهديد، ولو أمسك شيئاً من المعازف كالطنبور والمزمار ونحوهما يأثم، وإن كان لا يستعملهما؛ لأن إمساكهما يكون للهو عادة.

ومنها: الرقص بالرباب ونحوه، ودخول بيت الغير بغير إذنه، والنظر فيه، والنظر إلى

الوجه المليح عن شهوة، فإن الصبيح في حكم النساء بل أشد، ولذا قيل: إن مع كل امرأة شيطانين، ومع كل غلام ثمانية عشر شيطاناً، وكان محمد بن الحسن صبيحاً، وكان أبو حنيفة رحمه الله يجلسه في درسه خلف ظهره، أو خلف سارية المسجد حتى لا يقع عليه بصره مخافة من خيانة العين مع كمال تقواه. وفي «بستان الفقيه»، ويكره مجالسة الأحداث والصبيان والسفهاء؛ لأنه يذهب بالمهابة ورؤي واحد في المنام بعد موته، وقد اسود وجهه، فسئل عن ذلك، فقال: نظرت إلى غلام، فاحترق وجهي في النار.

ومنها: ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والسخرية وأخذ الصلة والعطاء من أهل الجور. وقال قوم: إن صلات السلاطين تحل للغني والفقير إذا لم يتحقق أنها حرام، وإنما التبعة على المعطي.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: إذا كان ظاهر الإنسان الصلاح والستر، فلا حرج عليك في قبول صلاته وصدقته، ولا يلزمك البحث، بأن تقول فسد الزمان، فإن هذا سوء ظن بذلك الرجل المسلم. ﴿والفواحش﴾: [وازكار هازشت]. جمع فاحشة، وهي القبيحة أو المفرطة في القبح.

قال في «القاموس»: الفاحشة الزنا، وما يشتد قبحه من الذنوب، فيكون عطف الفواحش على الكبائر من عطف البعض على الكل إيذاناً بكمال شناعته. وقيل: هما واحد والعطف لتغاير الوصفين؛ كأنه قيل: يجتنبون المعاصي، وهي عظيمة عند الله في الوزن وقبيحة في العقل والشرع.

وفي «التأويلات النجمية»: كبائر الإثم حب الدنيا ومتابعة الهوى؛ فإنها رأس كل خطيئة ومنشؤها، والفواحش هي الاشتغال بطلب الدنيا وصرفها في اتباع الهوى. ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾: إذا ظرفية عمل فيها يغفرون. والجملة الاسمية: هي المعطوفة على الصلة، وهي يجتنبون عطف اسمية على فعلية، والتقدير: والذين يجتنبون وهم يغفرون لا أنها شرطية، والاسمية جوابها لخلوها عن الفاء، وما زائدة مع إذا فإنها وإن كانت تزاد مع إذا التي للشرط، لكن في إذا الزمانية معنى الشرط، وهو ترتب مضمون جملة على أخرى، فتضمنت معنى حرف الشرط، فلذلك اختير بعدها الفعل لمناسبة الفعل الشرط، وإذا الزمانية للمستقبل، وإن كانت داخلة على المضي كما عرف في النحو والغضب ثوران دم القلب إرادة الانتقام. ولذلك قال عليه السلام: «اتقوا الغضب فإنه جمرة توقد في قلب ابن آدم ألم تروا إلى انتفاخ أوداجه وحمرة عينيه».

وقوله: هم مبتدأ ويغفرون خبره. والمغفرة هنا، بمعنى العفو والتجاوز والحلم وكظم الغيظ.

والمعنى: وهم يعفون ويتجاوزون ويحلمون ويكظمون الغيظ وقت غضبهم على أحد ويتجرعون كاسات الغضب النفسانية بأفواه القلوب الروحانية الربانية، ويسكنون صورة الصفة الشيطانية. وبالفارسية: [ووقتى كه خشم كيربد بر مردمان بيست رنجى وزيانى ومكروهى كه بديشان رسانند ايشان در ميكذر اندانرا وعفو ميكنند].

وفيه دلالة على أنهم الأخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها لا يزيل الغضب أخلاقهم كسائر الناس، وذلك؛ لأن تقديم الفاعل المعنوي، أو التقديم مطلقاً يفيد الاختصاص، ثم يجوز في النظم أن يكون هم تأكيداً للفاعل في قوله: غضبوا وعلى هذا فيغفرون جواب الشرط كذا في «الحواشي السعدية».

قال بعض الكبار في قوله: ﴿للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون﴾ إشارة إلى مقام الرضا وتوحيد الأفعال، والصفات، فتوحيد الأفعال بإصلاح الطبيعة وتوحيد الصفات بإصلاح النفس بالاجتناب عن كبائرالإثم، وفواحش الشرك والسيئات، والاحتراز عن الغضب، وسائر رذائل الصفات. قيل لبعض الأنبياء: إذا خرجت من بيتك غداً، فكل من استقبلك أولاً واستر الثاني، وأعرض عن الثالث، فلما كان الغد استقبله جبل عظيم، فقصد إلى أكله امتثالاً للأمر، فصار تفاحة، فأكلها فوجدها ألذ الأشياء، ثم وجد طشتاً من ذهب، فكلما ستره خرج، ثم رأى مزابل، فأعرض عنها، فقيل: أما الجبل فالشدة والغضب، فعند ظهورها ترى كالجبل، فبالصبر وقصد الهضم تصير حلواً:

تحمل نما يد جو زهرت نحست ولى شهد كردد جودر طبع رست

وأما الطشت، فالحسنات وحسن الحال، فكلما قصد صاحبها إلى سترها انكشفت:

اكر مسك خالص ندارى مكوى وكرهست خود فاش كردد ببوى

وأما المزابل، فالدنيا:

جاى روح باك عليين بود كرم باشد كش وطن سركين بود

﴿وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟ لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْىُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿والذين استجابوا لربهم﴾: نزلت في الأنصار دعاهم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم إلى الإيمان، فاستجابوا له؛ أي: لرسول الله من صميم القلب، كما هو المفهوم من إطلاق الاستجابة. وفيه إشارة إلى أن الاستجابة للرسول استجابة للمرسل، فهو من عطف الخاص على العام لمزيد التشريف، وذلك لأن الاستجابة داخلة في الإيمان، فما وجه العطف مع عدم التغاير بين الوصفين، ولا يلزم فيه أن تكون الآية مدنية، فإن كثيراً منهم أسلموا بمكة قبل الهجرة.

وفي الآية إشارة إلى استجابة خطاب ﴿ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ﴾ [الفجر: ٢٨]، فإنها استجابة مخصوصة بالنفس حاصلة لها بالسلوك. ﴿وأقاموا الصلاة﴾ من أوصاف الأنصار أيضاً، والمراد: الصلوات الخمس، فإنهم يجدون أوقاتها، وإن كان تفاوت قليل في ساعات الليل والنهار في الحرمين الشريفين على ما جربناه. قال العلماء من الناس من لم يجد وقت المغرب والعشاء؛ لأنه يطلع الفجر حين تغرب الشمس، فيسقط عنهم ما لا يجدون وقته، وهذا كما أن رجلاً إذا قطع يداه مع المرفقين أو رجلاه مع الكعبين، ففرائض وضوئه ثلاثة لفوات محل الرابعة، وإنما ذكر إقامة الصلاة، ولم يذكر غيرها من العبادات، كإيتاء الزكاة والصوم مثلاً؛ لأنه ما بين العبد والإيمان إلا إقامة الصلاة، كما أنه ما بينه وبين الكفر إلا ترك الصلاة، فإذا أقام الصلاة فقد آمن وأقام الدين كما إذا تركها، فقد كفر وهدم الدين.

وفي الحديث: «أول ما يحاسب العبد يوم القيامة بصلاته، فإن صلحت أفلح وأنجح، وإن فسدت، فقد خاب وخسر». وقال عليه السلام: «أول ما يحاسب الرجل على صلاته، فإن كملت وإلا أكملت بالنافلة»، ثم يأخذ الأعمال على قدر ذلك. ﴿وأمرهم شورى بينهم﴾ مصدر كالفتيا بمعنى التشاور وأصله: من الشور وهو الإخراج تسمى به؛ لأن كل واحد من

المتشاورين في الأمر يستخرج من صاحبه ما عنده. والمعنى: وأمرهم ذو شورى لا ينفردون برأي حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه. وبالفارسية: [كار ايشان بامشور تست ميان ايشان].

قال سعدي المفتي: فإن قلت: لا حاجة إلى إضمار المضاف لظهور صحته وشأنهم تشاور، قلت: المصدر المضاف من صيغ العموم، فيكون المعنى جميع أمورهم تشاور ولا صحة له إلا أن يقصد بالمبالغة في كثرة ملابستهم به وعلى هذا، فيجوز أن يكون قوله: ذو شورى لبيان حاصل المعنى. انتهى، وكانوا قبل الهجرة، وبعدها إذا حزبهم أمر اجتمعوا وتشاوروا، وذلك من فرط تدبرهم وتفقههم في الأمور:

مشورت بهر آن صواب آمد   در همه كار مشورت بايد

وفي «عين المعاني»: وأمرهم شورى بينهم حين سمعوا بظهوره عليه السلام، فاجتمع رأيهم في دار أبي أيوب على الإيمان به والنصر له. وقيل لها: العموم؛ أي: لا يستبدون برأيهم فيما لا وحي فيه من أمر الدين، بل يشاورون الفقهاء. وقيل: في كل ما يعرض من الأمور. انتهى.

قال علي رضي الله عنه: نعم الموازنة المشاورة وبئس الاستعداد الاستبداد. قال حكيم: اجعل سرك إلى واحد ومشورتك إلى ألف. وقيل: إن من بدأ بالاستخارة وثنى بالاستشارة لحقيق أن لا يضل رأيه. قال الإسكندر: لا يستحقر الرأي الجزيل من الرجل الحقير، فإن الدرة لا يستهان بها لهوان غائصها. يقال: أعقل الرجال لا يستغني عن مشاورة أولي الألباب، وأفره الدواب لا يستغني عن السوط وأورع النساء لا يستغني عن الزوج.

وفي الآية إشارة إلى التمسك بذيل إرادة المشايخ في السلوك إلى الحضرة ليتسلكوا بمشاورتهم وإرشادهم لا باسترسال النفس والهوى وتلقين الشيطان، كما قال الجنيد قدس سره: من لم يكن له أستاذ، فأستاذه الشيطان. ﴿ومما رزقناهم﴾ من الأموال ﴿ينفقون﴾؛ أي: في سبيل الخير ولا التفات إلى إنفاق الكافر؛ فإنه لم يستجب لربه بالإيمان والطاعة، فخيره محبط بكفره ولعل فصله عن قرينه بذكر المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات كما في «الإرشاد».

وقال سعدي المفتي: ثم إن إدخال هذه الجملة في مرهم العين، لعله لمزيد الاهتمام بشأن التشاور للمبادرة إلى التنبيه على أن استجابتهم للإيمان كانت عن بصيرة ورأي سديد. انتهى.

وفي الآية دلالة على فضيلة الإنفاق والتوكل على الغني الخلاق.

حكي: أن بعض الشيوخ أخذه الناس ليشهدوا عند سلطان المغرب بفسقه وبكونه واجب القتل، فمر الشيخ في الطريق بخباز، فاستقرض منه نصف خبز فتصدق به، فلما حضر وافى الديوان شهدوا له بالخير، ولم يقدروا على خلافه، وذلك ببركة الصدقة، كما قال عليه السلام: اتقوا النار، ولو بشق تمرة، فإذا كان نصف تمرة وقاية من النار الكبرى، فكيف لا يكون نصف خبز وقاية من النار الصغرى رسول الله. [فرموده است كه صدقة نهاني خشم حق رابنشاند ودر موقف قيامت صدقة راساية است كه از حرارت آفتاب آن روزنكاه داردو دوساية صدقة خود آسوده باشد تاحكم خلق بآخر رسد]. قال الصائب:

زمان خويش بإحسان تمتعى بردار   مشو جو كنج بنامى جوازدها قانع

سئل الشبلي قدس سره عن الزكاة، فقال: أما عليك ففي عشرين درهماً، خمسة دراهم وأما علي ففي عشرين درهماً عشرون درهماً، يعني: أن مذهب الصوفية بذل الكل، والتوجه من الأسباب إلى المسبب، فقال: هذا مذهب من؟ فقال: مذهب أبي بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك أن الصديق رضي الله عنه أنفق جميع ماله للتجرد والخلاص من الشح، ولم يبق له شيء يتستر به، فأرسلت إليه فاطمة رضي الله عنها خرقة فتستر بها، وعزم إلى مجلس النبي عليه السلام، فنزل جبرائيل عليه السلام على زي أبي بكر، فسأله النبي، فقال: «إن ملائكة السماء كلهم على هذا الزي اتباعاً لأبي بكر»، ثم قال: «إن الله تعالى يسلم عليك، ويقول: قل لأبي بكر رضي الله عنه هل رضي مني؟ فقد رضيت عنه»، وعلم منه أن ترك الدنيا وسيلة إلى رضا الله تعالى. كما أن ترك ما سوى الله موصل إلى الله، ثم إن الإنفاق لا ينحصر في المال، بل يتناول كل بر ومعروف، كما قال عليه السلام: «كل معروف صدقة»، والمراد: ما عرف فيه رضى الله تعالى من الأموال والأقوال والأفعال، وإنفاق الواصلين إلى التوحيد والمعرفة أشرف وأفضل؛ لأن نفع الأموال للأجساد، ونفع المعارف للقلب والأرواح.

[در كشف الأسرار فرموده كه أبو بكر شبلي بيش ازانكه قدم دركوى طريقت نهاد بيش از ايشان ببغداد مير سيد عادت داشت كه دزديده بمجلس جنيد رفتى روزى برزبان جنيد برفت كه اكر همه بت برستان وناكسان عالم رابفردوس أعلى فرود آرد هنوز حق سبحانه وتعالى كرم خود رانكزارده باشد شبلي ازجاى برجست نعره زنان وجامه درآن كفت منم ازنا كسان جه كويى مرابذيرد درين حال جنيد كفت اى جوان بمراسلت موسى وهارون جندين سال فرعون مدبر راميخواندند تابيذيرد اكر سوخته موحد كه به باى خود آيد أوراجون نبذير دشبلي دركار آمد وهرجه داشت از ضياع وأثواب وأموال جمله درباخت ومجرد ماندانكه كفت اى شيخ مراجه بايد كرد كفت دربازار بايد شد ودريوزه بايد كرد همجنان كرد تاجنان كشت كه كس بوى خبرى ندارد بس جنيد تازيانه بوى داد وكفت درين سردابة شودرد رابداندوه وخشم باب حسرت سبار وهركاه كه خبر حق بر خاطر كذر كند باين تازيانه اندامهاى خويش درهم شكن شبلي سه سال دران سردابه آب حسرت ازديدكان همى ريخت وبروز كار كذشته دريغ وتحسر همى خورد بعد ازسه سال سكرى دروى بديد آمد همجو مستان واله وسر كردان ازان سردابه برون آمد كاردى بدست كرفت ودر بغداد همى كشت وميكفت بجلال قدر حق كه هركه نام دوست بردباين كارد سرش ازتن جدا كنم آن خبر بجنيد رسيد جنيد كفت اورا شربتى داده اند مست كشته ازمستى وبيخودى ميكويد آنجه ميكويد جون باخود آيدسا كن شود يكسال دران مقامش بداشتند جون ازان مقام در كذشت دامن خويش براز شكر كرده بكرد محلها ميكشت وميكفت هركه بكويد الله دهانش براز شكر كنم بس عشق وى روى درخر أبى نهاد بيوسته درهمه اوقات همى كفت الله تاروزى كه جنيد كفت يا أبا بكر اكردوست غايبست اين غيب كردن جراست واكر حاضراست اين كستاخى وترك أدب از كجاست سخن جنيد أورا ساكن كرد بس جنيد بفرمود تا أورا بحمام بردند وموى جند ساله از سروى فرو كردند آنكه دست وى كرفت وبمسجد شونيزيه برد هشتاد كس از جوا نمردان طريقت وسلاطين حقيقت حاضر بودند جون أبو الحسين نورى وابو علي رود بارى وسمنون المحب ورويم بغدادي وجعفر خلدى وامثال ايشان جنيد كفت اي مشايخ وأصحاب هرجه بير سرى سقطى از رياضت ومجاهده

ازمابديد ما ازين كودك بديديم اكر اجازت فرماييد بالباس بكرداند باشدكه بركات اين لباس اورا بر استقامت دين بداردو اكر حق اين لباس فرو نهد لباس خود ازوى دادخود بستاند جنيد برباى خاست ومرقع از سر خود بركشيد ودر كردن شبلي افكند].

يقول الفقير: في هذه الحكاية إشارات:

منها: أن الشبلي قدس سره خرج من جميع ماله، فصار نظير الصديق رضي الله عنه من هذه الأمة:

صائب حريف سيلى باد خزان نه بيش از خزان خود بفشان برك وباررا

ومنها: أن الجنيد قدس سره: انفق على الشبلي من معارفه وأنعم عليه حال إرشاده من عوارفه؛ لأن الغنى مأمور بإنفاق بعض ماله عند وجدان مصارفه. قال الحافظ:

اي صاحب كرامت شكرانه سلامت روزى تفقدى كن درويش بى نوارا

ومنها: أن المريد لا يصلح لخرقة المشايخ إلا بعد الاستعداد لها بمدة، وأن الخرقة من شأن أهل التجرد. قال الجامي:

وصلش مجوى در اطلس شاهى كه دوخت عشق

اين جامه برتنى كه نهان زيرزنده بود

ومنها: أن ابتداء الأمر من الله وانتهاءه أيضاً إلى الله ألا إلى الله تصير الأمور، والله خير وأبقى:

جند بويد بهواى تو بهر سو حافظ يسر الله طريقاً بك يا ملتمسي

﴿والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون﴾ معطوف على ما قبله من الموصول والإصابة. بالفارسية: [برسيدن]. والبغي: الظلم والتجاوز عن الحد والقصر المفهوم من تقديم هم إضافي والانتصار طلب النصرة.

وفي «تاج المصادر»: [دادستدن].

والمعنى: إذا وصل إليهم الظلم والتعدي من ظالم متعد ينتقمون ويقتصون ممن بغى عليهم على الوجه الذي جعله الله، ورخصة لهم لا يتجاوزون ذلك الحد المعين، وهو رعاية المماثلة، وأما غيرهم، فليسوا كذلك، فهذا هو معنى التخصيص هنا. وبه أيضاً تندفع المخالفة بين وصفين كل منهما على طريق القصر، وهذا وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر أمهات الفضائل من الدين، والتيقظ والحلم والسخاء. وذلك لأن البغي إنما يصيبهم من أهل الشوكة والغلبة، وإذا انتقموا منهم على الحد المشروع كراهة التذلل باجتراء الفساق عليهم وردعاً للجاني عن الجراءة على الضعفاء، فقد ثبت شجاعتهم وصلابتهم في دين الله.

وكان النخعي رحمه الله إذا قرأ هذه الآية يقول: كانوا يكرهون أن يذلوا أنفسهم فتجترىء عليهم السفهاء. قال الشاعر:

ولا يقيم على ضيم يراد به إلا الأذلان غير الحي والوتد

هذا على الخسف مربوط برمته وذا يشج فلا يرثي له أحد

أي: لا يصبر على ظلم يراد في حقه إلا الأذلان اللذان هما في غاية الذل، وهما: الحمار المربوط على الذل بقطعة حبل بالية، والوتد الذي يدق ويشق رأسه، فلا يرحم له

أحد، ولفظ البيت خبر. والمعنى: نهي عن الصبر على الظلم وتحذير وتنفير للسامعين عنه، فإن قلت: لما كان عطف الذين استجابوا من عطف الخاص تضمن وصف المعطوف عليه، وصف المعطوف.

قلت: هذا الانتصار لا ينافي وصفهم بالغفران، فإن كلاً منهما فضيلة محمودة في موقع نفسه ورزيلة مذمومة في موقع صاحبه، فإن الحلم عن العاجز وعورات الكرام محمود، وعن المتغلب وهفوات اللئام مذموم، فإنه إغراء على البغي، وعليه قول من قال:

إذا أنت أكرمت الكريم ملكته وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا
فوضع الندا في موضع السيف بالعلى مضر كوضع السيف في موضع الندا

فالعفو على قسمين:

أحدهما: أن يصير العفو سبباً لتسكين الفتنة ورجوع الجاني عن بغايته فآيات العفو محمولة على هذا القسم، فزال التناقض، فمن أخذ حقه من ظالم غير عاد لأمر الله، فهو مطيع. وقال ابن زيد وبعض المالكية: جعل الله المؤمنين صنفين صنفاً يعفون عن ظالميهم، فبدأ بذكرهم في قوله: ﴿وإذا ما غضبوا هم يغفرون﴾ وصنفاً ينتصرون من ظالميهم.

وقال بعضهم: الأول وصف الخواص. وهذا وصف العوام. وقال الكاشفي: [جون برسد ايشانرا ستمى از كافران ايشان از دشمنان خود انصاف بستانند بشمشير يعني از ايشان انتقام كشند زيرا كه انتقام از كفار فرض است وجهاد كردن با ايشان لازم].

وأشارت الآية إلى أن الظالم مغلوب قال علي كرم الله وجهه: لا ظفر مع البغي.

هركه ازراه بغى خيرى جست ظفر ازواه او عنان برتافت
و رظفر يافت منفعت نكرفت بس جنانست آن ظفر كه بتافت

﴿وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾

﴿وجزاء سيئة﴾ [وباداش كرداريد] ﴿سيئة مثلها﴾ كرداريست مانند آن.

وهو بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه في نفسه إساءة إلى الغير بالإشارة إلى أن البادي هو الذي فعله لنفسه، فإن الأفعال مستتبعة لأجزيتها حتماً إن خيراف فخير وإن شراً فشر. وفيه تنبيه على حرمة التعدي وإطلاق السيئة على الثانية مع أنها جزاء مشروع مأذون فيه، وكل مأذون حسن لا سيىء، لأنها تسوء من نزلت به، أو للازدواج. يعني: المشاكلة كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنۡ عَاقَبۡتُمۡ﴾ [النحل: ١٢٦]، وعلى هذا فالسيئة مقابل الحسنة بخلافها في الوجه الأول. والمعنى: أنه يجب إذا قوبلت الإساءة أن تقابل بمثلها من غير زيادة.

قال الحسن: إذا قال: لعنك الله أو أخزاك الله، فلك أن تقول: أخزاك الله أو لعنك الله، وإذا شتمك، فلك أن تشتمه بما شتم ما لم يكن فيه حد، كلفظ الزنا، أو كلمة لا تصلح، فلا تجري المقابلة في الكذب والبهتان.

قال في التنوير: قال لآخر: يا زاني، فقال له الآخر: لا بل أنت الزاني حداً بخلاف ما لو قال له مثلاً: يا خبيث، فقال: أنت تكافئا ولو لم يجب، بل رفع الأمر إلى القاضي ليؤدبه

جاز. وعن بعض الفقهاء في هذه الآية. وقد قيل: إنه الشافعي رحمه الله أن للإنسان أن يأخذ من مال من خانه مثل ما خانه من غير علمه، واستشهد في ذلك بقول النبي عليه السلام: «لهند زوجة أبي سفيان: خذي من ماله ما يكفيك وولدك»، فأجاز لها أخذ ذلك بغير إذنه. كذا ذكره القرطبي في «تفسيره».

﴿فمن عفا﴾ عن المسيء إليه جنايته، أي: ترك القصاص. وقال الكاشفي: [بس هركه عفو كند از ستكار خودكه مسلمان باشد وترك انتقام نمايد ازوى]. ﴿وأصلح﴾ بينه وبين من يعاديه بالعفو والإغضاء. قال في «الحواشي السعدية»: الفاء للتفريع، أي: إذا كان الواجب في الجزاء رعاية المماثلة من غير زيادة، وهي عسرة جداً، فالأولى العفو والإصلاح إذا كان قابلاً للإصلاح بأن لم يصر على البغي وفي الحديث: ما زاد الله عبد العفو إلا عزاً. ﴿فأجره على الله﴾ عدة مبهمة منبئة عن عظمة شأن الموعود وخروجه عن الحد المعهود ﴿إنه لا يحب الظالمين﴾ البادئين بالسيئة والمتعدين في الانتقام، وهو استئناف تعليلي متعلق بقوله وجزاء. إلخ.

وقوله: فمن عفا إلخ. اعتراض يعني: إنما شرعت المجازاة وشرطت المساواة، لأنه لا يحب الظالمين وذكر أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان عند النبي ﷺ ورجل من المنافقين يسبه وأبو بكر لم يجبه ورسول الله ساكت يتبسم، فأجابه أبو بكر، فقام النبي عليه السلام، وذهب، فقال أبو بكر: يا رسول الله ما دام يسبني كنت جالساً، فلما أجبته قمت، فقال النبي عليه السلام: «إن ملكاً كان يجيبه عنك، فلما أجبته ذهب الملك وجاء الشيطان، وأنا لا أكون في مجلس يكون هناك الشيطان، فنزل ﴿فمن عفا وأصلح فأجره على الله»﴾. وفي الحديث: «إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ أين العافون عن الناس هلموا إلى ربكم وخذوا أجوركم وحق لكل مسلم إذا عفا أن يدخله الجنة».

عفو از كناه سيرث اهل فتوتست بي حلم وعفو كار فتوت نمام نيست

وعنه عليه السلام: «إذا جمع الله الخلائق يوم القيامة نادى منادٍ: أين أهل الفضل، فيقوم ناس وهم قليلون فينطلقون سراعاً إلى الجنة فتتلقاهم الملائكة، فيقولون: إنا نراكم سراعاً إلى الجنة، فمن أنتم؟ فيقولون: نحن أهل الفضل، فيقولون وما كان فضلكم فيقولون كنا إذا ظلمنا صبرنا وإذا أسيء إلينا اغتفرنا وإذا جهل علينا حلمنا، فيقولون لهم: ادخلوا الجنة، فنعم أجر العاملين».

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن أرباب القلوب الذين أصابهم الظلم من قبل أنفسهم هم ينتصرون من الظالم، وهو نفسهم بكبح عنانها عن الركض في ميدان المخالفة وجزاء سيئة صدرت من النفس من قبل الحرص والشهوة أو الغضب أو البخل، أو الجبن أو الحسد أو الكبر أو الغل. سيئة تصدر من القلب مثل ما يصادف علاجها، أي: بضد تلك الأوصاف، فإن العلاج بأضداد هاو لا يجاوز عن حد المعالجة في رياضة النفس وجهادها، فإن لنفسك عليك حقاً، فمن عفا عن المبالغة في رياضة النفس وجهادها بعد أن أصلح النفس بعلاج أضداد أوصافها فأجره على الله تعالى، بأن يتصف بصفاته فإن من صفاته العفو وهو عفو يحب العفو فيكون العبد عفواً محبوباً لله تعالى إنه لا يحب الظالمين الذين يضعون شدة الرياضة مع النفس موضع العفو.

﴿ولمن انتصر بعد ظلمه﴾ اللام لام الابتداء. ومن شرطية لدخول الفاء في جوابها، وهو

فأولئك أو موصولة. ودخلت الفاء لشبه الموصول بالشرط. وقوله بعد ظلمه من إضافة المصدر إلى المفعول، أي: بعد ما ظلم وقرىء به وتذكير الضميرين باعتبار لفظ من. والمعنى: ولمن انتقم واقتص بعد ظلم الظالم إياه يعني في الحقوق المالية. والجزاء فيما إذا ظفر بالجنس عندنا وعند الشافعي بغير الجنس أيضاً.

﴿فأولئك﴾ المنتصرون، فهو إشارة إلى من والجمع باعتبار المعنى. ﴿ما عليهم من سبيل﴾ بالمعاتبة أو المعاقبة، لأنهم فعلوا ما أبيح لهم من الانتصار. [يا ايشانرا كناهى نيست]. والسبيل: الطريق الذي فيه سهولة. والآية دفع لما تضمنه السياق من إشعار سد باب الانتصار ﴿إنما السبيل على الذين يظلمون الناس﴾، أي: يبتدئونهم بالإضرار أو يعتدون في الانتقام ﴿ويبغون في الأرض بغير الحق﴾، أي: يتكبرون فيها تجبراً وإفساداً. ﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغي بغير الحق. ﴿لهم عذاب أليم﴾ بسبب ظلمهم وبغيهم. ﴿ولمن صبر﴾ على الأذى واللام للابتداء. ومن موصولة مبتدأ ﴿وغفر﴾ لمن ظلمه، ولم ينتصر، وفوض أمره إلى الله تعالى وعن علي رضي الله عنه الجزع أتعب من الصبر:

در حوادث بصبر كوش كه صبر برضاى خداى مقرونست

﴿إن ذلك﴾ منه لأنه لا بد من العائد إلى المبتدأ، فحذف ثقة بغاية ظهوره كما في قوله: السمن منوان بدرهم. وفي «حواشي سعدي المفتي» قد يقال: لا حاجة إلى تقدير الراجح، لأن ذلك إشارة إلى صبره لا إلى مطلق الصبر، فهو متضمن للضمير فإن قلت: إن دلالة الفعل إنما هي على الزمان، ومطلق الحدث، كما قرر فالظاهر رجوع الضمير إليه، قلت: نعم، ولكن إسناده إلى ضمير من يفيده. ﴿لمن عزم الأمور﴾، أي: من معزومات الأمور، أي: مما يجب العزم عليه من الأمور بإيجاب العبد على نفسه لكونه من الأمور المحمودة عند الله تعالى. والعزم عند القلب على إمضاء الأمر. والعزيمة الرأي الجد. كما في المفردات، وبالفارسية [ازمهم ترين كارها اسب واين].

في الحقيقة: [ازكار مردانست كه همه كس راقوت اين نباشدكه جفا كشد ووفاكند]. قال الحافظ:

جفا خوريم وملامت كشيم وخوش باشيم كه در طريقت ما كافريست رنجيدن

قال في «برهان القرآن»: قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [الشورى: ٤٣]. وفي لقمان: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]؛ لأن الصبر على الوجهين صبر على مكروه ينال الإنسان ظلماً، فمن قتل بعض أعزته وصبر على المكروه ليس كمن مات بعض أعزته، فالصبر على الأول أشد. والعزم عليه أوكد، وكان ما في هذه السورة من الجنس الأول لقوله: ولمن صبر وغفر، فأكد الخبر باللام. والآية في المواد التي لا يؤدي العفو فيها إلى الشر، كما أشير إليه، فإن العفو مندوب إليه، ثم قد ينعكس الأمر في بعض الأحوال، فيرجع ترك العفو مندوباً إليه، وذلك إذا احتيج إلى كف زيادة البغي، وقطع مادة الأذى.

يحكى: أن رجلاً سب رجلاً في مجلس الحسن رحمه الله، فكان المسبوب يكظم ويعرق فيمسح العرق، ثم قام فتلا هذه الآية، فقال الحسن: عقلها والله وفهمها إذ ضيعها الجاهلون.

قال أبو سعيد القرشي رحمه الله: الصبر على المكاره من علامات الانتباه، فمن صبر على مكروه يصيبه، ولم يجزع أورثه الله تعالى حالة الرضا، وهو أجل الأحوال، ومن جزع من

المصائب وشكاها وكله الله إلى نفسه، ثم لم ينفعه شكواه.

وقال بعضهم: من صبر في البلوى من غير شكوى، وعفا بالتجاوز عن الخصم، فلا يبقى لنفسه عليه دعوى، بل يبرأ خصمه من جهة ما عليه من كل دعوى في الدنيا والعقبى أن ذلك لمن عزم الأمور. وروي: أن أزواج النبي عليه السلام: اجتمعن، فأرسلن فاطمة رضي الله عنها إليه يطلبن منه أن يحبهن كعائشة، فدخلت عليه، وهو مع عائشة في مرطها، وهو بالكسر كساء من صوف أو خز، فقالت: ما قلن رضي الله عنهن، فقال عليه السلام لفاطمة: «أتحبينني» فقالت: نعم. قال: فأحبيها؛ أي: عائشة، فرجعت إليهن، فأخبرتهن بما قال لها؛ أي: لفاطمة، فقلن: لم تصنعي شيئاً، فأردن أن يرسلنها ثانياً، فلم ترض فأرسلن زينب بنت جحش رضي الله عنها، وكانت أزهد أزواجه، حتى قالت عائشة في حقها: لم أر قط امرأة خيراً في الدين من زينب، وكان لها منزلة عنده عليه السلام تضاهي منزلة عائشة، فقالت: إن نساءك يسألنك العدل في بنت ابن أبي قحافة، يعني: يسألنك التسوية بينهن وبين عائشة في المحبة، ثم أقبلت على عائشة فشتمتها، فلما استطالت عليها استقبلتها عائشة وعارضتها بالمدافعة حتى قهرتها وأسكتتها.

وفي «الكشاف»: إن زينب أسمعت بحضرته، وكان ينهاها فلا تنتهي، فقال لعائشة دونك، فانتصري؛ أي: تقدمي واقربي فانتقمي من زينب، فأفحمتها، فقال عليه السلام: «إنها ابنة أبي بكر» إشارة إلى كمال فهمها وحسن منطقها.

قال ابن الملك: وفي الحديث دلالة على جواز الانتقام بالحق لكن العفو أفضل لقوله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]. قال الصائب:

درجنك ميكندلب خاموش كارتيغ دادن جواب مردم نادان جه لازمست

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِيٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَـٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَـٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿**ومن يضلل الله**﴾ يخلق فيه الضلالة من الهوى أو بتركه على ما كان عليه من ظلم الناس.

﴿**فما له من ولي من بعده**﴾ من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى إياه. وبالفارسية: [وهركرا كمراه سازد خداى تعالى بس نيست مراورا هيج دوستى كه كار سازى كنديس از فرو كذشتن خداى تعالى مراورا].

﴿**وترى الظالمين**﴾: الخطاب لكل من يتأتى منه الرؤية البصرية والظالمون المشركون والعاصون. ﴿**لما رأوا العذاب**﴾؛ أي: حين يرونه وصيغة الماضي للدلالة على التحقق. ﴿**يقولون**﴾. إلخ. في موضع الحال من الظالمين؛ لأن الرؤية بصرية. ﴿**هل**﴾: [آيا هست]. ﴿**إلى مرد**﴾: بمعنى الرد؛ أي: الرجعة إلى الدنيا. ﴿**من سبيل**﴾: [هيج راهى يا جادة تابرويم وتدارك ما فات كنيم ازايمان وعمال صالح]. وقد سبق بيانه في قوله في ﴿حمٓ ﴿١﴾﴾ [غافر: ١] المؤمن، فهل إلى خروج من سبيل.

﴿وتراهم﴾ تبصرهم أيها الرائي حال كونهم.

﴿يعرضون عليها﴾؛ أي: على النار المدلول عليها بالعذاب. وقد سبق معنى العرض في ﴿حم﴾ المؤمن عند قوله: ﴿النار يعرضون عليها﴾. ﴿خاشعين من الذل﴾ من للتعليل متعلق بخاشعين؛ أي: حال كونهم خاضعين حقيرين بسبب ما لحقهم من الذل والهوان. وقد يعلق من الذل بينظرون ويوقف على خاشعين. ﴿ينظرون من طرف خفي﴾: الطرف مصدر في الأصل، ولهذا لم يجمع، وهو تحريك الجفن وعبر به عن النظر إذ كان تحريك الجفن يلازم النظر، كما في «المفردات».

والمعنى: حال كونهم يبتدىء نظرهم إلى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف. يعني: يسارقون النظر إلى النار خوفاً منها، وذلة في أنفسهم، كما ينظرون إلى المقتول إلى السيف، فلا يقدر أن يملأ عينيه منه، وهكذا نظر الناظر إلى المكاره لا يقدر أن يفتح أجفانه عليها ويملأ عينيه منها، كما يفعل في نظره إلى المحاب.

وقال الكلبي: ينظرون بأبصار قلوبهم، ولا ينظرون بأبصار ظواهرهم؛ لأنهم يسحبون على وجوههم، أو لأنهم يحشرون عمياً، فينظرون كنظر الأعمى إذا خاف حساً.

يقول الفقير: لا حاجة إلى حمل الآية على ما ذكر من الوجهين؛ لأن لهم يوم القيامة أحوالاً شتى بحسب المواطن، فكل من النظر والسحب والحشر أعمى ثابت صحيح.

وفي الآية إشارة إلى أن النفوس التي لم تقبل الصلاح بالعلاج في الدنيا تتمنى الرجوع إلى الدنيا يوم القيامة لتقبل الصلاح بعلاج الرياضات الشرعية والمجاهدات الطريقية، وتخشع إذ لم تخشع في الدنيا من القهار، فلا تنفعها ندامة، ولا تسمع منها دعوة، ولها نظر من طرف خفي من خجالة المؤمنين، إذ يعيرونها بما ذكروها، فلم تسمع، وهي نفوس الظالمين. كما قال السعدي:

تراخود بماند سراز تنك بيش   كه كردت برآيد عملهاى خويش
برادرز كار بدان شرم دار   كه درروى نيكان شوى سرمسار

﴿وقال الذين آمنوا﴾، وجاهدوا في الله تعالى حق جهاده وربحوا على ربهم. ﴿إن الخاسرين﴾؛ أي: المتصفين بحقيقة الخسران، وهو انتقاص رأس المال، وينسب إلى الإنسان، فيقال: خسر فلان وإلى الفعل، فيقال: خسرت تجارته ويستعمل ذلك في القنيات الخارجة كالمال، والجاه في الدنيا، وهو الأكثر. وفي «القنيات النفيسة» كالصحة والسلامة والعقل والإيمان والثواب، وهو الذي جعله الله الخسران المبين، وكل خسران ذكره الله في القرآن، فهو على هذا المعنى الأخير دون الخسران المتعلق بالقنيات الدنيوية والتجارات البشرية وخبر إن قوله تعالى: ﴿الذين خسروا أنفسهم وأهليهم﴾: [آنانندكه زيان كردند بنفسهاى خويش وكسان خود].

بالتعريض للعذاب الخالد. ﴿يوم القيامة﴾: إما ظرف لخسروا، والقول في الدنيا أو لقال؛ أي: يقولون لهم حين يرونهم على تلك الحالة وصيغة الماضي للدلالة على تحققه.

وقال الكاشفي: [زيان در نفسها آنست آنرا بعبادت بتان مستوجب آتش دوزخ كردا نيدند وزمان زيان در اهالي اكرد وزخى اندبا نكه ايشانرا از ايمان بازد اشتندو اكر بهشتى اندبانكه ازديد از ايشان محروم ماندند].

قال ابن الملك في «شرح المشارق»: الأهل يفسر بالأزواج والأولاد، وبالعبيد والإماء وبالأقارب وبالأصحاب وبالمجموع.

وفي «التأويلات النجمية»: إن الخاسرين الذين خسروا أنفسهم بإبطال استعدادهم إذ صرفوه في طلب الدنيا وزخارفها والالتذاذ بها وخسروا أهليهم إذ لم يقوا أنفسهم وأهليهم ناراً بقبول الإيمان وأداء الشرائع. ﴿ألا﴾ : [بدانيد]. ﴿إن الظالمين﴾ ؛ أي: المشركين الذين كانوا في جهنم شهوات النفس جثياً في الدنيا. ﴿في عذاب مقيم﴾ في الآخرة إلى الأبد. وبالفارسية: [در عذابي بيوسته اند يعني باقى وبي انقطاع]. إما من تمام كلامهم أو تصديق من الله لهم.

﴿وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۗ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ ۚ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾﴾.

﴿وما كان لهم من أولياء ينصرونهم﴾ بدفع العذاب عنهم. ﴿من دون الله﴾ حسبما كانوا يرجون ذلك في الدنيا. ﴿ومن يضلل الله﴾ : [وهر كرا كمراه سازد خداى تعالى]. ﴿فما له من سبيل﴾ يؤدي سلوكه إلى النجاة.

وفي «التأويلات النجمية»: ومن يضلل الله بأن يشغله بغيره فما له من سبيل يصل به إلى الله تعالى. قال ذو النون المصري قدس سره: رأيت جارية في جبل أنطاكية، فقالت لي: ألست ذا النون؟. قلت: كيف عرفت!. قالت: عرفتك بمعرفة الحبيب، ثم قالت: ما السخاء؟، قلت: البذل والعطاء، قالت: ذاك سخاء الدنيا فما سخاء الدين، قلت: المسارعة إلى طاعة رب العالمين. قالت: تريد شيئاً، قلت: نعم. قالت: تأخذ العشرة بواحد لقوله تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فأين السخاء؟ قلت: فما السخاء عندك؟. قالت: إنما هو أن يطلع على قلبك، فلا يرى فيه غيره. ويحك يا ذا النون، إني أريد أن أسأل شيئاً منذ عشرين سنة وأستحيي منه مخافة أن أكون كأجير السوء إذا عمل طلب الأجرة، فلا تعمل إلا تعظيماً لهيبته، فعلم أن إخراج الغير من القلب والاشتغال بالله تعالى من أوصاف الخواص، فمن اهتدى به ربح، ومن ضل عنه خسر، وهو بيد الله تعالى، إذ هو الولي، فعلى العبد أن يسأل الهداية، ويطلب العناية حتى يخرجه الله من ظلمات نفسه الأمارة إلى أنوار تجليات الروحانية، ويجعل له إليه سبيلاً ينجو به من المهالك.

حكي: أن شيخاً حج مع شاب، فلما أحرم، قال: لبيك، فقيل له: لا لبيك، فقال الشاب للشيخ: ألا تسمع هذا الجواب، فقال: كنت أسمع هذا الجواب منذ سبعين سنة. قال: فلأي شيء تتعب، فبكى الشيخ، فقال: فإلى أي باب ألتجيء، فقيل له: قد قبلناك. فهذا من هداية الله الخاصة، فافهم جداً.

قال الصاحب:

بنو ميدى مده تن كرجه دركام نهنك افتى   كه دارد دردل كرداب بحر عشق ساحلها

﴿استجيبوا لربكم﴾ إذ دعاكم إلى الإيمان على لسان نبيه عليه السلام. ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله﴾؛ أي: لا يرده الله بعدما حكم به على أن من صلة مرد؛ أي: من قبل أن يأتي من الله يوم لا يمكن رده. وفي تعليق الأمر بالاستجابة باسم الرب، ونفي المراد

والإتيان بالاسم الجامع نكتة لا تخفى كما في «حواشي سعدي المفتي».

﴿ما لكم من ملجأ يومئذ﴾؛ أي: مفر تلتجئون إليه؛ أي: ما لكم مخلص ما من العذاب على ما دل عليه تأكيد النفي بمن استغراقية، والملجأ. بالفارسية: [بناه وكريز كاه]. ﴿وما لكم من نكير﴾؛ أي: إنكار ما لما اقترفتموه؛ لأنه مدون في صحائف أعمالكم وتشهد عليكم جوارحكم، وهو مصدر أنكر على خلاف.

ولعل المراد: الإنكار المنجي وإلا فهم يقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٨]. وغير ذلك، ولذلك تشهد عليهم أعضاؤهم. قال الجنيد قدس سره: استجابة الحق، لمن يستمع هواتفه وأوامره وخطابه فيتحقق له الإجابة بذلك السماع، ومن يستمع الهواتف كيف يجيب، وأتى له محل الجواب.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير بقوله: ﴿استجيبوا لربكم﴾ للعوام إلى الوفاء بعهده، والقيام بحقه والرجوع عن مخالفته إلى موافقته، وللخواص إلى الاستسلام للأحكام الأزلية والإعراض عن الدنيا وزينتها وشهواتها إجابة لقوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ يَدْعُوٓاْ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ﴾ [يونس: ٢٥]، ولأخص الخواص من أهل المحبة إلى صدق الطلب بالإعراض عن الدارين متوجهاً لحضرة الجلال ببذل الوجود في نيل الوصول والوصال مجيباً لقوله: ﴿وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ﴾ [الأحزاب: ٤٦]، والطريق اليوم إلى الاستجابة مفتوح، وعن قريب سيغلق الباب على القلوب بغتة، ويأخذ فلتة. وذلك قوله تعالى: ﴿من قبل أن يأتي﴾ إلخ. ونعم ما قال الشاعر:

تمتع من شميم عرار نجد ... فما بعد العشية من عرار

أي: استمتع بشم عرار نجد، وهي وردة ناعمة صفراء طيبة الرائحة، فإنا نعدمه إذا أمسينا لخروجنا من أرض نجد ومنابته، فالإشارة إلى شم عرار الحقيقة، فإنه إنما يكون ما دام الروح الإنساني في نجد الوجود الشهودي وحده، فإن انتقل منه إلى حدّ البرزخ بزوال شمس الحياة والانتهاء إلى عشية العمر، فلا يمكن شمه أصلاً.

جون بى خبران دامن فرصت مده ازدست ... تاهست بروبال زعالم سفرى كن

﴿فَإِنْ أَعْرَضُواْ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا ۖ إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ۗ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾﴾

﴿فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً﴾، تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد أمرهم بالاستجابة، وتوجيه له إلى الرسول عليه السلام؛ أي: فإن لم يستجيبوا وأعرضوا عما تدعوهم إليه، فما أرسلناك رقيباً ومحاسباً عليهم، وحافظاً لأعمالهم. وبالفارسية: [نكهبانى كه از عمل بد ايشانرا نكاه دارى]. وفيه تسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم. ﴿إن عليك إلا البلاغ﴾؛ أي: ما يجب عليك إلا تبليغ الرسالة، وقد فعلت فلا يهمنك إعراضهم.

وفي «التأويلات النجمية»: فإن أعرضوا عن الله بالإقبال على الدارين، ولم يجيبوا، فما أرسلناك عليهم حفيظاً تحفظهم من الالتفات إلى الدارين؛ لأن الحفظ من شأني لا من شأنك، فإني حفيظ، فليس عليك إلا تبليغ الرسالة، ثم نحن نعلم بما نعاملهم بالتوفيق، أو بالخذلان.

قال الغزالي رحمه الله في شرح الأسماء: الحفيظ من العباد من يحفظ جوارحه وقلبه

ويحفظ دينه من سطوة الغضب وخلابة الشهوة وخداع النفس وغرور الشيطان، فإنه على شفا جرف هار، وقد اكتنفته هذه المهلكات المفضية إلى النار. وقد عرف كلها من لسان الشارع صلى الله تعالى عليه وسلم، فليسارع العبد إلى دفع الموبقات، وجلب المنجيات بإصلاح النفس والتخلق بالأخلاق الإلهية، فإن النفس طاغية مؤدية إلى الإفلاس والخسار.

وفي الحديث: «أتدرون من المفلس؟ قالوا: المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع». قال عليه السلام: «المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة ويأتي قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا، أو سفك دم هذا وضرب هذا، فيعطى هذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى أخذ من خطاياهم وطرحت عليه ثم يطرح في النار»، فلا ينبغي للعاقل أن يبقى مع النفس، فإنه إذا نزل عليه العذاب غضباً للنفس لا يجد ولياً يتولاه، ولا نصيراً ينصره ولا ملجأ يفر إليه، فهذه حال المعرضين، وأما حال المقبلين القابلين للبلاغ والإرشاد، فالله تعالى يحفظهم مما يخافونه يوم المعاد:

خجل آنكس كه رفت وكار نساخت   كوس رحلت زدند وبار نساخت

﴿وإنا إذا أذقنا الإنسان منا﴾: [از نزديك خود]. ﴿رحمة﴾؛ أي: نعمة من الصحة والغنى والأمن. ﴿فرح بها﴾ بطر لأجلها.

وقال الكاشفي: [خوش شود بدان وشادى كند]. اعلم أن نعمة الله وإن كانت في الدنيا عظيمة إلا أنها بالنسبة إلى سعادات الآخرة كالقطرة بالنسبة إلى البحر، فلذلك سمي الإنعام بها إذاقة. وبالفارسية: [جشانيدن]. فالإنسان إذا حصل له هذا القدر الحقير في الدنيا فرح به ووقع في العجب والكبر وظن أنه فاز بكل المنى ودخل في قصر السعادات، ولذا ضعف اعتقاده في سعادات الآخرة وإلا لاختار الباقي على الفاني؛ لأن الفاني كالخزف مع أنه قليل، والباقي كالذهب مع أنه كثير. [افتد هماى دولت اكردر كمندما. ازهمت بلند رها ميكنيم ما]. ﴿وإن تصبهم﴾؛ أي: الإنسان؛ لأن المراد به الجنس. ﴿سيئة﴾؛ أي: بلاء من مرض وفقر وخوف مما يسوؤهم.

﴿بما قدمت أيديهم﴾ بسبب ما عملت أنفسهم من كفرانهم بنعم الله وعصيانهم فيها، وذكر الأيدي؛ لأن أكثر الأعمال تباشر بها، فجعل كل عمل كالصادر بالأيدي على طريق التغليب. ﴿فإن الإنسان كفور﴾.

قال الراغب: كفر النعمة وكفرانها سترها بترك أداء شكرها وأعظم الكفر جحودهم الوحدانية، أو النبوة، أو الشريعة والكفران في جحود النعمة أكثر استعمالاً، والكفر في الدين أكثر والكفور فيهما جميعاً.

والمعنى: فإن الإنسان بليغ الكفر ينسى النعمة بالكلية ويذكر البلية ويستعظمها، ولا يتأمل سببها، بل يزعم أنها أصابته بغير استحقاق لها، وإسناد هذه الخصلة إلى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الأفراد، يعني: أنه حكم على الجنس بحال أغلب أفراده للملابسة على المجاز العقلي وتصدير الشرطية الأولى بإذا مع إسناد الإذاقة إلى نون العظمة، للتنبيه على أن إيصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع، وأنه مقتضى الذات كما أن تصدير الثانية بأن وإسناد الإصابة إلى السيئة وتعليلها بأعمالهم للإيذان بندرة وقوعها، وأنها بمعزل عن الانتظام في سلك الإرادة بالذات، ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل على أن هذا الجنس مرسوم بكفران النعم.

[امام ابو منصور ماتريدي رحمه الله فرموده كه كفران مؤمن آنست كه ترك شكر كند].
قال بعض الكبار: (ع): [درشكر همجو جشمه ودر صبر خاره ايم].

وعن عليّ رضي الله عنه: إذا وصلت إليكم أطراف النعمة، فلا تنفروا أقصاها بقلة الشكر. يعني: من لم يشكر النعم الحاصلة لديه الواصلة إليه حرم النعمة الغائبة منه القاصية عنه. [جون بيابى تو نعمتى درجند. خرد باشد جو نقطة موهوم. شكران يافته فرومكزار. كه زنا يافته شوى محروم].

وعنه رضي الله عنه أيضاً أقل ما يلزمكم لله أن لا تستعينوا بنعمه على معاصيه. قال الحسن: إذا استوى يوماك فأنت ناقص قيل: كيف ذاك، قال: إن الله زادك في يومك هذا نعماً فعليك أن تزداد فيه شكراً، وقد مد الله عمر بعض الإنسان وأكثر عليه فضله كنمرود وفرعون ونحوهما إنهم لم يزدادوا كل يوم إلا كفراناً فعاملهم الله بالعدل حتى هلكوا أقبح الهلاك.

وفي الآية إشارة إلى أن من خصوصية الإنسان إذا وكله الله إلى نفسه أن لا يشكر على ما فتح الله عليه من المواهب الإلهية، وفتوحات الغيب، وأنواع الكرامات التي تربى بها أطفال الطريقة ليزيده الله، بل ينظر إلى نفسه بالعجب ويفشي سره على إلحاق إراءة وسمعة، فيغلق الله أبواب الفتوحات بعد فتحها. قال الصائب:

نجام بت برست بودبه زخود برست   درقيد خود مباش وبقيد فرنك باش

ومن الله العون.

﴿لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿**لله ملك السماوات والأرض**﴾؛ أي: يختص به ملك العالم كله لا يقدر أن يملكه أحد سواه، فله التصرف فيه وقسمة النعمة، والبلية على أهله، وليس عليهم إلا الشكر في النعمة والصبر في البلية والرضا والتسليم للأحكام الأزلية. وبالفارسية: [وخداير است بادشاهى آسمانها وزمينها]. ﴿**يخلق ما يشاء**﴾ مما يعلمونه ومما لا يعلمونه على أي صورة شاء. ﴿**يهب لمن يشاء إناثاً**﴾ من الأولاد. يعني: [مى بخشد هر كرامى خواهد دختران]. فلا يجعل معهن ذكوراً، يعني: [بسران]. مثل ما وهب لشعيب ولوط عليهما السلام والهبة أن تجعل ملكك لغيرك بغير عوض والوهاب هو الله تعالى؛ لأنه يعطي كلاً على قدر استحقاقه، ولا يريد عوضاً، والإناث جمع أنثى خلاف الذكر.

والجملة بدل من يخلق بدل البعض قدم الإناث؛ لأنها أكثر لتكثير النسل، أو لتطييب قلوب آبائهن إذ في التقديم تشريف لهن وإيناس بهن، ولذلك جعلن من مواهب الله تعالى مع ذكر اللام الانتفاعية أو لرعاية الترتيب الواقع، أولاً في الهبة بنوع الإنسان، فإنه تعالى وهب أولاً لآدم زوجته حواء عليهما السلام بأن ولدها منه وخلقها من قصيراه، وهي أسفل الأضلاع، أو آخر ضلع في الجنب كما في «القاموس».

قال في «الكواشي»: ويجوز أنهن قدمن توبيخاً لمن كان يئدهن ونكرن إيماء إلى ضعفهن ليرحمن، فيحسن إليهن. قال في «الشرعة وشرحه»، ويزداد فرحاً بالبنات مخالفة لأهل الجاهلية؛ فإنهم يكرهونها بحيث يدفنونها في التراب في حال حياتها.

وفي الحديث: «من بركة المرأة تبكيرها بالبنات»؛ أي: يكون أول ولدها بنتاً. ألم تسمع قوله تعالى: ﴿يهب لمن يشاء إناثاً﴾، الآية. حيث بدأ بالإناث. وفي الحديث: «من ابتلي من هذه البنات بشيء، فأحسن إليهن؛ أي: بالتزويج بالأكفاء ونحوه كن له ستراً من النار». والنبي عليه السلام سماهن المجهزات المؤنسات؛ أي: المهيأ جهازهن سماهن بها تفاؤلاً وتيمناً. والمؤنسات للوالدين والأزواج.

وفي الحديث: «سألت الله أن يرزقني ولداً بلا مؤونة، فرزقني البنات». وفي الحديث القدسي خطاباً للبنت حين ولدت: «انزلي وأنا عون لأبيك». وفي الحديث: «لا تكرهوا البنات، فإني أبو البنات».

يقول الفقير: معناه أن كونه عليه السلام أبا البنات يكفي في عدم كراهة البنات، إذ لا يختار الله له إلا ما هو خير، ومن لم يرض بما اختاره له تعرض لسخط الله، وكم ترى في هذا الزمان من السخط على البنات اقتداء بأهل الجاهلية، ولو كان لهم أسوة حسنة في رسول الله لأحبوا ما أحبه، وكان لهم في ذلك شرف عظيم. ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾ من الأولاد يعني: [بسران].

ولا يكون فيهم إناث كما وهب إبراهيم عليه السلام من غير أن يكون في ذلك مدخل لأحد ومجال اعتراض:

با اختيار حق نبود اختيار ما بانور آفتاب جه باشد شرار ما

والذكور جمع ذكر ضد الأنثى عرف الذكور للمحافظة على الفواصل، أو لجبر التأخير. يعني: أن الله تعالى أخر الذكور مع أنهم أحقاء بالتقديم، فتدرك تأخيرهم بتعريفهم؛ لأن في التعريف العهدي تنويهاً وتشهيراً؛ كأنه قيل: ويهب لمن يشاء الفرسان الأعلام الذين لا يخفون عليكم.

وفي الحديث: «إن أولادكم هبة الله لكم يهب لمن يشاء إناثاً، ويهب لمن يشاء الذكور وأموالهم لكم إن احتجتم إليها». ﴿أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً﴾. معنى التزويج هنا: [جفت قرين كردن]، كما في «تاج المصادر»، والذكران جمع ذكر.

والمعنى: يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعاً، بأن يولد له الذكور والإناث مثل ما وهب لنبينا صلى الله عليه وسلم إذ كان له من البنين ثلاثة على الصحيح: قاسم وعبد الله وإبراهيم. ومن البنات أربع زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة رضي الله عنهن.

وقال بعضهم: معنى يزوجهم أن تلد غلاماً، ثم جارية، ثم غلاماً، أو تلد ذكراً وأنثى توأمين. ﴿ويجعل من يشاء عقيماً﴾ : [بى فرزندو نازاينده]. فلا تلد ولا يولد له كعيسى ويحيى عليهما السلام، فإنهما ليسا لهما أولاد. وأما عيسى فلم يتزوج، وإن كان يتزوج حين نزوله في آخر الزمان، ويكون له بنات، وأما يحيى فقد تزوج، ولكن لم يقرب لكونه عزيمة في شريعته وبعضهم لم يكن له أولاد، وإن حصل له قربان النساء.

وأصل العقم: اليبس المانع من قبول الأثر. والعقيم من النساء التي لا تقبل ماء الفحل.

وفي «القاموس»: العقم بالضم: هرمة تقع في الرحم، فلا تقبل الولد، ورجل عقيم لا يولد له، فالعقم كما يقع صفة للمرأة يقع صفة للرجل بأن يكون في مائه ما يمنع العلوق من الأعذار، وتغيير العاطف في الثالث؛ لأنه قسيم المشترك بين القسمين، وهو أي المشترك بينهما

مفهوم الصنف الواحد، فالثالث: جامع بين الصنفين، فلو ذكر أيضاً بالواو، لربما توهم من أول الأمر أنه قسيم لكل من القسمين لا للمشترك بينهما؛ لأنه حال عما في الرابع من الإفصاح. يعني: أنه لا حاجة إليه في الرابع لإفصاحه، بأنه قسيم المشترك بين الأقسام المتقدمة، وهو هبة الولد ولا يشتبه على أحد أن العقم يقابلها، فلا حاجة إلى التنبيه على ذلك.

﴿إنه﴾ تعالى ﴿عليم﴾ بليغ العلم بكل شيء مما كان وما يكون. ﴿قدير﴾ بليغ القدرة على كل مقدور، فيفعل ما فيه حكمه ومصلحة.

وقال الكاشفي: [داناست بانجه مى دهد تواناست بانجه ميسازد دانايى اواز جهل مقدس ومبراست وتوانايى او از عجز منزه ومعرا علم او بر طرف از شائبة جهل فتور وقدرتش باك از آلايش نقصان وقصور].

وعلم أن الإنسان إما أن لا يكون له ولد، أو يكون له ولد ذكر أو أنثى، أو ذكر وأنثى. وقد استوفى في الآية جميع الأقسام. فالمعنى: أن الله تعالى يجعل أحوال العباد في حق الأولاد مختلفة على ما تقتضيه المشيئة فيهن، فيهب لبعض إما صنفاً واحداً من ذكر أو أنثى، وإما صنفين ويعقم آخرين، فلا يهب لهم ولد قط، فالأولاد ذكوراً وإناثاً من مواهب الله تعالى وعطاياه. ولذا سن لمن يبشر بالمولود أنه يستبشر به ويراه نعمة أنعم الله بها عليه.

ففي الحديث: «ريح الولد من ريح الجنة». وقال عليه السلام: «الولد في الدنيا نور وفي الآخرة سرور»، وقد ورد: «سوداء ولود خير من حسناء عقيم». وذلك لأن التناسل إنما هو بالولود، ويعرف كونها ولوداً بالصحة والشباب، ولا ينفي الولد الذي يولد على فراشه، فإن الله تعالى يفضحه يوم القيامة ويكتب عليه من الذنب بعدد النجوم والرمال والأوراق.

وقيل: معنى الآية ﴿يهب لمن يشاء إناثاً﴾؛ أي: الدنيا، ﴿ويهب لمن يشاء الذكور﴾؛ أي: الآخرة، أو يزوجهم ذكراناً وإناثاً؛ أي: الدنيا والآخرة، ويجعل من يشاء عقيماً؛ أي: لا دنيا ولا عقبى. كذا في «كشف الأسرار». وفيه إشارة إلى أنوثة الدنيا وذكورة الآخرة. قال أمير خسرو دهلوى:

بـهـران مـردار جـنـدب كـاه زارى كـاه زور
جون غيلواجى كه شش مه ماده وشش مه تراست

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أرباب الولاية من المشايخ المستكملين يهب لبعضهم من المريدين الصادقين الأتقياء الصلحاء، وهم بمثابة الإناث لا تصرف لهم في غيرهم بالتزويج والتسليك، ويهب لبعضهم من المريدين الصديقين المحبين الواصلين الكاملين المستكملين المخرجين. وهم بمثابة الذكور لاستعداد تصرفهم في الطالبين، ويهب لبعضهم من الجنسين المذكورين المتصرفين في الغير وغير المتصرفين ويجعل بعض المشايخ عقيماً لا مريد له أنه عليم بمن يجعله متصرفاً وغير متصرف في المريد قدير على ما يشاء أن يجعله متصرفاً، أو غير متصرف.

يقول الفقير: هذا التفاوت بينهم إما راجع إليهم لحكمة أخفاها الله تعالى، وإما إلى أهالي زمانهم؛ فإنهم متفاوتون كتفاوت الأمم، فماذا يصنع الكاملون المكملون إذا لم يكن في الناس استعداد. قال الحافظ:

كوهر باك ببايدكه شود قابل فيض ورنه هرسنك كلى لؤلؤ ومرجان نشود

﴿۞ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِٕ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾﴾

﴿وما كان لبشر﴾؛ أي: وما صح لفرد من أفراد البشر يا محمد. **﴿أن يكلمه الله﴾** بوجه من الوجوه. **﴿إلا وحياً﴾** أصل الوحي الإشارة السريعة، وإنما سمي الوحي وحياً لسرعته، فإن الوحي عين الفهم. عين الأفهام، عين المفهوم منه، كما يذوقه أهل الإلهام من الأولياء. وقد عرف بعضهم الوحي؛ بأنه ما تقع به الإشارة القائمة مقام العبارة في غير عبارة.

وقال الراغب: ويقال للكلمة الإلٰهية التي تلقى إلى أنبيائه وأوليائه وحي. يقول الفقير: يعلم منه أن الوحي والإلهام واحد في الحقيقة، وإنما قيل: الوحي في الأنبياء والإلهام في الأولياء تأدباً، كما قيل: دعوة الأنبياء والإرشاد الأولياء، فاستعملوا الدعوة في الأنبياء والإرشاد في الأولياء مع أنهما أمر واحد، فالوحي إما بإلقاء في الروع، كما ذكر عليه السلام: «إن روح القدس نفث في روعي»، وإما بإلهام نحو قوله: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص: ٧]، وإما بتسخير نحو قوله تعالى: ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ﴾ [النحل: ٦٨]، أو بمنام كقوله عليه السلام، «انقطع الوحي وبقيت المبشرات رؤيا المؤمن»، فهذه الأنواع دل عليها قول إلا وحياً، فمعناه إلا بأنه يوحي إليه ويلهمه، ويقذف في قلبه، كما أوحى إلى أم موسى وإلى إبراهيم في ذبح ولده وإلى داود الزبور في صدره. قاله مجاهد، وسيأتي تحقيق الآية إن شاء الله تعالى.

﴿أو من وراء حجاب﴾ بأن يسمعه كلامه الذي يخلقه في بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه، فهو تمثيل له بحال الملك المحتجب الذي يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته، ولا يرى شخصه وإلا فالله تعالى منزه عن الاستتار بالحجاب الذي هو من خواص الأجسام، فالحجاب يرجع إلى المستمع لا إلى الله تعالى المتكلم. وذلك كما كلم الله تعالى موسى في طوى والطور. ولذا سمي كليم الله؛ لأنه سمع صوتاً دالاً على كلام الله من غير أن يكون ذلك الصوت مكتسباً لأحد من الخلق، بل تولى الله تخليقه إكراماً له، وغيره يسمعون صوتاً مكتسباً للعباد، فيفهمون به كلام الله هذا مذهب إمامنا أبي منصور. ذكره في كتاب «التأويلات».

وذهب أبو الحسن الأشعري إلى أن موسى سمع كلام الله من غير واسطة صوت أو قراءة، وإلى هذا ذهب ابن فورك من الأشعرية. قال في «كشف الأسرار» كلمه وبينهما حجاب من نار.

وقال الكاشفي: [يا موسى سخن كفت واودر بس حجاب نور بود در موضح آورده كه خداى تعالى باپيغمبر عليه السلام سخن كفت از وراى حجابين يعني حضرت رسالت بناه عليه السلام وراى دو حجاب بودكه سخن خداى تعالى شنيد حجابى از زر سرخ وحجابى از مروا ريد سفيد مسيرة ميان هردو حجاب هفتاد سال راه بود].

يقول الفقير: هذا من غوامض العلوم، فإن نبينا عليه السلام أعلى كعباً من موسى عليه السلام، فما معنى: أن الله تعالى كلم موسى من وراء حجاب واحد وكلم نبينا من وراء حجابين، وإن حصل فرق بين حجاب وحجاب. ولعل المراد بالحجابين: حجاب الياقوتة الحمراء الذي يلي جانب الخلق وحجاب الدرة البيضاء الذي يلي عالم الأمر، وكلاهما عبادة

عن الروح المحمدي. والحقيقة الأحمدية بكون مسافة ما بين الحجابين مسيرة سبعين ألف حجاب بين الرب والعبد، فمعنى: أن النبي عليه السلام سمع كلام الله من وراء هذين الحجابين أن الله تعالى كلمه وبينهما الحقيقة الجامعة البرزخية، وليس ذلك بحجاب في الحقيقة، كما أن المرآة ليست بحجاب للناظر، وكذا القناع بالنسبة إلى العروس، فافهم جداً.

﴿أو يرسل رسولاً﴾؛ أي: ملكاً من الملائكة إما جبريل أو غيره. قال ابن عباس رضي الله عنهما: لم ير جبرائيل إلا أربعة من الأنبياء: موسى وعيسى وزكريا ومحمد عليه السلام.

قال في «عين المعاني»: عسى أنه أراد برؤيته كما هو، وإلا فهو سفير الوحي. انتهى.

﴿فيوحي﴾ ذلك الرسول إلى المرسل إليه الذي هو الرسول البشري ﴿بإذنه﴾؛ أي: بأمره تعالى وتيسيره. ﴿ما يشاء﴾ أن يوحيه إليه، وهذا هو الذي جرى بينه تعالى وبين الأنبياء عليهم السلام في عامة الأوقات من الكلام، فيكون إشارة إلى التكلم بواسطة الملك.

روي: أن النبي عليه السلام قال: «من الأنبياء من يسمع الصوت فيكون بذلك نبياً ومنهم من ينفث في أذنه وقلبه، فيكون بذلك نبياً، وإن جبرائيل يأتيني فيكلمني كما يكلم أحدكم صاحبه».

وعن عائشة رضي الله عنها: أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: كيف يأتيك الوحي؟ فقال: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال. وأحياناً يتمثل الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول». قالت عائشة: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه، وإن جبينه ليتفصد عرقاً». والتفصد والانفصاد: [فرود ويدن]. ﴿إنه علي﴾ متعال عن صفات المخلوقين لا يأتي جريان المفاوضة بينه تعالى، وبينهم إلا بأحد الوجوه المذكورة. ﴿حكيم﴾ يجري أفعاله على سنن الحكمة، فيكلم تارة بواسطة وأخرى بدونها إما إلهاماً، أو خطاباً.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن البشر مهما كان محجوباً بصفات البشرية موصوفاً بأوصاف الخلقية الظلمانية الإنسانية لايكون مستعداً أن يكلمه الله إلا بالوحي أو بالإلهام في النوم واليقظة، أو من وراء حجاب بالكلام الصريح، أو يرسل رسولاً من الملائكة، فيوحي بإذنه ما يشاء إنه علي بعلو القدم لا يجانسه محدث حكيم فيما يساعد البشر بإفناء أنانيته بهويته، فإذا أفنيت البشرية وارتفعت الحجب وتبدلت كينونته بكينونة الحق، حتى به يسمع وبه يبصر وبه ينطق، فيكلمه الله تعالى شفاهاً وبه يسمع العبد كلامه كفاحاً، كما كان حال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في سر فأوحى إلى عبده ما أوحى. انتهى.

يعني: [مصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم شب معراج از حق سخت شنيد بى واسطة]. وكان آمن الرسول مما شافهه به الحق تعالى من غير حجاب، وكذا قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُصَلِّى عَلَيْكُمْ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ [الأحزاب: ٤٣] إلخ. وكذا بعض سورة الضحى، وبعض سورة: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [الشرح: ١] ولزوم من سماع كلامه مشافهة رؤيته بلا حجاب، وكذا حال المؤمنين يوم القيامة، فإنهم يرون ربهم كما يرون القمر ليلة البدر، ويسمعون كلامه بلا حجاب. فالوحي إذاً قسمان مشافهة وغير مشافهة، وعليه يحمل ما روي أن اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم: ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى ونظر إليه فإنا لن نؤمن حتى تفعل ذلك. فقال عليه السلام: «لم ينظر موسى إلى الله» فنزلت فأشار إلى أن الكلام حصل لموسى، ولكن

من وراء حجاب دون النظر، وكذا للنبي عليه السلام ما دام على حال البشرية.

وكذا ما روي عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت: من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية، ثم قالت: أولم تسمعوا ربكم يقول، وتلت هذه الآية: ﴿وما كان لبشر﴾» إلخ. فأشارت إلى مرتبة الحجاب وسره أن الله تعالى قال: ﴿وما كان لبشر﴾، فعبر بعنوان البشرية، وليس من حد البشر أن يرى ربه عياناً، وهو في حد الدنيا باقٍ على بشريته، أو يكلمه الله كفاحاً.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره: الأظهر في «تلقيح الأذهان» تكليم الله البشر في ثلاث مراتب، كما قال سبحانه: ﴿وما كان لبشر﴾ إلخ. فالكل وحي. ولكن بعضه بلا واسطة عند خروجه عن حد البشرية إلا أنك إن كنت أنت السامع لم تحصل على هذه المشاهدة الذاتية حتى تكون أنت المسمع فمشاهدة الذات لا تتم مع المناجاة وبعضه بواسطة عند الرجوع إلى البشرية، ولا تزال هكذا حتى تفنى عن نفس السماع، وتبقى مشاهداً للحق لتسمع نفسه بنفسه، فإنه من تحقق بالإنفاق حتى يسمع وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه. سمع قوله ﴿فَٱتَّخِذۡهُ وَكِيلٗا﴾ [المزمل: ٩]. انتهى. قال الشيخ روز بهان البقلي في «عرائس البيان» كانت لي واقعة في ابتداء الأمر. وذلك أني شاهدت الحق بالحق وكاشف لي مشاهدة جماله، وخاطبني من حيث الأرواح لا من حيث الأشباح، فغلب على سكر ذلك، وأفشيت حالي بلسان السكر، فتعرض لي واحد من أهل العلم وسألني كيف تقول ذلك، وأن الله سبحانه وتعالى أخبرنا بأنه لم يخاطب أحداً من الأنبياء والرسل إلا من وراء حجاب، كما قال، ﴿وما كان لبشر﴾ إلخ.

فقلت: صدق الله هذا إذا كانوا في حجاب البشرية، فإذا خرجوا بشرط الأرواح إلى عالم الغيب ورأوا الملكوت ألبسهم الله أنواراً قربه وكحل عيونهم بنور ذاته، وألبس أسماعهم قوة من قوى الربوبية وكشف لهم سر الغيرة، وحجاب المملكة وخاطبهم كفاحاً وعياناً. ولنبينا صلى الله تعالى عليه وسلم أخص خاصية إذ هو مصطفى في الأزل بالمعارج والمشاهدة، فإذا صار جسمه روحه وكان واحداً من كل الوجوه صعد إلى الملكوت. ورأى الحق بنور الجبروت وسمع خطابه بلا واسطة، ورأى الحق بلا حجاب إذ الحجاب وصف المخلوقين، والحق منزه عن أن يحجبه شيء.

وحكي: أن الإمام جعفر الصادق رضي الله عنه قال له شخص: أرني ربي، فقال: أولم تسمع أن الله تعالى يقول لموسى: لن تراني، مع أنه نبي عظيم. قال: إن من هذه الملة الأحمدية من يقول: رأى قلبي ربي، ومنهم من يقول: لا أعبد رباً لم أره، فلما لم يمسك عن مسألته أمر جعفر بأن يلقي ذلك الشخص في الدجلة، ففعلوا، فقال: يا ابن رسول الله الغياث. قال الصادق: يا ماء اغمسه حتى فعل ذلك مراراً يعني: استغاث بالصادق، فلما انقطع رجاؤه عن الخلق قال: إلٰهي الغياث.

[صادق كفت بياوريدش بركر فتند وبياوردند وآبى كه مانده بودازكوش وبينى اوريختند جون باخود آمد كفت بآن حق راديدى كفت يا خيال اغيار مى مانده دست در غير مى زدم حجاب مى بود جون بناه بكلى بوى آوردم ومضطر نشدم روزنه دردل من كشاده شد وبدا نجا نكريستم آنجه مى جستم ديدم وتا اضطرار نبود آن نبود صادق كفت تا صادق را مى خواند مى صديق نبودى اكنون آن كوجه روزنه راه نكاه داركه جهان خدا بدنيجا فروست]، فقد علمت

من هذا التقرير أن الآية تدل على جواز الرؤية لا على امتناعها، وإنما تدل على الامتناع حال البشرية وبقائها وجود [عين غبار يست دره ديداره غبار مانع ديدار ميشود هش دار].

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿وكذلك﴾؛ أي: مثل ذلك الإيحاء البديع، أو كما أوحينا إلى سائر رسلنا. **﴿أوحينا إليك روحاً من أمرنا﴾**: هو القرآن الذي هو للقلوب بمنزلة الروح للأبدان حيث يحييها حياة طيبة؛ أي: يحصل لها به ما هو مثل الحياة، وهو العلم النافع المزيل للجهل الذي هو كالموت.

وقال الراغب سمي القرآن روحاً لكونه سبباً للحياة الأخروية الموصوفة في قوله: ﴿وَإِنَّ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ لَهِىَ ٱلْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]. ومعنى من أمرنا. بالفارسية: [بفرمان ما او]. روحاً ناشئاً ومبتدأ من أمرنا، وقد سبق في ﴿حمٓ ﴿١﴾﴾ [غافر: ١] المؤمن. وقيل: هو جبرائيل، ومعنى إيحائه إليه عليه السلام إرساله إليه بالوحي، فإن قلت: كيف علم الرسول عليه السلام في أول الأمر أن الذي تجلى له جبرائيل، وأن الذي سمعه كلام الله تعالى. قلت: خلق الله تعالى له علماً ضرورياً علم به ذلك، والعلم الضروري يوجب الإيمان الحقيقي، ويتولد من ذلك اليقين والخشية، فإن الخشية على قدر المعرفة.

﴿ما كنت تدري﴾ قبل الوحي في أربعين سنة والمراد وحي النبوة. **﴿ما الكتاب﴾**؛ أي: أي شيء هو، يعني: [جون قرآن منزل نبود ندانستى آنرا]. والنفي معلق للفعل عن العمل وما بعده ساد مسد المفعولين ومحل ما كنت. إلخ. حال من كاف إليك، كما في «تفسير الكواشي». **﴿ولا الإيمان﴾**؛ أي: الإيمان بتفاصيل ما في تضاعيف الكتاب من الأمور التي لا تهتدي إليها العقول لا الإيمان بما يستقل به العقل والنظر، فإن درايته عليه السلام له مما لا ريب فيه قطعاً، فإن أهل الوصول اجتمعوا على أن الرسل عليهم السلام، كانوا مؤمنين قبل الوحي معصومين من الكبائر ومن الصغائر الموجبة لنفرة الناس عنهم قبل البعثة وبعدها فضلاً عن الكفر، وهو مراد من قال: لا يعرف القرآن قبل الوحي ولا شرائع الإيمان ومعالمه، وهي إيمان كما قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣]؛ أي: صلاتكم سماها إيماناً؛ لأنها من شعب الإيمان، ويدل عليه أنه عليه السلام قيل له: هل عبدت وثناً قط قال: لا قيل: هل شربت خمراً قط. قال: لا وما زلت أعرف أن الذين هم عليه كفر، وما كنت أدري ما الكتاب؟ ولا الإيمان؛ أي: الإيمان الشرعي المتعلق بتفاصيل الأحكام. ولذلك أنزل في الكتاب: **﴿ما كنت تدري ما الكتاب ولا الإيمان﴾**.

قال ابن قتيبة: لم تزل العرب على بقايا من دين إسماعيل من الحج والختان والنكاح وإيقاع الطلاق والغسل من الجنابة، وتحريم ذوات المحارم بالقرابة والمصاهرة. وكان رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على ما كانوا عليه في مثل هذه الشرائع، وكان يوحد ويبغض اللات والعزى ويحج ويعتمر ويتبع شريعة إبراهيم عليه السلام، ويتعبد بها حتى جاءه الوحي وجاءته الرسالة، فقول البيضاوي. وهو دليل على أنه لم يكن متعبداً قبل النبوة بشرع ممنوع، فإن عدم الدراية لا يلزمه عدم التعبد بل يلزمه سقوط الإثم إن لم يكن تقصير، فالحق إن المراد هو الإيمان بما لا طريق إليه إلا السمع.

وقال بعضهم: هذا تخصيص بالوقت، يعني: كان هذا قبل البلوغ حين كان طفلاً، وفي المهد ما كان يعرف الإيمان، وهو ضعيف؛ لأنه عليه السلام أفضل من يحيى وعيسى عليهما السلام، وقد أوتي كل الحكم والعلم صبياً.

وقال بعضهم: هو من باب حذف المضاف؛ أي: ولا أهل الإيمان، يعني: من الذي يؤمن ومن الذي لا يؤمن قبل أن يظهر إيمان من آمن وكفر من كفر، كما قال ابن الفضل أهله؛ لأنه ظن أن أبا طالب يؤمن كما قال عليه السلام: «أردنا إسلام أبي طالب، وأراد الله إسلام العباس، فكان ما أراد الله دون ما أردنا»، وهو ضعيف أيضاً؛ لأنه عليه السلام: لا يدري بعد الوحي أيضاً جميع من يؤمن، ومن يصر إلى آخر العمر. ﴿ولكن جعلناه﴾؛ أي: الروح الذي أوحينا إليك والجعل بمعنى: التصيير لا بمعنى الخلق وحقيقته أنزلناه. ﴿نوراً نهدي به من نشاء﴾ هدايته بالتوفيق للقبول والنظر فيه. ﴿من عبادنا﴾، وهو الذي يصرف اختياره نحو الاهتداء به. ﴿وإنك لتهدي﴾: تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدي محذوف ثقة بغاية الظهور؛ أي: وإنك لتهدي بهذا النور وترشد من نشاء هدايته. ﴿إلى صراط مستقيم﴾ هو الإسلام وسائر الشرائع والأحكام والصراط من السبيل ما لا التواء فيه؛ أي: لا اعوجاج، بل يكون على سبيل القصد.

﴿صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾﴾

﴿صراط الله﴾ بدل من الأول. ﴿الذي له ما في السماوات وما في الأرض﴾ خلقاً وملكاً وإضافة الصراط إلى الاسم الجليل ووصفه بالذي. إلخ لتفخيم شأنه وتقرير استقامته وتأكيد وجوب سلوكه، فإن كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقاً وملكاً وتصرفاً مما يوجب ذلك أتم إيجاب.

قال بعضهم: دعونا أقواماً في الأزل، فأجابوا، فأنت تهديهم إلينا وتدلهم علينا، وإنما كان عليه السلام هادياً؛ لأنه نور كالقرآن ولمناسبة نوره مع نور الإيمان والقرآن. قيل: كان خلقه القرآن:

أي نـور إلٰـهي زجبـيـن تـوهـويـدا سـر ازل از نـور جـمـالـت شـده بـيـدا

﴿ألا﴾ كلمة تذكرة لتبصرة أو تنبيه لحجة وبالفارسية بدانيدكه ﴿إلى الله﴾ لا إلى غيره. ﴿تصير الأمور﴾؛ أي: أمور ما فيهما قاطبة بارتفاع الوسائط والتعلقات. يعني: يوم القيامة، فيحمل تصير على معنى الاستقبال، ففيه من الوعد للمهتدين إلى الصراط المستقيم والوعد للضالين عنه ما لا يخفى.

وقال في «بحر العلوم» إلى الله تصير أمور الخلائق كلها في الدنيا والآخرة، فلا يدبرها إلا هو حيث لا يخرج أمر من الأمور من قضائه وتقديره [ونزد محققان باز كشت همه امور درهمه اوقات وأحوال بحضرت اوست وبارتفاع حجب ووسائط مشاهده اين معنى دست دهد. صورت كثرت حجب وحدتست. غيبت ما مانع نور حضور. ديده دل باز كشاويين، سر إلى الله تصير الأمور]. وذلك لأن الله مبدأ كل ومرجعه ومصيره إما بالفناء الاختياري، أو بالفناء الاضطراري. [يكبار حسن بصري رحمه الله بجنازة رفت جون مرده را در كور نهادند وخاك راست كردند حسن برسرآن خاك نشست وجندان بدان كريست كه خاك كل شد بس كفت اي

مردمان أول آخر بحدست آخر دنيا نكرى كورست واول اخرت نكرى كورست كه القبر منزل من منازل الآخرة جه مى نازيد بعالمى كه آخرش اينست يعني: كور وجون نمى ترسيد از عالمى كه او لش اينست يعني: كور جون اول آخرش اينست اى أهل غفلت كار اول وآخر بسازيد. شب كور خواهى منور جو روز. ازبنجا جراغ عمل برفروز. بران خورد سعدي كه بيخى نشاند. كسى برد خر من كه نخمى فشاند].

وعن سهل بن أبي الجعد: احترق مصحف، فلم يبق إلا قوله تعالى: ﴿ألا إلى الله تصير الأمور﴾ وغرق مصحف فانمحى كل شيء إلا ذلك كذا في «عين المعاني» للسجاوندي.

تمت سورة الشورى في أواخر شهر ربيع الآخر المنتظم
في شهور سنة ثلاث عشرة مائة وألف

٤٣ ـ سورة الزخرف

تسع وثمانون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢﴾.

﴿حم﴾؛ أي: القرآن مسمى بـ﴿حم﴾، أو هذه السورة مسماة به.

يقول الفقير أمده الله القدير: ﴿حم﴾ إشارة إلى الاسمين الجليلين من أسمائه تعالى، وهما: الحنان والمنان، فالحنان هو الذي يقبل على من أعرض عنه. وفي «القاموس»: الحنان كشداد اسم لله تعالى، ومعناه: الرحيم. انتهى.

والمنان: هو الذي يبدأ بالنوال قبل السؤال، كما قال في «القاموس»: المنان من أسماء الله تعالى، المعطي ابتداءً. انتهى.

وقد جعل في داخل الكعبة ثلاث أسطوانات:

الأولى: أسطوانة الحنان.

والثانية: أسطوانة المنان.

والثالثة: أسطوانة الديان، وإنما أضيفت إلى الله تعالى تعظيماً كما قيل: بيت الله وناقة الله، فأشار بهذه الأسماء الثلاثة حيث جعلت في داخل الكعبة المشار بها إلى الذات الأحدية إلى أن مقتضى الذات هو الرحمة والعطاء في الدنيا والمجازاة والمكافأة في الآخرة وبرحمته أنزل القرآن كما قال مقسماً به.

﴿والكتاب﴾ بالجر على أنه مقسم به إما ابتداء أو عطف على ﴿حم﴾ على تقدير كونه مجروراً بإضمار باء القسم على أن مدار العطف المغايرة في العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة في تأكيد مضمون الجملة القسمية. ﴿المبين﴾؛ أي: البين لمن أنزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى أساليبهم، فيكون من أبان بمعنى بان؛ أي: ظهر، أو المبين لطريق الهدى من طرق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج إليه في أبواب الديانة، فيكون من أبان بمعنى أظهر وأوضح. وقال سهل: بين فيه الهدى من الضلالة والخير من الشر وبين سعادة السعداء وشقاوة الأشقياء.

وقال بعضهم: المراد بالكتاب الخط والكتابة يقال: كتبه كتباً وكتاباً خطه أقسم به تعظيماً لنعمته فيه، إذ فيه كثرة المنافع، فإن العلوم إنما تكاملت بسبب الخط فالمتقدم إذا استنبط علماً، وأثبته في كتاب وجاء المتأخر، وزاد عليه تكاثرت به الفوائد.

يقول الفقير: لعل السبب في حمل الآية على هذا المعنى الغير الظاهر لزوم اتحاد المقسم به والمقسم عليه على تقدير حملها على القرآن، وليس بذلك كما يأتي.

﴿إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣﴾

﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾ إن قلت: هذا يدل على أن القرآن مجعول والمجعول مخلوق. وقد قال عليه السلام: «القرآن كلام الله غير مخلوق». قلت: المراد بالجعل هنا تصيير الشيء على حالة دون حالة. فالمعنى: أنا صيرنا ذلك الكتاب قرآناً عربياً بإنزاله بلغة العرب ولسانها، ولم نصيره أعجمياً بإنزاله بلغة العجم مع كونه كلامنا وصفتنا قائمة بذاتنا عرية عن كسوة العربية منزهة عنها وعن توابعها. **﴿لعلكم تعقلون﴾** كلمة لعل مستعارة لمعنى كي، وهو التعليل وسببية ما قبلها لما بعدها لكون حقيقة الترجي والتوقع ممتنعة في حقه تعالى لكونها مختصة بمن لا يعلم عواقب الأمور. وحاصل معناها: الدلالة على أن الملابسة بالأول لأجل إرادة الثاني من شبه الإرادة بالترجي.

فقوله: **﴿لعلكم تعقلون﴾** في موضع النصب على المفعول له، وفعل الله تعالى، وإن كان لا يعلل بالغرض لكن فيه مصلحة جليلة وعاقبة حميدة، فهي كلمة علة عقلاً وكلمة مصلحة شرعاً مع أن منع التعليل بالغرض العائد إلى العباد بعيد عن الصواب جداً، لمخالفته كثيراً من النصوص.

والمعنى: لكي تفهموا القرآن العربي وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق، والمعنى الفائق وتقفوا على ما تضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة في ذلك وتنقطع أعذاركم بالكلية إذ لو أنزلناه بغير لغة العرب ما فهمتموه، فقوله: **﴿إنا جعلناه قرآناً عربياً﴾** جواب للقسم، لكن لا على أن مرجع التأكيد جعله كذلك، كما قيل: بل ما هو غايته التي يعرب عنها قوله تعالى: **﴿لعلكم تعقلون﴾**، فإنها المحتاجة للتأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بأمرهم وإتمام النعمة عليهم وإزاحة أعذارهم. كذا في «الإرشاد».

وقال بعضهم: أقسم بالقرآن على أنه جعله قرآناً عربياً، فالقسم والمقسم عليه من بدائع الإقسام لكونهما من واحد، فالمقسم به ذات القرآن العظيم، والمقسم عليه وصفه، وهو جعله قرآناً عربياً، فتغايرا؛ فكأنه قيل: والقرآن المبين أنه ليس بمجرد كلام مفترى على الله وأساطير، بل هو الذي تولينا إنزاله على لغة العرب، فهذا هو المراد بكونه جواباً لا مجرد كونه عربياً إذ لا يشك فيه وإنما جعله مقسماً به إشارة إلى أنه ليس عنده شيء أعظم قدراً وأرفع منزلة منه حتى يقسم به، فإن المحب لا يؤثر على محبوبه شيئاً، فأقسم به، ليكون قسمه في غاية الوكادة. وكذا لا أهم من وصفه، فيقسم عليه.

﴿وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِىٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦﴾.

﴿وإنه﴾؛ أي: ذلك الكتاب. **﴿في أم الكتاب﴾**؛ أي: في اللوح المحفوظ، فإنه أصل الكتاب؛ أي: جنس الكتب السماوية، فإن جميعها مثبتة فيه على ما هي عليه عند الأنبياء ومأخوذة مستنسخة منه.

قال الراغب: قوله **﴿في أم الكتاب﴾**؛ أي: في اللوح المحفوظ. وذلك لكون كل منسوباً إليه ومتولداً فيه، والكتاب اسم للصحيفة مع المكتوب فيها. **﴿لدينا﴾**؛ أي: عندنا. **﴿لعلي﴾** رفيع القدر بين الكتب شريف. **﴿حكيم﴾** ذو حكمة بالغة أو محكم لا يتطرق إليه

نسخ بكتاب آخر، ولا تبديل، وهما؛ أي: علي وحكيم خبران؛ لإن وما بينهما بيان لمحل الحكم؛ كأنه قيل بعد بيان اتصافه بما ذكر من الوصفين الجليلين هذا في أم الكتاب الذي هو أشرف مكان وأعزه لدينا.

والجملة استئناف لا محل لها من الإعراب. وهذا كما قال في «الجلالين» يريد أنه يثبت عند الله في اللوح المحفوظ بهذه الصفة. واعلم أن اللوح المحفوظ خلقه الله تعالى من درة بيضاء دفتاه من ياقوتة حمراء قلمه نور وكتابه نور عرضه كما بين السماء والأرض ينظر الله تعالى فيه كل يوم ثلاثمائة وستين نظرة يخلق بكل نظرة ويحيي ويميت، ويعز ويذل ويفعل ما يشاء.

وفي الخبر أن أحرف القرآن في اللوح المحفوظ: كل حرف منها بقدر جبل قاف وإن تحت كل حرف معاني لا يحيط بها إلا الله تعالى، ولذا لم يقم لفظ مقام لفظه ولا حرف مقام حرفه، فهو معجز من حيث اللفظ.

والمعنى: ولما كان القلب الإنساني هو اللوح الحقيقي المعنوي نزل على قلبه عليه السلام القرآن، واستقر فيه إلى الأبد دنيا وآخرة، وكذا نزل من حيث المعنى على قلوب ورثته عليه السلام كما أخبر عنه أبو يزيد قدس سره، وكما أن الله تعالى ينظر كل يوم في اللوح المحفوظ ثلاثمائة وستين نظرة كذلك ينظر في لوح القلب ذلك العدد، فيمحو ما يشاء ويثبت. والمراد باليوم هو اليوم الآتي المنبسط عند الله إلى ألف سنة وأشير إليها بعدد أيام السنة، فافهم جداً، فإن كان القلب لوح الله تعالى، فينبغي للعبد أن يمحو عنه آثار الغير ويزينه بما يليق به، فإنه المنظر الإلهي.

قال بعض الكبار: إذا كان ميل المرء إلى الشهوة، والصورة والخلق يشتغل بتزيين ظاهره باللباس المعتبر عند الناس، وإذا كان ميله إلى المحبة والحقيقة والحق يشتغل بتزيين باطنه بما يعتبر عند الله، ولا يلتفت إلى ظاهره، بل يكتفي بما يحفظه من الحر والبرد؛ أي: شيء كان.

وقال بعض الكبار: تتبع كتاب الله في الليل والنهار يوصلك إلى مقام الأحرار؛ لأن كل ما يؤدي إلى ذكر الله تعالى، فهو علاج القلوب المريضة؛ لأن أعظم الأمراض القلبية هو نسيان الله تعالى، كما قال: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧] ولا شك أنه علاج أمر بضده، وهو ذكر الله. كما قال: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾ [البقرة: ١٥٢]:

دلت آيينه خداى نماست ... روى آيينه توتيره جراست
صيقلى دارى صيقلى ميزن ... تاكه آيينه ات شود روشن
صيقل آن اكرنه آكاه ... نيست جز لا إله إلا الله

﴿أفنضرب عنكم الذكر﴾ بعد ما بين علو شأن القرآن العظيم وحقق أن إنزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه عقب ذلك بإنكار أن يكون الأمر بخلافه، فقيل: أفنضرب عنكم الذكر. والفاء: للعطف على محذوف يقتضيه المقام. والمعنى: أنهملكم فنحي القرآن عنكم، ونبعده ونترك الأمر والنهي والوعد والوعيد مجاز من قولهم: ضرب الغرائب عن الحوض استعارة تمثيلية شبه حال الذكر وتنحيته بحال غرائب الإبل وذودها، ثم استعمل ما كان مستعملاً في تلك القصة، ها هنا. والمراد بالغرائب البعران الأجانب والإبل إذا وردت الماء ودخلت بينها ناقة غريبة من غيرها ذيدت وطردت عن الحوض.

وفيه إشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر إليهم بملازمته لهم؛ كأنه يتهافت عليهم. **﴿صفحاً﴾** الصفح: الإعراض يقال: صفح كمنع أعرض وترك وعنه عفا والسائل رده كأصفحه وسُمي العفو صفحاً لأنه إعراض عن الانتقام من صفحة الوجه؛ لأن من أعرض عنك، فقد أعطاك صفحة وجهه. والمعنى: إعراضاً عنكم على أنه مفعول له للمذكور أو صافحين على أنه حال، أو مصدر من غير لفظه، فإن تنحية الذكر عنهم إعراض. **﴿أن كنتم قوماً مسرفين﴾** السرف: تجاوز الحد في كل فعل يفعله الإنسان؛ أي: لأن كنتم منهمكين في الإسراف في المعاصي مصرين عليه على معنى أن حالكم، وإن اقتضى تخليتكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة، وتبقوا في العذاب الخالد لكنا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك، بل نهديكم إلى الحق بإرسال الرسول الأمين وإنزال الكتاب المبين.

[در تبيان كفته كه بسبب شرك شما قرآنرا بآسمان نخواهيم بردكه دانسته ايم كه زود بيايند قومى كه بدو بكروند وباحكام آن عمل كنند].

وإنما يرتفع القرآن في آخر الزمان. قال قتادة: والله لو كان هذا القرآن رفع حين رده أوائل هذه الأمة لهلكوا، أو لكن عاد بعائدته ورحمته، فكرره عليهم عشرين سنة، أو ما شاء الله [كفتا والله كه اكر در صدر آن امت رب العزت قرآن از زمين برداشتى بكفر كافران ورد ايشان خلق همه هلاك كردندى ويك كس نماندى لكن حق تعالى بانكار وكفر ايشان ننكريست بفضل ورحمت خود نكريست همجنان قرآن روز بروز مى فرستاد تمامى بيست سال يازياده تاكار دين تمام كشف واسلام قوى شد].

وفيه إشارة إلى أن من لم يقطع اليوم خطابه عمن تمادى في عصيانه وأسرف في أكثر شأنه كيف يمنع غداً لطائف غفرانه وكرائم إحسانه عمن لم يقصر في إيمانه، ولم يدخل خلل في عرفانه، وإن تلطخ بعصيانه.

[دارم از لطف ازل جنت فردوس طمع كرجه دربانى ميخانه فراوان كردم بير طريقت درمناجات خويش كفته إلٰهي توانى كه از بنده ناسزامى بينى وبعقوبت نشتابى از بنده كفر مى شنوى ونعمت ازوى بازنكيرى ثواب وعفو بروى عرضه ميكنى وييغام وخطاب خود اوراباز خوانى واكرباز آيد وعده مغفرت ميدهى كه]. ﴿إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ﴾ [الأنفال: ٣٨].

جون بادشمن بدكر دار جنينى جه كويم كه دوست نكوكار راجونى. دوستا نراكجا كنى محروم. توكه بادشمنان نظر دارى.

﴿وكم أرسلنا من نبي في الأولين﴾ . كم خبرية في موضع النصب على أنه مفعول مقدم لأرسلنا، ومن نبي تمييز. وفي الأولين متعلق بأرسلنا، أو بمحذوف مجرور على أنه صفة لنبي. والمعنى: كثيراً من الأنبياء أرسلنا في الأمم الأولين والقرون الماضية.

﴿وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝٨﴾ .

﴿وما يأتيهم من نبي إلا كانوا به يستهزئون﴾ ضمير يأتيهم إلى الأولين، وهو حكاية حال ماضية مستمرة؛ لأن ما إنما تدخل على مضارع في معنى الحال، أو على ماضٍ قريب منها: أي: كانوا على ذلك.

والمعنى بالفارسية: [ونيايد بايشان هيج بيغمبرى مكر افسوس كردند برو]. يعني: أن عادة الأمم مع الأنبياء الذين يدعونهم إلى الدين الحق هو التكذيب والاستهزاء، فلا ينبغي لك أن تتأذى من قومك بسبب تكذيبهم واستهزائهم؛ لأن المصيبة إذا عمت خفت. ﴿**فأهلكنا أشد منهم**﴾؛ أي: من هؤلاء القوم المسرفين وهم: قريش. ﴿**بطشاً**﴾: تمييز وهو الظاهر، أو حال من فاعل أهلكنا؛ أي: باطشين.

قال الراغب: البطش تناول الشيء بصولة، والأخذ بشدة. يعني: [اقرباى ايشانرا اهلاك كرديم وشدت وشوكت ايشان مارا عاجز نداشت]. فهو وعد له عليه السلام ووعيد لهم بمثل ما جرى على الأولين ووصفهم بأشدية البطش لإثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الأولوية. ﴿**ومضى مثل الأولين**﴾؛ أي: سلف في القرآن غير مرة ذكر قصتهم التي حقها أن تسير مسير المثل، وهم: قوم نوح وعاد وثمود وغيرهم.

وفي الآية إشارة إلى كمال ظلومية نفس الإنسان وجهوليته وكمال حلم الله وكرمه وفضل ربوبيته بأنهم وإن بالغوا في إظهار أوصافهم الذميمة وأخلاقهم اللئيمة بالاستهزاء مع الأنبياء والمرسلين والاستخفاف بهم إلى أن كذبوهم وسعوا في قتلهم من أهل الأولين والآخرين. وكذلك يفعلون أهل كل زمان مع ورثة الأنبياء من العلماء المتقين والمشايخ السالكين الناصحين لهم، والداعين إلى الله والهادين لهم، فالله تعالى لم يقطع عنهم مراحم فضله وكرمه. وكان يبعث إليهم الأنبياء وينزل عليهم الكتب، ويدعوهم إلى جنابه وينعم عليهم بعفوه وبغفرانه.

ومن غاية إفضاله وإحسانه تأديباً وترهيباً بعباده أهلك بعض المتمردين المتمادين في الباطل ليعتبر المتأخرون من المتقدمين:

جو بركشته بختى در افتد به بند   از ونيك بختان بكيرند بند

قال في «كشف الأسرار»: [عجب كاريست هركجاكه حديث دوستان دركيرند آستان بيكانكان دران بيوند دد وهركجاكه لطافتي وكرامتى نمايد قهرى وسياستى در برابرآن نهد هركجاكه حقيقى است مجازى آفريده تا برروى حقيقت تمرد افشاند وهر حجتى شبهتى آميخت تا رخسارة حجت مى خراشد هركجاكه علمى است جهلى بيدا آورده تابر سلطان علم برمى آو يزد هركجاكه توحيد ست شركى بديد آورد تا باتوحيد طريق منازعت مى سبرد وبعدد هردوستى هزار دشمن آفريده بعدد هر صديقى هزار زنديق آورده هركجا مسجد است كليسايي در برابر او بنا كرده هركجا صومعة خراباتى هركجا طيلسانى زنارى هركجا اقرارى انكارى هركجا عابدى جاحدى هركجا دوستى دشمنى هركجا صادقى فاسقى. جور دشمن جه كند كرنكشد طالب دوست. كنج ومار وكل وخار وغم وشادى بهمند. از شرق تاغرب بر زينت ونعمت كرده ودرهر نعمتى تعبيه محنتى دربيش ساخته من نكد الدنيا مضرة الزرنيخ ومنفعة الهليلج بير طريقت كفت آدمي راسه حالتست سربيان مشغولست يا طاعات است كه اورا ازان سودمندى است يا معصيت كه اورا ازان بشيمانى است يا غفلت است كه اورا ايانكارى است بند نيكوتر از قرآن جيست وناصح مهربان ترا زمولى كيست سرمايه فراح ترا زايمان جيست رابح ترا زتجارت بالله جيست مكر كه آدمى را بزبان خرسندى ويقطيعت رضا دادنى واورا از مولى بيزارى بيداران روز كردد كه بيود بوى هرجه بودنى است بندانكه بذيردكه باو رسد آنجه رسيدنى است اين صفت آن قوم كه رب العزة ميكويد].

﴿فأهلكنا أشد منهم بطشاً ومضى مثل الأولين﴾ نسأل الله العصمة.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾﴾

﴿ولئن سألتهم﴾: يعني: قومك وهم قريش، ﴿من﴾: استفهام بمعنى كه بالفارسية. ﴿خلق السماوات والأرض﴾؛ أي: الأجرام العلوية والسفلية. ﴿ليقولن﴾: اعترافاً بالصانع. ﴿خلقهن العزيز﴾ في حكمه وملكه. ﴿العليم﴾، بأحوال خلقه [جه اين نوع آفرينش كار جاهل وعاجز نتواند بود بس درين آيت اخبار ميكند ازغايت جهل انسانكه مقرند بآفريننده قوي ودانا وعبادت غير أو ميكويد].

قال في «الإرشاد»: ليسندن خلقها إلى من هذا شأنه في الحقيقة. وفي نفس الأمر لا أنهم يعبرون عنه، بهذا العنوان. وقد جوز أن يكون ذلك عين عبارتهم، وفي «فتح الرحمٰن»، ومقتضى جواب قريش أن يقولوا خلقهن الله، فلما ذكر الله تعالى المعنى: جاءت العبارة عن الله بالعزيز العليم، ليكون ذلك توطئة لما عدده بعد من أوصافه التي ابتدأ الإخبار بها، وقطعها عن الكلام الذي حكي معناه عن قريش، وهو قوله الذي.

وفي الآية إشارة إلى أن في جبلة الإنسان معرفة لله مركوزة، وذلك لأن الله تعالى ذرأ ذريات بني آدم من ظهورهم وأشهدهم على أنفسهم بخطاب: ألست بربكم، فأسمعهم خطابه وعرفهم ربوبيته وفقهم لإجابته حتى قالوا: بلى. فصار ذلك الإقرار بذر ثمرة إقرارهم بخالقية الله تعالى في هذا العالم، لكن الله تعالى لعزته لا يهتدي إلى سرادقات عزته إلا من أعزه الله تعالى بجذبات عنايته، وهو العليم الذي يعلم حيث يجعل رسالاته. اسم أعظم [بكند كار خود اى دل خوش باش. كه بتلبيس وحيل ديو سليمان نشود].

﴿الذي جعل لكم الأرض مهداً﴾ استئناف من جهته تعالى. والجعل بمعنى تصيير الشيء على حاله دون حالة والمهد والمهاد المكان الممهد الموطأ لقوله تعالى: ﴿جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا﴾ [البقرة: ٢٢]؛ أي: بسطها لكم تستقرون فيها. وبالفارسية: [ساخت براى شما زمين را بساطى كسترده تاقراركاه شما باشد].

وفي «بحر العلوم»: جعل الأرض مسكناً لكم تقعدون عليها وتنامون وتنقلبون كما ينقلب أحدكم على فراشه ومهاده. ﴿وجعل لكم فيها سبلاً﴾ تسلكونها في أسفاركم لأمور الدين والدنيا جمع سبيل، وهو من الطرق ما هو معتاد السلوك.

وقال الراغب: السبيل الطريق الذي فيه سهولة. ﴿لعلكم تهتدون﴾؛ أي: لكي تهتدوا لسلوكها إلى مقاصدكم. يعني: [بسوى بلاد وديارى كه خواهيد]. أو بالتفكر فيها إلى التوحيد الذي هو المقصد الأصلي.

﴿وَٱلَّذِى نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا ۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١١﴾ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْفُلْكِ وَٱلْأَنْعَٰمِ مَا تَرْكَبُونَ ﴿١٢﴾ لِتَسْتَوُۥا عَلَىٰ ظُهُورِهِۦ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا ٱسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿والذي نزل من السماء ماء بقدر﴾ بمقدار ووزن ينفع العباد والبلاد، ولا يضرهم

وبالفارسية: [آبى باندازه حاجت ومصلحت يعنى نه بسيار غرق شدن باشد جون طوفان ونه اندك كه مهمات زراعت وغير اورا كفايت نكند]. وهذه عادة الله في عامة الأوقات، وقد ينزل بحسب الحكمة ما يحصل به السيول، فيضرهم، وذلك في عشرين أو ثلاثين سنة مرة ابتلاء منه لعباده وأخذاً بهم بما اقترفوا. ﴿**فأنشرنا به**﴾ ؛ أي: أحيينا بذلك الماء والإنشار إحياء الميت. بالفارسية: زنده كردن مرده را.

﴿**بلدة ميتاً**﴾ مخفف من الميت بالتشديد؛ أي: خالية عن النماء والنبات بالكلية شبه زوال النماء عنها بزوال الحياة عن البدن وتذكير ميتاً؛ لأن البلدة في معنى البلد، والمكان والفضاء.

وقال سعدي المفتي: لا يبعد والله تعالى أعلم أن يكون تأنيث البلد وتذكير الميت إشارة إلى بلوغ ضعف حاله الغاية والالتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال العناية بأمر الإحياء والإشعار بعظم خطره. ﴿**كذلك**﴾ ؛ أي: مثل ذلك الإحياء الذي هو في الحقيقة إخراج النبات من الأرض. ﴿**تخرجون**﴾ ؛ أي: تبعثون من قبوركم إحياء تشبيه إحيائهم بإحياء البلدة الميت كما يدل على قدرة الله تعالى وحكمته مطلقاً، فكذلك يدل على قدرته على القيامة والبعث. وفي التعبير عن إخراج النبات بالإنشار الذي هو إحياء الموتى، وعن إحيائهم بالإخراج تفخيم لشأن الإنبات وتهوين لأمر البعث لتقويم سند الاستدلال وتوضيح منهاج القياس.

وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى: نزل من سماء الروح ماء الهداية، فأحيا به بلدة القلب الميت كذلك يخرج العبد من ظلمات أرض الوجود إلى نور الله تعالى، فإنه ما دام لم يحيا قلبه بماء الهداية، لم يخرج من ظلمات أرض الوجود، كما أن البذر ما لم يحيا في داخل الأرض بالمطر لم يظهر في ظاهرها، فكان الفيض سبب النور.

روي: أن أم الحسن البصري رضي الله عنه كانت مولاة أم سلمة رضي الله عنها زوجة النبي ﷺ وربما غابت لحاجة، فيبكي فتعطيه أم سلمة ثديها، فيشربه، فنال الحكمة والفصاحة من بركة ذلك. وأيضاً حياة القلب بأسباب منها: الغذاء الحلال. [نقلست كه اويس القرنى رضي الله عنه يكبارسه شبا نروز هيج نخورده بود بيرون آمد برراه يك دينار افتاده بود كفت ازكسى افتاده باشد روى كردانيد تاكياه اززمين برجيند وبخورد ناكاه ديدكه كوسفندى مى آيد وكرده كرم دردهان كرفته بيش وى بنهاد واو كفت مكر ازكسى ربوده باشد روى بكر دانيد كو سفند بسخن درآمد كفت من بنده آن كسم توبنده وى بستان روزى از بنده خداى كفت دست دراز كردم تاكرده بر كيرم كرده دردست خويش ديدم وكوسفند نابديدشد].

يقول الفقير: لعله كان من الأرواح العلوية، وإنما تمثل بصورة الغنم من حيث إن أويس كان الراعي، ومن حيث إن الغنم كان صورة الانقياد والاستسلام.

وفي الآية إشارة إلى أن الله تعالى جعل للناس طرقاً مختلفة من الهداية والضلالة، فأما طريق الهداية فبعدد أنفاس الخلائق وكلها موصلة إلى الله تعالى، وأما طريق الضلالة، فليس شيء منها موصلاً إلى الرحمة، بل إلى الغضب، فليسارع العبد إلى قبول دعوة داعي الرحمة كما قيل: خواص هذه الأمة وأفضل الطرق طريق الذكر والتوحيد. ولذا أمر الله بالذكر الكثير:

بيش روشن دلان بحر صفا ... ذكر حق كوهرست ودن دريا
برورش ده بقعر آن كهرى ... كه نيايد بلب ازان اثرى
تاخدا سازدش بنصرت وعون ... كوهرى قيمتش فزون زدو كون

﴿**والذي خلق الأزواج كلها**﴾؛ أي: أصناف المخلوقات بأسرها كما قال: ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلۡأَرۡضُ وَمِنۡ أَنفُسِهِمۡ وَمِمَّا لَا يَعۡلَمُونَ﴾ [يس: ٣٦] لا يشذ شيء منها عن إيجاده واختراعه.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: الأزواج: الضروب والأنواع كالحلو والحامض والأبيض والأسود والذكر والأنثى.

وقيل: كل ما سوى الله فهو زوج كفوق وتحت ويمين وشمال وقدام وخلف، وماض ومستقبل، وذات وصفات وأرض وسماء وبحر وشمس وقمر وليل ونهار وصيف وشتاء وجنة ونار إلى غير ذلك مما لا يحصى، وكونها أزواجاً يدل على أنها ممكنة الوجود وإن محدثها فرد منزه عن المقابل والمعارض. ﴿**وجعل لكم من الفلك**﴾؛ أي: السفن الجارية في البحر. ﴿**والأنعام**﴾؛ أي: الإبل والدواب يعني: [جهاربايان]. ﴿**ما تركبون**﴾؛ أي: ما تركبونه في البحر والبر على تغليب أحد اعتباري الفعل لقوته على الآخر فإن ركب يعدى إلى الأنعام بنفسه. يقال: ركبت الدابة وإلى الفلك بواسطة حرف الجر. يقال: ركبت في الفلك. وتقديم البيان على المبين للمحافظة على الفاصلة النونية، وتقديم الفلك على الأنعام؛ لأن الفلك أدل دليل على القدرة الباهرة والحكمة البالغة.

﴿**لتستووا على ظهوره**﴾؛ أي: لتستعلوا على ظهور ما تركبونه من الفلك والأنعام والظهور للأنعام حقيقة لا للفلك، فدل على تغليب الأنعام على الفلك. وإيراد لفظ ظهور بصيغة الجمع مع أن ما أضيف مفرد إليه للمعنى؛ لأن مرجع الضمير جمع في المعنى، وإن كان مفرداً في اللفظ. ﴿**ثم تذكروا نعمة ربكم**﴾ عليكم ﴿**إذا استويتم عليه**﴾.

المراد الذكر بالقلوب؛ لأنه هو الأصل. وله الاعتبار فقد ورد «إن الله لا ينظر إلى صوركم وأعمالكم بل إلى قلوبكم ونياتكم». وبه يظهر وجه إيثار تذكروا على تحمدوا.

والمعنى: ثم تذكروا نعمة ربكم بقلوبكم إذا استعليتم عليه معترفين بها مستعظمين لها، ثم تحمدوا عليها بألسنتكم. ﴿**وتقولوا**﴾ متعجبين من ذلك. ﴿**سبحان الذي سخر لنا هذا**﴾: المركوب يعني: [باكست آن خداى كه رام ونرم كردانيد وزيردست ساخت براى ما اين كشتى واين حيوانرا تابمدد ركوب برايشان قطع بر وبحر ميكنيم].

﴿**وما كنا له مقرنين**﴾؛ أي: مطيقين بتذليلها يعني: ليس عندنا من القوة والطاقة أن نقرن هذه الدابة والفلك، وأن نضبطها، فسبحان من سخر لنا هذا بقدرته وحكمته. وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى إذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لا يعرف قدرها ولاحق المنعم بها. قال في «القاموس»: أقرن الأمر أطاقه وقوي عليه، كاستقرن وعن الأمر ضعف ضد، انتهى.

والإقران بالفارسية: [طاقت جيزى داشتن]. وفي «كشف الأسرار»: تقول: أقرنت الرجل إذا ضبطته وساويته في القوة وصرت له قرناً. وقال غيره: أصله وجده قرينه؛ لأن الصعب لا يكون قريناً للضعيف، يعني: أن من وجد شيئاً قرينه لم يصعب عليه، وهو معنى أطاقه. ﴿**وإنا إلى ربنا لمنقلبون**﴾؛ أي: راجعون بالموت. وبالفارسية: [باز كردنده كايم در آخر برمركبى كه جنازه كويند وآخر مركبى از مراكب دنيا آنست. هش دار وعنان كشيده رو آخر كار. بر مركب جوبين زجهان خواهى رفت].

وفيه إيذان بأن حق الراكب أن يتأمل فيما يلابسه من المسير، ويتذكر منه المسافرة

العظمى التي هي الانقلاب إلى الله تعالى فيبني أموره في مسيره ذلك على تلك الملاحظة، ولا يخطر بباله في شيء مما يأتي ويذر أمراً ينافيها، ومن ضرورته أن يكون ركوبه لأمر مشروع كالحج وصلة الرحم وطلب العلم. ونحو ذلك. وأيضاً: إن الركوب موقع في الخطر والخوف من حيث إن راكب الدابة لا يأمن من عثارها أو شموسها مثلاً. والهلاك بذلك.

وكذا راكب السفينة لا يأمن انكسارها وانقلابها وغرقها، فينبغي للراكب أن لا يغفل عن الله لحظة ويستعد للقائه، ويعلم أن الموت أقرب إليه من شراك نعله وإن كل نفس يتنفسه؛ كأنه آخر الأنفاس. قال بعضهم: أجل نعمة الله على العباد أن يقويهم على نفوسهم الأمارة وينصرهم عليها، حتى يركبوا عليها ويميتوها بالمجاهدات حتى تستقيم في طاعة الله، وإذا استقامت وجب عليهم شكر النعمة، ومن لم يعرف نعم الله عليه إلا في مطعمه ومشربه ومركبه فقد صغر نعم الله عليه، ثم إن تسخير النفوس بعد استوائها في إطاعة الله يكون بتسخير الله لا بالكسب والمجاهدة. ولذا قال سبحان الذي. إلخ. وإنما ذكر الانقلاب في الآخر؛ لأن رجوع النفس إلى الله إنما هو بعد تسخيرها المذكور.

وقال بعضهم: ﴿**وإنا إلى ربنا لمنقلبون**﴾ كما جئنا أول مرة. كما قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]؛ أي: كما بدأ خلقنا بإشارة أمر كن وإخراج أرواحنا من كتم العدم إلى عالم الملكوت بنفخته الخاصة ردنا إلى أسفل سافلين. القالب: وهو عالم الملك، ثم بجذبة، ارجعي إلى ربك، أعادنا على مركب النفوس من عالم الملك إلى ساحل بحر الملكوت، ثم سخر لنا فلك القلوب وسيرنا في بحر الملكوت إلى عالم الربوبية.

روي عن ابن أبي ربيعة: أنه شهد علياً رضي الله عنه تعالى حين ركب، فلما وضع رجله في الركاب. قال: باسم الله، فلما استوى قال: الحمد لله، ثم قال: ﴿**سبحان الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وإنا إلى ربنا لمنقلبون**﴾، ثم حمد ثلاثاً وكبر ثلاثاً، ثم قال: لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، ثم ضحك، فقيل له: ما يضحكك يا أمير المؤمنين؟. قال: رأيت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فعل مثل ما فعلت، وقال مثل ما قلت. ثم ضحك، فقلنا: مم ضحكت يا رسول الله، قال: «يعجب ربنا عز وجل من عبده إذا قال: لا إله إلا أنت، ظلمت نفسي، فاغفر لي إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. ويقول: علم عبدي أن لا يغفر الذنوب غيري».

وفي «عين المعاني»: كان صلى الله تعالى عليه وسلم إذا ركب هلل وكبر ثلاثاً، ويقال: قبل هذا الحمد لله الذي حملنا في البر والبحر ورزقنا من الطيبات وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً، ومنّ علينا بالإيمان والقرآن وبنبينا محمد ﷺ. ﴿**سبحان الذي سخر لنا**﴾، الآية.

وفي «كشف الأسرار»: كان الحسن بن علي رضي الله عنهما يقولها. ويروى عن الحسن رضي الله عنه أنه كان إذا ركب دابة، قال: الحمد لله الذي هدانا للإسلام، والحمد لله الذي أكرمنا بالقرآن، والحمد لله الذي منّ علينا بنبينا محمد ﷺ، والحمد لله الذي سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين. قال صلى الله تعالى عليه وسلم: «ما من أحد من أمتي استوى على ظهر دابة، فقال كما أمره الله إلا غفر له». وقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «إذا ركب العبد الدابة، فلم يذكر اسم الله عليها ردفه الشيطان وقال له: تغن فإن قال: لا أحسن أي الغناء، قال له: تمن، يعني: تكلم بالباطل، فلا يزال في أمنيته حتى ينزل».

وروي: أن قوماً ركبوا في سفر، وقالوا: ﴿سبحان الذي﴾، الآية. وفيهم رجل على ناقة رازمة، لا تتحرك هزالاً، فقال: أما أنا فمقرن مطيق لهذه فسقط عنها بوثبتها واندقت عنقه.

وروي عن الحسن بن علي رضي الله عنهما: أنه كان إذا عثرت دابته. قال: اللهم لا طير إلا طيرك ولا خير إلا خيرك، ولا إله غيرك، ولا ملجأ، ولا منجا منك إلا إليك، ولا حول ولا قوة إلا بك هذا إذا ركب الدابة، وأما إذا ركب في السفينة، فيقول: باسم الله مجراها ومرساها إن ربي لغفور رحيم، ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٧﴾﴾ [الزمر: ٦٧].

﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا ۚ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمِ ٱتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَىٰكُم بِٱلْبَنِينَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿وجعلوا له من عباده جزءاً﴾ الجاعلون هم: قبائل من العرب، قالوا: إن الله صاهر الجن فولدت له الملائكة. وقال بعضهم: هو رد على بني مليح حيث قالوا: الملائكة بنات الله. ومليح بالحاء المهملة كزبير حي من خزاعة والجعل هنا بمعنى الحكم بالشيء، والاعتقاد به جعلت زيداً أفضل الناس؛ أي: حكمت به ووصفته.

والمراد بالعباد: الملائكة، وهو حال من جزءاً. قال في «القاموس»: الجزء: البعض وأجزأت الأم ولدت الإناث، وجعلوا له من عباده جزءاً؛ أي: إناثاً. انتهى.

ولذا قال الزجاج والمبرد والماوردي الجزء عند أهل العربية: البنات. يقال: أجزأت المرأة إذا ولدت البنات. ولذا قال الراغب: جزء الشيء ما تتقوم به جملته، وجعلوا له من عباده جزءاً قيل: ذلك عبارة عن الإناث من قولهم: أجزأت المرأة: أتت بأنثى. وقال جار الله: ومن بدع التفاسير تفسير الجزء بالإناث وادعاء أن الجزء في لغة العرب اسم للإناث، وما هو إلا كذب على العرب، ووضع مستحدث، ولم يقنعهم ذلك حتى اشتقوا منه أجزأت المرأة، ثم صنعوا بيتاً، وقالوا: إن أجزأت حمده يوماً، فلا عجب.

زوجتها من بنات الأوس مجزئة

انتهى.

يقول الفقير: لم يكن الجزء في الأصل بمعنى الإناث، وإنما ذكره أهل اللغة أخذاً من الآية؛ لأنه فيها بمعنى الولد المفسر بالإناث، فذكره في اللغات لا ينافي حدوثه، وإنما عبر عن الولد بالجزء؛ لأنه بعض أبيه وجزء منه كما قال عليه السلام: «إن فاطمة مني»؛ أي: قطعة مني. وقال: «فاطمة بضعة مني»، والبضعة بالفتح: القطعة من اللحم وإثبات الولد له تعالى مستلزم للتركيب المستلزم للإمكان المنافي للوجوب الذاتي، فالله تعالى يستحيل أن يكون له ولد هو جزء من والده؛ لأنه واحد وحدة حقيقية، ومعنى الآية، واعتقد المشركون وحكموا وأثبتوا له تعالى ولداً حال كون ذلك الولد من الملائكة الذين هم عباده، فقالوا: الملائكة بنات الله بعد اعترافهم بألسنتهم واعتقادهم أن خالق السماوات والأرض هو الله، فكيف يكون له ولد. والولادة من صفات الأجسام، وهو خالق الأجسام كلها. ففيه تعجيب من جهلهم وتنبيه على قلة عقولهم حيث وصفوه بصفات المخلوقين، وإشارة إلى أن الولد لا يكون عبد أبيه، والملائكة عباد الله، فكيف تكون البنات عباداً.

وقيل: الجزء ها هنا بمعنى النصيب، كما في قوله تعالى: ﴿لِكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤]؛ أي: نصيب، ومعنى الآية: معنى قوله: ﴿وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦]. وذلك أنهم جعلوا البنات لله والبنين لأنفسهم كم يجيء. ﴿إن الإنسان لكفور مبين﴾: ظاهر الكفر مبالغ فيه، أو مظهر لكفره، ولذلك يقولون ما يقولون، سبحانه عما يصفون:

بـــى زن وفـــرزنـــد شـــد ذات احـــد ... از ازل فـــردو صـــمـــد شـــدنـــا ابـــد

﴿أم اتخذ مما يخلق بنات﴾: مفعول اتخذوا البنات. بالفارسية: [دختران]. ﴿وأصفاكم بالبنين﴾: [وشمارا خالص كرد وبركز يدبه بسران]: أم منقطعة مقدرة ببل. والهمزة على أنها للإنكار، والتوبيخ والتعجيب من شأنهم وتنكير بنات لتربية الحقارة كما أن تعريف البنين لتربية الفخامة، وقدم البنات لكون المنكر عليهم نسبتهن إلى الله، فكان ذكرهن أهم بالنظر إلى مقصود المقام، والالتفات إلى خطابهم لتأكيد الإلزام وتشديد التوبيخ والإصفاء: الإيثار. وبالفارسية: [بر كزيدن يقال اصفيت فلاناً بكذا]؛ أي: آثرته به.

والمعنى: بل اتخذ من خلقه البنات التي هي أخس الصنفين، واختار لكم البنين الذين هم أفضلهما على معنى هبوا أنكم اجترأتم على إضافة جنس الولد إليه سبحانه وتعالى، مع ظهور استحالته وامتناعه أما كان لكم شيء من العقل، ونبذة من الحياء حتى اجترأتم على ادعاء أنه تعالى آثركم على نفسه بخير الصنفين وأعلاهما وترك لنفسه شرهما وأدناهما، فإن الإناث كانت أبغض الأولاد عندهم. ولذا وأدوهن، ولو اتخذ لنفسه البنات وأعطى البنين لعباده لزم أن يكون حال العبد أكمل وأفضل من حال الله، ويدفعه بديهة العقل.

﴿وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوَمَن يُنَشَّؤُا فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾﴾

﴿وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمٰن مثلاً﴾: الالتفات للإيذان باقتضاء ذكر قبائحهم أن يعرض عنهم. ويحكى لغيرهم تعجباً منها، وضرب هنا بمعنى: جعل المتعدي إلى مفعولين حذف الأول منهما لا بمعنى بين ومثلاً بمعنى شبيه لا بمعنى القصة العجيبة، كما في قولهم: ضرب له المثل بكذا، والمعنى: وإذا أخبر أحد المشركين بولادة ما جعله مثلاً له تعالى وشبيهاً إذ الولد لا بد أن يجانس الوالد ويماثله. ﴿ظل وجهه مسوداً﴾: الظلول هنا بمعنى الصيرورة؛ أي: صار أسود في الغاية من سوء ما بشر به، ولذا من رأى في المنام أن وجهه أسود ولدت له بنت، ويجوز أن يكون اسوداد الوجه عبارة عن الكراهة.

﴿وهو كظيم﴾؛ أي: والحال أنه مملوء من الكرب والكآبة، يقال: رجل كظيم ومكظوم؛ أي: مكروب كما في «القاموس».

يقول الفقير: هذه صفة المشركين؛ فإنهم جاهلون بالله غافلون عن خفي لطفه تحت جلي قهره، وأما الموحدون، فحالهم الاستبشار بما ورد عن الله أياً كان إذ لا يفرقون بين أحد من رسله، كما أن الكريم لا يغلق بابه على أحد من الضيفان والفاني عما سوى الله تعالى ليس له مطلب، وإنما مطلبه ما أراد الله: [كذشتم ازسر مطلب تمام شد مطلب نقاب جهره مقصود بود مطلبها].

﴿**أو من ينشأ في الحلية**﴾: تكرير للإنكار. والهمزة لإنكار الواقع واستقباحه، ومن منصوب بمضمر معطوف على جعلوا. والتنشئة: التربية. وبالفارسية: [بروردن]. والحلية: ما يتحلى به الإنسان ويتزين. وبالفارسية: [آرايش]. والجمع حلي بكسر الحاء وضمها وفتح اللام.

والمعنى: أو جعلوا من شأنه أن يربى في الزينة، وهو عاجز عن أن يتولى لأمره بنفسه. يعني: البنات. وقال سعدي المفتي: لعل القدير اجترؤوا على مثل هذه العظيمة وجعلوا.

وقال الكاشفي: [آيا كسى كه برورده كردد در بيرايه يعني: بناز برورش يابد و اورا قوت حرب ميدان داى نباشد]. ﴿**وهو**﴾ مع ما ذكر من المقصود. ﴿**في الخصام**﴾ مع من يخاصمه ويجادله؛ أي: في الجدال الذي لا يكاد يخلو الإنسان منه في العادة. ﴿**غير مبين**﴾ غير قادر على تقرير دعواه وإقامة حجته. كما يقدر الرجل عليه لنقصان عقله وضعف رأيه، وربما يتكلم عليه، وهو يريد أن يتكلم له. وهذا بحسب الغالب، وإلا فمن الإناث من هو أهل الفصاحة، والفاضلات على الرجال.

قال الأحنف: سمعت كلام أبي بكر رضي الله عنه حتى مضى، وكلام عمر رضي الله عنه حتى مضى، وكلام عثمان رضي الله عنه حتى مضى، وكلام علي رضي الله عنه حتى مضى. لا والله ما رأيت أبلغ من عائشة رضي الله عنها. وقال معاوية رضي الله عنه: ما رأيت أبلغ من عائشة ما أغلقت باباً، فأرادت فتحه إلا فتحته، ولا فتحت باباً فأرادت إغلاقه إلا غلقته. ويدل عليه قوله عليه السلام في حقها «إنها ابنة أبي بكر» إشعاراً بحسن فهمها وفصاحة منطقها كما سبق.

قال الكاشفي: [عرب راشجاعت وفصاحت فخر بودى واغلب زنان ازين دو حليه عاطل مى باشد حق تعالى فرمود كه آيا كسى انجينين باشد خداى تعالى اورا بفرزندى ميكيرد].

قال أهل التفسير: إضافة غير لا تمنع عمل ما بعده في الجار المتقدم؛ لأنه بمعنى النفي؛ كأنه قال: وهو لا يبين في الخصام ومثله مسألة الكتاب أنا زيداً غير ضارب. قال في «كشف الأسرار»: في الآية تحليل لبس الذهب والحرير للنساء وذم لتزيين الرجال بزينة النساء.

وقال في «بحر العلوم»: وفي الآية دلالة بينة لكل ذي عقل سليم على ترك النشو في الزينة والنعومة والحذر عنه؛ لأنه تعالى جعله من المعايب والمذام، ومن صفات الإناث ويعضده قول النبي عليه السلام لمعاذ «إياك والتنعم، فإن عباد الله ليسوا بمتنعمين». والتنعم: استعمال ما فيه النعومة واللين من المأكولات والملبوسات. [غدا كر لطيفست وكر سرسرى. جو ديرت بدست اوفتد خوش خورى]. ومن الكلمات الحكيمة: نم على أوطأ الفراش؛ أي: وقت غلبة النوم، وكل ألذ الطعام؛ أي: وقت غلبة الجوع والعجب كل العجب من علماء عصرك ومتفقهة زمانك يتلون هذه الآية ونحوها. والأحاديث المطابقة لها في المعنى، ثم لا يتأملونها تأملاً صحيحاً، ولا يتبعون فيها نبيهم الكريم في ترك الزينة والتنعم. [همجو طفلان منكر اندر شرخ وزرد. جون زنان مغرور رنك وبومكرد].

وقال بعضهم: [خويشتن آراى مشوجون بهار. تانبود برتو طمع روزكار]. وفيه إشارة إلى أن المرء المتزين كالمرأة، فالعاقل يكتفي بما يدفع الحر والبرد ويجتهد في تزيين الباطل، فإنه المنظر الإلهي، ولو كانت للنساء عقول راجحة لما ملن إلى التزين بالذهب والفضة والحلي والحلل، أما يكفي للمرء. والمرأة مضمون ما قيل:

بجامة كه بسالى رسد قناعت كن   نشد عزيز تر از كعبه اين لباس برست

﴿وَجَعَلُوا۟ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ۚ أَشَهِدُوا۟ خَلْقَهُمْ ۚ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ بَلْ قَالُوٓا۟ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿**وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمٰن إناثاً**﴾ بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتقريع لهم بذلك، وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله أنقصهم رأياً وأخسهم صنفاً. يعني: [ملائكة كه مجاو أن صوامع عبادت وملازمان مجامع عبوديت اند دختران نام مى نهند]. والبنات لا تكن عباداً والولد لا يكون عبد أبيه، ففيه تكذيب لهم في قولهم الملائكة بنات الله. ﴿**أشهدوا خلقهم**﴾ من الشهود بمعنى الحضور لا من الشهادة؛ أي: أحضروا خلق الله تعالى إياهم فشاهدوهم إناثاً حتى يحكموا بأنوثتهم، فإن ذلك إنما يعلم بالمشاهدة، وهو تجهيل لهم وتهكم بهم، فإنهم إنما سمعوه من آبائهم، وهم أيضاً: كذابون جاهلون، وفيه تخطئة للمنجمين وأهل الحكمة المموهة في كثير من الأمور، فإنهم بعقولهم القاصرة حكموا على الغيب.

[منجمي بخانة خود در آمد مرد بيكانه راديد بازن خود بهم نشسته دشنام داد وسقط كفت وفتنة واشوب بر خاست صاحب دلى برين حال واقف شدوكفت. تو براوج فلك جه دانى جيست. جو ندانى كه درسراى توكيست]. قال العماد الكاتب: أجمع المنجمون في سنة اثنتين وثمانين وخمسمائة في جميع البلاد على خراب العالم في شعبان عند اجتماع الكواكب الستة في الميزان بطوفان الريح، وخوفوا بذلك ملوك الأعاجم والروم، فشرعوا في حفر مغارات ونقلوا إليها الأزواد والماء، وتهيؤوا، فلما كانت الليلة التي عينها المنجمون بمثل ريح عاد ونحن جلوس عند السلطان، والشموع تتوقد، فلا تتحرك، ولم نر ليلة في ركودها مثلها.

﴿**ستكتب شهادتهم**﴾ هذه في ديوان أعمالهم يعني: يكتب الملك ما شهدوا بها على الملائكة. ﴿**ويسألون**﴾ عنها يوم القيامة وهو وعيد.

قال سعدي المفتي: السين في ستكتب للتأكيد ويحتمل أن يكون للاستعطاف إلى التوبة قبل كتابة ما قالوه، ولا علم لهم به.

وفي الحديث: «كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يسار الرجل». وكاتب الحسنات أمين على كاتب السيئات، فإذا عمل حسنة كتبها صاحب اليمين عشراً، وإذا عمل سيئة. قال صاحب اليمين لصاحب الشمال: دعه سبع ساعات لعله يسبح الله، أو يستغفر».

قال ابن جريج: هما ملكان: أحدهما عن يمينه. والآخر عن يساره، والذي عن يمينه يكتب الحسنات بغير شهادة صاحبه، والذي عن يساره لا يكتب إلا بشهادة صاحبه إن قعد، فأحدهما عن يمينه، والآخر عن شماله، وإن مشى، فأحدهما أمامه والآخر خلفه، وإن نام، فأحدهما عند رأسه والآخر عند رجليه. والكفار لهم كتاب وحفظة كما للمؤمنين. فإن قيل: فالذي يكتب عن يمينه إذا أي شيء يكتب، ولم يكن لهم حسنة. يقال له الذي عن شماله: يكتب بإذن صاحبه، ويكون شاهداً على ذلك، وإن لم يكتب.

قال بعض المحدثين: تجتنب الملائكة بني آدم في حالين عند الغائط، وعند الجماع. وفي «شرح الطريقة» يكره الكلام في الخلاء، وعند قضاء الحاجة أشد كراهة؛ لأن الحفظة تتأذى بالحضور في ذلك الموضع الكريه لأجل كتابة الكلام، فلا بد للمرء من الأدب والمراقبة، والمسارعة إلى الخير دون الشر.

وفي الحديث: «عند الله خزائن الخير والشر مفاتيحها الرجال، فطوبى لمن جعله مفتاحاً للخير ومغلاقاً للشر، وويل لمن جعله مفتاحاً للشر ومغلاقاً للخير». ثم في الآية إشارة إلى أن الله تعالى أمهل عباده، ولم يأخذهم بغتة في الدنيا ليرى العباد أن العفو والإحسان أحب إليه من الأخذ والانتقام، وليتوبوا من الكفر والمعاصي [بياتا براريم دستى زدل. كه نتوان برآورد فردازكل. نريزد خدا آب روى كسى. كه ريزد كناه آب جشمش بسى]. ومن الله التوفيق لما يحبه ويرضاه.

﴿**وقالوا لو شاء الرحمٰن ما عبدناهم**﴾: بيان لفن آخر من كفرهم؛ أي: قال المشركون العابدون للملائكة لو شاء الرحمٰن عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ما عبدناهم أرادوا بذلك أن ما فعلوه حق مرضي عنده تعالى، وأنهم إنما يفعلونه بمشيئة الله تعالى لا الاعتذار من ارتكاب ما ارتكبوه بأنه بمشيئة الله إياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلاً للمعتزلة ومبنى كلامهم بالباطل على مقدمتين:

إحداهما: أن عبادتهم لهم بمشيئة الله تعالى.

والثانية: أن ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى. ولقد أخطؤوا في الثانية حيث جهلوا أن المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائناً ما كان من غير اعتبار الرضا والسخط في شيء من الطرفين، ولذلك جهلوا بقوله: ﴿**ما لهم بذلك**﴾؛ أي: بما أرادوا بقولهم ذلك من كون ما فعلوه بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئة، فإن ذلك محقق ينطق به ما لا يحصى من الآيات الكريمة. ﴿**من علم**﴾: يستند إلى سند ما ﴿**إن هم**﴾؛ أي: ما هم ﴿**إلا يخرصون**﴾ يكذبون، فإن الخرص الكذب. وكل قول بالظن والتخمين سواء طابق الواقع، أم لا؟

قال الراغب: كل قول مقول عن ظن وتخمين يقال له: خرص سواء كان ذلك مطابقاً للشيء أو مخالفاً له من حيث إن صاحبه لم يقله عن علم ولا غلبة ظن ولا سماع، بل اعتمد فيه على الظن والتخمين كفعل الخارص في خرصه، وكل من قال قولاً على هذا النحو يسمى كاذباً، وإن كان مطابقاً للقول المخبر به، كما حكي عن قول المنافقين في قوله تعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ١].

يقول الفقير: إسناد المشيئة إلى الله إيمان وتوحيد إن صدر من المؤمن وإلا فكفر وشرك؛ لأنه من العناد والعصبية والجهل بحقيقة الأمر، فلا يعتبر، ثم أضرب عنه إلى إبطال أن يكون لهم سند من جهة النقل. فقيل:

﴿**أم آتيناهم**﴾: [آيا داده ايم ايشانرا]. ﴿**كتاباً من قبله**﴾؛ أي: من قبل القرآن أو الرسول، أو من قبل ادعائهم، ينطق بصحة ما يدعونه من عبادة غير الله وكون الملائكة بناته.

﴿**فهم به**﴾؛ أي: بذلك الكتاب ﴿**مستمسكون**﴾ وعليه معولون. [ومقرر است كه ايشانرا كتابي نداده ايم بس ايشانرا حجتى نقلا وعقلا نيست]. ويقال: استمسك به إذا اعتصم به. قال في «تاج المصادر»: [الاستمساك جنك در زدن]. ويعدى بالباء.

وفي «المفردات» إمساك الشيء التعلق به وحفظه، واستمسكت بالشيء إذا تحريت الإمساك.

﴿بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾: الأمة الدين والطريقة التي تؤم؛ أي: تقصد.

قال الراغب: الأمة كل جماعة يجمعهم أمر إما دين واحد أو زمان واحد، أو مكان واحد سواء كان الأمر الجامع تسخيراً، أو اختياراً. وقوله: إنا وجدنا آباءنا على أمة؛ أي: على دين مجتمع عليه. انتهى.

﴿وإنا على آثارهم مهتدون﴾: مهتدون خبر إن والظرف صلة لمهتدون قدم عليه للاختصاص ويستعمل بعلى لتضمنه معنى الثبوت والأثر بفتحتين بقية الشيء والآثار الأعلام. وسنن النبي عليه السلام آثاره.

قال الراغب: أثر الشيء حصول ما يدل على وجوده، ومن هذا يقال للطريق المستدل به على من تقدم آثار. والآثار بالفارسية: [بيها].

والمعنى: لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية، بل اعترفوا بأن لا سند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم:

جه قدررا بتقليد توان بيمودن رشته كوتاه بود مرغ نوآه موخته را

وفيه ذم للتقليد، وهو قبول قول الغير بلا دليل، وهو جائز في الفروع والعمليات، ولا يجوز في أصول الدين والاعتقادات، بل لا بد من النظر والاستدلال، لكن إيمان المقلد صحيح عند الحنفية والظاهرية، وهو الذي اعتقد جميع ما وجب عليه من حدوث العالم ووجود الصانع، وصفاته وإرسال الرسل، وما جاؤوا به حقاً من غير دليل؛ لأن النبي عليه السلام قبل إيمان الأعراب والصبيان والنسوان والعبيد والإماء من غير تعليم. الدليل ولكن المقلد يأثم بترك النظر والاستدلال لوجوبه عليه، والمقصود من الاستدلال هو الانتقال من الأثر إلى المؤثر، ومن المصنوع إلى الصانع تعالى بأي وجه كان لا ملاحظة الصغرى والكبرى، وترتيب المقدمات على قاعدة المعقول، فمن نشأ في بلاد المسلمين وسبح الله عند رؤية صنائعه، فهو خارج عن حد التقليد، كما في فصل الخطاب والعلم الضروري أعلى من النظري إذ لا يزول بحال، وهو مقدمة الكشف والعيان، وعند الوصول إلى الشهود لا يبقى الاحتياج إلى الواسطة (ع) ساكنان حرم [از قبله نما آزادند]. وفي المثنوي:

جون شدى بربامهاى آسمان سرد باشد جست وجوى نردبان

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ ۖ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ ۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿وكذلك﴾؛ أي: والأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد. ﴿ما أرسلنا من قبلك في قرية﴾: [دردهى ومجتمعى]. ﴿من نذير﴾ نبي منذر قوم من عذاب الله ﴿إلا قال مترفوها﴾: جبابرتها ﴿إنا وجدنا آباءنا على أمة﴾: طريقة ودين. ﴿وإنا على آثارهم﴾ سننهم وأعمالهم ﴿مقتدون﴾ قوله: ما أرسلنا. إلخ. استئناف دال على أن التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لأسلافهم أيضاً سند غيره وتخص المترفين بتلك المقالة للإيذان بأن التنعم

وحب البطالة هو الذي صرفهم عن النظر إلى التقليد، يقال: أترفته النعمة؛ أي: أطغته. والمراد بالمترفين: الأغنياء والرؤساء الذين أبطرتهم النعمة وسعة العيش في الدنيا وأشغلتهم عن نعيم الآخرة، ويدخل فيهم كل من يتمادى في الشهوات ويتبالغ في النفرة من لوازم الدين من الشرائع والأحكام.

وفي الحديث: «ما بال أقوام يشرفون المترفين، ويستخفون بالعابدين يعملون بالقرآن ما وافق أهواءهم وما خالف أهواءهم تركوه فعند ذلك يؤمنون ببعض ويكفرون ببعض، يسعون فيما يدرك بغير سعي من القدر المحتوم والرزق المقسوم، والأجل المكتوب، ولا يسعون فيما لا يدرك إلا بالسعي من الأجر الموفور والسعي المشكور والتجارة التي لا تبور».

قال بعضهم: إن الله تعالى ضمن لنا الدنيا وطلب منا الآخرة، فليته طلب منا الدنيا وضمن لنا الآخرة، فعلى العاقل الاقتفاء على آثار المهتدين وعمارة الآخرة كما عليه أرباب اليقين. قال الصائب:

برنمى آيى بنعمتهاى الوان زينهار تاتوان غم خورد فكر نعمت الوان مكن

كار عاقل نيست بند خويش محكم ساختن عمر خودرا صرف در تعمير اين زندان مكن

﴿**قال**﴾؛ أي: كل نذير من أولئك المنذرين لأممهم عند تعللهم بتقليد آبائهم. ﴿**أولو جئتكم**﴾؛ أي: أتقتدون بآبائكم، ولو جئتكم ﴿**بأهدى**﴾؛ أي: بدين أهدى وأرشد ﴿**مما وجدتم عليه آباءكم**﴾؛ أي: من الضلالة التي ليست من الهداية في شيء، وإنما عبر عنها بذلك مجاراة معهم على مسلك الإنصاف. ﴿**قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون**﴾؛ أي: قال: كل أمة لنذيرها إنا بما أرسلت به كافرون، وإن كان أهدى مما كنا فيه؛ أي: ثابتون على دين آبائنا لا ننفك عنه، وقد أجمل عند الحكاية للإيجاز، كما في قوله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ﴾ [المؤمنون: ٥١]، وفيه إقرار منهم بتصميمهم على تقليد آبائهم في الكفر والضلال، وإقناط للنذير من أن ينظروا ويتفكروا فيه:

خلق را تقليد شان بربادداد كه دوصد لعنت برين تقليد باد

كرجه عقلش سوى بالاميبرد مرغ تقليدش به بستى مى برد

﴿**فانتقمنا منهم**﴾: [بس ما انتقام كشيديم از مقلدان معاند باستئصال ايشان]. إذ لم يبق لهم عذر أصلاً. ﴿**فانظر كيف كان عاقبة المكذبين**﴾ من الأمم المذكورين، فلا تكترث بتكذيب قومك، فإن الله ينتقم منهم باسمه المنتقم القاهر القابض. قال علي رضي الله عنه السعيد من وعظ بغيره.

يعني: [نيكبخت آن بودكه جون ديكر يرا بند دهند واذكار ناشايسته وكفتار نا بسنديده بازدارند اوازان بند عبرت كيرد].

روي عن الشعبي أنه قال: خرج أسد وذئب وثعلب يتصيدون، فاصطادوا حمار وحش وغزالاً وأرنباً فقال الأسد للذئب اقسم، فقال: حمار الوحش للملك والغزال لي والأرنب للثعلب، قال: فرفع الأسد يده وضرب رأس الذئب ضربة، فإذا هو منجدل بين يدي الأسد، ثم قال للثعلب اقسم هذه بيننا، فقال الحمار يتغدى به الملك والغزال يتعشى به والأرنب بين ذلك، فقال الأسد: ويحك ما أقضاك من علمك هذا القضاء، فقال: القضاء الذي نزل برأس الذئب، فالإنسان مع كونه أعقل الموجودات لا يعتبر.

وفي بعض الكتب سأل بعض الملوك بنته البكر عن ألذ الأشياء، فقالت: الخمر والجماع والولاية، فهم بقتلها، فقالت: والله ما ذقتها، ولكني أرى ما فيك من الخمار والصداع، ثم أراك تعاودها، وأرى ما تلاقي أمي من نصب الولادة والألم والإشراف على الموت، ثم أراها في فراشك إذا طهرت من نفاسها وأسمع ما يجري على عمالك عند انعزالهم من الضرب والحبس والمصادرة، ثم أراهم يطلبون الأعمال بأتم حرص، ولا يعتبرون بما جرى عليهم وعلى غيرهم، فعرفت أن هذه الثلاث ألذ الأشياء فعفا الملك عنها.

قال الشيخ سعدي:

ندانستى كه بينى بند برباى جودر كوشت نيايد بند مردم

دكرره كرندارى طاقت بيش مكن انكشت در سوراخ كزدم

وجاء في الأمثال المؤمن لا يلدغ من جحر مرتين. وفيه إشارة إلى حال النفس الناسية القاسية، فإنها مع ما تذوق في الدنيا من وبال سيئاتها تعود إلى ما كانت عليه نسأل الله العصمة والتوفيق والعفو والعافية.

﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿وإذ قال إبراهيم﴾؛ أي: واذكر يا محمد لقومك قريش وقت قول إبراهيم عليه السلام بعد الخروج من النار ﴿لأبيه﴾: [تارخ الشهير بآزر. وكان ينحت الأصنام]. ﴿وقومه﴾ المكبين على التقليد وعبادة الأصنام كيف تبرأ مما هم فيه بقوله: ﴿إنني براء مما تعبدون﴾ وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلك الاستدلال، أو ليقتدوا به إن لم يكن لهم بد من التقليد، فإنه أشرف آبائهم وبراء بفتح الباء مصدر نعت به مبالغة، ولذلك يستوي فيه المذكر والمؤنث، والواحد والمتعدد يقال: نحن البراء، أما البريء فهو يؤنث ويجمع يقال: بريء وبريئون وبريئة وبريئات.

والمعنى: بريء من عبادتكم لغير الله إن كانت مصدرية، أو من معبودكم إن كانت موصولة حذف عائدها.

﴿إلا الذي فطرني﴾ استثناء منقطع إن كانوا عبدة الأصنام؛ أي: لكن الذي خلقني لا أبرأ منه، والفطر ابتداء خلق من غير مثال من قولهم: فطرت البئر إذا أنشأت حفرها من غير أصل سابق، أو متصل على أن ما نعم أولى العلم وغيرهم، وأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام، أو صفة على أن ما موصوفة؛ أي: إني بريء من آلهة، تعبدونها غير الذي فطرني فإن إلا بمعنى غير لا يوصف بها إلا جمع منكور غير محصور وهو هنا آلهة كما هو مذهب ابن الحاجب.

﴿فإنه سيهدين﴾؛ أي: سيثبتني على الهداية، أو سيهديني إلى ما وراء الذي هداني إليه إلى الآن، ولذا أورد كلمة التسويف هنا بعدما قال في الشعراء، فهو يهدين بلا تسويف. والأوجه أن السين للتأكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار؛ أي: دوام الهداية حالاً واستقبالاً.

﴿وجعلها﴾؛ أي: جعل إبراهيم كلمة التوحيد التي كان ما تكلم به من قوله: إنني إلى

سيهدين عبارة عنها، يعني: أن البراءة من كل معبود سوى الله توحيد للمعبود بالحق، وقول بلا إله إلا الله. ﴿كلمة باقية في عقبه﴾؛ أي: في ذريته حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى: ﴿وَوَصَّىٰ بِهَآ إِبْرَٰهِـۧمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ﴾ [البقرة: ١٣٢]. الآية. فالقول المذكور بعد الخروج من النار، وهذا الجعل بعد حصول الأولاد الكبار، فلا يزال فيهم نسلاً بعد نسل من يوحد الله ويدعو إلى توحيده وتفريده إلى قيام الساعة.

قال الراغب: العقب مؤخر الرجل واستعير للولد وولد الولد. انتهى.

فعقب الرجل ولده الذكور والإناث وأولادهم وما قيل: من أن عقب الرجل وأولاده الذكور، كما وقع في أجناس الناطفي، أو أولاده البنات، كما نقل عن بعض الفقهاء، فكلا القولين ضعيف جداً مخالف للغة لا يوثق به. ﴿لعلهم يرجعون﴾: علة للجعل والضمير للعقب وإسناد الرجوع إليهم من وصف الكل بحال الأكثر والترجي راجع إلى إبراهيم عليه السلام؛ أي: جعلها باقية في عقبه وخلفه رجاء أن يرجع إليها من أشرك منهم بدعاء الموحد.

قال بعضهم في سبب تكريم وجه علي بن أبي طالب، بأن يقال: كرم الله وجهه أنه نقل عن والدته فاطمة بنت أسد بن هاشم أنها كانت إذا أرادت أن تسجد للصنم، وهو في بطنها يمنعها من ذلك ونظر فيه البعض بأن قال عبادة قريش صنماً وإن كانت مشهورة عند الناس، لكن الصواب خلافه لقول إبراهيم عليه السلام: ﴿وَٱجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ ٱلْأَصْنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥]، وقول الله في حقه ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ﴾ [الزخرف: ٢٨]. وجوابه في سورة إبراهيم، ﴿فارجع﴾.

وفي الآية إشارة إلى أن كل من ادعى معرفة الله، والوصول إليه بطريق العقل والرياضة والمجاهدة من غير متابعة الأنبياء وإرشاد الله من الفلاسفة والبراهمة والرهابنة، فدعواه فاسد ومتمناه كاسد.

قال الشيخ سعدي:

درين بحر جز مرد راعى نرفت	كم آن شدكه دمبال داعى نرفت
كسانى كزين راه بركشته اند	برفتند وبسيار سركشته اند
خلاف بيمبر كسى ره كزيد	كه هركز بمنزل نخواهد رسيد

وإشارة أخرى أن بعد أهل العناية يهتدون إلى معرفة الله بإرشاد الله، وإن لم يبلغه دعوة نبي، أو إرشاد ولي أو نصح ناصح ولا يتقيد بتقليد آبائه، وأهل بلده من أهل الضلالة والأهواء والبدع، ولا تؤثر فيه شبههم ودلائلهم المعقولة المشوبة بالوهم والخيال، ولا يخاف في الله لومة لائم، كما كان حال إبراهيم عليه السلام كذلك، فإن الله تعالى أرشده من غير أن يبلغه دعوة نبي، أو إرشاد ولي، أو نصح ناصح، فلما آتاه الله رشده دعا قومه إلى التوحيد ووصى به بنيه لعلهم يرجعون عن الشرك.

وفيه إشارة إلى أن الرجوع إلى الله على قدمي اعتقاد أهل السنة والجماعة والأعمال الصالحة على قانون المتابعة بنور هذه الكلمة الباقية.

﴿بل متعت هؤلاء﴾: إضراب عن محذوف؛ أي: فلم يحصل ما رجاه، بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول من أهل مكة. ﴿وآباءهم﴾ بالمد في العمر والنعمة، فاغتروا بالمهلة وانهمكوا في الشهوات وشغلوا بها عن كلمة التوحيد. ﴿حتى جاءهم﴾؛ أي: هؤلاء

﴿الحق﴾؛ أي: القرآن. ﴿ورسول﴾؛ أي: رسول ﴿مبين﴾: ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة، أو مبين للتوحيد بالآيات البينات والحجج، فحتى ليست غاية للتمتع، بل لما تسبب عنه من الاغترار المذكور وما يليه.

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾.

﴿ولما جاءهم الحق﴾ لينبههم عما هم فيه من الغفلة، ويرشدهم إلى التوحيد ازدادوا كفراً وعتواً وضموا إلى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث ﴿قالوا هذا﴾ الحق والقرآن ﴿سحر﴾، وهو إراءة الباطل في صورة الحق، وبالفارسية: [جادويى]. ﴿وإنا به كافرون﴾: [بارر نداريم كه آن من عند الله است]. فسموا القرآن سحراً وكفروا به. وفيه إشارة إلى أرباب الدين وأهل الحق، فإن أهل الأهواء والبدع والضلالة ينظرون إلى الحق وأهله كمن ينظر إلى السحر وساحره وينطقون بكلمة الكفر بلسان الحال، وإن كانوا يمسكون بلسان المقال.

واعلم أن الكفر والتكذيب والإنكار من أوصاف أهل الجحيم؛ لأنه كما أن الجحيم مظهر قهر الله تعالى، فكذا الأوصاف المذكورة من أمارات قهر الله تعالى، فمن وجد فيه شيء من ذلك فقد اقتضت المناسبة أن يدخل النار، وأن الإيمان والتصديق والإقرار من أوصاف أهل الجنة؛ لأنه كما أن الجنة مظهر لطف الله تعالى، فكذا الأوصاف المذكورة من آثار لطف الله تعالى، فمن وجد فيه شيء من ذلك فقد اقتضت المناسبة أن يدخل الجنة، ولكن التصديق على أقسام:

فقسم باللسان، وهو الذي يشترك فيه المطيع والعاصي والخواص والعوام، وهو مفيد في الآخرة إذ لا يخلد صاحبه في النار.

وقسم بالأركان والطاعات والأذكار وأسباب اليقين، فذلك تصديق الأنبياء والأولياء والصديقين والصالحين. وبه يسلم صاحبه من الآفات مطلقاً.

وفي الحديث: «كل أمتي يدخلون الجنة إلا من أبى»، قيل: ومن يأبى يا رسول الله؟ قال: «من أطاعني دخل الجنة، ومن عصاني فقد أبى». أراد عليه السلام: «من أطاعني وصدقني فيما جئت به من الاعتقاد والعلم والعمل، ومن عصاني في ذلك، فيكون المراد بالأمة، أمة الدعوة والإجابة جميعاً. استثنى منه أمة الدعوة. وذلك فإن الأمة تطلق تارة على كافة الناس، وهم أمة الدعوة، وأخرى على المؤمنين، وهم أمة الإجابة، فأمة الإجابة أمة دعوة، ولا ينعكس كلياً، فاحذر الإباء والزم البقاء تنعم في جنة المأوى، فإن طريق النجاة هي الطاعات والأعمال الصالحات، فمن غرته الأماني واعتاد أملاً طويلاً فقد خسر خسراناً مبيناً نسأل الله سبحانه أن يجعلنا كما أمر في كتابه المبين، آمين.

﴿وقالوا﴾ أهل مكة ﴿لولا﴾ حرف تحضيض ﴿نزل هذا القرآن على رجل من القريتين﴾ من إحدى القريتين مكة والطائف. ﴿عظيم﴾ بالمال والجاه كالوليد بن المغيرة المخزومي بمكة وعروة بن مسعود الثقفي بالطائف، فهو على نهج قوله تعالى: ﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ [الرحمٰن: ٢٢]؛ أي: من أحدهما، وذلك لأن من للابتداء وكون الرجل الواحد من القريتين بعيد، فقدر المضاف، ومنهم من لم يقدر مضافاً.

وقال: أراد على رجل كائن من القريتين كلتيهما. والمراد به عروة المذكور؛ لأنه كان يسكن مكة والطائف جميعاً، وكان له في مكة أموال يتجر بها، وكان له في الطائف بساتين وضياع، فكان يتردد إليهما، فصار كأنه من أهلهما.

يقول الفقير: هنا وجه خفي، وهو أن النسبة إلى القريتين قد تكون بالمهاجرة من إحداهما إلى الأخرى، كما يقال: المكي المدني والمصري الشامي، وذلك بعد الإقامة في إحداهما أربع سنين صرح بذلك أهل أصول الحديث، ثم إنهم لم يتفوهوا بهذه الكلمة العظيمة حسداً على نزوله على الرسول عليه السلام دون من ذكر من عظمائهم من اعترافهم بقرآنيته بل استدلالاً على عدمها بمعنى أنه لو كان قرآناً لنزل على أحد هذين الرجلين بناء على ما زعموا من أن الرسالة منصب جليل لا يليق به إلا من له جلالة من حيث المال والجاه، ولم يدروا أن العظيم من عظمة الله وأعلى قدره في الدارين لا من عظمة الناس، إذ رب عظيم عندهم حقير عند الله. وبالعكس وإن الله يختص برحمته من يشاء، وهو أعلم حيث يجعل رسالته، وفي قولهم: عظيم تعظيم لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم وعظم شأنه وفخم.

﴿أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ (٣٢)﴾

﴿أهم يقسمون رحمة ربك﴾ إنكار فيه تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم. والمراد بالرحمة النبوة. يعني: أبيدهم مفاتيح الرسالة والنبوة، فيضعونها حيث شاؤوا، يعني: تابر هركه خواهند در نبوت بكشايند. **﴿نحن قسمنا بينهم معيشتهم﴾**؛ أي: أسباب معيشتهم. والمعيشة ما يعيش به الإنسان ويتغذى به ويجعله سبباً في قرام بنيته إذ العيش الحياة المختصة بالحيوان، وهو يعم الحلال والحرام عند أهل السنة والجماعة.

﴿في الحياة الدنيا﴾: قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح، ولم نفوض أمرنا إليهم علماً منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية، كما دل عليه تقديم المسند إليه، وهو نحن إذ هو للاختصاص.

والحاصل: نحن قسمنا أرزاقهم فيما بينهم، وهو أدنى من الرسالة، فلم نترك اختيارها إليهم، وإلا لضاعوا وهلكوا فما ظنهم في أمر الدين؛ أي: فكيف نفوض اختيار ما هو أفضل وأعظم، وهو الرسالة. **﴿ورفعنا بعضهم فوق بعض﴾** في الرزق وسائر مبادي المعاش. **﴿درجات﴾** نصب بنزع الخافض؛ أي: إلى درجات متفاوتة بحسب القرب والبعد، حسبما تقتضيه الحكمة، فمن ضعيف وقوي وفقير وغني وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم. **﴿ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً﴾** من التسخير والاستخدام، ولكون المراد هنا الاستخدام دون الهزء؛ لأنه لا يليق التعليل به أجمع القراء على ضم السين في الرواية المشهورة عنهم، فما كان من التسخير، فهو مضموم، وما كان من الهزء، فهو مكسور.

والمعنى: ليستعمل بعضهم بعضاً في مصالحهم، ويسخر الأغنياء بأموالهم الأجراء الفقراء بالعمل، فيكون بعضهم لبعض سبب المعاش هذا بماله، وهذا بعمله، فيتم قوام العالم لا لكمال في الموسع ولا لنقص في المقتر. **﴿ورحمة ربك﴾**؛ أي: النبوة وما يتبعها من سعادة الدارين. **﴿خير﴾** لأهلها. **﴿مما يجمعون﴾**؛ أي: يجمع هؤلاء الكفار من حطام الدنيا الدنية

الفانية، والعظيم من رزق من تلك الرحمة العظيمة لا مما يجمعون من الدنيء الحقير يظنون أن العظمة به. وفيه إشارة إلى أن الله تعالى يعطي لفقير من فقراء البلد لا يؤبه به ما لا يعطي لعلمائه وأفاضله من حقائق القرآن وأسراره، فإن قسمة الولاية بيده كقسمة النبوة، فما لا يحصل بالدرس قد يحصل بالوهب، وكما أن في صورة المال تسخير بعضهم لبعض لأجل الغنى، فكذا في صورة العالم والولاية تسخير بعضهم لبعض للتربية وكل من العلم والولاية والنبوة خير من الدنيا وما فيها من الأموال والأرزاق.

قال بعضهم: المعيشة أنواع إيمان وصدق وإرادة وعلم وخدمة وتوبة وإنابة ومحبة وشوق وعشق ومعرفة وتوحيد وفراسة وكرامة ووارد وقناعة وتوكل ورضا وتسليم. فتفاوت أصحاب هذه المقامات، كما تتفاوت أرباب الرزق وكذلك يتفاوتون في المعرفة مثلاً.

فإن بعضهم أعلى في المعرفة من بعض، وإن اشتركوا في نفس المعرفة وقس عليه صاحب المحبة ونحوها، هذا للمقبلين إليه وللمدبرين كمن يأكل النعم اللذيذة والحشرات المضرة.

وقال بعضهم: باين الله بينهم بمعرفة كيد النفس ووسوسة الشيطان، فالأعرف أفضل من العارف وطريقه الذكر.

قال سهل: الذكر لله خير من كثرة الأعمال؛ أي: إذا كان خالصاً.

[ودر حقائق سلمى اورده كه تفاوت درجات باخلاق حسنة است خوى هركه نيكوتر درجة او بلندتر. يكى خوب كردار وخوش خوى بود. كه بدسيرتا نرا نكو كوى بود. بخوابش كسى ديدجون در كذشت. كه بارى حكايت كن از سر كذشت. دهانى بخنده جو كل باز كرد. جو بلبل بصوت خوش آغار كرد. كه بر من نكردند سختى بسى. كه من سخت نكرفتمى بركسى].

قالت الفلاسفة: إن الكمالات البشرية مشروطة بالاستعداد والمذهب الحق أن جميع المقامات كالنبوة والولاية. وغيرهما وكذا السلطنة والوزارة ونحوهما اختصاصية عطائية غير كسبية ولا مشروطة بشيء من الاستعداد ونحوه. فإن الاستعداد أيضاً عطاء من الله تعالى كما قيل:

داد حق راقابليت شرط نيست بلكه شرط قابليت داد حق

وظهوره بالتدريج بحصول شرائطه وأسبابه يوهم المحجوب، فيظن أنه كسبي بالتعمل. وحاصل بالاستعداد، وليس كذلك في الحقيقة، فالله تعالى هو الولي يتولى أمر عباده، فيفعل ما تقتضيه حكمته، ولا دخل لشيء من ذلك نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا ممن رفعهم إلى درجات الكمال بحرمة أكامل الرجال.

﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿**ولولا أن يكون الناس أمة واحدة**﴾. بتقدير المضاف مثل كراهة أن يكون الناس، فإن لولا لانتفاء الثاني لوجود الأول، ولا تحقق لمدلول لولا ظاهراً.

والمعنى: ولولا كراهة أن يرغب الناس في الكفر إذا رأوا الكفار في سعة وتنعم لحبهم الدنيا، وتوهم أن ذلك الفضيلة في الكفار، فيجمعوا، ويكونوا في الكفر أمة واحدة. ﴿**لجعلنا**﴾ لحقارة الدنيا، وهو أنها عندنا. ﴿**لمن يكفر بالرحمٰن**﴾؛ أي: لشر الخلائق وأدناهم منزلة، كما قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ شَرُّ ٱلۡبَرِيَّةِ﴾ [البينة: ٦].

﴿**لبيوتهم**﴾ بدل اشتمال من لمن، أو اللام بمعنى على وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن إفراد المستكن في يكفر باعتبار لفظها، والبيوت والأبيات جمع بيت، وهو اسم لمبنى مسقف مدخله من جانب واحد بني للبيتوتة.

قال الراغب: أصل البيت مأوى الإنسان بالليل، ثم قد يقال من غير اعتبار الليل فيه والبيوت بالمسكن أخص، والأبيات بالشعر، ويقع ذلك على المتخذ من حجر ومدر ومن صوف ووبر وبه شبه بيت الشعر. ﴿**سقفاً**﴾ متخذة ﴿**من فضة**﴾ جمع سقف، وهو سماء البيت، والفضة جسم ذائب صابر منطرق أبيض رزين بالقياس إلى باقي الأجساد. وبالفارسية: [نقره].

سميت فضة لتفضضها وتفرقها في وجوه المصالح. ﴿**ومعارج**﴾ عطف على سقفاً جمع معرج بفتح الميم وكسرها، بمعنى السلم، وبالفارسية: [نردبان].

قال الراغب: العروج ذهاب في صعود، والمعارج المصاعد. والمعنى: وجعلنا لهم مصاعد ومراقي من فضة حذف لدلالة الأول عليه. ﴿**عليها**﴾؛ أي: على المعارج. ﴿**يظهرون**﴾ يقال: ظهر عليه إذا علاه وارتقى إليه وأصل ظهر الشيء أن يحصل شيء على ظهر الأرض، فلا يخفى، ثم صار مستعملاً في كل بارز للبصر والبصيرة، والمعنى: يعلون السطوح والعلالي. وبالفارسية: [ونردبانها كه بدان بربام آن خانها برايند وخودرا بنمايند].

﴿**ولبيوتهم**﴾؛ أي: وجعلنا لبيوتهم لعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير. ﴿**أبواباً**﴾ درها.

والباب: يقال لمدخل الشيء وأصل ذلك مداخل الأمكنة كباب المدينة والدار والبيت. ﴿**وسرراً**﴾ تحتها؛ أي: من فضة جمع سرير.

قال الراغب: السرير الذي يجلس عليه من السرور إذا كان ذلك لأولي النعمة وسرير الميت تشبيه به في الصورة، وللتفاؤل بالسرور الذي يلحق الميت برجوعه إلى الله وخلاصه من السجن المشار إليه بقوله عليه السلام: «الدنيا سجن المؤمن». ﴿**عليها**﴾؛ أي: على السرر. ﴿**يتكئون**﴾: [تكيه كنند]. والاتكاء: الاعتماد.

﴿**وزخرفاً**﴾ هو في الأصل بمعنى الذهب، ويستعار لمعنى الزينة، كما قال تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا﴾ [يونس: ٢٤].

قال الراغب: الزخرف: الزينة المزوقة. ومنه قيل: للذهب زخرف، كما قال تعالى: ﴿أَوۡ يَكُونَ لَكَ بَيۡتٞ مِّن زُخۡرُفٍ﴾ [الإسراء: ٩٣]؛ أي: ذهب مزوق. قال في «تاج المصادر»: الزخرفة: [آراستن]. وزوق البيت زينه وصور فيه من الزئبق، ثم قيل: لكل منقش ومزين مزوق، وإن لم يكن فيه الزئبق.

والمعنى: وزينة عظيمة من كل شيء عطفاً على سقفاً، أو ذهباً عطفاً على محل من فضة، فيكون أصل الكلام سقفاً من فضة وزخرف، يعني بعض السقف من فضة، وبعضها من ذهب، ثم نصب عطفاً على محله.

وفي الحديث: «يقول الله تعالى: لولا أن يجزع عبدي المؤمن لعصبت الكافر بعصابة من حديد ولصببت عليه الدنيا صباً»، وإنما أراد بعصابة الحديد كناية عن صحة البدن، يعني لا يصدع رأسه. وفي بعض الكتب الإلٰهية عن الله تعالى: لولا أن يحزن العبد المؤمن لكللت رأس الكافر بالأكاليل، فلا يصدع ولا ينبض منه عرق بوجع. ﴿وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا﴾: إن نافية، ولما بالتشديد بمعنى إلا أي وما كان ذلك المذكور من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة إلا شيء يتمتع به في الحياة الدنيا لا دوام له، ولا حاصل إلا الندامة والغرامة. وقرىء: بتخفيف لما على أن إن هي المخففة، واللام: هي الفارقة بينها وبين الناصبة، وما صلة. والتقدير: أن الشأن كل ذلك لمتاع الحياة الدنيا. ﴿والآخرة﴾ بما فيها من فنون النعم التي يقصر عنها البيان. ﴿عند ربك﴾ يعني: [در حكم]، أو ﴿للمتقين﴾؛ أي: عن الكفر والمعاصي:

هركس كه رخ از متاع فانى برنافت ... واندر طلب دولت باقى بشتافت
آنجا كه كمال همتش بود رسيد ... وآنجيز كه مقصود دلس بود بيافت

فإن قيل: قد بيّن الله تعالى أنه لو فتح على الكافر أبواب النعم لصار ذلك سبباً لاجتماع الناس على الكفر فلم لم يفعل ذلك بالمسلمين حتى يصير ذلك سبباً لاجتماع الناس على الإسلام فالجواب لأن الناس على هذا التقدير كانوا يجتمعون على الإسلام لطلب الدنيا، وهذا الإيمان إيمان المنافقين، فكان من الحكمة أن يضيق الأمر على المسلمين حتى أن كل من دخل في الإسلام، فإنما يدخل لمتابعة الدليل، ولطلب رضا الله، فحينئذٍ يعظم ثوابه بهذا السبب؛ لأن ثواب المرء على حسب إخلاصه ونيته، وإن هجرته إلى ما هاجر إليه.

قال في «شرح الترغيب»: فإن قيل: ما الحكمة في اختيار الله تعالى لنبيه الفقر، واختياره إياه لنفسه؛ أي: مع قوله: لو شئت لدعوت ربي عز وجل، فأعطاني مثل ملك كسرى وقيصر. فالجواب من وجوه: **أحدها**: أنه لو كان غنياً لقصده قوم طمعاً في الدنيا، فاختار الله له الفقر حتى أن كل من قصده علم الخلائق أنه قصده طلباً للعقبى.

والثاني: ما قيل: إن الله اختار الفقر له نظراً لقلوب الفقراء حتى يتسلى الفقير بفقره، كما يتسلى الغني بماله.

والثالث: ما قيل: إن فقره دليل على هوان الدنيا على الله تعالى، كما قال ﷺ: لو كانت الدنيا تزن عند الله تعالى جناح بعوضة ما سقى كافراً منها شربة ماء». انتهى.

ومعنى: هوان الدنيا على الله أنه سبحانه لم يجعلها مقصودة لنفسها، بل جعلها طريقاً موصلاً إلى ما هو المقصود لنفسه، وأنه لم يجعلها دار إقامة، ولا جزاء، وإنما جعلها دار رحلة وبلاء، وأنه ملكها في الغالب الجهلة والكفرة وحماها الأنبياء والأولياء والأبدال، وأبغضها وأبغض أهلها، ولم يرض العاقل فيها إلا بالتزود للارتحال عنها. قال الصائب:

از رباط تن جوبكذشتى ذكر معمورة نيست ... زادر هى برنمى دارى ازين منزل جرا

تداركنا الله وإياكم بفضله.

﴿وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿ومن يعش عن ذكر الرحمٰن﴾ من شرطية. وبالفارسية بمعنى: [وهركه]. ويعش بضم

الشين من عشا يعشو عشاً إذا تعاشى بلا آفة، وتعامى؛ أي: نظر نظر العشا ولا آفة في بصره.

ويقال: عشي يعشى كرضي إذا كان في بصره آفة مخلة بالرؤية.

قال الراغب: العشا بالفتح والقصر ظلمة تعرض في العين. يقال رجل أعشى وامرأة عشواء.

وفي «القاموس»: العشا: سوء البصر بالليل والنهار وخبطه خبط عشواء ركبه على غير بصيرة من الناقة العشواء التي لا تبصر أمامها.

والمراد بالذكر القرآن وإضافته إلى الرحمٰن إشارة إلى كونه رحمة عامة من الله، أو هو مصدر مضاف إلى المفعول.

والمعنى: ومن يتعامى ويعرض عن القرآن، أو عن أن يذكر الرحمٰن. وبالفارسية: [وهركه جشم بوشد از قرآن ويا ازياد كردن خداى]. لفرط اشتغاله بزهرة الحياة الدنيا وانهماكه في الحظوظ والشهوات الفانية. **﴿نقيض له شيطاناً﴾**. نسلطه عليه ونضمه إليه ليستولي عليه استيلاء القيض على البيض، وهو القشر الأعلى اليابس. **﴿فهو﴾**؛ أي: ذلك الشيطان. **﴿له﴾**؛ أي: لذلك العاشي والمعرض. **﴿قرين﴾** بالفارسية: [همنشين ودمساز]. ومصاحب لا يفارقه، ولا يزال يوسوسه ويغويه ويزين له العمى على الهدى والقبيح بدل الحسن.

قال عليه السلام: «إذا أراد الله بعبد شراً قيض له شيطاناً قبل موته بسنة، فلا يرى حسناً إلا قبحه عنده حتى لا يعمل به، ولا يرى قبيحاً إلا حسنه حتى يعمل به» وينبغي أن يكون هذا الشيطان غير قرينه الجني الكافر، وإلا فكل أحد له شيطان هو قرينه، كما قال ﷺ: «ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن وقرينه من الملائكة قالوا: وإياك يا رسول الله، قال: «وإياي، ولكن الله أعانني عليه، فأسلم، فلا يأمرني إلا بخير» [در نفحات الأنس آوردكه شيخ أبو القاسم مصري قدس سره بايكى از مؤمنان جن دوستى داشت وقتى در مسجدي نشسته بود جنى كفت اي شيخ اين مردم راجه كونه مى بينى كفت بعضى را در خواب وبعضى رابى خواب كفت آنجه برسر هاى ايشانست مى بينى كفتم نه جشمهاى مرا بماليد ديدم كه برسر هركسى بعضى رابالها بجشم فرو كذاشته وبعضى راكاهى فرو كذاريد وكاهى بالامى برد كفتم اين جيست كفت نشنيده كه].

﴿ومن يعش عن ذكر الرحمٰن نقيض له شيطاناً فهو له قرين﴾: [اينها شياطين اندبر سرهاى ايشان نشسته وبر هريكى بقدر غفلت وى استيلا يافته، دريغ ودردكه بانفس بد قرين شده ايم. وزين معامله باد بو همنشين شده ايم. بباركاه فلك بوده ايم رشك ملك، زجور نفس جفابيشه اينجنين شده ايم].

وفيه إشارة إلى أن من داوم على ذكر الرحمٰن لم يقربه الشيطان بحال.

قال بعضهم: من نسي الله وترك مراقبته ولم يستح منه، أو أقبل على شيء من حظوظ نفسه قيض الله له شيطاناً يوسوس له في جميع أنفاسه، ويغري نفسه إلى طلب هواها حتى يتسلط على عقله وعلمه، وبيانه وهذا كما قال أمير المؤمنين علي كرم الله وجهه: الشهوة والغضب يغلبان العقل والعلم والبيان، وهذا جزاء من أعرض عن متابعة القرآن، ومتابعة السنة.

وقال بعضهم: من أعرض عن الله بالإقبال على الدنيا يقيض له شيطاناً، وإن أصعب الشياطين نفسك الأمارة بالسوء، فهو له ملازم لا يفارقه في الدنيا والآخرة، فهذا جزاء من ترك

المجالسة مع الله بالإعراض عن الذكر، فإنه يقول: «أنا جليس من ذكرني»، فمن لم يذكر، ولم يعرف قدر خلوته مع الله وحاد عن ذكره، واختلف إلى خواطر النفسانية الشيطانية سلط الله عليه من يشغله عن الله، وإذا اشتغل العبد في خلوته بذكر ربه بنفي ما سوى الله، وإثبات الحق بلا إلٰه إلا الله، فإذا تعرض له من يشغله عن ربه صرفته سطوات الإلٰهية عنه، ومن لم يعرف قدر فراغ قلبه، واتبع شهوته، وفتح بابها على نفسه بقي في يد هواه أسيراً غالباً عليه أوصاف شيطنة النفس.

روي عن سفيان بن عيينة أنه قال: ليس مثل من أمثال العرب إلا وأصله في كتاب الله. قيل له: من أين قول الناس: أعط أخاك تمرة، فإن أبى فجمرة، قال من قوله: ومن يعش الآية. ﴿وإنهم﴾؛ أي: الشياطين الذين قيض كل واحد منهم لواحد ممن يعشو. ﴿ليصدونهم﴾؛ أي: يمنعون قرناءهم فمدار جمع الضميرين اعتبار معنى من كما أن مدار إفراد الضمائر السابقة اعتبار لفظها.

﴿عن السبيل﴾ عن الطريق المستبين الذي من حقه أن يسبل، وهو الذي يدعو إليه القرآن. ﴿ويحسبون﴾؛ أي: والحال أن العاشين يظنون. ﴿أنهم﴾؛ أي: الشياطين. ﴿مهتدون﴾؛ أي: السبيل المستقيم، وإلا لما اتبعوهم، أو يحسبون أن أنفسهم مهتدون؛ لأن اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما.

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيۡتَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ بُعۡدَ ٱلۡمَشۡرِقَيۡنِ فَبِئۡسَ ٱلۡقَرِينُ ﴿٣٨﴾﴾

﴿حتى إذا جاءنا﴾ حتى ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية، ومع هذا غاية لما قبلها، فإن الابتدائية لا تنافيها.

والمعنى: يستمر العاشون على ما ذكر من مقارنة الشياطين والصدق والحسبان الباطل حتى إذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيامة. ﴿قال﴾ مخاطباً له. ﴿يا ليت بيني وبينك﴾ في الدنيا ﴿بعد المشرقين﴾ بعد المشرق والمغرب؛ أي: تباعد كل منهما عن الآخر، فغلب المشرق وثنى وأضيف البعد إليهما، يعني: أن حق النسبة أن يضاف إلى أحد المنتسبين؛ لأن قيام معنى واحد بمحلين ممتنع، بل يقوم بأحدهما، ويتعلق بالآخر، لكن لما ثنى المشرق بعد التغليب لم يبق مجال للإضافة إلى أحدهما، فأضيف إليهما على تغليب القيام على التعلق.

والمعنى بالفارسية: [اى كاشكى ميان من وتو بودى روى ميان مشرق ومغرب يعنى كاش تو ازمن ومن ازتو دور بودى]. ﴿فبئس القرين﴾؛ أي: أنت. وبالفارسية:

بس بد همنشيني تو

يعني بئس الصاحب كنت أنت في الدنيا، وبئس الصاحب اليوم.

قال أبو سعيد الخدري رضي الله عنه: إذا بعث الكافر زوج بقرينه من الشيطان، فلا يفارقه حتى يصير إلى النار، كما أن الملك لا يفارق المؤمن حتى يصير إلى الجنة، فالشيطان قرين للكافر في الدنيا والآخرة، والملك قرين المؤمن فيهما، فبئس القرين الأول، ونعم القرين الثاني.

﴿وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ إِذ ظَّلَمۡتُمۡ أَنَّكُمۡ فِي ٱلۡعَذَابِ مُشۡتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنتَ تُسۡمِعُ ٱلصُّمَّ أَوۡ تَهۡدِي ٱلۡعُمۡيَ وَمَن كَانَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ﴿٤٠﴾ فَإِمَّا نَذۡهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنۡهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾﴾.

﴿ولن ينفعكم اليوم﴾: حكاية لما سيقال لهم حينئذٍ من جهة الله تعالى توبيخاً وتقريعاً؛

أي: لن ينفعكم اليوم تمنيكم لمباعدتهم ﴿إذ ظلمتم﴾؛ أي: لأجل ظلمكم أنفسكم في الدنيا باتباعكم إياهم في الكفر والمعاصي، وإذ للتعليل متعلق بالنفي، كما قال سيبويه: إنها بمعنى التعليل حرف بمنزلة لام العلة. ﴿أنكم في العذاب مشتركون﴾ تعليل لنفي النفع؛ أي: لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وشياطينكم القرناء في العذاب، كما كنتم مشتركين في سببه في الدنيا. ويجوز أن يسند الفعل إليه بمعنى لن يحصل لكم التشفي بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم: ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً، ونظائره لتشفوا بذلك.

وفي الآية إشارة إلى حال التابع والمتبوع من أهل الأهواء والبدع، فإن المتبوع منهم كان شيطان التابع في الإضلال عن طريق السنة، فلما فات الوقت وأدرك المقت وقعوا في التمني الباطل. قيل:

فضل اليوم على الغد أن للتأخير آفات

فعلى العاقل تدارك حاله، وتفكر ما له والهرب من الشيطان الأسود والأبيض قبل أن يهرب هو منه.

حكي: أن عابداً عبد الله تعالى في صومعته دهراً طويلاً، فولدت لملكهم ابنة حلف الملك أن لا يمسها الرجال، فأخرجها إلى صومعته وأسكنها معه لئلا يشعر أحد مكانها ولا يستخطبها. قال: وكبرت الابنة، فحضر إبليس على صورة شيخ وخدعه بها حتى واقعها الزاهد وأحبلها، فلما ظهر بها الحبل رجع إليه، وقال له: إنك زاهدنا وأنها لو ولدت يظهر زناك، فتصير فضيحة، فاقتلها قبل الولادة، وأعلم والدها أنها قد ماتت، فيصدقك، فتنجو من العذاب والشين، فقتلها الزاهد، فجاء الشيطان إلى الملك في زي العلماء، فأخبره بصنع الزاهد بابنته من الإحبال والقتل. وقال له: إن أردت أن تعرف حقيقة ما أخبرتك، فانبش قبرها وشق بطنها، فإن خرج منها ولد، فهو صدق مقالتي، وإن لم يخرج فاقتلني. فعل ذلك الملك، فإذا الأمر كما قال، فأخذ الزاهد فأركبه جملاً وحمله إلى بلده، فصلبه، فجاء الشيطان، وهو مصلوب، فقال له: زنيت بأمري وقتلت بأمري فآمن بي أنجك من عذاب الملك، فأدركته الشقاوة فآمن به، فهرب الشيطان منه ووقف من بعيد، فقال الزاهد: نجني. قال: إني أخاف الله رب العالمين، فالنفس والشيطان قرينان للإنسان يغويانه إلى أن يهلك:

دانسته ام كه دزد من اذخانة منست وزيستى وبلندى ديوار فارغم

﴿أفأنت تسمع الصم﴾؛ أي: من فقد سمع القلوب. ﴿أو تهدي العمي﴾ من فقد البصائر جمع أصم وأعمى. وبالفارسية: [آيا تو اى محمد سخن حق توانى شنوانيد آنانراكه كوش دل كرانت يا كورد لانرا طريق حق توانى نمود]. يشير إلى أن من سددنا بصيرته ولبسنا عليه رشده ومن صبينا في مسامع قلبه رصاص الشقاء والحرمان لا يمكنك يا محمد مع كمال نبوتك هدايته وإسماعه من غير عنايتنا السابقة، ورعايتنا اللاحقة. كان عليه الصلاة والسلام يتعب نفسه في دعاء قومه، وهم لا يزيدون الأغيار إلا تعامياً عما يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاماً عما يسمعونه من بينات القرآن، فنزلت. وهو إنكار تعجيب من أن يكون هو الذي يقدر على هدايتهم بعد تمرنهم على الكفر، واستغراقهم في الضلال بحيث صار عشاهم عمى مقروناً بالصمم فنزل منزلة من يدعي أنه قادر على ذلك لإصراره على دعائهم. قائلاً: أنا أسمع وأهدي

على قصد تقوى الحكم لا التخصيص، فعجب تعالى منه.

قال ابن الشيخ: وما أحسن هذا الترتيب. فإن الإنسان لاشتغاله بطلب الدنيا والميل إلى الحظوظ الجسمانية يكون كمن بعينه رمد ضعيف، ثم إنه كلما ازداد اشتداده بها، واشتد إعراضه عن النعيم الروحاني ازداد رمده، فينتقل من أن يكون أعشى إلى أن يكون أعمى.

﴿**ومن كان في ضلال مبين**﴾ لا يخفى على أحد؛ أي: ومن كان في علم الله أنه يموت على الضلالة. وبالفارسية: [وانراكه هست در كمراهى هويدا يعنى تو قادر نوستى برهدايت كمراهان بس بسيار تعب بر نفس خود منه]. وهو عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين ومدار الإنكار هو التمكن والاستقرار في الضلال المفرط بحيث لا ارعواء لهم عنه لا توهم القصور من قبل الهادي، ففيه رمز إلى أنه لا يقدر على ذلك إلا الله وحده بالقسر والإلجاء، يعني لا يقدر على إسماع الصم وهداية العمى، وجعل الكافر مؤمناً إلا الله وحده لعظم قدرته وإحاطة تعلقها بكل مقدور (ع): [آن به كه كار خود بعنايت رها كنيم].

﴿**فإما نذهبن بك**﴾: أصله إن ما على أن إنْ للشرط وما: مزيدة للتأكيد بمنزلة لام القسم في استجلاب النون المؤكدة؛ أي: فإن قبضناك وأمتناك قبل أن نبصرك عذابهم، ونشفي بذلك صدرك وصدر المؤمنين. وبالفارسية: [بس اكر ما ببريم ترابا جوار رحمت خود بيش ازانكه عذاب ايشان بتو بنمايم دل خوش دار].

﴿**فإنا منهم منتقمون**﴾ لا محالة في الدنيا والآخرة:

مكن شادمانى بمرك كسى ... كه دهرت نماند بس ازوى بسى

قال ابن عطاء: أنت أمان فيما بينهم، فإن قبضناك انتقمنا منهم، فليغتنم العقلاء وجود الصلحاء، وليجتنبوا من معاداتهم، فإن في ذلك الهلاك.

قال يحيى بن معاذ رحمة الله عليه: لله على عباده حجتان: حجة ظاهرة: هي الرسول. وحجة باطنة: هي العقول.

﴿أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ ۖ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾﴾.

﴿**أو نرينك الذي وعدناهم**﴾ أو إن أردنا أن نريك العذاب الذي وعدناهم. ﴿**فإنا عليهم مقتدرون**﴾: لا يفوتوننا لأنهم تحت قهرنا وقدرتنا.

وفي الآية تسلية للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم، بأنه تعالى ينتقم من أعدائه ومنكريه. إما في حال حياته، وإما بعد وفاته، وأنه قادر على انتقامهم بواسطته، كما كان يوم بدر، أو بغير واسطة، كما كان في زمن أبي بكر رضي الله عنه وغيره. فبذلك أثبته على حد الخوف والرجاء، ووقفه على حد التجويز لاستبداده بعلم الغيب. وكذلك المقصود في الأمر من كل أحد أن يكون من جملة نظارة التقدير، ويفعل الله ما يريد.

قال المولى الجامي:

اى دل تاكى فضولى وبو العجبى ... از من نشان عاقبت مى طلبى

سر كشته بود خواه ولى خواه نبى ... درواذى ما أدري ما يفعل بى

وفي الحديث: «إذا أراد الله بأمة خيراً قبض الله نبيها قبلها، فجعله لها فرطاً وسلفاً، وإذا

أراد الله بأمة عذاباً عذبها ونبيها حي لتقر عينه لما كذبوه وعصوه». قالوا: كل نبي قد رأى النقمة في أمته غير نبينا عليه السلام، فإن الله أكرمه، فلم ير في أمته إلا الذي تقر به عينه، وأبقى النقمة بعده، وهي البلايا الشديدة.

روي: أنه عليه السلام «أري ما يصيب أمته بعده، فما رؤي مستبشراً ضاحكاً حتى قبض».

وفي الحديث: «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم» قالوا: هذا خيرنا في حياتك فما خيرنا في مماتك؟ فقال: «تعرض علي أعمالكم كل عشية الاثنين والخميس، فما كان من خير حمدت الله تعالى، وما كان من شر أستغفر الله لكم، ولذلك استحب صوم يوم الاثنين والخميس. وقد قال عليه السلام: «تفتح أبواب الجنة كل اثنين وخميس». يعني: [مفتوح مى شود ابواب جنت درهر دوشنبه ونيجشنبه]. يعني: لشرفهما لكون يوم الاثنين يوم ولادة النبي عليه السلام، ويوم الخميس يوم عرض الأعمال على الله سبحانه وتعالى.

واعلم أن كل أحد يشرب من كأس الموت يقال: أوحى الله تعالى إلى نبينا عليه السلام، فقال: يا محمد أحبب من شئت فإنك مفارقه واعمل ما شئت فإنك ملاقيه غداً وعش ما شئت فإنك ميت:

منه دل برين سال خورده مكان	كه كنبد نيايد بروكر دكان
وكر بهلوانى وكر تيغ زن	نخواهى بدر بردن الا كفن
فرو رفت جم را يكى نازنين	كفن كرد جون كرمش ابريشمين
بدحمه در آمد بس از جند روز	كه بروى بكريد بزارى وسوز
جو بوسيده ديدش حرير كفن	بفكرت جنين كفت باخويشتن
من از كرم بركنده بودم بزور	بكندند ازو باز كرمان كور

﴿**فاستمسك بالذي أوحي إليك**﴾؛ أي: أمسك بالقرآن الذي أنزل عليك بمراعاة أحكامه سواء عجلنا لك المعهود، أو أخرناه إلى يوم الآخرة. ﴿**إنك على صراط مستقيم**﴾؛ أي: طريق سوي لا عوج له، وهو طريق التوحيد ودين الإسلام.

وفي «التأويلات النجمية»: فاعتصم بالقرآن، فإنه حبل الله المتين بأن تتخلق بخلقه وتدور معه حيث يدور وقف حيث ما أمرت وثق، فإنك على صراط مستقيم تصل به إلى حضرة جلالنا. ﴿**وإنه**﴾؛ أي: القرآن الذي أوحي إليك. ﴿**لذكر**﴾ لشرف عظيم. ﴿**لك**﴾ خصوصاً ﴿**ولقومك**﴾، وأمتك عموماً، كما قال عليه السلام: إن لكل شيء شرفاً يباهي به وإن بها أمتي وشرفها: القرآن. فالمراد بالقوم: الأمة. كما قال مجاهد، وقال بعضهم: ولقومك من قريش حيث يقال: إن هذا الكتاب العظيم إنزال الله على رجل من هؤلاء.

قال في «الكواشي»: أولاهم بذلك الشرف الأقرب، فالأقرب منه عليه السلام كقريش، ثم بني هاشم وبني المطلب.

قال ابن عطاء: شرف لك بانتسابك إلينا وشرف لقومك بانتسابهم إليك؛ أي: لأن الانتساب إلى العظيم الشريف عظيم شرف، ثم جمع الله النبي مع قومه، فقال: ﴿**وسوف تسألون**﴾ يوم القيامة عنه، وعن قيامكم بحقوقه وعن تعظيمكم وشكركم على أن رزقتموه وخصصتم به من بين العالمين.

وفي «التأويلات النجمية»: وأن القرآن به شرف الوصول لك ولمتابعيك، وسوف تسألون عن هذا الشرف والكرامة، هل أديتم حقه وقمتم بأداء شكره ساعين في طلب الوصول والوصال، أم ضيعتم حقه وجعلتموه وسيلة الاستنزال إلى الدرك بصرفه في تحصيل المنافع الدنيوية، والمطالب النفسانية. انتهى.

قال بعضهم: علوم العارفين مبنية على الكشف والعيان، وعلوم غيرهم من الخواطر الفكرية والأذهان، وبداية طريقهم التقوى والعمل الصالح، وبداية طريق غيرهم مطالعة الكتب والاستمداد من المخلوقين في حصول المصالح، ونهاية علومهم الوصول إلى شهود حضرة الحي القيوم، ونهاية علوم غيرهم تحصيل الوظائف، والمناصب وجمع الحطام الذي لا يدوم:

زيان ميكند مرد تفسير دان   كه علم وادب مى فروشد بنان

كجا عقل باشرع فتوى دهد   كه اهل خرد دين بدنيا دهد

فكما أن العالم الغير العامل والجاهل الغير العامل سواء في كونهما مطروحين عن باب الله تعالى. وكذا العارف الغير العامل والغافل الغير العامل سواء في كونهما مردودين عن باب الله تعالى؛ لأن مجرد العلم والمعرفة ليس سبب القبول والقدر ما لم يقارن العمل بالكتاب والسنة، بل كون مجرد هما سبب الفلاح، مذهب الحكماء الغير الإسلامية، فلا بد معهما من العمل حتى يكونا سبباً للنجاة، كما هو مذهب أهل السنة والحكماء الإسلامية. والإنسان إما حيواني، وهم الذين غلبت عليهم أوصاف الطبيعة وأحوال الشهوة من الأكل والشرب والمنام ونحوها، وإما شيطاني. وهم الذين غلبت عليهم أوصاف النفس وأحوال الشيطنة كالكبر والعجب والحسد وغيرها، وإما ملكي وهم الذين غلبت عليهم أوصاف الروح، وأحوال الملكية في العلم والعمل والذكر والتسبيح ونحوها، فمن تمسك بالقرآن، وعمل بما فيه علمه الله ما لم يعلم، وجعله من أهل الكشف والعيان. فيكون من الذين يتلون آيات الله في الآفاق والأنفس ويكاشفون عن حقائق القرآن، فهذا الشرف العظيم لهذه الأمة؛ لأنه ليس لغيرهم: هذا القرآن.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: قال موسى: يا رب هل في الأمم أكرم عليك ممن ظللت عليهم الغمام، وأنزلت عليهم المن والسلوى. قال: يا موسى إن فضل أمة محمد على الأمم، كفضلي على خلقي، فقال موسى: إلٰهي اجعلني من أمة محمد. قال: يا موسى لن تدركهم، ولكن أتشتهي أن تسمع كلامهم. قال: نعم يا رب فنادى: يا أمة محمد، فقالوا: لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك، والخير كله بيديك، فجعل الله تلك الإجابة من شعائر الحج، ثم قال: يا أمة محمد إن رحمتي سبقت غضبي، قد غفرت لكم قبل أن تعصوني وأعطيتكم قبل أن تسألوني، فمن لقيني منكم بشهادة أن لا إلٰه إلا الله وأن محمداً رسول الله، أسكنته الجنة، ولو كانت ذنوبه مثل زبد البحر، وعدد القطر، وعدد النجوم وعدد أيام الدنيا.

وفي التوراة في حق هذه الأمة: أناجيلهم في صدورهم؛ أي: يحفظون كتابهم. وفي المثنوي:

تو زقرآن اى بسر ظاهر مبين   ديو آدم رانه بيند جز كه طين

ظاهر قرآن جو شخص آدميست   كه نقوشش ظاهر وجانش خفيست

﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾.

﴿واسأل من أرسلنا من قبلك من رسلنا﴾. قوله: من أرسلنا في محل النصب على أنه مفعول اسأل، وهو على حذف المضاف لاستحالة السؤال من الرسل حقيقة.

والمعنى: واسأل أممهم وعلماء دينهم، كقوله تعالى: ﴿فَسْـَٔلِ ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَـٰبَ مِن قَبْلِكَ﴾ [يونس: ٩٤]، وفائدة هذا المجاز التنبيه على أن المسؤول عنه عين ما نطقت به ألسنة الرسل لا ما يقوله أممهم وعلماؤهم من تلقاء أنفسهم. **﴿أجعلنا من دون الرحمٰن آلهة يعبدون﴾**؛ أي: هل حكمنا بعبادة الأوثان، وهل جاءت في ملة من مللهم.

والمراد به: الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد والتنبيه على أنه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب، ويعادى له، فإنه أقوى ما حملهم على التكذيب والمخالفة.

قال ابن الشيخ: السؤال يكون لرفع الالتباس، ولم يكن رسول الله يشك في ذلك، وإنما الخطاب له. والمراد غيره. قالت عائشة رضي الله عنها: لما نزلت هذه الآية، قال عليه السلام: «ما أنا بالذي أشك، وما أنا بالذي أسأل». وجعل الزمخشري السؤال في الآية مجازاً عن النظر في أديانهم، والفحص عن مللهم على أنه نظير قولهم: سل الأرض من شق أنهارك وغرس أشجارك وجنى ثمارك، وللآية وجه آخر بحملها على ظاهرها من غير تقدير مضاف، وهو ما روي أنه عليه السلام: لما أسري به إلى المسجد الأقصى حشر إليه الأنبياء والمرسلون من قبورهم، ومثلوا له فأذن جبرائيل، ثم أقام وقال: يا محمد تقدم فصل بإخوانك الأنبياء والمرسلين، فلما فرغ من الصلاة. قال له جبرائيل: زعمت قريش أن لله شريكاً، وزعمت اليهود والنصارى أن لله ولداً، سل يا محمد هؤلاء النبيين، هل كان لله شريك، ثم قرأ: **﴿واسأل من أرسلنا﴾** إلخ. فقال عليه السلام: «لا أسأل ولقد اكتفيت ولست بشاك فيه»، فلم يشك فيه، ولم يسأل، وكان أثبت يقيناً من ذلك.

قال أبو القاسم: «المفسر في كتاب التنزيل» له: أن هذه الآية أنزلت على النبي عليه السلام ببيت المقدس ليلة المعراج، فلما أنزلت وسمعها الأنبياء عليهم السلام أقروا لله تعالى بالوحدانية. وقالوا: بعثنا بالتوحيد.

صاحب «عين المعاني»: [آورده كه در آثار آمد كه ميكائيل از جبرائيل برسيدكه سيد عالم عليه السلام اين سؤال كرد از انبيا جبرائيل كفت كه يقين اوازان كاملتر وايمان أو ازان محكمترست كه اين سؤال كنده. آنكه در كشف كرده استقلال]. كى توجه كند باستدلال.

وفي المثنوي:

آينه روشن كه صد صاف وجلى جهل باشد بر نهادر صيقلى
بيش سلطان خوش نشسته دل قبول زشت باشد جستن نامه ورسول

وفي الآية إشارة إلى أن بعثة جميع الرسل كانت على النهي عن عبادة غير الله من النفس والهوى والشيطان، أو شيء من الدنيا والآخرة كقوله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة: ٥]؛ أي: ليقصدوه، فإنه المقصود، ويطلبوه، فإنه المطلوب والمحبوب والمعبود.

قال بعض الكبار: لا تطلب مولاك مع شيء من الدنيا والآخرة من الظاهر والباطن، ولا من العلم والعرفان، ولا من الذوق والوجدان، ولا من الشهود والعيان، بل اطلبه بلا شيء

حتى تكون طالباً خالصاً مخلصاً له الدين، وإذا كنت طالباً لمولاك بدون شيء تنجو من رق الغير وتكون حراً باقياً، في رق مولاك، فحينئذٍ تكون عبداً محضاً لمولى واحد، فيصلح تسميتك عبد الله والعبد فقير إذ كل ما في يده لمولاه غني بغنى الله إذ كل خزائنه له.

ومن إشارات هذا المقام ما قال عليه السلام: «يؤتى بالعبد الفقير يوم القيامة، فيعتذر الله إليه كما يعتذر الرجل إلى الرجل في الدنيا، ويقول: وعزتي وجلالي ما زويت الدنيا عنك لهوانك علي، ولكن لما أعددت لك من الكرامة والفضيلة اخرج يا عبدي إلى هذه الصفوف، وانظر إلى من أطعمك، أو كساك، وأراد بذلك وجهي فخذ بيده، فهو لك والناس يومئذٍ قد ألجمهم العرق، فيتخلل الصفوف، وينظر من فعل به ذلك في الدنيا، فيأخذ بيده، ويدخله الجنة»:

كليد كلشن فردوس دست احسانست بهشت مى طلبى از سر درم برخيز

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾﴾

﴿ولقد أرسلنا موسى﴾: حال كونه ملتبساً **﴿بآياتنا﴾** التسع الدالة على صحة نبوته **﴿إلى فرعون وملئه﴾**؛ أي: أشراف قومه. والإرسال إلى الأشراف إرسال إلى الأرذال؛ لأنهم تابعون لهم. **﴿فقال﴾**: موسى لهم **﴿إني رسول رب العالمين﴾** لكم.

﴿فلما جاءهم بآياتنا﴾ ليسعدوا وينتهوا وينتفعوا بها **﴿إذا﴾**: [همان وقت] **﴿هم﴾**: [ايشان]. **﴿منها﴾**؛ أي: من تلك الآيات **﴿يضحكون﴾**: إذا اسم بمعنى: الوقت. نصب على المفعولية لفاجأوا المقدر ومحل، لما نصب على أنه ظرف له؛ أي: فاجأوا وقت ضحكهم منها؛ أي: استهزؤوا بها وكذبوها أول ما رأوها، ولم يتأملوا فيها. وقالوا: سحر وتخييل ظلماً وعلواً.

﴿وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ۖ وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا۟ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾﴾.

﴿وما نريهم من آية﴾ من الآيات. وبالفارسية: [ننموديم ايشانرا هيج معجزه]. **﴿إلا هي أكبر من أختها﴾**: الأخت تأنيث الأخ، وجعلت التاء فيها، كالعوض عن المحذوف منه؛ أي: أعظم عن الآية التي تقدمتها ليكون العذاب أعظم لما كانت الآية مؤنثاً عبر عنها بالأخت وسماها أختها في اشتراكهما في الصحة والصدق، وكون كل منهما نظيرة الأخرى وقرينتها وصاحبتها في ذلك، وفي كونها آية.

وفي «كشف الأسرار»: [اين آنست كه بارسيان كوبندكه همه از يكديكر نيكوتر مهتر وبهتر]. والمقصود: وصف الكل بالكبر الذي لا مزيد عليه فهو من باب الكناية.

يقول الفقير: الظاهر أن الكلام من باب الترقي وعليه عادة الله تعالى إلى وقت الاستئصال. وقال بعضهم: إلا وهي مختصة بضرب من الإعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها.

يقول الفقير: فالآيات متساوية في أنفسها، متفاوتة بالاعتبار كالآيات القرآنية، فإنها

متساوية في كونها كلام الله تعالى متفاوتة بالنسبة إلى طبقاتها في المعاني. فالمراد على هذا بالأفعل، هي الزيادة من وجه، وهي مجاز؛ لأن المصادر التي تتضمنها الأفعال والأسماء موضوعة للماهية لا للفرد المنتشر.

قال بعض الكبار: إن الله تعالى لم يأتهم بشيء من الآيات إلا كان أوضح مما قبله، ولم يقابلوه إلا بجفاء أوحش مما قبله من ظلومية طبع الإنسان وكفوريته. ﴿**وأخذناهم بالعذاب**﴾؛ أي: عاقبناهم بالسنين والطوفان والجراد والدم والطمس ونحوها. وكانت هذه الآيات دلالات ومعجزات لموسى وزجراً، وعذاباً للكافرين. ﴿**لعلهم يرجعون**﴾؛ أي: لكي يرجعوا عما هم عليه من الكفر، فإن من جهولية نفس الإنسان، أن لا يرجع إلى الله على أقدام العبودية إلا أن يجر بسلاسل البأساء والضراء إلى الحضرة، فكلمة لعل مستعارة لمعنى كي، وهو التعليل كما سبق في أول هذه السورة، وتفسيره بإرادة أن يرجعوا عن الكفر إلى الإيمان، كما فسره أهل الاعتزال خطأ محض لا ريب فيه؛ لأن الإرادة تستلزم المراد بخلاف الأمر التكليفي، فإنه قد يأمر بما لا يريد، والذي يريده، فهو واقع البتة.

﴿**وقالوا**﴾؛ أي: فرعون وقومه في كل مرة من العذاب لما ضاق نطاق بشريتهم. ﴿**يا أيه الساحر**﴾ نادوا بذلك في مثل تلك الحالة؛ أي: عند طلب كشف العذاب بدعائه لغاية عتوهم وغاية حماقتهم، أو سبق ذلك إلى لسانهم على ما ألفوه من تسميتهم إياه بالساحر لفرط حيرتهم.

قال سعدي المفتي: والأظهر أن النداء كان باسمه العلم كما في الأعراف، لكن حكى الله تعالى هنا كلامهم لا بعبارتهم، بل على وفق ما أضمرته قلوبهم من اعتقادهم أنه ساحر لاقتضاء مقام التسلية ذلك، فإن قريشاً أيضاً سموه ساحراً وسموا ما أتى به سحراً.

وعن الحسن: قالوه على الاستهزاء. وقال ابن بحر؛ أي: الغالب بالسحر نحو خصمته. وقال بعضهم: قالوه تعظيماً، فإن السحر كان عندهم علماً عظيماً، وصفة ممدوحة. والساحر فيهم عظيم الشأن، فكأنهم قالوا: يا أيها العالم بالسحر الكامل الحاذق فيه ﴿**ادع لنا ربك**﴾ ليكشف عنا العذاب.

قال في «التأويلات النجمية»: ما قالوا مع هذا الاضطرار يا أيها الرسول، وما قالوا: ادع لنا ربنا؛ لأنهم ما رجعوا إلى الله بصدق النية وخلوص العقيدة ليروه بنور الإيمان رسولاً، ويروا الله ربهم، وإنما طمعوا باضطرار لخلاص أنفسهم لا لخلاص قلوبهم. ﴿**بما عهد عندك**﴾ ما: مصدرية، والباء: للسببية. وأصل العهد بمعنى: التوصية أن يتعدى بإلى إلا أنه أورد بدلها لفظ عندك إشعاراً بأن تلك الوصية مرعية محفوظة عنده لا مضيعة ملغاة.

قال الراغب: العهد حفظ الشيء ومراعاته حالاً بعد حال وعهد فلان إلى فلان بعهد؛ أي: ألقى العهد إليه وأوصاه بحفظه.

والمعنى: بسبب عهده عندك بالنبوة، فإن النبوة تسمى عهد الله. وبالفارسية: [بسبب آن عهدى كه نزديك تونهاده است]. أو من استجابة دعوتك، أو من كشف العذاب عمن اهتدى.

قال بعضهم: الأظهر أن الباء في الوجه الأول للقسم؛ أي: ادع الله بحق ما عندك من النبوة. ﴿**إننا لمهتدون**﴾؛ أي: لمؤمنون على تقدير كشف العذاب عنا بدعوتك وعد منهم معلق بشرط الدعاء، ولذا تعرضوا للنبوة على تقدير صحتها. وقالوا: ربك لا ربنا، فإنه إنما يكون

ربهم بعد الإيمان؛ لأنهم قائلون بربوبية فرعون.

﴿فلما﴾: [بس آن هنكام كه]. ﴿كشفنا﴾: [ببرديم وازاله كرديم]. ﴿عنهم العذاب﴾ بدعاء موسى. ﴿إذا هم﴾: [همان زمان ايشان] ﴿ينكثون﴾: النكث في الأصل نقض الحبل والغزل ونحو ذلك. وبالفارسية: [تابازدادن ريسمان]. واستعير لنقض العهد. والمعنى: فاجأوا وقت نقض عهدهم بالاهتداء، وهو الإيمان؛ أي: بادروا النكث، ولم يؤخروه وعادوا إلى كفرهم، وأصروا عليه، ولما نقضوا عهودهم صاروا ملعونين، ومن آثار لعنهم الغرق، كما يأتي فعلى العاقل الوفاء بالعهد.

حكي: أن النعمان بن المنذر من ملوك العرب جعل لنفسه في كل سنة يومين، فإذا خرج فأول من يطلع عليه في يوم نعمه يعطيه مائة من الإبل ويغنيه. وفي يوم بؤسه يقتله، فلقيه في يوم بؤسه رجل طاقي، فأيقن بقتله. وقال: حيَّ الله الملك إن الاحتياج والضرورة قد حملاني على الخروج في هذا اليوم، ولكن لا يتفاوت الأمر في قتلي بين أول النهار وآخره، فإن رأى الملك أن يأذن لي في أن أوصل إلى أهلي وأولادي القوت وأودعهم، ثم أعود فرق له النعمان. وقال: لا يكون ذلك إلا بضمان رجل منا، فإن لم ترجع قتلناه.

قال شريك بن علي: ضمانه علي، فذهب الطاقي، ثم رجع قريباً من المساء، فلما رآه النعمان أطرق رأسه، ثم رفع وقال: ما رأيت مثلكما، أما أنت أيها الطاقي، فما تركت لأحد في الوفاء مقاماً يفتخر به، وأما أنت يا شريك، فما تركت لكريم سماحة؟ فلا أكون أخس الثلاثة ألا وإني قد رفعت يوم بؤسي عن الناس كرامة لكما، ثم أحسن إلى الطاقي. وقال: ما حملك على ذلك؟ قال: ديني فمن لا وفاء له لا دين له، فظهر أن الوفاء سبب النجاة. وفي المثنوي:

جرعه برخاك وفا آنكس كه ريخت كى تواند صيد دولت زوكريخت

وأول مراتب الوفاء منا هو الإتيان بكلمتي الشهادة، ومن الله منع الدماء والمال، وآخرها منا الاستغراق في بحر التوحيد بحيث يغفل عن نفسه فضلاً عن غيره، ومن الله الفوز باللقاء الدائم. وعن بعضهم أنه سافر للحج على قدم التجريد وعاهد الله أنه لا يسأل أحداً شيئاً، فلما كان في بعض الطريق مكث مدة لا يفتح عليه بشيء، فعجز عن المشي، ثم قال: هذا حال ضروري تؤدي إلى تهلكة بسبب الضعف المؤدي إلى الانقطاع. وقد نهى الله عن إلقاء النفس إلى التهلكة، ثم عزم على السؤال، فلما هم بذلك انبعث من باطنه خاطر رده عن ذلك العزم. ثم قال: أموت ولا أنقض عهداً بيني وبين الله، فمرت القافلة وانقطع ذلك البعض واستقبل القبلة مضطجعاً ينتظر الموت، فبينما هو كذلك إذ هو بفارس قائم على رأسه معه، إداوة فسقاه وأزال ما به من الضرورة، فقال له: تريد القافلة، فقال: وأين مني القافلة، فقال: قم، وسار معه خطوات، ثم قال: قف ها هنا، والقافلة تأتيك فوقف، وإذا بالقافلة مقبلة من خلفه. وهذا من قبيل طي المكان كرامة من الله تعالى لأهل الشهود والحضور:

نتوان بقيل وقال زار باب حال شد منعم نميشود كسى از كفت وكوى كنج

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾﴾.

﴿ونادى فرعون﴾ بنفسه أو بمناد أمره بالنداء ﴿في قومه﴾ في مجمعهم وفيما بينهم بعد أن كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمنوا. ﴿قال﴾ : [كفت از روى عظمت وافتخار]. ﴿يا قوم﴾ : [اى كروه من يعنى قبطيان]. ﴿أليس لي ملك مصر﴾ ، وهي أربعون فرسخاً في أربعين.

قال الكاشفي: [آيانيست مرا مملكت مصر از اسكندريه تاسر حد شام]. وفي «فتح الرحمٰن»: وهو من نحو الإسكندرية إلى أسوان بطول النيل. وأسوان بالضم: بلد بصعيد مصر كما في «القاموس». قال في«روضة الأخبار»: مصر بلدة معروفة بناها مصر بن حام بن نوح. وبه سميت مصر مصراً. وفي «القاموس»: مصروا المكان تمصيراً جعلوه مصراً، فتمصر، ومصر للمدينة المعروفة سميت لتمصرها، أو لأنه بناها مصر بن نوح.

وقال بعضهم: مصر بلد معروف من مصر الشيء يمصره إذا قطعه سمي به لانقطاعه عن الفضاء بالعمارة. انتهى. ﴿وهذه الأنهار﴾ ؛ أي: أنهار النيل، فاللام عوض عن المضاف إليه.

قال في «كشف الأسرار»: [آب نيل بسيصد وشصت جوى منقسم بوده]. والمراد هنا: الخلجان الكبار الخارجة من النيل ومعظمها أربعة أنهر: نهر الملك، وهو نهر الإسكندرية ونهر طولون ونهر دمياط ونهر تنيس، وهو كسكين بلد بجزيرة من جزائر بحر الروم قرب دمياط ينسب إليها الثياب الفاخرة كما في «القاموس».

﴿تجري من تحتي﴾ ؛ أي: من تحت قصري أو أمري. قال الكاشفي: [جهار حوى بزرك درباغ او ميرفت واز زير قصر هاى او ميكذست].

والواو إما عاطفة لهذه الأنهار على ملك، فتجري حال منها، أو للحال فهذه مبتدأ، والأنهار صفتها، وتجري خبر للمبتدأ.

قال في «خريدة العجائب»: ليس في الدنيا نهر أطول من النيل؛ لأن مسيرته شهران في الإسلام، وشهران في الكفر، وشهران في البرية، وأربعة أشهر في الخراب ومخرجه من بلاد جبل القمر خلف خط الاستواء، وسمي جبل القمر؛ لأن القمر لا يطلع عليه أصلاً لخروجه عن خط الاستواء، وميله عن نوره وضوؤه يخرج من بحر الظلمة؛ أي: البحر الأسود، ويدخل تحت جبل القمر. وليس في الدنيا نهر يشبه بالنيل إلا نهر مهران، وهو نهر السند.

﴿أفلا تبصرون﴾ : ذلك يريد به استعظام ملكه وعن هارون الرشيد لما قرأها قال: لأولينها أخس عبيدي، فولاها الخصيب، وكان على وضوئه وكان أسود أحمق. [عقل وكفايت آن سياه بحدى بودكه طائفة حراث مصر شكايت آور دندش كه ينبه كاشته بوديم بركنار نيل وباران بى وقت آمد وتلف شد كفت بشم بايستى كاشتن تاتلف نشدى دانشمندى اين سخن بشنيد وبخنديه وكفت]:

اكـــر روزى بـــدانـــش بـــرفـــزودى	زنـــادان تـــنـــك روزى تـــر نـــبـــودى
بـــنـــادانـــان جـــنـــان روزى رســـانـــد	كـــه دانـــايـــان از وحـــيـــران بـــمـــانـــد

وعن عبد الله بن طاهر أنه وليها، فخرج إليها، فلما شارفها، ووقع عليها بصره. قال: أهي القرية التي افتخر فيها فرعون حتى قال: أليس لي ملك مصر، والله لهي أقل عندي من أن أدخلها فثنى عنانه.

قال الحافظ ابن أبي الفرج بن الجوزي يوماً في قول فرعون: وهذه الأنهار تجري من تحتي، ويحه افتخر بنهر ما أجراه ما أجراه:

افتخار از رنك وبو وازمكان هست شادى وفريب كودكان

﴿أم أنا خير﴾: مع هذا الملك والبسط، وأم منقطعة بمعنى: بل أنا خير، والهمزة للتقرير أي لحملهم على الإقرار؛ كأنه قال: إثر ما عدد أسباب فضله ومبادي خيريته أثبت عندكم واستقر لديكم: أني أنا خير، وهذه حال من هذا. إلخ.

وقال أبو الليث: يعني أنا خير وأم للصلة والمحققون على أن أم ها هنا بمعنى: بل التي تكون للانتقال من كلام إلى كلام آخر من غير اعتبار استفهام، كما في قوله تعالى في سورة النمل، ﴿أَمَّاذَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨٤﴾﴾ [النمل: ٨٤].

وقال سعدي المفتي: ويجوز أن يكون النظم من الاحتباك: ذكر الأبصار أولاً دلالة على حذف مثله ثانياً: والخيرية ثانياً دلالة على حذف مثله أولاً.

والمعنى: أهو خير مني فلا تبصرون ما ذكرتكم به، أم أنا خير منه؛ لأنكم تبصرونه.

﴿من هذا الذي هو مهين﴾: ضعيف حقير من المهانة، وهي القلة. ﴿ولا يكاد يبين﴾: الكلام ويوضحه لرتة في لسانه، فكيف يصلح للنبوة والرسالة يريد أنه ليس معه من آيات الملك والسياسة ما يعتضده، ويتقوى به. كما قالت قريش: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾﴾ [الزخرف: ٣١]، وهو في نفسه حال عما يوصف به الرجال من الفصاحة والبلاغة، وكان الأنبياء كلهم فصحاء بلغاء. قاله: افتراء على موسى وتنقيصاً له في أعين الناس باعتبار ما كان في لسانه من نوع رتة حدثت بسبب الجمرة.

وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أُوتِيتَ سُؤْلَكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿٣٦﴾﴾ [طه: ٣٦]. والرتة: غير اللثغة، وهي حبسه في اللسان تمنعه من الجريان وسلاسة التكلم.

يقول الفقير: الأنبياء عليهم السلام سالمون من العيوب والعاهات المنفرة، كما ثبت في محله. وقد كان للشيخ عبد المؤمن المدفون في بروسة عقدة في لسانه، وعند ما ينقل الأحياء في الجامع الكبير تنحل بإذن الله تعالى، فإذا كان حال الولي، هكذا، فكيف حال الموفر حظاً من كل كمال كموسى، وغيره من الأنبياء عليهم السلام حين أداء الوحي الإلهي.

وقد جربنا عامة من كان ألثغ، أو نحوه، فوجدناهم منطيقين عند تلاوة القرآن، وهو من آثار رحمة الله وحكمه البديعة.

وفي «التأويلات النجمية» تشير الآية إلى من تعزز بشيء من دون الله، فحتفه وهلاكه في ذلك، فلما تعزز فرعون بملك مصر وجرى النيل بأمره، فكان فيه هلاكه، وكذلك من استصغر أحداً سلط عليه كما أن فرعون استصغر موسى عليه السلام، وحديثه وعابه بالفقر واللكنة. فقال: أم أنا خير فسلطه الله عليه، وكان هلاكه على يديه.

وفيه إشارة أخرى، وهي أن قوله: أم أنا خير من خصوصية صفة إبليس، فكانت هذه الصفة توجد في فرعون. وكان من صفة فرعون قوله: ﴿أَنَا۠ رَبُّكُمُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ [النازعات: ٢٤]، ولم توجد هذه الصفة في إبليس ليعلم أن الله تعالى أكرم الإنسان باستعداد يختص به، وهو قوله: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [التين: ٤]، فإذا فسد استعداده استنزل دركة لا يبلغه فيها إبليس وغيره. وهي أسفل السافلين، فيكون شر البرية، ولو استكمل استعداده لنال رتبة في القربة لا يسعه فيها ملك مقرب، ولكان خير البرية.

قال الصائب:

سروري از خلق بد خودرا مصفى كردنست برنمى آيى بخود سر برنمى بايد شدن
بادشاه از كشور بيكانه دارد صد خطر يك قدم ازحد خود بر ترنمى بايد شدن

فإذا عرفت حال إبليس وحال فرعون، فاجتهد في إصلاح النفس وتزكيتها عن الأوصاف الرذيلة التي بها صار الشيطان شيطاناً وفرعون فرعوناً نسأل الله سبحانه أن يدركنا بعنايته ويتداركنا بهدايته قبل القدوم على حضرته.

﴿فَلَوْلَآ أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾﴾.

﴿فلولا ألقي عليه أسورة من ذهب﴾. قالوه توبيخاً ولوما على ترك الفعل ما هو مقتضى حرف التحضيض الداخل على الماضي وأسورة جمع سوار على تعويض التاء من ياء أساوير، يعني: الياء المقابلة لألف أسوار، ونظيره زنادقة وبطارقة. فالهاء فيهما عوض عن ياء زناديق وبطاريق المقابلة. لياء زنديق وبطريق.

قال في «القاموس»: السوار بالكسر والضم. القلب: كالأسوار بالضم والجمع أسورة وأساور وأساورة.

وفي «المفردات»: سوار المرأة أصله دستواره، فهو فارسي معرب عند البعض، والذهب جسم ذائب صاف منطرق أصفر رزين بالقياس إلى سائر الأجسام.

والمعنى: فهلا ألقي على موسى وأعطي مقاليد الملك إن كان صادقاً في مقالته في رسالته، فيكون حاله خيراً من حالي والملقي هو رب موسى من السماء، وإلقاء الأسورة كناية عن إلقاء مقاليد الملك؛ أي: أسبابه التي هي كالمفاتيح له، وكانوا إذا سودوا رجلاً سوروه وطوقوه بطوق من ذهب علماً على رياسته ودلالة لسيادته.

يعني: [آن زمان جنان بودكه هركرا مهترى وبيشوايى ميدهند دستوانه طلا دردست وطوق زردركردن أو ميكننده فرعون كفت كه اكر موسى راست ميكويد كه بسيادت ورياست قوم نامزد شده جراخداى اورا دستوانه نداده]. **﴿أو جاء معه الملائكة مقترنين﴾**؛ أي: حال كونهم مقرونين بموسى منضمين إليه يعينونه على أمره وينصرونه ويصدقونه؛ أي: يشهدون له بصدقه.

قال الراغب: الاقتران كالازدواج في كونه اجتماع شيئين، أو أشياء في معنى من المعاني.

﴿فاستخف قومه﴾: الاستخفاف: سبك كردانيدن وسبك داشتن وطلب خفت كردن. أي: فاستفزهم بالقول وطلب منهم الخفة في إطاعته، فالمطلوب بما ذكره من التلبيسات والتمويهات خفة عقولهم حتى يطيعوه فيما أراد منهم، مما يأباه أرباب العقول السليمة لا خفة أبدانهم ففي امتثال أمره، أو فاستخف أحلامهم؛ أي: وجدها خفيفة يغترون بالتلبيسات الباطلة.

وقال الراغب: حملهم على أن يخفوا معه، أو وجدهم خفافاً في أبدانهم وعزائمهم.

وفي «القاموس»: استخفه ضد استثقله وفلاناً عن رأيه حمله على الجهل والخفة وأزاله عما كان عليه من الصواب.

وقال الكاشفي: [بس سبك عقل يافت فرعون بدين مكر كروه خودرا يعنى اين فريب در

ايشان اثر كرد]. ﴿فأطاعوه﴾ فيما أمرهم به لفرط جهلهم وضلالهم. [وبكلى دل از متابعت موسى بر داشتند]. ﴿إنهم كانوا قوماً فاسقين﴾، فلذلك سارعوا إلى طاعة ذلك الفاسق الغوي. وبالفارسية: [بدرستى كه فرعونيان بودند كروهى بيرون رفته ازدائرة بندكى خداى وفرمان بردارى وى بلكه خارج از طريقه عقل كه بمال وجاه فانى اعتماد كرده باشتد موسى را عليه السلام بنظر حقارت ديدند وندا نستندكه]:

فـــرعـــون وعـــذاب ابـــدوريـــش مـــرصـــع

موسى كليم الله: [وجوبى وشبانى].

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن كل من استولى على قوم فاستخفهم، فأطاعوه رهبة منه، وإن أمنوا من سطوته، فخالفوه أمناً منه، فإنه يزيد في جهادهم ورياضتهم ومخالفة طباعهم، وأنه استولت النفس الأمارة على قومها. وهم: القلب والروح وصفاتهما، فاستخفتهم بمخالفة الشريعة، وموافقة الهوى والطبيعة، فأطاعوها رهبة إلى أن تخلقوا بأخلاقها، فأطاعوها رغبة. انتهى.

وفيه إشارة إلى أن العدو لا ينقاد بحال، وأما انقياده كرهاً فلا يغتر به، فإنه لو وجد فرصة لقطع اليد بدل التقبيل:

هـركـز ايـمـن ززمـان نـنـشـسـتـم تـابـدانـسـتـم آنـجـه خـصـلـت اوسـت

﴿فلما آسفونا﴾: الإيساف: [أندو هكين كردن وبحشم آوردن]. منقول من أسف يأسف، كعلم يعلم إذا اشتد غضبه.

وفي «القاموس»: الأسف محركة أشد الحزن وأسف عليه غضب وسئل صلى الله عليه وسلم عن موت الفجأة، فقال: «راحة للمؤمن وأخذه أسف»؛ أي: سخط للكافر. ويروى: أسف ككتف؛ أي: أخذة ساخط، يعني: موت الفجأة إثر غضب الله على العبد إلا أن يكون مستعداً للموت.

وقال الراغب: الأسف: الحزن والغضب معاً. وقد يقال لكل منهما على الانفراد وحقيقته ثوران دم القلب إرادة الانتقام، فمتى كان ذلك على من دونه انتشر، فصار غضباً، ومتى كان على من فوقه انقبض، فصار حزناً.

والمعنى: فلما أغضبونا؛ أي: فرعون وقومه أشد الغضب بالإفراط في العناد والعصيان، وغضب الله نقيض الرضا، أو إرادة الانتقام، أو تحقيق الوعيد، أو الأخذ الأليم أو البطش الشديد، أو هتك الأستار والتعذيب بالنار أو تغيير النعمة. ﴿انتقمنا منهم﴾: أردنا أن نعجل لهم انتقامنا وعذابنا، وأن لا نحلم عنهم وفي «كشف الأسرار»: أحللنا بهم النقمة والعذاب.

﴿فأغرقناهم أجمعين﴾، فأهلكناهم المطاع والمطيعين له أجمعين، بالإغراق في اليم لم نترك منهم أحداً.

﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

﴿فجعلناهم سلفاً﴾: إما مصدر سلف يسلف كطلب يطلب بمعنى التقدم وصف به الأعيان للمبالغة، فهو بمعنى متقدمين ماضين، أو جمع سالف كخدم جمع خادم، ولما لم يكن التقدم متعدياً باللام فسروه بالقدوة مجازاً؛ لأن المتقدمين يلزمهم غالباً أن يكونوا قدوة لمن بعدهم.

فالمعنى: فجعلناهم قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم في استيجاب مثل ما حل بهم من العذاب.

وفي «عين المعاني»: فجعلناهم سلفاً في النار. ﴿ومثلاً للآخرين﴾: اللام متعلق بكل من سلفاً ومثلاً على التنازع؛ أي: عظة للكفار المتأخرين عنهم والعظة ليس من لوازمها الاتعاظ، أو قصة عجيبة تسير مسير الأمثال لهم، فيقال: مثلكم مثل قوم فرعون.

وقال الكاشفي: [كردانيديم ايشانرا بندى وعبرتى براى بيشينيان كه در مقام اعتبار باشند جه ملاحظة قصه عجيبة ايشان معتبررا در تقلب احوال كفايتيست واز جمله آنكه جون فرعون باب نازشى كرد اوراهم باب غرقه ساختند وبد آنجه نازيد بفرياد او نرسيد. درسر دارى كه باشدت سردارى هم درسران روى كه در سردارى].

وفي الآية إشارة إلى أن الغضب في الله من الفضائل لا من الرذائل. وعن سماك بن الفضل. قال: كنا عند عروة بن محمد وعنده وهب بن منبه، فجاء قوم فشكوا عاملهم، وأثبتوا على ذلك، فتناول وهب عصاً كانت في يد عروة، فضرب بها رأس العامل، حتى أدماه، فاستهانها عروة، وكان حليماً. وقال: يعيب علينا أبو عبد الله الغضب، وهو يغضب، فقال وهب: وما لي لا أغضب، وقد غضب الذي خلق الأحلام إن الله يقول: فلما آسفونا. إلخ.

وفيها إشارة أيضاً إلى أن إغضاب أوليائه إغضابه تعالى حتى قالوا في آسفونا: آسفوا رسلنا وأولياءنا. أضاف الإيساف إلى نفسه إكراماً لهم.

قال أبو عبد الله الرضي: إن الله لا يأسف كأسفنا، ولكن له أولياء يأسفون ويرضون، فجعل رضاهم رضاه وغضبهم غضبه، فينتقم لأوليائه من أعدائه كما أخبر في حديث رباني: من عادى لي ولياً فقد بارزني بالحرب وإني لأغضب لأوليائي كما يغضب الليث الجريء لجروه.

قال في «التأويلات النجمية»: هذا أصل في باب الجمع أضاف إيساف أوليائه إلى نفسه. وفي الخبر أنه يقول: «مرضت، فلم تعدني». وقال في صفة رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

وفي «عرائس البقلي»: فلما قاموا على دعاويهم الباطلة وكلماتهم المزخرفة وبدعهم الباردة، وأصروا على أذى أوليائنا وأحبائنا غضبنا وسلطنا عليهم جنود قهرياتنا وأمتناهم في أودية الجهالة وأغرقناهم في بحار الغفلة وجردنا قلوبهم عن أنوار المعرفة، وطمسنا أعين أسرارهم حتى لا يروا لطائف برنا على أوليائنا.

قال سهل: لما أقاموا مصرين على المخالفة في الأوامر وإظهار البدع في الدين وترك السنن اتباعاً للآراء والأهواء والعقول نزعنا نور المعرفة من قلوبهم، وسراج التوحيد من إسرارهم، ووكلناهم إلى ما اختاروه فضلوا وأضلوا. ومن الله الهداية لموافقة السنة ومنه المنة.

﴿۞ وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوٓاْ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَٰهُ مَثَلًا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَا مِنكُم مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾﴾.

﴿ولما ضرب ابن مريم﴾؛ أي: عيسى. ﴿مثلاً﴾؛ أي: ضربه عبد الله بن الزبعرى السهمي كان من مردة قريش قبل أن يسلم.

قال في «القاموس»: الزبعرى بكسر الزاي وفتح الباء والراء. والد عبد الله الصحابي القرشي الشاعر. انتهى. ومعنى: ضربه مثلاً؛ أي: جعله مثالاً ومقياساً في بيان إبطال ما ذكره رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من كون معبودات الأمم دون الله حصب جهنم. الآية قرأه على قريش، فامتعضوا من ذلك امتعاضاً شديداً؛ أي: غضبوا وشق عليهم ذلك. فقال ابن الزبعرى بطريق الجدال هذا لنا ولآلهتنا، أم لجميع الأمم. فقال عليه السلام: «هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم». فقال: خصمتك ورب الكعبة، أليست النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيراً، وبنو مليح الملائكة، فإن كان هؤلاء في النار، فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم، ففرح به قومه، وضحكوا وارتفعت أصواتهم، وذلك قوله تعالى: ﴿**إذا قومك**﴾: [آنكاه قوم تو].

﴿**منه**﴾؛ أي: من ذلك المثل؛ أي: لأجله وسببه ﴿**يصدون**﴾؛ أي: يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحاً وجذلاً لظنهم أن الرسول صار ملزماً به. قال في «القاموس»: صد يصد ويصد صديداً ضج كما قال في «تاج المصادر»: [الصديد بانك كردن].

والغابر: يفعل، ويفعل معاً، وأما الصدود، فبمعنى الإعراض. يقال: صد عنه صدوداً؛ أي: أعرض وفلاناً عن كذا صداً منعه وصرفه؛ كأصده كما قال في «التاج»: [الصد بكر دانيد والصد والصدود بكشتن].

﴿**وقالوا**﴾؛ أي: قومك. ﴿**ءآلهتنا خير**﴾؛ أي: عندك، فإن آلهتهم خير عندهم من عيسى. ﴿**أم هو**﴾؛ أي: عيسى؛ أي: ظاهر أن عيسى خير من آلهتنا، فحيث كان هو في النار، فلا بأس بكوننا مع آلهتنا فيها.

روي: أن الله تعالى أنزل قوله تعالى: جواباً ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ أُوْلَٰٓئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ ﴿١٠١﴾﴾ [الأنبياء: ١٠١] يدل على أن قوله: وما يعبدون من دون الله خاص بالأصنام.

وروي: أنه عليه السلام رد على ابن الزبعرى بقوله: ما أجهلك بلغة قومك. أما فهمت أن ما لما لا يعقل، فيكون إن الذين سبقت. إلخ. لدفع احتمال المجاز لا لتخصيص العام المتأخر عن الخطاب. وفي هذا الحديث تصريح بأن ما موضوع لغير العقلاء، لا كما يقول جمهور العلماء إنه موضوع على العموم للعقلاء وغيرهم، كما في «بحر العلوم». وقد بين عليه السلام أيضاً بقوله: «بل هم عبدوا الشياطين التي أمرتهم بذلك أن الملائكة والمسيح وعزيراً بمعزل عن أن يكونوا معبوديهم» كما نطق به قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم﴾ [سبأ: ٤١]، بل كانوا يعبدون الجن، وإنما أظهروا الفرح ورفع الأصوات من أول الأمر لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد، كما ينطق به قوله تعالى: ﴿**ما ضربوه لك إلا جدلاً**﴾ الجدل: قتل الخصم عن قصده لطلب صحة قوله، وإبطال غيره، وهو مأمور به على وجه الإنصاف، وإظهار الحق بالاتفاق، وانتصاب جدلاً على أنه مفعول له للضرب؛ أي: ما ضربوا لك ذلك المثل إلا لأجل الجدال والخصام لا لطلب الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره ببيانك.

قال بعض الكبار: إن قال عليه السلام: «آلهتكم خير من عيسى»، فقد أقر بأنها معبودة، وإن قال عيسى خير من آلهتكم، فقد أقر بأن عيسى يصلح؛ لأن يعبد، وإن قال: ليس واحد منهم خيراً، فقد نفى عيسى فراموا بهذا السؤال أن يجادلوه، ولم يسألوه للاستفادة فبين الله أن جدالهم ليس لفائدة إنما هو لخصومة نفس الإنسان، فقال: ﴿**بل هم قوم خصمون**﴾؛ أي:

الداء شداد الخصومة بالباطل مجبولون على اللجاج والخلاف، كما قال تعالى: ﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف: ٥٤]، وذلك لأنهم قد علموا أن المراد من قوله: ﴿وما يعبدون من دون الله﴾ هؤلاء الأصنام بشهادة المقام، لكن ابن الزبعرى لما رأى الكلام محتملاً للعموم بحسب الظاهر وجد مجالاً للخصومة.

وفي الحديث: «ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أتوا الجدل»، ثم قرأ: ما ضربوه لك، الآية.

﴿إن هو﴾؛ أي: ما هو؛ أي: ابن مريم وهو عيسى ﴿إلا عبد﴾ مربوب. ﴿أنعمنا عليه﴾ بفضلنا عليه بالنبوة، أو بخلقه بلا أب، أو بقمع شهوته لا ابن الله، والعبد لا يكون مولى وإلهاً كالأصنام.

وقال يحيى بن معاذ رحمه الله: أنعمنا عليه بأن جعلنا ظاهره إماماً للمريدين وباطنه نوراً لقلوب العارفين. ﴿وجعلناه مثلاً لبني إسرائيل﴾؛ أي: أمراً عجيباً حقيقاً بأن يسير ذكره كالأمثال السائرة.

قال بعض الكبار: عبرة يعتبرون به بأن يسارعوا في عبوديتنا طمعاً في إنعامنا عليهم، وكل عبد منعم عليه، إما نبي أو ولي.

﴿ولو نشاء﴾: لو للمضي وإن دخل على المضارع. ولذا لا يجزمه ويتضمن لو معنى الشرط؛ أي: قدرنا بحيث لو نشاء. ﴿لجعلنا﴾: أولدنا؛ أي: لخلقنا بطريق التوالد ﴿منكم﴾، وأنتم رجال من الإنس ليس من شأنكم الولادة، كما ولد حواء من آدم وعيسى من غير أب، وإن لم تجر العادة. ﴿ملائكة﴾ كما خلقناهم بطريق الإبداع. ﴿في الأرض﴾ مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين في السماء. ﴿يخلفون﴾؛ يقال: خلف فلان فلاناً إذا قام بالأمر عنه، إما معه وإما بعده؛ أي: يخلفونكم ويصيرون خلفاء بعدكم مثل أولادكم فيما تأتون وتذرون ويباشرون الأفاعيل المنوطة بمباشرتكم مع أن شأنهم التسبيح والتقديس في السماء، فمن شأنهم بهذه المثابة بالنسبة إلى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية، أو انتسابهم إليه بالولادة، يعني أن الملائكة مثلكم في الجسمية، واحتمال خلقها توليداً لما ثبت أنها أجسام، وأن الأجسام متماثلة، فيجوز على كل منها ما يجوز على الآخر، كما جاز خلقها إبداعاً، وذات القديم الخالق، لكل شيء متعالية عن مثل ذلك، فقوله: ولو نشاء. إلخ. لتحقيق أن مثل عيسى ليس ببدع من قدرة الله، وأنه تعالى قادر على أبدع من ذلك، وهو توليد الملائكة من الرجال مع التنبيه على سقوط الملائكة أيضاً من درجة المعبودية.

قال سعدي المفتي: لجعلنا منكم؛ أي: ولدنا بعضكم، فمن للتبعيض، وملائكة نصب على الحال، والظاهر أن من ابتدائية؛ أي: نبتدىء التوليد منكم من غير أم عكس حال عيسى عليه السلام، والتشبيه به على الوجهين في الكون على خلاف العادة، وجعل بعضهم من للبدل.

يعني: [شمارا اهلاك كنيم وبدل شما ملائكة آريم كه ايشان در زمين ازبى در آنيد شمارا]. يعمرون الأرض، ويعبدونني كقوله تعالى: ﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [إبراهيم: ١٩]، فتكون الآية للتوعد بالهلاك والاستئصال، ولا يلائم المقام.

وفي الآية إشارة إلى أن الإنسان لو أطاع الله تعالى لأنعم الله عليه بأن جعله متخلقاً

بأخلاق الملائكة ليكون خليفة الله في الأرض بهذه الأخلاق ليستعد بها إلى أن يتخلق بأخلاق الله، فإنها حقيقة الخلافة.

حكي: أن هاروت وماروت لما أنكرا على ذرية آدم اتباع الهوى والظلم والقتل والفساد. وقالا: لو كنا بدلاً منهم خلفاء الأرض ما نفعل مثل ما يفعلون، فالله تعالى أنزلهما إلى الأرض وخلع عليهما لباس البشرية، وأمرهما أن يحكما بين الناس بالحق، ونهاهما عن المناهي، فصدر عنهما ما صدر فثبت أن الإنسان مخصوص بالخلافة، وقبول فيضان نور الله، فلو كان للملائكة هذه الخصوصية لم يفتتنا بالأوصاف المذمومة الحيوانية السبعية، كما أن الأنبياء عليهم السلام معصومون من مثل هذه الآفات والأخلاق، وإن كانت لازمة لصفاتهم البشرية، ولكن بنور التجلي تنور مصباح قلوبهم، واستنار بنور قلوبهم جميع مشكاة جسدهم ظاهراً وباطناً، ﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ [الزمر: ٦٩]، فلم يبق لظلمات هذه الصفات مجال الظهور مع استعلاء النور، وبهذا التجلي المخصوص بالإنسان يتخلق الإنسان بالأخلاق الإلٰهية، فيكون فوق الملائكة، ثم إن الإنسان وإن لم يتولد منه الملائكة ظاهراً، لكنه قد تولدت منه باطناً على وجهين:

أحدهما: أن الله تعالى خلق من أنفاسه الطيبة وأذكاره الشريفة وأعماله الصالحة ملائكة، كما روي عن رفاعة بن رافع رضي الله عنه قال: كنا نصلي مع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فلما رفع رأسه من الركوع قال: «سمع الله لمن حمده»، فقال رجل وراءه: ربنا لك الحمد، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه. فلما انصرف، قال: «من المتكلم آنفاً؟»، قال الرجل: أنا. قال: «لقد رأيت بضعاً وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتب أولاً وسره هو أن مجموع حروف هذه الكلمات الذي ذكره الرجل وراء النبي عليه السلام: ثلاثة وثلاثون حرفاً، لكل حرف روح هو المثبت له والمبقي لصورة ما وقع النطق به، فبالأرواح الصور تبقى وبنيات العمال، وتوجهات نفوسهم ومتعلقات هممهم التابعة لعلومهم واعتقاداتهم، ترتفع حيث منتهى همه العامل:

هركسى ازهمت وآلاى خويش سود برد درخور كالاى خويش

والثاني: أن الإنسان الكامل قد تتولد منه الأولاد المعنوية التي هي كالملائكة في المشرب والأخلاق، بل فوقهم، فإن استعداد الإنسان أقوى من استعداد الملك. وهؤلاء الأولاد يخلفونه متسلسلين إلى آخر الزمان بأن يتصل النفس النفيس من بعضهم إلى بعض إلى آخر الزمان، وهي السلسلة المعنوية، كما يتصل به النطفة من بعض الناس إلى بعض إلى قيام الساعة. وهي السلسلة الصورية، وكما أن عالم الصورة باق ببقاء أهله وتسلسله، فكذا عالم المعنى.

﴿وَإِنَّهُۥ لَعِلْمٌ لِّلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَٱتَّبِعُونِۚ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾﴾.

﴿وإنه﴾؛ أي: وإن عيسى عليه السلام بنزوله في آخر الزمان **﴿لعلم للساعة﴾** شرط من أشراطها، يعلم به قربها وتسميته علماً لحصوله به، فهي على المبالغة في كونه مما يعلم به، فكأنه نفس العلم بقربها، أو أن حدوثه بغير أب أو إحياءه الموتى دليل على صحة البعث الذي

هو معظم ما ينكره الكفرة من الأمور الواقعة في الساعة.

وفي الحديث: «إن عيسى ينزل على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها: أفيق، وهو كأمير قرية بين حوران والغور. وعليه ممصرتان يعني: ثوبين مصبوغين بالأحمر، فإن المصر الطين الأحمر، والممصر المصبوغ به، كما في «القاموس». وشعر رأسه دهين وبيده حربة وبها يقتل الدجال، فيأتي بيت المقدس. والناس في صلاة الصبح.

وفي رواية: في صلاة العصر. فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى ويصلي خلفه على شريعة محمد عليه السلام، ثم يقتل الخنازير، ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به. وفي الحديث: «الأنبياء أولاد علات، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم، ليس بيني وبينه نبي، وأنه أول ما ينزل يكسر الصليب ويقتل الخنزير، ويقاتل على الإسلام ويخرب البيع والكنائس».

وفي الحديث: «ليوشكن أن ينزل فيكم ابن مريم حكماً وعدلاً، يكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية وتهلك في زمانه الملل كلها إلا الإسلام». دل آخر الحديث على أن المراد بوضع الجزية: تركها ورفعها عن الكفار بأن لا يقبل إلا الإسلام. صرح بذلك النووي. ولعل المراد بالكسر والقتل المذكورين ليس حقيقتهما، بل إزالة آثار الشرك عن الأرض.

وفي «صحيح مسلم»: فبينما هو يعني المسيح الدجال إذ بعث الله المسيح ابن مريم، فينزل عند المنارة البيضاء بشرقي دمشق بين مهرودتين يعني: ثوبين مصبوغين بالهرد بالضم، وهو طين أحمر واضعاً كفيه على أجنحة ملكين إذا طأطأ رأسه قطر. يعني:

جون سردربيش افكند قطرات ازرويش ريزان كردد

وإذا رفعه تحدر منه جمان كاللؤلؤ يعني:

جون سربالا كند قطر هابر روى وى جون مرواريد روان شود

فلا تحل بكافر يجد ريح نفسه إلا مات يعني:

نفس نهر كافر كه رسد نميرد

ونفسه حين ينتهي طرفه يعني:

برهر جاكه جشم وى افتد نفس وى برسد

«فيطلبه»؛ أي: «الدجال حتى يدركه بباب لد فيقتله». قال في «القاموس»: لد بالضم، قرية بفلسطين، يقتل عيسى عليه السلام الدجال عند بابها. انتهى.

[وآنكه يأجوج ومأجوج بيرون آيند وعيسى عليه السلام ومؤمنان بكوه طور برود وآنجا متحصن كردد]. ويجتمع عيسى والمهدي، فيقوم عيسى بالشريعة والإمامة، والمهدي بالسيف والخلافة. فعيسى خاتم الولاية المطلقة، كما أن المهدي خاتم الخلافة المطلقة.

وفي «شرح العقائد»: ثم الأصح أن عيسى يصلي بالناس ويؤمهم ويقتدي به المهدي؛ لأنه أفضل منه، فإمامته أولى من المهدي؛ لأن عيسى نبي، والمهدي ولي، ولا يبلغ الولي درجة النبي.

يقول الفقير: فيه كلام؛ لأن عيسى عليه السلام لا ينزل بالنبوة، فإن زمان نبوته قد انقضى، وقد ثبت أنه لا نبي بعد رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم لا مشرعاً كأصحاب الكتب، ولا متابعاً كأنبياء بني إسرائيل، وإنما ينزل على شريعتنا، وعلى أنه من هذه الأمة.

لكن للغيرة الإلٰهية يؤم المهدي، ويقتدي به عيسى؛ لأن الاقتداء به اقتداء بالنبي صلى الله تعالى عليه وسلم. وقد صح أن عيسى اقتدى بنبينا ليلة المعراج في المسجد الأقصى مع سائر الأنبياء، فيجب أن يقتدي بخليفته أيضاً، لأنه ظاهر صورته الجمعية الكمالية.

﴿فلا تمترن بها﴾ فلا تشكن في وقوعها. وبالفارسية: [بس شك مكنيد وجدل منماييد بآمدن قيامت]. والامتراء: المحاجة فيما فيه مرية. ﴿واتبعون﴾؛ أي: واتبعوا هداي وشرعي أو رسولي. ﴿هذا﴾ الذي أدعوكم إليه، وهو الاتباع. ﴿صراط مستقيم﴾ موصل إلى الحق. وقال الحسن: الضمير في وإنه لعلم للقرآن لما فيه من الإعلام بالساعة والدلالة عليها، فيكون هذا أيضاً إشارة إلى القرآن.

﴿ولا يصدنكم الشيطان﴾؛ أي: لا يمنعنكم الشيطان، ولا يصرفنكم عن صراط اتباعي. ﴿إنه لكم عدو مبين﴾ بين العداوة حيث أخرج أباكم من الجنة ونزع عنه لباس النور وعرضكم للبلية.

وحكي: أنه لما خرج آدم عليه السلام من الجنة. قال إبليس: أخرجته من الجنة بالوسوسة، فما أفعل به الآن، فذهب إلى السباع والوحوش، فأخبرهم بخبر آدم، وما يولد منه حتى قالت الوحوش والسباع: ما التدبير في ذلك. قال: ينبغي أن تقتلوه وقتل واحد أسهل من قتل ألف، فأقبلوا إلى آدم وإبليس أمامهم، فلما رأى آدم أن السباع قد أقبلت إليه رفع يده إلى السماء، وتضرع إلى الله، فقال الله: يا آدم! امسح بيدك على رأس الكلب، فمسح فكر الكلب على السباع والوحوش حتى هزمها، ومن ذلك اليوم صار الكلب عدو للسباع التي هي أعداء لآدم ولأولاده. وأصله: أن إبليس بصق على آدم حين كان طيناً، فوقع بصاقه على موضع سرته، فأمر الله جبريل حتى قور ذلك الموضع، فخلق من القوارة الكلب، ولذا أنس بآدم وصار حامياً له. ويقال: المؤمن بين خمسة أعداء: مؤمن يحسده، ومنافق يبغضه، وعدو يقتله، ونفس تغويه، وشيطان يضله.

قال بعض الكبار: لما كان تصرف النفس في الصد عن صراط المتابعة أقوى من الشيطان كانت أعدى الأعداء. وقال بعضهم: [هرآن دشمن كه باوى احسان كنى دوست كردد مكر نفس راكه جندان كه مدارا بيش كنى مخالفت زياده كند. مراد هركه برآرى مطيع امر توشد. خلاف نفس كه كردن كشد جويافت مراد].

﴿وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدۡ جِئۡتُكُم بِٱلۡحِكۡمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعۡضَ ٱلَّذِي تَخۡتَلِفُونَ فِيهِۖ فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمۡ فَٱعۡبُدُوهُۚ هَٰذَا صِرَٰطٞ مُّسۡتَقِيمٞ ﴿٦٤﴾ فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡ عَذَابِ يَوۡمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾﴾.

﴿ولما جاء عيسى﴾: [وآن هتكام كه عيسى آمد]. ﴿بالبينات﴾؛ أي: بالمعجزات الواضحة أو بآيات الإنجيل، أو بالشرائع.

﴿قال قد جئتكم﴾: [آمدم شمارا ويا آوردم شمارا]. ﴿بالحكمة﴾؛ أي: الإنجيل أو الشريعة لأعلمكم إياها. ﴿ولأبين لكم بعض الذي تختلفون فيه﴾، وهو ما يتعلق بأمور الدين، وأما ما يتعلق بأمور الدنيا، فليس بيانه من وظائف الأنبياء، كما قال عليه السلام: «أنتم أعلم بأمور دنياكم».

وفي «الأسئلة المقحمة»: كيف قال بعض، وإنما بعث ليبين الكل. والجواب: قال ابن عباس رضي الله عنهما: أن البعض ها هنا بمعنى الكل. وكذا قال في «عين المعاني»: الأصح أن البعض يراد به الكل كعكسه في قوله: ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ [البقرة: ٢٦٠].

وقال بعض أهل المعاني: كانوا يسألون عن أشياء لا فائدة فيها. فقال: ولأبين لكم. إلخ. يعني: أجيبكم عن الأسئلة التي لكم فيها فوائد. وفي الآية إشارة إلى أن الأنبياء، كما يجيئون بالكتاب من عند الله يجيئون بالحكمة مما آتاهم، كما قال ﴿وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ﴾ [البقرة: ١٢٩]. ولذا قال: ﴿ولأبين لكم﴾. إلخ. لأن البيان عما يختلفون فيه هو الحكمة. ﴿فاتقوا الله﴾ في مخالفتي. ﴿وأطيعون﴾ فيما أبلغه عنه تعالى، فإن طاعتي طاعة الحق، كما قال: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠].

﴿إن الله هو ربي وربكم فاعبدوه﴾، فخصوه بالعبادة والتوحيد، وهو بيان لما أمرهم بالطاعة فيه، وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع. ﴿هذا﴾؛ أي: التوحيد والتعبد بالشرائع ﴿صراط مستقيم﴾ لا يضل سالكه.

وفي «التأويلات النجمية»: فاعبدوه؛ أي: لا تعبدوني، فإني في العبودية شريك معكم، وأنه متفرد بربوبيته إيانا هذا صراط مستقيم أن تعبده جميعاً.

﴿فاختلف الأحزاب﴾ جمع حزب بالكسر بمعنى جماعة الناس؛ أي: فاختلف الفرق المتحزبة. والتحزب: [كروه كروه شدن].

يقال: حزب قومه، فتحزبوا؛ أي: جعلهم فرقاً وطوائف، فكانوا كذلك. والمراد اختلافهم بعد عيسى عليه السلام بثلاث مائة سنة لا في حياته، لأنهم أحدثوا بعد رفعه. ﴿من بينهم﴾؛ أي: من بين من بعث إليهم من اليهود والنصارى يعني: تحزب اليهود والنصارى في أمر عيسى عليه السلام، فقالت اليهود لعنهم الله: زنت أمه، فهو ولد الزنا. وقال بعض النصارى: عيسى هو الله! وبعضهم: ابن الله! وبعضهم: الله وعيسى وأمه آلهة، وهو ثالث ثلاثة!

وفي «التأويلات النجمية» يعني: قومه تحزبوا عليه حزب آمنوا به أنه عبد الله ورسوله وحزب آمنوا به، أنه ثالث ثلاثة، فعبدوه بالألوهية، وحزب اتخذوه ولداً لله وابناً له تعالى الله عما يقول الظالمون. وحزب كفروا به وجحدوا نبوته وظلموا عليه وأرادوا قتله، فقال الله تعالى في حق الظالمين المشركين. ﴿فويل للذين ظلموا﴾ من المختلفين، وأقام المظهر مقام المضمر تسجيلاً عليهم بالظلم. ﴿من عذاب يوم أليم﴾ هو يوم القيامة. والمراد: يوم أليم العذاب، كقوله ﴿فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ﴾ [إبراهيم: ١٨]؛ أي: عاصف الريح.

﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾﴾.

﴿هل ينظرون﴾؛ أي: ما ينتظر الناس.

﴿إلا الساعة أن تأتيهم﴾؛ أي: إلا إتيان الساعة، فهو بدل من الساعة، ولما كانت الساعة تأتيهم لا محالة كانوا كأنهم ينتظرونها. ﴿بغتة﴾ انتصابها على المصدر؛ أي: إتيان بغتة. وبالفارسية: [ناكاه]. والبغت: مفاجأة الشيء من حيث لا يحتسب، كما في «المفردات».

قال في «الإرشاد»: فجأة لكن لا عند كونهم مترقبين لها، بل غافلين عنها مشتغلين بأمور

الدنيا منكرين لها. وذلك قوله تعالى: ﴿وهم لا يشعرون﴾ بإتيانها، فيجازي كل الناس على حسب أعمالهم، فلا تؤدى بغتة مؤدى قوله: ﴿وهم لا يشعرون﴾ حتى لا يستغنى بها عنه؛ لأنه ربما يكون إتيان الشيء بغتة مع الشعور بوقوعه والاستعداد له؛ لأنه إذا لم يعرف وقت مجيئه. ففي أي وقت جاء أتى بغتة، وربما يجيء والشخص غافل عنه منكر له.

والمراد هنا هو الثاني، فلذا وجب تقييد إتيان الساعة بمضمون الجملة الحالية، فعلى العاقل الخروج عن كل ذنب. والتوبة لكل جريمة قبل أن يأتي يوم أليم عذابه، وهو يوم الموت، فإن ملائكة العذاب ينزلون فيه على الظالمين، ويشددون عليهم حتى تخرج أرواحهم الخبيثة بأشد العذاب.

وفي الحديث: «ما من مؤمن إلا وله كل يوم صحيفة جديدة، فإذا طويت وليس فيها استغفار طويت وهي سوداء مظلمة، وإذا طويت وفيها استغفار، طويت ولها نور يتلألأ»، ومن كلمة الاستغفار يخلق الله تعالى ملائكة الرحمة فيسترحمون له ويستغفرون».

واعلم أن القيامة ثلاث: الكبرى، وهو حشر الأجساد والسوق إلى المحشر للجزاء. والقيامة الصغرى: وهي موت كل أحد كما قال عليه السلام: «من مات فقد قامت قيامته». ولذا جعل القبر روضة من رياض الجنان أو حفرة من حفر النيران والقيامة الوسطى. وهي موت جميع الخلائق. وقيام هذه الوسطى لا يعلم وقته يقيناً، وإنما يعلم بالعلامات المنقولة عن الرسول عليه السلام مثل أن يرفع العلم ويكثر الجهل والزنا وشرب الخمر ويقل الرجال ويكثر النساء، حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد، وعن علي رضي الله عنه: «يأتي على الناس زمان لا يبقى من الإسلام إلا اسمه، ولا من الدين إلا رسمه، ولا من القرآن إلا درسه. يعمرون مساجدهم، وهي خراب عن ذكر الله شر أهل ذلك الزمان علماؤهم منهم تخرج الفتنة وإليهم تعود».

قال الشيخ سعدي:

كرهمه علم عالمت باشد بى عمل مدعى وكذابى

وقال: [عالم نابر هيز كار كوريست مشعله دار]. يعني: يهدي به ولا يهتدي، فنعوذ بالله من علم بلا عمل.

﴿الأخلاء﴾ جمع خليل. بالفارسية: [دوست]. والخلة: المودة؛ لأنها تتخلل النفس؛ أي: تتوسطها؛ أي: المتحابون في الدنيا على الإطلاق، أو في الأمور الدنيوية. ﴿يومئذٍ﴾ يوم إذ تأتيهم الساعة، وهو ظرف لقوله عدو والفصل بالمبتدأ غير مانع والتنوين فيه عوض عن المضاف إليه. ﴿بعضهم لبعض عدو﴾ لانقطاع ما بينهم من علائق الخلة والتحاب لظهور كونها أسباباً بالعذاب.

﴿إلا المتقين﴾: فإن خلتهم في الدنيا لما كانت في الله تبقى على حالها، بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار الخلة من الثواب ورفع الدرجات، والاستثناء على الأول متصل، وعلى الثاني منقطع.

قال الكاشفي: [كافران كه دوستى ايشان براى معاونت بوده بر كفر معصيت باهمه دشمن شوند كه ويلعن بعضهم بعضاً ومؤمنان كه محبت ايشان براى خداى تعالى بوده دوستى ايشان مجانا باشد تا يكديكررا شفاعت كنند ودر تأويلات كاشفي مذكور است كه خلت جهار نوع مى

باشد خلت تامة حقيقيه كه محبت روحانية است وآن مستند بود به تناسب أرواح وتعارف آن جون محبت انبيا واوليا واصفيا وشهدا بايكديكر دوم محبت قلبيه واستناد اين به تناسب اوصاف كامله واخلاق فاضله است جون محبت صلحا وابرار باهم ودوستى امم باانبيا وارادت مريدان بمشايخ واين دو نوع از محبت خلل بذير نيست نه در دنيا نه در آخرت ومثمر فوائد نتائج صورى ومعنويست سوم محبت عقليه كه مستند است بتحصيل اسباب معاش وتيسير مصالح دنيويه جون محبت تجار وصناع ودوستى خدام با مخاديم وارباب حاجات باغنياجهارم محبت نفسانيه واستناد آن بلذات حسيه ومشتهيات نفسيه بس در قيامت كه اسباب اين دو نوع از محبت قانى وزائل باشد آن محبت نيز زوال بذيرد بلكه جون متمنى وجود نكيرد وغرض وغايت بحصول نه بيوندد آن دوستى به دشمنى مبدل شود. دوستى كان غرض آميزشد. دوستى دشمنى انكيز شد. مهر كه از هر غرضى كشت باك. راست جو خورشيد شود تابناك].

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن كل خلة وصداقة تكون في الدنيا مبنية على الهوى والطبيعة الإنسانية تكون في الآخرة عداوة يتبرأ بعضهم من بعض. والاخلاء في الله خلتهم باقية إلى الأبد وينتفع بعضهم من بعض، ويشفع بعضهم في بعض، ويتكلم بعضهم في شأن بعض،وهم المتقون الذين استثناهم وشرائط الخلة في الله أن يكونوا متحابين في الله محبة خالصة لوجه الله من غير شوب بعلة دنيوية هوائية متعاونين في طلب الله، ولا يجري بينهم مداهنة، فبقدر ما يرى بعضهم في بعض من صدق الطلب والجد والاجتهاد يساعده ويوافقه ويعاونه، فإذا علم منه شيئاً لا يرضاه الله تعالى لا يرضاه من صاحبه، ولا يداريه فقد قيل: المداراة في الطريقة كفر بل ينصحه بالرفق والموعظة الحسنة، فإذا عاد إلى ما كان عليه وترك ما تجدد لديه يعود إلى صدق مودته وحسن صحبته. كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا﴾ [الإسراء: ٨]:

هنوزت از سر صلحست بازآى كزان محبوبتر باشى كه بودى

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في هذه الآية: كان خليلان مؤمنان وخليلان كافران، فمات أحد المؤمنين، فقال: يا رب إن فلاناً كان يأمرني بطاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالخير وينهاني عن الشر ويخبرني أني ملاقيك يا رب، فلا تضله بعدي، واهده كما هديتني وأكرمه كما أكرمتني، فإذا مات خليله المؤمن جمع بينهما؛ أي: بين أرواحهما، فيقول كل واحد منهما لصاحبه. نعم الأخ ونعم الصاحب، فيثني عليه خيراً. قال: ويموت أحد الكافرين، فيقول: يا رب إن فلاناً كان ينهاني عن طاعتك وطاعة رسولك، ويأمرني بالشر، وينهاني عن الخير ويخبرني أني غير ملاقيك، فلا تهده بعدي وأضلله كما أضللتني وأهنه كما أهنتني، فإذا مات خليله الكافر جمع بينهما، فيقول كل واحد منهما لصاحبه: بئس الأخ وبئس الخليل، فيثني عليه شراً.

وفي الحديث: «إن الله يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي اليوم أظلهم في ظلي يوم إلا ظل إلى ظلي». وفي رواية أخرى: «المتحابون فيَّ أي: في الله بجلالي لهم منابر من نور يغبطهم النبيون والشهداء».

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: أحب لله وأبغض لله ووال لله وعاد لله، فإنه إنما ينال ما عند الله بهذا، ولن ينفع أحداً كثرة صومه وصلاته وحجه حتى يكون هكذا. وقد صار الناس

اليوم يحبون ويبغضون للدنيا، ولن ينفع ذلك أهله، ثم قرأ الآية، وقد ثبت أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم آخى بين المهاجرين والأنصار بعد قدومه إلى المدينة. وقال: كونوا في الله إخواناً»؛ أي: لا في طريق الدنيا والنفس والشيطان. وقال الصديق رضي الله عنه من ذاق خالص محبة الله منعه ذلك من طلب الدنيا وأوحشه ذلك من جميع البشر. [اكر كسى را دوست دارد از مخلوقات از آنست كه وى بحق تعالى تعلقى دارد يا ازروى دوستى باحق مناسبتى دارد]:

وما عمدى بحب تراب أرض ولكن ما يحل به الحبيب

قال عبيد بن عمر: كان لرجل ثلاثة أخلاء بعضهم أخص به من بعض، فنزلت به نازلة فلقي أخص الثلاثة، فقال: يا فلان إنه قد نزل بي كذا وكذا، وإني أحب أن تعينني. قال له: ما أنا بالذي أعينك وأنفعك، فانطلق إلى الذي يليه، فقال له: أنا معك حتى إذا بلغت المكان الذي تريده رجعت وتركتك، فانطلق إلى الثالث، فقال له: أنا معك حيث ما كنت ودخلت. قال: فالأول: ماله، والثاني: أهله وعشيرته. والثالث: عمله:

بشهر قيامت مرو تنكدست كه وجهى ندارد بحسرت نشست

كرت جشم وعقلست تدبير كور كنون كن كه جشمت نخور دست مور

﴿يَٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾﴾.

﴿يا عباد﴾؛ أي: يا عبادي. ولفظ العباد المضاف إلى الله مخصوص بالمؤمنين المتقين؛ أي: يقال: للمتقين يوم القيامة تشريفاً وتطييباً لقلوبهم يا عبادي. **﴿لا خوف عليكم اليوم﴾**: من إلقاء المكاره. **﴿ولا أنتم تحزنون﴾** من فوت المقاصد، كما يخاف ويحزن غير المتقين.

وقال ابن عطاء: لا خوف عليكم اليوم؛ أي: في الدنيا من مفارقة الإيمان، ولا أنتم تحزنون في الآخرة بوحشة البعد، وذلك لأن خواص العباد يبشرهم ربهم بالسلامة في الدنيا والآخرة، كما دل عليه قوله تعالى: ﴿لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [يونس: ٦٤]، ولكنهم مأمورون بالكتمان وعلمهم بسلامتهم يكفي لهم، ولا حاجة بعلم غيرهم.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أن من أعتقه الله من رق المخلوقات واختصه بشرف عبوديته في الدنيا لا خوف عليه يوم القيامة من شيء يحجبه عن الله، ولا يحزن على ما فاته من نعيم الدنيا والآخرة مع استغراقه في لجج بحر المعارف والعواطف.

﴿الذين آمنوا بآياتنا﴾ صفة للمنادى. **﴿وكانوا مسلمين﴾** حال من الواو أو عطف على الصلة، أو مخلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا عن مقاتل إذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادي منادٍ: يا عبادي، فترفع الخلائق رؤوسهم على الرجاع، ثم يتبعها الذين آمنوا، الآية. فينكس أهل الأديان الباطلة رؤوسهم.

وفي «التأويلات النجمية»: وكانوا مسلمين في البداية لأوامره ونواهيه في الظاهر. وفي الوسط مسلمين لآداب الطريقة على وفق الشريعة بتأديب أرباب الحقيقة في تبديل الأخلاق في الباطن.

وفي «النهاية»: مسلمين للأحكام الأزلية والتقديرات الإلهية وجريان الحكم ظاهراً وباطناً

في الإخراج من ظلمة الوجود المجازي إلى نور الوجود الحقيقي. انتهى.

ثم في الآية إشارة إلى الإيمان بالآيات التنزيلية والتكوينية إيماناً عيانياً، وحقيقة الإسلام إنما تظهر بعد العيان في الإيمان، ثم إذا حصل الإيمان الصفاتي، وهو الإيمان بالآيات يترقى السالك إلى الإيمان بالله الذي هو الإيمان الذاتي فاعرف جداً.

﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٧١﴾﴾.

﴿**ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم**﴾ نساؤكم المؤمنات حال كونكم ﴿**تحبرون**﴾: تسرون سروراً يظهر حباره؛ أي: أثره على وجوهكم أو تزينون من الحبرة، وهو حسن الهيئة.

قال الراغب: الحبر الأثر المستحسن. ومنه ما روي: يخرج من النار رجل قد ذهب حبره وسبره؛ أي: جماله وبهاؤه. والحبر العالم لما يبقى من أثر علومه في قلوب الناس من آثار أفعاله الحسنة المقتدى بها.

قال في «القاموس»: الحبر بالكسر: الأثر أو أثر النعمة والحسن والوشي، وبالفتح السرور وحبره سره. والنعمة والحبرة بالفتح السماء في الجنة، وكل نعمة حسنة، وقد مر في سورة الروم ما يتعلق بالسماع عند قوله تعالى: ﴿فَهُمْ فِى رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥].

وفي «التأويلات النجمية»: ادخلوا جنة الوصال أنتم وأمثالكم في الطلب تتنعمون في رياض الأنس.

﴿**يطاف عليهم**﴾؛ أي: على العباد المؤمنين بعد دخولهم الجنة. وبالفارسية: [بكردانند برسر ايشان].

يدار بأيدي الغلمان والولدان والطائف الخادم، ومن يدور حول البيوت حافظاً والإطافة كالطوف والطواف: [كرد جيزى در آمدن يعنى بكشتن]. ﴿**بصحاف من ذهب**﴾: [كاساتهن]. جمع صحفة كجفان جمع جفنة، وهي القصعة العريضة الواسعة.

قال مجاهد: أي: أواني مدورة الأفواه. قال السدي: أي: ليست لها أذان. والمراد: قصاع فيها طعام. ﴿**وأكواب**﴾ من ذهب فيها شراب. وبالفارسية: [وكوزهاى بى دست بى كوشه براز]: أصناف شراب. جمع: كوب، وهو كوز لا عروة له ولا خرطوم ليشرب الشارب من حيث شاء.

قال سعدي المفتي: قللت الأكواب وكثرت الصحاف؛ أي: كما دل عليهما الصيغة؛ لأن المعهود قلة أواني الشرب بالنسبة إلى أوني الأكل.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: يطاف بسبعين ألف صحفة من ذهب في كل صحفة سبعون ألف لون كل لون له طعم وهذا لأسفل درجة، وأما الأعلى فيؤتى بسبعمائة ألف صحفة كما في «عين المعاني». ﴿**وفيها**﴾؛ أي: في الجنة. ﴿**ما تشتهيه الأنفس**﴾ من فنون الملاذ والمشتهيات النفسانية كالمطاعم والمشارب والمناكح والملابس والمراكب، ونحو ذلك.

قال في «الأسئلة المقحمة»: أهل الجنة هل يعطيهم الله جميع ما يسألونه وتشتهي أنفسهم، ولو اشتهت نفوسهم شيئاً من مناهي الشريعة كيف يكون حاله. والجواب: معنى الآية أن نعيم الجنة كله مما تشتهيه الأنفس، وليس فيها ما لا تشتهيه النفوس، ولا تصل إليه، وقد

قيل: يعصم الله أهل الجنة من شهوة محال أو منهي عنها.

يقول الفقير: دل هذا على أنه ليس في الجنة اللواطة المحرمة في جميع الأديان والمذاهب، ولو في دبر امرأته، فإن الإمام مالكاً رحمه الله رجع عن تجويز اللواطة في دبر امرأته، فليس فيها اشتهاء اللواطة لكونها مخالفة للحكمة الإلهية. وقد جوزها بعضهم في «شرح الأشباح» وغلط فيه غلطاً فاحشاً، وقد بيناه في قصة لوط، وأما الخمر، فليست كاللواطة لكونها حلالاً على بعض الأمم.

والحاصل: أنه ليس في الجنة ما يخالف الحكمة كائناً ما كان. ولذا تستتر فيها الأزواج عن غير محارمهن، وإن كان لا حل ولا حرمة هناك. ﴿وتلذ الأعين﴾ يقال: لذذت الشيء بالكسر لذاذاً ولذاذة؛ أي: وجدته لذيذاً. والمعنى: تستلذه الأعين وتقر بمشاهدته.

قال سعدي المفتي: هذا من باب تنزل الملائكة والروح تعظيماً لنعيمها، فإن منه النظر إلى وجهه الكريم. انتهى. فهذا النظر هو اللذة الكبرى. قال جعفر: شتان بين ما تشتهي الأنفس وبين ما تلذ الأعين؛ لأن ما في الجنة من النعيم والشهوات واللذات في جنب ما تلذ الأعين كأصبع يغمس في بحر؛ لأن شهوات الجنة لها حد ونهاية؛ لأنها مخلوقة، ولا تلذ الأعين في الدار الباقية إلا بالنظر إلى الوجه الباقي الذي لا حد ولا نهاية له. [در وسيط آورده كه بدين دو كلمة اخبار كرد از جملة نعيم اهل بهشت نعيم رياض جنان يا نصيب نفس است يا بهرة عين].

كذا قال في «كشف الأسرار»: هذا من جوامع القرآن؛ لأن جمع بهاتين اللفظتين ما لو اجتمع الخلق كلهم على وصف ما فيهما على التفصيل لم يخرجوا عنه. [درويش فرموده كه اهل نظر ميدانندكه لذت عين درجه جيزاست ميتوانند بود جمعى راكه غشاوة اعتزال بر نظر بصيرت ايشان طارى كشته يالمعات أنوار جمال انكم سترون ربكم برايشان بوشيده ماند با ايشان بكوى كه تلذ الأعين عبارت از جيست بر هر صاحب بصيرتى روشن است كه اهل شوق رالذت عين جز بمشاهدة جمال محبوب متصور نيست. برده ازبيش براندازكه مشتاقانرا. لذت ديده جز از ديدن ديدار تونيست. امام قشيري رحمه الله فرموده كه لذت ديدار فرا خور اشتياق است عاشق راهر جندكه شوق بيشتر بو دلذت ديدار افزو نترباشد واز ذو النون مصري رحمه الله نقل كرده اندكه شوق ثمرة محبت است هركرا دوستى بيشتر شوق بديدار دوست زياده تر ودر زبور آمده كه اى داود بهشت من براى مطيعانست وكفايت من جهت متوكلان وزيادت من براى شاكران وانس من بهرة طالبان ورحمت من ازان محبان ومغفرت من براى تائبان ومن خاصة مشتاقائم]. ألا طال شوق الأبرار إلى لقائي وأنا لهم أشد شوقاً: [دلم از شوق توخونست وندانم جونست. در درون شوق جمالت زبيان بيرونست. درد لم شوق توهر روز فزون ميكردد. دل شوريده من بين كه جه روز افزونست].

قال بعض الكبار: وفيها ما تشتهي أنفس أرباب المجاهدات والرياضات لما قاسوا في الدنيا من الجوع والعطش وتحملوا وجوه المشاق، فيمتازون في الجنة بوجوه من الثواب. ويقال لهم: كلوا من ألوان الأطعمة في صحاف الذهب، واشربوا من أصناف الأشربة من أكواب الذهب هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية. وأما أرباب القلوب وأهل المعرفة والمحبة، فلهم ما تلذ الأعين من النظر إلى الله تعالى لطول ما قاسوه من فرط الاشتياق بقلوبهم وبذل الأرواح في الطلب: [قومى خدايرا برستند بربيم وطمع آنان مردو رانند دربند باداش مانده

وقومى اورا بمهر ومحبت برستند آنان عارفانند].

وأوحى الله تعالى إلى داود عليه السلام: يا داود إن أود الأوداء إلى من عبدني لغير نوال، ولكن ليعطي الربوبية حقها يا داود. من أظلم ممن عبدني لجنة أو نار لو لم أخلق جنة وناراً لم أكن أهلاً لأن أطاع ومر عيسى عليه السلام بطائفة من العباد قد نحلوا: [يعنى از عبادت كداخته بودند].

وقالوا: نخاف النار ونرجو الجنة، فقال: مخلوقاً خفتم ومخلوقاً رجوتم ومر بقوم آخرين كذلك، فقالوا: نعبده حباً له وتعظيماً لجلاله، فقال: أنتم أولياء الله حقاً، أمرت أن أقيم معكم. قال حسن البصري رحمه الله لذاذة شهادة أن لا إله إلا الله في الآخرة كلذاذة الماء البارد في الدنيا. وفي الخبر: أن أعرابياً قال: يا رسول الله هل في الجنة إبل، فإني أحب الإبل؟ فقال: «يا أعرابي إن أدخلك الله الجنة أصبت فيها ما اشتهت نفسك ولذت عينك». وقال آخر: يا رسول الله هل في الجنة خيل، فإني أحب الخيل؟ قال: «إن أدخلك الله الجنة أصبت فيها فرساً من ياقوتة حمراء تطير بك حيث شئت».

وفي الحديث: «إن أدنى أهل الجنة منزلة من أن له سبع درجات، وهو على السادسة وفوقه السابعة، وإن له ثلاثمائة خادم، وإنه يغدى عليه ويراح في كل يوم بثلاثمائة صحفة في كل صحفة لون من الطعام ليس في الأخرى وإنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، وأن له من الأشربة ثلاثمائة إناء في كل إناء شراب ليس في الآخر وأنه ليلذ أوله كما يلذ آخره، وأنه ليقول: يا رب لو أذنت لي لأطعمت أهل الجنة وسقيتهم، ولم ينقص ذلك مما عندي شيئاً وإن له من الحور العين ثنتين وسبعين زوجة سوى أزواجه في الدنيا».

وعن أبي ظبية السلمي. قال: إن أهل الجنة لتظلهم سحابة، فتقول: ما أمطركم، فما يدعو داع من القوم بشيء إلا أمطرته حتى إن القائل منهم ليقول: أمطرينا كواعب أتراباً. وعن أبي أمامة قال: إن الرجل من أهل الجنة يشتهي الطائر، وهو يطير فيقع متفلقاً نضيجاً في كفه، فيأكل منه حتى تنتهي نفسه، ثم يطير ويشتهي الشراب، فيقع الإبريق في يده فيشرب منه ما يريد، ثم يرجع إلى مكانه، وأما الرؤية، فلها مراتب حسب تفاوت طبقات الرائين، وإذا نظروا إلى الله نسوا نعيم الجنان، فإنه أعظم اللذات.

وفي الخبر: «أسألك لذة النظر إلى وجهك». يقول الفقير: في الآية رد على من قال من الفقهاء لو قال: أرى الله في الجنة يكفر، ولو قال: من الجنة لا يكفر. انتهى.

وذلك لأن الحق سبحانه جعل ظرفاً للرؤية، وإنما يلزم الكفر إذا اعتقد أن الجنة ظرف المرئي؛ أي: الله ولا يلزم من تقيد رؤية العبد الرآئي بالجنة تقيد المعبود المرئي بها، ألا ترى أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رأى الله في الدنيا؟ مع أن الله ليس في الدنيا فاعرف، وفوقه مجال للكلام لكن لما كانت الرؤية نصيب أهل الشهود لا أهل القيود كان إلا وجب طي المقال، إذ لا يعرف هذا بالقيل والقال (ع): [نداند لذت اين باده زاهد]. ﴿**وأنتم فيها خالدون**﴾: الالتفات للتشريف؛ أي: باقون دائمون لا تخرجون ولا تموتون إذ لولا البقاء والدوام لنغص العيش ونقص السرور والاشتهاء واللذة، فلم يكن التنعم كاملاً والخوف والحسرة زائلاً بخلاف الدنيا، فإنها لفنائها عيشها مشوب بالكدر ونفعها مخلوط بالضرر:

جز حسرت وندامت وافسوس روزكار   از زندكى اكر ثمرى يافتى بكو

﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِيٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ لَكُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾﴾

﴿وتلك﴾ : مبتدأ إشارة إلى الجنة المذكورة **﴿الجنة﴾** : خبره. **﴿التي أورثتموها﴾** : أعطيتموها وجعلتم ورثتها. والإيراث ميراث [دادن] **﴿بما﴾** الباء للسببية. **﴿كنتم تعملون﴾** في الدنيا من الأعمال الصالحة. والمقصود أن دخول الجنة بمحض فضل الله تعالى ورحمته. واقتسام الدرجات بسبب الأعمال والخلود فيها بحسب عدم السيئات شبه جزاء العمل بالميراث؛ لأن العامل يكون خليفة العمل على جزائه. يعني: يذهب العمل ويبقى جزاؤه مع العامل، فكان العمل كالمورث وجزاؤه كالميراث.

قال الكاشفي: [جزارا بلفظ ميراث ياد فرموده كه خالص است وباستحقاق بدست آيد].

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: خلق الله لكل نفس جنة ونار. فالكافر يرث نار المسلم، والمسلم يرث جنة الكافر. قال بعضهم: قارن ثواب الجنة بالأعمال، وأخرج المعرفة واللقاء والمحبة والمشاهدة من العلل؛ لأنها اصطفائية خاصة أزلية يورثها من يشاء من العارفين الصديقين، فالجنة مخلوقة، وكذا الأعمال، فأعطيت للمخلوق بسبب المخلوق، وجعل الرؤية عطاء لا يوازيها شيء.

﴿لكم فيها﴾ ؛ أي: في الجنة سوى الطعام والشراب. **﴿فاكهة كثيرة﴾** بحسب الأنواع والأصناف لا بحسب الإفراط فقط. والفواكه من أشهى الأشياء للناس وألذها عندهم وأوفقها لطباعهم وأبدانهم. ولذلك أفردها بالذكر **﴿منها تأكلون﴾** ؛ أي: بعضها تأكلون في نوبة لكثرتها. وأما الباقي، فعلى الأشجار على الدوام لا ترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة، فهي مزينة بالثمار أبداً موفرة بها.

وفي الحديث: «لا ينزع رجل في الجنة من ثمرها إلا نبت مثلاها مكانها» فمن تبعيضية. والتقديم للتخصيص. ويجوز أن تكون ابتدائية وتقدم الجار للفاصلة، أو للتخصيص، كالأول فيكون فيه دلالة على أن كل ما يأكلون للتفكه ليس فيها تفوت إذ لا تحلل حتى يحتاج إلى الغذاء. ولعل تفصيل التنعم بالمطاعم والمشارب والملابس، وتكريره في القرآن، وهو حقير بالإضافة إلى سائر نعم الجنة لما كان بهم من الشدة والفاقة، ففيه تحريك لدواعيهم وتشويق لهم. والفاسق من أهل الصلاة آمن بالله وآياته وأسلم، فوجب أن يدخل تحت هذا الوعد. والظاهر أنه خارج، فإنه يخاف ويحزن يوم القيامة، ولا محذور في خروجه.

والحاصل: أن الآية في حق المؤمنين الكاملين، فإنهم الذين أسلموا وجوههم لله تعالى، وأما الناقصون، فإنهم وإن آمنوا لكن إسلامهم لم يكن على الكمال، وإلا لما خصوا الله بترك التقوى، فمقام الامتنان يأبى عن دخولهم تحت حكم الآية. اللهم إلا بطريق الإلحاق، فإن لهم نعيماً بعد انقضاء مدة خوفهم وحزنهم، وانتهاء زمان حبسهم وعذابهم، فعلى العاقل أن يجتهد في الظواهر والبواطن، فإن من اكتفى بالمطاعم والمشارب الصورية حرم من طعام المشاهدات وشراب المكاشفات، ومن لم يطعم في هذه الدار من أثمار أشجار المعارف لم يلتذ في تلك الدار بالأذواق الحقيقية التي هي نصيب الخواص من أهل التقوى.

قال الحافظ:

عشق مى ورزم واميدكه اين فن شريف جون هنر هاى دكر موجب حرمان نشود

اللهم اجعلنا من المشتاقين إلى جمالك والقابلين لوصالك بحرمة جلالك.

﴿إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ خَٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾﴾.

﴿إن المجرمين﴾؛ أي: الراسخين في الإجرام وهم الكفار، وحسبما ينبىء عند إيرادهم في مقابلة المؤمنين بالآيات **﴿في عذاب جهنم﴾** متعلق بقوله: **﴿خالدون﴾**؛ أي: لا ينقطع عذابهم في جهنم، كما ينقطع عذاب عصاة المؤمنين على تقدير دخولهم فيها.

﴿لا يفتر عنهم﴾؛ أي: لا يخفف العذاب عنهم ولا ينقص من قولهم فترت عنه الحمى إذ سكنت قليلاً ونقص حرها، والتركيب للضعف والوهن.

قال الراغب: الفتر سكون بعد حدة ولين بعد شدة وضعف بعد قوة: [والتفتيرسست كردانيدن]. **﴿وهم فيه﴾**؛ أي: في العذاب. **﴿مبلسون﴾**: آيسون من النجاة والراحة وخفة العقوبات قيل يجعل المجرم في تابوت من النار، ثم يردم عليه، فيبقى فيه خالداً لا يرى ولا يرى.

قال في «تاج المصادر»: الإبلاس [نوميد شدن وشكسته واندوهكين شدن].

وفي «المفردات»: الإبلاس: الحزن المعترض من شدة اليأس ومنه اشتق إبليس، ولما كان المبلس كثيراً ما يلزم السكوت، وينسى ما يعنيه قيل أبلس فلان، إذا سكت وانقطعت حجته.

قال في «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى أن أهل التوحيد، وإن كان بعضهم في النار، لكن لا يخلدون فيها، ويفتر عنهم العذاب بدليل الخطاب. وقد ورد في الخبر أنه يميتهم الحق إماتة إلى أن يخرجهم من النار. والميت لا يحس، ولا يألم. وذكر في الآية، وهم مبلسون؛ أي: خائبون. وهذه صفة الكفار والمؤمنون، وإن كانوا في بلائهم فهم على وصف رجائهم يعدون أيامهم إلى أن تنتهي أشجانهم.

وقال بعض الشيوخ: إن حال المؤمن من النار من وجه أروح لقلوبهم من حالهم في الدنيا؛ لأن اليوم خوف الهلاك، وهذا يعين النجاة، ولقد أنشدوا:

عيب السلامة أن صاحبها ... متوقع لقوا صم الظهر
وفضيلة البلوى ترقبه ... عقبى الرجاء ودورة الدهر
هست در قرب همه بيم زوال ... نيست در بعد جزاميد وصال

﴿وما ظلمناهم﴾ بذلك **﴿ولكن كانوا هم الظالمين﴾** لتعريض أنفسهم للعذاب الخالد بالكفر والمعاصي، وهم ضمير فصل عند البصريين من حيث إنه فصل به بين كون ما بعده خبراً ونعتاً وتسمية الكوفيين له عماداً لكونه حافظاً لما بعده، حتى لا يسقط عن الخبرية كعماد البيت، فإنه يحفظ سقفه من السقوط.

﴿وَنَادَوْا۟ يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْنَٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَىٰهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾﴾.

﴿ونادوا يا مالك﴾: [درخواه ازخداى تو]. **﴿ليقض علينا ربك﴾**؛ أي: ليمتنا حتى نستريح من قضى عليه إذا أماته.

والمعنى: سل ربك أن يقضي علينا، وهذا لا ينافي ما ذكر من إبلاسهم؛ لأنه جؤار؛ أي: صياح وتمن للموت لفرط الشدة. ﴿قال﴾: مالك مجيباً بعد أربعين سنة، يعني: ينادون ملكاً أربعين سنة، فيجيبهم بعدها أو بعد مائة سنة أو ألف. [در تبيان آورده كه بعد از جهل روز از روزهاى آن سراى]. لأن تراخي الجواب أحزن لهم. ﴿إنكم ماكثون﴾: المكث: ثبات مع انتظار؛ أي: مقيمون في العذاب أبداً لا خلاص لكم منه بموت، ولا بغيره، فليس بعدها إلا جؤار كصياح الحمير أوله زفير وآخره شهيق.

﴿لقد جئناكم بالحق﴾ في الدنيا بإرسال الرسل وإنزال الكتب، وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم.

وفي «التأويلات النجمية»: لقد جئناكم بالدين القويم، فلم تقبلوا؛ لأن أهل الطبيعة الإنسانية أكثرهم يميلون إلى الباطل، كما قال ﴿ولكن أكثركم للحق﴾؛ أيَّ: حق كان ﴿كارهون﴾؛ أي: لا يقبلون وينفرون منه لما في طباعه من إتعاب النفس والجوارح، وأما الحق المعهود الذي هو التوحيد، أو القرآن، فكلهم كارهون له مشمئزون منه. هكذا قالوا والظاهر ما أشار إليه في «التأويلات»، فاعرف. والكراهة مصدر كره الشيء بالكسر؛ أي: لم يرده فهو كاره. وفي الآية إشارة إلى أن النفرة عن الحق من صفات الكفار، فلا بد من قبول الحق حلواً ومراً وإلى أن الله تعالى ما ترك الناس سدى، بل أرشدهم إلى طريق الحق بدلالات الأنبياء والأولياء لكن أكثرهم لم يقبلوا العلاج، ثم إن أنفع العلاج هو التوحيد.

حكي عن الشبلي قدس سره: أنه اعتل فحمل إلى البيمارستان وكتب علي بن عيسى الوزير إلى الخليفة في ذلك، فأرسل الخليفة إليه مقدم الأطباء وكان نصرانياً ليداويه، فما أنجحت مداواته، فقال الطبيب للشبلي، والله لو علمت أن مداواتك من قطعة لحم في جسدي ما عسر علي ذلك، فقال الشبلي: دوائي في دون ذلك. قال الطبيب: وما هو؟ قال: في قطعك الزنار، فقال الطبيب: أشهد أن لا إلٰه إلا الله، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله. فأخبر الخليفة بذلك، فبكى. وقال: نفذنا طبيباً إلى مريض، وما علمنا أنا نفذنا مريضاً إلى طبيب.

ونظيره ما حكي: أن الشيخ نجم الدين الأصفهاني قدس سره: خرج مع جنازة بعض الصالحين بمكة، فلما دفنوه وجلس الملقن يلقنه، ضحك الشيخ نجم الدين، وكان من عادته لا يضحك، فسأله بعض أصحابه عن ضحكه فزجره، فلما كان بعد ذلك قال: ما ضحكت إلا لأنه لما جلس على القبر يلقن سمعت صاحب القبر يقول: ألا تعجبون من ميت يلقن حياً أشار إلى أن الملقن وإن كان من زمرة الأحياء صورة، لكنه في زمرة الأموات حقيقة لممات قلبه بالغفلة عن الله تعالى، فهو ماكث في جهنم النفس معذب بعذاب الفرقة، لا ينفع نفسه، فكيف ينفع غيره بخلاف الذي لقنه، فإنه بعكس ذلك، يعني أنه وإن كان في زمرة الأموات صورة لكن في زمرة الأحياء حقيقة؛ لأن المؤمنين الكاملين لا يموتون، بل ينقلبون من دار إلى دار، فهو ماكث في جنة القلب منعم بنعيم الوصال منتفع بأعماله وأحواله. وله تأثير في نفع الغير أيضاً بالشفاعة ونحوها على ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥﴾ [النازعات: ٥]:

مشوبمرك زامداد اهل دل نوميد كه خواب مردم آكاه عين بيداريست

فإذا عرفت حال ملقن القبر فقس عليه سائر أرباب التلقين من أهل النقصان وأصحاب الدعوى والرياء، فإن الميت يحتاج في إحيائه إلى نفخ روح حقيقي وأنى ذلك لمن في حكم

الأموات من النافخين، فإن نفخته عقيم إذ ليس من أهل الولادة الثانية. نسأل الله سبحانه أن يجعلنا أحياء بالعلم والمعرفة والشهود ويعصمنا من الجهل والغفلة والقيود.

﴿أم أبرموا أمراً﴾: الإبرام: إحكام الأمر وأصله من إبرام الحبل، وهو ترديد فتله، وهو كلام مبتدأ، وأم منقطعة، وما فيها من معنى، بل للانتقال من توبيخ أهل النار إلى حكاية جناية هؤلاء. والهمزة للإنكار فإن أريد بالإبرام الإحكام حقيقة، فهي لإنكار الوقوع، واستبعاده وإن أريد الإحكام صورة، فهي لإنكار الواقع واستقباحه؛ أي: أبرم وأحكم مشركو مكة أمر من كيدهم ومكرهم برسول الله **﴿فإنا مبرمون﴾** كيدنا حقيقة لا هم أو فإنا مبرمون بهم حقيقة، كما أبرموا كيدهم صورة كقوله تعالى: ﴿أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾﴾ [الطور: ٤٢] وكانوا يتناجون في أنديتهم، ويتشاورون في أموره عليه السلام.

قال في «فتح الرحمٰن»: كما فعلوا في اجتماعهم على قتله عليه السلام في دار الندوة إلى غير ذلك. وفي الآية إشارة إلى أن أمور الخلق منتقدة عليهم قلما يتم لهم ما دبروه، وقلما يرتفع لهم من الأمور شيء على ما قدروه. وهذه الحال أوضح دليل على إثبات الصانع.

﴿أم يحسبون﴾؛ أي: بل أيحسبون يعني: [باىندار ند نا كران كفار]. **﴿أنا لا نسمع سرهم﴾**، وهو ما حدثوا به أنفسهم من الكيد؛ لأنهم كانوا مجاهرين بتكذيب الحق. **﴿ونجواهم﴾**؛ أي: بما تكلموا به فيما بينهم بطريق التباهي والتشاور. وبالفارسية: [وآنجه براز بايكديكر مشاورت ميكنند]. يقال: ناجيته؛ أي: ساررته وأصله أن تخلو في نجوة من الأرض؛ أي: مكان مرتفع منفصل بارتفاعه عما حوله. **﴿بلى﴾** نحن نسمعهما ونطلع عليهما. **﴿ورسلنا﴾** الذين يحفظون عليهم أعمالهم ويلازمونهم أينما كانوا **﴿لديهم﴾** عندهم **﴿يكتبون﴾**؛ أي: يكتبونهما، أو يكتبون كل ما صدر عنهم من الأفعال والأقوال التي من جملتها ما ذكر من سرهم ونجواهم، ثم تعرض عليهم يوم القيامة، فإذا كان خفاياهم غير خفية على الملائكة، فكيف على عالم السر والنجوى.

والجملة عطف على ما يترجم عنه بلى. وفي «التأويلات النجمية»: خوفهم بسماعه أحوالهم وكتابة الملك عليهم أعمالهم لغفلتهم عن الله، ولو كان لهم خبر عن الله لما خوفهم بغير الله، ومن علم أن أعماله تكتب عليه، ويطالب بمقتضاها قل إلمامه بما يخاف أن يسأل عنه.

قال أبو بكر بن طاهر رحمه الله: دل قوماً من عباده إلى الحياء منه، ودل قوماً إلى الحياء من الكرام الكاتبين، فمن استغنى بعلم نظر الله إليه، والحياء منه أغناه ذلك عن الاشتغال بالكرام الكاتبين. وعن يحيى بن معاذ الرازي رحمه الله من ستر من الناس ذنوبه وأبداها لمن لا يخفى عليه شيء في السماوات والأرض فقد جعله أهون الناظرين إليه، وهو من علامات النفاق.

قال الشيخ سعدي: [في كلستانه بخشايش الهى كم شده را در مناهي جراغ توفيق فراراه داشت وبخلقه أهل تحقيق در آمد وبيمن قدم درويشان وصدق نفس ايشان ذمايم اخلاق او بمحامد مبدل شده دست ازهوا وهوس كوتاه كرده بودو زبان طاعنان در حقش در ازكه همجنانكه قاعدة اولست وزهد وصلاحش نا معقول. بعذر توبه توان رستن از عذاب خداى وليك مى نتوان از زبان مردم رست. جون طاقت جورز بانها نياورد شكايت اين حال بابير

طريقت بردشيخ بكريست وكفت شكرآن نعمت كجا كزارى كه بهترازانى كه بندار ندت نيك باشى وبدت كويند خلق به كه بد باشى ونيكت كويند ليكن مرابين كه حسن ظن همكنان در حق من بكمالست ومن درغايت نقصان]:

إني لمستتر من عين جيراني ... والله يعلم أسراري وإعلاني

دربسته بروى خود زمردم ... تاعيب نكسترند مارا

دربسته جه سود عالم الغيب ... داناى نهان وآشكارا

يقول الفقير: دلت الآية على أن الحفظة يكتبون الأسرار والأمور القلبية سئل سفيان بن عيينة رحمه الله: هل يعلم الملكان الغيب، فقال: لا، فقيل له: فكيف يكتبون ما لا يقع من عمل القلب، فقال: لكل عمل سيما يعرف بها كالمجرم يعرف بسيماه، فإذا هم العبد بحسنة فاح من فيه رائحة المسك، فيعلمون ذلك، فيكتبونها حسنة وإذا هم بسيئة استقر قلبه لها فاح منه ريح النتن.

وقال الشيخ عز الدين بن عبد السلام: الملك لا سبيل له إلى معرفة باطن العبد في قول أكثرهم. وقال في شرح الطريقة يكره الكلام في الخلاء، وعند قضاء الحاجة أشد كراهة؛ لأن الحفظة تتأذى بالحضور في ذلك الموضع الكريه؛ لأجل كتابة الكلام، فإن سلم عليه في هذه الحالة. قال الإمام أبو حنيفة يرد السلام بقلبه لا بلسانه لئلا يلزم كتابة الملائكة، فإنهم لا يكتبون الأمور القلبية. وقال في «ريحان القلوب»: الذكر الخفي هو ما خفي عن الحفظة لا ما يخفض به الصوت، وهو خاص به ﷺ، ومن له به أسوة حسنة. انتهى. والله أعلم بتوفيق الأخبار.

﴿قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ ﴿٨١﴾ سُبْحَٰنَ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾ فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا۟ وَيَلْعَبُوا۟ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾﴾.

﴿قل﴾ للكفرة **﴿إن كان للرحمٰن ولد﴾** فرضاً كما تقولون الملائكة بنات الله **﴿فأنا أول العابدين﴾** لذلك الولد وأسبقكم إلى تعظيمه والانقياد له، وذلك لأنه عليه السلام أعلم الناس بشؤونه تعالى، وبما يجوز عليه وبما لا يجوز وأولاهم بمراعاة حقوقه، ومن مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده؛ أي: أن يثبت بحجة قطعية كون الولد له تعالى كما تزعمون، فأنا أولكم في التعظيم وأسبقكم إلى الطاعة تعظيماً لله تعالى وانقياداً؛ لأن الداعي إلى طاعته وتعظيمه أول وأسبق في ذلك وكون الولد له تعالى مما هو مقطوع بعدم وقوعه، ولكن نزل منزلة ما لا جزم لوقوعه واللاوقوعه على المساهلة وإرخاء العنان لقصد التبكيت والإسكات والإلزام فجيء بكلمة إن فلا يلزم من هذا الكلام صحة كينونة الولد وعبادته؛ لأنها محال في نفسها يستلزم المحال.

يعني: [اين سخن بر سبيل تمثيل است ومبالغه در نفى ولد]. فليس هناك ولد ولا عبادة له.

وفي «التأويلات النجمية»: يشير إلى نوع من الاستهزاء بهم وبمقالتهم والاستخفاف بعقولهم، يعني: قل إن كان للرحمٰن ولد كما تزعمون وتعبدون عيسى، بأنه ولده فأنا كنت أول العابدين. قال جعفر الصادق رضي الله عنه: أول ما خلق الله نور محمد ﷺ قبل كل شيء، وأول من وحد الله تعالى ذرية محمد عليه السلام، وأول ما جرى به القلم: لا إله إلا

الله محمد رسول الله. قال: فأنا أول العابدين أحق بتوحيد الله وذكر الله.

﴿**سبحان رب السماوات والأرض**﴾: في إضافة اسم الرب إلى أعظم الأجرام وأقواها تنبيه على أنها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم أن يكون شيء منها جزءاً منه سبحانه. ﴿**رب العرش**﴾ في تكرير اسم الرب تفخيم لشأن العرش ﴿**عما يصفون**﴾؛ أي: يصفونه به، وهو الولد. قال في «بحر العلوم»؛ أي: سبحوا رب هذه الأجسام العظام؛ لأن مثل هذه الربوبية توجب التسبيح على كل مربوب فيها ونزهوه عن كل ما يصفه الكافرون به من صفات الأجسام، فإنه لو كان جسماً لم يقدر على خلق هذا العالم وتدبير أمره.

﴿**فذرهم**﴾؛ أي: اترك الكفرة حيث لم يذعنوا للحق بعدما سمعوا هذا البرهان الجلي. ﴿**يخوضوا**﴾ يشرعوا في أباطيلهم وأكاذيبهم. والخوض هو الشروع في الماء والمرور فيه، ويستعار للأمور وأكثر ما ورد في القرآن فيما يذم الشروع فيه كما في «المفردات». ﴿**ويلعبوا**﴾ في دنياهم، فإن ما هم فيه من الأقوال والأفعال ليست إلا من باب الجهل واللعب والجزم في الفعل لجواب الأمر، يقال: لعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً، قالوا: كل لعب لا لذة فيه، فهو عبث، وما كان فيه لذة، فهو لعب.

﴿**حتى يلاقوا**﴾ يعاينوا ﴿**يومهم الذي يوعدون**﴾ على لسانك. يعني: [روزى راكه وعده داده شده اند بملاقات آن]. وهو يوم القيامة، فإنهم يومئذٍ يعلمون ما فعلوا، وما يفعل بهم.

قال سعدي المفتي: والأظهر يوم الموت، فإن خوضهم ولعبهم إنما ينتهي به.

يقول الفقير: وفيه أن الموعود هو يوم القيامة؛ لأنه الذي كانوا ينكرونه لا يوم الموت الذي لا يشكون فيه، ولما كان يوم الموت متصلاً بيوم القيامة على ما أشار إليه قوله عليه السلام: «من مات فقد قامت قيامته» جعل الخوض واللعب منتهيين بيوم القيامة.

وفي الآية إعلام بأنهم من الذين طبع الله على قلوبهم، فلا يرجعون عما هم عليه أبداً، وإشارة إلى أن الله خلق الخلق أطواراً مختلفة، فمنهم من خلقه للجنة، فيستعده للجنة بالإيمان والعمل الصالح، وانقياد الشريعة ومتابعة النبي عليه السلام، ومنهم من خلقه للنار، فيستعده للنار برد الدعوة والإنكار والجحود والخذلان، ويكله إلى الطبيعة النفسانية الحيوانية التي تميل إلى اللهو واللعب والخوض فيما لا يعنيه، ومنهم من خلقه للقربة والمعرفة، فيستعده لهما بالمحبة والصدق والتوكل واليقين والمشاهدات والمكاشفات والمراقبات، وبذل الوجود بترك الشهوات وأنواع المجاهدات وتسليم تصرفات أرباب المؤلفات.

عن بهلول رحمه الله: قال بينما أنا ذات يوم في بعض شوارع البصرة إذا الصبيان يلعبون بالجوز واللوز وإذا أنا بصبي ينظر إليهم، ويبكي فقلت هذا الصبي يتحسر على ما في أيدي الصبيان، ولا شيء معه يلعب به، فقلت له: أي بني ما يبكيك؟ أشتري لك من الجوز واللوز ما تلعب به مع الصبيان؟ فرفع بصره إليّ وقال: يا قليل العقل ما للعب خلقنا؟ فقلت: أي بني، فلماذا خلقنا، فقال: للعلم والعبادة، فقلت: من أين لك ذلك بارك الله فيك، قال: من قول الله تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وحكي: أنه كان سبب خروج إبراهيم بن أدهم رحمه الله عن أهله وماله وجاهه ورياسته. وكان من أبناء الملوك أنه خرج يوماً يصطاد، فأثار ثعلباً أو أرنباً، فبينما هو في طلبه هتف به

هاتف. ألهذا خلقت أم بهذا أمرت، ثم هتف به من قربوس سرجه. والله ما لهذا خلقت، ولا بهذا أمرت، فنزل عن مركوبه، وصادف راعياً لأبيه، فأخذ جبة للراعي من صوف، فلبسها وأعطاه فرسه وما معه، ثم دخل البادية، وكان من شأنه ما كان.

واعلم أن الاشتغال بما سوى الله تعالى من قبيل اللهو واللعب إذ ليس فيه مقصد صحيح، وإنما المطلب الأعلى هو الله تعالى، ولذا خرج السلف عن الكل ووصلوا إلى مبدأ الكل:

دلا ترك هو اكن قرب حق كر آروز داری | كه دور افتد حباب از بحر در كسب هوا كردن

جعلنا الله وإياكم من المشتغلين به.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾ وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾﴾.

﴿**وهو الذي في السماء إله**﴾؛ أي: مستحق لأن يعبد فيها؛ أي: هو معبود أهل السماء من الملائكة وبه تقوم الساعة، وليس حالاً فيها. ﴿**وفي الأرض إله**﴾؛ أي: مستحق لأن يعبد فيها؛ أي: فهو معبود أهل الأرض من الإنس والجن وإله الآلهة، ولا قاضي لحوائج أهل الأرض إلا هو وبه تقوم الأرض وليس حالاً فيها، فالظرفان يتعلقان بإله؛ لأنه بمعنى المعبود بالحق، أو متضمن معناه، كقوله: هو حاتم؛ أي: جواد لاشتهاره بالجود. وكذا فيمن قرأ، وهو الذي في السماء الله. وفي الأرض الله ومنه قوله تعالى: في الأنعام ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣]؛ أي: وهو الواجب الوجود المعبود المستحق للعبادة فيهما والراجع إلى الموصول مبتدأ محذوف لطول الصلة بمتعلق الخبر، وهو في السماء والعطف عليه والتقدير. وهو الذي هو في السماء. ﴿**وهو الحكيم العليم**﴾ كالدليل على ما قبله؛ لأنه المتصف بكمال الحكمة والعلم المستحق للألوهية لا غيره؛ أي: وهو الحكيم في تدبير العالم وأهله العليم بجميع الأحوال من الأزل إلى الأبد.

﴿**وتبارك**﴾ تعالى عن الولد والشريك وجل عن الزوال والانتقال وعمت بركة ذكره وزيادة شكره. ﴿**الذي**﴾ إلخ. فاعل تبارك ﴿**له ملك السماوات والأرض**﴾: [بادشاهى آسمان وزمين]، ﴿**وما بينهما**﴾: إما على الدوام كالهواء، أو في بعض الأوقات كالطير والسحاب.

ومن أخبار الرشيد أنه خرج يوماً للصيد، فأرسل بازياً أشب فلم يزل يعلو حتى غاب في الهواء، ثم رجع بعد اليأس منه، ومعه سمكة، فأحضر الرشيد العلماء وسألهم عن ذلك، فقال مقاتل: يا أمير المؤمنين روينا عن جدك ابن عباس رضي الله عنهما: أن الهواء معمور بأمم مختلفة الخلق سكان فيه، وفيه دواب تبيض وتفرخ فيه شيئاً على هيئة السمك لها أجنحة ليست بذات ريش فأجاز مقاتلاً على ذلك كذا في «حياة الحيوان». ﴿**وعنده علم الساعة**﴾؛ أي: الساعة التي فيها تقوم القيامة لا يعلمها إلا هو. ﴿**وإليه ترجعون**﴾: الالتفات للتهديد؛ أي: تردون للجزاء فاهتموا بالاستعداد للقائه.

قال بعض الكبار: وإليه ترجعون بالاختيار والاضطرار، فأهل السعادة يرجعون إليه بالاختيار على قدم الشوق والمحبة والعبودية وأهل الشقاوة يرجعون إليه بالاضطرار بالموت

بالسلاسل والأغلال يسحبون على وجوههم إلى النار.

يقول الفقير: الرجوع بالاضطرار قد يكون نافعاً ممدوحاً مقبولاً، وهو أن يؤخذ العبد بالجذبة الإلٰهية ويجر إلى الله جراً عنيفاً، ووقع ذلك لكثير من المنقطعين إلى الله تعالى.

حكي عن الجنيد رحمه الله أنه قال: كنت في المسجد مرة، فإذا رجل قد دخل علينا وصلى ركعتين، ثم انتبذ ناحية من المسجد، وأشار إليّ فلما جئته، قال: يا أبا القاسم قد حان لقاء الله تعالى ولقاء الأحباب، فإذا فرغت من أمري، فسيدخل عليك شاب مغن فادفع إليه مرقعتي وعصاي وركوتي، فقلت: إلى مغن، وكيف يكون ذلك. قال: إنه قد بلغ رتبة القيام بخدمة الله في مقامي. قال الجنيد: فلما قضى الرجل نحبه؛ أي: مات وفرغنا من مواراته إذا نحن بشاب مصري قد دخل علينا وسلم وقال: أين الوديعة يا أبا القاسم؟ فقلت: كيف ذاك؟ أخبرنا بحالك، قال: كنت في مشربة بني فلان، فهتف بي هاتف أن قم إلى الجنيد وتسلم ما عنده، وهو كيت وكيت، فإنك قد جعلت مكان فلان الفلاني من الأبدال.

قال الجنيد: فدفعت إليه ذلك فنزع ثيابه، واغتسل ولبس المرقعة، وخرج على وجهه نحو الشام، ففي هذه الحكاية تبين أن ذلك المغني انجذب إلى الله تعالى بصوت الهاتف. وخرج إلى الشام مقام الأبدال؛ لأن المهاجرة سنة قديمة وبها يحصل من الترقيات ما لا يحصل بغيرها، فإذا جاءت الساعة يحصل أثر التوفيق، ويظهر اللحوق بأهل التحقيق:

زيــن جــمــاعــت اكــر جــدا افــتــى در نــخــســتــيــن قــدم زيــا افــتــى

﴿ولا يملك﴾؛ أي: لا يقدر ﴿الذين يدعون﴾؛ أي: يعبدهم الكفار ﴿من دونه﴾ تعالى ﴿الشفاعة﴾عند الله كما يزعمون ﴿إلا من شهد بالحق﴾ الذي هو التوحيد والاستثناء، إما متصل والموصول عام لكل ما يعبد من دون الله، كعيسى وعزير والملائكة وغيرهم، أو منفصل على أنه خاص بالأصنام ﴿وهم يعلمون﴾ بما يشهدون به عن بصيرة وإيقان وإخلاص.

قال الكاشفي: وايشان ميدانند بدل خودكه بزبان خواهى داده اند وايشان شفاعت ثخواهند كرد الا مؤمنان كنهكار را. وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن الإفراد أولاً باعتبار لفظها.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ إِنَّ هَـٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَـٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾.

﴿ولئن سألتهم من خلقهم﴾؛ أي: سألت العابدين والمعبودين: من أوجدهم، وأخرجهم من العدم إلى الوجود. ﴿ليقولن الله﴾ لتعذر الإنكار لغاية ظهوره؛ لأن الإنسان خلق للمعرفة وطبع عليها وبها أكرمه الله تعالى، فأما الشأن في معرفة الأشياء، فقبول دعوتهم. والتوفيق لمتابعتهم والتدين بأديانهم ﴿فأنى يؤفكون﴾. الإفك بركر دانيدن أي: فكيف يصرفون عن عبادة الله تعالى إلى عبادة غيره مع اعترافهم بأن الكل مخلوق له تعالى، فهو تعجيب من جحودهم التوحيد مع ارتكازه في فطرتهم.

قال في «الأسئلة المقحمة»: فإن قلت: هذا دليل على أن معرفة الله ضرورية، ولا تجب بالسمع الضروريات، لأنه تعالى أخبر عن الكفار أنهم كانوا يقرون بوحدانية الله قبل ورود السمع، قلت: إنهم يقولون ذلك تقليداً لا دليلاً وضرورة، ومعلوم أن في الناس من أهل الإلحاد من ينكر الصانع، ولو كان ضرورياً لما اختلف فيه اثنان:

خانه بى صنع خانه سازكه ديد   نقش بى دست خامه زن كه شنيد
هركه شد زآدمى سوى تعطيل   نيست دروى خرد جوقدر فتيل

﴿وقيله﴾ : القول والقيل والقال كلها مصادر قرأ عاصم وحمزة بالجر على أنه عطف على الساعة؛ أي: عنده علم الساعة وعلم قوله عليه السلام شكاية. وبالفارسية: [ونزديك خداست دانستن قول رسول آنجا كه كفت]. ﴿يا رب﴾ ؛ أي: [برورد كار من]. ﴿إن هؤلاء﴾ : [بدرستى كه اين كروه يعنى معاند ان قريش]. ﴿قوم﴾ : [كروهى اندكه از روى عناد مكابره]. ﴿لا يؤمنون﴾ : [نمى كروند]. ولم يضفهم إلى نفسه بأن يقول: إن قومي لما ساءه من حالهم، أو على أن الواو للقسم. وقوله: إن هؤلاء إلخ. جوابه: فيكون إخباراً من الله عنهم لا من كلام رسوله. وفي الإقسام به من رفع شأنه عليه السلام وتفخيم دعائه والتجائه إليه تعالى ما لا يخفى.

وقرأ الباقون بالنصب عطفاً على محل الساعة؛ أي: وعنده أن يعلم الساعة وقيله أو على سرهم ونجواهم، أو على يكتبون المحذوف؛ أي: يكتبون ذلك، وقيله. قال بعضهم: والأوجه أن يكون الجر والنصب على إضمار حرف القسم وحذفه، يعني أن الجر على إضمار حرف القسم، كما في قولك: الله لأفعلن. والنصب على حذفه، وإيصال فعله إليه كقولك الله لأفعلن؛ كأنه قيل: وأقسم قيله أو بقيله. والفرق بين الحذف والإضمار أنه في الحذف لا يبقى للذاهب أثر نحو واسأل القرية.

وفي الإضمار يبقى له الأثر نحو انتهوا خيراً لكم. والتقدير: افعلوا ويجوز الرفع في قيله على أنه قسم مرفوع بالابتداء محذوف الخبر كقولهم أيمن الله، ويكون أن هؤلاء. إلخ. جواب القسم؛ أي: وقيله يا رب قسمي أن هؤلاء. إلخ. وذلك لوقوع الفصل بين المعطوف والمعطوف عليه، بما لا يحسن اعتراضاً إن كان مرفوعاً معطوفاً على علم الساعة بتقدير مضاف مع تنافر النظم ورجح الزمخشري احتمال القسم لسلامته عن وقوع الفصل، وتنافر النظم، ولكن فيه التزام حذف وإضمار بلا قرينة ظاهرة في اللفظ الذي لم يشتهر استعماله في القسم، كما في «حواشي المفتي».

﴿فاصفح عنهم﴾ ؛ أي: فأعرض عن دعوتهم واقنط من إيمانهم. ﴿وقل سلام﴾ ؛ أي: أمري تسلم منكم ومن دينكم وتبرٍ ومتاركة، فليس المأمور به السلام عليهم، والتحية بل البراءة كقول إبراهيم عليه السلام: سلامٌ عليك سأستغفر لك. ﴿فسوف يعلمون﴾ حالهم البتة، وإن تأخر ذلك. وبالفارسية: [بس زود باشدكه بدانند عاقبت كفر خودرا وقتى كه عذاب برايشان فرود آيددر دنيا بروز بدر ودر عقبى بدخول درنار سوزان]. وهو وعيد من الله لهم وتسلية لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فعلى العاقل أن يتدارك حاله قبل خروج الوقت بدخول الموت ونحوه. ويقبل على قبول الدعوة ما دام الداعي مقبلاً غير صافح، وإلا فمن كان شفيعه خصماً له لم يبق له رجاء النجاة.

قال ذو النون رحمه الله: سمعت بعض المتعبدين بساحل الشام يقول: إن لله عباداً عرفوه بيقين من معرفته فشمروا قصداً إليه وتحملوا فيه المصائب لما يرجون عنده من الرغائب صحبوا الدنيا بالأشجان، وتنعموا فيها بطول الأحزان، فما نظروا إليها بعين راغب، ولا تزودوا منها إلا كزاد راكب خافوا البيات فأسرعوا ورجوا النجاة، فأزمعوا بذلوا مهج أنفسهم في رضا سيدهم،

نصبوا الآخرة نصب أعينهم، وأصغوا إليها بآذان قلوبهم، فلو رأيتهم لرأيت قوماً ذبلاً شفاههم خمصاً بطونهم خزينة قلوبهم ناحلة أجسادهم باكية أعينهم لم يصحبوا التعليل والتسويف، وقنعوا من الدنيا بقوت خفيف ولبسوا من اللباس أطماراً بالية، وسكنوا من البلاد قفراء خالية هربوا من الأوطان، واستبدلوا الوحدة من الإخوان، فلو رأيتهم لرأيت قوماً قد ذبحهم الليل بسكاكين السهر والنصب وفصل أعضاءهم بخناجر التعب خمص بطول السرى شعث بفقد الكرى قد وصلوا الكلال بالكلال، وتأهبوا للنقلة والارتحال:

جواز جايكان در دويدن كرو بتيزى هم افتان وحيزان برو
كران باد بايان برفتندتيز توبى دست وبا ازنشستن بخيز

تمت سورة الزخرف بعون الله تعالى في أواخر جمادى الآخرة من الشهور المنتظمة في سلك سنة ثلاث عشرة ومائة وألف. وتليها سورة الدخان، وهي سبع أو تسع وخمسون آية مكية إلا قوله: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ﴾ [الدخان: ١٥] إلخ.

٤٤ ـ سورة الدخان

وآياتها تسع وخمسون

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝٢﴾.

﴿حم﴾؛ أي: بحق ﴿حم﴾، وهي هذه السورة أو مجموع القرآن.

﴿والكتاب﴾ عطف على ﴿حم﴾ إذ لو كان قسماً آخر لزم اجتماع القسمين على مقسم عليه واحد ومدار العطف على تقدير كون ﴿حم﴾ اسماً لمجموع القرآن المغايرة في العنوان ﴿المبين﴾؛ أي: البين معانيه لمن أنزل عليهم، وهم: العرب لكونه بلغتهم وعلى أساليبهم، أو المبين لطريق الهدى من طرق الضلالة الموضح لكل ما يحتاج إليه في أبواب الديانة.

وقال بعضهم: بحق الحي القيوم وبحق القرآن الفاصل بين الحق والباطل، فالحاء: إشارة إلى الاسم الحي، والميم إلى الاسم القيوم وهما أعظم الأسماء الإلٰهية لاشتمالهما على ما يشتمل عليه كل منها من المعاني والأوصاف والحقائق، كما سبق في آية الكرسي.

وفي «عرائس البقلي»: الحاء الوحي الخاص إلى محمد، والميم محمد عليه السلام وذلك ما كان بلا واسطة، فهو سر بين المحب والمحبوب لا يطلع عليه أحد غيرهما، كما قال تعالى: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ ۝١٠﴾ [النجم: ١٠]. وقال بعضهم: حميت المحبين. يعني: [حمايت كردم دوستان خودرا از توجه بما سوى].

يقول الفقير: ويحتمل أن يكون إشارة إلى حمد الله إلى إنزاله القرآن الذي هو أجل النعم الإلٰهية فحم مقصور من الحمد. والمعنى: وحق الحق الذي يستحق الحمد في مقابلة إنزال القرآن.

﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝٣﴾

﴿إنا أنزلناه﴾؛ أي: الكتاب المبين الذي هو القرآن، وهو جواب القسم. ﴿في ليلة مباركة﴾: هي ليلة القدر، فإنه تعالى أنزل القرآن في ليلة القدر من شهر رمضان من اللوح المحفوظ إلى بيت العزة في السماء الدنيا دفعة واحدة وأملاه جبريل على السفرة، ثم كان ينزله على النبي عليه السلام نجوماً؛ أي: متفرقاً في ثلاث وعشرين سنة. والظاهر أن ابتداء تنزيله إلى النبي عليه السلام أيضاً كان في ليلة القدر؛ لأن ليلة القدر في الحقيقة ليلة افتتاح الوصلة، ولا بد في الوصلة من الكلام والخطاب والحكمة في نزوله ليلاً.

إن الليل زمان المناجاة ومهبط النفحات ومشهد التنزلات ومظهر التجليات ومورد الكرامات ومحل الأسرار إلى حضرة الكبرياء. وفي الليل فراغ القلوب بذكر حضرة المحبوب،

فهو أطيب من النهار عند المقربين والأبرار ووصف الليلة بالبركة لما أن نزول القرآن مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية بأجمعها، أو لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة، وإجابة الدعوة ونحوها. وإلا فأجزاء الزمان متشابهة بحسب ذواتها وصفاتها، فيمتنع أن يتميز بعض أجزائه عن بعض بمزيد القدر والشرف لنفس ذواتها وعلى هذا فقس شرف الأمكنة، فإنه لعارض في ذاتها.

قال حضرة الشيخ صدر الدين قدس سره في «شرح الأربعين»: حديثاً وللأزمنة والأمكنة في محو السيئات، وتغليب طرف الحسنات وإمدادها والتكفير والتضعيف مدخل عظيم.

وفي الحديث: «إن الله غفر لأهل عرفات وضمن عنهم التبعات»، وإنه ينزل يوم عرفة إلى السماء الدنيا. وقد وردت أحاديث دالة على فضيلة شهر رمضان وعشر ذي الحجة وليلة النصف من شعبان، وأن الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف. وفي مسجد النبي عليه السلام بألف. وفي المسجد الأقصى بخمسمائة. وكلها دالة على شرف الأزمنة والأمكنة. انتهى كلامه.

قال الشيخ المغربي قدس سره: أفضل الشهور عندنا شهر رمضان؛ أي: لأنه أنزل فيه القرآن، ثم شهر ربيع الأول؛ أي: لأنه مولد حبيب الرحمٰن، ثم رجب؛ أي: لأنه فرد الأشهر الحرم. وشهر الله ثم شعبان؛ أي: لأنه شهر حبيب الرحمٰن ومقسم الأعمال والآجال بين شهرين عظيمين: رجب ورمضان، ففيه فضل الجوارين العظيمين، كما أن ليوم الخميس وليوم السبت فضلاً عظيماً لكونها في جوار الجمعة. ولذا ورد: «بارك الله في السبت والخميس»، ثم ذو الحجة؛ أي: لأنه موطن الحج والعشر التي تعادل كل ليلة منها ليلة القدر والأيام المعلومات، أيام التشريق، ثم شوال؛ أي: لكونه في جوار شهر رمضان، ثم ذو القعدة؛ أي: لكونه من الأشهر الحرم، ثم المحرم شهر الأنبياء عليهم السلام، ورأس السنة وأحد الأشهر الحرم.

وقيل: فضل الله الأشهر والأيام والأوقات بعضها على بعض، كما فضل الرسل والأمم بعضها على بعض لتبادر النفوس وتسارع القلوب إلى احترامها وتتشوق الأرواح إلى إحيائها بالتعبد فيها، ويرغب الخلق في فضائلها، وأما تضاعف الحسنات في بعضها، فمن المواهب اللدنية والاختصاصات الربانية ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

قال القاشاني في «شرح التائية»: كما أن شرف الأزمنة وفضيلتها بحسب شرف الأحوال الواقعة فيها من حضور المحبوب ومشاهدته، فكذلك شرف الأعمال يكون بحسب شرف النيات والمقاصد الباعثة وشرف النية في العمل أن يؤدي للمحبوب ويكون خالصاً لوجهه غير مشوب بغرض آخر. قال ابن الفارض:

وعندي عيدي كل يوم أرى به ... جمال محياها بعين قريره
وكل الليالي ليلة القدر إن دنت ... كما كل أيام اللقا يوم جمعه

قال بعض الكبار وأشد الليالي بركة وقدراً، ليلة يكون العبد فيها حاضراً بقلبه مشاهداً لربه يتنعم بأنوار الوصلة، ويجد فيها نسيم القربة وأحوال هذه الطائفة في لياليهم مختلفة كما قالوا:

لا أظلم الليل ولا أدعي ... أن نجوم الليل ليست تزول
ليلى كما شاءت قصير إذا ... جادت وإن ضنت فليلي طويل

وقال بعض المفسرين: المراد من الليلة المباركة ليلة النصف من شعبان، ولها أربعة أسماء:

الأول: الليلة المباركة لكثرة خيرها وبركتها على العاملين فيها الخير، وإن بركات جماله تعالى تصل إلى كل ذرة من العرش إلى الثرى، كما في ليلة القدر. وفي تلك الليلة اجتماع جميع الملائكة في حظيرة القدس. [ودر كشف الأسرار فرموده كه آنرا مبارك خواند ازبهر آنكه برخير وبر بركت است همه شب دعيا نرا اجابت است وسائلا نرا عطيت ومجتهد انرا معونت ومطيعا نرا مثوبت وغاصبا نرا اقالت ومحبانرا كرامت همه شب درهاى آسمان كشاده جنات عدن وفراديس اعلا درها نهاده ساكنان جنة الخلد بركنكرها نشسته ارواح انبيا وشهدا در عليين فراطرب آمده همه شب نسيم روح ازلي از جانب قربت بدل دوستان ميدمد وبادهواى فردانيث برجان عاشقان مى وزد وازدوست خطاب مى آيدكه]. هل من سائل فأعطيه؟ هل من مستغفر فأغفر له؟ أي: [درويش بيدار باش درين شب كه همه بساط نزول بيفكنده وكل وصال جانان درباغ را زدارى شكفته نسيم سحر مبارك بهارى از وميدمد وبيغام ملك برمزى باريك وبرازى عجب ميكويد]. ﴿أَلَمۡ يَأۡنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخۡشَعَ قُلُوبُهُمۡ لِذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحديد: ١٦]:

ألم يأن للهجران أن يتصرما ... وللعود غصن البان أن يتضرما
وللعاشق الصب الذي ذاب وانحنى ... ألم يأن أن يبكي عليه ويرحما

وفي بعض الآثار عجباً لمن آمن بي كيف يتكل على غيري لو أنهم نظروا إلى لطائف بري ما عبدوا غيري. [اى عجب كسى كه مارا شناخت باغير ما آرام كى كيرد كسى كه مارايافت باديكرى جون بردازد كسى كه رنك وبوى وصال ويا دمادارد دل دررنك وبوى دنيا جون بندد. از تعجب هرزمان كوبد بنفشه كاى عجب. هرجه زلف يا ردارد جنك درماجون زند].

والثاني: ليلة الرحمة.

والثالث: ليلة البراءة.

والرابع: ليلة الصك، وذلك لأن البندار إذا استوفى في الخراج من أهله كتب لهم البراءة. كذلك الله يكتب لعباده المؤمنين البراءات في هذه الليلة.

كما حكي: أن عمر بن عبد العزيز لما رفع رأسه من صلاته ليلة النصف من شعبان وجد رقعة خضراء قد اتصل نورها بالسماء مكتوب فيها. هذه براءة من النار من الملك العزيز لعبده عمر بن عبد العزيز، وكما أن في هذه الليلة براءة للسعداء من الغضب، فكذا فيها براءة للأشقياء من الرحمة نعوذ بالله تعالى، ولهذه الليلة خصال:

الأولى: تفريق كل أمر حكيم كما سيأتي.

والثانية: فضيلة العبادة فيها.

وفي الحديث: «من صلى في هذه الليلة مائة ركعة أرسل الله تعالى إليه مائة ملك: ثلاثون يبشرونه بالجنة، وثلاثون يؤمنونه من عذاب النار، وثلاثون يدفعون عنه آفات الدنيا، وعشرة يدفعون عنه مكايد الشيطان».

قال في «الإحياء»: يصلي في الليلة الخامسة عشرة من شعبان مائة ركعة كل ركعتين بتسليمة، يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الصمد: ١]: عشر مرات.

وإن شاء صلى عشر ركعات يقرأ في كل ركعة بعد الفاتحة مائة مرة: ﴿قل هو الله أحد﴾، فهذه أيضاً؛ أي: كصلاة رجب مروية عن النبي عليه السلام في جملة الصلوات.

كان السلف يصلون هذه الصلاة في هذه الليلة ويسمونها صلاة الخير ويجتمعون فيها وربما صلوها جماعة.

روي عن الحسن البصري: أنه قال: حدثني ثلاثون من أصحاب النبي عليه السلام: «أن من صلى هذه الصلاة في هذه الليلة نظر الله إليه سبعين نظرة، وقضى الله له بكل نظرة سبعين حاجة أدناها المغفرة». انتهى كلام الإحياء.

قال الشيخ الشهير بافتاه قدس سره: أن النبي عليه السلام لما تجلى له جميع الصفات في ثمانية عشر ألف عالم، وأكثر صلى تلك الصلاة بعد العشاء شكراً على النعمة المذكورة.

وروى مجاهد عن علي رضي الله عنه أنه عليه السلام قال: «يا علي من صلى مائة ركعة في ليلة النصف من شعبان، فقرأ في كل ركعة بفاتحة الكتاب مرة، و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] أحد عشر مرة». قال عليه السلام: «يا علي ما من عبد يصلي هذه الصلاة إلا قضى الله له كل حاجة طلبها تلك الليلة، ويبعث الله سبعين ألف ملك يكتبون له الحسنات ويمحون عنه السيئات، ويرفعون له الدرجات إلى رأس السنة، ويبعث الله في جنات عدن سبعين ألف ملك وسبعمائة ألف يبنون له المدائن والقصور، ويغرسون له الأشجار ما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب المخلوقين، وإن مات من ليلته قبل أن يحول الحول، مات شهيداً، ويعطيه الله بكل حرف من ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] في ليلته تلك سبعين حوراء».

كما في «كشف الأسرار» قال بعضهم: أقل صلاة البراءة ركعتان وأوسطها مائة وأكثرها ألف.

يقول الفقير: الألف الذي هو إشارة إلى ألف اسم له تعالى، تفضيل للمائة التي هي إشارة إلى مائة اسم له منتخبة من الألف؛ لأن التسعة والتسعين باعتبار أحديتها مائة، وهي تفصيل للواحد الذي هو الاسم الأعظم، ولما لم تشرع ركعة منفردة ضم إليها أخرى، إشارة إلى الذات والصفات والليل والنهار والجسد والروح والملك والملكوت. ولهذا السر استحب أن يقرأ في الركعتين المذكورتين أربعمائة آية من القرآن، فإن فرض القراءة آية واحدة ومستحبها أربع آيات، والمائة أربع مرات أربعمائة، فالركعتان باعتبار القراءة المستحبة في حكم المائة، فاعرف جداً.

وفي الحديث: «من أحيا الليالي الخمس وجبت له الجنة ليلة التروية وليلة عرفة وليلة النحر وليلة الفطر وليلة النصف من شعبان.

والثالثة: نزول الرحمة. قال عليه السلام: «إن الله ينزل ليلة النصف من شعبان إلى السماء الدنيا»؛ أي: تنزل رحمته. والمراد في الحقيقة تنزل عظيم من تنزلات عالم الحقيقة مخصوص بتلك الليلة. وأيضاً المراد تنزل من أول الليلة؛ أي: وقت غروب الشمس إلى آخرها؛ أي: إلى طلوع الفجر، أو طلوع الشمس.

والرابعة: حصول المغفرة قال عليه السلام: «إن الله يغفر لجميع المسلمين في تلك الليلة إلا لكاهن، أو ساحر، أو مشاحن، أو مدمن خمر، أو عاق للوالدين، أو مصر على الزنا.

قال في «كشف الأسرار»: فسر أهل العلم المشاحن في هذا الموضع بأهل البدع والأهواء والحقد على أهل الإسلام.

والخامسة: أنه أعطى فيها رسول الله عليه السلام تمام الشفاعة. وذلك أنه سأل ليلة الثالث عشر من شعبان الشفاعة في أمته، فأعطي الثلث منها، ثم سأل ليلة الرابع عشر، فأعطي الثلثين، ثم سأل ليلة الخامس عشر، فأعطي الجميع إلا من شرد على الله شراد بعير.

وفي رواية أخرى قالت عائشة رضي الله عنها: رأيت النبي ﷺ في ليلة النصف من شعبان ساجداً يدعو، فنزل جبريل، فقال: «إن الله قد أعتق من النار الليلة بشفاعتك ثلث أمتك»، فزاد عليه السلام في الدعاء، فنزل جبريل فقال: إن الله يقرئك السلام، ويقول: «أعتقت نصف أمتك من النار»، فزاد عليه السلام في الدعاء، فنزل جبريل، وقال: إن الله أعتق جميع أمتك من النار بشفاعتك إلا من كان له خصم حتى يرضى خصمه. فزاد عليه السلام في الدعاء، فنزل جبريل عند الصبح. وقال: إن الله قد ضمن لخصماء أمتك أن يرضيهم بفضله ورحمته فرضي النبي عليه السلام.

والسادسة: أن من عادة الله في هذه الليلة أن يزيد ماء زمزم زيادة ظاهرة. وفيه إشارة إلى حصول مزيد العلوم الإلهية لقلوب أهل الحقائق. **﴿إنا كنا منذرين﴾** استئناف مبين لما يقتضي الإنزال كأنه قيل: إنا أنزلناه؛ لأن من شأننا الإنذار والتخويف من العقاب.

﴿فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾﴾.

﴿فيها يفرق كل أمر حكيم﴾؛ أي: يكتب ويفصل كل أمر محكم ومتقن من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم إلا السعادة والشقاوة من هذه الليلة إلى الأخرى من السنة القابلة.

وقيل: يبدأ في انتساخ ذلك من اللوح في ليلة البراءة. ويقع الفراغ في ليلة القدر، فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل ونسخة الحروب والزلازل والصواعق والخسف إلى جبرائيل ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا، وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت حتى أن الرجل ليمشي في الأسواق وأن الرجل لينكح ويولد له. ولقد أدرج اسمه في الموتى: [كفته اند درميان فرشتكان فرشته حليم تر ورحيم تر ومهربان تر از ميكائيل نيست وفرشته مهيب ترو باسياست تراز جبرائيل نيست در خبراست كه روزى هردو مناظره كردند جبرائيل كفت مرا عجب مى آيدكه يا اين همه بى حرمتى وجفا كارى بخلق رب العزة بهشت ازبهرجه مى آفريد ميكائيل كفت مرا عجب مى آيدكه باآن همه فضل وكرم ورحمت كه الله را بربند كانست دوزخ راAز بهرجه مى آفريداز حضرت عزت وجناب جبروت ندا آمدكه]. أحبكما إلي: أحسنكما ظناً بي: [ازشما هر دوا آنرا دوستتر دارم كه بمن ظن نيكو ترمى برد يعنى ميكائيل كه رحمت بر غضب فضل مى نهد].

وقد قال الله تعالى: (إن رحمتي سبقت غضبي)، وكما أن في هذه الليلة يفصل كل أمر صادر بالحكمة من السماء في السنة من أقسام الحوادث في الخير والشر والمحن والمنن والمنصرة والهزيمة والخصب والقحط، فكذا الحجب والجذب والوصل والفصل والوفاق والخلاف والتوفيق والخذلان والقبض والبسط والستر والتجلي، فكم بين عبد نزل له الحكم

والقضاء بالشقاء والبعد وآخر ينزل حكمه بالوفاء والرفد.

﴿أمراً من عندنا﴾: نصب على الاختصاص؛ أي: أعني بهذا الأمر أمراً حاصلاً من عندنا على مقتضى حكمتنا، وهو بيان لفخامته الإضافية بعد بيان فخامته الذاتية. ﴿إنا كنا مرسلين﴾ بدل من إنا كنا بدل الكل.

﴿رحمة من ربك﴾ مفعول له للإرسال؛ أي: إنا أنزلنا القرآن؛ لأن عادتنا إرسال الرسل بالكتب إلى العباد؛ لأجل إفاضة رحمتنا عليهم، فيكون قوله: رحمة غاية للإرسال متأخرة عنه على أن المراد منها الرحمة الواصلة إلى العباد، أو لاقتضاء رحمتنا السابقة إرسالهم، فيكون باعثاً متقدماً للإرسال على أن المراد مبدؤها، ووضع الرب موضع الضمير للإيذان بأن ذلك من أحكام الربوبية ومقتضياتها وإضافته إلى ضميره عليه السلام للتشريف:

در دو عالم بخشش بخشايش است خلق را از بخشش آسايش است

خواجه جون در مديح خويش سفت إنما أنا رحمة مهداة كفت

كما قال في «التأويلات النجمية»: إنا كنا مرسلين محمداً عليه السلام رحمة مهداة من ربك ليخرج المشتاقين من ظلمات المفارقة إلى نور المواصلة، وأيضاً إنا كنا مرسلين رحمة لنفوس أوليائنا بالتوفيق ولقلوبهم بالتحقيق.

﴿إنه هو السميع العليم﴾ يسمع كل شيء من شأنه أن يسمع خصوصاً أنين المشتاقين، ويعلم كل شيء من شأنه أن يعلم خصوصاً حنين المحبين، فلا يخفى عليه شيء من أقوال العباد وأفعالهم وأحوالهم، وهو تحقيق لربوبيته تعالى، وأنها لا تحق إلا لمن هذه نعوته الجليلة.

﴿رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾﴾

﴿رب السماوات والأرض وما بينهما﴾ بدل من ربك. يقول الفقير: ألهمت بين النوم واليقظة. أن معنى هذه الآية؛ أي: إشارة لا عبارة أن مربي ومبلغي إلى كمالي هو رب السماوات والأرض وما بينهما يعني: جميع الموجودات العلوية والسفلية. وذلك لأنها مظاهر الأسماء والصفات الإلٰهية، ففي كل ذرة من ذرات العالم حقيقة مشهودة هي غذاء الروح العارف فيتربى بذلك الغذاء الشهودي بالغاً إلى أقصى استعداده كما يتربى البدن بالغذاء الحسي بالغاً إلى غاية نمائه ووقوفه. وإلى هذا المعنى أشار صاحب المثنوي بقوله:

آن خيالاتى كه دام أولياست عكس مهرويان مستان خداست

فافهم جداً وقل: لا أعبد إلا الله ولا أقصد سواه. ﴿إن كنتم موقنين﴾ بشيء فهذا أولى ما توقنون به لفرط ظهوره أو إن كنتم مريدين لليقين، فاعلموا ذلك. وبالفارسية: [اكر هستيد شمابى كمانان يعنى طلب كنند كان يقين].

﴿لا إلٰه إلا هو﴾ إذ لا خالق سواه. جملة مستأنفة مقررة لما قبلها. ﴿يحيي ويميت﴾ يوجد الحياة في الجماد، ويوجد الموت في الحيوان بقدرته كما يشاهد ذلك؛ أي: يعلم علماً جلياً يشبه المشاهدة. والظاهر أن المشاهدة تتعلق بالأثر، فإن المعلوم هو الإحياء والإماتة، والمشهود هو أثر الحياة في الحي، وأثر الممات في الميت.

وفي «التأويلات النجمية» يحيي قلوب أوليائه بنور محبته وتجلي صفات جماله، ويميت نفوسهم بتجلي صفات جلاله. ﴿ربكم﴾؛ أي: هو ربكم وخالقكم ورازقكم. ﴿ورب آبائكم الأولين﴾.

وفي «التأويلات»: رب آدم وأولاده ورب الآباء العلوية. وقال محمد بن علي الباقر قد انقضى قبل آدم الذي هو أبونا ألف آدم وأكثر. وذكر الشيخ ابن العربي قدس سره في «الفتوحات المكية» في باب حدوث الدنيا حديثاً ضعيفاً أنه انقضى قبل آدم مائة ألف آدم، وجرى له كشف وشهود في طواف الكعبة أنه شاهد رجالاً تمثلوا له من الأرواح فسألهم من أنتم، فأجابوه أنهم من أجداده الأول قبل آدم بأربعين ألف سنة.

قال الشيخ: فسألت عن ذلك إدريس النبي عليه السلام، فصدقني في الكشف والخبر. وقال: نحن معاشر الأنبياء نؤمن بحدوث العالم كله، ولم نعلم أوله. والحق تعالى متفرد بأوائل الكائنات.

﴿بل هم في شك﴾: [بلكه ايشان درشك اند]؛ أي: مما ذكر من شؤونه تعالى غير موقنين في إقرارهم بأنه تعالى رب السماوات والأرض وما بينهما.

﴿يلعبون﴾: لا يقولون ما يقولون عن جد وإذعان، بل مخلوطاً بهزء ولعب، وهو خبر آخر. وفي «كشف الأسرار»: [در كمان خويش بازى ميكنند]. فالظرف متعلق بالفعل، أو بل هم حال كونهم في شك مستقر في قلوبهم يلعبون كما في قوله: فهم في ريبهم يترددون. وفيه أشار إلى أن من استولت عليه الغفلة أداه ذلك إلى الشك، ومن لزم الشك كان بعيداً من عين الصواب.

قال بعضهم: وصف أهل الشك والنفاق باللعب، وذلك لترددهم وتحيرهم في أمر الدين واشتغالهم بالدنيا واغترارهم بزينتها. قال أويس القرني رضي الله عنه: أف لهذه القلوب قد خالطها الشك، فما تنفعها العظة. وعن الشيخ فتح الموصلي قدس سره، قال: رأيت في البادية غلاماً لم يبلغ الحنث يمشي ويحرك شفتيه، فسلمت عليه فرد الجواب، فقلت له: إلى أين يا غلام؟ فقال: إلى بيت الله الحرام. قلت: فيماذا تحرك شفتيك؟ قال: بالقرآن. قلت: فإنه لم يجر عليك قلم التكليف. قال: رأيت الموت يأخذ من هو أصغر مني سناً، فقلت: خطوك قصير وطريقك بعيد، فقال: إنما علي نقل الخطا وعلى الله الإبلاغ، فقلت: فأين الزاد والراحلة، فقال: زادي يقيني وراحلتي رجلاي:

سدره توفيق بود كرد علايق خواهى كه بمنزل برسى راحله بكذار

قلت: أسألك عن الخبز والماء، قال: يا عماه أرأيت لو أن مخلوقاً دعاك إلى منزله أكان يجمل بك أن تحمل معك زادك، فقلت: لا. قال: إن سيدي دعا عباده إلى بيته، وأذن لهم في زيارته، فحملهم ضعف يقينهم على حمل زادهم، وإني استقبحت ذلك، فحفظت الأدب معه افتراه يضيعني، فقلت: كلا وحاشا، ثم غاب عن عيني، فلم أره إلا بمكة، فلما رآني، قال: يا شيخ أنت بعد على ذلك الضعف في اليقين:

سيراب كن زبحر بقين جان تشنه را زين بيش خشك لب منشين برسراب ريب

﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَّبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾﴾.

﴿فارتقب﴾: الارتقاب: [جشم داشتن] يعني: [منتظر شدن].

والمعنى: فانتظر يا محمد لكفار مكة على أن اللام للتعليل. وبالفارسية: [بس تو منتظر باش براى ايشان]. ﴿يوم تأتي السماء بدخان مبين﴾ ظاهر لا شك فيه ويوم مفعول ارتقب. والباء: للتعدية يعني: [آن روزكه آسمان دودى آرد آشكارا]. ويجوز أن يكون ظرفاً له، والمفعول محذوف؛ أي: ارتقب وعد الله في ذلك اليوم أطلق الدخان على شدة القحط وغلبة الجوع على سبيل الكناية، أو المجاز المرسل.

والمعنى: فانتظر لهم يوم شدة ومجاعة، فإن الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان، إما لضعف بصره أو لأن في عام القحط يظلم الهواء لقلة الأمطار، وكثرة الغبار. ولذا يقال لسنة القحط السنة الغبراء، كما قالوا عام الرمادة. والظاهر أن السنة الغبراء ما لا تنبت الأرض فيها شيئاً. وكانت الريح إذا هبت ألقت تراباً كالرماد، أو لأن العرب تسمي الشر الغالب دخاناً، وإسناد الإتيان إلى السماء؛ لأن ذلك يكفها عن الأمطار، فهو من قبيل إسناد الشيء إلى سببه. وذلك أن قريشاً لما بالغوا في الأذية له عليه السلام. دعا عليهم، فقال: اللهم اشدد وطأتك على مضر؛ أي: عقابك الشديد يعني: خذهم أخذاً شديداً واجعلها عليهم سنيناً كسني يوسف»، وهي السبع الشداد، فاستجاب الله دعاءه فأصابتهم سنة؛ أي: قحط حتى أكلوا الجيف والجلود والعظام والعلهز، وهو الوبر والدم؛ أي: يخلط الدم بأوبار الإبل، ويشوى على النار كان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان من الجوع. وكان يحدث الرجل، ويسمع كلامه، ولا يراه من الدخان. وذلك قوله تعالى:

﴿يغشى الناس﴾؛ أي: يحيط ذلك الدخان بهم ويشملهم من جميع جوانبهم صفة للدخان ﴿هذا عذاب أليم﴾؛ أي: قائلين: هذا الجوع، أو الدخان عذاب أليم فمشى إليه عليه السلام أبو سفيان ونفر معه وناشدوه الله والرحم؛ أي: قالوا: نسألك يا محمد بحق الله وبحرمة الرحم أن تستسقي لنا ووعدوه إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا. وذلك قوله تعالى:

﴿رَبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ﴾ [الدخان: ٢١]؛ أي: الجوع، أو عذاب الدخان، ومآلهما واحد، فإن الدخان إنما ينشأ من الجوع.

﴿إنا مؤمنون﴾ بعد رفعه.

﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْاْ عَنْهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿أنى لهم الذكرى﴾ رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم في الوعد بالإيمان المنبىء عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية. والمراد بالاستفهام الاستبعاد لا حقيقته، وهو ظاهر؛ أي: كيف يتذكرون، أو من أين يتذكرون ويقولون: بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب عنهم. ﴿وقد جاءهم رسول مبين﴾؛ أي: والحال أنهم شاهدوا من دواعي التذكر وموجبات الاتعاظ ما هو أعظم منه في إيجابهما حيث جاءهم رسول عظيم الشأن، وبين لهم مناهج الحق بإظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تحرك صم الجبال.

﴿ثم﴾: كلمة ثم هنا للاستبعاد. ﴿تولوا﴾ أعرضوا ﴿عنه﴾؛ أي: عن ذلك الرسول فيما شاهدوا منه من العظائم الموجبة للإقبال إليه، ولم يقتنعوا بالتولي. ﴿وقالوا﴾ في حقه. ﴿معلم

مجنون﴾؛ أي: قالوا تارة يعلمه غلام أعجمي لبعض ثقيف واسمه عداس، أو أبو فكهة، أو جبر، أو يسار وأخرى مجنون، أو يقول بعضهم: كذا. وآخرون كذا، فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم أن يتأثروا منه بالعظة والتذكير، وما مثلهم إلا كمثل الكلب إذا جاع ضغا وإذا شبع طغا ﴿إنا كاشفو العذاب﴾: جواب من جهته تعالى عن قولهم: ربنا اكشف الخ؛ أي: إنا نكشف العذاب المعهود عنكم بدعاء النبي عليه السلام، وإنزال المطر كشفاً ﴿قليلا﴾، وهو دليل على كمال خبث سريرتهم، فإنهم إذا عادوا إلى الكفر بكشف العذاب كشفاً قليلاً، فهم بالكشف رأساً أعود، أو زماناً قليلاً، وهو ما بقي من أعمارهم.

﴿إنكم عائدون﴾ تعودون إثر ذلك إلى ما كنتم عليه من العتو والإصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة. وصيغة الفاعل في الفعلين للدلالة على تحققها لا محالة، ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله بدعاء النبي عليه السلام، فما لبثوا أن عادوا إلى ما كانوا فيه من العتو والعناد؛ لأن من مقتضى فساد طينتهم واعوجاج طبيعتهم المبادرة إلى خلف الوعد ونقض العهد والعود إلى الإشراك إذا زال المانع على ما بينه الله تعالى فيمن ركب الفلك إذ أنجاه إلى البر. وفي المثنوي:

آن ندامت از نتيجة رنج بود	نى زعقل روشن جون كنج بود
جونكه شدرنج آن ندامت شد عدم	مى نيرز دخاك آن توبة ندم
ميكند او توبة وبير خرد	بانك لو ردوا لعادوا ميزند

﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ۞ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَآءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَدُّوٓا۟ إِلَىَّ عِبَادَ ٱللَّهِ ۖ إِنِّى لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾﴾.

﴿يوم نبطش البطشة الكبرى﴾: البطش تناول الشيء بعنف وصولة؛ أي: يوم القيامة ننتقم ونعاقب العقوبة العظمى. ﴿إنا منتقمون﴾ فيوم ظرف لما دل عليه قوله: إنا منتقمون؛ لا لمنتقمون لأن إنا مانعة عن ذلك.

وقال الكاشفي: [يادكن روزى راكه بكيرم كافرا نرا كرفتن سخت وبزرك يعنى روزقيامت]. وذلك لأنه تعالى أخذهم بالجوع والدخان، ثم أذاقهم القتل والأسر يوم بدر. وكل ذلك من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر، فإذا كان يوم القيامة يأخذهم أخذاً شديداً لا يقاس على ما كان في الدنيا. نسأل الله العصمة من عذابه وجحيمه والتوفيق لما يوصل إلى رضاه ونعيمه.

وقال بعض المفسرين: المراد بالدخان ما هو من أشراط الساعة، وهو دخان يأتي من السماء قبل يوم القيامة، فيدخل في أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ؛ أي: المشوي ويعتري المؤمن منه كهيئة الزكام، وتكون الأرض كلها كبيت، أوقد فيه ليس فيه خصاص؛ أي: فرجة يخرج منها الدخان.

وفي الحديث: «أول الآيات: الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن ـ أبين، وهو بفتح الهمزة على ما هو المشهور: اسم رجل بنى هذه البلدة باليمن وأقام بها تسوق الناس إلى المحشر؛ أي: إلى الشام والقدس.

قال حذيفة رضي الله عنه: فما الدخان فتلا الآية، فقال: يملأ ما بين المشرق والمغرب

يمكث أربعين يوماً وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة، وأما الكافر، فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره.

وقال حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله عنه: اطلع رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم ونحن نتذاكر، فقال عليه السلام: «ما تذاكرون؟ قالوا: نذكر الساعة، قال عليه السلام: «إنها لن تقوم حتى تروا قبلها آيات؛ أي: علامات، فذكر الدخان والدجال والدابة، وطلوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف: خسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب، وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم».

وأوّله بعض العلماء بفتنة الأتراك وأول خروج الدجال بظهور الشر والفساد، ونزول عيسى باندفاع ذلك، وظهور الخير والصلاح.

يقول الفقير: إن كان هذا التأويل من طريق الإشارة، فمسلم لأنه لا تخلو الدنيا عن المظاهر الجلالية والجمالية إلى خروج الدجال، ونزول عيسى. وأما إن كان من طريق الحقيقة، فلا صحة له إذ لا بد من ظهور تلك الآيات على حقيقتها على ما أخبر به النبي عليه السلام. فعلى هذا القول، وهو تفسير الدخان: بما هو من أشراط الساعة، معنى قوله: ﴿**ربنا اكشف عنا**﴾. الخ.

وقوله: ﴿**إنا كاشفو العذاب**﴾ إلخ. أنه إذا جاء الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا: ربنا اكشف عنا العذاب: إنا مؤمنون، فيكشف الله عنهم بعد أربعين يوماً، فريثما يكشف عنهم يرتدون، ولا يتمهلون، وظهور علامات القيامة لا يوجب انقطاع التكليف، ولا يقدح في صحة الإيمان، ولا يجب أيضاً لزومها وعدم انكشافها.

وقال بعض أهل التفسير: المراد بالدخان ما يكون في القيامة إذا خرجوا في قبورهم، فيحتمل أن يراد به معناه الحقيقي، وما يستلزمه فإنه لشدة أهوال يوم القيامة تظلم العين، بحيث لا يرى الإنسان فيه أينما توجه إلا والظلمة مستولية عليه، كأنه مملوء دخاناً، فعلى هذا يبنى الكلام على الفرض والتقدير. ومعناه: أنهم يقولون: ربنا اكشف عنا العذاب؛ أي: ارددنا إلى الدنيا نعمل صالحاً، فيقول الله: ﴿**إنا كاشفو العذاب**﴾، يعني: إن كشفنا ورددناكم إليها تعودوا إلى ما كنتم عليه من الكفر والتكذيب، كما قال تعالى: ﴿وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ﴾ [الأنعام: ٢٨]. والتفسير الأول من هذه التفاسير الثلاثة: هو الذي يستدعيه مساق النظم الكريم قطعاً.

وفي «عرائس البقلي» رحمه الله ظاهر الآية دخان الكفرة من الجوع في الظاهر، ودخان بواطنهم. دخان النفس الأمارة والأهواء المختلفة التي تغير سماء قلوبهم بغبار الشهوات وظلمة الغفلات.

وقال سهل قدس سره: الدخان في الدنيا قسوة القلب والغفلة عن الذكر.

وفي «التأويلات النجمية»: في الآية إشارة إلى مراقبة سماء القلب عن تصاعد دخان أوصاف البشرية يغشى الناس عن شواهد الحق. هذا عذاب أليم لأرباب المشاهدة، كما قال السري قدس سره: اللهم مهما عذبتني، فلا تعذبني بذل الحجاب: ربنا اكشف عنا عذاب الحجاب، إنا مؤمنون بأنك قادر على رفع الحجاب وإرخائه، فإذا أخذوا في الاستغاثة يقال لهم: أنى لهم الذكرى. وقد جاءهم رسول مبين بإلهام تقواهم وفجورهم، ثم خالفوه وقالوا: خاطر شيطاني. إنا كاشفو العذاب عن صورتهم في الدنيا قليلاً؛ لأن جميع الدنيا عندنا قليل،

ولكن يوم نبطش البطشة الكبرى نورثهم حزناً طويلاً، ولا يجدون في ضلال انتقامنا مقيلاً.

يقول الفقير: ظهر من هذه التقريرات: أنه لا خير في الدخان في الظاهر والباطن. ألا ترى أن من رآه في المنام يعبر بالهول العظيم والقتال الشديد وبالظلمات والحجب والكدورات، فعلى العاقل أن يجتهد في الخروج من الظلمات إلى النور والدخول في دائرة الصفاء والحضور؛ فإنه إن بقي مع دخان الوجود يظلم عليه وجه المقصود.

﴿**ولقد فتنا قبلهم**﴾: [بيش از كفار مكه]. ﴿**قوم فرعون**﴾؛ أي: القبط. والمعنى: امتحناهم؛ أي: فعلنا بهم، فعل الممتحن بإرسال موسى عليه السلام إليهم ليؤمنوا، ويظهر منهم ما كان مستوراً، فاختاروا الكفر على الإيمان، فالفعل حقيقة أو أوقعناهم في الفتنة بالإمهال، وتوسيع الرزق عليهم، فهو مجاز عقلي من إسناد الفعل إلى سببه؛ لأن المراد بالفتنة حينئذٍ ارتكاب المعاصي، وهو تعالى كان سبباً لارتكابها بالإمهال، والتوسيع المذكورين.

﴿**وجاءهم رسول كريم**﴾ على الله تعالى، وهو موسى عليه السلام بمعنى أنه استحق على ربه أنواعاً كثيرة من الإكرام، أو كريم على المؤمنين، أو في نفسه؛ لأن الله تعالى لم يبعث نبياً إلا من كان أفضل نسباً، وأشرف حسباً على أن الكرم بمعنى الخصلة المحمودة.

وقال بعضهم: لمكالمته مع الله واستماع كلامه من غير واسطة. وفي الآية إشارة إلى أنه تعالى جعل فرعون وقومه فيما فتنهم فداء أمة محمد عليه السلام لتعتبر هذه الأمة بهم، فلا يصرون على جحودهم، كما أصروا، ويرجعوا إلى طريق الرشد ويقبلوا دعوة نبيهم ويؤمنوا بما جاء به لئلا يصيبهم ما أصابهم بعد أن جاءهم رسول كريم.

﴿**أن أدوا إلي عباد الله**﴾: أن مصدرية؛ أي: بأن أدوا إلى بني إسرائيل، وسلموهم وأرسلوهم معي لأذهب بهم إلى موطن آبائهم الشام، ولا تستعبدوهم ولا تعذبوهم؛ أي: جئتكم من الله لطلب تأدية عباد الله إليَّ.

قال في «كشف الأسرار»: فرعون قبطى بود وقوم وى قبط بودند وبني إسرائيل در زمين ايشان غريب بودند از زمين كنعان بايشان افتادند نزاد يعقوب عليه السلام بودند بايدر خويش يعقوب بمصر شدند بر يوسف وآنروز هشتادو دوكس بودند وايشانرا در مصر توالد وتناسل بود بعد از غرق فرعون جون از مصر بيرون آمدند با موسى بقصد فلسطين هزار هزار وششصد هزار بودند فرعون ايشانرا در زمين خويش زبون كرفته بود وايشانرا معذب همى داشت وكارهاى صعب ودشوار همى فرمود تا رب العزة موسى رابه بيغمبرى بايشان فرستاد بدوكار يكى اوردن ايمان بوحدانيت حق تعالى وعبادت وى كردند ديكر بني إسرائيل را موسى دادن وايشانرا از عذاب رها كردن اينست كه رب العالمين فرمود أن أدوا إليّ عباد الله.

يقول الفقير: فتكون التأدية بعد الإيمان، كما قالوا في آية أخرى ﴿لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الأعراف: ١٣٤]، ونظيره قول نوح عليه السلام لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]؛ أي: آمن واركب، فإن الراكب إنما هو المؤمنون والركوب متفرع على الإيمان.

وقال بعضهم: عباد الله منصوب بحرف النداء المحذوف؛ أي: بأن أدوا إليّ يا عباد الله حقه من الإيمان وقبول الدعوة. ﴿**إني لكم رسول أمين**﴾ على وحيه ورسالته صادق في دعواه بالمعجزات، وهو علة للأمر بالتأدية. وفيه إشارة إلى أن بني إسرائيل كانوا أمانة الله في أيدي

فرعون وقومه، يلزم تأديتهم إلى موسى لكونه أميناً، فخانوا تلك الأمانة حتى آخذهم الله على ذلك.

﴿وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿وأن لا تعلوا على الله﴾؛ أي: وبأن لا تتكبروا عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله واستخفاف عباده وإهانتهم. **﴿إني آتيكم﴾**؛ أي: من جهته تعالى يحتمل أن يكون اسم فاعل، وأن يكون فعلاً مضارعاً. **﴿بسلطان مبين﴾**: تعليل للنهي؛ أي: آتيكم بحجة واضحة لا سبيل إلى إنكارها. يعني: المعجزات. وبالفارسية: [بدرستى كه من بشما آرنده ام حجتى روشن وبرهانى اشكارا بصدق مدعاى خود].

وفي إيراد الأداء مع الأمين والسلطان مع العلاء من الجزالة ما لا يخفى.

﴿وإني عذت بربي وربكم﴾؛ أي: التجأت إليه وتوكلت عليه. **﴿أن ترجمون﴾** من أن ترجموني، فهو العاصم من شركم والرجم: [سنكسار كردن]. يعني: الرمي بالرجام بالكسر، وهي الحجارة أو تؤذوني ضرباً، أو شتماً بأن تقولوا: هو ساحر ونحوه، أو تقتلوني. قيل: لما قال، وأن لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل.

وفي «التأويلات النجمية»: وإني عذت بربي من شر نفسي وربكم من شر نفوسكم أن ترجموني بشيء من الفتن.

﴿وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون﴾: الإيمان يتعدى باللام باعتبار معنى الإذعان والقبول. والباء: باعتبار معنى الاعتراف وحقيقة آمن به أمن المخبر من التكذيب، والمخالفة.

وقال ابن الشيخ: اللام للأجل بمعنى لأجل ما أتيت به من الحجة والمعنى وإن كابرتم مقتضى العقل ولم تصدقوني، فكونوا بمعزل مني لا علي ولا لي، ولا تتعرضوا لي بشر ولا أذى لا باليد، ولا باللسان، فليس ذلك من جزاء من يدعوكم إلى ما فيه فلاحكم، فالاعتزال كناية عن الترك، ولا يراد به الاعتزال بالأبدان.

قال القاضي عبد الجبار: من متأخري المعتزلة: كل موضع جاء فيه لفظ الاعتزال في القرآن. فالمراد منه الاعتزال عن الباطل. وبهذا صار اسم الاعتزال اسم مدح، وهو منقوض بقوله تعالى: **﴿فإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون﴾**، فإن المراد بالاعتزال هنا العزلة عن الإيمان التي هي الكفر لا العزلة عن الكفر والباطل. كذا في بعض كتب الكلام أخبر الله بهذه الآية؛ لأن المفارقة من الأضداد واجبة.

قيل: إن بعض أصحاب الجنيد قدس سره وقع له إنكار في مسألة جرت له معه، فكتب إليه ليعارضه فيها، فلما دخل على الجنيد نظر إليه. وقال: يا فلان، وإن لم تؤمنوا لي، فاعتزلون: [نقلست كه امام أحمد حنبل رحمه الله شبى نزد بشر حافى قدس سره رفتى ودر حق او ارادت تمام داشت تابحدى كه شاكر دانش كفتند تو امام عالم باشى ودر فقه وأحاديث وجمله علوم واجتهاد نظير ندارى هردم از بس شوريده بابر هنه مى دوى اين جه لايق بود احمد كفت آن همه علوم كه شمر ديد جنانست من همه به ازان دانم اما او خدارابه از من داند].

فينبغي للمرء أن يعتزل عن الباطل أياً كان لا عن الحق، وربما رأينا بعض أهل الإنكار في الغالب يعتزل عن صحبة الرجال، ثم لا يكتفي باعتزاله حتى يؤذيهم باللسان، فيكون بإهانة الأولياء عدو الله تعالى، ومحروماً من فوائد الصحبة وعوائد المجلس، فلزم على أهل الحق أن يتعوذوا بالله من شرور الظلمة والجبابرة، وأهل الإنكار والمكابرة، كما تعوذ الأنبياء عليهم السلام:

اى خدا كمترين كداى توام — جشم برخوان كبرياى توام
از بد ومنكران امانم ده — هرجه آنم بهست آنم ده
جونكه توكفتى فاستعذ بالله — بتو بردم زشر ديو بناه
باخصوص از بلاى ديو سفيد — كه نباشد از وكريز مفيد

﴿فدعا﴾ موسى ﴿ربه﴾ بعدما كذبوه. ﴿أن هؤلاء﴾؛ أي: بأن هؤلاء القبط. ﴿قوم مجرمون﴾ مصرون على كفرهم ومتابعة هواهم وأنت أعلم بهم، فافعل بهم ما يستحقونه.

﴿فَأَسْرِ بِعِبَادِى لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا۟ مِن جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾﴾.

﴿فأسر بعبادي ليلاً﴾: الفاء عاطفة بإضمار القول بعد الفاء لئلا يلزم عطف الإنشاء على الخبر والإسراء بشب رفتن.

يقال: أسرى به ليلاً: إذا سار معه بالليل، وكذا سرى. والسرى وإن كان لا يكون إلا بالليل لكنه أتى بالليل للتأكيد. والمعنى: فأجاب الله دعاءه، وقال له: أسر يا موسى ببني إسرائيل من مصر ليلاً على غفلة من العدو. وبالفارسية: [بس ببر بشب بندكان مرا]. ﴿إنكم متبعون﴾: علة للأمر بالسير؛ أي: يتبعكم فرعون وجنوده بعد أن علموا بخروجكم ليلاً ليقتلكم: [جون بلب دريار سيده باشيد تو عصا بردريا زنى بشكافد ودرو راهها يديد آيد تا بني إسرائيل بكذرند].

﴿واترك البحر﴾؛ أي: بحر القلزم، وهو الأظهر الأشهر، أو النيل حال كونه. ﴿رهواً﴾ مصدر سمي به البحر للمبالغة، وهو بمعنى الفرجة الواسعة؛ أي: ذا رهواً أو راهياً مفتوحاً على حاله منفرجاً، ولا تخف أن يتبعك فرعون وقومه، أو ساكناً على هيئته بعدما جاوزته، ولا تضربه بعصاك لينطبق، ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط، فإذا دخلوا فيه أطبقه الله عليهم يعني: [ساكن وآراميده برآن وجه كه راهها برو ظاهر بود]. فيكون معنى: رهواً ساكناً غير مضطرب. وذلك لأن الماء وقف له كالطود العظيم حتى جاوز البحر.

﴿إنهم جند مغرقون﴾: علة للأمر بترك البحر رهواً، والجند جمع معد للحرب والإغراق: [غرقه كردن]. والغرق: الرسوب في الماء والتسفل فيه.

يقول الفقير: لما كان فرعون يفتخر بالماء وجريان الأنهار من تحت قصره وأشجار بساتينه جاء الجزاء من جنس العمل، ولذا أمر الله تعالى موسى عليه السلام، بأن يسير إلى جانب البحر دون البر، وإلا فالله سبحانه قادر على إهلاك العدو في البر أيضاً، بسبب من الأسباب، كما فعل بأكثر الكفار ممن كانوا قبل القبط.

﴿كم تركوا﴾؛ أي: كثيراً تركوا في مصر فكم في محل النصب على أنه مفعول تركوا

ومن قوله: ﴿من جنات﴾: بيان لإبهامه؛ أي: بساتين كثيرة الأشجار، وكانت متصلة من رشيد إلى أسوان وقدر المسافة بينهما أكثر من عشرين يوماً.

وفي الآية اختصار. والمعنى: فعل ما أمر به بأن ترك البحر رهواً، فدخله فرعون وقومه، فأغرقوا وتركوا بساتين كثيرة. ﴿وعيون﴾ نابعة بالماء. وبالفارسية: [جشمهاى آب روان].

ولعل المراد: الأنهار الجارية المتشعبة من النيل إذ ليس في مصر آبار وعيون، كما قال بعضهم في ذمها: هي بين بحر رطب عفن كثير البخارات الرديئة التي تولد الأدواء وتفسد الغذاء، وبين جبل وبر يابس صلد ولشدة يبسه لا تنبت فيه خضراء، ولا تتفجر فيه عين ماء. انتهى.

﴿وزروع﴾: جمع زرع، وهو ما استنبت بالبذر تسمية بالمصدر من زرع الله الحرث إذا أنبته وأنماه.

قال في «كشف الأسرار» وفنون الأقوات وألوان الأطعمة؛ أي: كانوا أهل ريف وخصب خلاف حال العرب. ﴿ومقام كريم﴾: محافل مزينة ومنازل محسنة.

﴿وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَٰكِهِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَٰهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾﴾.

﴿ونعمة﴾؛ أي: تنعم ونضارة عيش. وبالفارسية: [واسباب تنعم وبر خورداری]. يقال: كم ذي نعمة لا نعمة له؛ أي: كم ذي مال لا تنعم له فالنعمة بالكسر ما أنعم به عليك. والنعمة بالفتح: التنعم، وهو استعمال ما فيه النعومة واللين من المأكولات والملبوسات. وبالفارسية: [بناز زيستن].

﴿كانوا فيها فاكهين﴾: متنعمين متلذذين. ومنه الفاكهة، وهي ما يتفكه به؛ أي: يتنعم ويتلذذ بأكله.

﴿كذلك﴾: الكاف في حيز النصب وذلك إشارة إلى مصدر فعل يدل عليه تركوا؛ أي: مثل ذلك السلب سلبناهم إياها. ﴿وأورثناها قوماً آخرين﴾، فهو معطوف على الفعل المقدر وإيراثها تمليكها مخلفة عليهم أو تمكينهم من التصرف فيها، تمكين الوارث فيما يرثه؛ أي: جعلنا أموال القبط لقوم ليسوا منهم في شيء من قرابة، ولا دين، ولا ولاء، وهم بنو إسرائيل كانوا مسخرين لهم مستعبدين في أيديهم، فأهلكهم الله وأورثهم ديارهم وملكهم وأموالهم.

وقيل: غيرهم لأنهم لم يعودوا إلى مصر. قال قتادة: لم يرو في مشهور التواريخ أنهم رجعوا إلى مصر ولا ملكوها قط، ورد بأنه لا اعتبار بالتواريخ، فالكذب فيها كثير، والله تعالى أصدق قيلاً، وقد جاء في الشعراء التنصيص بإيراثها بني إسرائيل كذا في «حواشي سعدي المفتي».

قال المفسرون عند قوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: ١٢٩]؛ أي: يجعلكم خلفاء في أرض مصر، أو في الأرض المقدسة. وقالوا في قوله: ﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ [الأعراف: ١٣٧]؛ أي: أرض الشام ومشارقها ومغاربها جهاتها الشرقية والغربية ملكها بنو إسرائيل بعد الفراعنة والعمالقة بعد انقضاء مدة التيه، وتمكنوا في نواحيها، فاضطرب كلامهم، فتارة حملوا الأرض

على أرض مصر، وأخرى على أرض الشام. والظاهر الثاني؛ لأن المتبادر استخلاف أنفس المستضعفين لا أولادهم. ومصر إنما ورثها أولادهم؛ لأنها فتحت في زمان داود عليه السلام، ويمكن أن يحمل على أرض الشام ومصر جميعاً. والمراد بالمستضعفين هم وأولادهم، فإن الأبناء ينسب إليهم ما ينسب إلى الآباء. والله أعلم.

وفي الآية إشارة إلى ترك بحر الفضل رهواً؛ أي: مشقوقاً بعصا الذكر؛ لأن فرعون النفس وصفاتها فانون في بحر الوحدة تاركون لجنات الشهوات وعيون المستلذات الحيوانية وزروع الآمال الفاسدة والمقامات الروحانية بعبورهم عليها وسائر تنعمات الدنيا والآخرة بالسير، والإعراض عنها وبقوله كذلك: وأورثنا إلى إلخ. يشير أن الصفات النفسانية، وإن فنيت بتجلي الصفات الربانية فمهما يكن الغالب باقياً بالحياة يتولد منه الصفات النفسانية إلى أن تفنى هذه الصفات بالتجلي أيضاً، ولو لم تكن هذه المتولدات ما كان للسائر الترقي، فافهم جداً، فإنه بهذا الترقي يعبر السائر عن المقام الملكي؛ لأنه ليس للملك الترقي من مقامه، كما قال تعالى: ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٌ مَّعۡلُومٌ ١٦٤﴾ [الصافات: ١٦٤]، فالكمال الملكي دفعي، لا ترقي بعده، والكمال البشري تدريجي، ولا ينقطع سيره أبداً لا في الدنيا، ولا في الآخرة، والله مفيض الجود.

﴿فما بكت عليهم السماء والأرض﴾: مجاز مرسل عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم؛ لأن سبب البكاء على شيء هو المبالاة بوجوده، يعني: أنه استعارة تمثيلية بعد الاستعارة المكنية في السماء والأرض بأن شبهتا بمن يصح منه الاكتراث على سبيل الكناية، وأسند البكاء إليهما. على سبيل التخييل كانت العرب إذا مات فيهم من له خطر وقدر عظيم يقولون: بكت عليه السماء والأرض، يعني: أن المصيبة بموته عمت الخلق، فبكى له الكل حتى الأرض والسماء، فإذا قالوا: ما بكت عليه السماء والأرض، يعنون به: ما ظهر بعد ما يظهر بعده ذوي الأقدار والشرف، ففيه تهكم بالكفار وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده، فيقال له: بكت عليه السماء والأرض.

وقال بعضهم: هو على حقيقته ويؤيده ما روي: أنه عليه السلام قال: «ما من مؤمن إلا وله في السماء بابان: باب يخرج منه رزقه، وباب يدخل منه عمله، وإذا مات فقداه وبكيا عليه وتلا فما بكت. إلخ. يعني: [جون بنده وفات كند واين دودر از نزول رزق وخروج عمل محرومماندبر وبكريند].

وفي الحديث: «إن المؤمن يبكي عليه من الأرض مصلاه، موضع عبادته، ومن السماء مصعد عمله». وروي: إذا مات كافر استراح منه السماء والأرض والبلاد والعباد، فلا تبكي عليه أرض ولا سماء.

وفي الحديث: «تضرعوا وابكوا، فإن السماوات والأرض والشمس والقمر والنجوم يبكون من خشية الله. [در معالم آورده جون مؤمن بميرد جمله آسمان وزمين برويكر يند وكفته اندكه كريه آسمان وزمين همجون كريه آدميانست].

يعني: بكاؤهما كبكاء الإنسان والحيوان؛ فإنه ممكن قدرة كما في «الكواشي». وقد ثبت أن كل شيء يسبح الله تعالى على الحقيقة، كما هو عند محققي الصوفية، فمن الجائز أن يبكي ويضحك بما يناسب لعالمه.

قال وهب بن منبه رضي الله عنه: لما أراد الله أن يخلق آدم أوحى إلى الأرض؛ أي: أفهمها وألهمها إني جاعل منك خليفة، فمنهم من يطيعني، فأدخله الجنة، ومنهم: من يعصيني، فأدخله النار، فقالت الأرض: أمتي تخلق خلقاً يكون للنار، قال: نعم، فبكت الأرض، فانفجرت منها العيون إلى يوم القيامة، وعن أنس رضي الله عنه رفعه لما عرج بي إلى السماء بكت الأرض، من بعدي فنبت اللصف من نباتها، فلما أن رجعت قطر عرقي على الأرض، فنبت ورد أحمر ألا من أراد أن يشم رائحتي، فليشم الورد الأحمر، كما في «المقاصد الحسنة».

[وبعضى براندكه علامتى بريشان ظاهر شودكه دليل بود بر حزن وتأسف همجون كريه كه در أغلب دالست برغم واندوه].

قال عطاء والسدي: بكاء السماء حمرة أطرافها وعن زيد بن أبي زياد لما قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما احمر له آفاق السماء أشهراً، واحمرارها بكاؤها. وعن ابن سيرين رحمه الله: أخبرونا أن الحمرة التي مع الشفق لم تكن حتى قتل الحسين رضي الله عنه؛ أي: أنها زادت زيادة ظاهرة، وإلا فإنها قد كانت قبل قتله:

اين سرخى شفق كه برين جرخ بيوفاست هرشام عكس خون شهيد ان كربلاست
كر جرخ خون ببارد ازين غصه در خورست ورخاك خون بكريد ازين ماجرا رواست

والشفق: الحمرة. وقال بعضهم: الشفق شفقان: الحمرة والبياض، فإذا غابت الحمرة حلّت الصلاة.

وفي الحديث: «إذا غاب القمر في الحمرة، فهو لليلة، وإذا غاب في البياض، فهو لليلتين». وكانت العرب يجعلون الخسوف والحمرة التي تحدث في السماء بكاء على الميت، ولما كسفت الشمس يوم موت ابنه عليه السلام إبراهيم، قال الناس: كسفت لموت إبراهيم، فخطبهم، فقال: «إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموها فادعوا الله وصلوا حتى تنجلي». وهذا لا ينافي ما سبق، فإن مراده عليه السلام رفع اعتقاد أهل الجاهلية، ولا شك أن كل حادث، فهو دال على أمر من الأمور، ولذا أمر بالدعاء والصلاة وسر الدعاء أن النفوس عند مشاهدة ما هو خارق العادة تكون معرضة عن الدنيا، ومتوجهة إلى الحضرة العليا، فيكون أقرب إلى الإجابة. هذا هو السر في استجابة الدعوات في الأماكن الشريفة، والمزارات.

قال بعضهم: لا تبكي السماوات والأرض على العصاة، وأهل الدعوى والأنانية، فكيف تبكي السماء على من يصعد إليها منه طاعة، وكيف تبكي الأرض على من عصى الله عليها، بل يبكيان على المطيعين خصوصاً على العارفين، إذا فارقوا الدنيا حين لا يصعد إلى السماء أنوار أنفاسهم، ولا يجري على الأرض بركات آثارهم.

وفي الحديث: «إن السماء والأرض تبكيان لموت العلماء». وفي الحديث: «ما مات مؤمن في غربة غابت عنه بواكيه إلا بكت عليه السماء والأرض». ثم قرأ الآية، وقال: إنهما لا تبكيان على كافر. وقال بعض المفسرين: معنى الآية: فما بكت عليهم أهل السماء والأرض، فأقام السماء والأرض مقام أهلهما، كما قال واسأل القرية. وينصره قوله عليه السلام: «إذا ولد مولود من أمتي تباشرت الملائكة بعضهم ببعض من الفرح، وإذا مات من أمتي صغير أو كبير

بكت عليه الملائكة». وكذا ورد في «الخبر»: «أن الملائكة يبكون إذا خرج شهر رمضان، وكذا يستبشرون إذا ذهب الشتاء رحمة للمساكين».

﴿وما كانوا﴾ لما جاء وقت هلاكهم. ﴿منظرين﴾ ممهلين إلى وقت آخر، أو إلى الآخرة، بل عجل لهم في الدنيا، أما الأول فلأن العمر الإنساني عبارة عن الأنفاس، فإذا نفدت لم يبق للتأخير مجال، وأما الثاني: فإنهم مستحقون لنكال الدنيا والآخرة، أما نكال الدنيا فلاشتغالهم بظواهرهم بأذية الداعي مستعجلين فيها، وأما نكال الآخرة فلمحاربتهم مع الله ببواطنهم بالتكذيب والإنكار والدنيا من عالم الظاهر، كما أن الآخرة من عالم الباطن فجوزوا في الظاهر والباطن بما يجري على ظواهرهم وبواطنهم. وهذا بخلاف حال عصاة المؤمنين، فإنهم إذا فعلوا ذنباً من الذنوب ينظرون إلى سبع ساعات ليتوبوا، فلا يكتب في صحائف أعمالهم، ولا يؤاخذون به عاجلاً؛ لأن الله يعفو عن كثير ويجعل بعض المصائب كفارة الذنوب، فلا يؤاخذ آجلاً أيضاً، فلهم الرحمة الواسعة والحمد لله تعالى. ولكن ينبغي للمؤمن أن يعتبر بأحوال الأمم فيطيع الله تعالى في جميع الأحوال، ويجتهد في إحياء الدين لا في إصلاح الطين، ونعم ما قال بعضهم:

خاك دردستش بودجون باد هنكام رحيل هركه اوقات كرامى صرف آب وكل كند

ومن الله العون.

﴿وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِن فِرْعَوْنَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿ولقد نجينا بني إسرائيل﴾: التنجية: [نجات دادن وبرهانيدن]؛ أي: خلصنا أولاد يعقوب بإغراق القبط في اليم ﴿من العذاب المهين﴾: [از عذابى خوار كننده]. يعني: استعباد فرعون إياهم وقتل أبنائهم واستخدام نسائهم وبناتهم وتكليفه إياهم الأعمال الشاقة، فالهوان يكون من جهة مسلط مستخف به، وهو مذموم.

﴿من فرعون﴾ بدل من العذاب، إما على جعله نفس العذاب لإفراطه في التعذيب، وإما على حذف المضاف؛ أي: من عذاب فرعون، أو حال من المهين، بمعنى واقعاً من جهته واصلاً من جانبه. ﴿إنه كان عالياً﴾ متكبراً.

﴿من المسرفين﴾ خبر ثانٍ لكان؛ أي: من الذين أسرفوا على أنفسهم بالظلم والعدوان، وتجاوزوا الحد في الكفر والعصيان.

وقال الكاشفي: [از كافر انكه متجاوزاند از حدود ايمان]. ومن إسرافه أنه على حقارته وخسة شأنه ادعى الإلهية، فكان أكفر الكفار وأطغاهم، وهو أبلغ من أن يقال: مسرفاً لدلالته على أنه معدود في زمرتهم مشهور بأنه في جملتهم، وفيه ذم لفرعون، ولمن كان مثله في العلو والإسراف كنمرود وغيره. وبيان أن من أهان المؤمن أهلكه الله وأذله، ومن يهن الله فما له مكرم، وإن النجاة من أيدي الأعداء من نعم الله الجليلة على الأحباب، فإن من نكد الدنيا ومصائبها على الحر أن يكون مغلوباً للأعداء، وأن يرى عدواً له ما من صداقته بد وإن الله إذا أراد للمرء ترقياً في دينه ودنياه يقدم له البلايا ثم ينجيه:

تامرا كعبة مقصود ببالين آمد سالها بستر خودخار مغيلان كردم

﴿ولقد اخترناهم﴾ ؛ أي: فضلنا بني إسرائيل ﴿على علم﴾ في محل النصب على الحال؛ أي: عالمين بأنهم أحقاء بالاختيار. وبالفارسية: [بردانشى بى غلط يعنى نه بغلط بركزيديم بلكه بعلم باك كزيديم وبدانش تمام دانستيم كه از همه آفريد كان سزاى كزيدن ايشانند ازان كزيديم اختيار ما بعلم واردات ماست بى علت ونواخت ما بفضل وكرم بى سبب].

أو عالمين بأنهم يريغون في بعض الأوقات وتكثر منهم الفرطات، كما قال الواسطي رحمه الله: اخترناهم على علم منا بجناياتهم، وما يقترفون من أنواع المخالفات، فلم يؤثر ذلك في سوابق علمنا بهم ليعلموا أن الجنايات لا تؤثر في الرعايات، ومن هذا القبيل أولاد يعقوب عليه السلام؛ فإنهم مع ما فعلوا بيوسف من إلقائه في الجب ونحوه. اختارهم الله للنبوة على قول:

كرد عصيال رحمت حق رانمى آرد بشور مشرب دريانكردد تيره ازسيلابها

ويجوز أن يكون المعنى لعلمهم وفضلهم على أن كلمة على للتعليل. ﴿على العالمين﴾ على عالمي زمانهم، يعني: [برجهانيان روزكار ايشان]. أو على العالمين جميعاً في زمانهم وبعدهم في كل عصر لكثرة الأنبياء فيهم، حيث بعث فيهم يوماً ألف نبي، ولم يكن هذا في غيرهم، ولا ينافيه قوله تعالى في حق أمة محمد عليه السلام: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]، الآية لتغاير جهة الخيرية.

يقول الفقير: والحق إن هذه الأمة المرحومة خير من جميع الأمم من كل وجه، فإن خيرية الأمم إن كانت باعتبار معجزات أنبيائهم، فالله تعالى قد أعطى لنبينا عليه السلام جميع ما أعطاه للأولين، وإن كانت باعتبار كثرة الأنبياء في وقت واحد، فعلماؤنا الذين كأنبياء بني إسرائيل أكثر وأزيد. وذلك لأنه لا تخلو الدنيا كل يوم من أيام هذه الأمة إلى قيام الساعة من مائة ألف ولي وأربعة وعشرين ألف ولي، فانظر كم بينهم من الفرق هدانا الله وإياكم أجمعين.

قال في «المفردات»: الاختيار طلب ما هو خير فعله، وقوله تعالى: ﴿ولقد اخترناهم﴾ ، الآية. يصح أن يكون إشارة إلى إيجاده تعالى إياهم خيراً، وأن يكون إشارة إلى تقديمهم على غيرهم.

وفي «بحرالعلوم»: هذا الاختيار خاص بمن اختاره الله بالنبوة منهم، أو عام لهم، ولمن كانوا مع موسى اختارهم بما خصصهم به.

كما قال الكاشفي: ﴿ولقد اخترناهم﴾ : [وبدرستى كه بركز يديم موسى ومؤمنان بني إسرائيل را]. فجعلنا فيهم الكتاب والنبوة والملك.

﴿وآتيناهم من الآيات﴾ : [نشانهاى قدرت]. كفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغيرها من عظائم الآيات التي لم يعهد مثلها في غيرهم. ﴿ما فيه بلاء مبين﴾ : نعمة جليلة أو اختيار ظاهر لينظر كيف يعملون.

وفي «كشف الأسرار»: ابتلاهم بالرخاء والبلاء، فطالبهم بالشكر عند الرخاء والصبر عند البلاء: [آدمى كهى خستة بتير بلاست كهى غرقة لطف وعطا وحق تعالى تقاضاى شكر مى كند بوقت راحت ونعمت وتقاضاى صبر مى كند درحال بلا وشدت مصطفى عليه السلام قومى را ديداز انصار كفت شما مؤمنان آيد كفتند آرى كفت نشان ايمان جيست كفتند بر نعمت شكر كنيم ودرمحنث صبر كنيم وبقضاء الله راضى كفت أنتم مؤمنون ورب الكعبة].

قال ابن الشيخ: هو حقيقة في الاختيار، وقد يطلق على النعمة وعلى المحنة مجازاً من حيث إن كل واحد منهما يكون سبباً وطريقاً للاختيار. فإن قلت: إذا كانت الآيات المذكورة نعمة في أنفسها، فما معنى قوله: ما فيه بلاء؛ أي: نعمة.

قلت: كلمة «في» تجريدية فقد يكون نعمة في نعمة، كما يكون نعمة فوق نعمة ومحنة فوق محنة. [كفته اندو برادر توأمان بودند بيك شكم آمده بودند وبشت ايشان يكديكر جسيبده بود جون بزرك شدند دائم زبان بشكر الهى داشتند يكى از ايشان برسيد كه باوجود جنين بلاى كه شمارا واقعست جه جاى شكر كزار يست ايشان كفتند ماميدانيم كه حق تعالى را بلاها ازين صعبتر بسيارست برين بلاشكر ميكوييم مباداكه بيلايى ازين عظيمتر مبتلا شويم ناكاه يكى ازايشان بمردآن دكر كفت اينك بلاى صعبتر بيداشد اكنون اكراين مرده را از من قطع ميكنند من نيزمى ميرم واكر قطع نمى كنند مرا مرده كشى بايدكردنا وقتى كه بدن وى فرسوده شود وبريزد وكفته اند خلاصة درويشى آنست كه از همه كس باركشد وبرهيجكس بارننهد نه بحسب صورت ونه].

بحسب معنى فلا بد من الصبر على البلاء والتحمل على الشدة:

اكر زكوه فروغلطد آسيا سنكى نه عارفست كه ازراه سنك برخيزد

والله الموفق لما يحب ويرضى من الأعمال.

﴿**إن هؤلاء**﴾؛ أي: كفار قريش؛ لأن الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه للدلالة على تماثيلهم في الإصرار على الضلالة والتحذير عن حلول ما حل بهم من العذاب. ﴿**ليقولون إن هي إلا موتتنا الأولى**﴾: لما أخبروا بأن عاقبة حياتهم ونهايتها أمران: الموت ثم البعث. أنكروا ذلك بحصر نهاية الأمر في الموتة الأولى؛ أي: ما العاقبة ونهاية الأمر إلا الموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيوية، ولا بعث بعدها. وتوصيفها بالأولى لا يستدعي أن يثبت الخصم موتة ثانية، فيقصدوا بذلك إنكارها؛ لأن كون الشيء أولاً لا يستلزم وجود ما كان آخراً بالنسبة إليه، كما لو قال أول عبد أملكه حر، فملك عبداً عتق سواء كان مالكاً بعده عبداً آخر أو لا؟.

قال سعدي المفتي: وفيه بحث. فإن الأول مضايف الآخر أو الثاني، فيقضي المضايف الآخر بلا شبهة إذ المتضايفان متكافئان وجوداً، وعدماً ثم قال: ويجوز أن يقال مقصود المصنف الإشارة إلى أن المراد بالأولية: عدم المسبوقية بأخرى مثلها على المجاز.

وقال في «الكشاف»: لما قيل لهم إنكم تموتون موتة تعقبها حياة، كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا: ما هي إلا موتتنا الأولى؛ أي: ما الموتة التي تعقبها حياة إلا الموتة الأولى، فالحصر بهذا المعنى راجع إلى معنى أن يقال: ما هي إلا حياتنا الأولى، ولا تكلف في إطلاق الموت على ما كان قبل الحياة الدنيا، كما في قوله تعالى: ﴿وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ﴾ [البقرة: ٢٨].

وقال بعضهم: المعنى ليست الموتة إلا هذه الموتة دون الموتة التي تعقبها حياة القبر، كما تزعمون يكون بعدها البعث والنشور ولا يبعد أن يحمل على حذف المضاف على أن يكون التقدير: إن الحياة، إلا حياة موتتنا الأولى، فالأولى صفة للمضاف، والقرينة عليه قوله: ﴿**وما نحن بمنشرين**﴾، فالآية مثل قوله: ﴿إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [الأنعام: ٢٩]، كما في «حواشي سعدي المفتي».

﴿وما نحن بمنشرين﴾ بمبعوثين بعد الموت يعني: [زنده شد كان وبر انكيختكان بعد از مرك]. من أنشر الله الموتى إذا بعثهم. وغرضهم من هذا القول المبالغة في إنكار حشر الموتى ونشرهم من القبور.

﴿فَأْتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ ﴿٣٨﴾﴾.

﴿فأتوا بآباتنا﴾: الخطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول والمؤمنين. والمعنى بالفارسية: [بس بياريد بدران مارا ازكور وزنده كنيد]. ﴿إن كنتم صادقين﴾: فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى. يعني: إن كان البعث والنشور ممكناً معقولاً، فجعلوا لنا أحياء من مات من آبائنا ليظهر صدق وعدكم.

وقيل: كانوا يطلبون إليهم أن يدعوا الله فينشر لهم قصي بن كلاب ليشاوروه ويسألوا منه عن أحوال الموت، وكان كبيرهم ومفزعهم في المهمات والملمات.

قال الكاشفي: [اين سخن ازايشان جهل بودزيرا هركه جائز بود وقوع آن ازخداى تعالى بوقتى خاص لازم بود وجود وظهور آن نه بهر وقت كه ديكرى خواهد بس جون وعده بعث در آخرت اكر دردنيا واقع نشود كسى رابرو تحكم نرسد].

وقال في «كشف الأسرار»: وإنما لم يجبهم لأن البعث الموعود إنما هو في دار الجزاء يوم القيامة، والذي كانوا يطلبونه البعث في الدنيا في حالة التكليف وبينهما تغاير.

يقول الفقير: قد صح أن عيسى عليه السلام أحيا الموتى لا سيما سام بن نوح عليه السلام، وكان بينه وبين موته أكثر من أربعة آلاف سنة ونبينا عليه السلام كان أولى بالإحياء؛ لأنه أفضل لكنهم لما طلبوه بالاقتراح لم يأذن الله له فيه لكون غايته الاستئصال على تقدير الإصرار. وقد ثبت عند العلماء الأخيار أن نبينا عليه السلام أحيى أبويه وعمه أبا طالب، فآمنوا به كما سبق تفصيله في محله.

وفي الآية إشارة إلى أن من غلب عليه الحسن، ولم تكن له عين القلب مفتوحة ليطلع ببصره وبصيرته عالم الغيب، وهو الآخرة لا يؤمن إلا بما يريه بصر الحس، ولهذا أنكروا البعث والنشور إذا لم يكن يشاهده نظر حسهم، وقالوا: فائتوا بآبائنا؛ أي: أحيوهم حتى نراهم بنظر الحس ونستخبر منهم أحوالهم بعد الموت إن كنتم صادقين فيما تدعون من البعث.

حكي عن الشيخ أبي علي الروذبادي قدس سره: أنه ورد عليه جماعة من الفقراء، فاعتل واحد منهم وبقي في علته أياماً، فملَّ أصحابه من خدمته وشكوا ذلك إلى الشيخ أبي علي ذات يوم، فخالف الشيخ على نفسه وحلف أن يتولى خدمته بنفسه أياماً، ثم مات الفقير، فغسله وكفنه وصلى عليه ودفنه، فلما أراد أن يفتح رأس كفنه عند أصحابه في القبر رآه وعيناه مفتوحتان إليه. وقال له: يا أبا علي لأنصرنَّك بجاهي يوم القيامة، كما نصرتني في مخالفتك نفسك.

وقال أبو يعقوب السوسي قدس سره: جاءني مريد بمكة. وقال: يا أستاذ أنا غداً أموت وقت الظهر فخذ هذا الدينار، فأحضر لي بنصفه حنوطاً وكفني بنصفه، فلما كان الغد وقت الظهر جاء، فطاف ثم تباعد ومات فغسلته وكفنته ووضعته في اللحد، ففتح عينيه فقلت له: أحياة بعد الموت، فقال: أنا حي، فكل محب لله حيّ.

يقول الفقير: ففي هاتين الحكايتين إشارات:

الأولى: أن للفقراء الصابرين جاهاً عند الله يوم القيامة، فكل من أطعمهم أو كساهم، أو فعل بهم ما يسرهم، فهم له شفعاء عند الله مشفعون فيدخلونه الجنة بإذن الله.

والثانية: أن حياة الأنبياء والأولياء حياة دائمة في الحقيقة، ولا يقطعها الموت الصوري، فإنه إنما يطرأ على الأجساد بمفارقة الأرواح مع أن أجسادهم لا تأكلها الأرض، فهم بمنزلة الأحياء من حيث الأجساد أيضاً.

والثالثة: أن الإحياء أسهل شيء بالنسبة إلى الله تعالى، فمن تأمل في تعلق الروح بالبدن أولاً لم يتوقف في تعلقه به ثانياً وثالثاً والرابعة أثر الحياة مرئي ومشهود في الميت بالنسبة إلى أرباب البصائر، فإنهم ربما رأوا في بعض الأموات أثر الحياة وتكلموا معه، فمن حرم من البصيرة وقصر نظره على الحس وقع في الإنكار وعلى تقدير رؤيته حمله على أمر آخر من السحر والتخييل، ونحو ذلك كما وقع لبعض الكفار في زمان عيسى عليه السلام وغيره ونعم ما قيل:

در جشم اين سياه دلان صبح كاذبست　　　در روشنى اكريد بيضا شود كسى

نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أهل الحياة الحقانية والنشأة العرفانية.

﴿أهم خير﴾: رد لقولهم وتهديد لهم؛ أي: كفار قريش خير في القوة والشوكة اللتين يدفع بهما أسباب الهلاك لا في الدين حتى يردانه لا خيرية في واحد من الفريقين. ﴿أم قوم تبع﴾ المراد بتبع هنا واحد من ملوك اليمن معروف عند قريش وخصه بالذكر لقرب الدار، وسيأتي بقية الكلام فيه.

﴿والذين من قبلهم﴾؛ أي: قيل قوم تبع عطف على قوم تبع. والمراد بهم: عاد وثمود وأضرابهم من كل جبار عنيد أولي بأس شديد. والاستفهام لتقرير أن أولئك أقوى من هؤلاء. ﴿أهلكناهم﴾: [نيست كرديم ايشانرا]. استئناف لبيان عاقبة أمرهم؛ أي: قوم تبع والذين من قبلهم. ﴿إنهم كانوا مجرمين﴾ كاملين في الإجرام والآثام مستحقين للهلاك، وهو تعليل لإهلاكهم ليعلم أن أولئك حيث أهلكوا بسبب إجرامهم مع ما كانوا في غاية القوة والشدة، فلأن يهلك هؤلاء وهم شركاء لهم في الإجرام وأضعف منهم في الشدة والقوة أولى.

بعض كبار: [فرمود كه تعالى رانسبت بأولياى خود قهرى ظاهر است ولطفى دران مخفى لطف مخفى آنست كه ميخواهد كه بآن قهر ظاهر حقيقت انسانرا از قيود لوازم بشرى باك ومطهر كرداند وباز حق تعالى رانسبت باعداى خود لطفى ظاهر است وقهرى دران مخفى قهر مخفى آنست كه ميخواهد كه بآن لطف ظاهر علاقة باطن ايشانرا بعالم اجسام استحكام دهدتا واسطة كرفتارى بقيود اين عالم از شهود عالم اطلاق ولذات روحانى ومعنوى محروم بمانند وجون قهر ومكردر زير لطف ظاهرى بوشيده است عاقل ببايدكه برحذر باشد وبمال وجاه مغرور نباشد تاكه از هلاك صورى ومعنوى خلاص يابد].

قال الحافظ:

كمين كهست وتوخوش تيز ميروى هش دار　　　مكن كه كرد برآيد زشهرة عدمت

اعلم أولاً أن تبعاً كسكر واحد التبابعة، ملوك اليمن، ولا يسمى به إلا إذا كانت له حمير وحضرموت وحمير كدرهم موضع غربي صنعاء اليمن. والحميرية: لغة من اللغات الاثنتي

عشرة وواحد من الأقلام الاثني عشر، وهو في الأصل أبو قبيلة من اليمن، وهو حمير بن سبأ بن يشجب بن يعرب بن قحطان وحضرموت، وهو بضم الميم بلد وقبيلة. كما في «القاموس». وتبع في الجاهلية بمنزلة الخليفة في الإسلام، كما في «كشف الأسرار»: [تبع بادشاهى بود ازبادشاهان از قبيلة قحطان جنانكه دار إسلام ملوك را خليفة كويند ودر روم قيصر ودر فرس كسرى ايشانرا تبع كويند].

فهم الأعاظم من ملوك العرب، والقيل بالفتح والتخفيف: ملك من ملوك حمير دون الملك الأعظم، وأصله: قيل بالتشديد كفيعل، فخفف كميت وميت. قال في «المفردات»: القيل: الملك من ملوك حمير سموه بذلك لكونه معتمداً على قوله، ومقتدى به، ولكونه متقيلاً لأبيه يقال: تقيل فلان أباه إذا تبعه. وعلى هذا النحو سموا الملك بعد الملك تبعاً، فتبع كانوا رؤساء سموا بذلك لاتباع بعضهم بعضاً في الرياسة والسياسة. وفي «إنسان العيون» تبع بلغة اليمن الملك المتبوع. وأصل القيل: من الواو لقولهم في جمعه أقوال نحو ميت وأموات. وإذا قيل: أقيال فذلك نحو أعياد في جمع عيد أصله عود.

وقال بعضهم: قيل الملوك اليمن التابعة؛ لأنهم يتبعون؛ أي: يتبعهم أهل الدنيا، كما يقال لهم: الأقيال؛ لأنهم يتقيلون والتقيل بالفارسية: [اقتدا كردن]، أو لأن لهم قولاً نافذاً بين الناس.

يقول الفقير: والظاهر أن تبع الأول سمي به لكثرة قومه وتبعه، ثم صار لقباً لمن بعده من الملوك سواء كانت لهم تلك الكثرة والأتباع أم لا، فمن التبابعة الحارث الرائش، وهو ابن همال ذي سدد، وهو أول من غزا من ملوك حمير، وأصاب الغنائم وأدخلها فراش الناس بالأموال والسبي والريش بالكسر الخصب، والمعاش. فلذلك سمي الرائش وبينه وبين حمير خمس عشر أباً ودام ملك الحارث الرائش مائة وخمساً وعشرين سنة، وله شعر يذكر فيه من يملك بعده ويبشر بنبينا صلى الله عليه وسلم فمنه:

ويملك بعدهم رجل عظيم ... نبي لا يرخص في الحرام
يسمى أحمداً يا ليت أني ... أعمر بعد مخرجه بعام

ومنهم أبرهة ذو المنار، وهو ابن الحارث المذكور وسمي ذا المنار؛ لأنه أول من ضرب المنار على طريقه في مغازيه ليهتدي إذا رجع وكان ملكه مائة وثلاثاً وثمانين سنة. ومنهم: عمرو ذو الأذعار، وهو ابن أبرهة لم يملك بعد أبيه، وإنما ملك بعد أخيه إفريقس، وسمي ذا الأذعار؛ لأنه قتل مقتلة عظيمة حتى ذعر الناس منه، وكان ملكه خمساً وعشرين سنة.

ومنهم: شمر بن مالك الذي تنسب اليه سمرقند. وحكي القتيبي أنه شمر بن إفريقس بن أبرهة بن الرائش وسمي بمرعش لارتعاش كان به، ونسبت إليه سمرقند؛ لأنها كانت مدينة للصغد، فهدمها، فنسبت إليه. وقيل: شمركند أي: شمر خربها لأن كند بلسانهم حزب ثم عرب فقيل: سمرقند وقال ابن خلكان في «تاريخه»: إن سمر اسم لجارية إسكندر مرضت فوصف لها الأطباء أرضاً ذات هواء طيب، وأشاروا له بظاهر صفتها، وأسكنها إياها، فلما طابت بنى لها مدينة وكند بالتركي هو المدينة، فكأنه يقول: بلد سمر. انتهى.

ويؤيده تسميتهم القرية الجديدة في تركستان بقولهم: [يكى كنت]. فإن التاء والدال متقاربان. وبه يعرف بطلان قول من قال: إن تبعاً الحميري بناها إلا أن يحمل على بناء ثان وفيه بعد.

وقال ابن السباهي في «أوضح المسالك»: سمرقند بالتركية شمركند؛ أي: بلد الشمس.
ومنهم إفريقس بن أبرهة الذي ساق البربر إلى أفريقية من أرض كنعان. وبه سميت إفريقية، وكان قد غزا حتى انتهى إلى أرض طنجة، وملك مائة ونيفاً وستين.

ومنهم تبع بن الأقرن ويقال فيه: تبع الأكبر.

ومنهم: أبو كرب أسعد بن كليكر بن تبع بن الأقرن. واختلفوا في المراد من الآية، فقال بعضهم: هو تبع الحميري الذي سار بالجيوش وبنى الحيرة ـ بالكسر ـ مدينة بالكوفة.

قال في «كشف الأسرار»: [معروف ازايشان سه بودنديكى مهينة اول بوده يكى ميازيكى كهينة اخربود واوكه نام اودر قرآن است تبع آخر بودنام وى اسعد الحميرى مردى مؤمن صالح بوده وبعيسى عليه السلام ايمان آورده وجون حديث ونعت وصفت رسول ما عليه السلام شنيد ازاهل كتاب بر سالت وى ايمان آورد وكفت]:

شهدت على أحمد أنه رسول من الله باري النسم
فلو مد عمري إلى عمره لكنت وزيراً له وابن عم

وفي أوائل السيوطي: أول من كسا الكعبة أسعد الحميري، وهو تبع الأكبر، وذلك قبل الإسلام بتسعمائة سنة كساها الثياب الحبرة، وهي مثل عنبة ضرب من برود اليمن.

وفي رواية كساها الوصائل، وهي برود حمر فيها خطوط خضر تعمل باليمن وعن بعضهم أول من كسا الكعبة كسوة كاملة تبع كساها العصب، وهي ضرب من البرود وجعل لها باباً يغلق. وقال في ذلك:

وكسونا البيت الذي حرم الله ملاء معصباً وبرودا
وأقمنا به من الشهر عشرا وجعلنا لبابه إقليدا
وخرجنا منه نؤم سهيلا قد رفعنا لواءنا معقودا

وكان تبع مؤمناً بالاتفاق، وقومه كافرين، ولذلك ذمهم الله دونه واختلف في نبوته. وقال بعضهم: كان تبع يعبد النار، فأسلم ودعا قومه إلى الإسلام وهم: حمير وكذبوه، وكان قومه كهاناً وأهل كتاب، فأمر الفريقين أن يقرب كل منهما قرباناً، ففعلوا فتقبل قربان أهل الكتاب، فأسلم وذكر ابن إسحاق في كتاب «المبدأ» و«قصص الأنبياء عليهم السلام»: أن تبع بن حسان الحميري، وهو تبع الأول؛ أي: الذي ملك الأرض كلها شرقها وغربها. ويقال: له الرائش؛ لأنه راش الناس بما أوسعهم من العطاء، وقسم فيهم من الغنائم، وكان أول من غنم. ولما عمد البيت يريد تخريبه رمي بداء تمخض منه رأسه قيحاً وصديداً وأنتن حتى لا يستطيع أحد أن يدنو منه قدر رمح.

[يعنى جون تبع بمكه رسيد واهل مكه اورا طاعت نداشتد وخدمت نكردند تبع كفت وزير خودراكه اين جه شهراست وجه قوم اندكه درخدمت وطاعت ما تقصير كردند بعد ازانكه جهانيان سربر خط طاعت مانهاه اند وزير كفت ايشانرا خانة هست كه آنرا كعبه كويند مكر بآن خانة معجب شده اند تبع دردل خويش نيت كردكه آن خانه را خراب كند ومردان شهر رابكشد وزنان را اسير كند هنور هنوز اين انديشه تمام نكرده بودكه رب العزة بدرد سرمبتلا كرد جنانكه اورا بطاقت نماندوآب كندبده از جشم وكوش وبينى وى كشاده كشت كه هيج كس رابنزديك وى قرار نبود واطبا همه از معالجه وى عاجز كشتند كفتند اين بيمارى از جهار طبع بيرون

افتاده كار اسمانيست وما معالجة آن راه ثمى بريم بس دانشمندى فراييش آمد وكفت أيها الملك اكر سرخود بامن بكويى من اين دردرا درمان سازم ملك كفت من دركار اين شهر وابن خانة ك.عبه جنين انديشه كرده ام دانشمند كفت زينهار اي ملك اين انديشه مكن وازين نيت باز كردكه اين خانه را خداوندى است قادر كه آنرا بحفظ خويش ميداردو هركه قضد ابن حانة كند دمار ازوى بر آرد تبع ازان انديشه توبه كرد وتعظيم خانة واهل كعبه ايمان آورد ودردين ابراهيم عليه السلام شد بس كعبه را جامه بوشانيد وقوم خودرا فرمودتا آنرا بزرك دارند وبا اهل وى نيكويى كنند بس از مكه بزمين يثرب شد آنجاكه مدينة مصطفاست صلى الله عليه وسلم ودران وقت شهر وبنانبود جشمة آب بود تبع لشكر بسرآن جشمه فرو آورد ودا نشمندانكه باوى بودند قريب دو هزار مرد عالم در كتاب خوانده بودند كه آن زمين يثرب مهاجر رسول آخر الزمانست ومهبط وحي قرآن جهار صد مرداز ايشانكه عالمتر وفاضلتر بودند بايكديكر بيعت كردندكه ازان بقعة مفارقت نكند وبراميد ديدار رسول آنجا مقام كنند اكر اورا خود دريابند والافر زندان ونسل ايشان ناجار اورادريا بند وبركات ديدار او باعقاب وارواح ايشان برسداين قصة باتبع كفتند وتبع راهمين رغبت افتاده يكسال آنجا مقام كرد وبفرمود تاجهار صد قصر بنا كردند انجايكه هر عالمى راقصرى وهريكى راكنيزكى بخريد وآزاد كرد وبزنى بوى داد با جهاز تمام وايشانرا وصيت كرد كه شما انيجا باشيد تابيغمبر آخر زمان رادر بابيد وخود نامة نبشت ومهر زرين يران نهاد وعالمى راسبر دو كفت اكر محمد رادريابى اين نامة بدورسان واكرنيابى بفرز ندان وصيت كن تابدو رسانند ومضمون آن نامه اين بودكه اي بيغمبر آخر الزمان اى كزيده خداوند جهان اى بروز شمار شفيع بندكان من كه تبعم بنو ايمان آوردم بآن حدا وندكه توبنده وبيغمبر اويى كواه باش كه برملت توأم وبر ملت بدرتو ابراهيم خليل عليه السلام اكرترابينم واكرنه بينم تامرا فراموش نكنى وروز قيامت مراشفيع باشى آنكه نامه را مهر برنها دوبرال مهر نوشته بود].

لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله وعنوان [نامه نوشته] إلى محمد بن عبد الله خاتم النبيين ورسول رب العالمين ﷺ من تبع أمانة الله في يد من وقع إلى أن يوصل إلى صاحبه.

كفته اند مردمان مدينة ايشان كه انصار رسول خدا اند ازنثراد آن جهار صد مرد عالم بودند وأبو أيوب الأنصاري كه رسول خدا بخانة اوفرو آمد از فرزندان آن عالم بودكه تبع را نصيحت كرده بود تا ازان علت شفايافت وخانة أبو أيوب الأنصاري كه رسول خدا آنجا فروآمد از جملة بناها بودكه تبع كرده بود جون رسول خدا هجرت كرد بمدينه نامه تبع بوى رسانيدند رسول خدا نامه بعلى داد تابرخواند رسول سخنان تبع بشنيد واورا دعا كرد وآنكس كه نامه رسانيد نام او أبو ليلى بوداورا بنواخت واكرمى كردو بروايتى تبع مردمى آتش برست بود بر مذهب مجوس از نواحى مشرق درآمد بالشكر عظيم ومدينه مصطفى عليه السلام بكذشت وبسرى ازان خويش آنجارها كرد اهل مدينة آن بسررا بفريب وحيله بكشتند تبع بازكشت بر عزم آنكه مدينة خراب كند وأهل آنرا استئصال كند جماعتى كه انصار رسول الله از نزاد ايشانند همه مجتمع شد وبفتال وى بيرون آمدند بروز باوى جنك ميكردند وبشب اورا مهمان دارى ميكردند تبع را سيرت ايشان عجب آمد كفت أن هؤلاء كرام اينان قومى اندكر يمان وجوانمردان بس دوحبر از احبار بني قريظه نام ايشان كعبه واسد هردو ابن عم يكديكر بودند

برخوا ستند وبيش تبع شدند واورا نصيحت كردند كفتند اين مدينه هجرت كاه بيغمبر آخر زمانست وما در كتاب خداى نعت وى خوانده ايم وبراميد ديداروى انيجانشته ايم ودانيم كه ترا اهل اين شهر دستى نباشد ونصرتى نبود خويشتن را در معرض بلا وعقوبت مكن نصيحت تابشنو ونيت خود بكردان بس آن وعظ بر تبع اثرى عظيم كرد وازايشان عذر خواست ايشان جو أثر قبول دروى ديدند أورا بردين خويش دعوت كردند تبع قبول كرد وبدين ايشان بازكشت وايشانرا اكرام كرد وازمدينه بسوى يمن باز كشت وآن دو حبرو نفرى ديكر از يهود بني قريظة باوى رفتند جمعى از بني هذيل بيش تبع آمدند كفتند أيها الملك أنا أدلك على بيت فيه كنز من لؤلؤ وزبر جد اكر خواهى بردارى بردست توآسان بود كفت آن كدام خانه است كفتند خانة ايست درمكه ومقصود هذيل هلاك تبع بودكه از نقمت وى مى ترسيدند دانستند كه هر كه قصد خانه كعبه كند هلاك شود تبع با احبار يهود مشورت كرد وآن سخن كه هذيل كفته بودند بايشان كفت اخبار كفتند زينهار كه انديشه بدنكنى دركار آن خانه كه درروى زمين خانه ازان عظيم ترنيست آنرا بيت الله كوبند آن قوم ترا اين دلالت كردن جز هلاك تونخوا ستند جون آنجا رسى تعظيم كن تاترا سعادت ابد حاصل شود تبع جون اين سخن بشنيد آن جمع هذيل بكرفت وسياست كرد جون بكعبه رسيد طواف كرد وكعبه درنبود آنرا دربرنهاد وقفل برزدو آنرا جامه بوشيد وشش روز آنجا مقيم شد هرروز درمنحر هزار شتر قربان كرد وازمكه سوى يمن شد قوم وى حمير بودند كاهنان وبت برستان تبع ايشانرا بر دين خويش وبر حكم نورات دعوت كرد ايشان نبذير فتندتا آنكه حكم خويش بر آتش بردند وآن آتشى بودكه فراديد آمدى در دامن كوه وهر كرا خصمى بودى وحكمى كه دران مختلف بودى هر دو خصم بنزديك آتش آمد ندى آنكس كه بر حق بودى اورا از آتش كزند نرسيدى واوكه نه بر حق بودى بسوختى جماعتى از حمير بتان خودرا برد اشتند وبدا من آن كوه آمدند وهمجنين اين دو حبر كه باتبع بودند دفتر تورات بر داشته وبدامن آن كوه آمدند ودرراه آتش نشستند آتش از مخرج خود برآمد وآن قوم حمير را وآن بتانرا همه نيست كرد وبسوخت وآن دو حبر كه تورات داشتند وميخواند نداز آتش ايشانرا هيج رنج وكزند نرسيد مكر از بستانى ايشان عرقى روان كشت وآتش از ايشان در كذشت وبمخرج خويش بازشد آنكه باقى حمير كه بودند همه بدين اخبار باز كشتند].

فمن هناك أصل اليهودية باليمن. كذا في «كشف الأسرار»، وقيل: حفر بئر بناحية حمير في الإسلام، فوجد فيه امرأتان صحيحتان وعند رؤوسهما لوح من فضة مكتوب فيه بالذهب حبا وتليس أو حبا وتماضرا، وهذا قبر تماضر وقبر حبابنتى تبع على اختلاف الروايات. وهما تشهدان أن لا إلٰه إلا الله ولا تشركان به شيئاً، وعلى ذلك مات الصالحون قبلهما. [از همه در صفات وذات خدا]. ليس شيء كمثله أبداً:

[كرخدا بودى ازيكى افزون كى بماندى جهان بدين قانون. داند آنكس زعقل باشد بهر. كه دوشه راجوجا شود در شهر. سلك جميعت از نظام افتد. رخنه دركار خاص وعام افتد]. جل من لا إلٰه إلا هو. حسبنا الله لا إلٰه إلا هو.

﴿وما خلقنا السماوات والأرض وما بينهما﴾؛ أي: ما بين الجنسين وقرىء ما بينهن نظراً إلى مجموع السماوات والأرض. ﴿لاعبين﴾ من غير أن يكون في خلقهما غرض صحيح وغاية حميدة. يقال: لعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً.

وفي «التعريفات»: اللعب فعل الصبيان يعقبه التعب من غير فائدة.

﴿مَا خَلَقْنَٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾﴾

﴿**ما خلقناهما**﴾، وما بينهما ملتبساً بشيء من الأشياء ﴿**إلا**﴾ ملتبساً ﴿**بالحق**﴾، فهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو ما خلقناهما بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق الذي هو الإيمان والطاعة والبعث، والجزاء فهو استثناء من أعم الأسباب. ﴿**ولكن أكثرهم**﴾؛ أي: كفار مكة بسبب الغفلة وعدم الفكرة. ﴿**لا يعلمون**﴾ أن الأمر كذلك فينكرون البعث والجزاء، والآية دليل على ثبوت الحشر، فإنه لو لم يحصل البعث والجزاء لكان هذا الخلق عبثاً؛ لأنه تعالى خلقهم وما ينتظم به أسباب معايشهم، ثم كلفهم بالإيمان والطاعة ليتميز المطيع من العاصي، بأن يكون الأول متعلق فضله وإحسانه. والثاني: متعلق عدله وعقابه. وذلك لا يكون في الدنيا لقصر زمانها، وعدم الاعتداد بمنافعها لكونها مشوبة بأنواع المضار والمحن، فلا بد من البعث والجزاء لتوفى كل نفس ما عملت، فالجزاء هو الذي سبقت إليه الحكمة في خلق العالم من رأسها إذ لو لم يكن الجزاء، كما يقول الكافرون لاستوت عند الله أحوال المؤمن والكافر، وهو محال.

اعلم أن التجليات الوجودية إنما هي للتجليات الشهودية فكل من السماوات والأرض الصورية، وما بينهما من الموجودات مظاهر صفات الحق، فهي كالأصداف والصفات كالدرر. والمقصود بالذات إنما هو الدرر لا الأصداف، كما أن المقصود من المرآة إنما هو الصورة المرئية فيها، فكان كل موجود كاللباس على سر من الأسرار الإلٰهية، وكذا كل وضع من أوضاع الشريعة رمز إلى حقيقة من الحقائق، فلا بد من إقامته لتحصيل حقيقته.

وهذا بالنسبة إلى الآفاق، وأما بالنسبة إلى الأنفس فالأرواح كالسماوات والأشباح كالأرض والقلوب والأسرار والنفوس، كما بينهما وكلها مظاهر حق لا سيما القلوب أصداف درر المعارف الإلٰهية التي لم يخلق الإنس والجن إلا لتحصيلها، ولكن مرآة قلب أكثرهم مكدرة بصدأ صفات البشرية، وهم لا يعلمون أنهم مرآة لظهور صفات الحق، ولهذا قال ﷺ: «من عرف نفسه» يعني بالمرآتية عند صفائها «فقد عرف ربه»؛ أي: بتجلي صفاته فيها فقد عرفت أنه ما في الوجود إلا الحق، وأما الباطل فإضافي لا يقدح في ذلك. ألا ترى إلى الشيطان، فإنه باطل من حيث وجوده الظلي، ومن حيث دعوة الخلق إلى الباطل والضلال، لكنه حق في نفسه؛ لأنه موجود، وكل موجود، فهو من التجليات الإلٰهية.

حكي: أن رجلاً رأى خنفساء، فقال: ماذا يريد الله من خلق هذه أحسن شكلها أم طيب ريحها فابتلاه الله بقرحة عجز عنها الأطباء حتى ترك علاجها، فسمع يوماً صوت طبيب من الطرقيين ينادي في الدرب، فقال: هاتوه حتى ينظر في أمري، فقالوا: ما تصنع بطرقي، وقد عجز عنك حذاق الأطباء، فقال: لا بد لي منه، فلما أحضروه، ورأى القرحة استدعى بخنفساء، فضحك الحاضرون، فتذكر العليل القول الذي سبق منه، فقال: احضروا ما طلب، فإن الرجل على بصيرة، فأحرقها ووضع رمادها على قرحته فبرئت بإذن الله تعالى.

فقال للحاضرين: إن الله تعالى أراد أن يعرفني أن أخس المخلوقات أعز الأدوية. [يكى از خواجكان نقشبنديه ميفرمودكه شبى در زمان جوانى بداعيه فسادى از خانه بيرون آمدم ودرده

ما عسى بغايت شرير وبد نفس كه بشرارت نفس أو كسى نمى دانستم وهمه اهل ده ازومى ترسيد نددر آن دل شب ديدم جاى دركمين استاده جون اورا بديدم از وبغايت ترسيدم وترك فساد كردم وازان محل دانستم كه بدنيز درين كارخانه دركار بوده است. جون بعض ظهورات حق آمد باطل. بس منكر باطل نشود جز جاهل. در كل وجوهر كه جز حق بيند، باشدز حقيقة الحقايق غافل].

﴿إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِى مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾﴾.

﴿**إن يوم الفصل**﴾؛ أي: يوم القيامة الذي يفصل فيه الحق عن الباطل ويميز المحق من المبطل ويقضي بين الخلائق بين الأب والابن والزوج والزوجة، ونحو ذلك.

قال بعضهم: يوم الفصل يوم يفصل فيه بين كل عامل وعمله، ويطلب بإخلاص ذلك وبصحته، فمن صح له مقامه وأعماله قبل منه وجزي عليه، ومن لم تصح له أعماله كانت أعماله عليه حسرة. وفي المثنوي:

اى دريغا بود مارا بيروباد تا ابد يا حسرة شد للعباد
بركذشته حسرت آوردن خطاست بازنايد رفته يادآن هباست

﴿**ميقاتهم**﴾؛ أي: وقت موعد الخلائق ﴿**أجمعين**﴾ يعني: [هنكام جمع شدن همه اولين وآخرين].

فيوم الفصل اسم إن وميقاتهم خبرها وأجمعين تأكيد للضمير المجرور في ميقاتهم، والميقات اسم للوقت المضروب للفعل، فيوم القيامة وقت لما وعدوا به من الاجتماع للحساب والجزاء.

قال في «بحر العلوم»: ميقاتهم؛ أي: حدهم الذي يوقتون به ولا ينتهون إليه، ومنه مواقيت الإحرام على الحدود التي لا يتجاوزها من يريد دخول مكة إلا محرماً. فإن الميقات ما وقت به الشيء؛ أي: حد.

قال ابن الشيخ: الفرق بين الوقت والميقات أن الميقات وقت يقدر؛ لأن يقع فيه عمل من الأعمال وأن الوقت ما يقع فيه شيء سواء قدره مقدر؛ لأن يقع فيه ذلك الشيء أم لا؟

﴿**يوم لا يغني**﴾ بدل من يوم الفصل ﴿**مولى**﴾ ولي من قرابة وغيرها. وبالفارسية: [دوستى وخويشاوندى]. ﴿**عن مولى**﴾؛ أي مولى كان. وبالفارسية: [ازدوست وخويش خود]. ﴿**شيئاً**﴾؛ أي: شيئاً من الإغناء والإجزاء على أن شيئاً واقع موقع المصدر وتنكيره للتقليل. ويجوز أن يكون منصوباً على المفعول به على أن يكون لا يغني بمعنى لا يدفع بعضهم عن بعض شيئاً من عذاب الله ولا يبعده. فإن الإغناء بمعنى الدفع وإبعاد المكروه.

وبالفارسية: [جيزى را از عذاب مايا سود نرسد كس كسى راهيج جيز]. وتنكير مولى في الموضعين للإبهام، فإن المولى مشترك بين معان كثيرة يطلق على المالك والعبد والمعتق والصاحب والقريب كابن العم ونحوه. والجار والحليف والابن والعم والنزيل والشريك، وابن الأخت والولي والرب والناصر والمنعم والمنعم عليه، والمحب والتابع والصهر. كما في «القاموس»: وكل من ولي أمر واحد فهو وليه ومولاه، فواحد من هؤلاء؛ أي واحد كان لا

يغني عن مولاه؛ أي مولى كان شيئاً من الإغناء؛ أي: إغناء قليلاً، وإذا لم ينفع بعض الموالي بعضاً ولم يغن عنه شيئاً من العذاب بشفاعته كان عدم حصول ذلك ممن سواهم أولى. وهذا في حق الكفار يقال: أغنى عنه كذا إذا كفاه. والإغناء بالفارسية: [بى نياز كردانيدن وواداشتن كسى را از كسى].

﴿**ولا هم ينصرون**﴾: الضمير لمولى الأول باعتبار المعنى: لأنه عام لوقوعه نكرة في سياق النفي، فكأنه جمع؛ أي: لا يمنعون مما نزل بهم من العذاب ولا يملكون أن يشفع لهم غيرهم.

﴿**إلا من رحم الله**﴾ بالعفو عنه وقبول الشفاعة في حقه، وهم المؤمنون ومحله الرفع على البدل من الواو كما هو المختار، أو النصب على الاستثناء. ﴿**إنه هو العزيز**﴾ الذي لا ينصر من أراد تعذيبه كالكفار. ﴿**الرحيم**﴾: لمن أراد أن يرحمه كالمؤمنين.

قال سهل: من رحم الله عليه في السوابق، فأدركته في العاقبة بركة تلك الرحمة حيث جعل المؤمنين بعضهم في بعض شفيعاً.

وفي الآية إشارة إلى أن يوم القيامة يفصل بين أرباب الصفاء، وأصحاب الصدأ ولا يغني مولى عن مولى ولا ناصر عن ناصر، ولا حميم عن حميم، ولا نسيب عن نسيب، ولا شيخ عن مريد شيئاً من الصفاء إذ لم يحصلوا ها هنا في دار العمل، ولا ينصرون في تحصيل الصفاء، ودفع الصدأ إلا من رحم الله عليه بتوفيق تصفية القلب في الدنيا، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ أَتَى ٱللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ ﴿٨٩﴾﴾ [الشعراء: ٨٩]، إنه هو العزيز يعز من يشاء بصفاء القلب الرحيم، يرحم من يشاء بالتجلي لمرآة قلبه.

حكي: أنه كان أخوان فمات أحدهما فرآه الآخر في المنام، وسأله عن حاله، فقال: يا أخي من كان في الدنيا أعمى فهو في الآخرة أعمى، فكان هذا سبب توبته وإنابته حتى كان من الصلحاء الكاملين.

واعلم أن المقصود من العلم والعمل تزكية النفس، فإذا حصلت هذه التزكية كان ثواب العمل الصالح كاللباس الفاخر على البدن الحسن الناضر، وإذا لم تحصل كان كالزينة على الجسم القبيح، فمن حسن ذاته في الدنيا بإزالة قبح نفسه جاء في القيامة حسناً بالحسن الذاتي والعارضي، وإلا فبالحسن العارضي فقط، وهو ثواب العمل، فاعرف هذا، فلا بد من الاجتهاد والوقت باقٍ.

[رسول الله ﷺ ابا هريره را رضي الله عنه فرمودكه بر طريق آنهاباش كه جون مردم بترسند ايشانرا هيج ترسى نباشد وجون مردم از آتش امان خواهند ايشان خود آمن باشند ابو هريرة كفت يا رسول الله آنها كدام اند صفت وحليت ايشان بامن بيان فرماى تا ايشانرا بشناسم فرمودكه قومى از امت من در آخر الزمان ايشانرا روز قيامت در محشر انبياء حشر كنند جون مردم بديشان نظر كنند ايشانرا بيغمبران بندارند از غايت علو مرتبت ومنزلت ايشان ناكاه من ايشانرا بشناسم وكويم امت من امت من وخلايق بدانندكه ايشان بيغمبران نيستند بس مانند برق وباد بكذرند وجشمهاى مردم از انوار ايشان خيره شود ابو هريره كفت يا رسول الله مرا بعمل ايشان فرماى باشدكه بديشان ملحق شوم كفت ﷺ اى ابا هريره اين قوم طريق دشوار اختيار كردند تابدرجه انبيا رسيدند حق تعالى ايشانرا بطعام وشراب سير كردانيد وايشان كرسنكى

وتشنكى اختيار كردند ولباس براى بوشيدن داد ايشان برهنكى كزبدند همه باميد رحمت ترك حلال كردند از خوف حساب بابدن خود دردنيا بودند ولكن بوى مشغول انكشتند ملائكة از اطاعت ايشان تعجب نمودند فطوبى لهم فطوبى لهم دوست ميدارم كه حق تعالى ميان من وايشان جمع كند ازان رسول الله عليه السلام كريه كرد در شوق ايشان وفرمودكه جون حق تعالى خواهد كه باهل زمين عقوبتى فرستد بديشان نظر كند عذاب را از اهل زمين بازكرداند اى ابا هريره برتوبادكه طريقه ايشانرا رعايت كنى هركه طريقة انشانرا مخالفت كند درشدت حساب زحمت بيند. روشن دلى كه لذت تجريد بافتست. بيرون رود زخويش جو بيداشود كسى. مى بايدش بخون جكر خورد غولها. تا ازغبار جشم مصفا شود كسى].

﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾﴾.

﴿إن شجرة الزقوم﴾: [بدرستى كه درخت زقوم يعني ميوة آن]. قال في «القاموس»: هي شجرة بجهنم وطعام أهل النار، وفي «عين المعاني»، شجرة في أسفل النار مرتفعة إلى أعلاها وما من دركة إلا وفيها غصن منها. انتهى.

فتكون هي في الأسفل نظير طوبى في الأعلى. وفي «كشف الأسرار»: شجرة الزقوم على صورة شجر الدنيا لكنها من النار والزقوم ثمرها، وهو ما أكل بكره شديد، وقيل: طعام ثقيل، فهو زقوم.

وفي «المفردات»: شجرة الزقوم عبارة عن أطعمة كريهة في النار ومنه استعير زقم فلان وتزقم إذا ابتلع شيئاً كريهاً.

يقول الفقير: وعلى تقدير أن يكون الزقوم بلسان البربر، وهم: جيل بالغرب وأمة أخرى بين الحبش والزنج بمعنى الزبد والتمر، فلعله وارد على سبيل التهكم كالتبشير في قوله: ﴿فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [آل عمران: ٢١]؛ لأنه تعالى وصف شجرة الزقوم بأنها تخرج في أصل الجحيم، كما مر في الصافات فكيف يكون زبداً، وفي «إنسان العيون» لا تسلط لجهنم على شجرة الزقوم، فإن من قدر على خلق من يعيش في النار ويلتذ بها، كالسمندل، فهو أقدر على خلق الشجر في النار وحفظه من الإحراق بها. وقد قال ابن سلام رضي الله عنه أنها تحيا باللهب، كما تحيا شجرة الدنيا بالمطر، وثمرة تلك الشجرة مر له زفرة. انتهى.

يقول الفقير: لا حاجة إلى هذا البيان، فإنه كما يشابه ثمر الجنة وشجرها ثمر الدنيا وشجرها وإن وقع الاشتراك في الاسم، وكذا ثمر النار وشجرها، فالشجرية لا تنافي النارية، فكيف تحترق، فما أصله النار، فهو ناري. والناري لا يحترق بالنار، ولذا قيل: في إبليس أنه يعذب بالزمهرير، وإن أمكن الاحتراق بحسب التركيب. وقد رأيت في جزيرة قبرس حجراً يقال له: حجر القطن يدق ويطرق فينعم حتى يكون كالقطن، فيتخذ منه المنديل فحجريته لا تنافي القطنية. وقد مر في يٰس: أن الله أخرج من الشجر الأخضر ناراً.

﴿طعام الأثيم﴾؛ أي: الكثير الإثم. والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه يعني: أنهم أجمعوا على أن المراد بقوله: ﴿لا يغني مولى عن مولى شيئاً﴾ هم: الكفار. وبقوله: ﴿إلا من رحم الله﴾ المؤمنون. وكذا دل عليه قوله: فيما سيأتي أن هذا ما كنتم به تمترون.

وكان أبو الدرداء رضي الله عنه لا ينطلق لسانه، فيقول: طعام اليتيم، فقال عليه السلام: «قل طعام الفاجر»، كما في «عين المعاني».

وقال في «الكواشي» عن أبي الدرداء: أنه أقرأ إنساناً طعام الأثيم، فقال: طعام اليتيم مراراً، فقال له: قل طعام الفاجر يا هذا. وفي هذا دليل لمن يجوز إبدال كلمة بكلمة إذا أدت معناها ولأبي حنيفة في تجويز القراءة بالفارسية: إذا أدت المعنى بكماله قالوا: وهذه إجازة كلا إجازة؛ لأن في كلام العرب خصوصاً في القرآن المعجز بفصاحته وغرابة نظمه وأساليبه من لطائف المعنى ما لا يستقل بأدائه لغة ما قال الزمخشري أبو حنيفة ما كان يحسن الفارسية، فلم يكن ذلك منه عن تحقق وتبصر، وعن أبي الجعد عن أبي يوسف عن أبي حنيفة مثل قول صاحبيه في عدم جواز القراءة بالفارسية.

إلى هنا كلام «الكواشي». وقال في «فتح الرحمٰن»: يجوز عند أبي حنيفة أن يقرأ بالفارسية إذا أدت المعاني بكمالها من غير أن يخرم منها شيئاً. وعنه: لا تجوز القراءة بالفارسية إلا لعاجز عن العربية، وهو قول صاحبيه وعليه الاعتماد. وعند الثلاثة لا يجوز بغير العربية. انتهى.

ويروى رجوعه إلى قولهما في الأصح، كما في الفقه والفتوى على قولهما، كما في «عيون الحقائق». وجاء من أحسن أن يتكلم بالعربية، فلا يتكلم بالفارسية. فإنه يورث النفاق، كما في «إنسان العيون».

يقول الفقير: بطلان القراءة بالفارسية ظاهر على تقدير أن يكون كل من النظم. والمعنى: ركناً للقرآن، كما عليه الجمهور ولعل الإمام لم يجعل النظم ركناً لازماً في الصلاة عند العجز، فأقام العبارة الفارسية مقام النظم، كما أن بعضهم لم يجعل الإقرار باللسان ركناً من الإيمان، بل شرطاً لازماً لإجراء أحكام المسلمين عليه، وإن اعترض بأن تحت كل حرف من القرآن ما لا تفي به العبارة من الإشارات، فلا تقوم لغة مقامه، فيرد بأن علماء أصول الحديث جوزوا اختصار الحديث للعالم لا للجاهل مع أنه عليه السلام أوتي جوامع الكلم، وفي كل كلمة من كلامه أسرار ورموز، فاعرف هذا.

﴿**كالمهل**﴾: خبر بعد خبر، أو خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هو كالمهل عن النبي عليه السلام في تفسير المهل كعكر الزيت، وهو درديه فإذا قرب إلى وجهه سقطت فروة وجهه فيه وشبه بالمهل في كونه غليظاً أسود.

وقال بعضهم: المهل ما يمهل في النار حتى يذوب كالحديد والرصاص والصفر ونحوها وشبه الطعام بالنحاس، أو الصفر المذاب في الذوب ونهاية الحرارة، لا في الغليان وإنما يغلي ما شبه به.

﴿**يغلي في البطون**﴾؛ أي: حال كون ذلك الطعام يغلي في بطون الكفار.

﴿**كغلي الحميم**﴾ غلياناً كغليان الماء الحار الذي انتهى حره وغليانه لشدة حرارته وكراهية المعدة إياه.

قال بعضهم: [باره باره كند رودهاى ايشان وبكذارد امعا واحشارا]. وفي الحديث: «أيها الناس اتقوا الله حق تقاته، فلو أن قطرة من الزقوم قطرت على الأرض لأمرت على أهل الدنيا معيشتهم، فكيف بمن هو طعامه، وليس له طعام غيره، والغلي والغليان التحرك والارتفاع. وبالفارسية: [جوشيدن].

قال في «المفردات»: الغلي والغليان، يقال: في القدر إذا طفحت؛ أي: امتلأت وارتفعت. ومنه استعير ما في الآية وبه شبه غليان الغضب والحرب. وفي الآية إشارة إلى أن الأثيم، وهو الذي عبد صنم الهوى وغرس شجرة الحرص، فأثمرت الشهوات النفسانية اللذيذة على مذاق النفس في الدنيا يكون طعامه في الآخرة الزقوم الذي مر وصفه:

نفس رابد خوبناز ونعمت دنيا مكن آب ونان سير كاهل ميكند مذدوررا

﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ۝٤٧ ثُمَّ صُبُّواْ فَوۡقَ رَأۡسِهِۦ مِنۡ عَذَابِ ٱلۡحَمِيمِ ۝٤٨ ذُقۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡكَرِيمُ ۝٤٩ إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمۡتَرُونَ ۝٥٠﴾.

﴿خذوه﴾ على إرادة القول والخطاب للزبانية؛ أي: يقال: للزبانية يوم القيامة خذوا الأثيم، فلا يأخذونه إلا بالنواصي والأقدام. **﴿فاعتلوه﴾**؛ أي: جروه بالعنف والقهر، فإن العتل الأخذ بمجامع الثوب ونحوه وجره بقهر وعنف. قال في «تاج المصادر»: العتل: [كشيدن] بعنف.

وفي «القاموس»: عتله يعتله ويعتله، فالعتل جره عنيفاً، فحمله، وهو معتل كمنبر قوي على ذلك. **﴿إلى سواء الجحيم﴾**؛ أي: وسطها ومعظمها الذي تستوي المسافة إليه من جميع جوانبه. وبالفارسية: [وبميانه دوزخ].

﴿ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم﴾. صب الماء: إراقته من أعلى، والعذاب ليس بمصبوب، لأنه ليس من الأجسام المائعة، فكان الأصل يصب من فوق رؤوسهم الحميم، فقيل: يصب من فوق رؤوسهم العذاب، وهو الحميم للمبالغة، ثم أضيف العذاب إلى الحميم للتخفيف وزيد من للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع.

وبالفارسية: آنكاه بر بزيد بر زبرسراو از عذاب آب كرم تاتمام بيرون بدن او بريختن آب معذب شود جنانجه درون آو از زقوم معذبست.

يروى: أن الكافر إذا دخل النار يطعم الزقوم، ثم إن خازن النار يضربه على رأسه بمقمعة يسيل منها دماغه على جسده ثم يصب الحميم فوق رأسه، فينفذ إلى جوفه، فيقطع الأمعاء والأحشاء ويمرق من قدميه.

وفي الآية إشارة إلى عذاب الحسرة والحرمان وحرقة الهجران في قعر النيران.

﴿ذق﴾ هذا العذاب المذل المهين. **﴿إنك أنت العزيز﴾** في نظرك **﴿الكريم﴾** عند قومك؛ أي: وقولوا له ذلك استهزاء به، وتقريعاً له على ما كان يزعمه من أنه عزيز كريم، فمعناه: الذليل المهان.

روي: أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: ما بين جبلي مكة أعز وأكرم مني، فوالله ما تستطيع أنت ولا ربك أن تفعل بي شيئاً»، فوردت الآية وعيداً له ولأمثاله عجباً كيف أقسم بالله تعظيماً له، ثم نفى الاستطاعة عنه مع أن الرسول عليه السلام كان لا يدعو رباً سواه، فالكلام المذكور من حيرة الكفر وحكم الجهل وتعصب النفس، كما قالوا: ﴿فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢].

وفي لفظ الذوق إشارة إلى أنه كان معذباً في الدنيا، ولكن لما كان في نوم الغفلة وكثافة الحجاب، لم يكن ليذوق ألم العذاب، فلما مات انتبه وذاق ألم ما ظلم به نفسه.

﴿إن هذا﴾ العذاب ﴿ما كنتم به تمترون﴾ تشكون في الدنيا أو تمارون فيه؛ أي: تجادلون بالباطل. وبالفارسية: [شك مى آورديد تا اكنون معاينه بديديد]. والجمع باعتبار المعنى؛ لأن المراد جنس الأثيم، ثم هذا الامتراء إنما كان بوساوس الشيطان، وهو أجس النفس، فلا بد من دفعهما والاتصاف بصفة القلب، وهو اليقين. ولذا قال عليه السلام ويل للشاكين في الله، وهم الذين لم يؤمنوا به تعالى يقيناً، ومن ذلك إنكار بعض أحكامه وأوامره. وكذا الإصرار على المعاصي بحيث لا يبالي بها، فلو ترك الصلاة متعمداً، ولم ينو القضاء ولم يخف عقاب الله، فإنه يكفر؛ لأن الأمن كفر. وفي المثنوي:

بود كبرى در زمان بايزيد ... كفت اورا يك مسلمان سعيد
كه جه باشد كرتو اسلام آورى ... تابيابى صد نجات وسرورى
كفت اين ايمان اكرهست اي مريد ... آنكه دارد شيخ عالم بايزيد
من ندارم طاقت آن تاب آن ... كان فزون آمد زكو ششهاى جان
كرجه درايمان ودين ناموقنم ... ليك در ايمان او بس مؤمنم
مؤمن ايمان اويم درنهان ... كرجه مهرم هست محكم دردهان
باز ايمان كرخود ايمان شماست ... نى بدان ميلستم ونى مشتهاست
آنكه صد ميلش سوى ايمان بود ... جون شمارا ديدزان فاتر شود
زانكه نامى بيند ومغيش نى ... جون بيابانرا مفازه كفتنى

وفيه إشارة إلى أن المريد إذا كان قوي الإيمان والعلم والمعرفة كان عمله واجتهاده في الظاهر بقدر ذلك وقس عليه حال الضعيف والشاك والمتردد نسأل الله سبحانه أن يسقينا من كأس قوة اليقين إنه هو المفيض المعين.

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِى جَنَّـٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَـٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾﴾.

﴿إن المتقين﴾؛ أي: عن الكفر والمعاصي، وهم المؤمنون المطيعون. ﴿في مقام﴾ في موضع قيام. والمراد: المكان على الإطلاق، فإنه من الخاص الذي شاع استعماله في معنى العموم، يعني: أنه عام ومستعمل في جميع الأمكنة حتى قيل لموضع القعود مقام، وإن لم يقم فيه أصلاً.

﴿أمين﴾ يأمن صاحبه الآفات والانتقال عنه على أن وصف المقام بالأمن من المجاز في الإسناد، كما في قولهم: جرى النهر فالأمن ضد الخوف والأمين، بمعنى: ذي الأمن. وأشار الزمخشري إلى وجه آخر، وهو أن الأمين من الأمانة التي هي ضد الخيانة، وهي في الحقيقة صفة صاحب المكان، لكن وصف به المكان بطريق الاستعارة التخييلية؛ كأن المكان المخيف يحزن صاحبه ونازله بما يلقي فيه من المكاره، أو كناية؛ لأن الوصف إذا أثبت في مكان الرجل فقد أثبت له لقولهم: المجد بين ثوبيه والكرم بين برديه كما في «بحر العلوم».

وفي الآية إشارة إلى أن من اتقى الله عما سواه يكون مقامه مقام الوحدة آمناً من خوف الاثنينية، وإلى أن من كان في الدنيا على خوف العذاب ووجل الفراق كان في الآخرة على أمن وأمان.

وقال بعضهم: المقام الأمين مجالسة الأنبياء والأولياء والصديقين والشهداء. يقول الفقير: أما مجالستهم يوم الحشر، فظاهرة؛ لأن فيها الأمن من الوقوع في العذاب إذ هم شفعاء عند الله، وأما مجالستهم في الدنيا فلأن فيها الأمن من الشقاوة إذ لا يشقى بهم جليسهم.

وفي الآية إشارة أخرى لائحة للبال، وهي أن المقام الأمين هو مقام القلب، وهي جنة الوصلة، ومن دخله كان آمناً من شر الوسواس الخناس؛ لأنه لا يدخل الكعبة التي هي إشارة إلى مقام الذات، كما لا يقدر على الوسوسة حال السجدة التي هي إشارة إلى الفناء في الذات الأحدية.

قال أهل السنة: كل من اتقى الشرك صدق عليه أنه متق، فيدخل الفساق في هذا الوعد.

يقول الفقير: الظاهر أن المطلق مصروف على الكامل بقرينة أن المقام مقام الامتنان والكامل هو المؤمن المطيع كما أشرنا إليه في عنوان الآية، نعم يدخل العصاة فيه انتهاء وتبعية لا ابتداء وأصالة، كما يدل عليه الوعيد الوارد في حقهم، وإلا لاستوى المطيع والعاصي. وقد قال تعالى: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٨] عفا الله عنا وعنكم أجمعين.

قال الشيخ سعدي:

کسی را که باخواجة تست جنك بدستش جرا می دهی جوب وسنك
مع آخر كه باشد كه خوانش نهند بفرمای تا استخوانش نهند

﴿في جنات وعيون﴾: بدل من مقام جيء به دلالة على نزاهته واشتماله على طيبات المآكل والمشارب.

والمراد بالعيون: الأنهار الجارية والتنكير فيهما للتعظيم.

﴿يلبسون من سندس وإستبرق﴾: خبر ثانٍ. وإستبرق بقطع الهمزة. وقرأ الخليل بوصلها.

قال في «كشف الأسرار»: السندس: ما رق من الحرير يجري مجرى الشعار لهم، وهو اللين من الدثار في المعتاد والإستبرق ما غلظ منه، وصفق نسجه يجري مجرى الدثار، وهو أرفع نوع من أنواع الحرير، والحرير نوعان: نوع كلما كان أرق كان أنفس، ونوع كلما كان أرزن بكثرة الإبريسم كان أنفس.

يقول الفقير: يحتمل عندي أن يكون السندس لباس المقربين. والإستبرق لباس الأبرار يدل عليه أن شراب المقربين هو التسنيم الخالص وشراب الأبرار هو الرحيق الممزوج به. وذلك أن المقربين أهل الذات والأبرار أهل الصفات، فكما أن الذات أرق من الصفات، فكذا لباس أهل الذات وشرابهم أرق وأصفى من لباس أهل الصفات وشرابهم، ثم إن الإستبرق من كلام العجم عرب بالقاف.

قال في «القاموس»: الإستبرق الديباج الغليظ معرب استروه وتصغيره أبيرق وستبر بالتاء والطاء، بمعنى: الغليظ. بالفارسية. قال الجواليقي في «المعربات»: نقل الإستبرق من العجمية إلى العربية، فلو حقر، أو كسر لكان في التحقير أبيرق، وبالتكسير أباريق بحذف السين والتاء جميعاً. انتهى.

والتعريب: جعل العجمي بحيث يوافق اللفظ العربي بتغييره عن منهاجه وإجرائه على أوجه الإعراب. وجاز وقوع اللفظ العجمي في القرآن العربي؛ لأنه إذا عرب خرج من أن يكون

عجمياً إذا كان متصرفاً تصرف اللفظ العربي من غير فرق، فمن قال القرآن أعجمي يكفر؛ لأنه معارضة لقوله تعالى قرآناً عربياً، وإذا قال: فيه كلمة أعجمية، ففي أمره نظر؛ لأنه إن أراد وقوع الأعجمي فيه بتعريب، فصحيح وإن بلا تعريب فغلط.

﴿متقابلين﴾؛ أي: حال كونهم متقابلين في المجالس ليستأنس بعضهم ببعض. ومعنى متقابلين متواجهين لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض لدوران الأسرة بهم فهم أتم للأنس. [ودر تفسير سور آبادى آورده كه اين مقابله روز مهمانى باشد در دار الجلال كه حق تعالى همه مؤمنا نرا بر سريك خوان بنشاند وهمه رويهاى يكديكر بينند].

وقال بعضهم: متقابلين بالمحبة غير متدابرين بالبغض والحسد؛ لأن الله ينزع من صدورهم الغل وقت دخولهم الجنة. وهذا التقابل من أوصاف أهل الله في الدارين فطوبى لهم حيث إنهم في الجنة وهم في الدنيا.

﴿كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾﴾.

﴿كذلك﴾؛ أي: الأمر كذلك أو أثبناهم إثابة مثل ذلك. ﴿وزوجناهم بحور عين﴾؛ أي: قرناهم بهن. وبالفارسية: [وقرين مى سازيم متقيانرا بزنان سفيد روى كشاده جشم].

فيتمتعون تارة بمؤانسة الإخوان ومقابلتهم وتارة بملاعبة النسوان من الحور العين ومزاوجتهن، فليس المعنى حصول عقد التزويج بينهم وبين الحور، فإن التزويج بمعنى العقد لا يتعدى بالباء، كما جاء في التنزيل، ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧]، وإذا لم يكن المراد عقد التزويج. يقال: زوجناك بها بمعنى كنت فرداً فقرناك بها؛ أي: جعلناك شفعاً بها، والله تعالى جعلهم اثنين ذكراً وأنثى.

وقال في «المفردات»: لم يجيء في القرآن زوجناهم حوراً، كما يقال: زوجته بامرأة تنبيهاً على أن ذلك لم يكن على حسب التعارف فيما بيننا من المناكح.

قال سعدي المفتي: ثم لا يكون العقد في الجنة؛ لأن فائدته الحل. والجنة ليست بدار كلفة من تحريم، أو تحليل، انتهى.

يقول الفقير: يرد عليه أن الله تعالى جعل مهر حواء في الجنة عشر صلوات على نبينا عليه السلام، وهو لا يتعين بدون العقد إلا أن يقال: ذلك العقد إن صح ليس كالعقد المعهود، وإنما المقصود منه تعظيم نبينا عليه السلام وتعريفه لا التحليل وجعل عنوان الأمر ما هو في صورة المهر ليسري في أنكحة أولادهما. والظاهر أن المعاملة فيما بين آدم وحواء عليهما السلام في الجنة كانت من قبيل المؤانسة، ولم يكن بينهما مجامعة، كما في الدنيا، وإن ذهب البعض إلى القربان في الجنة مستدلاً بقول قابيل: أنا من أولاد الجنة، وذلك مطعون.

قال الشيخ الشهير بافتاده البرسوي: الشريعة لا ترتفع أبداً حتى أن بعض الأحكام يجري في الآخرة أيضاً مع أنها ليست دار التكليف ألا ترى أن كل واحد من أهل الجنة لا يتصرف إلا فيما عين له من قبل الله، ولذلك قال الله تعالى: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمٰن: ٧٢]، ولأهل الجنة بيوت الضيافة يعملون فيها للضيافة للأحباب، ويتنعمون. ولكن أهليهم لا يظهرون لغير المحارم كما في «واقعات» الهدائي قدس سره. ثم الحور جمع الحوراء، وهي

البيضاء والعين جمع العيناء، وهي العظيمة العينين. فالحور هي النساء النقيات البياض يحار فيهن الطرف لبياضهن وصفاء لونهن واسعة الأعين حسانها أو الشديدات بياض الأعين الشديدات سوادها.

قال في «القاموس»: الحور بالتحريك أن يشتد بياض بياض العين وسواد سوادها وتستدير حدقها وترق جفونها ويبيض ما حواليها، أو شدة بياضها وسوادها في شدة بياض الجسد أو اسوداد العين كلها مثل الظباء. ولا يكون في بني آدم، بل يستعار لهم. انتهى.

وفي «المفردات»: قليل ظهور قليل من البياض في العين من بين السواد وذلك نهاية الحسن من البين. واختلف في أنهن نساء الدنيا أو غيرهن، فقال الحسن: إنهن من نساء الدنيا ينشئهن الله خلقاً آخر.

وقال أبو هريرة رضي الله عنه: إنهن لسن من نساء الدنيا.

﴿يدعون فيها بكل فاكهة﴾؛ أي: يطلبون ويأمرون بإحضار ما يشتهونه من الفواكه لا يتخصص شيء منها بمكان ولا زمان. وذلك لا يجتمع في الدنيا، يعني: أن فواكه الدنيا لا توجد في كل مكان ولها أزمنة مخصوصة لا تستقدمها ولا تستأخرها **﴿آمنين﴾** أي: حال كونهم آمنين من كل ما يسوؤهم أياً كان خصوصاً الزوال والانقطاع وتولد الضرر من الإكثار وحجاب القلب، كما يكون في الدنيا، فيكونون في الصورة مشغولين بالحور العين وبما يشتهون من النعيم، وبالقلوب متوجهين إلى الحضرة مشاهدين لها.

﴿لا يذوقون فيها﴾؛ أي: في الجنات.

﴿الموت إلا الموتة الأولى﴾ الموت والموتة: مصدران من فعل واحد كالنفخ والنفخة إلا أن الموتة أخص من الموت؛ لأن الموتة للوحدة، والموت للجنس، فيكون بعضاً من جنس الموت، وهو فرد واحد ونفي الوحدة أبلغ من نفي الجنس، فكانت أقوى وأنفى في نفي الموت عن أنفسهم؛ كأنه قال: لا يذوقون فيها شيئاً من الموت. يعني: أقل ما ينطلق عليه اسم الموت، كما في «بحر العلوم»، والاستثناء منقطع؛ أي: لا يذوقون الموت في الجنة لكن الموتة الأولى قد ذاقوها قبل دخول الجنة.

يعني: [مرك اول كه دردنيا جشيدند مؤمنا نرامرك آنست]. ثم إذا بعثوا ودخلوا الجنة يستمرون على الحياة: [جون معهود نزديك مردمان آنست كه هر زندكى را مرك دربى است حق تعالى خبرا دادكه حيات بهشت را مرك نيست بلكه حيات اوجاود انست].

فعيشتهم المرضية مقارنة للحياة الأبدية بخلاف أهل النار، فإنه لا عيشة لهم، وكذا لا يموتون فيها، ولا يحيون. ويقال: ليس في الجنة عشرة أشياء ليس فيها هرم ولا نوم ولا موت ولا خوف ولا ليل ولا نهار ولا ظلمة ولا حر ولا برد ولا خروج. ويجوز أن يكون الاستثناء متصلاً على أن المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الإطلاق؛ كأنه قيل: لا يذوقون فيها الموتة إلا إذا أمكن ذوق الموتة الأولى في المستقبل، وذوق الماضي غير ممكن في المستقبل لا سيما في الجنة التي هي دار الحياة، فهذا من باب التعليق بالمحال، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٢]. والمقصود أنهم لا يذوقون فيها الموت البتة، وكذا لا ينكحون منكوحات آبائهم قطعاً.

وقيل: إلا بمعنى بعد أو بمعنى سوى؛ فإن قلت: هذا دليل على نفي الحياة والموت في

القبر. قلت: أراد به جنس الموت المتعارف المعهود فيما بين الخلق، فإن الموت المعهود لا يعرى عن الغصص، والموت بعد الإحياء في القبر يكون أخف من الموت المعهود، كما في «الأسئلة المقحمة».

يقول الفقير: دلت الآية على أن الموت وجودي؛ لأنه تعلق به الذوق، وهو الإحساس به إحساس الذائق المطعوم. والأكثرون على أنه عدمي؛ أي: معدوم في الخارج غير قائم بالميت؛ لأن المعدوم لا يحتاج إلى المحل، وسيجيء تحقيقه في محله إن شاء الله تعالى.

وفي الآية إشارة إلى أنهم لا يذوقون فيها موت النفس بسيف المجاهدة، وقمع الهوى وترك الشهوات إلا الموتة الأولى في الدنيا بقتل النفس بسيف الصدق في الجهاد الأكبر، وكما أن السيف لا يجري على المعدوم، فكذا على النفس الفانية إذ لا يموت الإنسان مرتين، وأيضاً: إن الموتة الأولى هي العدم قبل الوجود فبعد الوجود لا يذوق أحد الموت. والعدم المحض؛ لأن الله تعالى قد وهب له الوجود، فلا يرجع عن هبته؛ فإنه غني وما ورد من أن الحيوانات العجم تصير تراباً يوم القيامة حتى يتمنى الكافر أن يكون مثلها، فذلك ليس بإعدام محض، بل إلحاق بتراب أرض الآخرة. ويجوز أن يقال: إن وجودات الأشياء الخسيسة لا اعتبار لها، والله سبحانه وتعالى أعلم.

﴿**ووقاهم عذاب الجحيم**﴾: الوقاية حفظ الشيء مما يؤذيه ويضره؛ أي: حفظهم من النار وصرفها عنهم. وبالفارسية: [ونكاه ميدارد حق تعالى بهشتيانرا واز ايشان دفع ميكند عذاب دوزخ].

وفيه إشارة إلى عذاب البعد وجحيم الهجران.

﴿فَضْلًا مِّن رَّبِّكَۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾.

﴿**فضلاً من ربك**﴾ منصوب بمقدر على المصدرية أو الحالية؛ أي: أعطي المتقون ما ذكر من نعيم الجنة والنجاة من عذاب الجحيم عطاء وتفضلاً منه تعالى لا جزاء للأعمال المعلولة واحتج أهل السنة بهذه الآية على أن كل ما وصل إليه العبد من الخلاص من النار، والفوز بالجنة ونعيمها، فإنما يحصل بفضل الله وإحسانه؛ وأنه لا يجب عليه شيء من ذلك، ففي إثبات الفضل نفي الاستحقاق، فجميع الكرامات فضل منه على المتقين حيث اختارهم بها في الأول وأخرجها من علل الاكتساب، فإن الاكتساب أيضاً، فضل إذ لو لم يخلق القدرة على كسب الكمالات وتحصيل الكرامات لما وجد العبد إليه سبيلاً.

وفي الحديث: «لا يدخل أحداً منكم عمله الجنة ولا يجيره من النار ولا أنا إلا برحمة الله»؛ أي: ولا أنا أدخل الجنة بعمل إلا برحمة الله. وليس المراد به توهين أمر العمل، بل نفي الاغترار به وبيان أنه إنما يتم بفضل الله، قال ابن الملك: في الحديث دلالة على مذهب أهل السنة وحجة على المعتزلة حيث اعتقدوا أن دخولها إنما يحصل بالعمل، وأما قوله تعالى: ﴿ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٣٢] ونظائره، فلا ينافي الحديث؛ لأن الآية تدل على سببية العمل والمنفي في الحديث عليته وإيجابه، انتهى.

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر في مواقع النجوم: الدخول برحمة الله وقسمة

الدرجات بالأعمال والخلود بالنيات، فهذه ثلاثة مقامات، وكذلك في دار الشقاوة دخول أهلها فيها بعدل الله وطبقات عذابها بالأعمال وخلودهم بالنيات، وأصل ما استوجبوا به هذا العذاب المؤبد المخالفة، كما كانت في السعادة الموافقة، وكذلك من دخل من العاصين النار لولا المخالفة لما عذبهم الله شرعاً نسأل الله لنا وللمسلمين أن يستعملنا بصالح الأعمال ويرزقنا الحياء منه تعالى.

﴿ذلك﴾: [آن صرف عذاب وحيات ابدى دربهشت]. ﴿هو الفوز العظيم﴾ الذي لا فوز وراءه، إذ هو خالص من جميع المكاره، ونيل لكل المطالب والفوز الظفر مع حصول السلامة، كما في «المفردات».

يقول الفقير: لما كان الموت وسيلة لهذا الفوز وباباً له ورد الموت تحفة المؤمن. والموت وإن كان من وجه هلكاً، فمن وجه فوز، ولذلك قيل: ما أحد إلا والموت خير له أما المؤمن، فإنما كان الموت خيراً له؛ لأنه يتخلص به من السجن ويصل إلى النعيم المقيم في روضات الجنات، وأما المعاصي فلأن الإمهال في الدنيا سبب لازدياد المعاصي والإثم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوٓاْ إِثْمًا﴾ [آل عمران: ١٧٨]، وهو سبب لازدياد العذاب.

قال الشيخ سعدي:

نكو كفت لقمان كه نازيستن ... به از سالها بر خطا زيستن
هم از با مدادان در كلبه بست ... به از سود وسرمايه دادن زدست

﴿فإنما يسرناه بلسانك﴾: فذلكة للسورة الكريمة ونتيجة لها، واللسان آلة التكلم في الأصل، واستعير هنا لمعنى اللغة، كما في قوله عليه السلام: «لسان أهل الجنة العربية».

والمعنى: إنما سهلنا الكتاب المبين حيث أنزلناه بلغتك. ﴿لعلهم يتذكرون﴾ كي يفهمه قومك ويتذكروا ويعملوا بموجبه وإذا لم يفعلوا ذلك.

﴿فارتقب﴾ فانتظر لما يحل بهم من المقادير، فإن في رؤيتها عبرة للعارفين وموعظة للمتقين. ﴿إنهم مرتقبون﴾ منتظرون لما يحل بك من الدوائر، ولم يضرك ذلك، فعن قريب يتحقق أملك وتخيب آمالهم.

يعني: [ازان تو نصرت الهى خواهد بود وازان ايشان عذاب نامتناهى دوستان را هردم فتحى تازه وخصمان را هرزمان رنجى آبى اندازه. تابعانرا وعده حسن المآب. منكر انرا هيبت ذوقوا العذاب].

وفي «عين المعاني»: أو فارتقب الثواب؛ فإنهم كالمرتقبين العقاب؛ لأن المسيء ينتظر عاقبة الإساءة وعلى كلا التقديرين، فمفعول الارتقاب محذوف في الموضعين.

وفي الآية فوائد منها: أنه تعالى بين تيسير القرآن. والتيسير ضد التعسير. وقد قال في آية أخرى ﴿إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا ۝﴾ [المزمل: ٥]، فبينهما تعارض. والجواب: هو ميسر باللسان وثقيل من حيث اشتماله على التكاليف الشاقة على المكلفين. ولا شك أن التلاوة باللسان أخف من العمل، ولهذا جاء في بعض اللطائف أنه مرض ابن لبعض العلماء، فقيل له: اذبح قرباناً لعل الله يشفي ولدك، فقال: بل أقرأ قرآناً، فقال بعض العرفاء: إنما أختار القرآن؛ لأنه في لسانه وأعرض عن القربان لكونه في جنانه؛ لأن حب المال مركوز في القلب، ففي إخراجه منه صعوبة. ومنها: أنه تعالى قال بلسانك، فأشار إلى أنه لو أسمعهم كلامه بغير

الواسطة لماتوا جميعاً لعدم تحملهم.

قال جعفر الصادق رضي الله عنه: لولا تيسيره لما قدر أحد من خلقه أن يتلفظ بحرف من القرآن وأنى لهم ذلك، وهو كلام من لم يزل ولا يزال.

وقال ابن عطاء: يسر ذكره على لسان من شاء من عباده، فلا يفتر عن ذكره بحال، وأغلق باب الذكر على من شاء من عباده، فلا يستطيع بحال أن يذكره. ومنها: أن بعض المعتزلة استدل بقوله ﴿**لعلهم يتذكرون**﴾ على أنه أراد من الكل الإيمان، ولم يرد من أحد الكفر وأجيب بأن الضمير في لعلهم إلى أقوام مخصوصين، وهم المؤمنون في علم الله تعالى.

يقول الفقير: في هذا الجواب نظر؛ لأن ما بعد الآية يخالفه، فإنهم لو كانوا مؤمنين في علم الله لآمنوا، ولما أمر عليه السلام بانتظار الهلاك في حقهم، فالوجه أن يكون لعلهم يتذكرون علة بمعنى طلب أن يفهمه قومك، فيتذكروا به، أو لكي يتذكروا ويتعظوا به فيفوا بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب عنهم وتفسيره بالإرادة، كما فعله أهل الاعتزال خطأ؛ لأن الإرادة تستلزم المراد لا محالة.

ومنها: أن انتظار الفرج عبادة على ما جاء في الحديث؛ لأنه من الإيمان وجاء في فضيلة السورة الكريمة آثار صحيحة. قال عليه السلام: «من قرأ ﴿**حم**﴾ الدخان ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له»؛ أي: دخل في الصباح حال كونه مغفوراً له، فأصبح فعل تام بمعنى دخل في الصباح؛ لأنه لو جعل ناقصاً يكون المعنى حصل غفرانه وقت الصباح، وليس المراد ذلك نعم لا يظهر المنع عن جعله بمعنى صار، وعنه عليه السلام «من قرأ الدخان في ليلة أصبح يستغفر له سبعون ألف ملك».

وهذان الحديثان رواهما أبو هريرة رضي الله عنه. والأول أخرجه الترمذي، وقال أبو أمامة: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «من قرأ ﴿**حم الدخان**﴾ ليلة الجمعة، أو يوم الجمعة بنى الله له بيتاً في الجنة»، كما في «كشف الأسرار» و«بحر العلوم»، وإسناد البناء إلى الله مجاز؛ أي: يأمر الملائكة بأن يبنوا له في الجنة بثواب القراءة بيتاً عظيماً عالياً من در وياقوت، مما لا عين رأت ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر.

يقول الفقير: لما كان أصل البيت مأوى الإنسان بالليل، وكان إحياء الليل الذي فيه ترك البيتوتة غالباً، بمثل التلاوة جعل بناء البيت جزاء للقراءة الواقعة في الليلة المبنية على ترك البيتوتة ليكون الجزاء من جنس العمل وحمل النهار عليه، فافهم جداً، والله الموفق لمرضاته وتلاوة آياته وللعمل بحقائق بيناته، وهو المعين لأهل عناياته.

تمت سورة الدخان بعون الملك المنان في خامس شعبان من الشهور المنتظمة
في سلك سنة ثلاث عشرة ومائة وألف

٤٥ ـ سورة الجاثية

سبع أو ست وثلاثون آية مكية. والاختلاف في ﴿حم﴾

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿ حمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ﴾.

﴿حم﴾؛ أي: هذه السورة مسماة بـ**﴿حم﴾**. وفي «التأويلات النجمية»: يشير بالحاء إلى حياته، وبالميم إلى مودته كائن، قال بحياتي ومودتي لأوليائي لا شيء إليَّ أحب من لقاء أحبائي ولا أعز ولا أحب على أحبابي من لقائي. وفي «عرائس البقلي»: الحاء يدل على أن في بحر حياته حارت الأرواح، والميم تدل على أن في ميادين محبته هامت الأسرار.

يقول الفقير: الحاء إشارة إلى الحب الأزلي المتقدم. ولذا قدمه، والميم إشارة إلى المعرفة الأبدية المتأخرة، ولذا أخره، كما دل عليه قوله تعالى لداود عليه السلام: «كنت كنزاً مخفياً، فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف»، فإن المحبة في هذا الحديث القدسي متقدمة على المعرفة. وذلك نزولاً وبالعكس عروجاً، كما لا يخفى على أهل الذوق.

﴿تنزيل الكتاب﴾؛ أي: القرآن المشتمل على السور مطلقاً خصوصاً هذه السورة الجليلة، وهو مبتدأ خبره قوله: **﴿من الله﴾** فدل على أنه؛ أي: القرآن حق وصدق. **﴿العزيز﴾** فدل على أنه معجز غالب غير مغلوب **﴿الحكيم﴾** فدل على أنه مشتمل على حكم بالغة وعلى أنه يحكم في نفسه بنسخ ولا ينسخ، فليس كما يزعم المبطلون من أنه شعراً أو كهانة، أو تقول من عنده ممكن معارضته، وأنه كأساطير الأولين مثل حديث رستم وإسفنديار وغيرهما، فيجب أن يعرف قدره وأن يكون الإنسان مملوءاً به صدره أبو بكر شبلي قدس سره: [ببازار بغداد بركذشت باره كاغد ديدكه نام دوست بروى رقم بود ودرزير اقدام خلق افتاده شبلي جون آنرا ديد اضطرابي بردل واعضاى وى افتاد آن رقعة برداشت وببوسيد وآنرا معطر ومعنبر كرد وباخود داشت كاه برسينه نهادى ظلمت غفلت بزدودى وكاه برديده نهادى نور جشم بيفزودى تاآن روزكه بقصد بيت الله الحرام از بغداد بيرون آمد روى بباديه نهادآن رقعه دردست كرفته وآنرا بدرقه روزكار خود ساخته درباديه جوانى راديد فريد وغريب بى زاد وراحله از خاك بستر كرده واز سنك بالين ساخته سرشك از جشم او روان شده وديده در هوا نهاده شبلي بر بالين وى نشست وآن كاغد بيش ديده او داشت كفت اى جوان برين عهد هستى جوان روى بكردانيد شبلي كفت انا لله مكر اندرين سكرات وغمرات حال اين جوانرا تبديل خواهد شد جوان باز نكريست وكفت اى شبلى دائماً در غلطى آنجه تو دركاغد مى بينى وميخوانى مادر صحيفة دل مى بينيم ومى خوانيم].

يقول الفقير:

سر عشق يار من مخفى بود درجان من كس نداند سر جانم رابجز جانان من

﴿إِنَّ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾﴾

﴿إن في السماوات والأرض﴾؛ أي: في خلقهما وخلق ما فيهما من آثار القدرة كالكواكب والجبال والبحار ونحوها. **﴿لآيات للمؤمنين﴾** لشواهد الربوبية لأهل التصديق وأدلة الإلٰهية، لأهل التوفيق خص المؤمنين بالذكر لانتفاعهم بتلك الآيات والدلالات، فإنهم يستدلون بالمخلوق على الخالق، وبالمصنوع على الصانع فيوحدونه، وهو أول الباب ولذا قدم الإيمان على الإيقان، ولعل الوجه في طي ذكر المضاف هنا، وهو الخلق وإثباته في الآية الآتية أن خلق السماوات والأرض ليس بمشهود للخلق، وإن كانتا مخلوقتين، كما قال تعالى: ﴿مَّآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [الكهف: ٥١] بخلاف خلق الإنسان، وما يلحق به من خلق سائر الدواب، فإنه كما أنه يستدل بخلقه على خالقه، فكذا يشاهد خلقه وتوالده، فتكون المخلوقية فيه أظهر من الأول.

هكذا لاح بالبال والله أعلم بحقيقة الحال، وهنا كلام آخر سيأتي.

﴿وفي خلقكم﴾؛ أي: من نطفة، ثم من علقة متقلبة في أطوار مختلفة إلى تمام الخلق. **﴿وما يبث من دابة﴾** عطف على المضاف دون المضاف إليه، وإلا يكون عطفاً على بعض الكلمة إذ المضاف والمضاف إليه، كشيء واحد كالجار والمجرور.

قال سعدي المفتي رحمه الله: العطف على الضمير المجرور من غير إعادة الجار منعه سيبويه وجمهور البصريين، وأجازه الكوفيون ويونس والأخفش.

قال أبو حيان: واختاره الشلوبين، وهو الصحيح، وفصل بعض النحويين، فأجاز العطف على المجرور بالإضافة دون الحرف. انتهى.

والمعنى: وفي خلق ما ينشره الله تعالى ويفرقه من دابة، وهي كل ما يدب على وجه الأرض من الحيوان مع اختلاف صورها وأشكالها وكثرة أنواعها وأضمر ذكر الله لقرب العهد منه بخلافه، في وما أنزل الله كما سيأتي.

﴿آيات﴾ بالرفع على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجملة معطوفة على ما قبلها من الجملة المصدرة بأن **﴿لقوم يوقنون﴾**؛ أي: من شأنهم أن يوقنوا بالأشياء على ما هي عليه. واليقين علم فوق المعرفة والدراية ونحوهما وبينه وبين الإيمان فروق كثيرة، وحقيقة الإيمان هو اليقين حين باشر الأسرار بظهور الأنوار. ألا ترى كيف سأل عليه السلام بقوله: «اللهم إني أسألك إيماناً يباشر قلبي ويقيناً ليس بعده كفر».

يقول الفقير: لم يقل للموقنين كما قال للمؤمنين إشارة إلى قلة هذا الفريق بالنسبة إلى الأول، وخص الإيقان بخلق الأنفس؛ لأن ما قبله من الإيمان بالآفاق، وهو ما خرج عنك، وهذا من الإيمان بالأنفس، وهو ما دخل فيك، وهذا أخص درجات الإيمان، فإنه إذا كمل الإيمان في مرتبة الآفاق يترقى العبد إلى المشاهدة في مرتبة الأنفس، فكمال اليقين إنما هو في هذه المرتبة، لا في تلك المرتبة؛ لأن العلم بما دخل فيك أقوى منه، بما خرج عنك إذ لا يكذبه شيء، ولذا جاء العلم الضروري أشد من العلم الاستدلالي وضم خلق الدواب إلى خلق الإنسان لاشتراك الكل في معنى الجنس، فافهم جداً واقنع.

وفي «التأويلات النجمية»: إن العبد إذا أمعن نظره في حسن استعداده ظاهراً وباطناً وأنه

خلق في أحسن تقويم ورأى استواء قده وقامته وحسن صورته وسيرته واستكمال عقله وتمام تمييزه، وما هو مخصوص به في جوارحه وجوانحه، ثم تفكر فيما عداه من الدواب وأجزائها وأعضائها وأوصافها وطباعها وقف على اختصاص وامتياز بني آدم بين البرية من الجن في الفهم والعقل والتمييز، ثم في الإيمان، ومن الملائكة في حمل الأمانة، وتعلم علم الأسماء ووجوه خصائص أهل الصفوة من المكاشفات والمشاهدات والمعاينات. وأنواع التجليات، وما صار به الإنسان خليفة ومسجود الملائكة المقربين وعرف تخصيصهم بمناقبهم وانفرادهم بفضائلهم فاستيقن أن الله كرمهم، وعلى كثير من المخلوقات فضلهم، وأنهم محمولو العناية في بر الملك وبحر الملكوت.

قال الصائب:

ای رازنه فلك زوجودت عيان همه — در دامن تو حاصل دريا وكان همه
اسرار جار دفتر ومضمون نه كتاب — در نقطة تو ساخته ايزد نهان همه
قدوسيان بحكم خداوند امر ونهي — بيش توسركذاشته برآستان همه
روحانيان براى تماشاى جلوه ات — جون كودكان برآمده برآسمان همه

﴿وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزۡقٖ فَأَحۡيَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَا وَتَصۡرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٞ لِّقَوۡمٖ يَعۡقِلُونَ ۝٥ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتۡلُوهَا عَلَيۡكَ بِٱلۡحَقِّۖ فَبِأَيِّ حَدِيثِۭ بَعۡدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤۡمِنُونَ ۝٦ وَيۡلٞ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٖ ۝٧﴾.

﴿واختلاف الليل والنهار﴾؛ أي: وفي اختلافهما بتعاقبهما أو بتفاوتهما طولاً وقصراً أو بسواد الليل وبياض النهار **﴿وما أنزل الله من السماء﴾** عطف على اختلاف **﴿من رزق﴾**؛ أي: مطر، وهو سبب الرزق عبر عنه بذلك تنبيهاً على كونه آية من جهتي القدرة والرحمة. **﴿فأحيا به الأرض﴾** بأن أخرج منها أصناف الزروع والثمرات والنباتات.

﴿بعد موتها﴾ يبسها وعرائها عن آثار الحياة وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو أشجارها عن الثمار، ففيه تشبيه للرطوبة الأرضية بالروح الحيواني في كونها مبدأ التوليد والتنمية، وتشبيه زوالها بزوال الروح وموت الجسد، وفيه إشارة إلى أرض القلوب، فإنها عند استيلاء أوصاف البشرية عليها في أوان الولادة إلى حدّ البلوغ محرومة من غذاء تعيش به، وهو أوامر الشريعة ونواهيها المودعة فيها نور الإيمان الذي هو حياة القلوب، فعند البلوغ ينزل غيث الرحمة رزقاً لها، فيحصل لها الحياة المعنوية. **﴿وتصريف الرياح﴾** تحويلها من جهة إلى أخرى، وتبديلها من حال إلى حال إذ منها مشرقية ومغربية وجنوبية وشمالية، وحارة وباردة ونافعة وضارة وتأخيره عن إنزال المطر مع تقدمه عليه في الوجود، إما للإيذان بأنه آية مستقلة حيث لو روعي الترتيب الوجودي لربما توهم أن مجموع تصريف الرياح وإنزال المطر آية واحدة، وإما لأن كون التصريف آية ليس بمجرد كونه مبدأ لإنشاء المطر، بل له ولسائر المنافع التي من جملتها سوق السفن في البحار.

﴿آيات لقوم يعقلون﴾ بالرفع على أنه مبتدأ خبره ما تقدم من الجار والمجرور. والجملة معطوفة على ما قبلها وتنكير آيات في المواضع الثلاثة للتفخيم، كماً وكيفاً والعقل، يقال: للقوة المتهيئة لقبول العلم، ويقال للعلم الذي يستفيده الإنسان بتلك القوة عقل، ولهذا قال أمير

المؤمنين علي كرم الله وجهه، فإن العقل عقلان: فمطبوع ومسموع. ولا ينفع مطبوع. إذ لم يك مسموع. كما لا ينفع الشمس، وضوء العين ممنوع.

وإلى الأول أشار النبي عليه السلام بقوله: «ما خلق الله خلقاً أكرم عليه من العقل»، وإلى الثاني أشار بقوله: ما كسب أحد شيئاً أفضل من عقل يهديه إلى هدى، أو يرده عن ردى وهذا العقل هو المعنى بقوله تعالى: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَـٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣]، وكل موضع ذم الكفار بعدم العقل، فإشارة إلى الثاني دون الأول، وكل موضع رفع التكليف عن العبد لعدم العقل، فإشارة إلى الأول، كما في «المفردات».

والمعنى: لقوم ينظرون بعيون عقولهم، ويعتبرون؛ لأنها دلائل واضحة على وجود صانعها وعظيم قدرته وبالغ حكمته وخص العقلاء بالذكر؛ لأنه بالعقل يمكن الوقوف على الدلائل.

يقول الفقير: لعل سر تخصيص العقل بهذا المقام وتأخيره عن الإيمان والإيقان أن هذه الآية دائرة بين علوي وسفلي، وما بينهما. وللعقل مدخل تعقل كل ذلك، واشتراك بين الإيمان والإيقان، فافهم جداً. وفيه إشارة إلى أن الله تعالى جعل العلوم الدينية كسبية مصححة بالدلائل وموهبية محققة بالشواهد، فمن لم يستبصر بهما زلت قدمه عن الصراط المستقيم ووقع في عذاب الجحيم فاليوم في الحيرة والتقليد، وفي الآخرة في الوعيد بالتخليد جعلنا الله وإياكم من أهل الدلائل والشواهد وعصمنا من عمى كل منكر جاحد إنه هو الفرد الواحد. ﴿**تلك**﴾ الآيات القرآنية من أول السورة، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿**آيات الله**﴾ المنبهة على الآيات التكوينية.

﴿**نتلوها عليك**﴾ بواسطة جبرائيل حال كوننا ﴿**بالحق**﴾؛ أي: محقين، أو حال كون الآيات ملتبسة بالحق والصدق بعيدة من الباطل والكذب.

وقال في «بحر العلوم» نتلوها عليك حال عاملها معنى الإشارة؛ كأنه قيل: نشير إليها متلوة عليك تلاوة متلبسة بالحق مقترنة بعيدة من الباطل واللعب والهزل، كما قال ﴿وَمَا هُوَ بِٱلْهَزْلِ ﴿١٤﴾﴾ [الطارق: ١٤] انتهى.

ويجوز أن تكون تلك إشارة إلى الدلائل المذكورة؛ أي: تلك دلائله الواضحة على وجوده ووحدته وقدرته وعمله وحكمته نتلوها عليك؛ أي: بتلاوة النظم الدال عليها. ﴿**فبأي حديث**﴾ من الأحاديث وخبر من الأخبار ﴿**بعد الله وآياته**﴾؛ أي: بعد آيات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمه، كما في قولهم: أعجبني زيد وكرمه يريدون أعجبني كرم زيد، ونظيره قوله تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [الأنفال: ٤١]، فإن اسم الله هنا أيضاً، مذكور بطريق التعظيم، كما سبق. فقول أبي حيان فيه إقحام الأسماء من غير ضرورة غير مفيد أو بعد حديث الله الذي هو القرآن حسبما نطق به قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ﴾ [الزمر: ٢٣]، وهو المراد بآياته أيضاً، ومناط العطف التغاير العنواني.

﴿**يؤمنون**﴾: يعني أن القرآن من بين الكتب السماوية معجزة باهرة فحيث لم يؤمنوا به، فبأي كتاب بعده يؤمنون؛ أي: لا يؤمنون بكتاب سواه. وقيل: معناه القرآن آخر كتب الله ومحمد آخر رسله، فإن لم يؤمنوا به؛ فبأي كتاب يؤمنون، ولا كتاب بعده ولا نبي.

وفي الآية إشارة إلى أن الإيمان لا يمكن حصوله في القلب إلا بالله وكتابته في القلوب وبإراءته المؤمنين آياته، وإلا فلا يحصل بالدلائل المنطقية، ولا البراهين العقلية.

قال الإمام الرازي لحضرة الشيخ نجم الدين قدس سره: بم عرفت ربك؟ قال: بواردات ترد على القلوب، فتعجز النفوس عن تكذيبها.

وروى ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي عليه السلام قال: «من أعجب الخلق إيماناً؟ قالوا: الملائكة» قال عليه السلام: «وكيف لا تؤمن الملائكة، وهم يعاينون الأمر، قالوا: فالنبيون» قال عليه السلام: وكيف لا يؤمن النبيون، والروح ينزل عليهم بالأمر من السماء»، قالوا: فأصحابك؟ قال عليه السلام: «وكيف لا يؤمن أصحابي وهم يرون ما يرون؟ ولكن أعجب الناس إيماناً قوم يجيئون بعدي يؤمنون بي، ولم يروني ويصدقونني، ولم يروني، فأولئك إخواني».

وفي الحديث إشارة إلى أن الإيمان المبني على الشواهد القلبية أعلى من الإيمان المبني على الدلائل الخارجية. وفي الكل فضل بحسب مقامه، فأهل الإيمان والتوحيد مطلقاً مغفور لهم. وعن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي عليه السلام أنه قال: يا أبا ذر جدد إيمانك بكرة وعشياً»، فإن سريعاً يندرس الإسلام حتى لا يدري أحد ما الصلاة، وما الصيام، وأن واحداً منهم يقول: إن من كان قبلنا يقولون: لا إله إلا الله، ويدخلون هذه البيوت؛ أي: المساجد.

قيل: يا رسول الله إذا لم يصلوا، ولم يصوموا، فما يغني عنهم قولهم: لا إله إلا الله. قال عليه السلام: «بهذه الكلمة ينجون من نار جهنم. وعن حذيفة رضي الله عنه: سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم يقول: «مات رجل من بني إسرائيل من قوم موسى عليه السلام، فإذا كان يوم القيامة يقول الله لملائكته، انظروا هل تجدون لعبدي من حسنة يفوز بها اليوم، فيقولون: إنا لا نجد سوى أن نقش خاتمه لا إله إلا الله، فيقول الله تعالى: أدخلوا عبدي الجنة فقد غفرت له».

﴿**ويل**﴾ كلمة عذاب بالفارسية: [سختى عذاب]. ﴿**لكل أفاك**﴾: كذاب. والإفك: كل مصروف عن وجهه الذي يحق أن يكون عليه. ﴿**أثيم**﴾ صيغة مبالغة بمعنى كثير الإثم كعليم بمعنى كثير العلم.

﴿يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِى عَنْهُم مَّا كَسَبُوا۟ شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾﴾.

﴿**يسمع آيات الله**﴾ صفة أخرى لأفاك. والمراد: آيات القرآن؛ لأن السماع إنما يتعلق بها. وكذا التلاوة في قوله: ﴿**تتلى عليه**﴾ حال من آيات الله ﴿**ثم يصر**﴾؛ أي: يقيم على كفره ويدوم عازماً عليه عاقداً.

قال في «المفردات»: الإصرار التعقد في الذنب والتشدد فيه والامتناع من الإقلاع عنه وأصله في الصرا؛ أي: الشد والصرة ما يعقد فيها الدراهم ﴿**مستكبراً**﴾ عن الإيمان بما سمعه من آيات الله والإذعان بما نطق به من الحق مزدرياً لها معجباً بما عنده من الأباطيل. وكان النضر بن الحارث بن عبد الدار. وقد قتل صبراً يشتري من أحاديث العجم مثل حديث رستم وإسفنديار، ويشغل بها الناس عن استماع القرآن، فوردت الآية ناعية عليه، وعلى كل من يسير سيرته ما هم فيه من الشر والفساد، وذلك التعميم لكلمة الإحاطة والشمول، وكلمة ثم لاستبعاد

الإصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التي حقها أن تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب. فهي محمولة على المعنى المجازي؛ لأنه الأليق بمرام المقام، وإن كان يمكن الحمل على الحقيقة أيضاً، باعتبار منتهى الإصرار.

﴿كأن لم يسمعها﴾؛ أي: يصير كأنه لم يسمعها؛ أي: مشابهاً حاله حال من لم يسمعها، فخفف وحذف ضمير الشأن. والجملة من يصير تشبيهاً بغير السامع في عدم القبول والانتفاع. **﴿فبشره بعذاب أليم﴾**؛ أي: أنذره على إصراره واستكباره بعذاب أليم، فإن ذكر العذاب قرينة على الاستعارة استعيرت البشارة التي هي الإخبار بما يظهر سرور في المخبر به للإنذار الذي هو صده بإدخال الإنذار في جنس البشارة على سبيل التهكم، والاستهزاء هذا إذا أريد المعنى المتعارف للبشارة، وهو الخبر السار، ويجوز أن يكون على الأصل، فإنها بحسب أصل اللغة عبارة عن الخبر الذي يؤثر في بشرة الوجه بالتغيير، وهو يعم خبر السرور والحزن. ولذا قال في «كشف الأسرار»؛ أي: أخبره خبراً يظهره أثر على بشرته من الترح.

﴿وإذا علم من آياتنا شيئاً﴾؛ أي: إذا بلغه من آياتنا شيء، وعلم أنه من آياتنا إلا أنه علمه، كما هو عليه، فإنه بمعزل من ذلك الكلام. **﴿اتخذها﴾**؛ أي: الآيات كلها. **﴿هزواً﴾**؛ أي: مهزواً بها لا ما سمعه فقط، أو الضمير للشيء والتأنيث باعتبار الآية. يعني: [بآن افسوس كندو بصورتى باز نمايدكه از حق وصواب دور باشد]. كالنضر استهزأ بها وعارضها بحديث الفرس يرى العوام أنه لا حقيقة لذلك، وكأبي جهل حيث أطعمهم الزبد والتمر. وقال: تزقموا أفهذا ما يتوعدكم به محمد، فحمل الزقوم على الزبد والتمر. **﴿أولئك﴾**: إشارة إلى كل أفاك من حيث الإنصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار شمول كل كما أن الإفراد في الضمائر السابقة باعتبار كل واحد. **﴿لهم﴾** بسبب جناياتهم المذكورة **﴿عذاب مهين﴾** يذلهم ويذهب بعزهم وصف العذاب بالإهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بآيات الله.

﴿من ورائهم جهنم﴾؛ أي: جهنم كائنة من قدامهم؛ لأنهم متوجهون إلى ما أعد لهم أو من خلفهم؛ لأنهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا، فإن الوراء اسم للجهة التي يواريها الشخص من خلف، أو قدام؛ أي: يسترها.

وقال بعضهم: وراء في الأصل مصدر جعل ظرفاً ويضاف إلى الفاعل، فيراد به ما يتوارى به، وهو خلفه وإلى المفعول، فيراد به ما يواريه، وهو قدامه، ولذلك عد من الأضداد.

وفي «القاموس»: الوراء يكون خلف وقدام ضد أولاً؛ لأنه بمعنى، وهو ما توارى عنك. **﴿ولا يغني عنهم﴾** ولا يدفع **﴿ما كسبوا﴾** من الأولاد والأموال **﴿شيئاً﴾** من عذاب، فيكون مفعولاً به أو لا يغني عنهم في ذلك شيئاً من الإغناء؛ أي: إغناء قليلاً، فيكون مصدراً، يقال أغنى عنه إذا كفاه؟ **﴿ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء﴾**؛ أي: ولا ينفعهم أيضاً ما عبدوه من دون الله من الأصنام وتوسيط حرف النفي بين المعطوفين مع أن عدم إغناء الأصنام أظهر وأجلى من عدم إغناء الأموال والأولاد قطعاً مبني على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون في شفاعتهم وفيه تهكم **﴿ولهم﴾** فيما وراءهم من جهنم **﴿عذاب عظيم﴾** لا يعرف كنهه يعني: [شدت آن از حد متجاوزاست].

﴿هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ۞ ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾﴾.

﴿**هذا**﴾؛ أي: القرآن ﴿**هدى**﴾؛ أي: في غاية الكمال من الهداية؛ كأنه نفسها كقولك ريد عدل ﴿**والذين كفروا بآيات ربهم**﴾ القرآنية ﴿**لهم عذاب من رجز**﴾؛ أي: من شدة العذاب ﴿**أليم**﴾ بالرفع صفة عذاب. وبالفارسية: [ازسخت ترين عذابي ألم رسانيده]. وفي الآيات إشارات:

منها: أن بعض الناس يسمع آيات الله في الظاهر إذ تتلى عليه ولا يسمعها بسمع الباطن ويتصامم بحكم الخذلان والغفلة، فله عذاب أليم لاستكباره عن قبول الحق، وعدم العمل بموجب الآيات، وكذا إذا سمعها وتلاها بغير حضور القلب:

تعتيست اين كه بر لهجه وصوت شوداز تو حضور خاطر فوت
فكر حسن غنا برد هوشت متكلم شود فراموشت
نشود بردل توتا بنده كين كلام خداست يابنده

ومن استمع بسمع الحق والفهم، واستبصر بنور التوحيد، فاز بذخر الدارين وتصدى لعز المنزلين.

ومنها: أن العالم الرباني إذا أفاد شيئاً من العلم ينبغي أن يكون في حيز القبول، ولا يقابل بالعناد والتأول على المراد من غير أن يكون هناك تصحيح بإسناد، وذلك فإن العبد يكاشف أموراً بتعريفات الغيب لا يتداخله فيها ريب، ولا يتخالجه منها شك فمن استهان بها وقع في ذل الحجاب وجهنم البعد، كما عليه أهل الإنكار في كل الأعصار حيث لا يقبلون أكثر ما ذكره مثل الإمام الغزالي. والإمام المكي، فيكونون كمن يؤمن ببعض ويكفر ببعض بموافقة الأهواء والأغراض.

ومنها: أن القرآن هداية لكن للمقرين لا للمنكرين، فمن أقر بعباراته وإشاراته نجا مر الخذلان والوقوع في النيران، ومن أنكرها وقع في عذاب عظيم يذل فيه ويهان.

﴿**الله الذي سخر لكم البحر**﴾ بأن جعله أملس السطح يعلو عليه ما شأنه الغوص كالأخشاب، ولا يمنع الغوص والحزق لميعانه فإنه لو جعل خشن السطح بأن كان ذا ارتفاع وانخفاض، لم يتيسر جري الفلك عليه، وكذا لو جعله بحيث لا تطفو عليه الأخشاب ونحوها، بل تسفلت وغرقت فيه، لم يتيسر ذلك أيضاً ولو جعله صلباً مصمتاً يمنع الغوص فيه لم يمكن تحصيل المنافع المترتبة على الغوص.

﴿**لتجري الفلك فيه بأمره**﴾؛ أي: بإذنه وتيسيره وأنتم راكبوها ﴿**ولتبتغوا من فضله**﴾ بالتجارة والغوص على اللؤلؤ والمرجان ونحوها من منافع البحر ﴿**ولعلكم تشكرون**﴾ ولكي تشكروا النعم المترتبة على ذلك بالإقرار بوحدانية المنعم بها.

وفي الآية إشارة إلى أنه تعالى سخر بحر العدم لتجري فيه فلك الوجود بأمره، وهو أمر كن والحكمة في هذا التسخير مختصة بالإنسان لا بالفلك سخر البحر والفلك له وسخره لنفسه ليكون خليفته، ومظهراً لذاته وصفاته نعمة منه وفضلاً لإظهار الكنز المخفي، فبحسب كل

مسخر من الجزئيات والكليات يجب على العبد شكره، وشكره أن يستعمله في طلب الله بأمره ولا يستعمله في هوى نفسه، وله أن يعتبر من البحر الصوري، والذين يركبون البحر، فربما تسلم سفينتهم، وربما تغرق كذلك العبد في فلك الاعتصام في بحار التقدير يمشي به في رياح المشيئة مرفوع له شراع التوكل مرسي في بحر اليقين، فإن هبت رياح العناية نجت السفينة إلى ساحل السعادة، وإن هبت نكباء الفتنة لم يبق بيد الملاح شيء وغرقت في لجة الشقاوة، فعلى العبد أن يبتغي فضل الله ويسعى في الطلب بأداء شكر النعم، كما في «التأويلات النجمية».

﴿وسخر لكم ما في السماوات وما في الأرض﴾ من الموجودات بأن جعلها مداراً لمنافعكم ودلت الآية على أن نسبة الحوادث الأرضية إلى الاتصالات الفلكية جائزة. **﴿جميعاً﴾** إما حال من **﴿ما في السماوات وما في الأرض﴾** أو تأكيد له. **﴿منه﴾** صفة لجميعاً؛ أي: كائناً منه تعالى، أو حال من ما؛ أي: سخر لكم هذه الأشياء كائنة منه مخلوقة له أو خبر لمحذوف؛ أي: هي جميعاً منه تعالى.

وفي «فتح الرحمٰن» جميعاً منه؛ أي: كل إنعام فهو من فضله؛ لأنه لا يستحق عليه أحد شيئاً، بل هو يوجب على نفسه تكرماً. **﴿إن في ذلك﴾**؛ أي: فيما ذكر من الأمور العظام **﴿لآيات﴾** عظيمة الشأن كبيرة القدر دالة على وجود الصانع وصفاته. **﴿لقوم يتفكرون﴾** في بدائع صنع الله، فإنهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها، ويوفقون لشكرها: [دبر جمله جهان زمغز تابوست. هر ذره كواه قدرت اوست].

روي: أنه عليه السلام مر على قوم يتفكرون، فقال: تفكروا في الخلق، ولا تتفكروا في الخالق. وفي الحديث: «إن الشيطان يأتي أحدكم، فيقول: من خلق السماوات، فيقول الله، ويقول: من خلق الأرض، فيقول الله ويقول: من خلق الله، فإذا افتتن أحدكم بذلك، فليقل آمنت بالله ورسوله، واعلم أن التفكر على العبادات وأفضلها؛ لأن عمل القلب أعلى وأجل من عمل النفس، ولذلك قال عليه السلام «تفكر ساعة خير من عبادة سنة».

وفي رواية: ستين سنة. وفي رواية: سبعين سنة. وروي: أن المقداد بن الأسود رضي الله عنه قال: دخلت على أبي هريرة رضي الله عنه، فسمعته يقول: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «تفكر ساعة خير من عبادة سنة»، ثم دخلت على ابن عباس رضي الله عنهما، فسمعته يقول: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: تفكر ساعة خير من عبادة سبع سنين، ثم دخلت على أبي بكر رضي الله عنه، فسمعته يقول: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: تفكر ساعة خير من عبادة سبعين سنة، فقال المقداد: فدخلت على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم فأخبرته بما قالوا، فقال: صدقوا،ثم قال: ادعهم إليَّ فدعوتهم، فقال لأبي هريرة: كيف تفكرك؟، وفيما ذا قال في قول لله تعالى، ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩]، الآية. قال: تفكرك خير من عبادة سنة.

ثم سأل ابن عباس رضي الله عنهما عن تفكره، فقال: تفكري في الموت، وهول المطلع، قال: تفكرك خير من عبادة سبع سنين، ثم قال لأبي بكر: كيف تفكرك، قال: تفكري في النار وفي أهوالها، وأقول: يا رب اجعلني يوم القيامة من العظم بحال يملأ النار مني حتى تصدق وعدك، ولا تعذب أمة محمد في النار، فقال عليه السلام: تفكرك خير من عبادة سبعين سنة، ثم قال: أرأف أمتي بأمتي أبو بكر. فالفضل راجع إلى مراتب النيات.

يقول الفقير: وجه التخصيص في الأول أن اختلاف الليل والنهار المذكور في آية التفكر يدور على السنة، فبمقدار بُعد التفكر جاء الثواب. وفي الثاني: أن خوف الموت، وما بعده ينتهي إلى الجنة، أو إلى النار والجنة فوق سبع سماوات كما أن النار تحت سبع أرضين. وفي الثالث: أن بعد قعر جهنم سبعون سنة على ما ورد في الحديث، فلما كان الصديق رضي الله عنه بعيد التفكر بالنسبة إلى الأولين أثيب بما ذكر وجاء أجره مناسباً لتفكره.

وفي الآية إشارة إلى أن السماوات والأرض، وما فيهن خلقت للإنسان، فإن وجودها تبع لوجوده. وناهيك من هذا المعنى أن الله تعالى أسجد ملائكته لآدم عليه السلام. وهذا غاية التسخير وهم أكرم مما في السماوات والأرض، ومثال هذا أن الله تعالى لما أراد أن يخلق ثمرة خلق شجرة، وسخرها للثمرة لتحملها، فالعالم بما فيه شجرة وثمرتها الإنسان ولعظم هذا المعنى.

قال: ﴿**إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون**﴾؛ أي: في هذا المعنى دلالات على شرف الإنسان وكماليته لقوم لهم قلوب منورة بنور الإيمان والعرفان إذ يتفكرون بتفكر سليم، كما في «التأويلات النجمية».

﴿قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ۖ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾﴾.

﴿**قل للذين آمنوا**﴾: اغفروا يعني: [در كذرانيد وعفو كنيد]. وهو مقول القول حذف لدلالة الجواب عليه، وهو قوله: ﴿يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ﴾ [الجاثية: ١٤]، كما في قوله تعالى: ﴿قُل لِّعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يُقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ [إبراهيم: ٣١]؛ أي: قل لهم أقيموا الصلاة يقيموا الصلاة.

قال صاحب «الكشاف»: وجوزوا أن يكون يقيموا بمعنى ليقيموا، ويكون هذا هو المقول، قالوا: وإنما جاز حذف اللام؛ لأن الأمر الذي هو: قل عوض عنه، ولو قيل: يقيموا ابتداء بحذف اللام لم يجز وحقيقة الرجاء تكون في المحبوب، فهو هنا محمول على المجاز، وهو التوقع والخوف.

والمعنى: يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون، ولا يخافون وقائعه تعالى بأعدائه في الأمم الماضية لقولهم أيام العرب لوقائعها كيوم بعاث، وهو كغراب وبعاث موضع بقرب المدينة ويومه معروف، كما في «القاموس». وقيل: لا يأملون الأوقات التي وقتها الله لثواب المؤمنين، ووعدهم الفوز فيها وإضافتها إلى الله كبيت الله. وهذه الآية نزلت قبل آية القتال، ثم نسخت بها، وذلك لأن السورة مكية بالاتفاق إلا أن الماوردي استثنى هذه الآية.

وقال: إنها مدنية، نزلت في عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وعزاه إلى ابن عباس رضي الله عنهما وقتادة، وذلك أن عمر رضي الله عنه شتمه غفاري فهمَّ أن يبطش به، فنزلت في حقه.

قال في «القاموس»: وبنو غفار ككتاب رهط أبي ذر الغفاري. وقيل: نزلت حين قال رئيس المنافقين عبد الله بن أبيّ ما قال. وذلك أنهم نزلوا في غزوة بني المصطلق على بئر يقال لها: مريسيع مصغر مرسوع، فأرسل ابن أبي غلامه يستقي فأبطأ عليه، فلما أتاه، قال له: ما

حبسك، قال: غلام عمر قعد على طرف البئر، فما ترك أحداً يستقي حتى ملأ قرب النبي عليه السلام. وقرب أبي بكر وعمر، فقال: ابن أبيّ ما مثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل: سمن قلبك يأكلك، فبلغ ذلك عمر، فاشتمل سيفه يريد التوجه إليه، فأنزلها الله. [ودر تفسير امام ثعلبي مذكور است كه بعد از نزول آيت]. ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا﴾ [البقرة: ٢٤٥]: [فنحاص عاذور اليهودي بر سبيل طنز كفت خداى تعالى مكر محتاج است كه قرض ميطلبد ابن خبر يفاروق رضي الله عنه رسيده برجست وشمشير كشيد ورى بجست وجوى او نهاد تاهر جابيند بقتلش رساند حضرت عليه السلام بطلب عمر فرستاد جون حاضر شد كفت اى عمر شمشير بنه كه حق سبحانه وتعالى بعفو فرموده وآيت بروى خواند عمر كفت يا رسول الله بدان خداى كه ترا بحق بخلق فرستاد كه ديكر اثر غضب درروى من نه بيند ودر مقابله كناه جز صفت عفو از من مشاهده نكند. جويد بينى زخلق ودر كذارى. تراز يبد طريق بردبارى اكرجه دامنت رامى دردخار. توكل باش ودهان برخنده ميدار].

﴿ليجزي قوماً بما كانوا يكسبون﴾ تعليل للأمر بالمغفرة. والمراد بالقوم: المؤمنون والتنكير لمدحهم، والثناء عليهم؛ أي: أمروا بذلك ليجزي الله يوم القيامة قوماً؛ أيَّ قوم لا قوماً مخصوصين بما كسبوا في الدنيا من الأعمال الحسنة التي من جملتها الصبر على أذية الكفار والمنافقين والإغضاء عنهم بكظم الغيظ، واحتمال المكروه، وما يقصر عنه البيان من الثواب العظيم، وقد جوز أن يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التي من جملتها ما حكي من الكلمة الخبيثة والتنكير للتحقير، فإن قلت: مطلق الجزاء لا يصلح تعليلاً للأمر بالمغفرة لتحققه على تقديري المغفرة وعدمها. قلت: لعل المعنى: قل للمؤمنين يتجاوزوا عن إساءة المشركين والمنافقين، ولا يباشروا بأنفسهم لمجازاتهم ليجزيهم الله يوم القيامة جزاء كاملاً يكافي سيئاتهم ويدل على هذا المعنى. الآية الآتية. وأيضاً أن الكسب في أكثر ما ورد في القرآن كسب الكفار، ويجوز أن يكون المعنى ليجزيهم الله وقت الجزاء كيون بدر ونحوه.

وفي الآية إشارة إلى أن المؤمن إذا غفر لأهل الجرائم، وإن لم يكونوا أهل المغفرة لإصرارهم على الكفر والأذى يصير متخلقاً بأخلاق الحق، ثم الله تعالى يجزي كل قوم جزاء عملهم من الخير والشر، إما في الدنيا والآخرة، أو في الآخرة.

﴿من﴾: [هركه]. ﴿عمل صالحاً﴾، وهو ما طلب به رضى الله عنه تعالى. ﴿فلنفسه﴾. أي: فنفع ذلك العمل الصالح وثوابه لنفسه عائد إليها. ﴿ومن أساء﴾: [وهركه كارى بدكند] ﴿فعليها﴾؛ أي: فضرر إساءته وعقابها على نفسه لا يكاد يسري عمل إلى غير عامله. ﴿ثم إلى ربكم﴾ مالك أموركم لا إلى غيره. ﴿ترجعون﴾: تردون بالموت، فيجازيكم على أعمالكم خيراً كان أو شراً، فاستعدوا للقائه ففيه ترغيب على اكتساب العمل الصالح وترهيب عن ارتكاب العمل السيىء، فمن الأول العفو والمغفرة للمجرم، وصاحبه متصف بصفات الله تعالى.

ومن الثاني: المعصية والظلم وصاحبه متصف بصفات الشيطان، فمن كان من الأبرار. فإن الأبرار لفي نعيم، ومن كان من الفجار، فإن الفجار لفي جحيم. والفجور نوعان:

فجور صوري، وهو ظاهر. وفجور معنوي، وهو إنكار أهل الله والتعرض لهم بسوء بوجه من التأول، ونحو ذلك مما ظاهره صلاح وباطنه فساد، فرحم الله أهل التسليم والرضا

والقبول، ومن ترك الحرام والشبهة والفضول. وعن بعضهم: أنه كان يمشي في البرية، فإذا هو بفقير يمشي حافي القدمين حاسر الرأس عليه خرقتان متزر بإحداهما مرتدي بالأخرى ليس معه زاد ولا ركوة، قال: فقلت في نفسي: لو كان مع هذا ركوة وحبل إذا أراد الماء توضأ وصلى كان خيراً له، ثم لحقت به، وقد اشتدت الهاجرة، فقلت له: يا فتى لو جعلت هذه الخرقة التي على كتفك على رأسك تتقي بها الشمس كان خيراً لك فسكت ومشى، ولما كان بعد ساعة قلت له: أنت حاف أي شيء ترى في نعل تلبسها ساعة وأنا ساعة، فقال: أراك كثير الفضول، ألم تكتب الحديث؟ فقلت: بلى، قال: فلم تكتب عن النبي عليه السلام من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، فسكت ومشينا فعطشت، ونحن على ساحل، فالتفت إليّ وقال: أنت عطشان، فقلت: لا، فمشينا ساعة، وقد كظني العطش؛ أي: جهدني وأوقعني في الشدة، ثم التفت، وقال: أنت عطشان، فقلت: نعم، وما تقدر تعمل معي في مثل هذا الموضع، فأخذ الركوة مني ودخل البحر وغرف من البحر وجاءني به، وقال: اشرب، فشربت ماء أعذب من النيل وأصفى لوناً، وفيه حشيش، فقلت في نفسي: هذا ولي الله، ولكني أدعه حتى إذا وافينا المنزل سألته الصحبة، فوقف، وقال: أيما أحب إليك أن تمشي أو أمشي، فقلت في نفسي: إن تقدم فاتني، ولكن أتقدم أنا وأجلس في بعض الموضع، فإذا جاء سألته الصحبة، فقال: يا أبا بكر إن شئت تقدم واجلس، وإن شئت تأخر، فإنك لا تصحبني. ومضى وتركني، فدخلت المنزل، وكان به صديق لي وعندهم عليل، فقلت لهم: رشوا عليه من هذا الماء، فرشوا عليه فبرىء وسألتهم عن الشخص فقالوا: ما رأيناه.

ففي هذه الحكاية فوائد فتفطن لها. واعلم أنك لا تصل إلى مثل هذه المرتبة إلا بالإيمان الكامل والعلم النافع والعمل الصالح، فمن فقد شيئاً منها حرم نعوذ بالله.

قال الشيخ سعدي:

يـى نـيـك مـردان بـبـايـد شـتـافـت	كه هركس كرفت اين سعادت بيافت
ولـكـن تـودنـبـال ديـو خـسـى	نـدانـم بـى صـالـحـا كـى رسـى
بـيـمـبـر كـسـى راشـفـاعـت كـرسـت	كـه بـرجـاده شـرع بـيـغـمـبـر سـت

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ ۖ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿**ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب**﴾؛ أي: التوراة. قال سعدي المفتي: ولعل الأولى أن يحمل الكتاب على الجنس حتى يشمل الزبور والإنجيل أيضاً. انتهى.

وذلك لأن موسى وداود وعيسى عليهم السلام كانوا في بني إسرائيل. ﴿**والحكم**﴾؛ أي: الحكمة النظرية والعملية والفقه في الدين أو فصل الخصومات بين الناس إذ كان الملك فيهم. ﴿**والنبوة**﴾ حيث كثر فيهم الأنبياء ما لم تكثر في غيرهم، فإن إبراهيم عليه السلام كان شجرة الأنبياء عليهم. ﴿**ورزقناهم من الطيبات**﴾ من اللذائذ كالمن والسلوى. ﴿**وفضلناهم على العالمين**﴾ حيث آتيناهم ما لم نؤت من عداهم من فلق البحر وتظليل الغمام ونظائرهما، ولا

يلزم منه تفضيلهم على غيرهم بحسب الدين والثواب، أو على عالمي زمانهم، فإنه لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله، ولا أحب إليه منهم. وقد سبق تحقيق المقام في السورة السابقة.

﴿وآتيناهم بينات من الأمر﴾ دلائل ظاهرة في أمر الدين ومعجزات قاهرة فمن بمعنى في كما في قوله تعالى: ﴿إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوْمِ ٱلْجُمُعَةِ﴾ [الجمعة: ٩]. وقال ابن عباس رضي الله عنهما هو العلم بمبعث النبي عليه السلام، وما بين لهم من أمره، وأنه يهاجر من تهامة إلى يثرب ويكون أنصاره أهل يثرب. **﴿فما اختلفوا﴾**، فما وقع بينهم الخلاف في ذلك الأمر. **﴿إلا من بعد ما جاءهم العلم﴾**بحقيقته وحقيته، فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجباً لرسوخه.

﴿بغياً بينهم﴾ تعليل؛ أي: عداوة وحسداً حدث بينهم لا شكاً فيه. **﴿إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة﴾** بالمؤاخذة والجزاء. **﴿فيما كانوا فيه يختلفون﴾** من أمر الدين. **﴿ثم جعلناك﴾**: [بس بعد از بني إسرائيل ساختيم ترا يعنى مقرر كرديم سلوك تو]. **﴿على شريعة﴾**؛ أي: سنة وطريقة عظيمة الشأن. **﴿من الأمر﴾**؛ أي: أمر الدين. **﴿فاتبعها﴾** بإجراء أحكامها في نفسك، وفي غيرك من غير إخلال بشيء منها.

وفي «التأويلات النجمية»: إنا أفردناك من جملة الأنبياء بلطائف، فاعرفها وخصصناك بحقائق، فأدركها وسننا لك طرائق، فاسلكها وأثبتنا لك الشرائع فاتبعها، ولا تتجاوز عنها، ولا تحتج إلى متابعة غيرك، ولو كان موسى وعيسى حياً لما وسعهما إلا اتباعك.

قال جعفر الصادق رضي الله عنه: الشريعة في الأمور محافظة الحدود فيها، ومن الله الإعانة. **﴿ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون﴾**؛ أي: آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات، وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه السلام: ارجع إلى دين آبائك، فإنهم كانوا أفضل منك.

﴿إِنَّهُمْ لَن يُغْنُواْ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ ۖ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَـٰذَا بَصَـٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿إنهم لن يغنوا﴾ لن يدفعوا **﴿عنك من الله شيئاً﴾** مما أراد بك من العذاب إن اتبعتهم. قال بعضهم: يعني: إن أراد الله بك نعمة، فلا يقدر أحد على منعها، وإن أراد بك فتنة، فلا يقدر أحد أن يصرفها عنك، فلا تعلق بمخلوق فكرك، ولا تتوجه بضميرك إلى غيرنا، وثق بنا وتوكل علينا.

﴿وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض﴾ لا يواليهم ولا يتبع أهواءهم إلا من كان ظالماً مثلهم؛ لأن الجنسية علة الانضمام. **﴿والله ولي المتقين﴾** الذين أنت قدوتهم فدم على ما أنت عليه من تولية خاصة بالتقوى والشريعة، والإعراض عما سواه بالكلية.

وفي «التأويلات النجمية»: سماهم الظالمين لأنهم وضعوا الشيء في غير موضعه وسمى المؤمنين المتقين؛ لأنهم اتقوا عن هذا المعنى، واتخذوا الله الولي في الأمور كلها.

﴿هذا﴾: القرآن. **﴿بصائر للناس﴾**، فإن ما فيه من معالم الدين والشرائع بمنزلة البصائر في القلوب كأنه بمنزلة الروح والحياة، فمن عري من القرآن، فقد عدم بصره وبصيرته وصار كالميت والجماد الذي لا حس له ولا حياة، فحمل البصائر على القرآن، باعتبار أجزائه ونظيره

قوله تعالى: ﴿قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [الأنعام: ١٠٤]؛ أي: القرآن، وآياته. وقوله تعالى في حق الآيات التسع لموسى عليه السلام. قال: لقد علمت ما أنزل هؤلاء إلا رب السماوات والأرض بصائر والبصائر جمع بصيرة. وهو النور الذي به تبصر النفس المعقولات، كما أن البصر نور به تبصر العين المحسوسات. ويجوز أن يكون هذا إشارة إلى اتباع الشريعة، فحمل البصائر عليه؛ لأن المصدر المضاف من صيغ العموم؛ فكأنه قيل: جميع اتباعاتها.

﴿**وهدى**﴾ من ورطة الضلالة. ﴿**ورحمة**﴾ عظيمة ونعمة كاملة من الله، فإن الفوز بجميع السعادات الدنيوية والأخروية، إنما يحصل به ﴿**لقوم يوقنون**﴾ من شأنهم الإيقان بالأمور. وبالفارسية: [مر كروهى راكه بى كمان شوند يعنى از باديه كمان كذشته طالب سر منزل يقين باشند].

وفي «التأويلات النجمية»: المستعدين للوصول إلى مقام اليقين بأنوار البصيرة، فإذا تلألأت انكشف بها الحق والباطل، فنظر الناس على مراتب من ناظر بنور العقل ومن ناظر بنور الفراسة، ومن ناظر بنور الإيمان، ومن ناظر بنور الإيقان، ومن ناظر بنور الإحسان، ومن ناظر بنور العرفان، ومن ناظر بنور العيان، ومن ناظر بنور العين، فهو على بصيرة شمسها طالعة وسماؤها عن السحاب مصحية. انتهى.

وعن النبي عليه السلام: «القرآن يدلكم على دائكم ودوائكم. أما داؤكم، فالذنوب، وأما دواؤكم فالاستغفار» وأعظم الذنوب الشرك وعلاجه التوحيد، وهو على مراتب بحسب الأفعال والصفات والذات، وللإشارة إلى المرتبة الأولى.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٢٢]، فإن التوكل نتيجة توحيد الأفعال، والتوكل كله الأمر كله إلى مالكه، والتعويل على وكالته. وللإشارة إلى المرتبة الثانية. قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾﴾ [الفجر: ٢٧-٢٨]، فإن الرضا لإرادته الأزلية وترك الاعتراض وسرور القلب بمر القضاء ثمرة توحيد الصفات. ومن هذا المقام قال أبو علي الدقاق رحمه الله: التوحيد هو أن يقرضك بمقاريض القدرة في إمضاء الأحكام قطعة قطعة، وأنت ساكت حامد. وللإشارة إلى المرتبة الثالثة. قال تعالى: ﴿كُلُّ شَىْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص: ٨٨].

حكي: أن واحداً من أصحاب أبي تراب النخشبي توجه إلى الحج، فزار أبا يزيد البسطامي قدس سره، فسأله عن شيخه، فقال: إنه يقول: لو صارت السماء والأرض حديداً ما شككت في رزقي فاستقبحه أبو يزيد؛ لأن فيه فناء الأفعال دون الصفات والذات، وقال: كيف تقوم الأرض التي هو عليها فرجع فأخبر القصة لأبي تراب، فقال: قل له: كيف أنت؟ فجاء وسأل، فكتب: بسم الله الرحمٰن الرحيم [بايزيد نيست]، فلما رآه أبو تراب، وكان في الاحتضار قال: آمنت بالله، ثم توفي. قال مولانا قدس سره:

هيج بغضى نيست در جانم زتو زانكه اين را من نمى دانم زتو
آلت حقى توفاعل دست حق جون زنم بر آلت حق طعن ودق

وقال أيضاً:

آدمى راكى رسد اثبات تو اى بخود معروف وعارف ذات تو

فعليك بتدبر الآيات القرآنية والانتفاع بالبصائر النورانية لتكون من العلماء الربانية.

قال بعض الكبار: أربعة عالم حظه من الله، وهو مقام السر والحقيقة. قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عمران: ١٨]، وعالم حظه من الله العلم والمعرفة بالله، وهو مقام الروح والمعرفة، وعالم حظه علم السير إلى الله، وهو مقام النفس والطريقة وعالم حظه علم السير إلى الآخرة، وهو مقام الطبيعة والشريعة؛ لأنه بالأعمال الصالحة يحصل السير الأخروي، وأعلى الكل هو الأول. قال بعض الكبار: رأيت أبا يزيد قعد في مسجد بعد العشاء إلى الصبح، فقلت: أخبرني عما رأيت، فقال: أراني الله ما في السماوات والأرض، ثم قال ما أعجبك؟ فقلت: ما أعجبني غيرك، فبعضهم طلب منك المشي على الماء وبعضهم كرامة أخرى، وأنا لا أريد غيرك. قال: فقلت له: لم لم تطلب منه معرفته، فقال: مه لا أريد أن يعرفه غيره.

قال بعضهم: مقام التوحيد فوق مقام المعرفة. حكي: أن اثنين من الفقراء التقيا، فتكلما على المعارف الإلٰهية كثيراً، ثم قال أحدهما للآخر: رضي الله عنك إذ حصل لي ذوق عظيم من من صحبتك من المعارف. وقال الآخر: ولا رضي عنك إذا استقطعتني بصحبتك من مقام التوحيد إلى مقام المعرفة، فإذا كملت المعرفة حصل الشهود والفناء والسكون.

قال الشيخ سعدي المفتي:

اى مرغ سحر عشق زبروانه بياموز	كان سوخته راجان شد وآوز نيامد
اين مدعيان در طلبش بى خبرانند	كانراكه خبر شد خبرى باز نيامد

وقال:

كر كسى وصف او زمن برسد	بى دل از بى نشان جه كويد باز
عاشقان كشتكان معشوقند	برنيايدز كشتكان آواز

نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الجامعين للمراتب والواصلين إلى أعلى المطالب، فإن له ملك الوجود ومنه الكرم والفيض والوجود والإرشاد إلى حقيقة الفناء السجود.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾.

﴿أم حسب الذين اجترحوا السيئات﴾: أم منقطعة، وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الأول إلى الثاني. والهمزة لإنكار الحسبان بطريق إنكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه لا بطريق إنكار الوقوع ونفيه، والاجتراح: الاكتساب. ومنه الجوارح للأعضاء الكاسبة.

قال في «المفردات»: سمي الصائد من الكلاب والفهود والطير جارحة، وجمعها جوارح إما لأنها تجرح وإما لأنها تكسب وسميت الأعضاء الكاسبة: جوارح تشبيهاً بها لأحد هذين. انتهى.

والمراد بالسيئات: الكفر والمعاصي. **﴿أن نجعلهم﴾** أن نصيرهم في الحكم والاعتبار مع ما لهم من مساوىء الأحوال، وهو مع ما عمل فيه ساد مسد مفعولي الحسبان. **﴿كالذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾**: مع ما لهم من محاسن الأعمال ونعاملهم معاملتهم في الكرامة

ورفع الدرجة. و(الكاف): مفعول ثان للجعل. ﴿سواء محياهم ومماتهم﴾؛ أي: محيا الفريقين جميعاً ومماتهم حال من الضمير في الظرف والموصول معاً لاشتماله على ضميريهما على أن السواء بمعنى المستوي، ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية.

والمعنى: أم حسبوا أن نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستوياً محياهم ومماتهم كلا لا يستوون في شيء منهما، فإن هؤلاء في عز الإيمان والطاعة وشرفهما في المحيا، وفي رحمة الله ورضوانه في الممات. ولذا قال عليه السلام لما رأى أصحاب الصفة في المسجد «المحيا محياكم والممات مماتكم»، وأولئك في ذل الكفر والمعاصي، وهوانهما في المحيا وفي لعنة الله، والعذاب الخالد في الممات (ع): [كل وخار وكل وكوهر نه برابر باشد].

وكان كفار قريش يقولون: نحن أحسن حالاً من المؤمنين في الآخرة؛ أي: على تقدير وقوع الساعة، كما قالوا: ﴿نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ [سبا: ٣٥] أي: فإن العزيز في الدنيا عزيز في الآخرة. وقد قيل: إن المراد إنكار أن يستووا في الممات كما استووا في الحياة؛ لأن المسيئين والمحسنين مستوٍ محياهم في الرزق والصحة، وإنما يفترقون في الممات. ﴿ساء ما يحكمون﴾؛ أي: ساء حكمهم هذا على أن (ما) مصدرية والفعل للإخبار عن قبح حكمهم أو بئس شيئاً حكموا به ذلك على أن ساء بمعنى بئس وما نكرة موصوفة بمعنى شيء. والفعل لإنشاء الذم.

وبالفارسية: [بد حكميست كه ايشان ميكنند ونتيجة شرك وتوحيدرا برابر ميدارند (ع) نيست يكسان لاى زهر آميز باآب حيات]. وعن تميم الداري رضي الله عنه: أنه كان يصلي ذات ليلة عند المقام، فبلغ هذه الآية، فجعل يبكي ويردد إلى الصباح. وعن الفضيل رحمه الله أنه بلغها، فجعل يرددها ويبكي ويقول: يا فضيل ليت شعري من أي الفريقين أنت؟ فلا يطمعن البطال في ثواب العمال ولا الجبناء في مقام الأبطال ولا الجاهل في ثواب العالم، ولا النائم في ثواب القائم، فعلى قدر اجتهاد المرء يزيد أجره وبقدر تقصيره ينحط قدره.

وفي بعض الكتب السابقة أن لله منادياً ينادي كل يوم أبناء الخمسين زرع دنا حصاده أبناء الستين هلموا إلى الحساب أبناء السبعين، ماذا قدمتم؟ وما أخرتم؟، ثم أبناء الثمانين لا عذر لكم: ليت الخلق لم يخلقوا، وليتهم إذا خلقوا علموا لماذا خلقوا وتجالسوا بينهم، فتذكروا ما عملوا إلا أتتكم الساعة فخذوا حذركم. وفي الخبر: إذا أراد الله بعبد خيراً بعث إليه ملكاً من عامه الذي يموت فيه فيسدده وييسره، فإذا كان عند موته أتاة ملك الموت، فقعد عند رأسه، فقال: يا أيتها النفس المطمئنة اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، فذلك حين يحب لقاء الله ويحب الله لقاءه.

وإذا أراد بعبد شراً بعث إليه شيطاناً من عامه الذي يموت فيه، فأغواه، فإذا كان عند موته أتاه ملك الموت فقعد عند رأسه، فيقول: يا أيتها النفس المطمئنة الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتفرق في حسده فذلك حين يبغض لقاء الله ويبغض الله لقاءه. ويقال: إذا أراد الله أن ينقل العبد من ذل المعصية إلى عز الطاعة آنسه بالوحدة وأغناه بالقناعة وبصره بعيوب نفسه، فمن أعطي ذلك، فقد أعطي خير الدنيا والآخرة، كما أنه فرق بين مطيع وفاسق، فكذا فرق بين مطيع ومطيع وللتفاضل في الإطاعة والنيات تتفاضل المقامات والدرجات.

ولذا يرى بعض أهل الجنة البعض، كما يرى في الدنيا الكوكب الدري، وعن عبيد بن خالد رضي الله عنه: أن النبي آخى بين رجلين، فقتل أحدهما في سبيل الله، ثم مات الآخر بعده بجمعة أو نحوها، فصلوا عليه، فقال عليه السلام: ما قلتم؟ قالوا: دعونا الله أن يغفر له ويرحمه ويلحقه بصاحبه، فقال النبي عليه السلام، فأين صلاته بعد صلاته وعمله بعد عمله، أو قال: صيامه بعد صيامه لما أن بينهما أبعد مما بين السماء والأرض».

وقد ورد في بعض الأخبار أن الموتى يتأسفون على انقطاع الأعمال عنهم حتى يتحسرون على رد السلام وثوابه، فليحذر العاقل من حسرة السباق، وفجيعة الفراق، أما حسرة السباق فإنهم إذا قاموا من قبورهم، وركب الأبرار نجائب الأنوار وقدمت بين أيديهم نجائب المقربين بقي المسبوق في جملة المحرومين. وأما فجيعة الفراق، فإنه إذا جمع الله الخلق في مقام واحد أمر ملكاً ينادي: أيها الناس امتازوا، فإن المتقين قد فازوا. كما قال: ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٥٩﴾﴾ [يس: ٥٩]، فيمتاز الولد من والديه، والزوج من زوجته والحبيب من حبيبه، فهذا يحمل مبجلاً إلى رياض النعيم.

وهذا يساق مسلسلاً إلى عذاب الجحيم. قال بعض الأخيار: رأيت الشيخ أبا إسحاق إبراهيم بن علي بن يوسف الشيرازي قدس سره في النوم بعد وفاته وعليه ثياب بيض، وعلى رأسه تاج، فقلت له: ما هذا البياض؟ فقال: شرف الطاعة، قلت: والتاج. قال عز العلم. وعن أبي بكر الوراق قدس سره: طلبنا أربعة فوجدناها في أربعة: وجدنا رضا الله في طاعة الله تعالى، وسعة المعاش في صلاة الضحى، وسلامة الدين في حفظ اللسان ونور القلب في صلاة الليل، فعليك بالتدارك قبل فوت الوقت، فإن الوقت سيف قاطع.

قال الشيخ سعدي:

سر ازجيب غفلت برآوركنون ... كه فردانماني بخجلت نكون
قيامت كه نيكان باعلى رسند ... زقعر ثرى بر ثريا رسند
تراخود بماند سر ازننك بيش ... كه كردت برآيد عملهاى خويش
برادر زكار بدان شرم دار ... كه در روى نيكان شوى سر مسار

﴿**وخلق الله السماوات والأرض بالحق**﴾؛ أي: بسبب الحق ولأجل ظهوره وحقيقته بالأمر الإيجادي والتجلي الحي الأحدي، فما من ذرة من ذرات العالم، إلا والله سبحانه متجل فيها بأسمائه وصفاته، لكنه لا يشاهده إلا أهل الشهود، وبظهور هذا الحق والوجود زهق الباطل والعدم وعليه يدور سر قوله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ [الأعراف: ٥٤]، فإن الله متعال عن الاستواء بنفسه كما يقول الظالمون. ﴿**ولتجزى كل نفس بما كسبت**﴾ من خير وشر عطف على بالحق؛ لأن فيه معنى التعليل؛ لأن الباء للسببية وبيانه أن الحكمة في خلق العالم هو الجزاء إذ لو لم يكن الجزاء كما يقول الكافرون لاستوى المطيع والعاصي، فالجزاء مترتب على الطاعة والعصيان، وهما موقوفان على وجود العالم إذ التكليف لا يحصل إلا في هذه الدار.

وقد سبق في سورة الدخان عند قوله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الدخان: ٣٨].

﴿**وهم**﴾؛ أي: النفوس المدلول عليها بكل نفس. ﴿**لا يظلمون**﴾ بنقص ثواب المحسن وزيادة عقاب المسيء: [بلكه هر كس رافرا خور عمل اوجز ادهد].

وتسمية ذلك ظلماً مع أنه ليس كذلك على ما عرف من قاعدة أهل السنة لبيان غاية تنزه

ساحة لطفه تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذي يستحيل صدوره عنه تعالى، فهذه الآية إخبار بأن التسوية في الجزاء سفه، والله تعالى خلق العالم بالحق ليتميز المطيع من العاصي لا بالسفه، فلا بد من المجازاة على وفق الأعمال بين عدل وفضل بلا ظلم وجهل، فعليك بالمسارعة إلى الأعمال الصالحة لا سيما التوحيد وذكر الله تعالى إذ به تحصل المعرفة المقصودة من خلق الثقلين ولفضل المعرفة. قال عليه السلام في جواب من قال: أي الأعمال أفضل؟ العلم بالله»، وبين معرفة ومعرفة فرق عظيم. لذلك قال حافظ قبر أبي يزيد البسطامي قدس سره للسلطان محمود الغزنوي إن أبا جهل لم يبصر النبي عليه السلام إلا بأنه يتيم عبد المطلب وأبي طالب، ولو نظر بأنه رسول الله وحبيب رب العالمين وعرف ذلك لآمن به، ولا بد في العبادة من الإخلاص، فمن عبد الله حباً أعلى رتبة ممن عبده خوف العقوبة. يحكى أن محمدياً عبد الله تعالى أربعين سنة يجزى بأكثر من إسرائيلي عبد الله أربعمائة سنة، فيقول الإسرائيلي: يا رب أنت العادل، فيقول الله تعالى أنتم تخافون العقوبة العاجلة وتعبدونني وأمة محمد يعبدونني مع الأمن.

قال المولى الجامي:

جيست اخلاص آنكه كسب وعمل	باك سازى زشوب نفس ودغل
نه در آن صاحب غرض باشى	نه ازان طالب عوض باشى
كيسه خود از وبير دازى	ساية خود برونيندازى

﴿أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ ۚ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾﴾.

﴿أفرأيت من اتخذ إلٰهه هواه﴾، وهو ما تهواه نفسه الخبيثة. وقال الشعبي: إنما سمي الهوى؛ لأنه يهوي بصاحبه في النار، وهو تعجيب لحال من ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فكأنه عبده. ففيه استعارة تمثيلية أو حذف أداة التشبيه. وكان الأصل كإلٰهه؛ أي: أنظرت فرأيته، فإن ذلك مما يقتضي التعجب. وسبق تحقيق الآية في سورة الفرقان. وفيه إشارة إلى أن من وقف بنفسه في مرتبة من المراتب دون المشاهدة، فقد صار من أهل الهوى وعبد ما سوى المولى. وفي الحديث: «ما عبد تحت ظل السماء أبغض إلى الله من هوى». قال بعضهم:

نون الهوان من الهوى مسروقة	فأسير كل هوى أسير هوان

وقال بعضهم:

فاعص هوى النفس ولا ترضها	إنك إن أسخطتها زانكا
حتى متى تطلب مرضاتها	وإنما تطلب عدوا نكا

قال الشيخ سعدي:

مراد هر كه براري مطيع امر توشد	حلاف نفس كه كردن كشد جويافت مراد

وقال المولى الجامي:

هيج اذاى براه خلق	نيست بدتر زنفس بدفر ما

﴿**وأضله الله**﴾ وخذله عدلاً منه يعني: [كمراه ساخت وفرو كذاشت]. ﴿**على علم**﴾ حال من الفاعل؛ أي. حال كونه تعالى عالماً بضلاله وتبديله للفطرة الأصلية، ويمكن أن يجعل حالاً من المفعول؛ أي: علم من الضال بطريق الهداية بأن ضلّ عناداً نحو فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به ونحوه فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم. ﴿**وختم على سمعه**﴾ بحيث لا يتأثر من المواعظ ولا يسمع الحق. ﴿**وقلبه**﴾بحيث لا يتفكر في الآيات والنذر، ولا يفهم الحق. ﴿**وجعل على بصره غشاوة**﴾ مانعة عن الاستبصار والاعتبار، وهو ما يغشى العين ويغطيها عن الإبصار والإدراك وتنكيرها للتنويع أو للتعظيم.

قال بعض الكبار: ختم الله على سمعه، فحرم من سماع خطابه، وعلى قلبه فحرم من فهم خطابه وعلى عينيه، فحرم من مشاهدة آثار القدرة في صنعه، فلم ير الحق. ﴿**فمن يهديه**﴾: [بس كيست كه راه نمايد اين كس را]. ﴿**من بعد الله**﴾؛ أي: من بعد إضلاله إياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه في الغي؛ أي: لا يقدر أحد أن يهديه ﴿**أفلا تذكرون**﴾ ألا تلاحظون أيها الناس فلا تتذكرون ولا تتفكرون فتعلموا أن الهداية لا يملكها أحد سواه أو أفلا تتعظون. [آيا بند نمى كريد يعنى بند كيريد ومتنبه شويد].

وفي الآية إشارة إلى الفلاسفة والدهرية والطبائعية، ومن لم يسلك سبيل الاتباع، ولم يستوف أحكام الرياضة بتأديب أرباب الطريقة على قانون الشريعة، ولم ينسلخ عن هواه بالكلية، ولم يؤد به ويسلكه إمام مقتدي في هذا الشأن من أرباب الوصال والوصول، بل اقتدى بأئمة الكفر والضلالة، واقتفى آثارهم بالشبهات العقلية وحسبان البراهين القطعية، فوقع في شبكة الشيطان، فأخذه بزمام هواه وأضله في تيه مهواه، وربما دعاه إلى الرياضة وترك الشهوات لتصفية العقل وسلامة الفكر فيمنيه إدراك الحقائق حتى يوبقه في وهدات الشبهات، فيهيم في كل ضلالة ويضل في كل فج عميق، وأصبح خسرانه أكثر من ربحه ونقصانه أوفر من رجحانه، فهم في ضلال بعيد يعملون القرب على ما يقع لهم من نشاط نفوسهم زمامهم بيد هواهم أولئك أهل المكر استدرجوا من حيث لا يشعرون.

وفي المثنوي:

جيست حبل الله رها كردن هوا	كين هواشد صرصرى مر عادرا
خلق درزندان نشسته از هواست	روح را در غيب خود اشكنجهاست
ليك تانجهى شكنجه در خفاست	جون رهيدى بينى اشكنج ودمار
زانكه ضد از ضد كردد آشكار...	جون رها كردى هوى از بيم حق

در رسد سغراق از تسنيم حق

﴿**وقالوا**﴾: يعني: منكري البعث من غاية غيهم وضلالهم، وهم كفار قريش ومشركو العرب. وفي «كشف الأسرار»: هذا من قول الزنادقة الذين قالوا: الناس كالحشيش. ﴿**ما هي**﴾؛ أي: ما الحياة؟. ﴿**إلا حياتنا الدنيا**﴾ التي نحن فيها. ﴿**نموت ونحيا**﴾؛ أي: يصيبنا الموت والحياة فيها، وليس وراء ذلك حياة، وتأخير نحيا؛ لأن فيها شبه مراعاة الفاصلة؛ ولأن الواو لمطلق الجمع. وقد جوّز أن يريدوا به التناسخ، فإنه عقيدة أكثر عبدة الأوثان، يعني: [احتمال داردكه] قائلان: أين مذهب [تناسخ داشته باشند ونزد ايشان آنست كه هركه مى ميرد روح أو بجسد ديكر تعلق ميكيرد وهم دردنيا ظهور ميكند تا ديكر بميرد وديكر باز آيد وازشا كمونى كه

برعم ايشان بيغمبر ست نقل كرده اندكه كفت من خودرا هزار وهفتصد قالب ديده ام].

قال الراغب: القائلون بالتناسخ قوم ينكرون البعث على ما أثبتته الشريعة، ويزعمون أن الأرواح تنتقل من الأجساد على التأبيد؛ أي: إلى الأجساد أخر. وفي «التعريفات»: التناسخ عبارة عن تعلق الروح بالبدن بعد المفارقة من بدن آخر من غير تخلل زمان بين التعلقين للتعشق الذاتي بين الروح والجسد. ﴿**وما يهلكنا إلا الدهر**﴾؛ أي: مرور الزمان، وهو مدة بقاء العالم من مبدأ وجوده إلى انقضائه، ثم يعبر به عن كل مدة كبيرة، وهو خلاف الزمان، فإن الزمان يقع على المدة القليلة والكثيرة.

قال في «القاموس»: الدهر الزمان الطويل والأبد الممدود، وألف سنة. والدهر عند الصوفية هو الآن الدائم، الذي هو امتداد الحضرة الإلهية، وهو باطن الزمان وبه يتجدد الأزل والأبد، وكانوا يزعمون أن المؤثر في هلاك الأنفس، هو مرور الأيام والليالي وينكرون ملك الموت وقبضه للأرواح بأمر الله. ويضيفون الحوادث إلى الدهر والزمان ويسبونه ويذمونه ويشتكون منه، كما نطقت بذلك أشعارهم، فنهى رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم عن ذلك بقوله: «لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر»؛ أي: فإن الله هو الآتي بالحوادث لا الدهر.

قال الكاشفي: [مقلب دهور ومصرف آن حضرت عزت است جبل شانه ودهوررا در هيج كار اختيارى نيست]:

دهر ترادهر يناهى ترا | حكم ترا زيبد وشاهى ترا
دور زان كار نسازد بخوذ | جرخ فلك برنفرازد بخود
اين همه فرمان ترابنده اند | درره امرتو شتابنده اند

قال بعضهم:

يا عالماً يعجب من دهره | لا تلم الدهر على غدره
فإنه مأموله آمر | قد ينتهي الدهر إلى أمره
كم كافر أمواله جمة | يزداد أضعافاً على كفره
ومؤمن ليس له درهم | يزداد إيماناً على فقره

قال في «المفردات»: قوله عليه السلام: لا تسبوا الدهر، فإن الله هو الدهر قد قيل: معناه أن الله فاعل ما يضاف إلى الدهر من الخير والشر والمسرة والمساءة، فإذا سببتم الذي تعتقدون أنه فاعل ذلك، فقد سببتموه تعالى. وقال بعضهم: الدهر الثاني في الخبر غير الأول، وإنما هو مصدر بمعنى الفاعل، ومعناه أن الله تعالى هو الدهر؛ أي: المصرف المدبر لكل ما يحدث والأول أظهر.

وفي الحديث: «قال الله لا يقل ابن آدم يا خيبة الدهر، فإني أنا الدهر أرسل الليل والنهار، فإذا شئت قبضتهما». وهذا والحديث الأول سهل على تفسير الصوفية كما سبق، فاعرف تفز. ﴿**وما لهم بذلك**﴾؛ أي: بما ذكر من اقتصار الحياة على ما في الدنيا وإسناد الحياة والموت إلى الدهر. ﴿**من علم**﴾، فأسند إلى عقل أو نقل. ومن: مزيدة لتأكيد النفي. ﴿**إن هم إلا يظنون**﴾؛ أي: ما هم إلا قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يكون لهم شيء يصح أن يتمسك به في الجملة هذا معتقدهم الفاسد في أنفسهم. وأما المؤمنون فقد أخذوا بالنصوص وسلكوا طريق اليقين وتجاوزوا عن برازخ الظن والتخمين. وأثبتوا الحشر

الصوري والمعنوي؛ أي: الحشر المحسوس والصراط المحسوس والجنة والنار المحسوستين. وكذا جمع النفوس الجزئية إلى النفس الكلية والجمع بين المعقول والمحسوس أعظم في القدرة من نعيم وعذاب محسوسين بأكل وشرب ونكاح ولباس محسوسات، وأتم في الكمال الإلٰهي ليستمر له سبحانه في كل صنف من الممكنات حكم عالم الغيب والشهادة، ويثبت حكم الاسم الظاهر والباطن في كل صنف.

وهذا معتقد الأنبياء والرسل ومؤمنيهم، فمن اعتقد كاعتقادهم نجا وإلا هلك. ومن لوازم هذا الاعتقاد والتوحيد إسناد كل حادثة إلى الله العزيز الحميد، فإنه المؤثر في الكل ولذا نهى عن سب الريح إذ هي بيد ملك، وهو بيد الله تعالى، فجميع التصرفات راجع إليه.

حكي أن الحجاج: أرسل عبد الله الثقفي إلى أنس بن مالك رضي الله عنه يطلبه، فقال: أجب أمير المؤمنين، فقال له: أذله الله. فإن العزيز من اعتز بطاعة الله، والذليل من ذل بمعصيته، ثم قام معه، فلما حضر، قال: أنت الذي تدعو علينا؟ قال: نعم. قال: ومم ذلك؟ قال: لأنك عاصٍ لربك تخالف سنة نبيك تعز أعداء الله وتذل أولياءه. فقال: أقتلك شر قتلة، فقال أنس: لو علِمت أن ذلك بيدك لعبدتك. قال: ولم ذلك؟ قال: لأن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم علمني دعاء. وقال: من دعا به كل صباح لم يكن لأحد عليه سبيل؛ أي: لم يضرّ به سم ولا سحر ولا سلطان ظالم. وقد دعوت به في صباحي. فقال الحجاج: علمنيه، فقال: معاذ الله أن أعلمه ما دمت حياً، وأنت حي، فقال الحجاج: خلوا سبيله، فقيل له: في ذلك، فقال: رأيت على عاتقيه أسدين عظيمين قد فتحا أفواههما، فدل هذا على أن التأثير بيد الله القدير لا في يد السلطان والوزير. وإنما هو وهم المحجوب الناظر إلى جانب الأسباب والوسائل، ثم إن أنساً رضي الله عنه لما حضره الموت، قال لخادمه: إن لك علي حقاً، حق الخدمة، فعلمه الدعاء، وقال له: «بسم الله الرحمٰن الرحيم، بسم الله خير الأسماء، بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء». وأنس رضي الله عنه من خدام رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم خدمه عشر سنين، وانتقل إلى البصرة في خلافة عمر رضي الله عنه، وهو آخر من مات بالبصرة من الصحابة سنة إحدى وتسعين وله مائة وثلاث سنين، وهو أحد الستة المشهورين برواية الحديث.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾﴾

﴿وإذا تتلى عليهم﴾؛ أي: على منكري البعث. **﴿آياتنا﴾** الناطقة بالحق الذي من جملته البعث. **﴿بينات﴾** واضحات الدلالة على ما نطقت أو مبينات له نحو قوله تعالى: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [يس: ٧٩]. وقوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ﴾ [فصلت: ٣٩] وغير ذلك. **﴿ما كان حجتهم﴾** جواب إذا. وبه استدل أبو حيان على أن العامل في إذا ليس جوابها؛ لأن ما النافية لها صدر الكلام واعتذر عن عدم دخول الفاء في الجواب بأنها خالفت أدوات الشرط في ذلك وحجتهم بالنصب على أنه خبر كان، أي ما كان متمسكاتهم بشيء من الأشياء يعارضونها به. وبالفارسية: [نباشد حجت ايشان]. **﴿إلا أن قالوا﴾** عناداً واقتراحاً **﴿ائتوا بآبائنا﴾**: [بياريد بدران ما]. يعني: أحيوهم وابعثوهم من قبورهم. **﴿إن كنتم صادقين﴾** في أنا

نبعث بعد الموت. وقد سبق في سورة الدخان؛ أي: إلا هذا القول الباطل الذي يستحيل أن يكون من قبيل الحجة؛ لأنها إنما تطلق على الدليل القطعي وتسميته حجة إما لسوقهم إياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم، أو لتنزيل التقابل منزلة التناسب للمبالغة، فأطلق اسم الحجة على ما ليس بحجة من قبيل (تحية بينهم ضرب وجيع)؛ أي: سماه حجة لبيان أنهم لا حجة لهم البتة؛ لأن من كانت حجته هذا لا يكون له حجة البتة، كما أن من ابتدأ بالضرب الوجيع في أول التلاقي لا يكون بينهم تحية البتة، ولا يقصد بهذا الأسلوب إلا هذا المعنى؛ كأنه قيل: ما كان حجتهم إلا ما ليس بحجة.

﴿قل الله يحييكم﴾ ابتداء **﴿ثم يميتكم﴾** عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من أنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر. **﴿ثم يجمعكم﴾** بعد البعث منتهين **﴿إلى يوم القيامة﴾** للجزاء. **﴿لا ريب فيه﴾**؛ أي: في جمعكم، فإن من قدر على البدء قدر على الإعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لا محالة والوعد المصدق بالمعجزات دل على وقوعها حتماً، والإتيان بآبائهم حيث كان مزاحماً للحكمة التشريعية امتنع إيقاعه.

قال الكاشفي: [إحياء موتى موقتست بوقتى خاص بروجهى كه مقتضاى حكمت است بس اكر وقت اقتراح وجود نكيرد حمل بر عجز نبا يد كرد]. وقد سبق منا تعليله بغير هذا الوجه في سورة الدخان فارجع. **﴿ولكن أكثر الناس لا يعلمون﴾** ذلك استدراك من قوله تعالى: **﴿لا ريب فيه﴾** بأن فيه شائبة ريب ما. وفيه إشارة إلى أن الله يحييكم بالحياة الإنسانية، ثم يميتكم عن صفة الإنسانية الحيوانية ثم يجمعكم بالحياة الربانية إلى يوم القيامة، وهي النشأة الأخرى لا ريب في هذا عند أهل النظر، ولكن أكثر الناس لا يعلمون لأنهم أهل النسيان والغفلة:

وفي الجهل قبل الموت موت لأهله   وأجسامهم قبل القبور قبور
وإن امرأ لم يحيا بالعلم ميت   وليس له حين النشور نشور

وفي الحديث: «أنتم على بينة من ربكم ما لم تظهر منكم سكرتان سكرة الجهل وسكرة حب الدنيا»، فعلى العاقل أن يتنبه، ويكون على يقين من ربه ويصدق الكتاب فيما نطق به، ولصعوبة الإيمان بالغيب وقع أكثر الناس في ورطة التكذيب ولانغلاق أبواب البرزخ والمعاد كثر الرد والإنكار.

حكي: أن الشيخ الإمام مفتي الأنام عز الدين بن عبد السلام سئل بعد موته في منام رآه السائل ما تقول فيما كنت تنكر من وصول ما يهدى من قراءة القرآن للموتى، فقال: هيهات وجدت الأمر بخلاف ما كنت أظن، فالله تعالى قادر على كل شيء: [نقلست كه بير خراسان أحمد حربى قدس سره همساية كبرداشت بهرام نام مكرش يكى بتجارت فرستاده بود در رآه آن مال برده بودند مال بسيار بودآن خبر بشيخ أحمد رسانيد ند يارانرا كفت اين همسايه مارا جنين كار افتاده است بر خيزند تابرويم واوراغم خواركى كنيم اكرجه كبراست همسايه است جون بدر سراى اورسيدند واورا ديدند آتشى مى سوخته ومتوجه كشته بهرام برخاست واستقبال كرد وبوسه برآستين شيخ داد واعزاز واكرام نمود ودر بند آن شدكه سفره بنهد بنداشت كه مكر از بهر جيزى خوردن آمده أندكه قحط بود شيخ احمد كفت خاطر فارغ داركه مابغم خواركى توآمده ايم كه شنيده ايم دزدان مال توبرده اند بهرام كفت مراسه شكر واجب است يكى آنكه

ديكران ازمن بردند ومن از ديكران نبردم دوم آنكه يك نيمه برده اندونيمة ديكر بامنست سوم آنكه دين بامنست دنيا خود آيد ورود. هنر بايد وفضل ودين وكمال. كه كاه آيدوكه رود جاه ومال احمد كفت ازين سخن توبوى آشنايى مى آيد بس شيخ كفت اى بهرام جرا آتش رامى برستى كفت تافردا مارا نسوزد وبا من بى وفايى نكندكه جندين هيزم درخورد او داده ام تامرا بخداى رساند شيخ كفت غلط كرده كه آتش ضعيف است وجاهل وبى وفاست هر حسابى كه ازو بر كرفته باطلست اكر طفلى باره آب بروريزد يا مشتى خاك برو افكنداو از خود دفع نكند، وبميرد از ضعف كسى كه جنين ضعيف بودتر ابجنان قوى جكونه تواند رسانيد كسى قوت ندارد كه بارة خاك رادفع كند تراواسطه جون بود حق تعالى راديكر نادانست اكر مشك واكر نجاست درو اندازى هردور ابسوز دونداندكه يكى بهترست وازهيزم تاعود فرق نكند وبى وفاست اينك هفتاد سالست تو آتش مى برستى ومن هركز نيرستيده ام بيا تاهر دودست درآتش كنيم تاتو مشاهده كنى كه هر دور ابسوزد ووفانكند كبررا سخن او خوش آمد وكفت تراجهار مسألة برسم اكر جواب دهى ايمان آورم احمد كفت بكو كفت خداى تعالى خلق راجرا آفريدو جون آفريد جرا رزق داد وجون رزق داد جرا ميرانيد وجون ميرانيد جرا برانكيزد احمد كفت آفريد تااورا شناسند ورزق دادتا اورا برازقى بداند وميرانيد تا اورا بقهارى شناسند وزنده كردانيد تااورا بقادرى بدانند بهرام كبرجون اين سخن راشنود بى خود انكشت بر آوردو شهادت برزبان راند جون شيح ديد نعرة زد وبيهوش شد جون بهواش آمد بهرام كفت يا شيخ سبب نعرة زدن وبيهوش شدن جه بود كفت درين ساعت كه توانكشت بر داشتى بدر ونم خطاب كردند كه هان اى احمد بهرام كبر راكه هفتاد سال در كبرى كذشت ايمان آورد تا تراكه هفتاد سال در مسلمانى كذشت عاقبت جه خواهد آورد].

ومن الله العصمة والتوفيق لمرضاته والاستبصار بآياته وبيناته.

﴿وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً ۚ كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿ولله ملك السماوات والأرض﴾؛ أي: الملك المطلق والتصرف الكلي فيهما وفيما بينهما مخصوص بالله تعالى، وهو تعميم للقدرة بعد تخصيصها. **﴿ويوم تقوم الساعة يومئذ يخسر المبطلون﴾** العامل في يوم يخسر ويومئذٍ بدل منه. قال العلامة التفتازاني: مثل هذا بالتأكيد أشبه وأنى يتأتى أن هذا مقصود بالنسبة دون الأول، قلت: اليوم في البدل بمعنى الوقت.

والمعنى: وقت إذ تقوم الساعة ويحشر الموتى فيه، وهو جزء من يوم تقوم الساعة، فإنه يوم متسع مبدؤه من النفخة الأولى، فهو بدل البعض والعائد مقدر، ولما كان ظهور خسرهم وقت حشرهم يكون هو المقصود بالنسبة. كذا في «حواشي سعدي المفتي»، يقال: أبطل جاء بالباطل. وقال شيئاً لا حقيقة له. والمراد الذين يبطلون الحق ويكذبون بالبعث ومعنى يخسر المبطلون يظهر خسرانهم ثمة. وبالفارسية: [زيان كنند تباه كاران وزيان ايشان آن بودكه بدوزخ باز كزدند].

قال في «الكبير» إن الحياة والعقل والصحة؛ كأنها رأس المال والتصرف فيها لطلب

سعادة الآخرة يجري مجرى تصرف التاجر في رأس المال لطلب الربح والكفار قد أتعبوا أنفسهم في طلب الدنيا، فخسروا ربح الآخرة. وفيه إشارة إلى إبطال الاستعداد الفطري (ع) على نفسه فليبك من ضاع عمره.

﴿وترى﴾ رؤية عين ﴿كل أمة﴾ من الأمم المجموعة ومؤمنيهم وكافريهم حال كونها ﴿جاثية﴾ باركة على الركب من هول ذلك اليوم غير مطمئنة؛ لأنها خائفة فلا تطمئن في جلستها عند السؤال والحساب يقال: جثا يجثو ويجثي جثواً وجثياً بضمهما جلس على ركبتيه. أو قام على أطراف أصابعه.

وعن ابن عباس رضي الله عنه: جاثية؛ أي: مجتمعة بمعنى أن كل أمة لا تختلط بأمة أخرى، يقال: جثوت الإبل وجثيتها جمعتها. والجثوة بالضم الشيء المجتمع، فإن قيل الجثو على الركب إنما يليق بالكافرين، فإن المؤمنين لا خوف عليهم يوم القيامة، فالجواب أن الآمن قد يشارك المبطل في مثل هذا إلى أن يظهر كونه محقاً مستحقاً للأمن. قال كعب لعمر أمير المؤمنين رضي الله عنه: إن جهنم تزفر زفرة يوم القيامة، فلا يبقى ملك مقرب ولا نبي مرسل إلا جثا على ركبتيه حتى يقول خليل الرحمٰن عليه السلام: يا رب لا أسألك اليوم إلا نفسي.

قال الشيخ سعدي:

دران روز كز فعل برسند وقول اولو العزم راتن بلرزد زهول
بجايى كه دهشت خورد انبيا تو عذر كنه راجه دارى بيا

﴿كل أمة﴾ كرر كل أمة؛ لأنه موضع الإغلاظ والوعيد. ﴿تدعى إلى كتابها﴾ أي إلى صحيفة أعمالها فالإضافة مجازية للملابسة؛ لأن أعمالهم مثبتة فيه. وفيه إشارة إلى عجز العباد وأن لا حول ولا قوة لهم فيما كتب الله لهم في الأزل وأنهم لا يصيبهم في الدنيا والآخرة، إلا ما كتب الله لهم على مقتضى أعيانهم الثابتة، فلا يجرون في الأفعال إلا على القضاء.

قال الحافظ:

درين جمن نكنم سرزنش بخود رويى جنانكه برور شم ميد هند ميرويم

﴿اليوم﴾: معمول لقوله: ﴿تجزون ما كنتم تعملون﴾؛ أي: يقال لهم ذلك، فمن كان عمله الإيمان جزاه الله بالجنة، ومن كان عمله الشرك والكفر جزاه بالنار، كما قال النبي عليه السلام «إذا كان يوم القيامة جاء الإيمان والشرك فيجثيان بين يدي الرب تعالى، فيقول الله للإيمان انطلق أنت وأهلك إلى الجنة، ويقول للشرك: انطلق أنت وأهلك إلى النار».

﴿هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيۡكُم بِٱلۡحَقِّۚ إِنَّا كُنَّا نَسۡتَنسِخُ مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ﴿٢٩﴾ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿هذا كتابنا﴾ إلخ من تمام ما يقال حينئذٍ، وحيث كان كتاب كل أمة مكتوباً بأمر الله أضيف إلى نون العظمة تفخيماً لشأنه وتهويلاً لأمره، وإلا فالظاهر أن يضاف إلى الأمة بأن يقال: كتابها كما فيما قبلها. ﴿ينطق عليكم﴾؛ أي: يشهد عليكم. ﴿بالحق﴾؛ أي: من غير زيادة ولا نقص. والجملة خبر آخر لهذا وبالحق حال من فاعل ينطق. ﴿إنا كنا نستنسخ﴾ إلخ تعليل لنطقه عليهم بأعمالهم من غير إخلال بشيء منها؛ أي: كنا فيما قبل نستكتب الملائكة. ﴿ما كنتم تعملون﴾ في الدنيا من الأعمال حسنة كانت أو سيئة صغيرة أو كبيرة؛ أي: نأمر

الملائكة بكتب أعمالكم وإثباتها عليكم؛ لأن السين للطلب والنسخ في الأصل هو النقل من أصل، كما ينسخ كتاب من كتاب، لكن قد يستعمل للكتبة ابتداء.

وقال بعضهم: ما من صباح ولا مساء إلا وينزل فيه ملك من عند إسرافيل إلى كاتب أعمال كل إنسان ينسخ عمله الذي يعمله في يومه وليلته، وما هو لاق فيها كما قال عليه السلام: أول ما خلق الله القلم وكتب ما يكون في الدنيا من عمل معمول بر أو فجور وأحصاه في الذكر واقرؤوا: **﴿إنا كنا نستنسخ ما كنتم تعملون﴾**، فهل يكون النسخ إلا من شيء قد فرغ منه.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: إن الله وكل ملائكة يستنسخون من ذلك الكتاب المكتوب عنده كل عام في شهر رمضان ما يكون في الأرض من حدث إلى مثلها من السنة المقبلة فيعارضون به حفظة الله على عباده كل عشية خميس فيجدون ما رفع الحفظة موافقاً لما في كتابهم. ذلك ليس فيه زيادة ولا نقصان، فإذا أفني الورق مما قدر وانقطع الأمر وانقضى الأجل أتت الحفظة الخزنة، فيطلبون عمل ذلك اليوم، فتقول لهم الخزنة: ما نجد لصاحبكم عندنا شيئاً، فترجع الحفظة فيجدونه قد مات. ثم قال ابن عباس رضي الله عنهما: ألستم قوماً عرباً؟ هل يكون الاستنساخ إلا من أصل، وهو اللوح المحفوظ من التغير والتبدل والزيادة والنقصان على ما عليه كان مما كتبه القلم الأعلى، وفيه دليل على أن الحفظة يعلمون ما يقع في ذلك اليوم من العبد، ويفعله قبل أن يفعله، فإن قلت: إذا علمت الحفظة أعمال العبد من اللوح المحفوظ، فما فائدة ملازمتهم العبيد وكتابتهم أعمالهم قلت: إلزام الحجة لا يحصل إلا بشهودهم فعل العبد في وقته المخصوص وكتابتهم على ما وقع.

قال بعضهم: إن الحفظة يكتبون جميع ما يكون من العبد يقابلونه بما في أم الكتاب فما فيه ثواب وعقاب أثبت، وما لم يكن فيه ثواب ولا عقاب محي. وذلك قوله تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ﴾ [الرعد: ٣٩]، فعلى العبد أن يتدارك الحال قبل حلول الآجال، فإنه سوف ينفذ العمر وينقلب الأمر.

قال الشيخ سعدي:

دريغست فرموده ديوزشت	كه دست ملك برتو خواهد نوشت
روا داری از جهل ونایاکیت	كه باكان نويسند نايا كيت
طريقى بدست آر وصلحى بجوى	شفيعى برانكيز وعذرى بكوى
كه يك لحظه صورت نه بندداماں	جو بيمانه برشد بدور زمان

جعلنا الله وإياكم من المسارعين إلى أسباب رضاه والمسابقين إلى قبول أمره وهداه.

﴿فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ من الأمم؛ لأنه تفصيل لما قبله: **﴿فيدخلهم ربهم في رحمته﴾**؛ أي: في جنته؛ لأن الدخول حقيقة في الجنة دون غيرها من أقسام الرحمة، فهو تسمية الشيء باسم حاله يعني: لما كانت الجنة محل الرحمة أطلق عليها الرحمة بطريق المجاز المرسل. **﴿ذلك﴾** الذي ذكر من الإدخال في رحمته تعالى.

﴿هو الفوز المبين﴾: الظاهر كونه فوزاً إلا فوز وراءه. يقول الفقير: وما الفوز العظيم؟ فهو دخول جنة القلب ولقاؤه تعالى في الدنيا والآخرة، ولكن لما كان هذا الفوز غير ظاهر بالنسبة إلى العامة، وكان الظاهر عندهم الفوز بالجنة قيل: هو الفوز المبين، وإن اشتمل الفوز المبين على الفوزالعظيم؛ لأن الجنة محل أنواع الرحمة.

﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمۡ تَكُنۡ ءَايَٰتِي تُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ فَٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ وَكُنتُمۡ قَوۡمٗا مُّجۡرِمِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيۡبَ فِيهَا قُلۡتُم مَّا نَدۡرِي مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنّٗا وَمَا نَحۡنُ بِمُسۡتَيۡقِنِينَ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿وأما الذين كفروا أفلم تكن آياتي تتلى عليكم﴾؛ أي: فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع ألم تكن تأتيكم رسلي؟ أفلم تكن آياتي تتلى عليكم، فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه.

﴿فاستكبرتم﴾ عن الإيمان به. **﴿وكنتم قوماً مجرمين﴾**؛ أي: قوماً عادتهم الإجرام. قال الشيخ السمرقندي في «بحر العلوم»، فإن قلت: أهذه الآية تشمل الذي في أقاصي الروم والترك والهند من الذين لم تبلغهم الدعوة، ولم يتل عليهم شيء من آيات الله؟ وهم أكثر عدداً من رمال الدهناء. وما قولك فيهم؟ قلت: لا بل الظاهر عندي بحكم الآية أن هؤلاء معذورون مغفورون شملتهم رحمة الله الواسعة، بل أقول: تشمل كل من مات في الفترة، وكل أحمق وهرم وكل أصم أبكم.

قال أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: «أربعة كلهم نزل على الله بحجة وعذر: رجل مات في الفترة، ورجل أدرك الإسلام هرماً، ورجل أصم أبكم معتوه، ورجل أحمق». فاستوسع أيها السائل رحمة الله، فإن صاحب الشرع هو الذي استوسع رحمة الله تعالى قبلنا، ولم يضيق على عباده ولا تشغل بالتكفير والتضليل لسانك وقلبك كطائفة بضاعتهم مجرد الفقه يخوضون في تكفير الناس وتضليلهم، وطائفة من المتكلمين كفروا عوام المسلمين، وزعموا وقد كذبوا وفي غمرتهم عمهوا أن من لم يعرف العقائد الشرعية بأدلتنا المحررة في كتبنا، فهو كافر، فأولئك عليهم العويل والنياحة أيام حياتهم ومماتهم حيث ضيقوا رحمة الله الواسعة على عباده، وجعلوا الجنة حصراً ووقفاً على طائفة الفقهاء وشرذمة المتكلمين، وكفروا وضللوا الذين هم براء من الكفر والضلالة، وقد ذهلوا أو جهلوا بقول النبي عليه السلام أمتي كلها في الجنة إلا الزنادقة».

وقد روي أيضاً: «الهالك منها واحدة»، ويقول عبد الله بن مسعود وأبو هريرة وعبد الله بن عمر رضي الله عنهم ليأتين على جهنم زمان ليس فيها أحد بعد ما يلبثون فيها أحقاباً، وبما قال أنس رضي الله عنه، قال النبي عليه السلام: «إذا كان يوم القيامة يغفر الله لأهل الأهواء أهواءهم وحوسب الناس بأعمالهم إلا الزنادقة، انتهى كلام السمرقندي في «تفسيره».

والزنديق هو من يقول ببقاء الدهر؛ أي: لا يؤمن بالآخرة، ولا الخالق؛ أي: لا يعتقد إلٰهاً ولا بعثاً ولا حرمة شيء من الأشياء ويعتقد أن الأموال والحرم مشتركة. وفي قبول توبته روايتان، والذي ترجح عدم قبول توبته كما في «فتاوى قارىء الهداية» وفي «الأصول» من لم تبلغه الدعوة، فهو غير مكلف بمجرد العقل، فإذا لم يعتقد إيماناً ولا كفراً كان معذوراً إذا لم يصادف مدة يتمكن فيها من التأمل والاستدلال بأن بلغ في شاهق الجبل، ومات في ساعته، وإذا أعانه الله بالتجربة وأمهله لدرك العواقب لم يكن معذوراً، وإن لم تبلغه الدعوة؛ لأن الإمهال وإدراك مدة التأمل بمنزلة دعوة الرسل في حق تنبيه القلب من نوم الغفلة، فإذا قصر في النظر لم يكن معذوراً وليس على حد الإمهال دليل يعتمد عليه، وما قيل إنه مقدر بثلاثة أيام اعتباراً بالمرتد فإنه يمهل ثلاثة أيام ليس بقوي: لأن هذه التجربة تختلف باختلاف الأشخاص؛

لأن العقول متفاوتة فرب عاقل يهتدي في زمان قليل إلى ما لا يهتدي إليه غيره في زمان طويل، فيفوض تقديره إلى الله إذ هو العالم بمقدارها في حق كل شخص، فيعفو عنه قبل إدراكها، أو يعاقبه بعد استيفائها، وعند الأشعرية إن غفل عن الاعتقاد حتى هلك، أو اعتقد الشرك، فلم تبلغه الدعوة كان معذوراً؛ لأن المعتبر عندهم هو السمع دون العقل، ومن قتل من لم تبلغه الدعوة ضمنه؛ لأن كفرهم معفو عندهم، فصاروا كالمسلمين في الضمان، وعندنا لم يضمن وإن كان قتله حراماً قبل الدعوة ضمنه؛ لأن غفلتهم عن الإيمان بعد إدراك مدة التأمل لا يكون عفواً، وكان قتلهم مثل قتل نساء أهل الحرب، فلا يضمن، ثم الجهل في دار الحرب من مسلم لم يهاجر إلينا يكون عذراً حتى لو لم يصل ولم يصم مدة، ولم تبلغ إليه الدعوة لا يجب عليه قضاؤهما؛ لأن دار الحرب ليس بمحل لشهرة أحكام الإسلام بخلاف الذمي إذا أسلم في دار الإسلام يجب عليه قضاء الصلاة، وإن لم يعلم بوجوبها؛ لأنه متمكن من السؤال عن أحكام الإسلام وترك السؤال تقصير منه، فلا يكون عذراً.

يقول الفقير: والذي تحرر من هذه التقريرات أن من لم تبلغه الدعوة، فهو على وجهين: إما أن يمهل له قدر ما يتأمل في الشواهد ويعرف التوحيد أولاً، فالثاني: معذور دون الأول، وتكفي المعرفة المجردة وإن لم يكن هناك إيمان شرعي. ولذا ورد في الخبر من مات، وهو يعرف، ولم يقل، وهو يؤمن، فدل على أن من عرف الله تعالى معرفة خالصة ليس فيها شرك نجا من النار. ومعنى الإيمان الشرعي هو المتابعة لنبي من الأنبياء عليهم السلام. وقس على هذا أحوال أهل الفترة، فإنهم إن لم يخلوا بالتوحيد وبالأصول كانوا معذورين، فقول من قال: ليأتين على جهنم زمان إلخ. حق فإن الطبقة العالية من جهنم التي هي مقر عصاة المؤمنين تبقى خالية بعد مرور الأحقاب، يعني: من كان في قلبه مثقال حبة من الإيمان؛ أي: معرفة الله تعالى سواء سمي ذلك إيماناً شرعياً، أم لا يخرج من النار، فإذا لم يكفر أهل المعرفة المجردة، فكيف أهل القبلة من المؤمنين بالإيمان الشرعي ما لم يدل دليل ظاهر أو خفي على كفره.

قال المولى الجامي في سلسلة الذهب:

هركه شد زاهل قبله برتوبديد ... كه به آورده نبي كرويد
كرجه صد بدعت وخطا وخلل ... بينى اورا زروى علم عمل
مكن اورا زسرزنش تكفير ... مشمارش زاهل نار سعير
وربببنى كسى زاهل اصلاح ... كه رود راه دين صباح ورواح
بيفين زاهل جنتش مشمار ... ايمن از روز آخرش مكذار
مكر آنكس كه از رسول خدا ... شد مبشر بجنة المأوى

قال الشيخ علاء الدولة في كتاب «العروة»: جميع الفرق الإسلامية أهل النجاة. والمراد من الناجية في حديث «ستفترق أمتي». إلخ الناجية بلا شفاعة.

﴿وإذا قيل إن وعد الله﴾ أن ما وعده من الأمور الآتية، فهو بمعنى الموعود. ﴿حق﴾ واقع لا محالة ﴿والساعة﴾؛ أي: القيامة التي هي أشهر ما وعده. ﴿لا ريب فيها﴾؛ أي: في وقوعها لكونها مما أخبر به الصادق، ولقيام الشواهد على وجودها. ﴿قلتم﴾ من غاية عتوكم يا منكري البعث من الكفار والزنادقة. ﴿ما ندري ما الساعة﴾؛ أي: أي شيء هي استغراباً لها. ﴿إن نظن إلا ظناً﴾؛ أي: ما نفعل فعلاً إلا ظناً فإن ظاهره استثناء الشيء من نفسه.

وفي «فتح الرحمٰن»؛ أي: لا اعتقاد لنا إلا الشك والظن أحد طرفي الشك بصفة الرجحان ويجيء بمعنى اليقين. انتهى. ومقابل الظن المطلق هو الاستيقان ولذا قال: ﴿**وما نحن بمستيقنين**﴾؛ أي: لإمكان الساعة، يعني: [مارا يقينى نيست در قيام قيامت]. ولعل هؤلاء غير القائلين: ﴿مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾ [الجاثية: ٢٤]، فمنهم من يقطع بنفي البعث والقيامة، وهم المذكورون في الآية الأولى. ومنهم: من يشك لكثرة ما سمعوه من الرسول عليه السلام من دلائل صحة وقوعه. وهم المذكورون في هذه الآية.

قال في «التعريفات»: الظن هو الاعتقاد الراجح مع احتمال النقيض، ويستعمل في اليقين والشك. انتهى. واليقين إيقان العلم ينفي الشك والشبهة عنه نظراً واستدلالاً، ولذلك لا يوصف به علم القديم ولا العلوم الضرورية إذ لا يقال: تيقنت أن السماء فوقي، فعلى العاقل أن يرفع الشك عن الأمور التي أخبر الله بها، ويكون على يقين تام منها.

وفي المثنوي:

وعدها باشد حقيق دلبذير وعدها باشد مجازى تاسه كير

وعده أهل كرم كنج روان وعده نا اهل شد رنج روان

ولا شك أن ليس من الله أصدق قيلاً، فوعده للمؤمنين الموقنين يورث الفرح والسرور، فإنهم وإن كانوا يخافون القيامة وأهوالها لكنهم يرجون رحمة الله الواسعة، ولا يصلون إلى كمال تلك الرحمة إلا بوقوع القيامة، فإنه هو الذي توقف عليه دخول الجنة ودرجاتها ونعيمها ولليقين مراتب الأولى: علم اليقين، وهو العلم الحاصل بالإدراك الباطني بالفكر الصائب والاستدلال. وهذا للعلماء الذين يوقنون بالغيب ولا تزيد هذه المرتبة العلمية إلا بمناسبة الأرواح القدسية، فإذا بكون العلم عيناً، وهي المرتبة الثانية التي يقال لها عين اليقين، ولا مرتبة للعين إلا اليقين الحاصل، من مشاهدة المعلوم ولا تزيد هذه المرتبة إلا بزوال حجاب الاثنينية، فإذا بكون العين حقاً، وهي المرتبة الثالثة التي يقال لها: حق اليقين وزيادة هذه المرتبة عدم ورود الحجاب بعده، وعينه للأولياء حقه للأنبياء، وأما باطن حق اليقين، وهو حقيقة اليقين، فهو لنبينا عليه السلام، وهذه المراتب لا تحصل إلا بالمجاهدة مثل دوام الوضوء وقلة الأكل وكثرة الذكر والسكوت بالفكر في ملكوت السماوات والأرض وبأداء السنن والفرائض، وترك ما سوى الحق والفرض وتقليل المنام والعرض وأكل الحلال وصدق المقال، والمراقبة بقلبه إلى الله، فهذه مفاتيح المعاينة والمشاهدة، وكلها من الشريعة النبوية، فلا بد من المتابعة له في قوله وفعله.

[بايزيد بسطامي قدس سره كفت روح من بهمه ملكوت بر كذشت وبهشت ودوزخ بد ونمود وبجيزى التفات نكرد وبجان هيج بيغمبر نرسيد الإسلام كردجون بروح باك مصطفى عليه السلام رسيدم آنجاصد هزاران درياى آتشين ديدم بى نهايت وهزاران حجاب ازنور ديدم اكر باول دريا قدم نهادمى بسوختمى لا جرم زان هيبت جنان مدهوش شدم كه هيج نماندم با آنكه بحق رسيدم زهره نداشتم بمحمد عليه السلام رسيدن يعنى هركس بقدر خويش بخدا تواند رسيدكه حق باهمه است اما محمد عليه السلام دربيش شان درصدر خاص است تالاجرم وادى لا إلٰه إلا الله قطع نكنى بوادى محمد رسول الله نتوانى رسيد وبحقيقت هرد ووادى يك انديس بايزيد كفت الهي هرجه ديدم همه من بوسم بامن بتوراه نيست وازخودى خود مرادر مكذارى

مراجه بايدكرد فرمان آمد كه يا أبا يزيد خلاصى توازثوبى نواتدر متابعت دوست ما محمد عليه السلام بسته است ديده را بخاك قدم او اكتحال كن وبر متابعت أو مداومت نماى].

فظهر أنه كلما كان التصديق أقوى والمتابعة أوفر كان القرب أكثر، ومن هذا عرف حال الكفار وأهل الإنكار في البعد والفراق نعوذ بالله الخلاق.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿**وبدا لهم**﴾؛ أي: ظهر للكفار في الآخرة. ﴿**سيئات ما عملوا**﴾ من إضافة الصفة إلى موصوفها؛ أي: أعمالهم السيئة على ما هي عليه من الصورة المنكرة الهائلة، وعاينوا وخامة عاقبتها. والمراد الشرك والمعاصي التي كانت تميل إليها الطبائع والنفوس وتشتهيها وتستحسنها، ثم تظهر يوم القيامة في الصور القبيحة، فالحرام في صورة الخنزير، والحرص في صورة الفأرة والنملة والشهوة في صورة الحمار والعصفور والغضب في صورة الفهد والأسد والكبر في صورة النمر والبخل في صورة الكلب والحقد في صورة الجمل والأذية بلسانه في صورة الحية وشره الطعام والشراب، والمنام في صورة الجاموس والبقر والعجب في صورة الدب واللواطة في صورة الفيل والحيلة في صورة الثعلب وسرقة الليل في صورة الدلق، وابن عرس والرباء والدعوى في صورة الغراب، والعقعق والبومة واللهو بالملاهي في صورة الديك، والفكر بلا قاعدة في صورة القمل والبرغوث والنوح في صورة ما يقال بالفارسية: [شغال].

والعلم بلا عمل كالشجرة اليابسة والرجوع من الطريقة الحقة في صورة تحول الوجه إلى القفا إلى غير ذلك من الصور المتنوعة بحسب الأعمال المختلفة، فكل ما أثمر لهم في الآخرة إنما هو في زرع زرعوه في مزرعة الدنيا بأعمالهم السيئة، ويجوز أن يراد بسيئات ما عملوا جزاؤها، فإن جزاء السيئة سيئة، فسميت باسم سببها. ﴿**وحاق بهم**﴾ أحاط ونزل.

قال أبو حيان: لا يستعمل إلا في المكروه. يقال: حاق به يحيق حيقاً وحيوقاً وحيقاناً، أحاط به كأحاق والحيق ما يشتمل على الإنسان من مكروه فعله. ﴿**ما كانوا به يستهزئون**﴾ من الجزاء والعقاب.

﴿**وقيل**﴾ من جانب الحق ﴿**اليوم**﴾، وهو يوم القيامة ﴿**ننساكم**﴾ نترككم في العذاب ترك المنسي، ففي ضمير الخطاب استعارة بالكناية بتشبيههم بالأمر المنسي في تركهم في العذاب وعدم المبالاة بهم وقرينتها النسيان. ﴿**كما نسيتم**﴾ في الدنيا ﴿**لقاء يومكم هذا**﴾؛ أي: كما تركتم عدته، ولم تبالوا بها، وهي الإيمان والعمل الصالح وإضافة اللقاء إلى اليوم إضافة المصدر إلى ظرفه؛ أي: نسيتم لقاء الله وجزاءه في يومكم هذا فأجري اليوم مجرى المفعول به، وجعل ملقياً. وفيه إشارة إلى أنهم زرعوا في مزرعة الدنيا بذر النسيان فأثمرهم في الآخرة ثمرة النسيان:

اكر بدكنى جشم نيكى مدار ... كه هركز نيارد كز انكوربار
درخت زقوم اربجان بروری ... مبندار هركز كز وبر خوری
رطب ناورد جوب خرز هره بار ... جه تخم افكنى برهمان جشم دار

﴿**ومأواكم النار**﴾ ومرجعكم ومكانكم جهنم. وبالفارسية: [وجايكاه شما آتش است].

لأنها مأوى من نسينا، كما الجنة مأوى من ذكرنا. ﴿وما لكم من ناصرين﴾؛ أي: ما لأحد منكم ناصر واحد يخلصكم منها.

﴿ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ۚ فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾﴾.

﴿ذلكم﴾ لعذاب ﴿بأنكم﴾؛ أي: بسبب أنكم ﴿اتخذتم آيات الله هزواً﴾؛ أي: مهزواً بها، ولم ترفعوا لها رأساً بالتفكر والقبول. ﴿وغرتكم الحياة الدنيا﴾، فحسبتم أن لا حياة سواها:

نوشته اندبر ايوان جنة المأوى ... كه هركه عشوه دنيا خريد واى بوى

﴿فاليوم لا يخرجون منها﴾؛ أي: من النار والتفات إلى الغيبة للإيذان بإسقاطهم عن رتبة الخطاب استهانة بهم أو بنقلهم من مقام الخطاب إلى غيابة النار. ﴿ولا هم يستعتبون﴾؛ أي: يطلب منهم أن يعتبوا ربهم؛ أي: يرضوه بالطاعة لفوات أوانه. وفيه إشارة إلى أن الله تعالى أظهر على مخلصي عباده بعض آياته، فلما رآها أهل الإنكار اتخذوها هزواً على ما هو عادتهم في كل زمان وغرتهم الحياة الدنيا إذ ما قبلوا وصية الله إذ قال: ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ [لقمان: ٣٣]، فاليوم لا يخرجون من نار القهر الإلهي؛ لأنهم دخلوا فيها على قدمي الحرص والشهوات، ولا هم يستعتبون في الرجوع إلى الجنة على قدمي الإيمان والعمل الصالح.

﴿فللّه الحمد﴾ خاصة ﴿رب السماوات ورب الأرض رب العالمين﴾ كلها من الأرواح والأجسام والذوات والصفات، فلا يستحق الحمد أحد سواه وتكرير الرب للتأكيد والإيذان بأن ربيته تعالى لكل منها بطريق الأصالة.

﴿وله الكبرياء في السماوات والأرض﴾؛ أي: العظمة والقدرة والسلطان والعز لظهور آثارها وأحكامها فيهما وإظهارهما في موقع الإضمار لتفخيم شأن الكبرياء. ﴿وهو العزيز﴾ الذي لا يغلب. ﴿الحكيم﴾ في كل ما قضى وقدر، فاحمدوه؛ أي: لأن له الحمد وكبروه؛ أي: لأن له الكبرياء وأطيعوه؛ أي: لأنه غالب على كل شيء. وفي كل صنعه حكمة جليلة.

وفي الحديث: «إن لله ثلاثة أثواب اتزر بالعزة وارتدى بالكبرياء وتسربل بالرحمة، فمن تعزز بغير الله أذله الله» فذلك الذي يقول الله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾﴾ [الدخان: ٤٩]. ومن تكبر فقد نازع الله، إن الله تعالى يقول: لا ينبغي لمن نازعني أن أدخله الجنة، ومن يرحم الناس يرحمه الله، فذلك الذي سربله الله سرباله الذي ينبغي له.

وفي الحديث القدسي يقول الله: «الكبرياء ردائي والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما ألقيته في جهنم، فللعبد أن يتخلق بأخلاق الحق تعالى، ولكنه محال أن يتخلق بهذين الخلقين؛ لأنهما أزليان أبديان لا يتطرق إليهما التغير. وفي خلق العبد تغيير، وله بداية ونهاية، وله مبدىء ومعيد.

قال بعض الكبار: وصف الحق سبحانه وتعالى نفسه بالإزار والرداء دون القميص والسراويل؛ لأن الأولين غير مخطيين، وإن كانا منسوجين فهما إلى البساطة أقرب والثانيين مخيطان، ففيهما تركيب، ولهذا السر حرم المخيط على الرجل في الإحرام دون المرأة؛ لأن

الرجل وإن كان خلق من مركب فهو إلى البساطة أقرب، وأما المرأة فقد خلقت من مركب محقق هو للرجل، فبعدت عن البسائط والمخيط تركيب، فقيل للمرأة أبقي على أصلك لا تلحقي الرجل. وقيل للرجل: ارتفع عن تركيبك.

وفي تقديم الحمد على الكبرياء إشارة إلى أن الحامدين إذا حمدوه وجب أن يعرفوا أنه أعلى وأكبر من أن يكون الحمد الذي ذكروه لائقاً بإنعامه، بل هو أكبر من حمد الحامدين وأياديه أجل من شكر الشاكرين.

قال بعض العارفين: اعلم أن التكبير تنزيه ربك عن قيد الجهات والتحولات المختلفة، وعن قيد التعينات العلمية والاعتقادية المتنوعة بحسب المراتب. وعن سائر أحكام الحصر ما ظهر من ذلك المذكور وما بطن مما لا يتحقق بمعرفته إلا من عرف سر العبادات المشروعة وسر التوجهات الكونية إلى الحضرة الربانية، فمعنى كل تكبير صلاتي الله أكبر من أن يتقيد بهذه التحولات العبادية، والمراتب والتعينات الكونية.

وقال شيخ الإسلام: [خواهر زاده]: معنى الله أكبر؛ أي: من يؤدي حقه بهذا القدر من الطاعة، بل حقه الأعلى، كما قالت الملائكة: ما عبدناك حق عبادتك. وفي «جامع المضمرات»: ليس المعنى على أنه أكبر من غيره حتى يقال: أكبر منه، بل كل ما سواه، فهو نور من أنوار قدرته كما حكي أنه عطس رجل عند الجنيد، فقال: الحمد لله، فقال الجنيد: الحمد لله رب العالمين، موافقاً للقرآن، فقال الرجل: وهل للعالم وجود حتى يذكر مع الله، فمعنى الله أكبر؛ أي: أكبر من أن يناله الحواس ويدرك جلاله بالعقل والقياس، بل أكبر من أن يدرك كنه جلاله غيره، بل أكبر من أن يعرفه، فإنه لا يعرف الله إلا الله.

قال بعض الفضلاء: الصحيح ما عليه المحققون من أن اسم التفضيل إذا أطلق على الله تعالى فهو بمنزلة المعرف باللام في المعنى، فهو بمعنى الله هو الأكبر ولا يسوغ فيه تقدير من فإنه حينئذٍ يقتضي أن يشاركه غيره في أصل الكبرياء، وهو سبحانه منزه عن أن يشاركه غيره في شيء من صفاته، كيف يتصور ذلك؟ ولا كبرياء في غيره تعالى، بل شعار ما سواه كمال الصغار والاحتياج إلى جنابه تعالى فضلاً عن الاتصاف بالكبرياء والعظمة والكبر في حق ما سواه من أسوء الأخلاق الذميمة وتعالى الله أن يشاركه غيره في صفة هي كمال لخلقه تعالى فضلاً عن صفة هي ذميمة لهم، بل اسم التفضيل في حقه تعالى دال على زيادة المبالغة والكمال المطلق الذي لا يتصور أن يشاركه فيه أحد مما سواه. انتهى.

وكان عليه السلام: يزيد في تكبيرات صلاة العيدين، فتارة يجعل الزوائد ستاً وأخرى أكثر، وسره أن العرب يجتمعون في الأعياد من القبائل ويزاحمون على مطالعة جماله ويعظمونه أشد التعظيم، فكان ينفي الكبرياء عن نفسه فيثبتها لله تعالى بما يحصل له كمال الاطمئنان من الأعداد.

قال في «كشف الأسرار»: [بسمع عمر بن عبد العزيز رسانيد ندكه بسرتو انكشترى ساخته است ونكينى بهزار درم خريد وبروى نشانده نامه نوشته بوى كه اى بسر شنيدم كه انكشترى ساخته ونكينى بهزاردرم خريده ودروى نشانده اكر رضاى من ميخواهى آن نكين بفروش وازبهاى آن هزار كرسنه راطعام ده واز باره سيم خودرا انكشترى ساز وبر آن نقش كن كه:

رحم الله امرأً عرف قدر نفسه:

زيرا كبربا صفت خداوند ذي الجلالست مـــرورا ســـزد كـــبـــريـــا ومـــنـــى
كه ملكش قديمست وذاتش غنى يـكـى رابـسـر بـر نـهـد تـاج بـخـت
يـكـى رابـخـاك انـدر آرد زتـخـت بـتـهـديـد اكـر بـر كـشـد تـيـغ حـكـم
بـمـا نـنـدكـر وبـيـان صـم وبـكـم بـدر كـاه لـطـف وبـز ركـيـش بـر
بـزركـان نـهـاده بـزركـى زسـر بـدرد يـقـيـن بـردهـاى خـيـال
نـمـانـد سـرا بـرده الاجـلال

أي: لا يبقى من الحجب إلا حجاب العظمة ورداء الكبرياء، فإنه لا يرتفع أبداً، وإلا لتلاشى وجود الإنسان، والتحق بالعدم في ذلك الآن، فاعرف هذا بالذوق والوجدان.

تمت سورة الجاثية في الرابع عشر من شهر رمضان المنتظم
في سلك شهور سنة ثلاث عشرة ومائة وألف

٤٦ ـ سورة الأحقاف

أربع أو خمس وثلاثون آية مكية

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ۝٢ مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَمَا بَيۡنَهُمَآ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَأَجَلٖ مُّسَمّٗىۚ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَمَّآ أُنذِرُواْ مُعۡرِضُونَ ۝٣﴾.

﴿حم﴾؛ أي: هذه السورة مسماة بـ **﴿حم﴾**. وقال بعضهم: الحاء إشارة إلى حماية أهل التوحيد. والميم إلى مرضاته منهم مع المزيد، وهو النظر إلى وجهه الكريم. وقال بعضهم: معناه حميت قلوب أهل عنايتي فصنتها عن الخواطر والهواجس فلاح فيها شواهد الدين وأشرقت بنور اليقين.

يقول الفقير: فيه إشارة إلى أن القرآن حياة الموتى، كما قال أو كلم به الموتى. وكذا حياة الموتى من القلوب، فإن العلوم والمعارف والحكم حياة القلوب والأرواح والأسرار. وأيضاً إلى الأسماء الحسنى، فإن حاء وميم من حساب البسط تسعة وتسعون وأيضاً إلى الصفات السبع التي خلق الله آدم عليها، وهي الحياة والعلم والقدرة والإرادة والسمع والبصر والكلام. فالحاء حاء الحياة والميم ميم الكلام، فأشير بالأول والآخر إلى المجموع، يعني أن الله تعالى أنزل القرآن لتحصى أسماؤه الحسنى، وتعرف صفاته العليا ويتخلق بأخلاقه العظمى.

﴿تنزيل الكتاب﴾؛ أي: القرآن المشتمل على هذه السورة، وعلى سائر السور الجليلة. وبالفارسية: [فردستان كتاب بعضى از بى بعض]. وهو مبتدأ خبره قوله: **﴿من الله﴾** وما كان من الله فهو حق وصدق، فإنه قال: **﴿وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلٗا﴾** [النساء: ١٢٢] **﴿العزيز﴾** وما كان من العزيز، فهو عزيز غالب على جميع الكتب بنظمه ومعانيه، ودليل ظاهر لأرباب الظواهر والباطن.

﴿الحكيم﴾: وما كان من الحكيم، ففيه حكمة بالغة؛ لأن الله تعالى لا يفعل إلا ما فيه مصلحة كما قال: **﴿مَا خَلَقۡنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾** [الأحقاف: ٣] بما فيهما من حيث الجزئية منهما، ومن حيث الاستقرار فيهما.

﴿وما بينهما﴾ من المخلوقات كالنار والهواء والسحاب والأمطار والطيور المختلفة ونحوها. **﴿إلا﴾** خلقاً ملتبساً **﴿بالحق﴾**؛ أي: بالغرض الصحيح والحكمة البالغة، وإن جعلها مقراً للمكلفين ليعملوا، فيجازيهم يوم القيامة لا بالعبث والباطل؛ فإنه ما وجد شيء إلا لحكمة، والوجود كله كلمات الله ولكل كلمة ظهر هو الصورة وبطن هو المعنى إلى سبعة أبطن، كما ورد في الخبر «لكل حق حقيقة»، فالوجود كله حق حتى أن النطق بكلمات لا معاني لها حق، فإنها قد وجدت. والباطل هو المعنى الذي تحتها، كقول من يقول: مات زيد، ولم يمت، فإن حروف الكلمة حق، فإنها قد وجدت. والباطل هو أن زيداً مات. وهو

المعنى الذي تحتها فالدنيا حق وحقيقتها الآخرة، والبرزخ وصل بينهما وربط. ومن ها هنا يعرف قول علي رضي الله عنه: الناس نيام إذا ماتوا تيقظوا، فالرؤيا حق. وكذا ما في الخارج من تعبيرها لكن كلاً منهما خيال بالنسبة إلى الآخرة لكونه من الدنيا، وكونه خيالاً، ومن الدنيا لا ينافي كونه حقاً، وإنما ينافي كونه حقيقة.

ولذا قال يوسف الصديق عليه السلام: يا أبت هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقاً. وقال الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: إنما الكون خيال، وهو حق في الحقيقة. وفي الآية إشارة إلى أن المخلوقات كلها ما خلقت إلا لمعرفة الحق تعالى، كما قال قائل: فخلقت الخلق لأعرف.

وفي الحديث: «لو عرفتم الله حق معرفته لمشيتم على البحور ولزالت بدعائكم الجبال، ولهذه المعرفة خلقت سماوات الأرواح وأراضي النفوس، وما بينهما من العقول والقلوب والقوى. ﴿وأجل مسمى﴾ عطف على الحق بتقدير المضاف؛ أي: وبتقدير أجل معين ينتهي إليه أمور الكل، وهو يوم القيامة، وذلك لأن اقتران الخلق ليس إلا به لا بالأجل نفسه. وفيه إيذان بفناء العالم وموعظة وزجر؛ أي: فانتبهوا أيها الناس، وانظروا ما يراد بكم ولم خلقتم؟

وإشارة بأن لكل عارف أجل مسمى لمعرفته وأكثره في هذه الأمة أربعون سنة، فإنها منتهى السلوك، فلا يغتر العبد بعلمه وعرفانه، فإنه فوق كل ذي علم عليم، ولكل حد نهاية، والأمور مرهونة بأوقاتها وأزمانها. وهذا بالنسبة إلى من سلك على الفطرة الأصلية وعصم من غلبة أحكام الإمكان، وإلا فمن الناس من يجتهد سبعين سنة، ثم لا يقف دون الغاية، ثم إنه فرق بين أوائل المعرفة وأواخرها، فإن حصول أواخرها يحتاج إلى مدة طويلة بخلاف أوائلها إذ قد تحصل للبعض في أدنى مدة، بل في لحظة كما حصلت لسحرة فرعون؛ فإنهم حيث رأوا معجزة موسى عليه السلام. قالوا: آمنا برب العالمين.

وحكي: أن إبراهيم بن أدهم قدس سره لما قصد هذا الطريق لم يك إلا مقدار سيره من بلخ إلى مرو الروذ حتى صار بحيث أشار إلى رجل سقط من القنطرة في الماء الكثير هنالك، فوقف الرجل مكانه في الهواء، فتخلص وإن رابعة البصرية كانت أمة كبيرة يطاف بها في سوق البصرة، ولا يرغب فيها أحد لكبر سنها، فرحمها بعض التجار، فاشتراها بنحو مائة درهم وأعتقها، فاختارت هذا الطريق وأقبلت على العبادة، فما تمت لها سنة حتى زارها زهاد البصرة وقراؤها وعلماؤها لعظم منزلتها، فهذه من العناية القديمة والإرادة الأزلية الغير المعللة بشيء من العلل:

فيض روح القدس ارباز مدد فرمايد ديكران هم بكنند آنجه مسيحا ميكرد

قال حضرة الشيخ الأكبر قدس سره الأطهر: لم يكن يتخلص عندي أحد الجانبين في مسألة خلق الأعمال وتعسر عندي الفصل بين الكتب الذي يقول به قوم، وبين الخلق الذي يقول به قوم، فأوقفني الله تعالى بكشف بصري على خلقة المخلوق الأول الذي لم يتقدمه مخلوق، وقال: هل هنا أمر يورث اللبس والحيرة. قلت: لا يا رب، فقال لي: هكذا جميع ما نراه من المحدثات ما لأحد فيه أثر ولا شيء من المخلوق، فأنا الذي أخلق الأشياء عند الأسباب لا بالأسباب، فتكون على أمري خلقت النفخ في عيسى وخلقت التكون في الطائر.

﴿والذين كفروا﴾؛ أي: مشركو أهل مكة ﴿عما أنذروا﴾ به وخوفوا من يوم القيامة، وما

فيه من الأهوال ﴿معرضون﴾ بترك الاستعداد له بالإيمان والعمل.

وفيه إشارة إلى أن الإعراض عما أنذروا به كفر. قال الفقهاء: إذا وصف الله أحد بما لا يليق به كالإمكان والحدوث والجسمية والجهات والظلم والنوم والنسيان والتأذي ونحو ذلك، أو استهزأ باسم من أسمائه أو أمر من أوامره أو أنكر شيئاً من وعده ووعيده وما ثبت بدليل قطعي يكفر ولو زنى رجل، أو عمل عمل قوم لوط، فقال له الآخر: مكن، فقال: [كنم ونيك أرم]. فهذا كفر، ولو قيل لرجل: لا تعص الله، فإن الله يدخلك النار، فقال: [من از دوزخ نه انديشم يكفر]. ولو قيل الرجل: [بسيار مخور وبسيار مخسب أو بسيار مخد]، فقال: [جندان خورم وخسم وخندم كه خود خواهم يكفر]. لكون كل من الأكل والنوم والضحك الكثير منهياً عنه مميتاً للقلب فرد القول فيه رد للنص حقيقة.

وفي آخر «فتاوى الظهيرية»: سئل الشيخ الإمام أبو بكر محمد بن الفضل، عمن يقول: أنا لا أخاف النار، ولا أرجو الجنة، وإنما أخاف الله وأرجوه، فقال قوله: لا أخاف النار، ولا أرجو الجنة غلط، فإن الله تعالى خوف عباده بالنار بقوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ ٱلنَّارَ ٱلَّتِيٓ أُعِدَّتۡ لِلۡكَٰفِرِينَ ١٣١﴾ [آل عمران: ١٣١]، ومن قيل له: خف مما خوفك الله، فقال: لا أخاف رداً لذلك كفر، انتهى.

يقول الفقير: صرح العلماء بأن الإيمان من أجل خوف النار ورجاء الجنة لا يصح؛ لأنه إيمان غير خالص لله، فلو كان مراده من نفي الخوف والرجاء، أن إيماني ليس بمبني عليهما لم يكفر، بل أصاب حقيقة الإيمان على أن المراد من اتقاء النار في الحقيقة اتقاء الله تعالى، فإن الله هو الذي يدخله النار بمقتضى وعيده على تقدير عصيانه، فيؤول المعنى في الآية إلى قولنا: فاتقوا الله ولا تعصوه حتى لا يدخلكم النار، نعم رد ظاهر النص كفر إذا لم يقدر على الخروج عن عهدته بتأويل مطابق للشرع، ومن أكبر الذنوب أن يقول الرجل لأخيه: اتق الله، فيقول في جوابه: عليك نفسك؛ أي: الزم نفسك وأنت تأمرني بهذا.

روي: أن يهودياً قال لهارون الرشيد في سيره مع عسكره: اتق الله، فلما سمع هارون قول اليهودي نزل من فرسه، وكذا العسكر نزلوا تعظيماً لاسم الله العظيم، وجاء في كتب الأصول إذا حلف على مس السماء انعقد اليمين لتوهم البر؛ لأن السماء ممسوسة، كما قال تعالى حكاية عن الجن، ﴿وَأَنَّا لَمَسۡنَا ٱلسَّمَآءَ﴾ [الجن: ٨]، ثم يحنث ويلزمه موجب الحنث، وهو الكفارة، فيكون آثماً؛ لأن المقصود باليمين تعظيم المقسم به، وها هنا هتك حرمة الاسم. انتهى.

فعلى العاقل أن يقبل قول الناصح ويخاف من الله ويعظم اسمه حتى يكون مظهر صفات لطفه ويعرف أنه تعالى لطيف، فإذا كفر وأعرض يكون مظهر صفات قهره، فيعرف أن الله تعالى قهار نسأل الله عفوه وعطاه ولطفه الواسع ورضاه.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُم مَّا تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِۖ ٱئۡتُونِي بِكِتَٰبٖ مِّن قَبۡلِ هَٰذَآ أَوۡ أَثَٰرَةٖ مِّنۡ عِلۡمٍ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ٤ وَمَنۡ أَضَلُّ مِمَّن يَدۡعُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ مَن لَّا يَسۡتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَهُمۡ عَن دُعَآئِهِمۡ غَٰفِلُونَ ٥ وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ كَانُواْ لَهُمۡ أَعۡدَآءٗ وَكَانُواْ بِعِبَادَتِهِمۡ كَٰفِرِينَ ٦﴾.

﴿قل﴾ للكافرين توبيخاً وتبكيتاً. ﴿أرأيتم﴾: أخبروني. وبالفارسية: [خبر ميد هيد مرا]

﴿ما تدعون﴾ ؛ أي: ما تعبدون ﴿من دون الله﴾ من الأصنام والكواكب وغيرها.

﴿أروني﴾ : [بنما بيد بمن]. وهو تأكيد لأرأيتم. ﴿ماذا خلقوا من الأرض﴾ ؛ أي: كانوا آلهة وهو بيان الإبهام في ماذا؛ أي: أي جزء من أجزاء الأرض تفردوا بخلقه دون الله، فالمفعول الأول لأرأيتم قوله: ما تدعون. والثاني: ماذا خلقوا ومآله أخبروني عن حال آلهتكم. ﴿أم لهم شرك﴾ ؛ أي: شركة مع الله تعالى. ﴿في السماوات﴾ ؛ أي: في خلقها أو ملكها وتدبيرها حتى يتوهم أن يكون لهم شائبة استحقاق للعبودية، فإن ما لا مدخل له في وجود شيء من الأشياء بوجه من الوجوه، فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالكلية، وإن كانوا من الأحياء العقلاء، فما ظنكم بالجماد.

[وجون ظاهر ست كه معبودان شما عاجزاند وايشان را درزمين وآسمان تصرفى نيست بس جرا دربرستش بامن شريك مى سازيد]. فإن قلت: فما تقول في عيسى عليه السلام، فإنه كان يحيي الموتى ويخلق الطير، ويفعل ما لا يقدر عليه غيره.

قلت: هو بإقدار الله تعالى وإذنه. وذلك لا ينافي عجزه في نفسه وذكر الشرك في الجهات العلوية دون السفلية؛ أي: دون أن يعم بالأرض أيضاً؛ لأن الآثار العلوية أظهر دلالة على اختصاص الله تعالى بخلقها لعلوها وكونها مرفوعة بلا عمد وأوتاد، أو للاحتراز عما يتوهم أن للوسائط شركة في إيجاد الحوادث السفلية، يعني: لو قال أم لهم شرك في الأرض لتوهم أن للسماوات دخلاً وشركة في إيجاد الحوادث السفلية هذا على تقدير أن تكون أم منقطعة.

والأظهر أن تجعل الآية من حذف معادل، أم المتصلة لوجود دليله. والتقدير: ألهم شرك في الأرض، أم لهم شرك في السماوات؟ كما في «حواشي سعدي المفتي». ﴿ائتوني بكتاب﴾ إلخ. تبكيت لهم بتعجيزهم عن الإتيان بسند نقلي بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الإتيان بسند عقلي، والباء للتعدية؛ أي: ائتوني بكتاب إلٰهي كائن. ﴿من قبل هذا﴾ ؛ أي: الكتاب أي: القرآن الناطق بالتوحيد وإبطال الشرك دال على صحة دينكم، يعني: أن جميع الكتب السماوية ناطقة بمثل ما نطق به القرآن.

﴿أو أثارة من علم﴾ ؛ أي: بقية كائنة من علم بقيت عليكم من علوم الأولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة من قولهم: سمنت الناقة على أثارة من لحم وشحم؛ أي: على بقية لحم وشحم كانت بها من لحم وشحم ذاهب ذائب. ﴿إن كنتم صادقين﴾ في دعواكم، فإنها لا تكاد تصح ما لم يقم عليها برهان عقلي أو نقلي، وحيث لم يقم عليها شيء منهما، وقد قامت على خلافها أدلة العقل والنقل تبين بطلانها:

واحد اندر ملك اورا يارنى ... بنكانش را جزا وسالارنى
نيست خلقش راد كركس مالكى ... شركتش دعوى كند جز هالكى

وفيه إشارة إلى أن كل ما يعبد من دون الله من الهوى والشيطان وغيرهما لا يقدر على شيء في أرض النفوس وسماوات الأرواح، فإن الله هو الخالق. ومنه التأثير وبيده القلوب يقلبها كيف يشاء، فإن شاء أقامها للحق وإن شاء أزاغها للباطل، وليس لعبادة غير الله دليل من المعقول والمنقول، ولم يجوزها أحد من أولي النهى والمكاشفة، ومن ثمة اتفق العلماء من أهل الظاهر والباطن على وجوب الإخلاص حتى قالوا: الرغبة في الإيمان والطاعة لطلب

الثواب والخوف من العقاب غير مقيدة فإن فيها ملاحظة غير الله فالعبادة إنما هي لله لا للجنة ولا للنار.

﴿ومن﴾ استفهام خبره قوله: ﴿أضل﴾: [كمراه ترست]. ﴿ممن يدعو﴾ ويعبد ﴿من دون الله﴾؛ أي: حال كونه متجاوزاً دعاء الله وعبادته. ﴿من لا يستجيب له﴾: الجملة مفعول بدعواى هم أضل من كل ضلل حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير إلى عبادة مصنوعهم العاري عن السمع والقدرة والاستجابة.

يعني: [اكر مشرك معبود باطل خودرا بخواند اثر استجابت از وظاهر نخواهد شد]. ﴿إلى يوم القيامة﴾: غاية لنفي الاستجابة؛ أي: ما دامت الدنيا، فإن قيل: يلزم منه أن منتهى عدم الاستجابة يوم القيامة للإجماع على اعتبار مفهوم الغاية. قلنا: لو سلم فلا يعارض المنطوق. وقد دل قوله: ﴿وَإِذَا حُشِرَ ٱلنَّاسُ﴾ [الأحقاف: ٦] الآية على معاداتهم إياهم، فأنى الاستجابة، وقد يجاب بأن انقطاع عدم الاستجابة حينئذٍ لاقتضائه سابقة الدعاء ولا دعاء ويرده قوله تعالى: ﴿فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُواْ لَهُمْ﴾ [الكهف: ٥٢] إلا أن يخص الدعاء بما يكون عن رغبة، كما في «حواشي سعدي المفتي».

وقال ابن الشيخ: وإنما جعل ذلك غاية مع أن عدم استجابتهم أمر مستمر في الدنيا والآخرة إشعاراً بأن معاملتهم مع العابدين بعد قيام الساعة أشد وأفظع مما وقعت في الدنيا إذ يحدث هناك العداوة والتبري ونحوه، وإن عليك لعنتي إلى يوم الدين، فإن اللعنة على الشيطان، وإن كانت أبدية لكن يظهر يوم الدين أمر أفظع منها تنسى عنده؛ كأنها تنقطع. ﴿وهم﴾؛ أي: الأصنام. ﴿عن دعائهم﴾؛ أي: عن دعاء الداعين المشركين وعبادتهم، فالضمير الأول لمفعول يدعو، والثاني: لفاعله. والجمع فيهما باعتبار معنى من، كما أن الإفراد فيما سبق باعتبار لفظها. ﴿غافلون﴾ لكونهم جمادات لا يعقلون، فكيف يستجيبون. وعلى تقدير كون معبوديهم أحياء كالملائكة ونحوهم، فهم عباد مسخرون مشغولون بأحوالهم وضمائر العقلاء لإجرائهم الأصنام مجرى العقلاء ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة. والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها:

بى بهره كسى كه جشمه آب حيات بكذا رد ورونهد بسوى ظلمات

﴿وإذا حشر الناس﴾ عند قيام القيامة، والحشر الجمع كما في «القاموس».

قال الراغب: الحشر إخراج الجماعة عن مقرهم وإزعاجهم عنه إلى الحرب وغيرها، ولا يقال: إلا في الجماعة وسمي القيامة يوم الحشر، كما سمي يوم البعث ويوم النشر. ﴿كانوا﴾؛ أي: الأصنام. ﴿لهم﴾؛ أي: لعابديهم. ﴿أعداء﴾ يضرونهم ولا ينفعونهم. [خلاف آنجه كمان مى بردند بديشان ازشفاعت ومدد كارى]. ﴿وكانوا﴾؛ أي: الأصنام ﴿بعبادتهم﴾؛ أي: بعبادة عابديهم. ﴿كافرين﴾؛ أي: مكذبين بلسان الحال أو المقال على ما يروى أنه تعالى يحيي الأصنام فتتبرأ من عبادتهم وتقول: إنما عبدوا في الحقيقة أهواءهم؛ لأنها الآمرة بالإشراك، فالآية نظير ما تقدم في يونس.

وقال شركاؤهم: ما كنتم إيانا تعبدون. وفي الآية إشارة إلى النشور عن نوم الغفلة، فإنه عنده يظهر أن جميع ما سوى الله أعداء، كما قال إبراهيم الخليل عليه السلام، ﴿فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٧﴾ [الشعراء: ٧٧].

وقال: إني بريء مما تشركون: [نقلست كه ابو يزيد بسطامي قدس سره درراه حج شترى داشت زاد وذخيره خودرا وازان عديلان خودرا برآنجانهاده بودكسى كفت بيجاره آن اشترك را بار بسيارست واين ظلمى تمامست بايزيد جون اين سخن ازو بشنود كفت اى جوا نمرد بردارنده بارا شترنيست فرونكرتا بارهيج بريشت اشترهست فرونكر بست باربيك كذا ربشت اشتر بر ترديد واورا از كرانى هيج خبر نبود مرد كفت سبحان الله جه عجب كارست بايزيد كفت اكر حقيقت حال خود از شما بنهان دارم زبان ملامت دراز كنيد واكر شمارا مكشوف كردانيم طاقت نداريد باشما جه بايد كرديس جون برفت وبمدينه زيارت كرد امرش آمدكه بخدمت ما در باز كشتن بايدبا جماعتى روى به بسطام نهاد خبر در شهر افتاد همه أهل بسطام تابد ووجايى استقبال اوشدند جون نزديك اورسيدند شيخ قرصى رااز آستين بكرفت وشهر رمضان بود بخوردن يستاد جمله آن بديدند ازوى بركشتند شيخ أصحاب را كفت نديديدكه بمسئلة از شريعت كار بستم همه خلق مرارد كردند].

يقول الفقير: كان مراد أبي يزيد تنفير الناس حتى لا يشغلوه عن الله تعالى إذ كل ما يشغل السالك عن الله، فهو عدو له، ولا بد من اجتناب العدو بأي وجه كان من وجوه الحيل، فجعل الإفطار في نهار رمضان وسيلة لهذا المقصد، فإن قلت: كيف جاز له هتك حرمة الشهر بما وقع له من الإفطار في نهاره. قلت: له وجهان:

الأول: أنه لم يجد عند ملاقاتهم ما يدفعهم عنه سوى هذه الحيلة، فأفطر وكفر تحصيلاً للأمر العظيم الذي هو القبول عند الله والأنس معه على الدوام علىٰ أنه إن كان مسافراً لا كفارة عليه إذ هو مرخص في الإفطار. وبعضهم في مثل هذا المقام ارتكب أمراً بشيعاً عند العادة، وهو الأوجب عند الإمكان؛ لأنه يجب أن يكون ظاهر الشرع محفوظاً.

والوجه الثاني: أنه أفطر صورة لا حقيقة، إذ كان قادراً على الإعدام والإفناء، كما هو حال الملامية ونظيره شرب الخمر، فإنها تنقلب عسلاً عند الوصول إلى الحلقوم؛ أي: بالنسبة إلا من كان قادراً على الاستحالة بإقدار الله تعالى، لكن يعد أمثال هذا من أحوال الضعفاء دون الأقوياء من الكمل فإنهم لا يفعلون ما يخالف ظواهر الشرع جداً نسأل الله العصمة.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۖ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۖ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ ۖ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ ۖ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ ۖ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾﴾.

﴿وإذا تتلى عليهم﴾؛ أي: على الكفار. **﴿آياتنا﴾** حال كونها **﴿بينات﴾** واضحات الدلالة على مدلولاتها من حلال وحرام وحشر ونشر وغيرها.

وقال الكاشفي: [در حالتى كه ظاهر باشد دلائل إعجازان]. **﴿قال الذين كفروا للحق﴾**؛ أي: لأجله وشأنه، ويجوز أن يكون المعنى: كفروا به والتعدية باللام من حمل النقيض على النقيض، فإن الإيمان يتعدى بها كما في قوله: آمنتم له وغيره، وهو عبارة عن الآيات المتلوة وضع موضع ضميرها تنصيصاً على حقيتها ووجوب الإيمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلاً بكمال الكفر والضلالة.

﴿لما جاءهم﴾؛ أي: في أول ما جاءهم من غير تدبر وتأمل. ﴿هذا سحر مبين﴾؛ أي: ظاهر كونه سحراً وباطلاً لا حقيقة له، وإذا جعلوه سحراً، فقد أنكروا ما نطق به من البعث والحساب والجزاء، وصاروا أكفر من الحمير؛ أي: أجهل؛ لأن الكفر من الجهل والعياذ بالله.

﴿أم يقولون افتراه﴾ بل: أيقولون افترى محمد القرآن؟ أي: اختلقه وأضافه إلى الله كذباً، فقولهم: هذا منكر ومحل تعجب، فإن القرآن كلام معجز خارج عن حيز قدرة البشر، فكيف بقوله عليه السلام: ويفتريه.

واعلم أن كلاً من السحر والافتراء كفر لكن الافتراء على الله أشنع من السحر. ﴿قل إن افتريته﴾ على الفرض والتقدير. ﴿فلا تملكون لي من الله شيئاً﴾؛ أي: فلا تقدرون أن تدفعوا عني من عذاب الله شيئاً إذ لا ريب في أن الله تعالى يعاقبني حينئذٍ، فكيف أفتري على الله كذباً وأعرض نفسي للعقوبة التي لا خلاص منها.

﴿هو﴾ تعالى: ﴿أعلم بما تفيضون فيه﴾. يقال: أفاضوا في الحديث: إذا خاضوا فيه وشرعوا؛ أي: تخوضون في قدح القرآن وطعن آياته وتسميته سحراً تارة وفرية أخرى. ﴿كفى به﴾؛ أي: الله والباء صلة. ﴿شهيداً بيني وبينكم﴾ حيث يشهد لي بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود، وهو وعيد بجزاء إفاضتهم. ﴿وهو الغفور الرحيم﴾ وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن وإشعار بحلم الله عليهم مع عظم جراءتهم.

وفيه إشارة إلى أن الذين عموا عن رؤية الحق وصموا عن سماع الحق رموا ورثة الرسل بالسحر وكلامهم بالافتراء، وخاضوا فيهم، ولما كان شاهد الحال الكل جازى الصادق في الدنيا والآخرة بالمزيد، والكاذب بالخذلان والعذاب الشديد: [أبو يزيد بسطامي را قدس سره برسيدندكه قومى كويند كه كليد بهشت كلمة لا إلٰه إلا الله است كفت بلى وليكن كليد بى دندان در باز نكشايد ودندان اوجهار جيزست زبان از دروغ وبهتان وغيبت دور ودل از مكر وخيانت صافى وشكم از حرام وشبهت خالى وعمل از هوا وبدعت باك].

فظهر أنه لا بد من تطهير الظاهر والباطن من الأنجاس والأرجاس بمتابعة ما جاء به خير الناس، فإنما يفترق السحر والكرامة بهذه المتابعة، كما قالوا: إن السحر يظهر على أيدي الفساق والزنادقة والكفار الذين هم على غير الالتزام بالأحكام الشرعية ومتابعة السنة، فأما الأولياء فهم الذين بلغوا في متابعة السنة وأحكام الشريعة وآدابها الدرجة العليا.

قال الشيوخ قدس الله أسرارهم: أقل عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم بركتهم، وقالوا: ويخشى عليه سوء الخاتمة نعوذ بالله من سوء القضاء.

قال الأستاذ أبو القاسم الجنيد قدس سره: التصديق بعلمنا هذا ولاية، يعني: الولاية الصغرى دون الكبرى والعجب من الكفار كفروا بآيات الله مع وضوح برهانها، فكيف يؤمنون بغيرها من آثار الأولياء نعم إذا كان من الله تعالى توفيق خاص يحصل المرام.

حكي عن أبي سليمان الداراني قدس سره أنه قال: اختلفت إلى مجلس بعض القصاص فأثر كلامه في قلبي، فلما قمت لم يبق في قلبي منه شيء، فعدت ثانياً فسمعت كلامه فبقي في قلبي أثر كلامه في الطريق، ثم ذهب ثم عدت ثالثاً، فبقي أثر كلامه في قلبي حتى رجعت إلى منزلي، فكسرت آلات المخالفة ولزمت الطريق، ولما حكى هذه الحكاية للشيخ العارف الواعظ يحيى بن معاذ الرازي قدس سره قال: عصفور اصطاد كركياً يعني: بالعصفور القاص،

وبالكركي أبا سليمان الداراني، فباب الموعظة مفتوح لكل أحد لكن لا يدخل بالقبول إلا من رحمه الله تعالى وأعظم المواعظ مواعظ القرآن.

قال المولى الجامي:

حق ازان حبل خواند قرآنرا تابكيرى بسان حبل آنرا
بدرآيى زجاه نفس وهوى كنى آهنك عالم بالا

﴿قل ما كنت بدعاً من الرسل﴾: البدع بالكسر بمعنى البديع، وهو من الأشياء ما لم ير مثله كانوا يقترحون عليه ﷺ آيات عجيبة ويسألونه عن المغيبات عناداً ومكابرة، فأمر عليه السلام بأن يقول لهم: ﴿ما كنت بدعاً من الرسل﴾؛ أي: لست بأول مرسل أرسل إلى البشر، فإنه تعالى قد بعث قبلي كثيراً من الرسل وكلهم قد اتفقوا على دعوة عباد الله إلى توحيده وطاعته، ولست داعياً إلى غير ما يدعون إليه، بل أدعو إلى الله بالإخلاص في التوحيد والصدق في العبودية وبعثت لأتمم مكارم الأخلاق، ولست قادراً على ما لم يقدروا عليه حتى آتيكم بكل ما تقترحونه، وأخبركم بكل ما تسألون عنه من الغيوب، فإن من قبلي من الرسل ما كانوا يأتون إلا بما آتاهم من الآيات، ولا يخبرون قومهم إلا بما أوحي إليهم، فكيف تنكرون مني إن دعوتكم إلى ما دعا إليه من قبلي من الأنبياء، وكيف تقترحون علي ما لم يؤته الله إياي.

﴿وما أدري ما يفعل بي ولا بكم﴾ ما: الأولى نافية ولا تأكيد لها. والثانية: استفهامية مرفوعة بالابتداء خبرها يفعل، وجوز أن تكون الثانية موصولة منصوبة بأدري، والاستفهامية أقضى لحق مقام التبري من الدراية.

والمعنى: وما أعلم أي شيء يصيبنا فيما يستقبل من الزمان، وإلى من يصير أمري وأمركم في الدنيا، فإنه قد كان في الأنبياء من يسلم من المحن.

ومنهم: من يمتحن بالهجرة من الوطن.

ومنهم: من يبتلى بأنواع الفتن، وكذلك الأمم.

منهم: من أهلك بالخسف.

ومنهم: من كان هلاكه بالقذف وكذا بالمسخ وبالريح وبالصيحة وبالغرق وبغير ذلك، فنفى عليه السلام علم ما يفعل به وبهم من هذه الوجوه، وعلم من هو الغالب المنصور منه ومنهم، ثم عرفه الله بوحيه إليه عاقبة أمره وأمرهم، فأمره بالهجرة ووعده العصمة من الناس وأمره بالجهاد وأخبر أنه يظهر دينه على الأديان كلها، ويسلط على أعدائه ويستأصلهم. وقيل: يجوز أن يكون المنفي هي الدراية المفصلة؛ أي: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم في الدارين على التفصيل إذ لا علم لي بالغيب كان الإجمال معلوماً، فإن جند الله هم الغالبون، وأن مصير الأبرار إلى النعيم، ومصير الكفار إلى الجحيم.

وقال المولى أبو السعود رحمه الله: والأظهر الأوفق لما ذكر من سبب النزول أن ما عبارة عما ليس في علمه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية دون ما سيقع في الآخرة، فإن العلم بذلك من وظائف النبوة. وقد ورد به الوحي الناطق بتفاصيل ما يفعل بالجانبين.

هذا وقد روي عن الكلبي أن النبي عليه السلام رأى في المنام أنه يهاجر إلى أرض ذات نخل وشجر، فأخبر أصحابه، فحسبوا أنه وحي أوحي إليه فاستبشروا:

سعد يا حب وطن كرجه حديث است صحيح نتوان مرد بسختى كه من انيجازادم

ومكثوا بذلك ما شاء الله فلم يروا شيئاً مما قال لهم، فقالوا له عليه السلام وقد ضجروا من أذية المشركين حتى متى نكون على هذا؟ فقال عليه السلام: إنها رؤيا رأيتها كما يرى البشر، ولم يأتني وحي من الله، فنزل قوله: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم؛ أي: أؤترك بمكة أم أؤمر بالخروج إلى ما رأيتها في المنام.

يقول الفقير: وعلى هذا يلزم أن يكون خطاب في بكم للمؤمنين، وهو بعيد لما دل عليه ما قبل الآية، وما بعدها من أنه للكفار.

وفي الآية إشارة إلى فساد أهل القدر والبدع حيث قالوا: إيلام البرايا قبيح في العقل، فلا يجوز؛ لأنه لو لم يجز ذلك لكان يقول: أعظم البرايا أعلم قطعاً أني رسول الله معصوم، فلا محالة يغفر لي، ولكنه قال: وما أدري ما يفعل بي ولا بكم ليعلم أن الأمر أمره والحكم حكمه له أن يفعل بعباده ما يريد ولا يسأل عما يفعل.

وفي «عين المعاني»: وحقيقة الآية البراءة من علم الغيب. قال المولى الجامي:

اي دل تاكى فضولى وبو العجبى ازمن جه نشان عافيت مى طلبى

سركوشته بود خواه ولى خواه نبى در وادى ما أدري ما يفعل بى

﴿إن أتبع إلا ما يوحى إلي﴾؛ أي: ما أفعل إلا اتباع ما يوحى إلي على معنى قصر أفعاله عليه السلام على اتباع الوحي لا قصر اتباعه على الوحي، كما هو المتسارع إلى الأفهام، وهو جواب عن اقتراحهم الإخبار عما لم يوح إليه من الغيوب. وقيل: عن استعجال المسلمين أن يتخلصوا من أذية المشركين. والأول هو الأوفق لقوله تعالى: ﴿وما أنا إلا نذير﴾: أنذركم عقاب الله حسبما يوحى إلي ﴿مبين﴾ بين الإنذار لكم بالمعجزات الباهرة، ففيه أنه عليه السلام أرسل مبلغاً وليس إليه من الهداية شيء، ولكن الله يهدي من يشاء، وإن علم الغيوب بالذات مختص بالله تعالى، وأما إخبار الأنبياء والأولياء عليهم السلام، فبواسطة الوحي والإلهام وتعليم الله سبحانه.

ومن هذا القبيل إخباره عليه السلام عن أشراط الساعة، وما يظهر في آخر الزمان من غلبة البدع والهوى وإخباره عن حال بعض الناس كما قال عليه السلام: إن أول من يدخل من هذا الباب رجل من أهل الجنة، فدخل عبد الله بن سلام، فقام إليه ناس من أصحاب رسول الله، فأخبروه بذلك، وقالوا: لو أخبرتنا بأوثق عملك الذي ترجو به، فقال: إني ضعيف، وإن أوثق ما أرجو به سلامة الصدر وترك ما لا يعنيني، وعن سيد الطائفة الجنيد البغدادي قدس سره قال لي خالي السري السقطي: تكلم على الناس؛ أي: عظهم وكنت أتهم نفسي في استحقاق ذلك، فرأيت النبي عليه السلام في المنام.

وكان ليلة الجمعة، فقال: تكلم على الناس، فانتبهت وأتيت باب خالي، فقال: لم تصدقنا حتى قيل لك: أي من جانب الرسول عليه السلام، فقعدت من غد للناس فقعد على غلام نصراني متنكراً أي في صورة مجهولة.

وقال: أيها الشيخ: ما معنى قوله ﷺ: «اتقوا فراسة المؤمن، فإنه ينظر بنور الله»، قال: فأطرقت رأسي ورفعت، فقلت: أسلم فقد حان وقت إسلامك، فأسلم الغلام، فهذا إنما وقع بتعريف الله تعالى؛ أي: للشبلي والجنيد.

﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ ۚ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا۟ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾﴾.

﴿**قل أرأيتم**﴾: أخبروني أيها القوم. ﴿**إن كان**﴾ ما يوحى إليّ من القرآن في الحقيقة ﴿**من عند الله**﴾ لا سحراً ولا مفترى كما تزعمون.

وفي «كشف الأسرار»: إن هنا ليس بشك كقول شعيب، ولو كنا كارهين لو هناك ليس بشك، بل هما من صلات الكلام. ﴿**وكفرتم به**﴾؛ أي: والحال أنكم قد كفرتم به، فهو حال بإضمار قد من الضمير في الخبر وسط بين أجزاء الشرط مسارعة إلى التسجيل عليهم بالكفر. ويجوز أن يكون عطفاً على كان، كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ﴾ [فصلت: ٥٢]، لكن لا على أن نظمه في سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار حاله في نفسه، بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم، فإن كفرهم به متحقق عندهم أيضاً، وإنما ترددهم في أن ذلك كفر بما عند الله أم لا، وكذا الحال في قوله تعالى: ﴿**وشهد شاهد من بني إسرائيل**﴾ وما بعده من الفعلين، فإن الكل أمور متحققة عندهم، وإنما ترددهم في أنها شهادة وإيمان بما عند الله واستكبار منهم أم لا ﴿**وشهد شاهد**﴾ عظيم الشأن ﴿**من بني إسرائيل**﴾ الواقفين على شؤون الله وأسرار الوحي بما أوتوا من التوراة ﴿**على مثله**﴾؛ أي: مثل القرآن من المعاني المنطوية في التوراة المطابقة لما في القرآن من التوحيد والوعد والوعيد، وغير ذلك، فإنها عين ما فيه في الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾﴾ [الشعراء: ١٩٦].

وقيل: المثل صلة، يعني عليه؛ أي: وشهد شاهد على أنه من عند الله. ﴿**فآمن**﴾: الفاء للدلالة على أنه سارع في الإيمان بالقرآن لما علم أنه من جنس الوحي الناطق بالحق، وليس من كلام البشر.

﴿**واستكبرتم**﴾: عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف. والمعنى: أخبروني إن كان من عند الله. وشهد على ذلك أعلم بني إسرائيل فآمن به من غير تلعثم واستكبرتم عن الإيمان به بعد هذه المرتبة من أضل منكم بقرينة قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾﴾ [فصلت: ٥٢]. ﴿**إن الله لا يهدي القوم الظالمين**﴾ الذين يضعون الجحد والإنكار موضع الإقرار والتسليم وصفهم بالظلم للإشعار بعلية الحكم، فإن تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم وعنادهم بعد وضوح البرهان.

وفيه إشارة إلى أنه لا عذر لهم بحال إذ عند وجود الشاهد على حقية الدعوى تبطل الخصومة، وذلك الشاهد في الآية عبد الله بن سلام بن الحارث حبر أهل التوراة، وكان اسمه الحصين، فسماه رسول الله عبد الله رضي الله عنه لما سمع بمقدم رسول الله ﷺ المدينة أتاه، فنظر إلى وجهه الكريم، فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه النبي المنتظر، فقال له: إني أسألك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: ما أول أشراط الساعة، وما أول طعام يأكله أهل الجنة والولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه، فقال عليه السلام: أما أول أشراط الساعة، فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام أهل الجنة فزيادة كبد الحوت، وأما الولد

فإن سبق ماء الرجل نزعه، وإن سبق ماء المرأة نزعته. فقال: أشهد أنك رسول الله حقاً، فقام ثم قال: يا رسول الله إن اليهود قوم بهت، فإن علموا بإسلامي قبل أن تسألهم عني بهتوني عندك، فجاء اليهود، وهم خمسون، فقال لهم النبي عليه السلام: «أي رجل عبد الله فيكم» قالوا: خيرنا وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا، قال: «أرأيتم إن أسلم عبد الله» قالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج إليهم عبد الله، فقال: أشهد أن لا إلٰه إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا وانتقصوه. قال: هذا ما كنت أخاف يا رسول الله وأحذر.

قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: ما سمعت رسول الله عليه السلام يقول لأحد يمشي على الأرض أنه من أهل الجنة إلا لعبد الله بن سلام. وفيه نزل **﴿وشهد شاهد﴾** إلخ. وقال مسروق رضي الله عنه، والله ما نزلت في عبد الله بن سلام، فإن آل حم نزلت بمكة وإنما أسلم عبد الله بالمدينة وأجاب الكلبي بأن الآية مدنية، وإن كانت السورة مكية، فوضعت في السورة المكية على ما أمر رسول الله عليه السلام.

وفي الآية إشارة إلى التوفيق العام، وهو التوفيق إلى الإيمان بالله وبرسوله، وما جاء به، وأما التوفيق الخاص، فهو التوفيق إلى العمل بالعلم المشروع الذي ندبك الشارع إلى الاشتغال بتحصيله سواء كان العمل فرضاً أم تطوعاً وغاية العمل والمجاهدات والرياضات تصفية القلب والتخلق بالأخلاق الإلٰهية والوصول إلى العلوم الذوقية، فالإيمان بالله وبالأنبياء والأولياء أصل الأصول، كما أن الإنكار والاستكبار سبب الحرمان والخذلان، فإن أقل عقوبة المنكر على الصالحين أن يحرم بركتهم.

قال أبو تراب النخشبي قدس سره: إذا ألف القلب الإعراض عن الله صحبته الوقيعة:

جون خدا خواهدكه بـرده كـس درد
ميلش اندر طعنة باكان بـرد

وقال الشيخ العارف شاه شجاع الكرماني قدس سره: ما تعبد متعبد بأكبر من التحبب إلى أولياء الله تعالى؛ لأن محبة أولياء الله دليل على محبة الله، والله يهدي من يشاء إلى مقام المحبة والرضا ولا يهدي الظالمين المعاندين؛ لأنهم من أهل سوء القضاء.

﴿وقال الذين كفروا﴾؛ أي: كفار مكة من كمال استكبارهم **﴿للذين آمنوا﴾**؛ أي: لأجلهم، فليس الكلام على المواجهة والخطاب حتى يقال: ما سبقونا **﴿لو كان﴾**؛ أي: ما جاء به محمد عليه السلام من القرآن والدين **﴿خيراً﴾** حقاً **﴿ما سبقونا إليه﴾**، فإن معالي الأمور لا ينالها أيدي الأرذال، وهم سقاط عامتهم فقراء وموالي ورعاة.

وبالفارسية: [بيشى نكر فتندى برماو مسارعت نكردندى بسوى آن دين اداني قبائل وفقراء ناس بلكه مادران سابق بودمى جه رتبة ما ازان بزر كترو بزركى وشهرت ما بيشتر]. قالوه زعماً منهم أن الرياسة الدينية مما ينال بأسباب دنيوية وزل عنهم أنها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الإعراض عن زخارف الدنيا الدنية، والإقبال على الآخرة بالكلية، وأن من فاز بها، فقد حازها بحذافيرها، ومن حرمها، فما له منها من خلاق.

يقول الفقير: الأولى في مثل هذا المقام أن يقال: إن الرياسة الدينية فضل الله تعالى يؤتيه من يشاء بغير علل وأسباب، فإن القابلية أيضاً إعطاء من الله تعالى **﴿وإذ لم يهتدوا به﴾** ظرف

لمحذوف يدل عليه ما قبله ويترتب عليه ما بعده لا لقوله، فسيقولون، فإنه للاستقبال. وإذ للمضي؛ أي: وإذا لم يهتدوا بالقرآن، كما اهتدى به أهل الإيمان قالوا ما قالوا: ﴿**فسيقولون**﴾ غير مكتفين بنفي خيريته ﴿**هذا**﴾ القرآن.

﴿**إفك قديم**﴾ كما قالوا أساطير الأولين. وبالفارسية: [ابن دروغ كهنه است يعنى بيشينيان نيز مثل اين كفته اند]. فقد جهلوا بلب القرآن وعادوه؛ لأن الناس أعداء ما جهلوا:

تـوز قـرآن اى بـسـر ظـاهـر مـبـيـن ديـو آدم رانـبـيـنـد جـزكـه طـيـن

ظـاهـر قـرآن جـو شـخـص آدمـيـسـت كه نقوشش ظاهر وجانش خفيست

ومن كان مريضاً مر الفم يجد الماء الزلال مراً، فلا ينبغي لأحد أن يستهين بشيء من الحق إذا لم يهتد عقله به، ولم يدركه فهمه، فإن ذلك من محض الضلالة والجهالة، بل ينبغي أن يطلب الاهتداء من الهادي، وبجد فيه.

قال بعض الكبار: قولهم: لو كان خيراً ما سبقونا إليه نوع من أنواع مكر النفس ليتوهم براءة ذمتها من إنكار الحق، والتمادي في الباطل، وإذا لم يهتدوا بما ليس من مشاربهم، وما هم من أهل ذوق الإيمان بالقرآن وبالمواهب الربانية، فسيقولون: هذا إفك قديم. وعن بعض الفقهاء أنه قال: لو عاينت خارق عادة على يدي أحد لقلت: إنه طرأ فساد في دماغي، فانظر ما أكثف حجاب هذا وما أشد إنكاره وجهله.

قال المولى الجامي:

كلى كه بهر كليم ازدرخت طور شكفت توقع از خس وخاشاك ميكنى حاشاك

وقال: [مسكين فقيه ميكند انكار حسن دوست بااو بكوكه ديده جانرا جلى كند].

﴿وَمِن قَبۡلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامٗا وَرَحۡمَةٗۚ وَهَٰذَا كِتَٰبٞ مُّصَدِّقٞ لِّسَانًا عَرَبِيّٗا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشۡرَىٰ لِلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١٢﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسۡتَقَٰمُواْ فَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ﴿١٣﴾ أُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴿١٤﴾﴾.

﴿**ومن قبله**﴾؛ أي: من قبل القرآن، وهو خبر لقوله تعالى: ﴿**كتاب موسى**﴾: رد لقولهم: هذا إفك قديم، وإبطال له، فإن كونه مصدقاً لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعاً، يعني: كيف يصح هذا القول منهم. وقد سلموا لأهل كتاب موسى أنهم من أهل العلم وجعلوهم حكماً يرجعون لقولهم في هذا النبي، وهذا القرآن مصدق له أو له ولسائر الكتب الإلهية.

﴿**إماماً**﴾ حال من كتاب موسى؛ أي: إماماً يقتدى به في دين الله ﴿**ورحمة**﴾ لمن آمن به وعمل بموجبه. ﴿**وهذا**﴾ الذي يقولون في حقه ما يقولون ﴿**كتاب**﴾ عظيم الشأن ﴿**مصدق**﴾؛ أي: لكتاب موسى الذي هو إمام ورحمة، أو لما بين يديه من جميع الكتب الإلهية. ﴿**لساناً عربياً**﴾: حال من ضمير كتاب في مصدق؛ أي: ملفوظاً به على لسان العرب ليكون القوم عرباً.

﴿**لينذر الذين ظلموا**﴾ متعلق بمصدق، وفيه ضمير الكتاب، أو الله أو الرسول. ﴿**وبشرى للمحسنين**﴾ في حيز النصب عطفاً على محل لينذر؛ لأنه مفعول له؛ أي: للإنذار والتبشير، ومن الظالمين اليهود والنصارى، فإنهم قالوا: عزير ابن الله، والمسيح ابن الله وغيروا ذكر محمد ﷺ ونعمته في التوراة والإنجيل، وحرفوا الكلم عن مواضعه، فكان عليه السلام

نذيراً لهم، وبشيراً للذين آمنوا بجميع الأنبياء والكتب المنزلة، وهدوا إلى الصراط المستقيم وثبتوا على الدين القويم أما الإنذار فبالنار وبالفراق الأبدي، وأما التبشير فبالجنة وبالوصل السرمدي. ولذا قال للمحسنين، فإن الإحسان عبادة الله بطريق المشاهدة، وإذا حصل الشهود حصل الوصل، وبالعكس نسأل الله من فضله:

[يكى را از صالحان برادرى وفات كرده بود اورا در خواب ديد وبرسيد كه حق تعالى باتوجه كرد كفت مرادر بهشت آورده است ميخورم ومى آشامم ونكاح ميكنم كفت ازين معنى نمى برسم ديدار برورد‌كار ديدى يانه كفت نى كسى كه آنجا أورا نشناخته است انيجا اورانمى بيند آن عزيز جون بيدار شد بر بهيمة خود سوار شد وبيش شيخ أكبر قدس سره الأطهر آمد در اشبيلية واين خواب را باز كفت وملازمت خدمت او كردتا آن مقدار كه ممكن بود از طريق كشف وشهود نه از طريق دليل أهل نظر حق تعالى راشناخت وبعد ازان بمقام خود باز كشت سيد شريف جرجانى ميكفته كه تامن بصحبت شيخ زين الدين كلاله كه از مشايخ شيراز است نرسيدم از رفض نرستم وتا بصحبت خواجه علاء الدين عطار نيبوستم خدايرا نشناختم].

فعلى العاقل أن يجتهد في طريق الحق حتى يستعد بسعادة الشهود، ويكون من أهل البشرى، وعلى هذا جرى العلماء المخلصون وعباد الله الصالحون.

﴿إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا﴾؛ أي: جمعوا بين التوحيد الذي هو خلاصة العلم، والاستقامة في أمور الدين التي هي منتهى العمل، وثم للدلالة على تراخي رتبة العمل وتوقف الاهتداء به على التوحيد.

قال ابن طاهر: استقاموا على ما سبق منهم من الإقرار بالتوحيد، فلم يروا سواه منعماً، ولم يشكروا سواه في حال، ولم يرجعوا إلى غيره وثبتوا معه على منهاج الاستقامة. **﴿فلا خوف عليهم﴾** من لحوق مكروه. **﴿ولا هم يحزنون﴾** من فوات محبوب.

والمراد بيان دوام نفي الحزن.

﴿أولئك﴾ الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين **﴿أصحاب الجنة﴾** ملازموها **﴿خالدين فيها﴾** حال من المستكن في أصحاب **﴿جزاء﴾** منصوب إما بعامل مقدر؛ أي: يجزون جزاء أو بمعنى ما تقدم، فإن قوله تعالى: **﴿أولئك أصحاب الجنة﴾** في معنى: جازيناهم. **﴿بما كانوا يعملون﴾** من الحسنات العلمية والعملية.

وفي «التأويلات النجمية» يشير إلى أنهم قالوا: **﴿ربنا الله﴾** من بعد استقامة الإيمان في قلوبهم، ثم استقاموا بجوارحهم على أركان الشريعة وبأخلاق نفوسهم على آداب الطريقة بالتزكية وبأوصاف القلوب على التصفية وبتوجه الأرواح على التحلية بالتخلق بأخلاق الحق، فقالوا: ربنا الله باستقامة الإيمان، ثم استقاموا بالنفوس على أداء الأركان، وبالقلوب على الإيقان وبالأسرار على العرفان وبالأرواح على الإحسان وبالإخفاء على العيان وبالحق تعالى على الفناء من أنانيتهم، والبقاء بهويته، فلا خوف عليهم بالانقطاع، ولا هم يحزنون على ما فات لهم من حظ الدارين أولئك أصحاب جنة الوحدة باقين فيها آمنين من الاثنينية جزاء بما كانوا يعملون في استقامة الأعمال مع الأقوال.

قال الشيخ سعدي:

كر همه علم عالمت باشد بى عمل مدعى وكذابى

وقال بعضهم (ع):

كـرامـت نـيـابـى مـكـر زاسـتـقـامـت

قال بعض الكبار: كلما قرب العبد من الكمال اشتد عليه التكليف وعادت عليه البركات بالتعريف حتى يستغفر له الأملاك والأفلاك والسماوات والأرضون والحيتان في بحارها، والوحش في قفارها، والأوراق في أشجارها.

ولذلك قيل: ويل للجاهل إن لم يتعلم مرة، وويل للعالم إن لم يعمل ألفاً، قال عليه السلام: «فرض عليّ قيام الليل، ولم يفرض عليكم، ففيه تشديد الطاعة من حيث أكمليته، فلا بد من العبودية والاستقامة عليها. [بيرابو على سيادة قدس سره كفت اكرا ترا كويند بهشت خواهى ياد وركعت نماز نكر تابهشت اختيار نكنى دو ركعت نماز اختيار كن زيراكه بهشت نصيب تواست ونماز حق اوجل جلاله وهر كجا نصيب تودرميان آمدا كرجه كرامت بود روا باشدكه كمين كاه مكر كردد وكزارد حق أو بى غائلة ومكراست موسى عليه السلام جون بنزديك حضر عليه السلام آمد دوبار بروى اعتراض كرد يكى در حق آن غلام ديكر از جهت شكستن كشتى جون نصيب خود درميان نبود خضر صبر ميكرد امادر سوم حالت جون نصيب خود بيدا آمدكه لو شئت لاتخذت عليه أجراً خضر كفت مارابا توروى صحبت نماند هذا فراق بيني وبينك بس حذر كن كه جيزى از اغراض نفسانى وزينت دنيا با عبادت آميخته كنى جمعى از ابدال در هوامى رفتند ممر ايشان برمر غزارى سبزه وخرم افتاد وجشمه آب صافى يكى از يشان را بخاطر كذشت وتمناى آن كرد كه ازان جشمه وضو سازدودران روضه نماز كزارد في الحال ازميان آن جماعت بزمين افتاد وديكران اورار ها كردند ورفتند واو از مرتبة خود بازماند باين مقدار وبدانكه ابن سرى بغابت عجيب است ومعنى دقيق وحق تعالى ترابابن حكايت ينداد اكر فهم كنى].

فالعبودية ترك التدبير وشهود التقدير وباقي ما يتعلق بالآية سبق في نظيرها في ﴿**حم السجدة**﴾ نسأل الله سبحانه أن يجعلنا من أرباب الاستقامة، ومن أصحاب دار المقامة إنه ذو الفضل والعطاء في الأولى والآخرة.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَـٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَـٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَـٰلُهُۥ ثَلَـٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَـٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَـٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾.

﴿**ووصينا الإنسان**﴾ عهدنا إليه وأمرناه بأن يحسن ﴿**بوالديه إحساناً**﴾، فحذف الفعل واقتصر على المصدر دالاً عليه. ﴿**حملته أمه**﴾ الأم بإزاء الأب، وهي الوالدة القريبة التي ولدته، والوالدة البعيدة التي ولدت من ولدته. ولهذا قيل لحواء عليها السلام هي أمنا، وإن كان بيننا وبينها وسائط. ويقال: لكل ما كان أصلاً لوجود الشيء أو تربيته أو إصلاحه أو مبدؤه أم ﴿**كرهاً**﴾: حال من فاعل حملته: أي: حال كونها ذات كره، وهو المشقة والصعوبة بريد حالة ثقل الحمل في بطنها لا في ابتدائها، فإن ذلك لا يكون فيه مشقة، أو حملته حملاً ذاكره وكذا قوله: ﴿**ووضعته**﴾؛ أي: ولدته. ﴿**كرهاً**﴾ وهي شدة الطلق.

وفي الحديث: «اشتدي أزمة تنفرجي» قال عليه السلام لامرأة مسماة بأزمة حين أخذها الطلق؛ أي: «تصبري يا أزمة حتى تنفرجي» عن قريب بالوضع. كذا في «المقاصد الحسنة».
﴿وحمله﴾؛ أي: مدة حمله في البطن. **﴿وفصاله﴾** وهو الفطام؛ أي: قطع الولد عن اللبن. والمراد به الرضاع التام المنتهى به، فيكون مجازاً مرسلاً عن الرضاع التام بعلاقة أن أحدهما بغاية الآخر ومنتهاه، كما أراد بالأمد المدة من قال:

كل حي مستكمل مدة العمر ومردى إذا انتهى أمده

أي: هالك إذا انتهت مدة عمره ونظيره التعبير عن المسافة بالغاية في قولهم من لابتداء الغاية وإلى لانتهاء الغاية. **﴿ثلاثون شهراً﴾** تمضي عليها بمقاساة الشدائد لأجله. والشهر مدة معروفة مشهورة بإهلال الهلال، أو باعتبار جزء من اثني عشر جزءاً من دوران الشمس من نقطة إلى تلك النقطة سمي به لشهرته. وهذا دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لما أنه إذا حط منها للفصال حولان لقوله تعالى: ﴿حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ لِمَنْ أَرَادَ أَن يُتِمَّ ٱلرَّضَاعَةَ﴾ [البقرة: ٢٣٣] يبقى للحمل ذلك. وبه قال الأطباء.

وفي الفقه: مدة الرضاع ثلاثون شهراً عند أبي حنيفة وسنتان عند الإمامين. وهذا الخلاف في حرمة الرضاع أما استحقاق أجر الرضاع، فمقدر بحولين لهما قوله تعالى: ﴿وَٱلْوَٰلِدَٰتُ يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ كَامِلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣]. وله قوله تعالى: **﴿وحمله وفصاله ثلاثون شهراً﴾**: ذكر شيئين وهما: الحمل والفصال. وضرب لهما مدة ثلاثين شهراً، وكان لكل واحد منهما بكمالها كلأجل المضروب لدينين، لكن مدة الحمل انتقصت بالدليل، وهو قول عائشة رضي الله عنها: الولد لا يبقى في بطن أمه أكثر من سنتين، ولو بقدر ظل مغزل. والظاهر أنها قالته سماعاً؛ لأن المقادير لا يهتدي إليها بالرأي، فبقي مدة الفصال على ظاهرها، ويحمل قوله تعالى: ﴿يُرْضِعْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ حَوْلَيْنِ﴾ [البقرة: ٢٣٣] على مدة استحقاق أجرة الرضاع حتى لا يجب نفقة الإرضاع على الأب بعد الحولين.

والمراد: السنة القمرية على ما أفادته الآية، كما قال: شهراً لا الشمسية.

وقال في «عين المعاني»: أقل مدة الحمل ستة أشهر، فبقي سنتان للرضاع. وبه قال أبو يوسف ومحمد. وقال أبو حنيفة: المراد منه الحمل على اليد لو حمل على حمل البطن كان بيان الأقل مع الأكثر انتهى.

قيل: ولعل تعيين أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع؛ أي: في الآية لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما، فإن من ولدت لستة أشهر من وقت التزوج يثبت نسب ولدها، كما وقع في زمان علي كرم الله وجهه، فحكم بالولد على أبيه، فلو جاءت بولد لأقل من ستة لم يلزم الولد للزوج ويفرق بينهما، ومن مص ثدي امرأة في أثناء حولين من مدة ولادته تكون المرضعة أماً له، ويكون زوجها الذي لبنها منه أباً له.

قال في «الحقائق» الفتوى في مدة الرضاع على قولهما. وفي «فتح الرحمٰن»: اتفق الأئمة على أن مدة الحمل ستة أشهر، واختلفوا في أكثر مدته، فقال أبو حنيفة سنتان. والمشهور عن مالك خمس سنين.

وروي عنه أربع وسبع، وعند الشافعي وأحمد أربع سنين وغالبها تسعة أشهر. انتهى.
وفي «إنسان العيون» ذكر: أن مالكاً رضي الله عنه مكث في بطن أمه سنتين. وكذا الضحاك بن

مزاحم التابعي. وفي «محاضرات السيوطي»: إن مالكاً مكث في بطن أمه ثلاث سنين وأخبر سيدنا مالك أن جارة له ولدت ثلاثة أولاد في اثنتي عشرة سنة تحمل أربع سنين.

﴿حتى إذا بلغ أشده﴾ غاية لمحذوف؛ أي: أخذ ما وصيناه به حتى إذا بلغ وقت أشده بحذف المضاف وبلوغ الأشد أن يكتهل، ويستوفي السن الذي تستحكم فيه قوته وعقله وتمييزه وسن الكهولة ما بين سن الشباب وسن الشيخوخة.

قال في «فتح الرحمٰن»: أشده كمال قوته وعقله ورأيه وأقله ثلاث وثلاثون وأكثره أربعون. ﴿وبلغ أربعين سنة﴾؛ أي: تمام أربعين بحذف المضاف. قيل: لم يبعث نبي قبل أربعين، وهو ضعيف جداً، يدل على ضعفه أن عيسى ويحيى عليهما السلام بعثا قبل الأربعين، كما في «بحر العلوم» وجوابه أنه من إقامة الأكثر الأغلب مقام الكل، كما في «حواشي سعد المفتي».

قال ابن الجوزي قوله: ما من نبي نبىء إلا بعد الأربعين موضوع؛ لأن عيسى نبىء ورفع إلى السماء، وهو ابن ثلاث وثلاثين سنة، فاشتراط الأربعين في حق الأنبياء ليس بشيء، انتهى.

وكذا نبىء يوسف عليه السلام، وهو ابن ثماني عشرة سنة، كما في التفاسير، وقس على النبوة الولاية وقوة الإيمان والإسلام. ﴿قال رب﴾: [كفت بروردكار من]. ﴿أوزعني﴾؛ أي: ألهمني. وبالفارسية: [الهام ده مرا وتوفيق بخش]. وأصله: الإغراء بالشيء من قولهم: فلان موزع بكذا؛ أي: مغرى به.

وقال الراغب: وتحقيقه أولعني بذلك والإيلاع سخت حريص شدن. أو اجعلني بحيث أزع نفسي عن الكفران؛ أي: أكفها. ﴿أن أشكر﴾: [تاشكر كنم]. ﴿نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي﴾؛ أي: نعمة الدين والإسلام؛ فإنها النعمة الكاملة، أو ما يعمها وغيرها وجمع بين شكري النعمة عليه، وعلى والديه؛ لأن النعمة عليهما نعمة عليه.

﴿وأن أعمل صالحاً ترضاه﴾؛ أي: تقبله، وهي الفرائض الخمس وغيرها من الطاعات والتنوين للتفخيم والتنكير. وقال بعضهم: العمل الصالح المقرون بالرضا بذل النفس لله، والخروج مما سوى الله إلى مشاهدة الله. وفيه إشارة إلى أنه لا يمكن للعبد أن يعمل عملاً يرضي به ربه إلا بتوفيقه وإرشاده. ﴿وأصلح لي في ذريتي﴾ ذرأ الشيء كثر. ومنه الذرية لنسل الثقلين، كما في «القاموس»؛ أي: واجعل الصلاح سارياً في ذريتي راسخاً فيهم، ولذا استعمل بفي، وإلا فهو يتعدى بنفسه، كما في قوله: وأصلحنا له زوجه.

قال سهل: اجعلهم لي خلف صدق ولك عبيداً حقاً. وقال محمد بن علي: لا تجعل للشيطان والنفس والهوى عليهم سبيلاً. وفيه إشارة إلى أن صلاحية الآباء تورث صلاحية الأبناء.

قال الكاشفي: [اكثر مفسران برانندكه اين آيت خاص است بابي بكر الصديق رضي الله عندكه شش ماه درشكم مادر بوده ودوسال تمام شير خورده وهجده سال بملازمت حضرت بيغمبر عليه السلام رسيد وآن حضرت بيست ساله بود ودرسفر وحضر رقيق وقرين وى بود وجون سال مبارك آن حضرت رسالتبناه بجهل رسيد مبعوث كشت وصديق سى وهشت ساله بودبوى ايمان آورد جون جهل ساله شد كفت رب أوزعني]. إلخ.

فأجاب الله تعالى دعاءه، فأعتق تسعة من المؤمنين يعذبون في الله. منهم: بلال الحبشي بن رباح [غلامى بود در بني مذحج مولد ايشان وعامر بن فهيرة از قبيلة از دبود مولد ايشان]. ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله عليه، ولم يكن له ولد إلا آمنوا جميعاً [ودخترش] عائشة رضي الله عنها بشرف [فراش حضرت أشرف رسل مشرف شد وبسرش عبد الرحمٰن مسلمان كشت وبسر عبد الرحمٰن أبو عتيق محمد نبز مسلمان كشت وبدولت خدمت حضرت بيغمبر سرافرازى يافت].

وأدرك أبوه أبو قحافة عثمان بن عامر بن عمرو بن كعب بن سعد بن تيم، وأمه أم الخير سلمى بنت صخر بن عمرو بن كعب بن سعد رسول الله عليه السلام وآمنا به، ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة رضي الله عنهم [وسى قبائل نيزاز أولاد صديق در عالم هستند اغلب ايشان بشرف علم وصلاح آراسته].

﴿**إني تبت إليك**﴾ عما لا ترضاه أو عما يشغلني عن ذكرك ﴿**وإني من المسلمين**﴾ الذين أخلصوا لك أنفسهم.

﴿**أولئك**﴾ إشارة إلى الإنسان والجمع؛ لأن المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكي عنه؛ أي: أولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة. ﴿**الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا**﴾ من الطاعات واجبة، أو مندوبة، فإن المباحات حسن لا يثاب عليها. وفي «ترجمة الفتوحات»: [وهر حركت كه كنى بايدكه بنيت قربت بحق تعالى باشد واكرجه اين حركت در امرى مباح باشد نيت قربت كن بحق تعالى ازين جهت كه تو اعتقاد دارىٰ كه آن مباحست واكر مباح نمى بودبدان مشغول نمى شدى بدين نيت دران امر مباح مستحق ثواب شوى].

يقول الفقير: عندي وجه آخر في الآية، وهو أن إضافة أحسن من إضافة الصفة إلى موصوفها، كما في قوله: سيئات ما عملوا. والتقدير: أعمالهم الحسنى ولا يلزم منه أن لا يتقبل منهم الأعمال الحسنة بل يكون فيه إشارة إلى كل أعمالهم أحسن عند الله تعالى بموجب فضله.

﴿**ونتجاوز عن سيئاتهم**﴾؛ أي: ما فعلوا قبل التوبة، ولا يعاقبون عليها. قال الحسن: من يعمل سوءاً يجز به إنما ذلك من أراد الله هوانه، وأما من أراد كرامته، فإنه يتجاوز عن سيئاته ﴿**في أصحاب الجنة**﴾؛ أي: حال كونهم كائنين في عداد أصحاب الجنة منتظمين في سلكهم. ﴿**وعد الصدق**﴾ مصدر مؤكد لما أن قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد من الله لهم بالتفضل والتجاوز.

﴿**الذي كانوا يوعدون**﴾ في الدنيا على ألسنة الرسل. قال الشيخ نجم الدين قدس سره في «تأويلاته». في الآية إشارة إلى رعاية حق الوالدين على جهة الاحترام لما عليه لهما من حق التربية والإنعام، ليعلم أن رعاية حق الحق تعالى على جهته التعظيم لما عليه له من حق الربوبية، وإنعام الوجود أحق وأولى.

وقال بعضهم: دلت الآية على أن حق الأم أعظم؛ لأنه تعالى ذكر الأبوين معاً، ثم خص الأم بالذكر وبين كثرة مشقتها بسبب الولد زمان حملها ووضعها وإرضاعها مع جميع ما تكابده في أثناء ذلك.

قال في «فتح الرحمٰن»: عدد تعالى على الأبناء منن الأمهات وذكر الأم في هذه الآيات في أربع مراتب. والأب في واحدة جمعهما الذكر في قوله: بوالديه، ثم ذكر الحمل للأم، ثم الوضع لها، ثم الرضاع الذي عبر عنه بالفصال، فهذا يناسب ما قال رسول الله صلى الله تعالى

عليه وسلم حين جعل للأم ثلاثة أرباع البر، والرابع للأب. وذلك إذ قال له رجل: يا رسول الله من أبر؟ قال: «أمك»، ثم قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك»، ثم قال: ثم من؟ قال: «ثم أمك»، ثم قال: ثم من؟ قال: «ثم أباك».

قال بعض الأولياء، وهو إبراهيم الخواص قدس سره: كنت في تيه بني إسرائيل، فإذا رجل يماشيني فتعجبت منه وألهمت أنه الخضر عليه السلام، فقلت له: بحق الحق من أنت؟ قال: أخوك الخضر، فقلت له: أريد أن أسألك، قال: سل، قلت: ما تقول في الشافعي؟ قال: هو من الأوتاد؛ أي: من الأوتاد الأربعة المحفوظ بهم الجهات الأربع من الجنوب والشمال والشرق والغرب، قلت: فما تقول في أحمد بن حنبل إمام السنة؟، قال: هو رجل صديق، قلت: فما تقول في بشر بن الحارث؟ قال: رجل لم يخلف بعده مثله، يعني: [ازبس اومثل اونبود]. قتلت، فبأي: وسيلة رأيتك؟ قال: ببرك أمك.

قال الإمام اليافعي: حكي أن الله سبحانه أوحى إلى سليمان بن داود عليهما السلام أن اخرج إلى ساحل البحر تبصر عجباً، فخرج سليمان، ومن معه من الجن والإنس، فلما وصل إلى الساحل التفت يميناً وشمالاً، فلم ير شيئاً، فقال لعفريت غص في هذا البحر، ثم ائتني بعلم ما تجد فيه فغاص فيه، ثم رجع بعد ساعة. وقال: يا نبي الله إني ذهبت في هذا البحر مسيرة كذا وكذا، فلم أصل إلى قعره ولا أبصرت فيه شيئاً، فقال لعفريت آخر: غص في هذا البحر وائتني بعلم ما تجد فيه، فغاص ثم رجع بعد ساعة. وقال مثل قول الأول: إلا إنه غاص مثل الأول مرتين، فقال لآصف بن برخيا، وهو وزيره الذي ذكره الله تعالى في القرآن بقوله: حكاية عنه. قال الذي عنده علم من الكتاب ائتني بعلم ما في هذا البحر، فجاءه بقبة من الكافور الأبيض لها أربعة أبواب باب من در وباب من جوهر وباب من زبرجد أخضر وباب من ياقوت أحمر، والأبواب كلها مفتحة، ولا يقطر فيها قطرة من الماء، وهي في داخل البحر في مكان عميق مثل مسيرة ما غاص فيه العفريت الأول ثلاث مرات، فوضعها بين يدي سليمان عليه السلام، وإذا في وسطها شاب حسن الشباب نقي الثياب، وهو قائم يصلي، فدخل سليمان القبة وسلم على ذلك الشاب، وقال له: ما أنزلك؟ في قعر هذا البحر، فقال: يا نبي الله إنه كان أبي رجلاً مقعداً، وكانت أمي عمياء، فأقمت في خدمتهما سبعين سنة، فلما حضرت وفاة أمي، قالت: اللهم أطل حياة ابني في طاعتك، فلما حضرت وفاة أبي، قال: اللهم استخدم ولدي في مكان لا يكون للشيطان عليه سبيل، فخرجت إلى هذا الساحل بعدما دفنتهما، فنظرت هذه القبة موضوعة، فدخلتها لأنظر حسنها، فجاء ملك من الملائكة، فاحتمل القبة وأنا فيها، وأنزلني في قعر هذا البحر. قال سليمان: ففي أي زمان كنت أتيت هذا الساحل؟ قال: في زمن إبراهيم الخليل عليه السلام، فنظر سليمان في التاريخ، فإذا له ألفا سنة وأربعمائة سنة، وهو شاب لا شيبة فيه، قال: فما طعامك وشرابك في داخل هذا البحر؟ قال: يا نبي الله يأتيني كل يوم طير أخضر في منقاره شيء أصفر مثل رأس الإنسان، فآكله فأجد فيه طعم كل نعيم في دار الدنيا، فيذهب عني الجوع والعطش والحر والبرد والنوم والنعاس والفترة والوحشة. فقال سليمان: أتقف معنا أم نردك إلى موضعك، فقال: ردني يا نبي الله، فقال: رده يا آصف فرده، ثم التفت، فقال: انظروا كيف استجاب الله دعاء الوالدين، فأحذركم عقوق الوالدين رحمكم الله.

قال الإمام السخاوي عن ابن عمر رضي الله عنه رفعه: إني سألت الله أن لا يقبل دعاء حبيب على حبيبه، ولكن قد صح أن دعاء الوالد على ولده لا يرد، فيجمع بينهما، وجاء رجل إلى النبي عليه السلام ليستشيره في الغزو، فقال: ألك والدة؟ قال: نعم، قال: فالزمها فإن الجنة تحت قدميها:

جنت كه سراى مادرانست زير قدمات مادرانست
روزى بكن اى خداى مارا جيزى كه رضاى مادرانست

ومنه: الإعانة والتوفيق للخدمة المرضية بالنفوس الطيبة الراضية.

﴿وَالَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُواْ خَٰسِرِينَ ﴿١٨﴾﴾.

﴿**والذي**﴾ مبتدأ خبره قوله: أولئك؛ لأن المراد به؛ أي: بالموصول الجنس. ﴿**قال لوالديه**﴾ عند دعوتهما له إلى الإيمان، ويدخل فيه كل عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه.

﴿**أف لكما**﴾: [كراهيت وننك مرشمارا]. وهو صوت يصدر عن المرء عند تضجره وكراهيته، واللام لبيان المؤفف له كما في هيث لك؛ أي: هذا التأفيف لكما خاصة. وقال الراغب: أصل الأف كل مستقذر من وسخ وقلامة ظفر، وما يجري مجراهما، ويقال ذلك: لكل مستخف به استقذاراً له. ﴿**أتعدانني**﴾: [آيا وعدمى دهيد مرا]. ﴿**أن أخرج**﴾: أبعث من القبر بعد الموت ﴿**وقد خلت القرون من قبلي**﴾؛ أي: وقد خلت أمة بعد أمة من قبلي، ولم يبعث منهم واحد، ولم يرجع، والقرن القوم المقترنون في زمن واحد والخلو المضي.

﴿**وهما يستغيثان الله**﴾ ويسألانه أن يغيثه ويوفقه للإيمان. ﴿**ويلك**﴾؛ أي: قائلين له: ويلك ومعناه بالفارسية: [واى برتو]. وهو في الأصل دعاء عليه بالهلاك أريد به الحث والتحريض على الإيمان لا حقيقة الهلاك وانتصابه على المصدر بفعل مقدر بمعناه لا من لفظه، وهو من المصادر التي لم تستعمل أفعالها. وقيل: هو مفعول به؛ أي: ألزمك الله ويلك. ﴿**آمن**﴾؛ أي: صدق بالبعث والإخراج من الأرض. ﴿**إن وعد الله**﴾؛ أي: موعوده، وهو البعث أضافه إليه تحقيقاً للحق وتنبيهاً على خطاه في إسناد الوعد إليهما. ﴿**حق**﴾ كائن لا محالة؛ لأن الخلف في الوعد نقص يجب تنزيه الله عنه.

﴿**فيقول**﴾: مكذباً لهما ﴿**ما هذا**﴾ الذي تسميانه وعد الله ﴿**إلا أساطير الأولين**﴾ أباطيلهم التي يسطرونها في الكتب من غير أن يكون لها حقيقة كأحاديث رستم وبهرام وإسفنديار.

﴿**أولئك**﴾ القائلون هذه المقالات الباطلة ﴿**الذين حق عليهم القول**﴾، وهو قوله تعالى لإبليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين، كما ينبيء عنه قوله تعالى: ﴿**في أمم**﴾ حال من اغجرور في عداد أمم. ﴿**قد خلت من قبلهم من الجن والإنس**﴾ بيان للأمم ﴿**إنهم**﴾ جميعاً أي: هم والأمم ﴿**كانوا خاسرين**﴾ قد ضيعوا فطرتهم الأصلية الجارية مجرى الأم رؤوس أموالهم باتباع الشيطان.

والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيقي.

﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَٰتٌ مِّمَّا عَمِلُواْ وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَٰلَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَذْهَبْتُمْ

طَيِّبَٰتِكُمْ فِى حَيَاتِكُمُ ٱلدُّنْيَا وَٱسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾﴾.

﴿ولكل﴾ من الفريقين المذكورين ﴿درجات مما عملوا﴾ مراتب من أجزية ما عملوا من الخير والشر، فمن نعت للدرجات، ويجوز أن تكون بيانية، وما موصولة، أو من أجل أعمالهم، فما مصدرية، ومن متعلق بقوله: لكل. والدرجات في مراتب المثوبة وإيرادها هنا بطريق التغليب. ﴿وليوفيهم أعمالهم﴾ وليعطيهم أجزية أعمالهم وافية تامة من وفاه حقه إذا أعطاه إياه وافياً تاماً.

﴿وهم لا يظلمون﴾ بنقص ثواب الأولين وزيادة عقاب الآخرين، واللام متعلقة بمحذوف مؤخر؛ كأنه قيل: وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل ما فعل من تقدير الأجزية على مقادير أعمالهم، فجعل الثواب درجات والعقاب دركات. وفي الآية ذم لمن اتصف في حق الوالدين في التأفيف. وفي ذلك تنبيه على ما وراءه من التعنيف، فحكم أن صاحبه من أهل الخسران. والخسران نقصان في الإيمان، فكيف بمن خالف مولاه وبالعصيان آذاه.

وفي الحديث: «إن الجنة يوجد ريحها من مسيرة خمسمائة عام، ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم. وقيل: لما دخل يعقوب على يوسف عليهما السلام لم يقم له، فأوحى الله إليه، أتتعاظم أن تقوم لأبيك؟ وعزتي لا أخرجت من صلبك نبياً، كما في «الإحياء» قيل: إذا تعذر مراعاة حق الوالدين جميعاً بأن يتأذى أحدهما بمراعاة الآخر يرجح حق الأب فيما يرجع إلى التعظيم والاحترام؛ لأن النسب منه، ويرجح حق الأم فيما يرجع إلى الخدمة والإنعام حتى لو دخلا عليه يقوم للأب، ولو سألا منه شيئاً يبدأ في الإعطاء بالأم، كما في «منبع الآداب».

قال الإمام الغزالي: أكثر العلماء على أن طاعة الأبوين واجبة في الشبهات، ولم تجب في الحرام المحض حتى إذا كانا ينتقصان بانفرادك عنهما بالطعام، فعليك أن تأكل معهما؛ لأن ترك الشبهة ورع ورضا الوالدين حتم. وكذلك ليس لك أن تسافر في مباح أو نافلة، إلا بإذنهما، والمبادرة إلى الحج الذي هو فرض الإسلام نفل؛ لأنه على التأخير والخروج لطلب العلم نفل إلا إذا كان خروجك لطلب علم الفرض من الصلاة والصوم، ولم يكن في بلدك من يعلمك، وذلك كمن يسلم ابتداء في بلد ليس فيه من يعلمه شرع الإسلام، فعليه الهجرة، ولا يتقيد بحق الوالدين، ويثبت بولاية الحسبة للولد على الوالد، والعبد على السيد، والزوجة على الزوج، والتلميذ على الأستاذ، والرعية على الوالي لكن بالتعريف. ثم الوعظ والنصح باللطف لا بالسب والتعنيف والتهديد، ولا بمباشرة الضرب، ويجب على الأبوين أن لا يحملا الولد على العقوق بسوء المعاملة والجفاء، ويعيناه على البر.

قال عليه السلام: رحم الله والداً أعان ولده على البر؛ أي: لم يحمله على العقوق بسوء عمله. قال الحسن البصري: من عقل الرجل أن لا يتزوج وأبواه في الحياة. انتهى. فإنه ربما لا يرضى أحدهما عنه بسبب زوجته، فيقع في الإثم.

قال الحافظ:

هيچ رحمى نه برادر به برادر دارد هيچ شوقي نه بدر رابه بسر مى بينم

دخترا نرا همه جنكست وجدل بامادر بسرا نرا همه بدخواه بدر مى بينم

وفي الحديث: «حق كبير الإخوة على صغيرهم كحق الوالدين على ولدهما، ومن مات والداه وهو لهما غير بار، فليستغفر لهما ويتصدق لهما، حتى يكتب باراً بوالديه، ومن دعا لأبويه في كل يوم خمس مرات فقد أدى حقهما، ومن زار قبر أبويه أو أحدهما في كل جمعة كتب باراً». كما في الحديث ودعاء الأحياء للأموات واستغفارهم هدايا لهم، والموتى يعلمون بزوارهم عشية الجمعة ويوم الجمعة، وليلة السبت إلى طلوع الشمس لفضل يوم الجمعة. وينوي بما يتصدق من ماله عن والديه إذا كانا مسلمين؛ فإنه لا ينقص من أجره شيء، ويكون لهما مثل أجره.

وقال بعض الكبراء: يرمي الحجر في الطريق عن يمينه مرة وينوي عن أبيه وبآخر عن يساره، وينوي عن أمه، وكان يكظم غيظه يريد برهما، ففيه دليل على أن جميع حسنات العبد يمكن أن تجعل من بر والديه إذا وجدت النية، فعلى الولد أن يبرهما حيين وميتين، ولكن لا يطيعهما في الشرك والمعاصي:

جون نبود خويش را ديانت وتقوى قطع رحم بهتر از مودت قربى

كما قال تعالى: ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا﴾ [لقمان: ١٥]:

هزار خويش كه بيكانه از خدا باشد فداى يك تن بيكانه كاشنا باشد

﴿**ويوم يعرض الذين كفروا على النار**﴾؛ أي: يعذبون بها فالعرض محمول على التعذيب مجازاً من قولهم عرض الأسارى على السيف؛ أي: قتلوا وإلا فالمعروض عليه يجب أن يكون من أهل الشعور والاطلاع والنار ليست منه. وقيل: تعرض النار عليهم بأن يوقفوا بحيث تبدو لهم النار ومواقعهم فيها، وذلك قبل أن يلقوا فيها، فيكون من باب القلب مبالغة بادعاء كون النار مميزاً ذا قهر وغلبة.

يقول الفقير: لا حاجة عندي إلى هذين التأويلين، فإن نار الآخرة لها شعور وإدراك بدليل أنها تقول: هل من مزيد؟ وتقول للمؤمنين جز يا مؤمن، فإن نورك أطفأ ناري وأمثال ذلك. وأيضاً لا بعد في أن يكون عرضهم على النار باعتبار ملائكة العذاب، فإنهم حاضرون عندها بأسباب العذاب، وأهل النار ينظرون إليهم، وإلى ما يعذبونهم به عياناً، والله أعلم.

﴿**أذهبتم طيباتكم**﴾؛ أي: يقال لهم ذلك على التوبيخ، وهو الناصب للظرف؛ أي: اليوم. والمعنى: أصبتم وأخذتم ما كتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها. وبالفارسية: [ببرديد وبخورديد جيزهاى لذيذ خودرا]. ﴿**في حياتكم الدنيا**﴾: [در زندكانى آن جهان خويش] ﴿**واستمتعتم بها**﴾، فلم يبق لكم بعد ذلك شيء منها؛ لأن إضافة الطيبات تفيد العموم، وبالفارسية: [وبرخوردارى يافتيد بآن لذائذ يعني استيفاى لذات كرديد وهيج براى آخرت نكذاشتيد].

قال سعدي المفتي قوله: واستمتعتم بها كأنه عطف تفسيري لأذهبتم. ﴿**فاليوم تجزون عذاب الهون**﴾؛ أي: الهوان والحقارة؛ أي: العذاب الذي فيه ذل وخزي ﴿**بما كنتم**﴾ في الدنيا ﴿**تستكبرون في الأرض بغير الحق**﴾ بغير استحقاق لذلك وفيه إشارة إلى أن الاستكبار إذا كان بحق كالاستكبار على الظلمة لا ينكر. ﴿**وبما كنتم تفسقون**﴾؛ أي: تخرجون من طاعة الله؛ أي: بسبب استكباركم وفسقكم المستمرين. علل سبحانه ذلك العذاب بأمرين أحدهما: الاستكبار عن قبول الدين الحق والإيمان بمحمد عليه السلام، وهو ذنب القلب. والثاني:

الفسق والمعصية بترك المأمورات وفعل المنهيات، وهو ذنب الجوارح. وقدم الأول على الثاني؛ لأن ذنب القلب أعظم تأثيراً من ذنب الجوارح.

قال الكاشفي: [تنبيه است مر طالبان تجات راكه قدم از اندازه شرع بيرون تنهند. باى از حدود شرع برون مى نهى منه. خودرا اسير نفس وهو اميكنى مكن.

وفي الآية إشارة إلى أن للنفس طيبات من الدنيا الفانية وللروح طيبات من الآخرة الباقية، فمن اشتغل باستيفاء طيبات نفسه في الدنيا يحرم في الآخرة من استيفاء طيبات روحه؛ لأن في طلب استيفاء طيبات النفس في الدنيا إبطال استعداد الروح في استيفاء طيبات في الآخرة موعودة، وفي ترك استيفاء طيبات النفس في الدنيا كمالية استعداد الروح في استيفاء طيبات في الآخرة موعودة، فلهذا يقال لأرباب النفوس، فاليوم تجزون عذاب الهون بأنكم استكبرتم في قبول دعوة الأنبياء في ترك شهوات النفس واستيفاء طيباتها لئلا تضيع طيبات أرواحكم، وبما كنتم تخرجون من أوامر الحق ونواهيه، ويقال للروح وأرباب القلوب: كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية، وبما كانت نفوسهم تاركة لشهواتها بتبعية الروح، يقال لهم ولكم فيها ما تشتهيه الأنفس؛ أي: من نعيم الجنة؛ فإنها من طيباتها وتلذ الأعين، وهو مشاهدة الجمال والجلال، وهي طيبات الروح. كذا في «التأويلات النجمية». والآية منادية بأن استيفاء الحظ من الدنيا ولذاتها صفة من صفات أهل النار، فعلى كل مؤمن ذي عقل وتمييز أن يجتنب ذلك اقتداء بسيد الأنبياء وأصحابه الصالحين، حيث آثروا اجتناب اللذات في الدنيا رجاء ثواب الآخرة.

قال الصائب:

افتد همـاى دولـت اكـر در كـمـنـدمـا ... از هـمـت بـلـنـد رهـا مـيـكـنـيـم مـا

قال الواسطي: من سره شيء من الألوان الفانية دق أو جل دخل تحت هذه الآية. روي عن عمر رضي الله عنه أنه دخل على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وهو على سرير، وقد أثر بجنبيه الشريط، فبكى عمر، فقال: «ما يبكيك يا عمر؟»، فقال: ذكرت كسرى وقيصر وما كانا فيه من الدنيا وأنت رسول رب العالمين قد أثر بجنبيك الشريط، فقال عليه السلام: «أولئك قوم عجلت لهم طيباتهم في حياتهم الدنيا ونحن قوم أخرت لنا طيباتنا في الآخرة».

قالت عائشة رضي الله عنها: ما شبع محمد من خبز الشعير يومين متتابعين حتى قبض رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، وأول بدعة حدثت بعده الشبع، وقالت أيضاً: وقد كان يأتي علينا الشهر ما نوقد فيه ناراً، وما هو إلا الماء والتمر غير أنه جزى الله عنا نساء الأنصار خيراً. كن ربما أهدين لنا شيئاً من اللبن.

قال في «كشف الأسرار»: [ملك زمين برسول الله عرض كردند واو بندكى اختيار كرد واز ملكى اعراض كرد وكفت]. أجوع يوماً وأشبع يوماً. قال جابر بن عبد الله رضي الله عنه رأى عمر بن الخطاب رضي الله عنه لحماً معلقاً في يدي، فقال: ما هذا يا جابر؟ قلت: اشتهيت لحماً فاشتريته، فقال عمر: أو كل ما اشتهيت يا جابر اشتريت، أما تخاف هذه الآية؟ ﴿أذهبتم طيباتكم في حياتكم الدنيا﴾.

نفس را بدخوا بناز ونعمت دنيا مكن ... آب ونـان سير كـاهـل ميكـنـد مزدوررا

قال أبو هريرة رضي الله عنه: لقد رأيت سبعين نفساً من أصحاب الصفة رضي الله عنهم

ما منهم رجل عليه رداء إما إزار أو كساء قد ربطوه في أعناقهم فمنها ما يبلغ نصف الساقين، ومنها: ما يبلغ الكعبين، فيجمعه بيده كراهية أن ترى عورته.

وفي الحديث: «من قضى نهمته في الدنيا حيل بينه وبين شهوته في الآخرة، ومن مد عينه إلى زينة المترفين كان مهيناً في ملكوت السماوات، ومن صبر على الفوت الشديد أسكنه الله الفردوس حيث شاء.

قال الشيخ سعدي:

ميرورتن ار مردراى وهشى	كه اورا جومى بروري مى كشى
خور وخواب تها طريق ددست	بربن بودن آيين تانجر دست
قناعت توانكر كند مردرا	خبركن حريص جهان كردرا
غدا كر لطيفست وكز سرسرى	جوديرت بدست اوفتد خوش خورى
كر ازاده برزمين خسب وبس	مكن نهر قالى زمين بوس كس
مكن خانه برراه سيل اى غلام	كه كس رانكشت اين همارت تمام

ومن الله العون في طريقه والوصول إليه بإرشاده وتوفيقه.

﴿۞ وَٱذۡكُرۡ أَخَا عَادٍ إِذۡ أَنذَرَ قَوۡمَهُۥ بِٱلۡأَحۡقَافِ وَقَدۡ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦٓ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ عَظِيمٖ ﴿٢١﴾ قَالُوٓاْ أَجِئۡتَنَا لِتَأۡفِكَنَا عَنۡ ءَالِهَتِنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾﴾

﴿**واذكر أخا عاد**﴾؛ أي: واذكر يا محمد لكفار مكة هوداً عليه السلام ليعتبروا من حال قومه. وبالفارسية: [وياد بن برادر عاد يعنى بيغمبرى كه از قبيلة عاد بود]. قمعنا أخا عاد واحداً منهم في النسب لا في الدين، كما في قولهم: يا أخا العرب وعاد هم ولد عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وهود هو ابن عبد الله بن رباح بن الخلود بن عاد ﴿**إذ أنذر قومه**﴾ بدل اشتمال منه؛ أي: وقت إنذاره إياه ﴿**بالأحقاف**﴾ بموضع يقال له: الأحقاف: [وآن ريكستاني بود نزديك حضرموت بولايت يمن].

جمع: حقف وهو رمل مستطيل مرتفع فيه انحناء من احقوقف الشيء إذا اعوج، وإنما أخذ الحقف من احقوقف مع أن الأمر ينبغي أن يكون بالعكس؛ لأن احقوقف أجلى معنى وأكثر استعمالاً، فكانت له من هذه الجهة أصالة، فأدخلت عليه كلمة الابتداء للتنبيه على هذا، كما في «حواشي سعدي المفتي». وعن بعضهم: كانت عاد أصحاب عمد سيارة في الربيع، فإذا هاج العود رجعوا إلى منازلهم، وكانوا من قبيلة إرم يسكنون بين رمال مشرفة على البحر بأرض يقال لها: الشحر من بلاد اليمن، وهو بكسر الشين وسكون الحاء، وقيل: بفتح الشين ساحل البحر بين عمان وعدن، وقيل: يسكنون بين عمان ومهرة وعمان بالضم والتخفيف بلد باليمن، وأما الذي بالشام، فهو عمان بالفتح والتشديد ومهرة موضع ينسب إليه الإبل المهرية.

قال في «فتح الرحمٰن»: الصحيح من الأقوال أن بلاد عاد كانت في اليمن ولهم كانت إرم ذات العماد، والأحقاف جمع: حقف، وهو الجبل المستطيل المعوج من الرمل، وكثيراً ما تحدث هذه الأحقاف في بلاد الرمل في الصحارى؛ لأن الريح تصنع ذلك. انتهى. وعن علي رضي الله عنه شر وادٍ بين الناس وادي الأحقاف ووادٍ بحضرموت يدعى برهوت تلقى فيه أرواح

الكفار وخير وادٍ: وادي مكة، وواد نزل به آدم بأرض الهند. وقال: خير بئر في الناس بئر زمزم، وشر بئر في الناس بئر برهوت، كذا في «كشف الأسرار».

﴿وقد خلت النذر﴾؛ أي: الرسل جمع نذير بمعنى: المنذر. **﴿من بين يديه﴾**؛ أي: من قبله **﴿ومن خلفه﴾**؛ أي: من بعده والجملة اعتراض بين المفسر والمفسر أو المتعلق والمتعلق مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الإنذار وسط بين إنذار قومه وبين قوله: **﴿أن لا تعبدوا إلا الله﴾** مسارعة إلى ما ذكر من التقرير والتأكيد وإيذاناً باشتراكهم في العبادة المحكية.

والمعنى: واذكر لقومك إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم. وقد أنذر من تقدمه من الرسل، ومن تأخر عنه قومهم مثل ذلك فاذكرهم.

قال في «بحر العلوم»: أن مخففة من الثقيلة؛ أي: أنه يعني أن الشأن، والقصة لا تعبدوا إلا الله، أو مفسرة بمعنى؛ أي: لا تعبدوا إلا الله، أو مصدرية بحذف الباء تقديره: بأن لا تعبدوا إلا الله والنهي عن الشيء إنذار عن مضرته. انتهى.

﴿إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم﴾؛ أي: هائل بسبب شرككم وإعراضكم عن التوحيد واليوم العظيم يوم نزول العذاب عليهم فعظيم مجاز عن هائل؛ لأنه يلزم العظم ويجوز أن يكون من قبيل الإسناد إلى الزمان مجازاً، وأن يكون الجر على الجوار.

﴿قالوا أجئتنا لتأفكنا﴾؛ أي: تصرفنا من الأفك بالفتح مصدر أفكه يأفكه افكاً قلبه وصرفه عن الشيء **﴿عن آلهتنا﴾** عن عبادتها إلى دينك. وهذا مما لا يكون **﴿فائتنا بما تعدنا﴾** من العذاب العظيم والباء للتعدية.

﴿إن كنت من الصادقين﴾ في وعدك بنزوله بنا.

﴿قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ تُدَمِّرُ كُلَّ شَىْءٍۭ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا۟ لَا يُرَىٰٓ إِلَّا مَسَٰكِنُهُمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْقَوْمَ ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿قال﴾؛ أي: هود **﴿إنما العلم﴾**؛ أي: بوقت نزوله، أو العلم بجميع الأشياء التي من جملتها ذلك. **﴿عند الله﴾** وحده لا علم لي بوقت نزوله، ولا مدخل لي في إتيانه وحلوله، وإنما علمه عند الله تعالى، فيأتيكم به في وقته المقدر له. **﴿وأبلغكم ما أرسلت به﴾** من مواجب الرسالة التي من جملتها بيان نزول العذاب إن لم تنتهوا عن الشرك من غير وقوف على وقت نزوله. **﴿ولكني أراكم قوماً تجهلون﴾** حيث يقترحون علي ما ليس من وظائف الرسل من الإتيان بالعذاب وتعيين وقته.

وفي «التأويلات النجمية»: تجهلون الصواب من الخطأ والصلاح من الفساد حين أدلكم على الرشاد. وفي الآية إشارة إلى أن الأصنام ظاهرة وباطنة، فالأصنام الظاهرة ظاهرة. وأما الأصنام الباطنة، فهي النفس وهواها وشهواتها الدنيوية الفانية، والنهي عنها مطلقاً من وظائف الأنبياء عليهم السلام؛ لأنهم بعثوا لإصلاح النفوس وتهييج الأرواح إلى الملك القدوس ويليهم ورثتهم، وهم الأولياء الكرام قدس الله أسرارهم، فهم بينوا أن عبادة الهوى تورث العذاب العظيم وعبادة الله تعالى تورث الثواب العظيم، بل رؤية الوجه الكريم، ولكن القوم من كمال شقاوتهم قابلونا بالرد والعناد، وزادوا في الضلال والفساد، فحرموا من الثواب مع ما لحقهم من العذاب.

وهذا من كمال الجهالة إذ لو كان للمرء عقل تام ومعرفة كاملة لما تبع الهوى وعبد المولى. قال بعضهم: يجب عليك أولاً أن تعرف المعبود، ثم تعبده وكيف تعبد من لا تعرفه بأسمائه وصفات ذاته، وما يجب له، وما يستحيل في نعته، فربما تعتقد شيئاً في صفاته يخالف الحق، فتكون عبادتك هباء منثوراً ألا ترى أن بعضهم رأى الشيطان بين السماء والأرض فظنه الحق، واستمر عليه مقدار عشرين سنة، ثم لما تبين له خطأه في ذلك قضى صلوات تلك المدة.

وكذلك يجب عليك علم الواجبات الشرعية لتؤديها كما أمرت بها، وكذا علم المناهي لتتركها: [شخصى بود صالح اما قليل العلم در حانة خود منقطع بود ناكاه بهيمة خريد واورابدان حاجتى ظاهرنه بعد ازجند سال كسى ازوى برسيدتوا اين راجه ميكنى وترابوى شغلى وحاجتى نيست كفت دين خودرا باين محافظت مى كنم اوخود بااين بهيمة جمع مى آمده است تا از زنا معصوم ماند اورا اعلام كردندكه آن حرام است وصاحب شرع نهى فرموده است بسيار كريست وتوبه كرد وكفت ندا نستم بس برتو فرض عين است كه ازدين خود بازجويى وحلال وحرام را تمييز كنى تا تصرفات تو بر طريق استقامت باشد].

ويجب عليك أيضاً معرفة الأحوال والأخلاق القلبية والتحرز عن مذموماتها كالحسد والرياء والعجب والكبر وحب المال والجاه ونحو ذلك. وتتخلق بممدوحاتها من التوكل والقناعة والرضا والتسليم واليقين ونحو ذلك، ولا بد في هذا الباب من المعلم والمرشد خصوصاً في إصلاح الباطن:

دراحلقة روشنند لان عالم خاك كه تاز جاجه دلرا كنى ز حادثه باك

﴿**فلما رأوه**﴾: الفاء فصيحة؛ أي: فأتاهم العذاب الموعود به، فلما رأوه حال كونه ﴿**عارضاً**﴾؛ أي: سحاباً يعرض في أفق السماء، أو يبدو في عرض السماء. ﴿**مستقبل أوديتهم**﴾؛ أي: متوجهاً تلقاء أوديتهم. والإضافة فيه لفظية، ولذا وقع صفة للنكرة. ﴿**قالوا هذا عارض ممطرنا**﴾؛ أي: يأتينا بالمطر، والإضافة فيه أيضاً لفظية.

روي أنه خرجت عليهم سحابة سوداء من وادٍ لهم، يقال له: المغيث وكانوا قد حبس عنهم المطر، فلما شاهدوها قالوا ذلك مستبشرين بها مسرورين ﴿**بل هو**﴾؛ أي: قال هود: ليس الأمر كذلك، بل هو ﴿**ما استعجلتم به**﴾ من العذاب. وبالفارسية: [اين نه ابر باران دهنده است بلكه او آن جيزيست كه تعجيل مزكر ريد بدان]. ﴿**ريح**﴾: خبر لمبتدأ محذوف؛ أي: [حوريح]. ﴿**فيها عذاب أليم**﴾ صفة لريح وكذا قوله: ﴿**تدمر**﴾؛ أي: تهلك. ﴿**كل شيء**﴾ مرت به من نفوسهم وأموالهم، فالاستغراق عرفي، والمراد: المشركون منهم. ﴿**بأمر ربها**﴾ إذ لا حركة ولا سكون إلا بمشيئته تعالى.

وأضاف الرب إلى الريح مع أنه تعالى رب كل شيء لتعظيم شأن المضاف إليه. وللإشارة إلى أنها في حركتها مأمورة، وأنها من أكابر جنود الله، يعني: ليس ذلك من باب تأثيرات الكواكب والقرانات، بل هو أمر حدث ابتداء بقدرة الله تعالى لأجل التعذيب. ﴿**فأصبحوا**﴾؛ أي: صاروا من العذاب بحال ﴿**لا يرى إلا مساكنهم**﴾: الفاء فصيحة؛ أي: فجأتهم الريح فدمرتهم، فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم، يعني: [بس كشتند بحالى كه اكر كسى بديار ايشان رسيدى ديده نشدى مكر جايكاهاى ايشان يعني همه هلاك شدند وجايكا ايشان خالى بماند].

﴿**كذلك**﴾: الكاف منصوبة على معنى مثل ذلك الجزاء الفظيع، يعني: الهلاك بعذاب الاستئصال. ﴿**نجزي القوم المجرمين**﴾ قيل: أوحى الله تعالى إلى خزان الريح أن أرسلوا مقدار منخر البقر، فقالوا: يا رب إذاً ننسف الأرض ومن عليها، فقال تعالى مثل حلقة الخاتم، ففعلوا، فجاءت ريح باردة من قبل المغرب، وأول ما عرفوا به أنه عذاب أن رأوا ما كان في الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والأرض، وترفع الظعينة في الجو حتى ترى كأنها جرادة، فتدمغها بالحجارة، فدخلوا بيوتهم وأغلقوا أبوابهم، فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم، فأمال الله الأحقاف عليهم، فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين، ثم كشفت الريح عنهم الأحقاف، فاحتملتهم فطرحتهم في البحر. وقد قالوا: من أشد منا قوة؟ فلا تستطيع الريح أن تزيل أقدامنا فغلبت عليهم الريح بقوتها، فما أغنت عنهم قوتهم.

وفي المثنوي:

جمله ذرات زمين وآسمان لشكر حقند كاه امتحان

بادرا ديدى كه با عادان جه كرد آب را ديدى كه با طوفان جه كرد

روي: أن هوداً عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطاً إلى جنب عين تنبع ماء لا يصيبهم من الريح إلا ما يلين على الجلود، وتلذ الأنفس وعمر هود بعدهم مائة وخمسين سنة. وقد مرّ تفصيل القصة في سورة الأعراف، فارجع، والآية وعيد لأهل مكة على إجرامهم بالتكذيب، فإن الله تعالى قادر على أن يرسل عليهم ريحاً مثل ريح عاد أو نحوها، فلا بد من الحذر.

وعن عائشة رضي الله عنها: كان النبي عليه السلام إذا رأى ريحاً مختلفة تلون وجهه وتغير ودخل وخرج وأقبل وأدبر، فذكرت ذلك له، فقال: وما تدرون لعله، كما قال الله تعالى: ﴿**فلما رأوه عارضاً**﴾ إلخ. فإذا أمطرت سري عنه، ويقول: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يُرۡسِلُ ٱلرِّيَٰحَ بُشۡرَۢا بَيۡنَ يَدَىۡ رَحۡمَتِهِۦ﴾ [الأعراف: ٥٧].

وفي الآية إشارة إلى أنه يعرض في سماء القلوب تارة عارض، فيمطر مطر الرحمة يحيي به الله أرض البشرية فينبت منها الأخلاق الحسنة والأعمال الصالحة، وتارة يعرض عارض ضده بسوء الأخلاق وفساد الأعمال، فتكون أشخاصهم خالية عن الخير كالأخلاق والآداب والأعمال الصالحة وقلوبهم فارغة من الصدق والإخلاص والرضا والتسليم، وهو جزاء القوم المعرضين عن الحق المقبلين على الباطل.

يقول الفقير: وفيه إشارة أيضاً إلى قوم ممكورين مقهورين يحسبون أنهم من أهل اللطف والكرم، فيأمرون برفع القباب على قبورهم بعد موتهم، أو يفعل بهم ذلك من جهة الجهلة، فصاروا بحيث لا يرى إلا القبور. والقباب وليس فيها أحد من الأحباب، بلى من أهل العذاب، ونعم ما قالوا لا تهيىء لنفسك قبراً وهيىء نفسك للقبر نسأل الله سبحانه أن يوفقنا لما يحبه ويرضاه ويحفظنا مما يوجب أذاه، ويخالف رضاه.

﴿وَلَقَدۡ مَكَّنَّٰهُمۡ فِيمَآ إِن مَّكَّنَّٰكُمۡ فِيهِ وَجَعَلۡنَا لَهُمۡ سَمۡعٗا وَأَبۡصَٰرٗا وَأَفۡـِٔدَةٗ فَمَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُمۡ سَمۡعُهُمۡ وَلَآ أَبۡصَٰرُهُمۡ وَلَآ أَفۡـِٔدَتُهُم مِّن شَيۡءٍ إِذۡ كَانُواْ يَجۡحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسۡتَهۡزِءُونَ ﴿٢٦﴾ وَلَقَدۡ أَهۡلَكۡنَا مَا حَوۡلَكُم مِّنَ ٱلۡقُرَىٰ وَصَرَّفۡنَا ٱلۡأٓيَٰتِ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٧﴾ فَلَوۡلَا نَصَرَهُمُ

ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةَۢ بَلْ ضَلُّواْ عَنْهُمْ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُواْ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿ولقد مكناهم﴾ : [لتمكين دست دادن وجاى دادن].

والمعنى: أقدرنا عاداً وملكناهم. وبالفارسية: [ايشان را قدرت وقوت داديم]. ﴿فيما﴾؛ أي: في الذي ﴿إن﴾ نافية؛ أي: ما. ﴿مكناكم﴾؛ أي: يا أهل مكة. ﴿فيه﴾ من السعة والبسطة وطول الأعمار وسائر مبادي التصرفات، ومما يحسن موقع إن دون ما ها هنا التفصي عن تكرار لفظة ما، وهو الداعي إلى قلب ألفها هاه في مهما، وجعلها زائدة أو شرطية على أن يكون الجواب: كان بغيكم أكثر مما لا يليق بالمقام. ﴿وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة﴾ ليستعملوها فيما خلقت له، ويعرفوا بكل منها ما نيطت به معرفته من فنون النعم، ويستدلوا بها على شؤون منعمها عز وجلّ، ويدوموا على شكرها. ولعل توحيد السمع؛ لأنه لا يدرك به إلا الصوت، وما يتبعه بخلاف البصر حيث يدرك به أشياء كثيرة بعضها بالذات وبعضها بالواسطة، والفؤاد يعم إدراك كل شيء، والفؤاد من القلب كالقلب من الصدر سمي به لتفؤده؛ أي: لتوقده تحرقاً.

﴿فما﴾ نافية ﴿أغنى عنهم سمعهم﴾ حيث لم يستعملوه في استماع الوحي ومواعظ الرسل يقال: أغنى عنه. كذا إذا كفاه. قال في «تاج المصادر»: [الإغناء بى نيلز كردانيدن ووااشتن كسى را از كسى]. ﴿ولا أبصارهم﴾ حيث لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة في صحائف العالم. ﴿ولا أفئدتهم﴾ حيث لم يستعملوها في معرفة الله سبحانه. ﴿من شيء﴾؛ أي: شيئاً من الإغناء ومن مزيدة للتأكيد.

قال الكاشفي: [همين كه عذاب فرود آيد بش دفع نكرد از ايشان كوش وديدها ودلهاى ايشان جيزبرا از عذاب خداى]. ﴿إذ كانوا﴾ : [ازروى تقليد وتعصب]. ﴿يجحدون بآيات الله﴾ قوله: إذ متعلق بما أغنى، وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث إن الحكم مرتب على ما أضيف إليه، فإن قولك: أكرمته إذ أكرمني في قوة قولك: أكرمته لإكرامه؛ لأنك إذا أكرمته وقت إكرامه، فإنما أكرمته فيه لوجود إكرامه فيه. وكذا الحال في حيث.

﴿وحاق بهم﴾ : نزل وأحاط. ﴿ما كانوا به يستهزئون﴾ من العذاب الذي كانوا يستعجلونه بطريق الاستهزاء، فيقولون، فائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين. وفي الآية تخويف لأهل مكة ليعتبروا.

وفي المثنوي:

بس سباس اوراكه مارا درجهان	كرد بيدا از بس بيشينيان
تاشنيديم ازسياستهاى حق	بر قرون ماضيه اندر سبق
استخوان وبشم آن كركان عيان	بنكريد وبند كيريد اى مهان
عاقل از سر بنهد اين هستى وباد	جون شنيد انجام فرعونان وعاد
ورنه بنهد ديكران از حال او	عبرتى كيرند از اضلال او

وفي الآية إشارة إلى أن هذه الآلات التي هي السمع والبصر والفؤاد أسباب تحصيل التوحيد، وبدأ بالسمع؛ لأن جميع التكليف الوارد على القلب، إنما يوجد من قبل السمع وثنى بالبصر؛ لأنه أعظم شاهد بتصديق المسموع منه، وبه حصول ما به التفكر والاعتبار غالباً تنبيهاً

على عظمة ذلك، وإن كان المبصر هو القلب. ثم رجع إلى الفؤاد الذي هو العمدة في ذلك فتقديمهما على جهة التعظيم له، كما يقال: الجناب والمجلس، وهما المبلغان إليه. وعنه: وإنما شاركه هذان في الذكر تنبيهاً على عظم مشاركتهما إياه في الوزارة ولولاهما لما أمكن أن يبلغ قلب في القالب قلباً في هذا العالم ما يريد إبلاغه إليه، فالسمع والبصر مع الفؤاد في عالم التكليف كالجسد والنفس مع الروح في عالم الخلافة، ولا يتم لأحدهما ذلك إلا بالآخرين، وإلا نقص بقدره.

والمراد: في جميع التكليف سلامة القلب والخطاب إليه من جهة كل عضو، فعلى العاقل سماع الحق والتخلق بما يسمع والمبادرة إلى الانقياد للتكليفات في جميع الأعضاء، وفعل ما قدر عليه من المندوبات، واجتناب ما سمع من المنهي عنه من المحرمات والتعفف عن المكروهات، وترك فضلات المباحات، فإن الاشتغال بفضول المباحات يحرم العبد من لذة المناجاة، وفكر القلب في المباحات يحدث له ظلمة، فكيف تدبير الحرام إذا غير المسك الماء منع الوضوء منه؟، فكيف ولوغ الكلب، وكل عضو يسأل عنه يوم القيامة، فليحاسب العبد نفسه قبل وقت المحاسبة.

وروي: أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم دعا إلى القصاص من نفسه في خدش خدشه أعرابياً لم يتعمده، فأتى جبرائيل، فقال: يا محمد إن الله لم يبعثك جباراً ولا متكبراً. فدعا النبي عليه السلام الأعرابي، فقال: «اقتص مني»! فقال الأعرابي: قد أحللتك بأبي أنت وأمي، وما كنت لأفعل ذلك أبداً، ولو أتيت على نفسي، فدعا له بخير، فكما يجب ترك الظلم باليد ونحوها، فكذا ترك معاونة الظلمة.

وطلب بعض الأمراء من بعض العلماء المحبوسين عنده أن يناوله طيناً ليختم به الكتاب، فقال: ناولني الكتاب أولاً حتى أنظر ما فيه، فهكذا كانوا يحترزون عن معاونة الظلمة، فمن أقر بآيات الله الناطقة بالحلال والحرام، كيف يجترىء على ترك العمل، فيكون من المستهزئين بها، فالتوحيد والإقرار أصل الأصول، ولكن قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ [فاطر: ١٠]، ولا كلام في شرف العلم والعمل خصوصاً الذكر.

قال موسى عليه السلام: يا رب أقريب أنت، فأناجيك أم بعيد؟ فأناديك، فقال: أنا جليس من ذكرني، قال: فإنا نكون على حال نجلك أن نذكرك عليها كالجنابة والغائط، فقال: اذكرني على أي حال.

قال الحسن البصري: إذا عطس على قضاء الحاجة يحمد الله في نفسه، كما في «إحياء العلوم». **﴿ولقد أهلكنا ما حولكم﴾** : يا أهل مكة. وبالفارسية: [بدرستى كه نيست كرديم آنجه كردا كرد شمابود]. وحول الشيء جانبه الذي يمكنه أن يحول إليه **﴿من القرى﴾** كحجر ثمود، وهي منازلها، والمؤتفكات، وهي قرى قوم لوط والظاهر من أهل القرى، فيدخل فيهم عاد فإنهم أهلكوا، وبقيت مساكنهم كما سبق.

﴿وصرفنا الآيات﴾ التي يعتبر بها؛ أي: كررنا عليهم الحجج وأنواع العبر. وفي «كشف الأسرار»: وصرفنا الآيات بتكرير ذكرها وإعادة أقاصيص الأمم الخالية بتكذيبها وشركها. **﴿لعلهم يرجعون﴾** لكي يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصي؛ لأنها أسباب الرجوع إلى التوحيد والطاعة، ولم يرجع أحد منهم ليعلم أن الهداية بيد الله يؤتيها من يشاء، قالوا: لعل

هذا تطميع لهم وتأميل للمؤمنين، وإلا فهو تعالى يعلم أنهم لا يرجعون.

يقول الفقير: هذا من أسرار القدر، فلا يبحث عنه، فإن الله تعالى خلق الجن والإنس ليعبدوه، فما عبده منهم إلا أقل من القليل، ولما كان تصريف الآيات، والدعوة بالمعجزات من مقتضيات أعيانهم فعله الله تعالى والأنبياء عليهم السلام. والفرق بين الأمر التكليفي والأمر الإرادي أن الأول لا يقتضي حصول المأمور به بخلاف الثاني، وإلا لوقع التخلف بين الإرادة والمراد، وهو محال.

﴿**فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة**﴾: القربان ما يتقرب به إلى الله واحده: مفعولي اتخذوا ضمير المفعول المحذوف. والثاني: آلهة وقرباناً حال. والتقدير: فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة حال كونها متقرباً بها إلى الله تعالى حيث كانوا يقولون: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣]. وهؤلاء شفعاؤنا عند الله، وفيه تهكم بهم.

﴿**بل ضلوا عنهم**﴾؛ أي: غابوا عنهم، وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم نصرتهم لغيبتهم، أو ضاعوا عنهم؛ أي: ظهر ضياعهم عنهم بالكلية. ﴿**وذلك**﴾؛ أي: ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرتهم. ﴿**إفكهم**﴾؛ أي: أثر إفكهم الذي هو اتخاذهم إياها آلهة ونتيجة شركهم. ﴿**وما كانوا يفترون**﴾: عطف على إفكهم؛ أي: وأثر افترائهم على الله أو أثر ما كانوا يفترونه عليه تعالى: [روى از تو هر كه تافت دكر آب رو نيافت].

وفي الآية إشارة إلى أن الأسباب والوسائل نوعان:

أحدهما: ما أذن الله تعالى في أن يتوسل العبد به إليه كالأنبياء والأولياء، وما جاؤوا به من الوحي والإلهام. فهذه أسباب الهدى كما قال تعالى: ﴿وَٱبْتَغُوٓاْ إِلَيْهِ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [المائدة: ٣٥]، ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩].

والثاني: ما لم يأذن فيه الله، كعبادة الأصنام ونحوها، فهذه أسباب الهوى، كما نطقت بها الآيات، ثم إن الله تعالى إنما يفعل عند الأسباب لا بالأسباب ليعلم العبد أن التأثير من الله تعالى، فيستأنس بالله لا بالأسباب:

حق تعالى موسى را فرمودكاى موسى جون مرغ باش كه از سر درختان مى خورد وآب صافى بكارمى بدد وجون شب درآمد در شكافى مأوى مى سازد وبامن انس ميكيرد واز خلق مستوحش ميكرد واى موسى هركه بغير من اميد دارد هر آينه اميد او قطع كنم وهركه باغير من تكيه كند بشت اوراشكسته كنم وهركه باغير من انس كيرد وحشت اودراز كردانم وهركه غير مرا دوست دارد هر آينه ازوى اعراض نمايم.

وفي الآية أيضاً تهديد وتخويف حتى لا يغفل المرء عن الله، ولا يتكل على غيره، بل يتأمل العاقبة، ويقبل الدعوة: [حق تعالى به بني إسرائيل خطاب فرمودكه شمارا بآخرت ترغيب كرديم رغبت نكرديد ودردنيا بزهد فرموديم زاهد نشديد وبا آنش ترسانيديم ترس دردل نكر فتيد وبه بهشت تشويق كرديم آرزومند نشديد برشما نوحه كردن داديم نكرستيد بشارت باد كشتكا نرا كه حق تعالى شمشير بست كه در نيام نيامد وان دار جهنم است].

﴿وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓاْ أَنصِتُواْ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْاْ إِلَىٰ

قَوۡمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ قَالُواْ يَٰقَوۡمَنَآ إِنَّا سَمِعۡنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعۡدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلۡحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٖ مُّسۡتَقِيمٖ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن﴾: أملناهم إليك وأقبلنا بهم نحوك والنفر دون العشرة وجمعه أنفار. قال الراغب: النفر عدة رجال يمكنهم النفر؛ أي: إلى الحرب ونحوها والجن بعض الروحانيين. وذلك أن الروحانيين ثلاثة أخيار: وهم الملائكة وأشرارهم، وهم الشياطين وأوساط فيهم أخيار وأشرار وهم الجن.

قال سعيد بن المسيب: الملائكة ليسوا بذكور ولا إناث، ولا يتوالدون ولا يأكلون ولا يشربون. والشياطين ذكور وإناث يتوالدون ولا يموتون، بل يخلدون في الدنيا كما خلد إبليس. والجن يتوالدون، وفيهم ذكور وإناث ويموتون.

يقول الفقير: يؤيده ما ثبت أن في الجن مذاهب مختلفة كالإنس حتى الرافضي ونحوه، وإن بينهم حروباً وقتالاً، ولكن يشكل قولهم: إبليس هو أبو الجن، فإنه يقتضي أن لا يكون بينهم وبين الشياطين فرق إلا بالإيمان والكفر فاعرف. ﴿يستمعون القرآن﴾: حال مقدرة من نفراً لتخصيصه بالصفة، أو صفة أخرى له؛ أي: واذكر لقومك وقت صرفنا إليك نفراً كائناً من الجن مقدراً استماعهم القرآن. ﴿فلما حضروه﴾؛ أي: القرآن عند تلاوته. ﴿قالوا﴾: أي قال بعضهم لبعض. ﴿انصتوا﴾: الإنصات هو الاستماع إلى الصوت مع ترك الكلام؛ أي: اسكتوا لسمعه.

وفيه إشارة إلى أن من شأنهم فضول الكلام واللغط كالإنس ورمز إلى الحرص المقبول. قال بعض العارفين: هيبة الخطاب وحشمة المشاهدة حبست ألسنتهم، فإنه ليس في مقام الحضرة إلا الخمول والذبول. ﴿فلما قضي﴾: أتم وفرغ من تلاوته. ﴿ولوا إلى قومهم منذرين﴾ انصرفوا إلى قومهم مقدرين إنذارهم عند رجوعهم إليه، يعني: آمنوا به، وأجابوا إلى ما سمعوا ورجعوا إلى قومهم منذرين، ولا يلزم من رجوعهم بهذه الصفة أن يكونوا رسل رسول الله عليه السلام إذ يجوز أن يكون الرجل نذيراً، ولا يكون نبياً أو رسولاً من جانب أحد، فالنذارة في الجن من غير نبوة. وقد سبق بقية الكلام في سورة الأنعام عند قوله تعالى: ﴿يَٰمَعۡشَرَ ٱلۡجِنِّ وَٱلۡإِنسِ﴾ [الأنعام: ١٣٠]، الآية.

روي: أن الجن كانت تسترق السمع، فلما حرست السماء ورجموا بالشهب، قالوا: ما هذا إلا لنبأ حدث، فنهض سبعة نفر أو ستة نفر من أشراف جن نصيبين ورؤسائهم. ونصيبين: بلد قاعدة ديار ربيعة، كما في «القاموس».

وقال في «إنسان العيون»: هي مدينة بالشام. وقيل: باليمن. أثنى عليها رسول الله عليه السلام بقوله: «رفعت إلى نصيبين حتى رأيتها، فدعوت الله أن يعذب نهرها وينضر شجرها ويكثر مطرها». وقيل: كانوا من ملوك جن نينوى بالموصل وأسماؤهم على ما في «عين المعاني»: [شاصر ناصر دس مس از دادنان احقم وكفته اندنه عدد بود وهشتم عمرو ونهم سرق وزوبعة بفتح الزاي المعجمة، والباء الموحدة از ايشان بوده واوبسر ابليس است].

وقال في «القاموس»: الزوبعة: اسم شيطان، أو رئيس الجن، فتكون الأسماء عشرة، لكن الأحقم بالميم أو الأحقب بالباء وصف لواحد منهم لا علم.

وقال ابن عباس رضي الله عنهما: [تسعة سليط شاصر ماصر حاصر حسا مسا عليم ارقم ادرس]، فضربوا في الأرض حتى بلغوا تهامة، وهي بالكسر مكة شرفها الله تعالى، وأرض معروفة لا بلد، كما في «القاموس»: ثم اندفعوا إلى وادي نخلة عند سوق عكاظ، ونخلة محلة بين مكة والطائف، ونخلة الشامية واليمانية واديان على ليلة من مكة وعكاظ، كغراب سوق بصحراء بين نخلة والطائف كانت تقوم هلال ذي القعدة، وتستمر عشرين يوماً تجتمع قبائل العرب فيتعاكظون؛ أي: يتفاخرون ويتناشدون، ومنه: الأديم العكاظي، فوافوا؛ أي: نفر الجن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم؛ أي: صادفوه ووجدوه، وهو قائم في جوف الليل يصلي؛ أي: في وسطه، وكان وحده أو معه مولاه زيد بن حارثة رضي الله عنه.

وفي رواية: يصلي صلاة الفجر إذ كان إذ ذاك مأموراً بركعتين بالغداة وبركعتين بالعشي، فهي غير صلاة الفجر التي هي إحدى الخمس المفترضة ليلة الإسراء إذ الحيلولة بين الجن وبين خبر السماء بالشهب. كانت في أوائل الوحي وليلة الإسراء كانت بعد ذلك بسنين عديدة، فاستمعوا لقراءته عليه السلام، وكان يقرأ طه وذلك عند منصرفه من الطائف حين خرج إليهم يستنصرهم على الإسلام، والقيام على من خالفه من قومه، فلم يجيبوه إلى مطلوبه وأغروا به سفهاءهم، فآذوه عليه السلام أذى شديداً ودقوا رجليه بالحجارة حتى أدموها، كما سبق. نبذة منه في آخر التوبة، وكان أقام بالطائف يدعوهم، عشرة أيام وشهراً وأقام بنخلة أياماً، فلما أراد الدخول إلى مكة قال له زيد: كيف تدخل عليهم يعني: قريشاً، وهم قد أخرجوك؛ أي: كانوا سبباً لخروجك، وخرجت لتستنصرهم، فلم تنصر، فقال: يا زيد إن الله جاعل لما ترى فرجاً ومخرجاً، وإن الله ناصر دينه ومظهر نبيه، فسار عليه السلام إلى جبل حراء وبعث إلى مطعم بن عدي، وقد مات كافراً قبل بدر بنحو سبعة أشهر، يقول له: إني داخل مكة في جوارك، فأجابه إلى ذلك، فدخل عليه السلام مكة، ثم تسلح مطعم وبنوه، وهم ستة أو سبعة وخرجوا حتى أتوا المسجد الحرام، فقام مطعم على راحلته، فنادى يا معشر قريش: إني قد أجرت محمداً، فلا يؤذيه أحد منكم، ثم بعث إلى رسول الله عليه السلام أن ادخل، فدخل وطاف بالبيت وصلى عنده، ثم انصرف إلى منزله ومطعم وولده مطيفون به.

وكان من عادة العرب حفظ الجوار. ولذا قال أبو سفيان لمطعم أجرنا من أجرت، ثم إن مرور الجن به عليه السلام في هذه القصة، ووقوفهم مستمعين لم يشعر به عليه السلام، ولكن أنبأه الله باستماعهم وذكر اجتماعهم به عليه السلام في مكة مراراً، فمن ذلك ما روي: أن النفر السبعة من الجن لما انصرفوا من بطن نخلة جاؤوا إلى قومهم منذرين، ثم جاؤوا مع قومهم وافدين إلى رسول الله عليه السلام، وهو بمكة وهم ثلاثمائة أو اثنا عشر ألفاً، فانتهوا إلى الحجون، وهو موضع فيه مقابر مكة، فجاء واحد من أولئك النفر إلى رسول الله، فقال: إن قومنا قد حضروا بالحجون يلقونك، فوعده عليه السلام ساعة من الليل، ثم قال لأصحابه: إني أمرت أن أقرأ على الجن الليلة، وأنذرهم، فمن يتبعني قالها: ثلاثاً، فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، فقام معه، قال: فانطلقنا حتى إذا كنا بأعلى مكة في شعب الحجون خط لي خطاً برجله. وقال لي: لا تخرج منه حتى أعود إليك، فإنك إن خرجت لن تراني إلى يوم القيامة.

وفي رواية: لم آمن عليك أن يخطفك بعضهم، ثم جلس وقرأ عليهم: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ﴾

[العلق: ١]، أو سورة الرحمٰن، وسمعت لغطاً شديداً، حتى خفت على رسول الله، واللغط بالغين المعجمة والطاء المهملة اختلاط أصوات الكلام حتى لا يفهم وغشيته عليه السلام، ثم انقطعوا كقطع السحاب، فقال لي عليه السلام: «هل رأيت شيئاً»؟ قلت: نعم، رجالاً سوداً؛ كأنهم رجال الزط وهم طائفة من السودان، الواحد منه زطي، فقال: أولئك جن نصيبين، قلت: سمعت منهم لغطاً شديداً، حتى خفت عليك إلى أن سمعتك تفرعهم بعصاك وتقول: اجلسوا؛ أي: فما سببه، فقال: «إن الجن تداعت في قتيل قتل بينهم فتحاكموا إليّ، فحكمت بينهم بالحق».

وقال أبو الليث، فلما رجع إليه، قال: يا نبي الله، سمعت هدتين؛ أي: صوتين. قال عليه السلام: إما أحداهما، فإني سلمت عليهم وردوا عليّ السلام. وأما الثانية: فإنهم سألوا الرزق، فأعطيتهم عظماً وأعطيتهم روثاً رزقاً لدوابهم؛ أي: أن المؤمنين منهم لا يجدون عظماً ذكر اسم الله عليه إلا وجدوا عليه لحمه يوم أكل ولا روثة إلا وجد فيها حبها يوم أكلت أو يعود البعر خضراً لدوابهم. ولهذا نهى عليه السلام عن الاستنجاء بالعظم والروث، وأما الكافرون منهم: فيجدون اللحم على العظم الذي لم يذكر اسم الله عليه.

وعن قتادة: لما أهبط إبليس، قال: أي رب لقد لعنته فما علمه، قال: السحر، قال: فما قراءته، قال: الشعر:

در قيامت نرسد شعر بفرياد كسى كر سراسر سخنش حكمت يونان كردد

قال: فما كتابته، قال: الوشم وهو غرز الإبر في البدن، وذر النيلج عليه، قال: فما طعامه؟ قال: كل ميتة، وما لم يذكر اسم الله عليه؛ أي: من طعام الإنس يأخذه سرقة، قال: فما شرابه؟ قال: كل مسكر، قال: فأين مسكنه؟ قال: الحمام، قال: فأين محله؟ قال: في الأسواق، قال: فما صوته، قال: المزمار، قال: فما مصايده؟ قال: النساء فالحمام أكثر محل إقامته والسوق محل تردده في بعض الأوقات. والظاهر أن كل من لم يؤمن من الجن مثل إبليس فيما ذكر، قال في «إنسان العيون» في أكل الجان ثلاثة أقوال: يأكلون بالمضغ والبلع ويشربون بالازدراد؛ أي: الابتلاع. والثاني: لا يأكلون ولا يشربون، بل يتغذون بالشم، والثالث: أنهم صنفان: صنف يأكل ويشرب وصنف لا يأكل ولا يشرب، وإنما يتغذون بالشم، وهو خلاصتهم.

وفي «آكام المرجان»: أن العمومات تقتضي أن الكل يأكلون ويشربون، وكون الرقيق رقيقاً. واللطيف لطيفاً لا يمنع عن الأكل والشرب، وأما الملائكة فهم أجسام لطيفة لكنهم لا يأكلون ولا يشربون لإجماع أهل الصلاة على ذلك وللأخبار المروية في ذلك. قال العلماء إنه عليه السلام بعث إلى الجن قطعاً، وهم مكلفون. وفيهم العصاة والطائعون، وقد أعلمنا الله أن نفراً من الجن رأوه عليه السلام، وآمنوا به وسمعوا القرآن فهم صحابة فضلاء من حيث رؤيتهم وصحبتهم، وحينئذٍ يتعين ذكر من عرف منهم في الصحابة رضي الله عنهم. كذا في «شرح النخبة» لعلي القاري.

﴿قالوا﴾ ؛ أي: عند رجوعهم إلى قومهم. **﴿يا قومنا إنا سمعنا كتاباً﴾** فيه إطلاق الكتاب على بعض أجزائه إذ لم يكن القرآن كله منزلاً حينئذٍ.

﴿أنزل من بعد﴾ كتاب **﴿موسى﴾** ، قيل: قالوه لأنهم كانوا على اليهودية وأسلموا. وقال

سعدي المفتي في «حواشيه». قلت: الظاهر أنه مثل قول ورقة بن نوفل: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، فقد قالوا في وجهه إنه ذكر موسى مع أنه كان نصرانياً تحقيقاً للرسالة؛ لأن نزوله على موسى متفق عليه بين اليهود والنصارى بخلاف عيسى، فإن اليهود ينكرون نبوته أو؛ لأن النصارى يتبعون أحكام التوراة، ويرجعون إليها، وهذان الوجهان متأتيان هنا أيضاً.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام، فلذا قالوا: من بعد موسى.

قال سعدي المفتي: لعله لا يصح عن ابن عباس، فإنه في غاية البعد إذ النصارى أمة عظيمة منتشرة في مشارق الأرض ومغاربها، فكيف يجوز أن لا يسمعوا بأمر عيسى. وقال في «إنسان العيون» قولهم: من بعد موسى بناء على أن شريعة عيسى مقررة لشريعة موسى لا ناسخة، انتهى.

يقول الفقير: قد صح أن التوراة أول كتاب اشتمل على الأحكام والشرائع بخلاف ما قبله من الكتب، فإنها لم تشتمل على ذلك، إنما كانت مشتملة على الإيمان بالله وتوحيده. ومن ثمة قيل لها: صحف. وإطلاق الكتب عليها مجاز كما صرح به في «السيرة الحلبية»، فلما كان القرآن مشتملاً على الأحكام والشرائع أيضاً، صارت الكتب الإلٰهية كلها في حكم كتابين التوراة والقرآن، فلذا خصصوا موسى بالذكر، وفيه بيان لشرف الكتابين وجلالتهما.

﴿**مصدقاً لما بين يديه**﴾؛ أي: موافقاً لما قبله من التوراة والكتب الإلٰهية في الدعوة إلى التوحيد والتصديق وحقية أمر النبوة والمعاد وتطهير الأخلاق ونحو ذلك. ﴿**يهدي إلى الحق**﴾ من العقائد الصحيحة. ﴿**وإلى طريق مستقيم**﴾ موصل إليه لا عوج فيه، وهو الشرائع والأعمال الصالحة.

قال ابن عطاء: يهدي إلى الحق في الباطن، وإلى طريق مستقيم في الظاهر.

﴿يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُواْ دَاعِيَ ٱللَّهِ وَءَامِنُواْ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِيَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُوْلَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿**يا قومنا أجيبوا داعي الله**﴾ يعني: محمداً ﷺ أو أرادوا ما سمعوه من الكتاب، فإنه كما أنه هاد كذلك، هو داع إلى الله تعالى. ﴿**وآمنوا به يغفر لكم**﴾؛ أي: الله تعالى ﴿**من ذنوبكم**﴾؛ أي: بعض ذنوبكم، وهو ما كان في خالص حق الله، فإن حقوق العباد لا تغفر بالإيمان بل برضى أربابها، يعني: إذا أسلم الذمي لا يغفر عنه حقوق العباد بإسلامه، وكذا لا تغفر عن الحربي إذا كان الحق مالياً، قالوا: ظلامة الكافر وخصومة الدابة أشد؛ لأن المسلم إما أن يحمل عليه ذنب خصمه بقدر حقه، أو يأخذ من حسناته. والكافر لا يأخذ من الحسنات، ولا ذنب للدابة، ولا يؤهل لأخذ الحسنات، فتعين العقاب. ﴿**ويجركم من عذاب أليم**﴾ معد للكفرة، وهو عذاب النار.

﴿**ومن لا يجب داعي الله فليس بمعجز في الأرض**﴾؛ أي: فليس بمعجز له تعالى بالهرب، وإن هرب كل مهرب من أقطارها، أو دخل في أعماقها. ﴿**وليس له من دونه أولياء**﴾ بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير إثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الأولياء باعتبار معنى من، فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد إلى الآحاد. ﴿**أولئك**﴾ الموصوفون بعدم إجابة الداعي.

﴿في ضلال مبين﴾ ؛ أي: ظاهر كونه ضلالاً بحيث لا يخفى على أحد حيث أعرضوا عن إجابة من هذا شأنه.

وفي الحديث: «ألا أخبركم عني وعن ملائكة ربي البارحة حفوا بي عند رأسي وعند رجلي وعن يميني وعن يساري»، فقالوا: يا محمد تنام عينك ولا ينام قلبك، فلتعقل ما نقول، فقال بعضهم لبعض: اضربوا لمحمد مثلاً، قال قائل: مثله كمثل رجل بنى داراً وبعث داعياً يدعو، فمن أجاب الداعي دخل الدار وأكل مما فيها، ومن لم يجب الداعي لم يدخل الدار، ولم يأكل مما فيها وسخط السيد عليه، ومحمد الداعي، فمن أجاب محمداً دخل الجنة، ومن لم يجب محمداً لم يدخل الجنة، ولم يأكل مما فيها، ويسخط السيد عليه.

وفي الآية دليل بيّن على أنه عليه السلام مبعوث إلى الجن والإنس جميعاً، ولم يبعث قبله نبي إليهما وأما سليمان عليه السلام، فلم يبعث إلى الجن، بل سخروا له. وفي «فتح الرحمٰن»: ولم يرسل عليه السلام إلى الملائكة صرح به البيهقي في الباب الرابع من «شعب الإيمان». وصرح في الباب الخامس عشر بانفكاكهم من شرعه. وفي «تفسير الإمام الرازي»، و«البرهان النسفي» حكاية الإجماع.

قال ابن حامد: من أصحاب أحمد: ومذهب العلماء إخراج الملائكة عن التكليف والوعد والوعيد، وهم معصومون كالأنبياء بالاتفاق إلا من استثني كإبليس وهاروت وماروت على القول بأنهم من الملائكة. انتهى.

وفي الحديث: «أرسلت إلى الخلق كافة» والخلق يشمل الإنس والجن والملك والحيوانات والنبات والحجر. قال الجلال السيوطي: وهذا القول؛ أي: إرساله للملائكة رجحته في كتاب «الخصائص» وقد رجحه قبلي الشيخ تقي الدين السبكي، وزاد أنه مرسل لجميع الأنبياء والأمم السابقة من لدن آدم إلى قيام الساعة، ورجحه أيضاً البارزي، وزاد أنه مرسل إلى جميع الحيوانات والجمادات، وأزيد على ذلك أنه مرسل لنفسه.

يقول الفقير: اختلف أهل الحديث في شأن الملائكة، هل هم من الصحابة أو لا؟ فقال البلقيني: ليسوا داخلين في الصحابة، وظاهر كلامهم كالإمام الرازي أنهم داخلون، ففيه أن الإمام كيف يعد الملائكة من الصحابة؟ وقد حكي الإجماع على عدم الإرسال وبعيد أن يكونوا من صحابته وأمته عليه السلام من غير أن يرسل إليهم. واختلف في حكم مؤمني الجن، فقيل: لا ثواب لهم إلا النجاة من النار لقوله تعالى: ﴿يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأحقاف: ٣١] حيث صرح باقتصارهم على المغفرة والإجارة.

وبه قال الحسن البصري رحمه الله حيث قال: ثوابهم أن يجاروا من النار، ثم يقال لهم: كونوا تراباً مثل البهائم.

قال الإمام النسفي في «التيسير» توقف أبو حنيفة في ثواب الجن ونعيمهم. وقال: لا استحقاق للعبد على الله، وإنما ينال بالوعد ولا وعد في حق الجن إلا المغفرة والإجارة، فهذا يقطع القول به، وأما نعيم الجنة، فموقوف على قيام الدليل. انتهى.

قال سعدي المفتي: وبهذا تبين أن أبا حنيفة متوقف لا جازم بأنه لا ثواب لهم، كما زعم البيضاوي، يعني أن المروي عن أبي حنيفة أنه توقف في كيفية ثوابهم لا أنه قال: لا ثواب لهم. وذلك أن في الجن مسلمين ويهوداً ونصارى ومجوساً وعبدة أوثان، فلمسلميهم ثواب لا

محالة، وإن لم نعلم كيفيته، كما أن الملائكة لا يجازون بالجنة، بل بنعيم يناسبهم على أصح قول العلماء، وأما رؤية الله تعالى، فلا يراه الملائكة والجن في رواية كما في «إنسان العيون».

والظاهر أن رؤيتهم من وادٍ ورؤية البشر من وادٍ، فمن نفى الرؤية عنهم نفاها بهذا المعنى، وإلا فالملائكة أهل حضور وشهود، فكيف لا يرونه، وكذا مؤمنو الجن وإن كانت معرفتهم دون معرفة الكمل من البشر على ما صرح به بعض العلماء. وفي «البزازية»: ذكر في التفاسير توقف الإمام الأعظم في ثواب الجن؛ لأنه جاء في القرآن فيهم يغفر لكم من ذنوبكم، والمغفرة لا تستلزم الإثابة.

قالت المعتزلة: أوعد لظالميهم، فيستحق الثواب صالحوهم. قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا۟ لِجَهَنَّمَ حَطَبًا ﴿١٥﴾﴾ [الجن: ١٥]، قلنا: الثواب فضل من الله تعالى لا بالاستحقاق، فإن قيل قوله تعالى: ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرحمٰن: ١٣] بعد عد نعم الجنة خطاب للثقلين، فيرد ما ذكرتم، قلنا: ذكر أن المراد منه التوقف في المآكل والمشارب والملاذ، والدخول فيه كدخول الملائكة للسلام والزيارة والخدمة والملائكة يدخلون عليهم من كل باب الآية، انتهى.

والصحيح كما في «بحر العلوم»: والأظهر كما في «الإرشاد»: أن الجن في حكم بني آدم ثواباً وعقاباً لأنهم مكلفون مثلهم، ويدل عليه قوله تعالى في هذه السورة ﴿وَلِكُلٍّ دَرَجَـٰتٌ مِّمَّا عَمِلُوا۟﴾ [الأنعام: ١٣٢]، والاقتصار؛ لأن مقصودهم الإنذار، ففيه تذكير بذنوبهم: [واز حمزة بن حبيب رحمه الله برسيدندكه مؤمنان جن را ثواب هست فرمودكه آرى وآيت ﴿لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾﴾ [الرحمان: ٥٦] بخواند وكفت الانسيات للإنس والجنيات للجن]. فدل على تأني الطمث من الجن؛ لأن طمث الحور العين إنما يكون في الجنة.

وفي «آكام المرجان»: في أحكام الجان اختلف العلماء في مؤمني الجن، هل يدخلون الجنة على أقوال أحدها؟ إنهم يدخلونها، وهو قول جمهور العلماء. ثم اختلف القائلون بهذا القول إذا دخلوا الجنة هل يأكلون فيها ويشربون؟ فعن الضحاك: يأكلون ويشربون، وعن مجاهد أنه سئل عن الجن المؤمنين أيدخلون الجنة؟ قال: يدخلونها، ولكن لا يأكلون ولا يشربون، بل يلهمون التسبيح والتقديس، فيجدون فيه ما يجده أهل الجنة من لذة الطعام والشراب، وذهب الحارث المحاسبي إلى أن الجن الذين يدخلون الجنة يكونون يوم القيامة بحيث نراهم ولا يروننا عكس ما كانوا عليه في الدنيا.

والقول الثاني: إنهم لا يدخلونها، بل يكونون في ربضها؛ أي: ناحيتها وجانبها يراهم الإنس من حيث لا يرونهم.

والقول الثالث: إنهم على الأعراف كما جاء في الحديث: «أن مؤمني الجن لهم ثواب وعليهم عقاب، وليسوا من أهل الجنة مع أمة محمد هم على الأعراف حائط الجنة تجري فيه الأنهار وتنبت فيه الأشجار والثمار». ذكره صاحب «الفردوس الكبير».

وقال الحافظ الذهبي: هذا حديث منكر جداً. وفي الحديث: «خلق الله الجن ثلاثة أصناف صنفاً حيات وعقارب وخشاش الأرض وصنفاً كالريح في الهواء وصنفاً عليه الثواب والعقاب، وخلق الله الإنس ثلاثة أصناف: صنفاً كالبهائم، كما قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾ إلى قوله: ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَـٰمِ﴾ [الأعراف: ١٧٩] الآية. وصنفاً أجسادهم كأجساد بني آدم وأرواحهم

كأرواح الشياطين وصنفاً في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله». رواه أبو الدرداء رضي الله عنه.

والقول الرابع: الوقف. واحتج أهل القول الأول بوجوه الأول العمومات كقوله تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الشعراء: ٩٠]، وقوله عليه السلام من شهد أن لا إله إلا الله خالصاً دخل الجنة، فكما أنهم يخاطبون بعمومات الوعيد بالإجماع، فكذلك يخاطبون بعمومات الوعد بالطريق الأولى، ومن أظهر حجة في ذلك قوله تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ فَبِأَيِّ﴾ [الرحمن: ٤٦ـ٤٧] إلى آخر السورة. والخطاب للجن والإنس فامتن عليهم بجزاء الجنة ووصفها لهم وشوقهم إليها، فدل ذلك على أنهم ينالون ما امتن عليهم به إذا آمنوا.

وقد جاء في حديث: أن رسول الله عليه السلام قال لأصحابه لما تلا عليهم هذه السورة: «الجن كانوا أحسن رداً منكم ما تلوت عليهم من آية إلا قالوا: ولا بشيء من آلائك ربنا نكذب». والثاني: ما استدل به ابن حزم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمْ خَيْرُ ٱلْبَرِيَّةِ ﴿٧﴾ جَزَآؤُهُمْ﴾ [البينة: ٧ـ٨] إلى آخر السورة. قال: وهذه صفة تعم الجن والإنس عموماً لا يجوز البتة أن يخص منها أحد النوعين، ومن المحال أن يكون الله يخبرنا بخبر عام، وهو لا يريد إلا بعض ما أخبرنا به ثم لا يبين لنا ذلك هذا هو ضد البيان الذي ضمنه الله لنا، فكيف، وقد نص على أنهم من جملة المؤمنين الذين يدخلون الجنة.

والثالث: ما سبق من خبر الطمث.

والرابع: ما قال ابن عباس رضي الله عنهما: الخلق أربعة، فخلق في الجنة كلهم، وخلق في النار كلهم وخلقان في الجنة والنار، فأما الذين في الجنة كلهم، فالملائكة، وأما الذين في النار كلهم، فالشياطين، وأما الذين في الجنة والنار، فالإنس والجن لهم الثواب، وعليهم العقاب.

والخامس: أن العقل يقوي ذلك وإن لم يوجبه، وذلك أن الله سبحانه قد أوعد من كفر منهم وعصى بالنار، فكيف لا يدخل من أطاع منهم الجنة، وهو سبحانه الحكم العدل، فإن قيل: قد أوعد الله من قال من الملائكة: إني إله من دونه بالنار، ومع هذا ليسوا في الجنة في الجواب أن المراد بذلك إبليس دعا إلى عبادة نفسه، فنزلت الآية فيه، وهي ومن يقل منهم إني إله من دونه، فذلك نجزيه جهنم، وأيضاً أن ذلك وإن سلمنا إرادة العموم منه، فهذا لا يقع من الملائكة، بل هو شرط، والشرط لا يلزم وقوعه، وهو نظير قوله: ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ﴾ [الزمر: ٦٥]، والجن يوجد منهم الكافر، فيدخل النار. واحتج أهل القول الثاني بقوله تعالى: ﴿**يغفر لكم**﴾ إلخ. حيث لم يذكر دخول الجنة، فدل على أنهم لا يدخلونها.

والجواب: أنه لا يلزم من سكوتهم أو عدم علمهم بدخول الجنة نفيه. وأيضاً: إن الله أخبر أنهم ولوا إلى قومهم منذرين فالمقام مقام الإنذار لا مقام بشارة. وأيضاً: إن هذه العبارة لا تقتضي نفي دخول الجنة؛ لأن الرسل المتقدمين كانوا ينذرون قومهم بالعذاب، ولا يذكرون دخول الجنة؛ لأن التخويف بالعذاب أشد تأثيراً من الوعد بالجنة، كما أخبر عن نوح في قوله: ﴿إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ﴾ [هود: ٢٦]، وعن هود ﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ [الشعراء: ١٣٥]، وعن شعيب ﴿عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾ [هود: ٨٤]، وكذلك غيرهم، وأيضاً: إن ذلك يستلزم دخول الجنة؛ لأن من غفر ذنوبه وأجير من العذاب، وهو مكلف بشرائع الرسل، فإنه يدخل الجنة.

وقد سبق دليل القول الثالث والرابع والعلم عند الله الملك المتعال وإليه المرجع والمآل.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَعْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ ۖ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا ۚ قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿أولم يروا﴾: الهمزة للإنكار، والواو: للعطف على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية؛ أي: ألم يتفكروا، ولم يعلموا علماً جازماً، في حكم المشاهدة والعيان. **﴿أن الله الذي خلق السماوات والأرض﴾** ابتداء من غير مثال **﴿ولم يعي بخلقهن﴾**؛ أي: لم يتعب ولم ينصب بذلك أصلاً، أو لم يعجز عنه يقال: عييت بالأمر إذا لم تعرف وجهه وأعييت تعبت.

وفي «القاموس»: أعيى الماشي كلَّ. وفي «تاج المصادر»: العي بكسر العين: [اندر ماندن]. والماضي: عيى وعي والنعت: عيي على فعيل وعى على فعل بالفتح، والإعياء: [درماندن وامانده شدن ودررفتن وامانده كردن]. وأعيى عليه الأمر. انتهى.

وحكي في سبب تعلم الكسائي النحو على كبره أنه مشى يوماً حتى أعيى، ثم جلس إلى قوم ليستريح، فقال: قد عييت بالتشديد بغير همزة، فقالوا له: لا تجالسنا وأنت تلحن. قال الكسائي: وكيف قالوا إن أردت من التعب؟ فقل: أعييت وإن أردت من انقطاع الحيلة والتعجيز في الأمر، فقل: عييت مخففاً، فقام من فوره وسأل عمن يعلم النحو، فأرشدوه إلى معاذ، فلزمه حتى نفد ما عنده، ثم خرج إلى البصرة إلى الخليل بن أحمد.

يقول الفقير: الظاهر أن المراد بالعي هنا اللغوب الواقع في قوله: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾﴾ [ق: ٣٨] والقرآن يفسر بعضه بعضاً فالإعياء مرفوع محال؛ لأنه لو كان لاقتضى ضعفاً واقتضى فساداً **﴿بقادر﴾** خبر أن ووجه دخول الباء اشتمال النفي الوارد في صدر الآية على أن وما في حيزها؛ كأنه قيل: أوليس الله بقادر **﴿على أن يحيي الموتى﴾** ولذا أجيب عنه بقوله: **﴿بلى إنه على كل شيء قدير﴾** تقريراً للقدرة على وجه عام يكون كالبرهان على المقصود يعني أن الله تعالى إذا كان قادراً على كل شيء كان قادراً على إحياء الموتى؛ لأنه من جملة الأشياء وقدرته تعالى لا تختص بمقدور دون مقدور فبلى يختص بالنفي ويفيد إبطاله على ما هو المشهور، وإن حكى الرضي عن بعضهم أنه جاز استعمالها في الإيجاب.

﴿ويوم يعرض الذين كفروا على النار﴾؛ أي: يعذبون بها، كما سبق في هذه السورة، ويوم ظرف عامله قول مضمر؛ أي: يقال لهم يومئذٍ **﴿أليس هذا﴾** العذاب الذي ترونه **﴿بالحق﴾**؛ أي: حقاً وكنتم تكذبون به، وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم: ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿١٣٨﴾﴾ [الشعراء: ١٣٨] **﴿قالوا بلى﴾**؛ أي: إنه الحق **﴿وربنا﴾** وهو الله تعالى أكدوا جوابهم بالقسم؛ لأنهم يطمعون في الخلاص بالاعتراف بحقيته، كما في الدنيا وأنى لهم ذلك. **﴿قال﴾** الله تعالى، أو خازن النار **﴿فذوقوا العذاب﴾**؛ أي: أحسوا به إحساس الذائق المطعوم **﴿بما كنتم تكفرون﴾** به في الدنيا. والباء للسببية، ومعنى الأمر الإهانة بهم والتوبيخ لهم على ما كان في الدنيا من الكفر والإنكار لوعد الله ووعيده.

قال ابن الشيخ: الظاهر أن صيغة الأمر لا مدخل لها في التوبيخ، وإنما هو مستفاد من قوله: **﴿بما كنتم تكفرون﴾**. وفي الآية إشارة إلى أنهم كانوا في الدنيا معذبين بعذاب البعد

والقطيعة، وإفساد الاستعداد الأصلي لقبول الكمالات وبلوغ القربات، ولكن ما كانوا يذوقون مرارة ذلك العذاب وحرقته لغلبة الحواس الظاهرة، وكلالة الحواس الباطنة، كما أن النائم لا يحس قرص النملة وعض البرغوث، وهنا ورد: «الناس نيام فإذا ماتوا تيقظوا».

واعلم كما أن الموت حق واقع لا يستريبه أحد، فكذا الحياة بعد الموت ولا عبرة بإنكار المنكر، فإنه من الجهل وإلا فقد ضرب الله له مثلاً بالتيقظ بعد النوم، ولذا ورد النوم أخو الموت. ثم إن الحياة على أنواع: حياة في الأرحام بنفخ الله الروح، وحياة في القبور بنفخ إسرافيل في الصور وحياة للقلوب بالفيض الروحاني وحياة للأرواح بالسر الرباني ولن يتخلص أحد من العذاب الروحاني والجسماني إلا بدخول جنة الوصل الإلهي الرباني، وهو إنما يحصل بمقاساة الرياضات والمجاهدات، فإن الجنة حفت بالمكاره: [نقلست كه يكروز حسن بصري ومالك بن دينار وشقيق بلخي نزد رابعه عدوية شدند واو رنجور بود حسن كفت ليس بصادق في دعواه من لم يصبر على ضرب مولاه شقيق كفت] ليس بصادق في دعواه من لم يشكر على ضرب مولاه مالك [كفت] ليس بصادق في دعواه من لم يتلذذ بضرب مولاه [رابعة را كفتند تو بكو كفت] ليس بصادق في دعواه من لم ينس الضرب في مشاهدة مولاه [وابن عجب نبودكه زنان مصر در مشاهده مخلوق درد زخم نيافتند اكركسى در مشاهده خالق بدين صفت بود عجب نبود] فعلم من هذا أن المرء إذا كان صادقاً في دعوى طلب الحق، فإنه لا يتأذى من شيء مما يجري على رأسه، ولا يريد من الله إلا ما يريد الله منه:

عاشقانرا كردر آتش مى نشاند قهر دوست ... تنك جشمم كرنظر در جشمة كوثر كنم

وإن الصادق لا يخلو من تعذيب النفس في الدنيا بنار المجاهدة، ثم من إحراقها بالكلية بالنار الكبرى التي هي العشق والمحبة، فإذا لم يبق في الوجود ما يتعلق بالإحراق كيف يعرض على النار يوم القيامة لتخليص الجوهر ونفسه مؤمنة مطمئنة، ومن الله العون والإمداد.

﴿فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ الْعَزْمِ مِنَ الرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾﴾.

﴿فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل﴾: الفاء: جواب شرط محذوف. والعزم في اللغة: الجد والقصد مع القطع؛ أي: إذا كان عاقبة أمر الكفرة ما ذكر، فاصبر على ما يصيبك من جهتهم كما صبر أولو الثبات والحرم من الرسل، فإنك من جملتهم بل من عليهم، ومن للتبيين، فيكون الرسل كلهم أولي عزم وجد في أمر الله.

قال في «التكملة». وهذا لا يصح لإبطال معنى تخصيص الآية، وقيل: من للتبعيض على أنهم صنفان أولو عزم وغير أولي عزم. والمراد بأولي العزم أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا في تأسيسها وتقريرها، وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم: نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم السلام، وقد نظمهم بعضهم بقوله:

أولو العزم نوح والخليل بن آزر ... وموسى وعيسى والحبيب محمد

قال في «الأسئلة المقحمة»: هذا القول هو الصحيح، وقيل: هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على أذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه، وإبراهيم صبر على النار، وعلى ذبح ولده، والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد، ويوسف على الجب والسجن وأيوب

على الضر وموسى، قال قومه: إنا لمدركون، قال: كلا، إن معي ربي سيهدين، ويونس على بطن الحوت وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة. وقال: إنها معبرة فاعبروها ولا تعمروها صلوات الله عليهم أجمعين.

وقال قوم: الأنبياء كلهم أولو العزم إلا يونس لعجلة كانت منه ألا يرى أنه قيل للنبي عليه السلام، ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨] ولا آدم لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ [طه: ١١٥].

قال في «حواشي ابن الشيخ»: ليس بصحيح؛ لأن معنى قوله: ولم نجد له عزماً قصداً إلى الخلاف، ويونس لم يكن خروجه بترك الصبر لكن توقياً عن نزول العذاب، انتهى. وفيه ما فيه كما لا يخفى على الفقيه. قال بعضهم: أولو العزم اثنا عشر نبياً أرسلوا إلى بني إسرائيل بالشام فعصوهم فأوحى الله إلى الأنبياء: إني مرسل عذابي على عصاة بني إسرائيل، فشق ذلك على الأنبياء، فأوحى الله إليهم اختاروا لأنفسكم إن شئتم أنزلت بكم العذاب وأنجيت بني إسرائيل، وإن شئتم أنجيتكم، وأنزلت العذاب ببني إسرائيل، فتشاوروا بينهم، فاجتمع رأيهم على أن ينزل بهم العذاب وينجي بني إسرائيل، فسلط الله عليهم ملوك الأرض، فمنهم من نشر بالمنشار، ومنهم من سلخ جلدة رأسه ووجهه، ومنهم من صلب على الخشب حتى مات، ومنهم من أحرق بالنار. وقيل غير ذلك، والله تعالى أعلم وأحكم.

يقول الفقير: لا شك أن الله تعالى فضل أهل الوحي بعضهم على بعض ببعض الخصائص، وإن كانوا متساوين في أصل الوحي والنبوة، كما قال تعالى: ﴿تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣]، وكذا باين بينهم في مراتب الابتلاء، وإن كان كل منهم لا يخلو عن الابتلاء من حيث إن أمر الدعوة مبني عليه، فأولو العزم منهم فوق غيرهم من الرسل، وكذا الرسل فوق الأنبياء، وأما نبينا عليه السلام، فأعلى أولي العزم دل عليه قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القلم: ٤]، فإن كونه على خلق عظيم يستدعي شدة البلاء. وقد قال: «ما أوذي نبي مثل ما أوذيت»، ففرق بين عزم وعزم. وقوله تعالى: ﴿وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ﴾ [القلم: ٤٨] مع قوله: ﴿إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا﴾ [الأنبياء: ٨٧] دل على أن يونس عليه السلام قد صدر منه الضجرة. وقول يوسف عليه السلام فاسأله: ﴿مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ﴾ [يوسف: ٥٠]؟ دل على أنه صدر منه التزكية، وقول لوط عليه السلام: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] دل على أنه ذهل عن أن الله تعالى كان ركنه الشديد، وقس على هذا المذكور قول عزيز ﴿أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [البقرة: ٢٥٩]، ونحو ذلك، فظهر أن الأنبياء عليهم السلام متفاوتون في درجات المعارف ومراتب الابتلاء، وطبقات العزم.

قال بعضهم: أولو العزم من لا يكون في عزمه فسخ، ولا في طلبه نسخ كما قيل لبعضهم بم وجدت ما وجدت. قال: بعزيمة كعزيمة الرجال؛ أي: الرجال البالغين مرتبة الكمال. ﴿**ولا تستعجل لهم**﴾؛ أي: لكفار مكة بالعذاب، فإنه على شرف النزول بهم وأمهلهم ليستعدوا بالتمتعات الحيوانية للعذاب العظيم، فإني أمهلهم رويداً، كأنه ضجر بعض الضجر فأحب أن ينزل العذاب بمن أبى منهم، فأمر بالصبر وترك الاستعجال. ﴿**كأنهم يوم يرون ما يوعدون**﴾ من العذاب ﴿**لم يلبثوا**﴾؛ أي: لم يمكثوا في الدنيا والتمتع بنعيمها ﴿**إلا ساعة**﴾ يسيرة وزماناً قليلاً ﴿**من نهار**﴾ لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته، يعني: أن هول ما

ينزل بهم ينسيهم مدة اللبث، وأيضاً: إن ما مضى وإن كان دهراً طويلاً لكنه يظن زماناً قليلاً، بل يكون كأن لم يكن فغاية التنعم الجسماني هو العذاب الروحاني، كما في البرزخ، والعذاب الجسماني أيضاً، كما في يوم القيامة.

غبار قافلة عمر جون نمايان نيست دواسبه رفتن ليل ونهار را درياب

﴿**بلاغ**﴾ خبر مبتدأ محذوف؛ أي: هذا الذي وعظتم به كفاية في الموعظة، أو تبليغ من الرسول، فالعبد يضرب بالعصا. والحر يكفيه الإشارة ﴿**فهل يهلك**﴾؛ أي: ما يهلك. وبالفارسية: [بس آيا هلاك كرده خواهند شد بعذاب واقع كه نازل شود يعني نخوا هند شد]. ﴿**إلا القوم الفاسقون**﴾؛ أي: الخارجون عن الاتعاظ به أو عن الطاعة. وقال بعض أهل التأويل؛ أي: الخارجون من عزم طلبه إلى طلب ما سواه. وفي هذه الألفاظ وعيد محض وإنذار بيّن. وفي «الفردوس» قال ابن عباس رضي الله عنهما، قال النبي عليه السلام: إذا عسر على المرأة ولادتها أخذ إناء نظيف وكتب عليه؛ ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥] إلخ. ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا﴾ [النازعات: ٤٦] إلخ.

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١] إلخ. ثم يغسل وتسقى منه المرأة وينضح على بطنها وفرجها كما في «بحر العلوم». وقال في «عين المعاني» قال ابن عباس رضي الله عنهما: إذا عسر على المرأة الولادة، فليكتب هاتان الآيتان في صحيفة، ثم تسقى، وهي هذه: بسم الله الرحمٰن الرحيم، لا إله إلا الله، الحكيم، الكريم، لا إله إلا الله العلي العظيم، سبحان الله رب السماوات السبع، ورب العرش العظيم، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنْ نَهَارٍ بَلَاغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا الْقَوْمُ الْفَاسِقُونَ﴾ [الأحقاف: ٣٥]، ﴿كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَهَا لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا عَشِيَّةً أَوْ ضُحَاهَا ﴿٤٦﴾﴾ [النازعات: ٤٦].

وفي شرعة الإسلام المرأة التي عسرت عليها الولادة يكتب لها في جام، وهو طبق أبيض من زجاج أو فضة، ويغسل ويسقى ماؤه: باسم الله الذي لا إله إلا هو العليم الحكيم، سبحان الله رب العرش العظيم، الحمد لله رب العالمين؛ كأنهم يوم يرون إلخ. ومر عيسى ابن مريم ببقرة اعترض ولدها في بطنها، فقالت: يا كلمة الله ادعو الله أن يخلصني، فقال عيسى: يا خالق النفس من النفس خلصها، فألقت ما في بطنها، فإذا عسرت على المرأة الولادة، فليكتب لها هذا، وكذا إذا عسرت على الفرس والبقر وغيرهما.

قال في «آكام المرجان»: يجوز أن يكتب للمصاب وغيره من المرضى شيء من كتاب الله، وذكره بالمداد المباح، ويغسل ويسقى كما نص على ذلك الإمام أحمد وغيره. انتهى. واحترز بكتاب الله وذكره عما لا يعرف معناه من لغات الملل المختلفة، فإنه يحتمل أن يكون فيه كفر واحترز بالمداد المباح عن الدم ونحوه من النجاسات، فإنه حرام بل كفر، وكذا تقليب حروف القرآن وتعكيسها.

نعوذ بالله ثم من لطائف القرآن الجليل ختم السورة الشريفة بالعذاب القاطع لدابر الكافرين، والحمد لله حمداً كثيراً إلى يوم الدين وإلى أبد الآبدين.

تمت سورة الأحقاف بعون ذي الألطاف في عاشر شوال المنتظم في سلك شهور سنة ثلاث عشرة بعد المائة ويليها سورة محمد ﷺ وتسمى سورة القتال أيضاً. مدنية، وقيل: مكية، وآيها تسع أو ثمان وثلاثون.

٤٧ ـ سورة محمد

وآياتها ثمان وثلاثون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿١﴾ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۙ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾﴾

﴿الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله﴾؛ أي: أعرضوا عن الإسلام وسلوك طريقه من صد صدوداً، فيكون التأكيد والتفسير لما قبله أو منعوا الناس عن ذلك من صده صداً كالمطعمين يوم بدر، فإن مترفيهم أطعموا الجنود يستظهرون على عداوة النبي عليه السلام والمؤمنين، فيكون مخصصاً لعموم قوله: **﴿الذين كفروا﴾**. والظاهر أنه عام في كل من كفر وصد.

﴿أضل أعمالهم﴾؛ أي: أبطلها وأحبطها وجعلها ضائعة لا أثر لها أصلاً، لا بمعنى أنه أبطلها وأحبطها بعد أن لم تكن بذلك، بل بمعنى أنه حكم ببطلانها وضياعها. فإن ما كانوا يعملونه من أعمال البر، كصلة الأرحام، وقري الأضياف وفك الأسارى وغيرها من المكارم ليس لها أثر من أصلها لعدم مقارنتها للإيمان وأبطل ما عملوه من الكيد لرسول الله عليه السلام والصد عن سبيله بنصر رسوله، وإظهار دينه على الدين كله، وهو الأوفق بقوله: ﴿فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ﴾ [محمد: ٨]، وقوله تعالى: **﴿فإذا لقيتم﴾**، إلخ.

﴿والذين آمنوا وعملوا الصالحات﴾ يعلم كل من آمن وعمل صالحاً من المهاجرين وأهل الكتاب وغيرهم، وكذا يعم الإيمان بجميع الكتب الإلهية. **﴿وآمنوا بما نزل على محمد﴾** خص بالذكر الإيمان بذلك مع اندراجه فيما قبله تنويهاً بشأن المنزل عليه، كما في عطف جبرائيل على الملائكة وتنبيهاً على سمو مكانه من بين سائر ما يجب الإيمان به، وأنه الأصل في الكل، ولذلك أكد بقوله تعالى: **﴿وهو﴾**؛ أي: ما نزل على محمد **﴿الحق﴾** حال كونه **﴿من ربهم﴾** بطريق حصر الحقية فيه والحق مقابل الباطل **﴿كفر عنهم سيئاتهم﴾**؛ أي: سترها بالإيمان والعمل الصالح **﴿وأصلح بالهم﴾**؛ أي: حالهم في الدين والدنيا بالتأييد والتوفيق.

قال الراغب في «المفردات» البال التي يكترث لها، ولذلك يقال: ما باليت بكذا؛ أي: ما اكترثت، ويعبر عن البال بالحال الذي ينطوي عليه الإنسان، فيقال: ما خطر كذا ببالي. وفي «القاموس»: البال: الحال.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا اتَّبَعُوا الْبَاطِلَ وَأَنَّ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّبَعُوا الْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ اللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَالَهُمْ ﴿٣﴾ فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّىٰ إِذَا أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً

حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ۚ ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ ۗ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾﴾.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى ما مر من إضلال الأعمال وتكفير السيئات وإصلاح البال، وهو مبتدأ خبره قوله: ﴿بأن الذين كفروا﴾؛ أي: كائن بسبب أن الكافرين ﴿اتبعوا الباطل﴾؛ أي: الشيطان ففعلوا ما فعلوا من الكفر والصد، فبيان سببية اتباعه للإضلال المذكور متضمن لبيان مسببيتهما لكونه أصلاً مستتبعاً لهما قطعاً.

﴿وأن الذين آمنوا﴾؛ أي: وبسبب أن المؤمنين ﴿اتبعوا الحق﴾ الذي لا محيد عنه كائناً ﴿من ربهم﴾ ففعلوا ما فعلوا من الإيمان به وبكتابه، ومن الأعمال الصالحة، فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والإصلاح بعد الإشعار بسببية الإيمان والعمل الصالح له متضمن لبيان مسببيتهما له لكونه مبدىء ومنشىء لهما حتماً، فلا تدافع بين الإشعار والتصريح في شيء من الموضعين. ﴿كذلك﴾؛ أي: مثل ذلك الضرب البديع. ﴿يضرب الله﴾؛ أي: يبين.

قال الراغب: قيل ضرب الدراهم اعتباراً بضربها بالمطرقة، ومنه ضرب المثل، وهو ذكر شيء أثره يظهر في غيره. ﴿للناس أمثالهم﴾؛ أي: أحوال الفريقين وأوصافهما الجارية في الغرابة مجرى الأمثال، وهي اتباع الأولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم، واتباع الآخرين الحق، وفوزهم وفلاحهم. وفي الخبر: «اللهم أرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه وأرنا الباطل باطلاً، وارزقنا اجتنابه». والحق يقال على أوجه:

الأول: يقال: لموجد الشيء بحسب ما تقضيه الحكمة. ولذا قيل: في الله تعالى هو الحق.

والثاني: يقال: للموجد بحسب مقتضى الحكمة، ولذلك قيل: فعل الله تعالى كله حق نحو قولنا الموت حق، والبعث حق، ويدخل فيه جميع الموجودات، فإنه لا عبث في فعل الحكيم تعالى وبطلان بعض الأشياء إضافي لا حقيقي حتى الشيطان ونحوه.

والثالث: يقال للاعتقاد في الشيء المطابق لما عليه ذلك الشيء في نفسه كقولنا اعتقاد فلان في البعث والثواب والعقاب والجنة والنار حق.

والرابع: يقال للفعل. والقول الواقع بحسب ما يجب وقدر ما يجب في الوقت الذي يجب كقولنا: فعلك حق وقولك حق. والباطل نقيض الحق في هذه المعاني، فالإيمان حق؛ لأنه مما أمر الله به، والكفر باطل، لأنه مما نهى الله عنه وقس عليه الأعمال الصالحة والمعاصي. والإيمان عبارة عن قطع الإشراك بالله مطلقاً، والعمل الصالح ما كان لله تعالى خالصاً، وكان الكبار يبذلون مقدورهم فيه؛ لأن ما كان لرضى الله تعالى مفتاح السعادة في الدارين.

قال موسى عليه السلام: يا رب فأي عبادك أعجز، قال: الذي يطلب الجنة بلا عمل والرزق بلا دعاء، قال: وأي عبادك أبخل، قال: الذي يسأله سائل، وهو يقدر على إطعامه، ولم يطعمه والذي يبخل بالسلام على أخيه:

كويند باز كشت بخيلان بود بخاك حاشا كه هيج خاك بذيرد بخيل را

يقول الفقير: مجرد الإنفاق والإطعام لا يعتبر إلا إذا كان مقارناً بالخلوص، وطلب الرضا

ألا ترى أن قريشاً أطعموا الكفار في وقعة بدر، فعاد إنفاقهم خيبة وخساراً؛ لأنه كان في طريق الشيطان لا في طريق الله تعالى، فأحبط أعمالهم، وكذا مجرد الإمساك لا يعد بخلاً إلا إذا كان ذلك إمساكاً عن المستحق ألا ترى كيف قال الله تعالى: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَـٰمًا﴾ [النساء: ٥]، فحذرهم في غير محل الإسراف، ولا سرف في الخير، ثم إن أعمال المبتدعة باطلة أيضاً؛ لأنها على زيغ وانحراف عن سننها، وإن كانوا يحسبون أنهم يحسنون صنعاً، فالكفر والبدعة والمعاصي أقبح الأشياء، كما أن الإيمان والسنة والطاعة أحسن الأشياء.

[بشر حافى قدس سره كفت رسول الله را عليه السلام بخواب ديدم مرا كفت اى بشر هيج دانى كه جرا خداى تعالى ترا بر كزيد ازميان اقران وبلند كردانيد كفتم نه يا رسول الله كفت بسبب آنكه متابعت سنت من كردى وصالحا نرا حرمت نكاه داشتى وبرادرانر نصيحت كردى وأصحاب وأهل بيت مرا دوست داشتى حق تعالى ترابدين سبب بمقام ابرار رسانيد].

ثم إن طريق اتباع الحق إنما يتيسر باتباع أهل الحق، فإنهم ورثة النبي ﷺ في التحقق بالحق والإرشاد إليه، فمن اتبع أهل الحق اهتدى، ومن اتبع أهل الباطل ضل، فالأول أهل جمال الله تعالى والملك خادمه. والثاني: أهل جلال الله تعالى، والشيطان سادنه، فعلى العاقل الرجوع إلى الحق وصحبة أهله، كما قال تعالى: ﴿وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من الذين يخدمون الحق بالحق، ويعصمنا من البطالة والبطلان والزيغ المطلق إنه هو الحق الباقي وإليه التلاقي.

﴿**فإذا لقيتم الذين كفروا**﴾: اللقاء: [ديدن وكار زار كردن ورسيدن]. قال الراغب: اللقاء: يقال في الإدراك بالحس بالبصر والبصيرة؛ أي: فإذا كان الأمر كما ذكر من ضلال أعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح أحوال المؤمنين وفلاحهم، فإذا لقيتموهم في المحاربة يا معشر المسلمين. ﴿**فضرب الرقاب**﴾ أصله: فاضربوا الرقاب ضرباً، فحذف الفعل وقدم المصدر وأنيب منابه مضافاً إلى المفعول والألف واللام بدل من الإضافة؛ أي: فاضربوا رقابهم بالسيف.

والمراد: فاقتلوهم، وإنما عبر عن القتل بضرب الرقاب تصويراً له بأشنع صورة، وهو جز الرقبة وإطارة العضو الذي هو رأس البدن وعلوه وأوجه أعضائه، وإرشاداً للغزاة إلى أيسر ما يكون منه. وفي الحديث: «أنا لم أبعث لأعذب بعذاب الله وإنما بعثت بضرب الرقاب وشد الوثاق». ﴿**حتى إذا أثخنتموهم**﴾.

قال في «الكشاف»: الإثخان كثرة القتل، والمبالغة فيه من قولهم: أثخنته الجراحات إذا أثبتته حتى تثقل عليه الحركة وأثخنه المرض إذا أثقله من الثخانة التي هي الغلظ والكثافة. وفي «المفردات» يقال: ثخن الشيء فهو ثخين إذا غلظ، ولم يستمر في ذهابه، ومنه استعير قولهم: أثخنته ضرباً واستخفافاً. والمعنى حتى إذا أكثرتم قتلهم وأغلظتموه على حذف المضاف أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض. ﴿**فشدوا الوثاق**﴾: الوثاق بالفتح والكسر اسم ما يوثق به ويشد من القيد. قال في «الوسيط»: الوثاق اسم من الإيثاق، يقال: أوثقه إيثاقاً ووثاقاً إذا شد أسره كيلا يفلت. فالمعنى: فأسروهم واحفظوهم. وبالفارسية: [بس استوار كنيد بندرا يعنى بكيريد ايشانرا باسيرى وبند كنيد محكم تابكر يزيد].

وقال أبو الليث: يعني إذا قهرتموهم وأسرتموهم فاستوثقوا أيديهم من خلفهم كيلا

يفلتوا، والأسر يكون بعد المبالغة في القتل. ﴿فإما مناً﴾؛ أي: تمنون مناً، وهو أن يترك الأمير الأسير الكافر من غير أن يأخذ منه شيئاً ﴿بعد﴾؛ أي: بعد شد الوثاق. ﴿وإما فداء﴾؛ أي: تفدون فداء هو أن يترك الأمير الأسير الكافر، ويأخذ مالاً أو أسيراً مسلماً في مقابلته. يقال: فداه يفديه فدى وفداء وفداه وافتداه وفاداه: أعطي شيئاً، فأنقذه. والفداء: ذلك المعطي، ويقصر كما في «القاموس».

وقال الراغب: الفدى والفداء حفظ الإنسان عن النائبة بما يبذله عنه، كما يقال: فديته بمالي وفديته بنفسي، وفاديته بكذا. انتهى. قال الشيخ الرضي: المطلوب من شد الوثاق إما قتل أو استرقاق، أو من أو فداء، فالإمام يتخير في الأسارى البالغين من الكفار بين هذه الخصال الأربع، وهذا التخيير ثابت عند الشافعي، ومنسوخ عندنا بقوله تعالى: ﴿فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [التوبة: ٥] قالوا: نزل ذلك يوم بدر، ثم نسخ، والحكم إما القتل أو الاسترقاق.

قال في «الدرر»: وحرم منهم فداؤهم وردهم إلى دارهم؛ لأن رد الأسير إلى دار الحرب تقوية لهم على المسلمين في الحرب، فيكره كما يكره بيع السلاح لهم. وفي المن خلاف الشافعي، وأما الفداء، فقبل الفراغ من الحرب جاز بالمال لا بالأسير المسلم، وبعده لا يجوز بالمال عند علمائنا، وبالنفس عند أبي حنيفة، ويجوز عند محمد وعن أبي يوسف روايتان، وعن مجاهد: ليس اليوم من ولا فداء إنما الإسلام أو ضرب العنق.

وعن الصديق رضي الله عنه: لا أفادي وإن طلبوا بمدين من ذهب، وكتب إليه في أسير التمسوا منه الفداء، فقال: اقتلوه؛ لأن أقتل رجلاً من المشركين أحب إليّ من كذا وكذا، وقد قتل عليه السلام يوم فتح مكة ابن الأخطل، وهو متعلق بأستار الكعبة بعدما وقع في منعة المسلمين، فهو كالأسير. ﴿حتى تضع الحرب أوزارها﴾ أوزار الحرب: آلاتها وأثقالها التي لا تقوم إلا بها من السلاح والكراع، يعني الخيل أسند وضعها إليها، وهو لأهلها إسناداً مجازياً وأصل الوزر بالكسر: الثقل وما يحمله الإنسان، فسمى الأسلحة أوزاراً؛ لأنها تحمل، فيكون جعل مثل الكراع من الأوزار من التغليب وحتى غاية عند الشافعي لأحد الأمور الأربعة، أو للمجموع.

والمعنى: أنهم لا يتركون على ذلك أبداً إلى أن لا يكون مع المشركين حرب بأن لا يبقى لهم شوكة، وأما عند أبي حنيفة، فإنه حمل الحرب على حرب بدر، فهي غاية للمن والفداء. والمعنى: يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها، وتنقضي وإن حملت على الجنس، فهي غاية للضرب والشد. والمعنى: أنهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب أوزارها بأن لا يبقى للمشركين شوكة.

وقال الكاشفي: [تابنهد اهل حرب سلاح حرب را يعنى دين اسلام بهمه جار سد وحكم قتال نماند وآن نزديك نزول عيسى عليه السلام خواهد بود جه در خبر آمده كه آخر قتال امت من بادجال است]. فما دام الكفر فالحرب قائمة أبداً ﴿ذلك﴾ ، أي: الأمر ذلك أو افعلوا ذلك ﴿ولو يشاء الله﴾ لو للمضي وإن دخل على المستقبل ﴿لانتصر منهم﴾ : لانتقم منهم بغير قتال بأن يكون ببعض أسباب الهلكة والاستئصال من خسف أو رجفة أو حاصب أو غرق أو موت ذريع ونحو ذلك. ويجوز أن يكون الانتقام بالملائكة بصيحتهم أو بصرعهم أو بقتالهم من

حيث لا يراهم الكفار، كما وقع في بدر ﴿ولكن﴾ لم يشأ ذلك ﴿ليبلو﴾: [تابيازمايد]. ﴿بعضكم ببعض﴾ فأمركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد، والكافرين بكم ليعاجلهم على أيديكم ببعض عذابهم كي يرتدع بعضهم عن الكفر.

وفي الآية إشارة إلى كافر النفس حيثما وجدتموه، وهو يمد رأسه إلى مشرب من مشارب الدنيا ونعيمها، فاضربوا عنق ذلك الرأس وادفعوه عن ذلك المشرب حتى إذا غلبتموهم؛ أي: النفوس وسخرتموهم، فشدوهم بوثاق أركان الشريعة وآداب الطريقة، فإنه بهذين الجناحين يطير صاحب الهمم العلية إلى عالم الحقيقة، فإما مناً على النفوس بعد الوصول بترك المجاهدة، وإما فداء بكثرة العبادة عوضاً عن ترك المجاهدة بعد الظفر بالنفوس، وإما قتل النفوس بسيف المخالفة، فإنه في مذهب أرباب الطلب يجوز كل ذلك بحسب نظر كل مجتهد، فإن كل مجتهد منهم مصيب. وذلك إلى أن يجد الطالب المطلوب، ويصل العاشق إلى المعشوق، بأن جرى على النفس بعد الظفر بها مسامحة في إغفاء ساعة وإفطار يوم ترويحاً للنفس من الكد وإجماعاً للحواس قوة لها على الباطل، فيما يستقبل من الأمر، فذلك على ما يحصل به استصواب من شيخ المريد، أو فتوى لسان القوم، أو فراسة صاحب الوقت، ولو شاء الله لقهر النفوس بتجلي صفات الجلال بغير سعي المجاهد في القتال، ولكن إلخ.

﴿والذين قتلوا في سبيل الله﴾؛ أي: استشهدوا يوم بدر ويوم أحد وسائر الحروب. ﴿فلن يضل أعمالهم﴾؛ أي: فلن يضيعها بل يثيب عليها.

﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن تَنصُرُوا۟ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾﴾.

﴿سيهديهم﴾ في الدنيا إلى أرشد الأمور، وفي الآخرة إلى الثواب. وعن الحسن بن زياد يهديهم إلى طريق الثواب في جواب منكر ونكير، وفيه أن أهل الشهادة لا يسألون ﴿ويصلح بالهم﴾؛ أي: شأنهم وحالهم بالعصمة والتوفيق، والظاهر أن السين للتأكيد، والمعنى: يهديهم الله البتة إلى مقاصدهم الأخروية، ويصلح شأنهم بإرضاء خصمائهم لكرامتهم على الله بالجهاد والشهادة.

﴿ويدخلهم الجنة عرفها لهم﴾: الجملة مستأنفة؛ أي: عرفها لهم في الدنيا بذكر أوصافها بحيث اشتاقوا إليها، أو بينها لهم بحيث يعلم كل أحد منزله ويهتدي إليه، كأنه كان ساكنه منذ خلق.

وفي الحديث: «لأحدكم بمنزله في الجنة أعرف منه بمنزله في الدنيا». وفي «المفردات»: عرفه جعل له عرفاً؛ أي: رائحة طيبة، فالمعنى زينها لهم وطيبها. وقال بعضهم: حددها لهم وأفرزها من عرف الدار، فجنة كل منهم محددة مفرزة، ومن فضائل الشهداء أنه ليس أحد يدخل الجنة، ويحب أن يخرج منها، ولو أعطي ما في الدنيا جميعاً إلا الشهيد، فإنه يتمنى أن يرده الله إلى الدنيا مراراً، فيقتل في سبيل الله، كما قتل أولاً، لما يرى من عظيم كرامة الشهداء على الله تعالى، ومن فضائلهم أن الشهادة في سبيل الله تكفر ما على العبد من الذنوب التي بينه وبين الله تعالى.

وفي الحديث: «يغفر للشهيد كل شيء إلا الدين». والمراد بالدين: كل ما كان من حقوق الآدميين كالغصب وأخذ المال بالباطل، وقتل العمد، والجراحة وغير ذلك من التبعات، وكذلك الغيبة والنميمة والسخرية، وما أشبه ذلك، فإن هذه الحقوق كلها لا بد من استيفائها لمستحقها.

وقال القرطبي: الدين الذي يحبس صاحبه عن الجنة هو الذي قد ترك له وفاء، ولم يوص به أو قدر على الأداء، فلم يؤده، أو أدانه على سفه أو سرف ومات، ولم يوفه وأما من أدان في حق واجب كفاقة وعسر، ومات ولم يترك وفاء، فإن الله لا يحبسه عن الجنة شهيداً كان أو غيره ويقضي عنه ويرضي خصمه، كما قال عليه السلام: «من أخذ أموال الناس يريد أداءها أدى الله عنه، ومن أخذها يريد إتلافها أتلفه الله». وفي الآية حث على الجهادين الأصغر والأكبر. ومن قتله العدو الظاهر صار شهيداً، ومن قتله العدو الباطن، وهو النفس صار طريداً كما قيل:

وآنكه كشت كافران باشد شهيد كشته نفس است نزد حق طريد

نسأل الله العون على محاربة النفس الأمارة والشيطان.

﴿**يا أيها الذين آمنوا إن تنصروا الله**﴾؛ أي: دينه ورسوله ﴿**ينصركم**﴾ على أعدائكم ويفتح لكم. ﴿**ويثبت أقدامكم**﴾ في مواطن الحرب ومواقفها أو على حجة الإسلام. واعلم أن النصرة على وجهين:

الأول: نصرة العبد، وذلك بإيضاح دلائل الدين وإزالة شبهة القاصرين وشرح أحكامه، وفرائضه وسننه وحلاله وحرامه، والعمل بها، ثم بالغزو والجهاد لإعلاء كلمة الله وقمع أعداء الدين، إما حقيقة كمباشرة المحاربة بنفسه، وإما حكماً بتكثير سواد المجاهدين بالوقوف تحت لوائهم، أو بالدعاء لنصرة المسلمين وخذلان الكافرين، بل يقول: اللهم انصر من نصر الدين واخذل من خذل المسلمين، ثم بالجهاد الأكبر بأن يكون عوناً لله على النفس حتى يصرعها ويقتلها، فلا يبقى من هواها أثر.

والثاني: نصرة الله تعالى، وذلك بإرسال الرسل وإنزال الكتب وإظهار الآيات والمعجزات وتبيين السبل إلى النعيم والجحيم، وحضرة الكريم والأمر بالجهاد الأصغر والأكبر والتوفيق للسعي فيهما طلباً لرضاه لا تبعاً لهواه وبإظهاره على أعداء الدين وقهرهم في إعلاء كلمة الله العليا، وإيتاء رشده في إفناء وجوده الفاني في الوجود الباقي بتجلي صفات جماله وجلاله.

قال بعض الكبار: زلل الأقدام بثلاثة أشياء: بشرك الشرك لمواهب الله، والخوف من غير الله، والأمل في غيره، وثبات الأقدام بثلاثة أشياء: بدوام رؤية المفضل والشكر على النعم، ورؤية التقصير في جميع الأحوال، والخوف منه والسكون إلى ضمان الله فيما ضمن من غير انزعاج، ولا احتياج، فعلى العاقل نصرة الدين على مقتضى العهد المتين.

قال الحافظ:

بيمان شكن هرآينه كردد شكسته حال إن العهود لدى أهل النهى ذمم

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ ﴿٨﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَالَهُمْ ﴿٩﴾﴾

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠) ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ (١١)﴾.

﴿والذين كفروا فتعساً لهم﴾: خوارى ورسوايى وهلاك وناااميدى مرايشان راست.

قال في «كشف الأسرار»: أتعسهم الله فتعسوا تعساً، والإتعاس هلاك [كردن وبرروى افكند]. وفي «الإرشاد»: وانتصابه بفعل واجب حذفه سماعاً؛ أي: فقال: تعساً لهم، والتعس: الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط، ورجل تاعس وتعس والفعل كمنع وسمع وتعسه الله وأتعسه. **﴿وأضل أعمالهم﴾** عطف عليه داخل معه في حيز الخبرية للموصول. يعني: [كم ونابود وباطل كرد الله تعالى عملهاى ايشانرا].

﴿ذلك﴾؛ أي: ما ذكر من التعس وإضلال الأعمال **﴿بأنهم﴾**؛ أي: بسبب أنهم **﴿كرهوا ما أنزل الله﴾** من القرآن لما فيه من التوحيد وسائر الأحكام المخالفة لما ألفوه واشتهته أنفسهم الأمارة بالسوء. **﴿فأحبط﴾** الله **﴿أعمالهم﴾** لأجل ذلك؛ أي: أبطلها كرره إشعاراً بأنه يلزم الكفر بالقرآن، ولا ينفك عنه بحال. والمراد بالأعمال طواف البيت وعمارة المسجد الحرام وإكرام الضيف وإغاثة الملهوفين وإعانة المظلومين ومواساة اليتامى والمساكين ونحو ذلك مما هو في صورة البر، وذلك بالنسبة إلى كفار قريش، وقس عليهم أعمال سائر الكفرة إلى يوم الدين.

﴿أفلم يسيروا﴾ كفار العرب **﴿في الأرض﴾**؛ أي: أقعدوا في أماكنهم، ولم يسيروا فيها إلى جانب الشام واليمن والعراق. **﴿فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم﴾** من الأمم المكذبة كعاد وثمود وأهل سبأ، فإن آثار ديارهم تنبىء عن أخبارهم **﴿دمر الله عليهم﴾** استئناف مبني على سؤال نشأ من الكلام؛ كأنه قيل: كيف كان عاقبتهم، فقيل: استأصل الله عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم. يقال: دمره أهلكه ودمر عليه أهلك عليه ما يختص به.

قال الطيبي: كأن في دمر عليهم تضمين معنى أطبق، فعدي بعلى، فإذا أطبق عليهم دماراً لم يخلص مما يختص بهم أحد. وفي «حواشي سعدي المفتي»: دمر الله عليهم؛ أي: أوقع التدمير عليهم. **﴿وللكافرين﴾**؛ أي: ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم **﴿أمثالها﴾**؛ أي: أمثال عواقبهم، أو عقوباتهم لكن لا على أن لهؤلاء أمثال ما لأولئك وأضعافه، بل مثله وإنما جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الأمم المعذبة.

وفي الآية إشارة إلى أن النفوس السائرة لتلحق نعيم صفاتها الذميمة كرهوا ما أنزل الله من موجبات مخالفات النفس والهوى وموافقات الشرع، ومتابعة الأنبياء، فأحبط أعمالهم لشوبها بالشرك والرياء والتصنع والهوى، أو لم يسلكوا في أرض البشرية، فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم من القلوب والأرواح لما تابعوا الهوى، وتلوثوا بحب الدنيا أهلكهم الله في أودية الرياء وبوادي البدعة والضلال. وللكافرين من النفوس اللئام في طلب المرام أمثالها من الضلال والهلاك.

﴿ذلك﴾ إشارة إلى ثبوت أمثال عقوبة الأمم السابقة لهؤلاء. وقال بعضهم: ذلك المذكور من كون المؤمنين منصورين مظفرين ومن كون الكافرين مقهورين مدمرين. **﴿بأن الله﴾**؛ أي: بسبب أنه تعالى: **﴿مولى الذين آمنوا﴾**؛ أي: ناصر لهم على أعدائهم في الظاهر

والباطن بسبب إيمانهم ﴿وأن الكافرين﴾؛ أي: بسبب أنهم ﴿لا مولى لهم﴾؛ أي: لا ناصر لهم، فيدفع عنهم العذاب الحال بسبب كفرهم، فالمراد ولاية النصرة لا ولاية العبودية، فإن الخلق كلهم عباده تعالى، كما قال: ﴿ثُمَّ رُدُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّۚ﴾ [الأنعام: ٦٢]؛ أي: مالكهم الحق وخالقهم، أو المعنى لا مولى لهم في اعتقادهم حيث يعبدون الأصنام، وإن كان مولاهم الحق تعالى في نفس الأمر، ويقال: أرجى آية في القرآن هذه الآية؛ لأن الله تعالى، قال: مولى الذين آمنوا، ولم يقل مولى الزهاد والعباد وأصحاب الأوراد والاجتهاد، والمؤمن، وإن كان عاصياً، فهو من جملة الذين آمنوا. ذكره القشيري قدس سره.

واعلم أن الجند جندان جند الدعاء وجند الوغى، فكما أن جند الوغى منصورون بسبب أقويائهم في باب الديانة والتقوى، ولا يكونون محرومين من ألطاف الله تعالى، كذلك جند الدعاء مستجابون بسبب ضعفائهم في باب الدنيا، وظاهر الحال، ولا يكونون مطرودين عن باب الله، كما قال عليه السلام: «إنكم تنصرون بضعفائكم».

قال الشيخ سعدي: [دعاء ضعيفان أميدوار. زبازوى مردى به آيد بكار]. ثم اعلم أن الله تعالى هو الموجود الحقيقي، وما سواه معدوم بالنسبة إلى وجوده الواجب، فالكفار لا يعبدون إلا المعدوم كالأصنام والطاغوت، فلذا لا ينصرون، والمؤمنون يعبدون الموجود الحقيقي، وهو الله تعالى، فلذا ينصرهم في الشدائد، وأيضاً إن الكفار يستندون إلى الحصون والسلاح والمؤمنون يتوكلون على القادر القوي الفتاح، فالله معينهم على كل حال.

روي: أن النبي عليه السلام كان بعد غزوة تحت شجرة وحيداً، فحمل عليه مشرك بسيف، وقال: من يخلصك مني، فقال النبي عليه السلام: «الله»، فسقط المشرك والسيف، فأخذه النبي عليه السلام، فقال: «من يخلصك مني»؟ فقال: لا أحد، ثم أسلم».

وروي: أن زيد بن ثابت رضي الله عنه خرج مع رجل من مكة إلى الطائف، ولم يعلم أنه منافق، فدخلا خربة وناما، فأوثق المنافق يد زيد وأراد قتله، فقال زيد: يا رحمٰن أعني، فسمع المنافق قائلاً، يقول: ويحك لا تقتله، فخرج المنافق، ولم ير أحداً، ثم وثم، ففي الثالثة قتله فارس، ثم حل وثاقه. وقال: أنا جبريل كنت في السماء السابعة حين دعوت الله فقال الله تعالى: أدرك عبدي فالله ولي الذين آمنوا قال الله تعالى في التوراة في حق هذه الأمة لا يحضرون قتالاً إلا وجبريل معهم، وهو يدل على أن جبريل يحضر كل قتال صدر من الصحابة للكفار، بل ظاهره كل قتال صدر من جميع الأمة، يعني إذا كانوا على الحق والعدل، ثم إن المجلس الذي تحضره الملائكة، وكذا المعركة يقشعر فيه الجلد، وتذرف فيه العينان، ويحصل التوجه إلى الحضرة العليا، فيكون ذلك سبباً لاستجابة الدعاء، وحصول المقصود من النصرة وغيرها. نسأل الله المعين أن يجعلنا من المنصورين آمين.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدْخِلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُۖ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴿١٢﴾ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ ٱلَّتِيٓ أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَٰهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ ﴿١٣﴾﴾.

﴿إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار﴾ بيان لحكم ولايته تعالى للمؤمنين وثمرتها الأخروية. ﴿والذين كفروا يتمتعون﴾؛ أي: ينتفعون في

الدنيا بمتاعها أياماً قلائل ويعيشون **﴿ويأكلون﴾** حريصين غافلين عن عواقبهم **﴿كما تأكل الأنعام﴾** في مسارحها ومعالفها غافلة عما هي بصدده من النحر والذبح. والأنعام جمع نعم بفتحتين، وهي الإبل والبقر والضأن والمعز. **﴿والنار مثوى لهم﴾**؛ أي: منزل ثواء وإقامة، والجملة إما حال مقدرة من واو يأكلون أو استئناف، فإن قلت: كيف التقابل بينه وبين قوله: إن الله يدخل، إلخ.

قلت: الآية والله أعلم من قبيل الاحتباك ذكر الأعمال الصالحة، ودخول الجنة أولاً دليلاً على حذف الفاسدة ودخول النار ثانياً، والتمتع والمثوى ثانياً، دليلاً على حذف التمتع والمأوى أولاً.

قال القشيري: الأنعام تأكل بلا تمييز من أي موضع وجد كذلك الكافر لا تمييز له أمن الحلال وجد أم من الحرام؟، وكذلك الأنعام ليس لها وقت، بل في كل وقت تقتات وتأكل كذلك الكافر أكول، كما قال عليه السلام: «الكافر يأكل في سبعة أمعاء، والمؤمن يأكل في معى واحد»، والأنعام تأكل على الغفلة فمن كان في حالة أكله ناسياً لربه فأكله كأكل الأنعام. قال الحدادي: الفرق بين أكل المؤمن والكافر، أن المؤمن لا يخلو أكله عن ثلاث الورع عند الطلب واستعمال الأدب والأكل للسبب، والكافر يطلب للنهمة ويأكل للشهوة وعيشه في غفلة. وقيل: المؤمن يتزود، والمنافق يتزين ويتريد الكافر يتمتع ويتمنع. وقيل: من كانت همته ما يأكل فقيمته ما يخرج منه.

قال الكاشفي: في الآية يعني: [همت ايشان مصرو فست بخوردن وعاقل بايدكه خوردن اوبراى زيستن باشد يعنى بجهت قوام بدن وتقويت قواى نفسانى طعام خورد ونظر اوبرانكه بدن تحمل طاعت داشته باشد وقوتهاى نفسانى در استدلال بقدرت ربانى ممد ومعان بودنه آنكه عمر خود طفيل خوردن شناسد ودر مرعاى ذرهم يأكلوا ويتمتعوا مانند جهار بايان جز خوردن وخواب مطمح نظرش نباشد ونعم ما قيل. خوردن براى زيستن وذكر دنست. تو معتقد كه زيستن از بهر خوردنست].

والحاصل ليس للذين كفروا هم إلا بطونهم وفروجهم، ولا يلتفتون إلى جانب الآخرة فهم قد أضاعوا أيامهم بالكفر والآثام وأكلوا وشربوا في الدنيا كالأنعام، وأما المؤمنون فقد جاهدوا في الله بالطاعات، واشتغلوا بالرياضيات والمجاهدات، فلا جرم أحسن الله إليهم بالجنات العاليات، ومن هنا يظهر سر قوله عليه السلام الدنيا سجن المؤمن وجنة الكافر، فلما عرف المؤمن أن الدنيا سجن ونعيمها زائل حبس نفسه على طاعة الله، فكان عاقبته الجنات والنعيم الباقي، ولما كان الكافر منكر الآخرة اشتغل في الدنيا باللذات، فلم يبق له في الآخرة إلا الحبس في الجحيم وأكل الزقوم، وكان الكبار يقنعون بيسير من الغذاء، كما حكي أن أويساً القرني رضي الله عنه كان يقتات ويكتسي مما وجد في المزابل، فرأى يوماً كلباً يهتر، فقال: كل ما يليك وأنا آكل ما يليني، فإن دخلت الجنة، فأنا خير منك، وإن دخلت النار، فأنت خير مني.

قال عليه السلام: «جاهدوا أنفسكم بالجوع والعطش، فإن الأجر في ذلك كأجر المجاهدة في سبيل الله، وأنه ليس من عمل أحب إلى الله تعالى من جوع وعطش، كما في «مختصر الإحياء». وفي المثنوي:

زين خورشها اندك اندك بازبر زين غذاى خربود نى آن حر
تا غذاى اصل را قابل شوى لقمهاى نور را آكل شوى

وقال الجامي:

جوع باشد غذاى اهل صفا محنت وابتلاى اهل هوا
جوع تنوير خانة دل تست اكل تعمير خانه كل تست
خانة دل كذاشتى بى نور خانة كل جه ميكنى معمور

وقال الشيخ سعدي:

باندازه خورزادا كر مردمى جنين برشكم آدمى يا خمى
درون جاى قوتست وذكر ونفس توبندارى از بهر نانست وبس
ندارند تن برروران آكهى كه بر معده باشد زحكمت تهى

ومن أوصاف المريدين المجاهدة، وهو حمل النفس على المكاره البدنية من الجوع والعطش والعري، ولا بد من مقاساة الموتات الأربع: الموت الأبيض، وهو الجوع، والموت الأحمر: وهو مخالفة الهوى، والموت الأسود، وهو تحمل الأذى، والموت الأخضر وهو طرح الرقاء بعضها على بعض؛ أي: لبس الخرقة المرقعة هضماً للنفس ما لم تكن لباس شهرة، فإن النبي عليه السلام نهى عن الشهرتين في اللباس اللين الأرفع والغليظ الأقوى، لأنه اشتهار بذلك وامتياز عن المسلمين له قد، وقال عليه السلام: كن في الناس كواحد من الناس قال إبراهيم بن أدهم قدس سره للقمة تتركها من عشائك مجاهدة لنفسك خير لك من قيام ليلة هذا اذا كان حلالاً، وأما إذا كان حراماً فلا خير فيه البتة، فما ملىء وعاء شر من بطن ملىء بالحلال وبالجوع يحصل الصمت، وقلة الكلام والذلة والانكسار من جميع الشهوات، ويذهب الوساوس، وكل آفة تطرأ عليك من نتائج الشبع، وأنت لا تدري قديماً كان أو حديثاً، فإن المعدة حوض البدن يسقي منه هذه الأعضاء التي هي مجموعة، فالغذاء الجسماني هو ماء حياة الجسم على التمام.

ولذلك قال سهل قدس سره: إن سر الخلوة في الماء، وأنت لا تشك أن صاحب الزراعة لو سقاها فوق حاجتها، وأطلق الماء عليها جملة واحدة هلكت، ولو منعها الماء فوق الحاجة أيضاً هلكت سواء كان من الأرض، أو من السماء وقس عليه الامتلاء من الطعام، ولو كان حلالاً. نسأل الله الحماية والرعاية.

﴿**وكأين**﴾ كلمة مركبة من الكاف وأي بمعنى كم الخبرية.

قال المولى الجامي في «شرح الكافية»: إنما بنى كأين لأن كاف التشبيه دخلت على أي، وأي في الأصل كان معرباً، لكنه انمحى عن الجزءين معناهما الإفرادي، فصار المجموع كاسم مفرد، بمعنى كم الخبرية، فصار كأنه اسم مبني على السكون آخره نون ساكنة كما في من لا تنوين تمكن، ولهذا يكتب بعد الياء نون مع أن التنوين لا صورة له في الخط. انتهى. ومحلها الرفع بالابتداء. ﴿**من قرية**﴾ تمييز لها. ﴿**هي أشد قوة من قريتك**﴾ صفة لقربة ﴿**التي أخرجتك**﴾: صفة لقريتك، وهي مكية، وقد حذف منهما المضاف، وأجرى أحكامه عليهما، كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى: ﴿**أهلكناهم**﴾؛ أي: وكم من أهل قرية هم أشد قوة من أهل قريتك الذين كانوا سبباً لخروجك من بينهم، ووصف القرية الأولى بشدة القوة للإيذان

بأولوية الثانية منها بالإهلاك لضعف قوتها، كما أن وصف الثانية بإخراجه عليه السلام للإيذان بأولويتها به لقوة جنايتها.

﴿فلا ناصر لهم﴾ بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الأعوان والأنصار إثر بيان عدم خلاصهم منه بأنفسهم، والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات، وهو حكاية حال ماضية.

وقال ابن عباس وقتادة رضي الله عنهم: لما خرج رسول الله عليه السلام من مكة إلى الغار التفت إلى مكة. وقال: أنت أحب البلاد إلى الله ولي، ولولا أن المشركين أخرجوني ما خرجت منك، فأنزل الله هذه الآية، فتكون الآية مكية وضعت بين الآيات المدنية.

وفي الآية إشارة إلى الروح وقريته، وهي الجسد فكم من قالب هو أقوى وأعظم من قالب قد أهلكه الله بالموت، فلا ناصر لهم في دفع الموت، فإذا كان الروح خارجاً من القالب القوي بالموت، فأولى أن يخرج من القالب الضعيف، كما قال تعالى: ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ ٱلْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِى بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾ [النساء: ٧٨]؛ أي: في أجسام ضخمة ممتلئة:

سيل بى زنهاررا در زيل بل آرام نيست ما بغفلت زير طاق آسمان اسوده ايم

﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم ﴿١٤﴾ مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَـٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَـٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّـٰرِبِينَ وَأَنْهَـٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَـٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾﴾.

﴿أفمن كان﴾: [آيا هركه باشد]. ﴿على بينة من ربه﴾: الفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام، ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين بأدلة الدين؛ أي: أليس الأمر كما ذكر، فمن كان مستقراً على حجة ظاهرة، وبرهان نير من مالك أمره ومربيه، وهو القرآن وسائر المعجزات والحجج العقلية. ﴿كمن زين له سوء عمله﴾ من الشر وسائر المعاصي مع كونه في نفسه أقبح القبائح، يعني: شيطان ونفس [اورا آرايش كرده است]. والمعنى: لا مساواة بين المهتدي والضال. ﴿واتبعوا﴾ بسبب ذلك التزيين. ﴿أهواءهم﴾ الزائغة، وانهمكوا في فنون الضلالات من غير أن يكون لهم شبهة توهم صحة ما هم عليه فضلاً عن حجة تدل عليها وجمع الضمير باعتبار معنى من، كما أن إفراد الأولين باعتبار لفظها. وفي الآية إشارة إلى أهل القلب، وأهل النفس، فإن أهل القلب بسبب تصفية قلوبهم عن صدأ الأخلاق الذميمة رأوا شواهد الحق، فكانوا على بصيرة من الأمر، وأما أهل النفس فزين لهم البدع، ومخالفات الشرع واتبعوا أهواءهم في العقائد القلبية والأعمال القالبية، فصاروا أضل من الحمير حيث لم يهتدوا لا إلى الله تعالى ولا إلى الجنة.

وقال أبو عثمان: البينة هي النور الذي يفرق المرء بين الإلهام والوسوسة، ولا يكون إلا لأهل الحقائق في الإيمان وأصل البينة للنبي عليه السلام، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَـٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾﴾ [النجم: ٨١]، وقال تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾﴾ [النجم: ١١]. قال بعض الكبار: إنما لم يجمع لنبي من الأنبياء عليهم السلام ما جمع لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم من العلوم؛ لأن مظهره عليه السلام [رحماني]. والرحمٰن: أول اسم صدر بعد

الاسم العليم، فالمعلومات كلها يحتوي عليها الاسم الرحمٰن، ومن هنا تحريم زينة الدنيا عليه ﷺ لكونها زائلة، فمنع من التلبس بها؛ لأن مظهره الرحماني ينافي الانقضاء ويلائم الأبد:

از ما مجوى زينت ظاهر كه جون صدف ما اندرون خانه بكوهر كرفته ايم

﴿مثل الجنة التي وعد المتقون﴾ عبر عن المؤمنين بالمتقين إيذاناً بأن الإيمان والعمل الصالح من باب التقوى الذي هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها، وترك السيئات عن آخرها ومثلها وصفها العجيب الشأن، وهو مبتدأ محذوف الخبر؛ أي: مثل الجنة الموعودة للمؤمنين وصفتها العجيبة الشأن ما تسمعون فيما يتلى عليكم. وقوله: ﴿فيها﴾؛ أي: في الجنة الموعودة إلى آخره مفسر له. ﴿أنهار﴾ جمع نهر بالسكون، ويحرك مجرى الماء الفائض.

﴿من ماء غير آسن﴾ من أسن الماء بالفتح من باب ضرب، أو نصر أو بالكسر إذا تغير طعمه وريحه تغيراً منكراً في «عين المعاني» من أسن غشي عليه من رائحة البئر. وفي «القاموس»: الآسن من الماء الأجن؛ أي: المتغير الطعم واللون. والمعنى: من ماء غير متغير الطعم والرائحة واللون، وإن طالت إقامته بخلاف ماء الدنيا، فإنه يتغير بطول المكث في مناقعه، وفي أوانيه مع أنه مختلف الطعوم مع اتحاد الأرض ببساطتها وشدة اتصالها، وقد يكون متغيراً بريح منتنة من أصل خلقته، أو من عارض عرض له من منبعه أو مجراه كذا في المناسبات.

يقول الفقير: قد صح أن المياه كلها تجري من تحت الصخرة في المسجد الأقصى، فهي ماء واحد في الأصل عذب فرات سائغ للشاربين، وإنما يحصل التغير من المجاري، فإن طباعها ليست متساوية دل عليها قوله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ [الرعد: ٤] وتجاور أجزائها لا يستلزم اتحادها في نفس الأمر، بل هي متجاورة مختلفة، ومثلها العلوم، فإنها إذا مرت بطبع غير مستقيم تتغير عن أصلها، فتكون في حكم الجهل، ومن هذا القبيل علوم جميع أهل الهوى والبدع والضلال.

﴿وأنهار من لبن لم يتغير طعمه﴾ بأن كان قارصاً، وهو الذي يقرص اللسان ويقبضه أو حازراً بتقديم الزاي، وهو الحامض أو غير ذلك، كألبان الدنيا. والمعنى: لم يتغير طعمه بنفسه عن أصل خلقته، ولو أنهم أرادوا تغييره بشهوة اشتهوها تغير. ﴿وأنهار من خمر﴾ وهو ما أسكر من عصير العنب، أو عام أي لكل مسكر، كما في «القاموس».

﴿لذة للشاربين﴾ : إما تأنيث لذ بمعنى لذيذ كطب وطبيب، أو مصدر نعت به؛ أي: لذيذة ليس فيها كراهة طعم وريح ولا غائلة سكر وخمار، كما في خمر الدنيا، وإنما هي تلذذ محض.

قال الحافظ:

مادر بياله عكس رخ يار ديده ايم اى بى خبرز لذت شرب مدام ما

يقول الفقير:

باده جنت مثال كوثرست اى هوشيار نيست اندر طبع كوثر آفت سكر وخمار

﴿وأنهار من عسل﴾ هو لعاب النحل وقيئه، كما قال ظهير الفارابي:

بدان غرض كه دهن خوش كنى زغايت حرص نشسته مترصد كه قى كندزنبور

وعن علي رضي الله عنه أنه قال في تحقير الدنيا: أشرف لباس ابن آدم فيها لعاب دودة وأشرف شرابه رجيع نحلة وظاهر هذا أنه من غير الفم.

قال في «حياة الحيوان»: وبالجملة أنه يخرج من بطون النحل، ولا ندري أمن فمها أم من غيره، وقد سبق جملة النقل في سورة النحل. ﴿مصفى﴾ لا يخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها خلقه الله مصفى لا أنه كان مختلطاً، فصفي. قال بعضهم في الفرق بين الخالص والصافي: إن الخالص ما زال عنه شوبه بعد أن كان فيه، والصافي قد يقال لما لا شوب فيه فقد حصل بهذا غاية التشويق إلى الجنة بالتمثيل بما يستلذ من أشربة الدنيا؛ لأنه غاية ما نعلم من ذلك مجرداً عما ينقصها، أو ينغصها مع الوصف بالغزارة والاستمرار، وبدأ بأنهار الماء لغرابتها في بلاد العرب وشدة حاجتهم إليها، ولما كان خلوها عن تغير أغرب نفاه بقوله: ﴿غير آسن﴾، ولما كان اللبن أقل، فكان جريه أنهاراً أغرب ثنى به، ولما كان الخمر أعز ثلث به، ولما كان العسل أشرفها وأقلها ختم به.

قال كعب الأحبار: نهر دجلة نهر ماء أهل الجنة. ونهر الفرات: نهر لبنهم. ونهر مصر: نهر خمرهم، ونهر سيحان: نهر عسلهم. وهذه الأنهار الأربعة تخرج من نهر الكوثر. قال ابن عباس رضي الله عنهما: ليس هنا مما في الجنة سوى الأسامي. قال كعب: قلت لرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: كيف أنهار الجنة، فقال: على حافاتها كراسي وقباب مضروبة وماؤها أصفى من الدمع، وأحلى من الشهد وألين من الزبد، وألذ من كل شيء، فيه حلاوة عرض كل نهر مسيرة خمسمائة عام، تدور تحت القصور والحجال لا يرطب ثيابهم، ولا يوجع بطونهم، وأكبر أنهارها: نهر الكوثر، طينه المسك الأذفر وحافتاه الدر والياقوت.

قال الكاشفي: [ارباب اشارات كفته اندكه جنانجه أنهار اربعة درزمين بهشت بزير شجرة طوبى روانست جهار جوى نيزدر زمين دل عارف درزير شجرة طيبه أصلها ثابت وفرعها في السماء جاريست ازمنبع قلب آب انابت واز ينبوع صدر لبن صفوت واز خمخانة سر خمر محبت واذ حجر روح عسل مودت]. وفي المثنوي:

آب صبرت جوى آب خلد شد ... جوى شير خلد مهر تست وود
ذوق طاعت كشت جوى انكبين ... مستى وشوق توجوى خمر بين
اين سببها جون بفرمان توبود ... جارجوهم مرترا فرمان نمود

[ودر بحر الحقائق فرموده كه آب اشارت بحيات دل است ولبن بفطرت اصليه كه بحموضت هوى وتفاهت بدعت متغير نكشته وخمر جوشش محبت الهى وعسل مصفى حلاوت قرب].

يقول الفقير: يفهم من هذا وجه آخر لترتيب الأنهار، وهو أن تحصل حياة القلب بالعلم أولاً، ثم تظهر صفوة الفطرة الأصلية، ثم يترقى السالك من محبة الأكوان إلى محبة الرحمٰن، ثم يصل إلى مقام القرب والجوار الإلٰهي. وقيل: التجلي العلمي لا يقع إلا في أربع صور: الماء واللبن والخمر والعسل. فمن شرب الماء يعطى العلم اللدني، ومن شرب اللبن يعطى العلم بأمور الشريعة، ومن شرب الخمر يعطى العلم بالكمال، ومن شرب العسل يعطى العلم بطريق الوحي والعلم إذا حصل بقدر استعداد القابل أعطاه الله استعداد العلم الآخر، فيحصل له عطش آخر. ومن هذا قيل: طالب العلم كشارب ماء البحر، كلما ازداد شرباً ازداد عطشاً، ومن هذا الباب ما نقل عن

سيد العارفين أبي يزيد البسطامي قدس سره من أنه قال:

شربت الحب كأساً بعد كأس فما نفد الشراب ولا رويت

وإليه الإشارة بقوله تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: ١١٤]، وأما الري في العلم فإضافي لا حقيقي. قال بعض العارفين: من شرب بكأس الوفاء لم ينظر في غيبته إلى غيره ومن شرب بكأس الصفاء خلص من شوبه وكدورته، ومن شرب بكأس الفناء عدم فيه القرار، ومن شرب في حال اللقاء أنس على الدوام ببقائه، فلم يطلب مع لقائه شيئاً آخر لا من عطائه ولا من لقائه لاستهلاكه في علائه عند سطوات جلاله وكبريائه، ولما ذكر ما للشرب ذكر ما للأكل، فقال: ﴿ولهم﴾؛ أي: للمتقين ﴿فيها﴾؛ أي: في الجنة الموعودة مع ما فيها من فنون الأنهار.

﴿من كل الثمرات﴾؛ أي: صنف من كل الثمرات على وجه لا حاجة معه من قلة، ولا انقطاع. وقيل: زوجان انتزاعاً من قوله تعالى: ﴿فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾﴾ [الرحمٰن: ٥٢]، وهي جمع ثمرة، وهي اسم لكل ما يطعم من أحمال الشجر، ويقال لكل نفع يصدر عن شيء ثمرة، كقولك: ثمرة العلم العمل الصالح، وثمرة العمل الصالح الجنة. ﴿ومغفرة﴾ عظيمة كائنة. ﴿من ربهم﴾؛ أي: المحسن إليهم بمحو ذنوبهم السالفة أعيانها وآثارها بحيث لا يخشون لهما عاقبة بعقاب ولا عتاب، وإلا لتنغص العيش عليهم يعني: [ببوشد ذنوب ايشانرا نه بران معاقبه كندونه معاتبه نمايد].

وفيه تأكيد لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية. قال في «فتح الرحمٰن»: قوله: ومغفرة عطف على الصنف المحذوف؛ أي: ونعيم أعطته المغفرة وسببته، وإلا فالمغفرة إنما هي قبل الجنة.

وفي «الكواشي»: عطف على أصناف المقدرة للإيذان بأنه تعالى راضٍ عنهم مع ما أعطاهم، فإن السيد قد يعطي مولاه مع ما سخطه عليه. قال بعض العارفين: الثمرات عبارة عن المكاشفات والمغفرة عن غفران ذنب الوجود كما قيل:

وجودك ذنب لا يقاس به ذنب بندار وجود ماكنا هيست عظيم

لطفى كن واين كنه زما در كذران

﴿كمن هو خالد في النار﴾: خبر لمبتدأ محذوف تقديره أمن هو خالد في هذه الجنة حسبما جرى به الوعد الكريم، كمن هو خالد في النار التي لا يطفأ لهيبها، ولا يفك أسيرها، ولا يؤنس غريبها، كما نطق به قوله تعالى: ﴿وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢]. وبالفارسية: [آيا هركه درجنين نعمتى باشد مانند كسى است كه اوجاودانست درآتش دوزخ]. ﴿وسقوا﴾ الجمع باعتبار معنى من؛ أي: سقوا بدل ما ذكر من أشربة أهل الجنة. ﴿ماء حميماً﴾ حاراً غاية الحرارة.

﴿فقطع﴾: [بس باره باره ميكند آب از فرط حرارت]. ﴿أمعاءهم﴾: [رودهاى ايشانرا]. جمع معى: بالكسر والقصر، وهو من أعفاج البطن؛ أي: ما ينتقل الطعام إليه بعد المعدة قيل: إذا دنا منهم شوى وجوههم، وانمازت فروة رؤوسهم؛ أي: انعزلت وانفرزت، فإذا شربوه قطع أمعاءهم، فخرجت من أدبارهم، فانظر بالاعتبار أيها الغافل عن القهار، هل يستوي الشراب العذب البارد والماء الحميم المر، وإنما ابتلاهم الله بذلك، لأن قلوبهم كانت خالية

عن العلوم والمعارف الإلٰهية ممتلئة بالجهل والغفلة، ولا شك أن اللذة الصورية الأخروية إنما تنشأ من اللذة المعنوية الدنيوية، كما أشار إليه مالك بن دينار قدس سره بقوله: خرج الناس من الدنيا، ولم يذوقوا أطيب الأشياء.

قيل: وما هو؟ قال: معرفة الله تعالى، فبقدر هذا الذوق في الدنيا يحصل الذوق في الآخرة، فمن كمل له الذوق كمل له النعيم. قال أبو يزيد البسطامي قدس سره: حلاوة المعرفة الإلٰهية خير من جنة الفردوس وأعلى عليين.

واعلم أن الإنسان لو حبس في بيت حمام حار لا يتحمله، بل يؤدي إلى موته، فكيف حاله إذا حبس في دار جهنم التي حرارتها فوق كل حرارة، لأنها سجرت بغضب القهار، وكيف حاله إذا سقي مثل ذلك الماء الحميم. وقد كان في الدنيا بحيث لا يدفع عطشه كل بارد، فلا ينبغي الاغترار بنعيم الدنيا إذا كان عاقبته الجحيم والحميم.

وفي الخبر: أن مؤمناً وكافراً في الزمان الأول انطلقا يصيدان السمك، فجعل الكافر يذكر آلهته ويأخذ السمك حتى أخذ سمكاً كثيراً، وجعل المؤمن يذكر الله كثيراً فلا يجيء شيء، ثم أصاب سمكة عند الغروب، فاضطربت ووقعت في الماء، فرجع المؤمن وليس معه شيء، ورجع الكافر، وقد امتلأت شبكته، فأسف ملك المؤمن الموكل عليه، فلما صعد إلى السماء أراه الله مسكن المؤمن في الجنة، فقال: والله ما يضره ما أصابه بعد أن يصير إلى هذا وأداه مسكن الكافر في جهنم، فقال: والله ما يغني عنه ما أصابه من الدنيا بعد أن يصير إلى هذا:

نعيم هر دو جهان بيش عاشقان بدوجو　　كه آن متاع قليلست واين بهاى كثير

﴿وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰٓ إِذَا خَرَجُوا۟ مِنْ عِندِكَ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مَاذَا قَالَ ءَانِفًا ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴿١٦﴾ وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ ﴿١٧﴾﴾.

﴿ومنهم من يستمع إليك﴾ يقال: استمع له، وإليه؛ أي: أصغى، وهم المنافقون كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم، فيسمعون كلامه ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاوناً منهم. **﴿حتى إذا خرجوا من عندك﴾** جمع الضمير باعتبار معنى من كما أن إفراده فيما قبله باعتبار لفظه **﴿قالوا للذين أوتوا العلم﴾** يعني: علماء الصحابة كعبد الله بن مسعود رضي الله عنه، وابن عباس وأبي الدرداء رضي الله عنهم.

﴿ماذا قال آنفاً﴾؛ أي: ما الذي قال الساعة على طريق الاستهزاء، وإن كان بصورة الاستعلام. وبالفارسية: [جه كفت بيغمبر اكنون يعنى ما فهم نكرديم سخن اورا واين بروجه سخريت ميكفتند]. وآنفاً من قولهم أنف الشيء، لما تقدم منه مستعار من الجارحة.

قال الراغب: استأنفت الشيء أخذت آنفه؛ أي: مبدأه. ومنه: ماذا قال آنفاً؛ أي: مبتدأ انتهى. قال بعضهم: تفسير الآنف بالساعة يدل على أنه ظرف حالي لكنه اسم للساعة التي قبل ساعتك التي أنت فيها، كما قاله صاحب «الكشاف»، وفي «القاموس»، قال: آنفاً كصاحب وكتف وقرىء بهما؛ أي: مذ ساعة؛ أي: في أول وقت يقرب منا. انتهى. وبه يندفع باعتراض البعض، فإن الساعة ليست محمولة على الوقت الحاضر في مثل هذا المقام، وإنما يراد بها ما في تفسير صاحب «القاموس». ومن هنا قال بعضهم: يقال: مر آنفاً؛ أي: قريباً أو هذه الساعة؛ أي: إن شئت قل هذه الساعة، فإنه بمعنى الأول، فاعرف **﴿أولئك﴾** الموصوفون بما

ذكر ﴿الذين طبع الله على قلوبهم﴾ ختم عليها لعدم توجهها نحو الخير أصلاً، ومنه الطابع للخاتم.

قال الراغب: الطبع أن يصور الشيء بصورة ما كطبع السكة وطبع الدراهم، وهو أعم من الختم وأخص من النقش والطابع والخاتم، ما يطبع به ويختم. والطابع فاعل ذلك ﴿واتبعوا أهواءهم﴾ الباطلة، فلذلك فعلوا ما فعلوا مما لا خير فيه.

﴿والذين اهتدوا﴾ إلى طريق الحق وهم المؤمنون ﴿زادهم﴾؛ أي: الله تعالى ﴿هدى﴾ بالتوفيق والإلهام. ﴿وآتاهم تقواهم﴾؛ أي: خلق التقوى فيهم، أو بين لهم ما يتقون منه.

قال ابن عطاء قدس سره: الذين تحققوا في طلب الهداية أوصلناهم إلى مقام الهداية وزدناهم هدى بالوصول إلى الهادي.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَآءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَآءَتْهُمْ ذِكْرَىٰهُمْ ﴿١٨﴾ فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَىٰكُمْ ﴿١٩﴾﴾

﴿فهل ينظرون﴾؛ أي: المنافقون والكافرون. ﴿إلا الساعة﴾؛ أي: ما ينتظرون إلا القيامة ﴿أن تأتيهم بغتة﴾، وهي المفاجأة بدل اشتمال من الساعة؛ أي: تباغتهم بغتة. والمعنى: أنهم لا يتذكرون بذكر أحوال الأمم الخالية ولا بالأخبار بإتيان الساعة، وما فيها من عظائم الأمور، وما ينتظرون للتذكر إلا إتيان نفس الساعة بغتة. ﴿فقد جاء أشراطها﴾ تعليل لمفاجأتها لا لإتيانها مطلقاً على معنى أنه لم يبق من الأمور الموجبة للتذكر أمر مترقب ينتظرونه سوى إتيان نفس الساعة إذا جاء أشراطها، فلم يرفعوا لها رأساً، ولم يعدوها من مبادىء إتيانها، فيكون إتيانها بطريق المفاجأة لا محالة، والأشراط جمع شرط بالتحريك، وهو العلامة.

والمراد بها: مبعثه عليه السلام وأمته آخر الأمم فمبعثه يدل على قرب انتهاء الزمان.

﴿فأنى لهم إذا جاءتهم ذكراهم﴾ حكم بخطئهم وفساد رأيهم في تأخير التذكر إلى إتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذٍ كقوله ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ ٱلْإِنسَٰنُ وَأَنَّىٰ لَهُ ٱلذِّكْرَىٰ﴾ [الفجر: ٢٣]؛ أي: وكيف لهم ذكراهم إذا جاءتهم الساعة على أن أنى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ وإذا جاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزاً إلى غاية سرعة مجيئها وإطلاق المجيء عن قيد البغتة لما أن مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئه مطلقاً لا مقيداً بقوله: البغتة.

وروي عن مكحول عن حذيفة، قال: سأل رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم: متى الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، ولكن لها أشراط تقارب الأسواق»، يعني: كسادها ومطر لا نبات، يعني: مطر في غير حينه وتفشو الفتنة وتظهر أولاد البغية، ويعظم رب المال، وتعلو أصوات الفسقة في المساجد، ويظهر أهل المنكر على أهل الحق.

وفي الحديث: «إذا ضيعت الأمانة، فانتظر الساعة، فقيل: كيف إضاعتها، فقال: إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة:

بقومى كه نيكى بسندد خداى　　دهد خسرو عادل نيك راى

جو خواهدكه ويران كند عالمى　　كند ملك دربنجه ظالمى

وقال الكلبي: أشراط الساعة كثرة المال والتجارة وشهادة الزور، وقطع الأرحام، وقلة الكرام، وكثرة اللئام.

وفي الحديث: «ما ينتظر أحدكم إلا غنى مطغياً أو فقراً منسياً، أو مرضاً مفسداً، أو هرماً مفنداً أو موتاً مجهزاً». والدجال: شر غائب ينتظر، والساعة أدهى وأمر انتهى، وقيامة كل أحد موته، فعليه أن يستعد لما بعد الموت قبل الموت، بل يقوم بالقيامة الكبرى التي هي قيامة العشق والمحبة التي تهلك عندها جميع ما سوى الله، ويزول تعيين الوجود المجازي، ويظهر سر الوجود الحقيقي. نسأل الله سبحانه وتعالى أن يجعلنا من المسارعين إلى مرضاته والأعضاء والقوى تساعد لا من المسوفين في أمره والأوقات تمر وتباعد.

﴿فاعلم أنه﴾؛ أي: الشأن الأعظم **﴿لا إله إلا الله﴾**؛ أي: انتفى انتفاء عظيماً أن يكون معبوداً بحق غير الملك الأعظم؛ أي: إذا علمت أن مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الإشراك والعصيان، فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه كقوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦]؛ أي: ثبتنا على الصراط المستقيم وقدم العلم على العمل تنبيهاً على فضله واستبداده بالمزية عليه لا سيما العلم بوحدانية الله تعالى، فإنه أول ما يجب على كل أحد والعلم أرفع من المعرفة، ولذا قال: فاعلم دون فاعرف؛ لأن الإنسان قد يعرف الشيء ولا يحيط به علماً، فإذا علمه وأحاط به علماً، فقد عرفه والعلم بالألوهية من قبيل العلم بالصفات؛ لأن الألوهية صفة من الصفات، فلا يلزم أن يحيط بكنهه تعالى أحد، فإنه محال إذ لا يعرف الله إلا الله.

قال بعض الكبار: لما كان ما تنتهي إليه معرفة كل عارف مرتبة الألوهْية، ومرتبة أحديتها المعبر عنها بتعين الأول لا كنه ذاته وغيب هويته، ولا إحاطة صفاته أمر في كتابه العزيز نبيه، لذا هو أكمل الخلق قدراً ومنزلة، وقابلية، فقال: فاعلم أنه لا إله إلا الله تنبيهاً له، ولمن يتبعه من أمته على قدر ما يمكن معرفته من جناب قدسه، ويمكن الظفر به، وهو مرتبة الألوهية وما وراءها من حضرة الغيب المطلق وغيب الهوية خارج عن طوق الكون إذ ليس وراءها اسم ولا رسم ولا نعت ولا وصف ولا حكم، وليس في قوة الكون المقيد أن يعطي غير ما يقتضيه تقييده، فكيف يمكن له أن يدرك حضرة الغيب المطلق، وغيب الهوية، ولما كان حصول التوحيد الذي هو كمال النفس موجباً للإجابة. قال تعالى معلماً أنه يجب على الإنسان بعد تكميل نفسه السعي في تكميل غيره، ليحصل التعاون على ما خلق العباد له من العبادة.

﴿واستغفر﴾؛ أي: اطلب الغفران من الله **﴿لذنبك﴾** وهو كل مقام عالٍ ارتفع عليه السلام عنه إلى أعلى وما صدر عنه عليه السلام من ترك الأولى، وعبر عنه بالذنب نظراً إلى منصبه الجليل، كيف لا وحسنات الأبرار سيئات المقربين، وإرشاداً له عليه السلام إلى التواضع وهضم النفس واستقصاء العمل **﴿وللمؤمنين والمؤمنات﴾**؛ أي: لذنوب أمتك بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعي غفرانهم؛ لأنهم أحق الناس بذلك منك؛ لأن ما عملوا من خير كان لك مثل أجره إذ لمكمل الغير مثل أجر ذلك الغير، وفي إعادة صلة الاستغفار على اختلاف متعلقيه جنساً. وفي حذف المضاف، وإقامة المضاف إليه مقامه إشعار بعراقتهم في الذنب وفرط افتقارهم إلى الاستغفار، وهو سؤال المغفرة وطلب الستر، إما من إصابة الذنب، فيكون حاصله العصمة والحفظ، وإما من إصابة عقوبة الذنب، فيكون حاصله العفو والمحو.

قال بعضهم للنبي عليه السلام أحوال ثلاثة:

الأول: مع الله، فلذا قيل وحده.

والثاني: مع نفسه ولذا أمر بالاستغفار لذنبه.

والثالث: مع المؤمنين ولذا أمر بالاستغفار لهم، وهذه أرجى آية في القرآن، فإنه لا شك أنه عليه السلام ائتمر بهذا الأمر وأنه لا شك أن الله تعالى أجابه فيه، فإنه لو لم يرد إجابته فيه لما أمره بذلك:

هركرا جون توبيشوا باشد نا اميد ازخدا جراباشد
جون نشان شفاعت كبرى يافت برنام ناميت طغرا
امتان با كناهكا ريها بتودارند اميد واريها

﴿والله يعلم متقلبكم﴾؛ أي: مكانكم الذي تتقلبون عليه في معاشكم ومتاجركم في الدنيا، فإنها مراحل لا بد من قطعها. وبالفارسية: [وخداى ميداند جاى رفتن وكرديدن شمادر دنيا كه جون ميكرديد از حال بحال]. ﴿ومثواكم﴾ في العقبى، فإنها موطن إقامتكم. وبالفارسية: [وآرامكاه شمادر عقبى بهشت است يا دوزخ]. فلا يأمركم إلا بما هو خير لكم في الدنيا والآخرة، فبادروا إلى الامتثال بما أمركم به، فإنه المهم لكم في المقامين.

قال في «بحر العلوم»: الخطاب في قوله: فاعلم واستغفر للنبي عليه السلام، وهو الظاهر، أو لكل من يتأتى منه العلم والاستغفار من أهل الإيمان وينصره الخطاب بلفظ الجمع في قوله: ﴿والله يعلم متقلبكم ومثواكم﴾. انتهى.

وفي «كشف الأسرار»: يعني: [يا محمد آنجه بنظر واستدلال دانسته از توحيد ما بخير نيز بدان ويقين باش كه الله تعالى يكانه ويكتاست درذات وصفات ودر حقايق سلمى آورده كه جون عالمى را كويند اعلم مرادبان ذكر باشد يعني يادكن آنجه دانسته].

وقال أبو الحسين النوري قدس سره: والعلم الذي دعي إليه المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم هو علم الحروف وعلم الحروف في لام ألف وعلم لام ألف في الألف وعلم الألف في النقطة وعلم النقطة في المعرفة الأصلية، وعلم المعرفة الأصلية، في علم الأول وعلم الأول في المشيئة، وعلم المشيئة في غيب الهوية، وهو الذي دعاه إليه، فقال: فاعلم، فالهاء راجع إلى غيب الهوية. انتهى.

[اكر كسى كويد ابراهيم خليل را عليه السلام كفتند اسلم جواب دادكه اسلمت مصطفى حبيب را كفتند فاعلم نكفت علمت جواب آنست كه خليل رونده بود درراه كه انى ذاهب إلى ربى در وادى تفرقت مانده لا جرم جوابش خود بايست داد وحبيب ربوده حق بوددر نقطه جمع نواخته اسرى بعبده حق اورا بخود باز نكذاشت از بهر او جواب دادكه آمن الرسول].

والإيمان هو العلم وإخبار الحق تعالى عنه أنه آمن وعلم أتم من إخباره بنفسه علمت قوله، واستغفر لذنبك؛ أي: إذا علمت أنك علمت فاستغفر لذنبك هذا، فإن الحق على جلال قدره لا يعلمه غيره:

تراكه داندكه تراتو دانى تو ترانداندكس تراتو دانى كس

وفي «التأويلات النجمية»: فاعلم بعلم اليقين أنه لا إله بعلم اليقين إلا الله بحق اليقين، فإذا تجلى الله بصفة علمه الذاتي للجهولية الذاتية للعبد تفنى ظلمة جهوليته بنور علمه، فيعلم بعلم الله أن لا موجود إلا الله، فهذه مظنة حسبان العبد أن العالم يعلم أنه لا إله إلا الله، فقيل له: واستغفر لذنبك بأنك علمت وللمؤمنين والمؤمنات بأنهم يحسبون أن يحسنوا علم لا إله إلا

الله، فإن من وصفه ﴿وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعام: ٩١]، والله يعلم متقلب كل روح من العدم بوصف خاص إلى عالم الأرواح في مقام مخصوص به ومثوى كل روح إلى أسفل سافلين قالب خاص بوصف خاص، ثم متقلبه من أسفل سافلين القالب بالإيمان، والعمل الصالح، أو بالكفر والعمل الطالح إلى الدرجات الروحانية، أو الدركات النفسانية، ثم مثواه إلى عليين القرب المخصوص به، أو إلى سجين البعد المخصوص به مثاله، كما أن لكل حجر ومدر وخشب يبنى به دار متقلباً مخصوصاً به وموضعاً من الدار مخصوصاً به ليوضع فيه لا يشاركه فيه شيء آخر كذلك لكل روح منقلب مخصوص به لا يشاركه فيه أحد. انتهى.

وقال البقلي: واستغفر من وجودك في مطالعتي ووجود وصالي، فإن بقاء الوجود الحدثاني في بقاء الحق أعظم الذنوب. وفي «الأسئلة المقحمة»: المراد الصغائر والعثرات التي هي من صفات البشرية، وهذا على قول من جوز الصغائر على الأنبياء عليهم السلام: [ودر معالم آورده كه آن حضرت مأمور شد باستغفار با آنكه مغفورست نا امت درين سنت بوى قندا كننده]. يعني: واستغفر لذنبك ليستن بك غيرك: [ودر تبيان آوورده كه مراد آنست كه طلب عصمت كن ازخداى تاترا از كاهان نكاه دارد].

وقيل: من التقصير في حقيقة العبودية التي لا يدركها أحد، وقال بعض الكبار: الذنب المضاف إلى الرسول الأكرم ﷺ هو ما أشير إليه في قوله: فاعلم ولا يفهمه إلا أهل الإشارة. يقول الفقير: لعله ذنب نسبة العلم إليه في مرتبة الفرق إذ هو الحق في مرتبة الجمع، لذا قيل في الروضة المنيفة عند رأسه الشريف عليه السلام: لا تجوز السجدة لمخلوق إلا لباطن رسول الله فإنه الحق. والذنب المضاف إلى المؤمنين والمؤمنات هو قصورهم في علم التوحيد بالنسبة إلى النبي المحترم ﷺ، ثم هذه الكلمة كلمة التوحيد، فالتوحيد لا يماثله ولا يعادله شيء، وإلا لما كان واحداً، بل كان اثنين فصاعداً وإذا أريد بهذه الكلمة التوحيد الحقيقي، لم تدخل في الميزان؛ لأنه ليس له مماثل ومعادل، فكيف تدخل فيه؟

وإليه أشار الخبر الصحيح عن الله تعالى، قال الله تعالى: لو أن السماوات السبع وعامرهن غيري والأرضين السبع وعامرهن غيري في كفة، ولا إله إلا الله في كفة لمالت بهن لا إله إلا الله. فعلم من هذه الإشارة أن المانع من دخولها في ميزان الحقيقة هو عدم المماثل والمعادل، كما قال تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ﴾ [الشورى: ١١]، وإذا أريد بها التوحيد الرسمي تدخل في الميزان؛ لأنه يوجد لها ضد بل أضداد كما أشير إليه بحديث صاحب السجلات التسعة والتسعين، فما مالت الكفة إلا بالبطاقة التي كتبها الملك فيها فهي الكلمة المكتوبة المنطوقة المخلوقة، فعلم من هذه الإشارة أن السبب لدخولها في ميزان الشريعة، هو وجود الضد والمخالف، وهو السيئات المكتوبة في السجلات، وإنما وضعها في الميزان ليرى أهل الموقف في صاحب السجلات فضلها، لكن إنما يكون ذلك بعد دخول من شاء الله من الموحدين النار، ولم يبق في الموقف إلا من يدخل الجنة؛ لأنها لا توضع في الميزان لمن قضى الله أن يدخل النار، ثم يخرج بالشفاعة، أو بالعناية الإلٰهية، فإنها لو وضعت لهم أيضاً لما دخلوا النار أيضاً، ولزم الخلاف للقضاء، وهو محال ووضعها فيه لصاحب السجلات اختصاص إلٰهي يختص برحمته من يشاء.

واعلم أن الله تعالى ما وضع في العموم إلا أفضل الأشياء وأعمها نفعاً؛ لأنه يقابل به

أضداداً كثيرة، فلا بد في ذلك الموضع من قوة ما يقابل به كل ضد، وهو كلمة لا إلٰه إلا الله، ولهذا كانت أفضل الأذكار، فالذكر بها أفضل من الذكر بكلمة الله، الله وهو هو عند العلماء بالله؛ لأنها جامعة بين النفي والإثبات وحاوية على زيادة العلم والمعرفة، فعليك بهذا الذكر الثابت في العموم، فإنه الذكر الأقوى، وله النور الأضوى، والمكانة الزلفى، وبه النجاة في الدنيا والعقبى، والكل يطلب النجاة وإن جهل البعض طريقها، فمن نفى بلا إلٰه عين الخلق حكماً، لا علماً فقد أثبت كون الحق حكماً وعلماً، والإلٰه من جميع الأسماء، ما هو إلا عين واحد هي مسمى الله الذي بيده ميزان الرفع والخفض. ثم اعلم أن التوحيد لا ينفع بدون الشهادة له ﷺ بالرسالة وبين الكلمتين مزيد اتفاق يدل على تمام الاتحاد والاعتناق. وذلك أن أحرف كل منهما إن نظرنا إليها خطأ كانت اثني عشر حرفاً على عدد أشهر السنة يكفر كل حرف منها شهراً، وإن نظرنا إليها نطقاً، كانت أربعة عشر تملأ الخافقين نوراً، وإن نظرنا إليها بالنظرين معاً كانت خمسة عشر لا يوقفها عن ذي العرش موفق، وهو سر غريب دال على الحكم الشرعي الذي هو عدم انفكاك إحداهما عن الأخرى، فمن لم يجمعهما اعتقاده لم يقبل إيمانه وإسلام اليهود والنصارى مشروط بالتبري من اليهودية والنصرانية بعد الإتيان بكلمتي الشهادة وبدون التبري لا يكونان مسلمين، ولو أتيا بالشهادتين مراراً؛ لأنهما فسرا بقولهما بأنه رسول الله إليكم لكن هذا في الذين اليوم بين ظهراني أهل الإسلام، أما إذا كان في دار الحرب، وحمل عليه رجل من المسلمين فأتى بالشهادتين، أو قال: دخلت في دين الإسلام، أو في دين محمد عليه السلام، فهذا دليل توبته، ولهذه الكلمة من الأسرار ما يملأ الأقطار منها أنها بكلماتها الأربع مركبة من ثلاثة أحرف إشارة إلى الوتر الذي هو الله تعالى، والشفع الذي هو الخلق أنشأه الله تعالى أزواجاً، ومنها: أن أحرفها اللفظية أربعة عشر حرفاً على عدد السماوات والأرض الدالة على الذات الأقدس الذي هو غيب محض، والمقصود منها، مسمى الجلالة الذي هو الإلٰه الحق والجلالة الدالة عليه خمسة أحرف على عدد دعائم الإسلام الخمس ووترية ثلاثة أحرف دلالة على التوحيد.

ومنها أنه إن لم يفعل فيها شيئاً شفهياً ليمكن ملازمتها لكونها أعظم مقرب إلى الله، وأقرب موصل إليه مع الإخلاص، فإن الذاكر بها يقدر على المواظبة عليها، ولا يعلم جليسه بذلك أصلاً؛ لأن غيرك لا يعلم ما في وراء شفتيك إلا بإعلامك.

ومنها: أن هذه الكلمة مع قرينتها الشاهدة بالرسالة سبع كلمات، فجعلت كل كلمة منها مانعة من باب من أبواب جهنم السبعة.

ومنها: أن عدد حروفها مع قرينتها أربعة وعشرون وساعات اليوم والليلة كذلك فمن قالها فقد أتى بخير ينجيه من المكاره في تلك الآيات.

قال المولى الجامي: [نقطه بصورت مكس است وكلمة شهادت از نقطه معراست يعنى اين شهد از آلايش مكس طبعان معراست]. وقال بعض العارفين: لا يجوز لشخص أن يتصدر في مرتبة الشيخوخة إلا إن كان عالماً بالكتاب والسنة عارفاً بأمراض الطريق عارفاً بمقامات التوحيد الخمسة والثمانين نوعاً عارفاً باختلاف السالكين وأوديتهم حال كونهم مبتدئين وحال كونهم متوسطين، وحال كونهم كاملين، ويجمع كل ذلك قولهم ما اتخذ الله ولياً جاهلاً قط، ولو اتخذه لعلمه.

قال الشيخ الشهير بافتاده قدس سره: ليس في طريق الشيخ الحاجي بيرام الرقص حال التوحيد وليس في طريقنا أيضاً، بل نذكر الله قياماً وقعوداً، ولا نرقص وفق قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذْكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَـٰمًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٩١]. وقال: الرقص والأصوات كلها إنما وضعت لدفع الخواطر، ولا شيء في دفعها أشد تأثيراً من التوحيد فطريقنا طريق الأنبياء عليهم السلام، فنبينا عليه السلام لم يلقن إلا التوحيد. وقال في «إحياء العلوم»: الكامل هو الذي لا يحتاج أن يروح نفسه بغير الحق، ولكن حسنات الأبرار سيئات المقربين، ومن أحاط بعلم علاج القلوب ووجوه التلطف بها للسياقة إلى الحق علم قطعاً أن ترويحها بأمثال هذه الأمور دواء نافع لا غنى عنه انتهى.

وأراد بأمثال هذه الأمور السماع والغناء واللهو المباح ونحو ذلك. وقال حضرة الشيخ افتاده قدس سره: إذا غلبت الخواطر واحتجت إلى نفيها فاجهر بذكر النفي وخافت الإثبات، أما إذا حصلت الطمأنينة وغلب الإثبات على النفي، فاجهر بالإثبات، فإنه المقصود الأصلي وخافت النفي.

يقول الفقير: قال حضرة شيخي وسندي روح الله روحه: ينبغي أن يبدأ النفي من جانب اليسار ويحول الوجه إلى اليمين، ثم يوقع الإثبات على اليسار أيضاً، وذلك لأن الظلمة في اليسار فبابتداء النفي منه تطرح تلك الظلمة إلى طرف اليمين، وهو التخلية التي هي سر الخلوتية والنور في اليمين، فبتحويل الوجه إلى جانبها، ثم الميل في الإثبات إلى اليسار يطرح ذلك النور إلى جانب اليسار الذي هو موضع الإيمان؛ لأنه في يسار الصدر، وهي التجلية التي هي سر الجلوتية، وهذا لأننا في قولهم النفي في طرف اليمين، والإثبات إلى طرف اليسار؛ لأن النفي من طرف اليمين حقيقة، وإنما الابتداء من اليسار، وهذا الابتداء لا ينافي كون النفي من طرفها، فاعرف.

ومن آداب الذكر أن يكون الذاكر في بيت مظلم وأن ينظر بعين قلبه إلى ما بين حاجبيه، وفي ذلك سر ينكشف لمن ذاقه. قال بعض الأكابر: من قال في الثلث الأخير من ليلة الثلاثاء: لا إلٰه إلا الله ألف مرة بجمع همة وحضور قلب وأرسلها إلى ظالم عجل الله دماره وخرب دياره وسلط عليه الآفات وأهلك بالعاهات. ومن قال: ألف مرة لا إلٰه إلا الله، وهو على طهارة في كل صبيحة يسر الله عليه أسباب الرزق وكذا من قالها عند منامه العدد المذكور باتت روحه تحت العرش تتغذى من ذلك العالم حسب قواها، وكذلك من قالها عند وقوف الشمس ضعف منه شيطان الباطن.

وفي الحديث: «لو يعلم الأمير ما له في ذكر الله لترك إمارته، ولو يعلم التاجر ما له في ذكر الله لترك تجارته، ولو أن ثواب تسبيحه قسم على أهل الأرض لأصاب كل واحد منهم عشرة أضعاف الدنيا». وفي حديث آخر: «للمؤمنين حصون ثلاثة ذكر الله وقراءة القرآن، والمسجد، والمراد بالمسجد: مصلاه سواء كان في بيته، أو في الخارج. كذا أوله بعض الكبار.

قال الحسن البصري: حادثوا هذه القلوب بذكر الله؛ فإنها سريعة الدثور والمحادثة. بالفارسية: [بزدودن والدثور زنك افكندن كارد وشمشير]. وقال الجامي:

يـــادكـــن آنــكـــه درشـــب اسرى بـاحـبـيـب خـدا خـلـيـل خـدا

کفت کوی ازمن ای رسول کرام امت خويش راز بعد سلام
كه بودباك وخوش زمين بهشت ليك آنجا كسى درخت نكشت
خاك او باك وطيب افتاده ليك هست از درختها ساده
غرس أشجار آن بسعى جميل بسمله حمد له است بس تهليل
هست تكبير نيزازان أشجار خوش كسى كش جزاين نباشد كار
باغ جنات تحتها الأنهار سبز وخرم شودازان اشجار

وفي الحديث: «استكثروا من قوله: لا إلٰه إلا الله والاستغفار، فإن الشيطان، قال: قد أهلكت الناس بالذنوب وأهلكوني بلا إلٰه إلا الله، والاستغفار فلما رأيت ذلك أهلكتهم بالأهواء حتى يحسبون أنهم مهتدون، فلا يستغفرون». وفي الحديث: «جددوا إيمانكم»، قالوا: يا رسول الله كيف نجدد إيماننا، قال: «أكثروا من قول لا إلٰه إلا الله»، ولما بعث عليه السلام معاذ بن جبل رضي الله عنه إلى اليمن أوصاه. وقال: «إنكم ستقدمون على أهل الكتاب، فإن سألوكم عن مفتاح الجنة فقولوا: لا إلٰه إلا الله».

وفي الحديث: إذا قال العبد المسلم: لا إلٰه إلا الله خرقت السماوات حتى تقف بين يدي الله، فيقول الله: اسكني اسكني، فتقول: كيف أسكن، ولم تغفر لقائلها، فيقول: ما أجريتك على لسانه إلا وقد غفرت له»، وفي طلب المغفرة للمؤمنين والمؤمنات تحصيل لزيادة الحسنة لقوله عليه السلام: «من استغفر للمؤمنين والمؤمنات كتب الله له بكل مؤمن ومؤمنة حسنة».

وفي الخبر: من لم يكن عنده ما يتصدق به فليستغفر للمؤمنين والمؤمنات، فإنه صدقة. وكان عليه السلام: يستغفر الله في كل يوم سبعين مرة. وفي رواية: مائة مرة، ويستغفر للمؤمنين خصوصاً للشهداء ويزور القبور، ويستغفر للموتى ويعرف من الآية أنه يلزم الابتداء بنفسه، ثم بغيره. قال في ترجمة «الفتوحات»: [بعد از رسل هيجكس را آن حق نيست كه مادر وبدررا ومع هذا نوح عليه السلام دردعاى نفس خودرا مقدم داشت]. قال: رب اغفر لي ولوالدي وإبراهيم عليه السلام: [فرمود] واجنبني وبني أن نعبد الأصنام. رب اجعلني مقيم الصلاة ومن ذريتي ابتدأ بنفس خود كرد والداعي للغير لا ينبغي أن يراه أحوج إلى الدعاء من نفسه وإلا لداخله العجب، فلذا أمر الداعي بالدعاء لنفسه أولاً، ثم لغيره. اللهم اجعلنا من المغفورين.

﴿وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ ۖ فَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا ٱلْقِتَالُ ۙ رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ ٱلْمَغْشِىِّ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْمَوْتِ ۖ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾.

﴿ويقول الذين آمنوا﴾ اشتياقاً منهم إلى الوحي وحرصاً على الجهاد؛ لأن فيه إحدى الحسنيين اما الجنة والشهادة وإما الظفر والغنيمة. **﴿لولا نزلت سورة﴾**؛ أي: هلا نزلت تؤمر فيها بالجهاد. وبالفارسية: [جرا فر وفرستاده نمى شود سورة درباب قتال با كفار]. **﴿فإذا أنزلت سورة محكمة وذكر فيها القتال﴾** بطريق الأمر به؛ أي: سورة مبينة لا تشابه، ولا احتمال فيها بوجه آخر سوى وجوب القتال.

عن قتادة: كل سورة فيها ذكر القتال، فهي محكمة لم تنسخ. ﴿**رأيت الذين في قلوبهم مرض**﴾؛ أي: ضعف في الدنيا، أو نفاق، وهو الأظهر فيكون المراد الإيمان الظاهري الزعمي، والكلام من إقامة المظهر مقام المضمر. ﴿**ينظرون إليك نظر المغشي عليه من الموت**﴾؛ أي: تشخص أبصارهم جبناً وهلعاً كدأب من أصابته غشية الموت؛ أي: حيرته وسكرته إذا نزل به وعاين الملائكة. والغشي: تعطل القوى المتحركة والحساسة لضعف القلب، واجتماع الروح إليه بسبب يحققه في داخل، فلا يجد منفذاً، ومن أسباب ذلك امتلاء خانق أو مؤذ بارد، أو جوع شديد، أو آفة في عضو مشارك كالقلب والمعدة، كذا في «المغرب».

وفي الآية إشارة إلى أن من أمارات الإيمان تمني الجهاد والموت شوقاً إلى لقاء الله، ومن أمارات الكفر والنفاق كراهة الجهاد وكراهية الموت. ﴿**فأولى لهم**﴾؛ أي: فويل لهم، وبالفارسية: [بس واى برايشان باد ودوزخ مريشا نراست]. وهو أفعل من الولي، وهو القرب، فمعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه. وقيل: فعلى من آل، فمعناه الدعاء عليهم بأن يؤول إلى المكروه أمرهم.

قال الراغب: أولى كلمة تهدد وتخوف يخاطب به من أشرف على الهلاك، فيحث به على عدم التعرض، أو يخاطب به من نجا منه، فينهى عن مثله ثانياً، وأكثر ما يستعمل مكرراً، وكأنه حث على تأمل ما يؤول إليه أمره ليتنبه المتحرر زمنه.

﴿**طاعة وقول معروف**﴾ كلام مستأنف؛ أي: أمرهم طاعة لله ولرسوله، وقول معروف بالإجابة لما أمروا به من الجهاد أو طاعة، وقول معروف خير لهم أو حكاية لقولهم ويؤيده قراءة أبي، يقولون: طاعة، وقول معروف؛ أي: أمرنا ذلك، كما قال في النساء، ﴿وَيَقُولُونَ طَاعَةٌ فَإِذَا بَرَزُوا۟ مِنْ عِندِكَ بَيَّتَ طَآئِفَةٌ مِّنْهُمْ غَيْرَ ٱلَّذِى تَقُولُ﴾ [النساء: ٨١] ﴿**فإذا عزم الأمر**﴾ العزم والعزيمة: الجد وعقد القلب إلى إمضاء الأمر والعزيمة تعويذ؛ كأنه تصور أنك قد عقدت على الشيطان أن يمضي إرادته منك.

والمعنى: فإذا جدوا في أمر الجهاد وافترض القتال وأسند العزم إلى الأمر وهو لأصحابه مجازاً، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ﴾ [لقمان: ١٧]، وعامل الظرف محذوف؛ أي: خالفوا وتخلفوا. وبالفارسية: [بس جون لازم شد امر قتال وعزم كردن اصحاب جهاد ايشان خلاف ورزيده يازنان درخانها نشستند]. ﴿**فلو صدقوا الله**﴾؛ أي: فيما قالوا من الكلام المنبىء عن الحرص على الجهاد بالجري على موجبه. وبالفارسية: [بس اكر راست كفتندى باخداى در اظهار حرص برجهاد]. ﴿**لكان**﴾: أي الصدق. ﴿**خيراً لهم**﴾ من الكذب والنفاق والقعود عن الجهاد، وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكي عنهم من قوله تعالى: ﴿لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ﴾ [محمد: ٢٠]، فالمراد بهم الذين في قلوبهم مرض.

واعلم أنه كما يلزم الصدق والإجابة في الجهاد الأصغر إذا كان متعيناً عليه كذلك يلزم ذلك في الجهاد الأكبر إذا اضطر إليه، وذلك بالرياضيات والمجاهدات على وفق إشارة المرشد أو العقل السليم، وإلا فالقعود في بيت الطبيعة والنفس سبب الحرمان من غنائم القلب والروح. وفي بذل الوجود حصول ما هو خير منه، وهو الشهود والأصل الإيمان واليقين: [نقلست كه روزى حسن بصري نزد حبيب عجمى آمد بزيارت حبيب دوقرص جوين باياره نمك بيش حسن نهاد حسن خوردن كرفت سائل بدر آمد حبيب آن دو قرص بدان نمك بدان

سائل داد حسن همجنان بماند كفت اى حبيب تومر دشايسته اكر باره علم داشتى مى بودى كه نان ازبيش مهمان بركرفتى وهمه را بسائل دادى باره شايد داد بان وبارة بمهمان حبيب هيج نكفت ساعتى بود غلامى بيامد وخوانى برسر نهاد وترى وحلوى ونان باكيزه وبا نصددرم نقد دربيش حبيب نهاد حبيب درم بدر ويشان داد وخوان بيش حس نهاد وحسن باره نان خورد حبيب كفت اي استاد تونيك مردى اكر باره يقين داشتى به بودى باعلم بهم يقين بايد].

يعني: أن من كان له يقين تام عوضه الله تعالى خيراً من مفقوده وتداركه بفضله وجوده، فلا بد من بذل المال والوجود في الجهاد الأصغر والأكبر.

قال الحافظ:

فداى دوست نكرديم عمر ومال دريغ   كه كار عشق زما اين قدر نمى آيد

﴿فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾﴾.

﴿فهل عسيتم﴾؛ أي: يتوقع منكم يا من في قلوبهم مرض. وبالفارسية: [بس آيا شايد وتوقع هست از شما اي منافقان]. **﴿إن توليتم﴾**: أمور الناس وتأمرتم عليهم؛ أي: إن صرتم متولين لأمور الناس وولاة وحكاماً عليهم متسلطين، فتوليتم من الولاية. **﴿أن تفسدوا في الأرض وتقطعوا أرحامكم﴾** تحارصاً على الملك وتهالكاً على الدنيا، فإن من شاهد أحوالكم الدالة على الضعف في الدين والحرص على الدنيا حين أمرتم بالجهاد الذي هو عبارة عن إحراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وأنتم مأمورون شأنكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم إذا أطلقت أعنتكم، وصرتم آمرين ما ذكر من الإفساد وقطع الأرحام والرحم رحم المرأة، وهو منبت الولد ووعاؤه في البطن، ثم سميت القرابة، والوصلة من جهة الولاد رحماً بطريق الاستعارة لكونهم خارجين من رحم واحد، وقرأ عليّ رضي الله عنه: إن توليتم بضم تاء وواو وكسر لام؛ أي: ولي عليكم الظلمة ملتم معهم وعاونتموهم في الفتنة، كما هو المشاهد في هذا الإعصار.

وقال أبو حيان: الأظهر أن المعنى إن عرضتم أيها المنافقون عن امتثال أمر الله في القتال أن تفسدوا في الأرض بعدم معونة أهل الإسلام على أعدائهم وتقطعوا أرحامكم؛ لأن من أرحامكم كثيراً من المسلمين، فإذا لم تعينوهم قطعتم أرحامكم.

﴿أولئك﴾ إشارة إلى المخاطبين بطريق الالتفات إيذاناً بأن ذكر إهانتهم أوجب إسقاطهم عن رتبة الخطاب، وحكاية أحوالهم الفظيعة لغيرهم، وهو مبتدأ خبره قوله تعالى: **﴿الذين لعنهم الله﴾**؛ أي: أبعدهم من رحمته **﴿فأصمهم﴾** عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم. والإصمام: [كركردن].

﴿وأعمى أبصارهم﴾ لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة في الأنفس والآفاق والإعماء: [كور كردن]. قيل: لم يقل أصم آذانهم؛ لأنه لا يلزم من ذهاب الآذان ذهاب السماع، فلم يتعرض لها، ولم يقل أعماهم؛ لأنه لا يلزم من ذهاب الأبصار، وهي الأعين ذهاب الأبصار.

قال سعدي المفتي: إصمام الآذان غير إذهابها، ولا يلزم من أحدهما الآخر والصمم

والعمى يوصف بكل منهما الجارحة، وكذلك مقابلهما من السماع والإبصار، ويوصف به صاحبها في العرف المستمر. وقد ورد التنزيل على الاستعمالين. اختصر في الإصمام، وأطنب في الإعماء مع مراعاة الفواصل.

وفي الآية إشارة إلى أهل الطلب وأصحاب المجاهدة إن أعرضتم عن طلب الحق أن تفسدوا في أرض قلوبكم بإفساد استعدادها لقبول الفيض الإلٰهي وتقطعوا أرحامكم مع أهل الحب في الله، فتكونوا في سلك أولئك الذين، إلخ. وهذا كما قال الجنيد قدس سره: لو أقبل صديق على الله ألف سنة، ثم أعرض عنه لحظة فإن ما فاته أكثر مما ناله.

يقول الفقير: وقع لي في الحرم النبوي على صاحبه السلام: أني قعدت يوماً عند الرأس المبارك على ما هو عادتي مدة مجاورتي. فرأيت بعض الناس يسيئون الأدب في تلك الحضرة الجليلة، وذلك من وجوه كثيرة، فغلبني البكاء الشديد، فإذا هذه الآية تقرأ على أذني ﴿**أولئك الذين لعنهم الله**﴾، يعني أن المسيئين للأدب في مثل هذا المقام محرومون من درجات أهل الآداب الكرام. وفي المثنوي:

از خدا جوييم توفيق أدب — بى أدب محروم كشت از لطف رب
بى ادب تنها نه خودرا داشت بد — بلكه آتش در همه آفاق زد
هركه بى باكى كند در راه دوست — رهزن مردان شده نامرد اوست

﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱرْتَدُّواْ عَلَىٰٓ أَدْبَٰرِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَى ٱلشَّيْطَٰنُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾﴾.

﴿**أفلا يتدبرون القرآن**﴾ التدبر النظر في دبر الأمور وعواقبها؛ أي: ألا يلاحظون القرآن، فلا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لا يقعوا في المعاصي الموبقة ﴿**أم على قلوب أقفالها**﴾، فلا يكاد يصل إليها ذكر أصلاً، وبالفارسية: [بلكه بر دلهاى ايشان است قفلهاى آن يعنى جيزى كه دلهارا بمنزلة قفلها باشد وآن ختم]:

وطبع الهيست بران — دركه خدابست بروى عباد
هيج كليدش نتواند كشاد — قفل كه اوبر در دلها زند
كيست كه بردارد ودرواكند

والأقفال: جمع قفل بالضم، وهو الحديد الذي يغلق به الباب، كما في «القاموس». قال في «الإرشاد»: أم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر إلى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لا تقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب، إما لتهويل حالها وتفظيع شأنها بإبهام أمرها في الفساد والجهالة؛ كأنه قيل على قلوب منكرة لا يعرف حالها، ولا يقادر قدرها في القسوة. وإما لأن المراد قلوب بعض منهم، وهم المنافقون وإضافة الأقفال إليها للدلالة على أنها أقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الأقفال المعهودة التي من الحديد إذ هي أقفال الكفر التي استغلقت فلا تنفتح.

وفي «التأويلات النجمية»: ﴿**أفلا يتدبرون القرآن**﴾، فإن فيه شفاء من كل داء ليفضي بهم إلى حسن العرفان ويخلصهم من سجن الهجران ﴿**أم على قلوب أقفالها**﴾، أم قفل الحق على قلوب أهل الهوى، فلا يدخلها زواجر التنبيه ولا ينبسط عليها شعاع العلم، ولا يحصل لهم

فهم الخطاب، وإذا كان الباب متقفلاً فلا الشك، والإنكار الذي فيها يخرج ولا الصدق واليقين الذي هم يدعون إليه يدخل في قلوبهم، انتهى.

[نقلست كه بشرحا في قدس سره بخانه خواهر او بيامد كفت اى خواهر برىام ميشوم وقدم بنهادوباى جند بر آمد وبايستاد وتاروز همجنان ايستاده بود جون روزشد فرود آمد وبنماز جماعت رفت بامداد باز آمد خواهرش برسيدكه ايستادن تراسبب جه بود كفت درخاطرم آمد در بغداد جندين كس اندكه نام ايشان بشرست يكى جهود ويكى ترسا ويكى مغ ومرا نام بشراست وبجنين دولتى رسيده واسلام يافته درين حيرت مانده بودم كه ايشان جه كرده اندازين دولت محروم ماندند ومن جه كرده ام كه بدين دولت رسيدم].

يعني: أن انفتاح أقفال القلوب من فضل علام الغيوب ولا يتيسر لكل أحد مقام القرب والقبول ورتبة الشهود والوصول وعدم تدبر القرآن إنما هو من آثار الخذلان ومقتضيات الأعيان وإلا فكل طلب ينتهي إلى حصول إرب. قال الصائب: [تواز فشاندن تخم اميد دست مدار. كه دركرم نكند ابرنو بهارا مساك].

﴿**إن الذين ارتدوا على أدبارهم**﴾: الارتداد والردة: الرجوع في الطريق الذي جاء منه. لكن الردة تختص بالكفر والارتداد يستعمل فيه. وفي غيره الأدبار جمع دبر ودبر الشيء خلاف القبل، وكنى بهما عن العضوين المخصوصين، والمعنى: أن الذين رجعوا إلى ما كانوا عليه من الكفر، وهم المنافقون الموصوفون بمرض القلوب وغيره من قبائح الأفعال والأحوال، فإنهم قد كفروا به عليه السلام.

﴿**من بعد ما تبين لهم الهدى**﴾ بالدلائل الظاهرة والمعجزات القاهرة ﴿**الشيطان سول لهم**﴾ جملة من مبتدأ وخبر وقعت خبراً؛ لأن أي: سهل لهم ركوب العظائم من السول، وهو الاسترخاء. وقال الراغب: السول الحاجة التي تحرص عليها النفس والتسويل تزيين النفس لما تحرص عليه، وتصوير القبيح منه بصورة الحسن. ﴿**وأملى لهم**﴾ وأمد لهم في الأماني والآمال، وقيل: أمهلهم الله، ولم يعاجلهم بالعقوبة.

قال الراغب: الإملاء والإمداد ومنه قيل للمدة الطويلة: ملاوة من الدهر، وملوة من الدهر.

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا۟ لِلَّذِينَ كَرِهُوا۟ مَا نَزَّلَ ٱللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِى بَعْضِ ٱلْأَمْرِ ۖ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾﴾.

﴿**ذلك**﴾ الارتداد كائن ﴿**بأنهم**﴾؛ أي: بسبب أن المنافقين المذكورين. ﴿**قالوا**﴾ سراً. ﴿**للذين كرهوا ما نزل الله**﴾؛ أي: لليهود الكارهين لنزول القرآن على رسول الله عليه السلام مع علمهم، بأنه من عند الله حسداً وطمعاً في نزوله عليهم. ﴿**سنطيعكم في بعض الأمر**﴾، وهو ما أفاده قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نَافَقُوا۟﴾ [الحشر: ١١] يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن معكم، ونلا نطيع فيكم أحداً أبداً، وإن قوتلتم لننصرنكم، وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم ويودونهم، وأرادوا بالبعض الذي أشاروا إلى عدم إطاعتهم فيه إظهار كفرهم وإعلان أمرهم بالفعل قبل قتالهم وإخراجهم من

ديارهم، فإنهم كانوا يأبون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية إليه لما كان لهم في إظهار الإيمان من المنافع الدنيوية.

﴿**والله يعلم إسرارهم**﴾؛ أي: إخفاءهم لما يقولون لليهود.

﴿**فكيف إذا توفتهم الملائكة**﴾؛ أي: يفعلون في حياتهم ما يفعلون من الحيلة، فكيف يفعلون إذا قبض أرواحهم ملك الموت وأعوانه؟ ﴿**يضربون وجوههم وأدبارهم**﴾ بمقامع الحديد وأدبارهم وظهورهم وخلفهم.

قال الكاشفي: [مى زنند رويهاى ايشان كه از حق بكر دانيده اند ويشتهاى ايشان كه بر اهل حق كرده اند]. والجملة حال من فاعل توفتهم، وهو تصوير لتوفيهم على أهوال الوجوه وأفظعها. وعن ابن عباس رضي الله عنهما لا يتوفى أحد على معصية إلا تضرب الملائكة وجهه ودبره.

﴿**ذلك**﴾ التوفي الهائل. وبالفارسية: [اين قبض ارواح ايشان بدين وصف]. ﴿**بأنهم**﴾؛ أي: بسبب أنهم ﴿**اتبعوا ما أسخط الله**﴾ من الكفر والمعاصي، يعني: [متابعت كردند آن جيزى راكه بخشم آورد خداى تعالى را يعنى موجب غضب وى كردد].

﴿**وكرهوا رضوانه**﴾؛ أي: ما يرضاه من الإيمان والطاعة حيث كفروا بعد الإيمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود. ﴿**فأحبط**﴾ لأجل ذلك ﴿**أعمالهم**﴾ التي عملوها حال إيمانهم من الطاعات، أو بعد ذلك من أعمال البر التي لو عملوها حال الإيمان لانتفعوا بها، فالكفر والمعاصي سبب لإحباط الأعمال وباعث على العذاب والنكال.

قال الإمام الغزالي رحمه الله: الفاجر تنسل روحه كالسفود من الصوف المبلول والميت الفاجر يظن أن بطنه قد ملئت شوكاً، وكان نفسه يخرج من ثقب إبرة، وكأنما السماء انطبقت على الأرض، وهو بينهما، ولهذا سئل كعب الأحبار عن الموت، فقال: كغصن شجر ذي شوك أدخل في جوف رجل، فجذبه إنسان شديد البطش ذو قوة فقطع ما قطع، وأبقى ما أبقى.

وقال النبي عليه السلام: «لسكرة من سكرات الموت أمر من ثلاثمائة ضربة بالسيف وعند وقت الهلاك يطعنه الملائكة بحربة مسمومة قد سقيت سماً من نار جهنم، فتفر النفس وتنقبض خارجة فيأخذها الملك في يده، وهي ترعد أشبه شيء بالزئبق على قدر النخلة شخصاً إنسانياً يناولها الملائكة الزبانية، وهي ملائكة العذاب. هذا حال الكافر والفاجر، وأما المؤمن المطيع، فعلى خلاف هذا؛ لأنه أهل الرضا.

قال ميمون بن مهران: شهدت جنازة ابن عباس رضي الله عنهما بالطائف، فلما وضع على المصلى ليصلى عليه جاء طائر أبيض حتى وقع على أكفانه، ثم دخل فيها، فالتمس، ولم يوجد فلما سوي عليه سمعنا صوتاً، وما رأينا شخصاً ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ﴿٢٨﴾ فَٱدْخُلِى فِى عِبَٰدِى ﴿٢٩﴾ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴿٣٠﴾﴾ [الفجر: ٢٧ ـ ٣٠]، فعلى العاقل أن يتهيأ للموت، ولا يضيع الوقت. قال الصائب:

تراكر صلى هست ازحيات خود غنيمت دان   كه من از حاصل دوران غم بى حاصلى دارم

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ وَلَوْ نَشَآءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ ۚ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِى لَحْنِ ٱلْقَوْلِ ۚ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾﴾.

﴿**أم حسب الذين في قلوبهم مرض**﴾؛ أي: المنافقون، فإن النفاق مرض قلبي كالشك ونحوه. ﴿**أن لن يخرج الله أضغانهم**﴾، فأم منقطعة وأن مخففة من أن والأضغان جمع ضغن بالكسر، وهو الحقد، وهو إمساك العداوة في القلب والتربص لفرصتها وبه شبه الناقة، فقالوا: ذات ضغن. والمعنى: بل أحسب الذين في قلوبهم حقد وعداوة للمؤمنين أن لن يخرج الله أحقادهم، ولن يبرزها لرسول الله وللمؤمنين، فتبقى أمورهم مستورة؛ أي: أن ذلك مما يكاد يدخل تحت الاحتمال. وفي بعض الآثار: لا يموت ذو زيغ في الدين حتى يفتضح، وذلك لأنه كحامل الثوم، فلا بد من أن تظهر رائحته، كما أن الثابت في طريق السنة كحامل المسك إذ لا يقدر على إمساك رائحته.

اكر مسك خالص نداری مكوی وكرهست خودفاش كردد ببوی

﴿**ولو نشاء**﴾ إراءتهم. وبالفارسية: [واكر ماخواهيم]. ﴿**لأريناكهم**﴾ لعرفناكهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم معرفة متاخمة للرؤية. ﴿**فلعرفتهم بسيماهم**﴾ بعلامتهم التي نسمهم بها.

قال في «القاموس»: السومة بالضم، والسمية والسيما والسيميا بكسرهن العلامة وذكر في السوم. وعن أنس رضي الله عنه ما خفي على رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم. ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكون فيهم الناس، فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى وجه كل منهم مكتوب هذا منافق.

وفي «عين المعاني»: وعلى جبهة كل واحد مكتوب كهيئة الوشم: هذا منافق واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتأكيد والفاء لترتيب المعرفة على الإراءة. ﴿**ولتعرفنهم في لحن القول**﴾: اللام جواب قسم محذوف ولحن القول فحواه، ومعناه وأسلوبه أو إمالته إلى جهة تعريض وتورية، يعني: [بشناسى توايشانرا در كردانيدن سخن از صوب صواب بجهت تعريض وتوريت]. ومنه قيل للمخطىء لاحن لعدله بالكلام عن سمت الصواب.

وفي الحديث: «لعل بعضكم ألحن بحجته من بعض» أي أذهب بها في الجهات. قال في «المفردات»: اللحن صرف الكلام عن سننه الجاري عليه، إما بإزالة الإعراب أو التصحيف، وهو المذموم، وذلك أكثر استعمالاً، وإما بإزالته عن التصريح وصرفه بمعناه إلى تعريض وفحوى، وهو محمود من حيث البلاغة عند أكثر الأدباء، وإليه قصد بقول الشاعر، فخير الأحاديث ما كان لحناً، وإياه قصد بقوله: ﴿**ولتعرفنهم في لحن القول**﴾، ومنه قيل: للفطنة لما يقتضي فحوى الكلام لحن. انتهى.

وفي «المختار»: اللحن: الخطأ في الإعراب، وبابه قطع، واللحن بفتح الحاء الفطنة، وقد لحن من باب طرب. وفي الحديث: «لعل أحدكم ألحن بحجته»؛ أي: أفطن بها. انتهى.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: هو قولهم: ما لنا إن أطعنا من الثواب، ولا يقولون: ما علينا إن عصينا من العقاب. قال بعض الكبار: الأكابر والسادات يعرفون صدق المريد من كذبه بسؤاله وكلامه؛ لأن الله يقول: ﴿**ولتعرفنهم في لحن القول**﴾، ﴿**والله يعلم أعمالكم**﴾، فيجازيكم بحسب قصدكم، وهذا وعد للمؤمنين وإيذان بأن حالهم بخلاف حال المنافقين.

وفي الآية إشارة إلى أن من مرض القلوب الحسبان الفاسد والظن الكاذب، فظنوا أن الله لا يطلع على خبث عقائدهم، ولا يظهره على رسوله، وليس الأمر كما توهموه، بل الله

فضحهم وكشف تلبيسهم بالإخبار والتعريف مع أن المؤمن ينظر بنور الفراسة والعارف ينظر بنور التحقيق، والنبي عليه السلام ينظر بالله، فلا يستتر عليه شيء، فالأعمال التي تصدر بخيانة النيات لها شواهد عليها، كما سئل سفيان بن عيينة رحمه الله، هل يعلم الملكان الغيب؟ فقال: لا، فقيل له: فكيف يكتبان ما لا يقع من عمل القلب؟ فقال: لكل عمل سيما يعرف بها كالمجرم يعرف بسيماه إذا هم العبد بحسنة فاح من فيه رائحة المسك، فيعلمون ذلك، فيكتبونها حسنة، فإذا هم بسيئة استقر عليها قلبه فاح منه ريح النتن، ففي كل شيء شواهد ألا ترى أن الحارث بن أسد المحاسبي رحمه الله كان إذا قدم له طعام فيه شبهة، ضرب عرقه على أصبعه وكأم أبي يزيد البسطامي رحمهما الله ما دامت حاملاً بأبي يزيد لا تمتد يدها إلى طعام حرام، وآخر ينادي، ويقال له: تورع وآخر يأخذه الغثيان، وآخر يصير الطعام أمامه دماً، وآخر يرى عليه سواداً، وآخر يراه خنزيراً إلى أمثال هذه المعاملات التي خص الله بها أولياءه وأصفياءه، فعليك بالمراقبة مع الله والورع في المنطق، فإنه من الحكمة، وهل يكب الناس على مناخرهم في النار إلا حصائد ألسنتهم.

قال مالك بن أنس رضي الله عنه: من عد كلامه من عمله، قل كلامه، والتزم أربعة الدعاء للمسلمين بظهر الغيب وسلامة الصدر وخدمة الفقراء، وكان مع كل أحد على نفسه قال بعض الكبار: انصت لحديث الجليس، ما لم يكن هجراً، فإن كان هجراً، فانصحه في الله إن علمت منه القبول، بألطف النصح، وإلا فالاعتذار في الانفصال، فإن كان ما جاء به حسناً، فحسن الاستماع، ولا تقطع عليه حديثه:

سخن را سرست اى خرد مندوبن ميـاور سخن درميان سخن
خداوند تدبير وفرهنك وهوش نكويت سخن تانبيند خموش

﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ ٱلْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا۟ أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَشَآقُّوا۟ ٱلرَّسُولَ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا۟ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾﴾.

﴿**ولنبلونكم**﴾ بالأمر بالقتال ونحوه من التكاليف الشاقة إعلاماً لا استعلاماً أو نعاملكم معاملة المختبر ليكون أبلغ في إظهار العذاب. ﴿**حتى نعلم المجاهدين منكم والصابرين**﴾ على مشاق الجهاد علماً فعلياً يتعلق به الجزاء. وقد سبق تحقيق المقام بما لا مزيد عليه من الكلام. ﴿**ونبلو أخباركم**﴾ الإخبار بمعنى المخبر بها؛ أي: ما يخبر به عن أعمالكم، فيظهر حسنها وقبحها؛ لأن الخبر على حسب المخبر عنه إن حسناً فحسن وإن قبيحاً فقبيح. ففيه إشارة إلى أن بلاء الإخبار كناية عن بلاء الأعمال.

قال الكاشفي: [تامى از مايیم خبرها شمارا كه ميكوييد درايمان يعنى تاصدق وكذب آن همه رآشكارا شود]. وكان الفضيل رحمه الله إذا قرأ هذه الآية بكى، وقال: اللهم لا تبلنا، فإنك إن بلوتنا هتكت أستارنا وفضحتنا. وفيه إشارة إلى أنه بنار البلاء يخلص إبريز الولاء. قيل: البلاء للولاء كاللهب للذهب، فإن بالابتلاء والامتحان تتبين جواهر الرجال، فيظهر المخلص ويفتضح المنافق، وعند الامتحان يكرم الرجل، أو يهان، والله تعالى عالم بخصائص جواهر الإنسان من الأزل إلى الأبد؛ لأنه خلقها على أوصافها من السعادة والشقاوة، ألا يعلم من خلق، وهو اللطيف الخبير وبتغير أحوال الجواهر في الأزمان المختلفة لا يتغير علم الله،

فإنه تعالى يراهم في حالة واحدة، وتغيرات الأحوال كلها، كما هي بحيث لا يشغله حالة عن حالة، وإنما يبلو للإعلام والكشف عن حقيقة الحال.

قال بعض الكبار: العارفون يعرفون بالأبصار ما تعرفه الناس بالبصائر، ويعرفون بالبصائر ما لم يدرك أحد في النادر، ومع ذلك، فلا يأمنون على نفوسهم من نفوسهم، فكيف يأمنون على نفوسهم من مقدورات ربهم؟ مما يقطع الظهور، وكان الشيخ عبد القادر الجيلي قدس سره يقول: أعطاني الله تعالى ثلاثين عهداً وميثاقاً أن لا يمكر بي، فقيل له: فهل أمنت مكره بعد ذلك، فقال: حالي بعد ذلك كحالي قبل العهد، والله عزيز حكيم، فإذا كان حال العارف الواقف هكذا فما حال الجاهل الغافل، فلا بد من اليقظة:

بر غفلت سياه دلان خنده مى زند غافل مشو زخنده دندان نماى صبح

﴿**إن الذين كفروا وصدوا**﴾؛ أي: منعوا الناس ﴿**عن سبيل الله**﴾؛ أي: عن دين الإسلام الموصل إلى رضا الله تعالى. ﴿**وشاقوا الرسول**﴾ وعادوه وخالفوه وصاروا في شق غير شقه. والمخالفة أصل كل شر إلى يوم القيامة. ﴿**من بعد ما تبين لهم الهدى**﴾ بما شاهدوا نعته عليه السلام في التوراة، وبما ظهر على يديه من المعجزات، ونزل عليه من الآيات، وهم قريظة والنضير، أو المطعمون يوم بدر وهم رؤساء قريش.

﴿**لن يضروا الله**﴾ بكفرهم وصدهم ﴿**شيئاً**﴾ من الأشياء يعني: [زيانى نتواند رسانيد خدا يرا جيزى يعنى از كفر ايشان اثر ضررى بدين خداى وبيغمبر او نرسد بلكه شرر آن شر بديشان عائد كردد]. أو شيئاً من الضرر، أو لن يضروا رسول الله بمشاقته شيئاً، وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته. ﴿**وسيحبط**﴾ السين لمجرد التأكيد ﴿**أعمالهم**﴾؛ أي: مكايدهم التي نصبوها في إبطال دينه تعالى ومشاقة رسوله، فلا يصلون بها إلى ما كانوا يبغون من الغوائل ولا يتم لهم إلا القتل كما لقريظة وأكثر المطعمين ببدر والجلاء عن أوطانهم كما للنضير.

﴿۞ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوٓاْ أَعْمَـٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾﴾.

﴿**يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول**﴾ في العقائد والشرائع كلها، فلا تشاقوا الله ورسوله في شيء منها. ﴿**ولا تبطلوا أعمالكم**﴾؛ أي: بمثل ما أبطل به هؤلاء أعمالهم من الكفر والنفاق والرياء والمن والأذى والعجب وغيرها.

وفي الحديث: «إن العجب يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب»:

در هر عملى كه عجب ره يافت رويش زره قبول بر تافت
اى كشته بكار خويش مغرور وزدركه قرب كشته مهجور
تاجند زعجب وخود نمايى وزد بدبه منى ومايى
معجب مشو از طريق تلبيس كز عجب بجه فتاد إبليس

وليس فيه دليل على إحباط الطاعات بالكبائر على ما زعمت المعتزلة والخوارج، فإن جمهورهم على أن بكبيرة واحدة تحبط جميع الطاعات، حتى أن من عبد الله طول عمره، ثم شرب جرعة من خمر، فهو كمن لم يعبده قط.

وفي الآية إشارة إلى أن كل عمل وطاعة، لم يكن بأمر الله وسنة رسوله، فهو باطل لم

يكن له ثمرة؛ لأنه صدر عن الطبع، والطبع ظلماني، وإنما جاء لشرع، وهو نوراني ليزيل ظلمة الطبع بنور الشرع، فيكون مثمراً وثمرته أن يخرجكم من الظلمات إلى النور؛ أي: من ظلمات الطبع إلى نور الحق فعليك بالإطاعة واستعمال الشريعة وإياك والمخالفة والإهمال: [نقلست كه احمد حنبل وشافعي رضي الله عنها نشسته بودند حبيب عجمى از كوشه در آمد أحمد كفت من اورا سؤالى كنم شافعى كفت ايشانرا سؤال نشايد كردكه ايشان قومى عجب باشند احمد كفت جاره نيست جون حبيب فرا رسيد احمد كفت جه كويى در حق كسى كه ازين بنج نماز يكى ازو فوت شده است ونمى داندكه كدامست حبيب كفت هذا قلب غفل عن الله فليؤدب يعنى اين دل كسى بودكه از خداوند غافل بود اورا ادب بايد كرد در جواب او متحير شد شافعى كفت نكفتم كه ايشانرا شؤال نشايد كرد].

والجواب في الشريعة أن يقضي صلاة ذلك اليوم، فالتي توافقها تكون قضاء لها، والبواقي من النوافل نسأل الله الإطاعة والانقياد في كل حال على الاطراد.

﴿إن الذين كفروا﴾ بالله تعالى ورسوله **﴿وصدوا﴾** الناس **﴿عن سبيل الله﴾** الموصل إلى رضاه **﴿ثم ماتوا﴾** وفارقوا الدنيا **﴿وهم كفار﴾**: الواو: للحال. **﴿فلن يغفر الله لهم﴾** في الآخرة؛ لأنهم ماتوا على الكفر، فيحشرون على ما ماتوا عليه، كما ورد: «تموتون كما تعيشون وتحشرون كما تموتون»، وهو حكم يعم كل من مات على الكفر، وإن صح نزوله في أصحاب القليب، وهو كأمير البئر، أو العادية القديمة منها، كما في «القاموس».

والمراد: البئر التي طرح فيها جيف الكفار المقتولين يوم بدر، وأما البئر التي سقي منه المشركون ذلك اليوم، وهي بئر لماء، فهي منتنة الآن، سمعته من بعض أهل بدر حين مروري بها.

﴿فَلَا تَهِنُوا۟ وَتَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُوا۟ وَتَتَّقُوا۟ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾﴾.

﴿فلا تهنوا﴾ من الوهن وهو الضعف. والفاء فصيحة؛ أي: إذا تبين لكم بما يتلى عليكم أن الله عدوهم يبطل أعمالهم، فلا يغفر لهم، فلا تهنوا؛ أي: لا تضعفوا فإن من كان الله عليه لا يفلح **﴿وتدعوا إلى السلم﴾** مجزوم بالعطف على تهنوا، والسلم بفتح السين وكسرها لغتان بمعنى الصلح؛ أي: ولا تدعوا الكفار إلى الصلح فوراً، فإن ذلك فيه ذلة، يعني: [طلب صلح مكنيد از ايشان كه نشانه ضعف وتذلل شما بود].

﴿وأنتم الأعلون﴾ جمع الأعلى بمعنى، الأغلب أصله: أعليون فكرهوا الجمع بين أخت الكسرة والضمة؛ أي: الأغلبون. وقال الكلبي: آخر الأمر لكم، وإن غلبوكم في بعض الأوقات، وهي جملة حالية مقررة لمعنى النهي مؤكدة لوجوب الانتهاء، وكذا قوله تعالى: **﴿والله معكم﴾**، فإن كونهم الأغلبين وكونه تعالى معهم؛ أي: ناصرهم في الدارين من أقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة، وكذا توفيته تعالى لأجور الأعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى: **﴿ولن يتركم أعمالكم﴾**: [الوتر كم وضائع كردن]؛ أي: ولن يضيعها من وترت الرجل إذا قتلت له قتيلاً من ولد أو أخ أو حميم، فأفردته منه من الوتر الذي هو الفرد.

وفي «القاموس»: وتر الرجل أفزعه وأدركه بمكروه ووتره ماله نقصه إياه انتهى، وعبر

عن ترك الإثابة في مقابلة الأعمال بالوتر الذي هو إضاعة شيء معتد به من الأنفس والأموال مع أن الأعمال غير موجبة للثواب على قاعدة أهل السنة إبراز الغاية اللطف بتصوير الصواب بصورة الحق المستحق، وتنزيل ترك الإثابة بمنزلة إضاعة أعظم الحقوق وإتلافها.

وفي الحديث القدسي: «إنما هي أعمالكم ثم أؤديكم إياها»، وهي ضمير القصة، يعني ما جزاء أعمالكم إلا محفوظ عندي لأجلكم، ثم أؤديها إليكم وافية كاملة. وعن أبي ذر رضي الله عنه رفعه يقول الله تعالى: إني حرمت الظلم على نفسي وحرمته على عبادي، فلا تظالموا، فإذا كان الله منزهاً عن الظلم ونقص جزاء الأعمال، فليطلب العبد نفساً، بل لا ينبغي له أن يطلب الأجر؛ لأن الله تعالى أكرم الأكرمين، فيعطيه فوق مطلوبه:

توبندكى جو كدايان بشرط مزدمكن   كه دوست خود روش بنده بروری داند

وفي المثنوي:

عاشقانرا شادمانى وغم اوست   دست مزد واجرت خدمت هم اوست

غير معشوق از تماشايى بود   عشق نبود هرزه سودايى بود

عشق آن شعله است كوجون بر فروخت   هرجه جز معشوق باقى جمله سوخت

قال أبو الليث رحمه الله في «تفسيره»: وفي الآية دليل على أن أيدي المسلمين إذا كانت عالية على المشركين لا ينبغي أن يجيبوهم إلى الصلح؛ لأن فيه ترك الجهاد، وإن لم تكن يدهم عالية، فلا بأس بالصلح لقوله تعالى: ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا﴾ [الأنفال: ٦١]؛ أي: وإن مالوا إلى الصلح، فمل إليه، وكذا قال غيره. هذا نهي للمسلمين عن طلب صلح الكافرين. قالوا: هو دليل على أنه عليه السلام لم يدخل مكة صلحاً؛ لأنه نهى عن الصلح. وكذا قال الحدادي في «تفسيره» في سورة النساء: لا يجوز مهادنة الكفار وترك أحد منهم على الكفر من غير جزية إذا كان بالمسلمين قوة على القتال وأما إذا عجزوا عن مقاومتهم وخافوا على أنفسهم وذراريهم جاز لهم مهادنة العدو من غير جزية يؤدونها إليهم؛ لأن حظر الموادعة كان بسبب القوة، فإذا زال السبب زال الخطر. انتهى.

والجمهور: على أن مكة فتحت عنوة؛ أي: قهراً لا صلحاً لوقوع القتال بها، ولو كان صلحاً لما قال عليه السلام: «من دخل دار أبي سفيان فهو آمن» إلى آخر الحديث. **﴿إنما الحياة الدنيا﴾** عند أهل البصيرة **﴿لعب ولهو﴾** باطل وغرور لا اعتبار بها ولا ثبات لها إلا أياماً قلائل. وبالفارسية: [جزاين نيست كه زندكانى دنيا بازيست نابايدار ومشغولى بى اعتبار] يقال: لعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً، واللهو ما يشغل الإنسان عما يعنيه ويهمه.

وفي الخبر أن الله تعالى خلق ملكاً وهو يمد لا إلٰه من أول الدنيا، فإذا قال: إلا الله قامت القيامة. وفيه إشارة إلى أن الدنيا وما فيها من أولها إلى آخرها لا وجود لها في الحقيقة، وإنما هي أمر عارض زائل، والله هو الأزلي الأبدي **﴿وإن تؤمنوا﴾** أيها الناس بما يجب به الإيمان **﴿وتتقوا﴾** عن الكفر والمعاصي **﴿يؤتكم أجوركم﴾**؛ أي: ثواب إيمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التي يتنافس فيها المتنافسون.

وفي الآية حث على طلب الآخرة العلية الباقية وتنفير عن طلب الدنيا الدنية الفانية:

مكن تكيه بر ملك وجاه وحشم   كه بيش از تو بودست وبعد از توهم

بدنيا توانى كه عقبى خرى   بخرجان من ورنه حسرت خورى

﴿ولا يسألكم﴾؛ أي: الله تعالى **﴿أموالكم﴾** الجمع المضاف من صيغ العموم، فالمراد: جميع أموالكم بحيث يخل أداؤها بمعاشكم، وإنما اقتصر على شيء قليل منها، وهو ربع العشر، أو العشر تؤدونها إلى فقرائكم، فطيبوا بها نفساً.

﴿إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُوا وَيُخْرِجْ أَضْغَـٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ هَـٰٓأَنتُمْ هَـٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ ۖ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ ۚ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ ۚ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓا أَمْثَـٰلَكُم ﴿٣٨﴾﴾.

﴿إن يسألكموها﴾؛ أي: أموالكم **﴿فيحفكم﴾**؛ أي: يجهدكم بطلب الكل. وبالفارسية: [بس مبالغه كند درخواستن يعنى كويد همه ارا نفقه كنيد]. وذلك فإن الإحفاء والإلحاف: المبالغة وبلوغ الغاية، يقال: أحفى شاربه؛ أي: استأصله؛ أي: قطعه من أصله. **﴿تبخلوا﴾** بها فلا تعطوا **﴿ويخرج﴾**؛ أي: الله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة، أو البخل؛ لأنه سبب الأضغان. **﴿أضغانكم﴾**؛ أي: أحقادكم.

وقد سبق تفسيره في هذه السورة. قال في «عين المعاني»؛ أي: يظهر أضغانكم عند الامتناع. وقال قتادة: علم الله أن ابن آدم ينقم ممن يريد ماله. ويقال: ويخرج ما في قلوبكم من حب المال. وهذه المرتبة لمن يوقى شح نفسه، فأما الأحرار عن رق الكونين، ومن علت رتبتهم في طلب الحق، فلا يسامحون في استبقاء ذرة ويطالبون ببذل الروح والتزام الغرامات، فإن المكاتب عبد ما بقي عليه درهم.

﴿ها أنتم﴾ ها: تنبيه بمعنى: [آكاه باشيد وكوش داريد]. وأنتم: كلمة على حدة وهو مبتدأ خبره قوله: **﴿هؤلاء﴾**: أي أنتم أيها المخاطبون، هؤلاء الموصوفون، يعني في قوله تعالى: **﴿إن يسألكموها﴾**، الآية. **﴿تدعون لتنفقوا في سبيل الله﴾** استئناف مقرر لذلك حيث دل على أنهم يدعون لإنفاق بعض أموالهم في سبيل الله، فيبخل ناس منهم أو صلة لهؤلاء على أنه بمعنى الذين؛ أي: ها أنتم الذين تدعون، ففيه توبيخ عظيم وتحقير من شأنهم، والإنفاق في سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما. **﴿فمنكم من يبخل﴾** بالرفع لأن من هذه ليست بشرط أي ناس يبخلون، وهو في حيز الدليل على الشرطية الثانية كأنه قيل: الدليل عليه أنكم تدعون إلى أداء ربع العشر فمنكم ناس يبخلون به **﴿ومن يبخل﴾** بالجزم؛ لأن من شرط **﴿فإنما يبخل عن نفسه﴾** فإن كلا من نفع الإنفاق وضرر البخل عائد إليه، والبخل يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الإمساك والتعدي؛ أي: فإنما أمسك الخير عن نفسه بالبخل **﴿والله الغني﴾** عنكم وعن صدقاتكم دون من عداه **﴿وأنتم الفقراء﴾** إليه وإلى ما عنده من الخير، فما يأمركم به فهو لاحتياجكم إلى ما فيه من المنافع، فإن امتثلتم فلكم وإن توليتم فعليكم.

قال الجنيد قدس سره: الفقر يليق بالعبودية والغنى يليق بالربوبية، ويلزم الفقر من الفقر أيضاً، وهو الغنى التام، ولذلك قال ابن مشيش للشيخ أبي الحسن الشاذلي قدس الله سرهما: لئن لقيته بفقرك لتلقينه بالصنم الأعظم، وبتمام الفقر يصح الغنى عن الغير، فيكون متخلقاً بالغنى.

وفي «التأويلات النجمية»: والله الغني لذاته بذاته، ومن غناه تمكنه من تنفيذ مراده واستغناؤه عما سواه وأنتم الفقراء إلى الله في الابتداء ليخلقكم. وفي الوسط ليربيكم، وفي

الانتهاء ليغنيكم عن أنانيتكم ويبقيكم بهويته، فالله غني عنكم من الأزل إلى الأبد، وأنتم الفقراء محتاجون إليه من الأزل إلى الأبد:

مراورا رسد كبريا ومنى كه ملكش قديمست وذاتش غنى

ولما كان الله غنياً جواداً أحب أن يتخلق بأخلاقه فأمرهم بالبذل والإنفاق، فإن السخاء سائق إلى الجنة والرضى والقربة: [در خبر ست كه خالد بن وليد از سفرى بازآمد ازجانب روم وجماعتى ازايشان اسير آورده رسول عليه السلام برايشان اسلام عرضه كرد قبول نكردند بفرمود تاجند كس را ازايشان بكشتند بآخر جوانى را بياوردندكه اورابكشند خالد ميكويد تيغ بركشيدم تابزنم رسول عليه السلام كفت آن يكى رامزان يا خالد كفتم يا رسول الله درميان اين قوم هيج كس در كفر قوى ترازين جوان نبوده است رسول فرمود جبريل امده وميكويد كه اين يكى رامكش كه او درميان قوم خويش جوانمرد بوده است وجوا نمردرا كشتن روانيست آن جوان كفت جه بوده است كه مرابياران خود نرسانيديد كفتند درحق تووحى آمده است اى بشير ترا درين سراى با كافر جوانمرد عتاب نيست ومارا دران سراى با مؤمن جوا نمرد حساب نيست آن جوان كفت اكنون بدانستم كه دين شما حقست وراست ايمان برمن عرضه كنيد كه از جوانمردى من جز قوم من خبر ندا شتند اكنون يقين همى دانم كه اين سيد راست كويست أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله بس رسول خدا فرمودكه آن جوانمرد خلعت ايمان ببركت جوا نمردى يافت]:

جوانمرد اكر راست خواعى وليست كرم بيشه شاه مردان عليست

﴿**وإن تتولوا**﴾ عطف على أن تؤمنوا؛ أي: وإن تعرضوا عن الإيمان والتقوى وعما دعاكم إليه ورغبكم فيه من الإنفاق في سبيله. ﴿**يستبدل قوماً غيركم**﴾؛ أي: يذهبكم ويخلق مكانكم قوماً آخرين ﴿**ثم لا يكونوا أمثالكم**﴾ في التولي عن الإيمان والتقوى والإنفاق، بل يكونوا راغبين فيها وكلمة ثم للدلالة على أن مدخولها مما يستبعده المخاطب لتقارب الناس في الأحوال، واشتراك الجل في الميل إلى المال، والخطاب في تتولوا لقريش والبدل الأنصار، وهذا كقوله تعالى: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]، أو للعرب والبدل: العجم وأهل فارس.

كما روي أنه عليه السلام سئل عن القوم، وكان سلمان إلى جنبه، فضرب على فخذه، فقال: هذا وقومه والذي نفسي بيده لو كان الإيمان منوطاً بالثريا؛ أي: معلقاً بالنجم المعروف لتناوله رجال من فارس، فدل على أنهم الفرس الذين أسلموا، وفيه فضيلة لهذه القبيلة.

وفي الحديث: «خيرتان من خلقه في أرضه: قريش خيرة الله من العرب، وفارس خيرة الله من العجم»، كما في «كشف الأسرار»: [ودر لباب آورده كه أبو الدرداء رضي الله عنه بعد از قرائت اين آيت مى كفت ابشروا يا بني فروخ ومراد بارسيانند].

قال في «القاموس»: فروخ كتنور أخو إسماعيل وإسحاق أبو العجم الذين في وسط البلاد، انتهى. وفيه إشارة إلى منقبة قوم يعرفون [بخواجكان] ونحوهم من كبار أهل الفرس وعظماء أهل الله منهم، وهم كثيرون. ومنهم: الشيخ سعدي الشيرازي. وقد تقطب من الفجر إلى الظهر ثم تركه باختياره على ما في «الواقعات المحمودية»، ثم هذا يدل على أن الله تعالى قد استبدل بأولئك الكفار غيرهم من المؤمنين. وقيل: معناه: وإن تتولوا كلكم عن الإيمان،

فحينئذٍ يستبدل غيركم. قال تعالى: ﴿وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الزخرف: ٣٣]، الآية.

قال بعضهم: لا يستقر على حقيقة بساط العبودية إلا أهل السعادة ألا تراه يقول: **﴿وإن تتولوا﴾**، الآية. وفي الآية إشارة إلى أن الإنسان خلق ملولاً غير ثابت في طلب الحق وإن من خواصهم من يرغب في طلب الحق بالجد والاجتهاد من حسن استعداده الروحاني، ثم في أثناء السلوك بمجاهدة النفس ومخالفة هواها بظمأ النهار وسهر الليل تمل النفس من مكايدة الشيطان وطلب الرحمة، فيتولى عن الطلب بالخذلان، ويبتلى بالكفران إن لم يكن معاناً بجذبة العناية وحسن الرعاية، فالله تعالى قادر على أن يستبدل به قوماً آخرين في الطلب صادقين وعلى قدم العبودية ثابتين وقد داركتهم جذبات العناية موفقين للهداية، وهم أشد رغبة وأعز رهبة منكم، ثم لا يكونوا أمثالكم في الإعراض بعد الإقبال والإنكار بعد الإقرار وترك الشكر والثناء، بل يكونوا خيراً منكم في جميع الأحوال إظهاراً للقدرة على ما يشاء والحكمة فيما يشاء كذا في «التأويلات النجمية».

تمت سورة القتال بعون الملك المتعال وقت الضحوة الكبرى
من يوم الثلاثاء الخامس والعشرين من ذي الحجة الشريف
من السنة الثالثة عشرة بعد مائة وألف من هجرة من له العز والشرف

فهرس السور والآيات

سورة المؤمن

سورة فصلت

سورة الشورى

سورة الزخرف

سورة الدخان

سورة الجاثية

سورة الأحقاف

سورة محمد